آلهة مصر العربية



الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان — دار الآفاق الجديدة

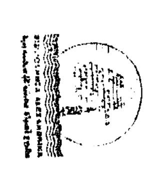
آلهة مصر العربية

آلهة مصر العربية

(بحث في تاريخ وادي النيل، ومعبودات قدماء المصريين، واللغة المصرية القديمة، بمنهج عربي جديد)

الدكتور علي فهمي خشيم

(أستاذ الفلسفة وتفسير الحضارة ـ جامعة الفاتح ـ طرابلس)



المجلد الأول

الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان

دار الآفاق الجديدة

الطبعة الأولى : 1990

رقم الايداع القانوني بدار الكتب الوطنية بنغازي : 90/ 956
رقم الايداع القانوني بالخزانة العامة بالرباط : 90/ 1071

الصف وأشغال المختبر : دار الخطابي
الطبع : مطبعة إفريقيا الشرق

الاهـــداء

إلى روح **ابن منـظور** محمـد بن مكـرم الأنصـاري، الأفريقي، الطرابلسي، المصري . . العربي.
ردًّا لبعض فضله في حفظ (لسان العرب).

وإلى روح **أحمد كمال** . . أول من رأى بعين اليقين عروبة لغة مصر القديمة وحضارة وادي النيل.

وإلى المؤمنين بانتمائهم الأزلي إلى أمتهم العظيمة الواحدة من عرب مصر، وفي الوطن العربي الكبير، ليزدادوا مع إيمانهم.

أقـدم هذا الكتـاب.

كما أقدمه إلى الذين في قلوبهم مرض من دعاة الفرعونية . . .
حتى يتبين لهم الحق.

مقدمة

بدت المسألة وكأنها حقيقة ثابتة، مسلَّمة لا تقبل الجدل ؛ حضارة مصر «الفرعونية» التي ظهرت وازدهرت في وادي النيل منذ آلاف السنين، كانت حضارة لا صلة لها بما جاورها عن شمال وعن يمين. تلك المدنيَّة العظيمة، معلمة البشرية، مفخرة الشرق والانسانية جمعاء، لم تكن لها أية علاقة في جذورها وفروعها بالأقوام المحيطة بها على الاطلاق. هي في لغتها ودينها، في علومها وفنونها وآدابها، في نظم حكمها وتراثها العظيم وتاريخها الطويل المديد، نبتت في وادي النيل ونمت على ضفافه، ثم اندثرت، سنة الله في كل شيء، دون أن يكون لها مع جيرانها وشيجة إلا وشيجة الصراع العسكري والتدافع بين الجيوش، غالبة أو مغلوبة، غازية أو مغزوة. . . ولا شيء غير هذا!

هكذا صورت لنا حضارة وادي النيل القديمة، ورسخت الصورة في الأذهان حتى باتت مناقشة هذه «البديهية» أمراً يبعث على السخرية والهزء. وعلى هذا الأساس قامت (الدعوة الفرعونية) في مصر واكتسبت أنصارها بسبب من الجهل أو التجهيل المتعمد الذي كانت له براعة في الداخل والخارج.. وقد ارتدت هذه الدعوة رداء المعرفة والعلم، واختفت حول حجب من الألغاز والأحاجي، وتسترت بما زعم أنه تاريخ مصر القديم، يكتبه الأغراب والمتغربون ويقرأه عامة الناس، ويدرسه الطلاب في المدارس والجامعات، فيقبل على علاته ويتسرَّب إلى النفوس والأذهان والأفئدة. أليس هذا هو «العلم»؟ ألم يكتب هذا «التاريخ» علماء متخصصون دارسون باحثون؟!

الحقيقة التي ينبغي ألا تنكر هي أن أهل الغرب الأوروبيين هم الذين كشفوا أسرار الكتابة المصرية القديمة (الهيروغليفية) على يد الفرنسي «شامبليون» Champollion والأنجليزي «يونغ» Young في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وكذلك رموز الكتابة الهيراطيقية (الكهنوتية) والديموطيقية (الشعبية). وتوالت من بعد الدراسات والبحوث المتواصلة في مختلف المجالات المتعلقة بآثار مصر وتاريخها ولغتها. وقد ساعدت سيطرة الاستعمار الغربي على مصر وبقية أقطار الوطن العربي أعداداً لا تحصى من علمائه وباحثيه على مزيد من الكشف عن الآثار المصرية في مختلف صورها وأشكالها، ويسرت لهم الانفراد بدراسة الحضارة المصرية القديمة انفراداً يكاد يكون كاملاً. ولا يمكن حصر ما كتب عن مصر القديمة من مؤلفات في شتى اللغات الأوروبية، ولا ما سطر من بحوث ودراسات، أو صدر من دوريات، أو عقد من ندوات ومؤتمرات واجتماعات ومناقشات. فهذا بحر زاخر لا يبلغ أحد مداه، وليس لأمواجه حد ولا غاية. ولم ينته البحث في هذا المجال، ويبدو أنه لن ينتهي أبداً.

وإذا كان من العدل أن نشكر لعلماء أوروبا جهدهم ونحمد لهم صبرهم ونشيد بكثير مما قدموه ونكبر حماسة العديد منهم، بل وعشقهم لتاريخ مصر وحضارتها، فإن من الصواب ملاحظة أن استحواذهم على التاريخ وسيطرتهم على ميادين البحث فيه أدى إلى نتائج بالغة الخطر، منها أولاً أن الكتابة في هذا الميدان كانت في الغالب الأعم باللغات الأوروبية مما أدى إلى حصر معرفته في أصل تلك اللغات أو في من يحسن لغة منها غير لغته هو، وكان أشد الضرر وقع على العرب، أو لنقل على عامة القارئين بالعربية وحدها. فإذا ما صدر كتاب، أو دراسة، بالعربية في الموضوع كانت الترجمة واضحة والنقل جلياً عن المصادر الأوروبية. ولقد بلغ من سيطرة اللغات الأوروبية على البحث في تاريخ مصر وحضارتها حد أن المجلة الرسمية التي تصدر عن هيئة الآثار المصرية في القاهرة تنشر البحوث فيها باللغات الأوروبية، وبأقلام دارسين عرب، حتى يومنا هذا. وقد اعتبر تقديم ملخص قصير بالعربية لبعض ما ينشر من دراسات في هذه المجلة «ثورة» جديرة بالتقدير والاعجاب!

من هذه النتائج، ثانياً، أن علماء الغرب للأسف مهما بلغ من «موضوعيتهم» لم يكونوا بقادرين على التجرد الكامل من الهوى. فهم بشر ذوو نوازع وأغراض، يتبعون أوطاناً كان - ولا يزال - لها مآرب وأهداف. ولم يكن من اليسير الفصل بين الأهداف الاستعمارية والغايات العلمية، فكان هؤلاء العلماء منحازين - تلقائياً - لفكرة بذاتها مؤداها فصل مصر، تاريخاً وحضارة وثقافة وأصولاً، عما يحيط بها من جيرانها. . العرب. ويبدو هذا الاتجاه واضحاً عند العلماء الانكليز والفرنسيين بالذات، لأن دولتيهما كانتا تستعمران الوطن العربي، وتعملان على تقسيمه وتفتيته لتتحقق سياسة: «فرق تسد» مما هو معروف مشهور. يثبت هذا أن ما يسمى «المدرسة الألمانية» كانت تتخذ مساراً آخر مخالفاً يقول بوحدة تاريخ مصر والوطن العربي، والسبب - فيما نرى - راجع إلى أن ألمانيا لم تكن ذات مستعمرات في المنطقة فلم يكن لعلمائها غاية سياسية ترتدى لبوس العلم، وبذا كانت دراساتهم تنصب على ربط حضارة مصر بجيرانها واللغة المصرية بما أسموه (اللغات السامية).

فإذا افترضنا حسن النية والبعد عن الهوى كانت ثالثة النتائج، أعني جهل الغربيين باللغة العربية، أو لنقل جهل أغلب هؤلاء الغربيين بها. فالحق أن الكثرة الوافرة ممن اهتموا باللغة المصرية القديمة لم يكونوا يحسنون العربية، وإن ادعى بعضهم معرفته بها. وهم قد يتكلمون لغة التخاطب العربية المعاصرة، أو لغة الصحف، أو حتى اللهجة العامية الدارجة، لكنهم لم يكونوا ليحيطوا علماً بلغة الشعر الجاهلي مثلاً أو لغة الأدب العربي القديم. فمن فعل ذلك من المستشرقين كان اهتمامه مقصوراً على الشعر والأدب بعيداً عن اللغة المصرية، فلا تمكنه المقارنة واستخلاص النتائج. فإذا وجدنا من اهتم بمقارنة المصرية بما يدعونه (اللغات السامية) كانت مقارنته مبنية على معرفته بالعبرية أصلا فإن أغلب هؤلاء من اليهود، وقد يعرجون على العربية إذا تبحروا فيها، كما فعل «فرانز كاليس» Franz Calice أو «امبير» Ember مثلاً، ولكن دون أن تتيسر لهم الاحاطة الكاملة.

هناك أيضا نتيجة أخرى لاستحواذ الأوروبيين على الدراسات المصرية تكمن في أنهم في مجال دراستهم للغة المصرية وفكهم رموز الهيروغليفية وجهوها وجهة تتفق مع نمط كتابتهم وأصوات

لغاتهم، فكان أن قلبوا أشكال هذه الرموز وعكسوها صورةً ومسار كتابة. فالرموز الهيروغليفية تمضي عادة من اليمين إلى اليسار، وأحياناً من أعلى إلى أسفل، فكان لابد لكي تسهل قراءتها من أن يحولوا مسار الكتابة لتصبح من اليسار إلى اليمين وتبع هذا عكس صور الرموز بالطبع. نحن إذن نقرأ الهيروغليفية مقلوبة، كما نقرأ التاريخ مقلوباً هو الآخر!

ليس هذا فحسب، بل كان ثمة نتيجة خامسة نجدها في مجال النقحرة، أي النقل الحرفي للرموز الهيروغليفية إلى الحروف اللاتينية. إذ من المعلوم أن المصرية تحتوي على أصوات لا توجد في اللغات الأوربية، من مثل العين والحاء والخاء والقاف، مما لا مقابل له في الألف باء اللاتينية، فكان كل باحث منهم يستنبط رمزاً من اللاتينية يضيف تحته نقطة أو خطاً يشير به إلى الصوت المعني. ومن هنا جاء الاختلاف في العلامات كما يلاحظ القارىء من الجدول المخصص لهذه الغاية. ومضوا فافترضوا أن المصرية لا تحتوي على أصوات نجدها في العربية من مثل الضاد والطاء، فوضعوا بدلاً منها الدال أو التاء، ودرجت القراءات على هذه الصورة حتى رسخت، وهي قد لا تكون كذلك. وزادوا على ذلك أن افترضوا تحريكاً للصوامت، إذ المصرية كبقية العروبيات تعتمد الصوامت، وأكثروا من الصائت e مساوقة للغات الأوروبية دون دليل على وجود هذا الصوت في المصرية، فيحركون kmt (وهو اسم لمصر) مثلا ليقرأ kemet ، ولم أجد من قرأه kamt اتساقا مع العربية.

والخلاصة أن علماء الغرب «أوْرَبُوا» اللغة المصرية وحرفوها بشكل جعلها تبدو بعيدة كل البعد عن أخواتها اللغات العروبية، والعربية بصفة خاصة، منفصلة عما حولها، حتى أصبح العرب أنفسهم مقتنعين بأن هذه اللغة، التي سرت تسميتها خطأً (الهيروغليفية)، لا صلة لها بالعربية، باعتبارها تمثل «الحضارة الفرعوية» الغريبة. ولا جدال في أن وراء هذا الاتجاه غايات استعمارية مخططة آن لنا أن ننتبه إليها وإلى خطورتها على مستقبل الوطن العربي والأمة العربية كلها. وأذكر هنا مثلاً آخذُه عمن ينسب له فضل فك رموز الكتابة الهيروغليفية، أعني «شامبليون» ؛ إذ تقرر المصادر الأولى التي كتبت عن عزمه على فك هذه الرموز أنه تعلم العربية وأتقنها، إلى جانب القبطية، لكي يصل إلى فهم ألفاظ اللغة المصرية بعد قراءة رموزها. ثم تأتي الكتابات التالية لتتجاهل هذه الحقيقة تماماً وتغفل ذكرها. . حتى يحسب المرء أن «شامبليون» كان يوحى إليه وحياً دون سابق علم بلغة أخرى يقارن بها اللغة المصرية. وهذه صورة واحدة فقط من صور التعمية وإخفاء الحقائق متعمدة ومدروسة.

فماذا عن العلماء العرب؟

لا نضيف جديداً إذا قلنا إن الباحثين العرب لم يكونوا سوى تلاميذ للعلماء الأجانب في ميدان الدراسات المصرية. هذه حقيقة بينة بذاتها، ومن الطبيعي أن يتبع التلميذ خط الأستاذ، إلا في القليل النادر. وقد غطت الفكرة القائلة بانفصال الحضارة المصرية عما جاورها أغلب الدراسات والبحوث، ولم أر من جرد نفسه وكرس حياته للربط بين اللغة المصرية والعربية في بحث كامل سوى تلك البداية الجريئة الرائدة، والموؤودة أيضاً، على يد أحمد كمال الذي يجد القارىء حديثاً عنه فيما يلي من الصفحات. ثم أذكر محاولة أخرى للأستاذ الدكتور عبد العزيز صالح في كتاب (حضارة

مصر القديمة وآثارها) في فصل قصير عقده بعنوان «مصر القديمة بين جيرانها في الجنس واللغة» (ص 12-29) استعرض فيه مذاهب علماء المصريات في صلة اللغة المصرية بـ«السامية» من جهة و«الحامية» من جهة أخرى، وقدم بعض ألفاظ مقارنة بالعربية وأخواتها (الساميات) وأخرى مقارنة بالليبية وأخـواتهـا (الحاميات) - كما يقول. وإذا كان الدكتور عبد العزيز صالح أشار إلى وحدة (اللغات السامية والحامية) وانبثاقها من جذع واحد (نسمِّيه نحن : العروبية) فهو لم يلتفت إلى عروبية اللغة الليبية المقارن بها وكذلك البجاوية والغاليَّة والصومالية، ولم يقدم المكافىء العربي لها جميعها، وهو أمر من السهل تقديمه. لكن عذر الأستاذ الباحث أن كتابه لم يكن للحديث عن اللغة، بل كان مكرساً للنظر في نشأة الحضارة المصرية الأولى، ثم تطورها التاريخي، مع تحليلات موسعة عن «المصريين الأوائل» حتى بداية الألف الثانية قبل الميلاد. والملاحظ في هذا الكتاب القيم أن الدكتور عبد العزيز صالح كان حائراً ما بين ما يحس به هو شخصياً من صلة اللغة المصرية بالعربية وأخواتها، وله ملاحظات مفيدة في هذا الباب سواء من حيث المفردات أو قواعد النحو، وما يراه في المراجع التي استعان بها من اتجاه فصلي مسيطر. ويبدو هذا في حديثه عن تكوين مصر السكاني، إذ نراه من جهة يذهب إلى أن سكان وادي النيل الأوائل جاءوا من شرقه وغربه عبر فترات من التاريخ ممعنة في القدم وفي العصور التاريخية أيضاً، ثم نجده من جهة أخرى يدافع عن «أصالة» الحضارة المصرية وتفردها بل وتميزها بشكل يصل إلى حد «الشوفينية» القاتلة.

كتاب آخر أذكره هنا كان للمرحوم الأستاذ محمد عزة دَرْوَزَة بعنوان **عروبة مصر في القديم والحديث.. أو قبل الاسلام وبعده**. ولابد أن تحمد للأستاذ دروزة غيرته العربية وحماسته القومية، ومن الـواجب الاشادة بهذا العمل الموجه أساساً ضد الموجة الفرعونية. وهو كتاب مكثف يحوي معلومات غزيرة كتبت بأسلوب حماسي مبعثه الإحساس بضرورة التصدي لأراجيف دعاة الإقليمية وأساتذتهم، ولكنه استند - خاصة فيما يتعلق بتاريخ مصر القديم - إلى كتب مترجمة أو تآليف في التاريخ المجرد، إذ يبدو أنه لم يقرأ مؤلفات في لغات أخرى غير العربية. صحيح أن الأستاذ دروزة قرأ، واستخلص، وربط بين الأقوال واستنتج نتائج مهمة، لكن السرد التاريخي كان الغالب على عمله. وهـو لم يتعـرض لمقارنة لغوية قط، واكتفى بإيراد أقوال العلماء القائلين بوحدة المصريين وجيرانهم من شرق وغرب وحدة سلالية.

ولا أعلم، في مجال اللغة، من كتب بتفصيل عميق سوى الأستاذ الدكتور عبد المحسن بكير الذي ألف كتاباً بالعربية عن (قواعد اللغة المصرية في عصرها الذهبي) وآخر بالانكليزية عنوانه (Notes on Late Egyptian Grammar) . ويبدو ميل الدكتور بكير إلى الربط ما بين قواعد المصرية والعربية واضحاً في كتابه الأخير. غير أنه لم يخصص دراسة مقارنة بذاتها بين اللغتين[1]، وإن كان

1) زرت الأستاذ بكير في بيته بالقاهرة في شهر يناير 1990م. وهو في شيخوخته ومرضه. وقد أن من في حديثه عن الصلة بين المصرية والعربية وكرر مراراً أن هناك دوافع استعمارية مريبة وجهت الدراسات المصرية وجهة تبعدها عن العربية وأخـواتهـا. قال إنـه أحس هذا من أستاذه «غاردنر» Gardiner وسواه. قال أيضاً إنه يتمنى لو تفرغ علماء العرب المتخصصون في المصريات لدراسة العلاقة بين اللغتين وسوف يندهشون حين يدركون عمق هذه العلاقة ومتانتها وإنه حزين لأنه لم يجد الوقت ولا العافية ليقدم هو شخصياً بمثل هذا العمل المهم.

ما قدمه من إشارات وتحليلات وموازنات عظيم الفائدة للغاية .

وقد تكون هناك دراسات تفصيلية تنشر في الدوريات والمطبوعات المتخصصة بأقلام بعض العلماء العرب في مجال المقارنة بين المصرية والعربية ، في مختلف المجالات ، بيد أنها لم تتبلور بعد في تيار واضح مدعم بالحجة والبرهان . فهي دراسات تقدم على استحياء وبتردد كبير. وقد يكون مثيراً للاستغراب ومبعثاً للدهشة أن أذكر أن عدداً وفيراً ممن قابلت من المهتمين بالمصريات في القاهرة ، وأساتذة آخرين ، كانوا «يحذرونني» من خطر السير في خط المقاربة بين المصرية والعربية . كانوا صادقين في تحذيرهم ، يخشون شيئاً من مصدر ما قد يؤدي إلى أذى عظيم ، بل أذى شخصي بالغ ، وضربوا أمثلة لما يقولون .

فما مصدر هذا الخطر يا ترى ؟ أإلى هذا الحد وصل الأمر ؟ ومن صاحب المصلحة فيه ؟ في ظنيّ أن الاجابة تترك للقارىء الحصيف .

أتحب ـ بعد هذا ـ أن تعرف قصتي مع الدراسات المصرية ، واللغة المصرية ؟

فليكن . . .

كان ذلك في سنة 1977م . وكنت يومها مشغولاً بمتابعة ما ذكر عن العثور على آثار ونقوش ليبية ومصرية وكنعانية وغيرها في أنحاء متفرقة من القارة الأمريكية ، في كتاب بعنوان «أمريكا قبل الميلاد» America B.C لمؤلفه النيوزيلندي الأصل «باري فل» Barry Fell . فسعيت إلى مقابلته في مدينة «بوسطن» إذ كان هو آنذاك أستاذاً بجامعة «هارفارد» . وفي «نيويورك» ابتعت نسخة من «كتاب الأموات» نشرة «والس بدج» W. Budge الذي سيتردد اسمه كثيراً ، فيما يلي من الصفحات . وقد وضعت (كتاب الأموات) جانباً واهتممت بدراسة النقوش الليبية[2] المكتشفة على طول شمال أفريقيا لمقارنتها بما قيل إنه وجد في القارة الأمريكية . وفي أثناء بحثي كنت أعثر، بين الحين والآخر، على مقارنات بين اللغتين الليبية والمصرية ، ولم يكن يخطر لي أن ثمة صلة بين اللغتين واللغة العربية على الاطلاق . وذات يوم تناولت نسخة (كتاب الأموات) أتمعن في صورها الهيروغليفية البالغة الدقة والجمال ، وأقرأ ما وضع تحتها من أحرف لاتينية ترمز إلى هذه الصور، كما أقرأ الترجمة الانكليزية تحت الثّنتين . وفجأة لاحظت وجود الحروف اللاتينية sbḥ (س ب ح) في أحد النصوص وترجمت إلى الانكليزية Call, pray . أليست هي «سبّح» العربية ؛ ثم كلمة dua (دوا) بنفس المعنى تقريباً . أليست هي «دعا» العربية ؟ حتى أحصيت ما يزيد عن عشر كلمات تمكن مقارنتها بالعربية . حينذاك قررت النظر في هذه (الهيروغليفية) وعزمت على دراستها بقدر ما يتسع الوقت وتمكن الطاقة . وهكذا قضيت السنوات الثلاث التالية في تتبع كل ما تصل إليه يداي من مصادر ومراجع تتعلق باللغة المصرية ، ولم تكن في بلدي على وفرة . عندها صممت على متابعة الدرس والتمحيص ، فتفرغت سنة كاملة أمضيتها في جامعة لندن حيث تيسر لي الاطلاع على عدد كبير من المراجع والكتب والاتصال بدوريات المصريات وجمعياتها ، وانصرفت تماماً إلى الموضوع الذي اتضحت لي صورته بمضي الأيام : **اللغة المصرية ليست إلا فرعاً من اللغة العروبية الأم، لها أوثق الصلات بالعربية في قديمها وحديثها .**

2) تعرف باسم اللوبية في الكتابات الفرنسية lybique وقد تسمى النوميدية Numidian كذلك .

كيـــف ؟

كيف يمكن للغة ماتت منذ مئات السنين واندثرت من الاستعمال أن تكون ذات صلة بلغة حية يتحدثها أهلها اليوم ؟

أما أن اللغة المصرية اندثرت فهذا غير صحيح، فهي لا تزال في ابنتها المسماة «القبطية»، وهي لغة الكنيسة في مصر، محرفة ـ هذا صحيح، وتكتب بحروف مقتبسة من اليونانية بإضافات منقولة عن الهيروغليفية ـ وهذا صحيح أيضاً. لكن العمود الفقري للقبطية هو اللغة المصرية القديمة، مع اقتراضات ودخيل كثير. وعلى هذا الأساس فإن القبطية تمكن مقارنتها، ومقاربتها، بالعربية طبقاً لمقارنة اللغة الأم، المصرية، بها. وهي لا تزال في ألفاظ (عامية) متداولة ليس في مصر وحدها بل في أقطار عربية أخرى مما يراه القارىء في ثنايا هذه الدراسة. ليس هذا فحسب، بل إن ثمة ألفاظاً ومفردات مصرية في اللغات الأوروبية، كالانكليزية مثلاً، تسربت عن طريق اليونانية واللاتينية، أو لنقل إنها ألفاظ «عروبية» موجودة في المصرية والعربية معاً، وكل ما في الأمر هو أن الباحثين صرفوا اهتمامهم إلى المفردات المصرية ربما جهلاً بالعربية . . . أو تجاهلاً مقصوداً.

هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى فإن علماء اللغات يتفقون على أن اللغة العربية التي نستعملها نحن العرب اليوم والتي أكتب بها الآن هي أقدم اللغات على وجه الأرض وأعتقها تاريخاً، ومع ذلك فهي لغة «حديثة» جداً، أعني لغة «حية» تواكب أحدث اللغات في العالم. وبذا فإن لفظاً ما نستعمله في حديثنا يمكن أن نجد مقابله في المصرية، لأن هذا اللفظ استمر في الحياة دون توقف منذ قديم الزمان حتى يومنا هذا . . وهو أمر مدهش تفسيره عند أغلب الباحثين يكمن في استمرار القرآن الكريم كتاباً مقدساً لغالبية العرب المسلمين مما حفظ اللغة العربية التي نزل بها منذ أكثر من أربعة عشر قرناً في هيكلها العام، مفردات وصرفاً ونحواً.

على أننا قد نصادف في المصرية ألفاظاً لا يتيسر المكافىء العربي لها، وقد تكون هذه الألفاظ مما مات وبطل استعماله في العربية مما يدعى «المهمل»، فلم تورده المعاجم. أو قد تكون تبدلت صورتها بحكم التطور اللفظي مما أبعدها عن الأصل حتى خفي. أو لعل معناها تغير طبقاً لقانون تطور الدلالة حتى ينأى عن الدلالة الأولى، وقد يصبح من الأضداد. أو أن ترجمة المعنى إلى اللغات الأوروبية التي ننقل عنها ترجمة غير دقيقة أو خاطئة مما هو كثير الحدوث. وأخيراً فإن فوق كل ذي علم عليم ؛ إذ لا يمكن لفرد ـ كائناً من كان ـ أن يحيط بمفردات اللغة العربية كلها، كما لا يمكن لأي معجم مهما بلغت ضخامته أن يشمل ألفاظ هذه اللغة جذوراً ومشتقات بحيث لا يغرب عنه لفظ ولا تشرد كلمة. فلا بد، على هذا الأساس، أن تتضافر جهود العلماء العرب ليكمل كل منهم سواه ويسد نقصه ويبين ما غمض عليه أو جهله، في مجال المقارنة بين اللغتين. فإذا أعوزت المقارنة، رغم الجهد، فإن ثمة مصدراً آخر يجب الانتباه إليه، أعني لغات الوطن العربي القديمة المسجلة والتي كشف النقاب عنها عبر القرنين الماضيين، من مثل البابلية، والعربية الجنوبية، والكنعانية، وفروعها ولهجاتها. وهي معين دافق يمكن العثور عن سبيله على الألفاظ المهملة في العربية ومقارنتها بالمصرية، لتعاصر هذه اللغات كما هو معروف. فإن لم يكن هذا فإن في اللهجات الباقية، من آرامية

(سريانية) وليبية (بربرية) ومهرية (حضرمية) وحتى حبشية (أثيوبية) وتشعباتها مجالاً خصباً يمكن الركون إليه لاكتشاف قرب المصرية من هذه اللغات العروبية كلها.

فما شأن هذا الكتاب الذي أقدمه للقارىء العربي اليوم، ولماذا (آلهة مصر العربية) ؟

فلأعترف منذ البداية أنه لم يكن عملاً يسيراً على الاطلاق أن ألقي بنفسي في خضم متلاطم مثل خضم المصريات فأجدني بين تيار وتيار، وموج وموج، في بحر لا ساحل له ولا حد. ولكن الدافع كان أقوى من أن يقاوم، وكان لا بد أن يتقدم المرء بما يراه الحق والصواب في مواجهة دعوى سادت الأذهان وسيطرت على العقول، عزلاً لمصر عن أخواتها وفصلاً لحضارتها العظيمة عن أهلها، وهي الحضارة العروبية النشأة والأصول، العربية اللغة واللسان، من حقي - باعتباري مواطناً عربياً - أن أفخر بها وأعتز ومن واجبي أن أشيد بها وأكبر، إذ هي حضارة أنتمي إليها وتنتمي إلي . . . تماماً كحضارة الرافدين أو الشام أو الجزيرة أو الشمال الأفريقي . . . كلها حضارات عروبية علمت الانسان في القديم القديم ونشرت نورها الفياض على أرض الله الواسعة من بعد.

وقد يكون في هذا الكتاب رد على أباطيل كثيرة وأراجيف عديدة نادت بها - للأسف - في أرض الكنانة ذاتها أقلام تكتب بالعربية وألسنة تنطق بها، غير أن الهوى أعماها عن واضح الحق وأبعدها عن الصراط المستقيم. وقد يكون بداية لمن يأتي من بعد من العلماء الباحثين فيكملون ما بدأت، ويسدون ما في عملي من ثغرات، ويزيدون على ما قدمت . . . حتى تنجلي الصورة وينقشع الغبش.

هذا الكتاب ليس تاريخاً لمصر، فثمة مئات من الكتب في هذا التاريخ. وليست الغاية منه تتبع سير الحضارة المصرية في مختلف ميادينها، فهناك عدد لا يحصى مما سطر في هذا الموضوع. وهو لا يرمي إلى هدف تعليمي أو تثقيفي. **ولكنه كتاب غايته إثارة قضايا معينة في صلب الحضارة المصرية، أعني في آلهتها المعبودة وفي لغتها، ويخلص إلى قضية القضايا : عروبية هذه الحضارة الخالصة.**

من هنا تخيرت أن أكتب بتفصيل في بابين ؛ أولهما الآلهة المصرية، وثانيهما اللغة المصرية القديمة. وقد نهجت في دراسة الآلهة منهج التركيز على أسمائها كما وردت في التراث الديني المصري، وما يكافئها في العربية، مع تفصيلات تتطلبها الدراسة مما يستوجب الايضاح والبيان. واخترت لهذا نحو المائة من أسماء المعبودات المصرية، وبعضاً مما يتصل بعالم الديانة من تسميات، معتمداً على ترجمتها إلى الانكليزية أو الفرنسية **لأقوم بإعادتها إلى العربية** كما يجب أن تكون. وقدمت لكل منها بمقدمة قصيرة تعطي فكرة ملخصة عن كنهها. وتوسعت في التحليل وضرب الأمثلة وتقديم الشواهد من العربية، أو أخواتها، محاولةً للبيان بالدليل الذي لا يدحض. لذا فإن القارىء لن يجد بحثاً في الديانة المصرية ومعتقداتها إلا بقدر ما يتصل باسم المعبود الذي ندرس. أما في مجال اللغة فقد اهتممت جداً بمقارنة قواعد المصرية بقواعد العربية، ذلك لأن ثمة حجة غريبة تقول إنه لا عبرة بتماثل الألفاظ والمفردات بين اللغات، إذ قد «تقترض» لغة من أخرى بحكم اختلاط أو تمازج لأسباب كثيرة، والمهم أن تكون **قواعد** اللغتين على صلة فيثبت بهذا اشتراكهما في الأصل والتطور.

فليكن إذن ما قدمته في هذا الباب حجة أخرى تضاف إلى حجج الحقيقة الراسخة في عروبة مصر منذ البداية .

هذا هو إذن عماد هذه الدراسة وجوهرها . بيد أنه لم يكن بُدٌّ من مقدمات توضح للقارىء ما سيقرأه . فتحدثت عن نشأة سكان وادي النيل الأوائل ، أو تكوين مصر السكاني ، وملاحظات عن الأقـوام المحيطة المجاورة ، في الجزء الأول ، كما تحدثت عن ملاحظات عامة حول اللغة ، يجدها القارىء في مواطنها من هذا الكتاب . وهنا ينبغي التنبيه إلى أن هذه الدراسة كتبت على مدى عشرِ سنوات كاملة ، بدءاً من سنة 1980م . ومن هنا جاء هذا التنوع في تناول بعض الفصول ، إثارة لملاحظات كانت تعدل في أثناء قراءاتي ، لكن ما يربطها جميعها هدفٌ واحدٌ وغاية واحدة . فحين كتبت فصلة عن «الهكسوس» مثلاً كانت لا تهمني سوى فكرة واحدة تتصل بآسم «الهكسوس» وتحليله الذي جر إلى اسم عاصمتهم «هوارة» وصلتها بقبيلة هوارة (البربرية) المعروفة . وهكذا في عدد آخر من المقالات . وفي تصوري أن هذا هو الأسلوب السليم لاعادة «قراءة» التاريخ إذا أردنا إعادة «كتابة» هذا التاريخ الذي شوه عمداً وعن سابق قصد وإصرار .

قد يلاحظ القارىء تفصيلاً كبيراً في جزئيات صغيرة ، وكثيراً جداً من الهوامش والتعليقات والشرح المساعد ، فليعلم أن هذا باعثه أولاً تيسير الأمر على القارىء العام الذي لا صلة له بالموضوع ولا معرفة سابقة لديه بما يقرأ ، وباعثه ثانياً إرضاء القارىء المتخصص المغرم بذكر المصادر والمراجع . أما الباعث الثالث فهو أن الحديث المعمَّم وإطلاق الأحكام دون دليل دفاعاً عن عروبة الحضارة المصرية القـديمة لا يقبل قطعاً إلا بإظهار الشواهد وعرض الأمثلة المكافئة ، أي الحجة العلمية الثابتة . وقد يلاحظ القارىء الذي مضى في القراءة حتى نهاية الكتاب أن شرحاً لكلمة أو توضيحاً لجملة قد تكرر ، وكان هذا حتى لا يضطر إلى مراجعة ما تقدم والعودة إلى موطن آخر ذكرت فيه من قبل ، فإن اللغة المصرية ـ لا ريب ـ شيء جديد عند القارىء العام وهو محتاج إلى التذكير ، فإن الذاكرة تخون والنسيان أمر طبيعي عند كل إنسان . وهو سيرى أنني حرصت على إثبات عدد كبير من الكلمات الانكليزية التي نقلت عنها معاني المفردات المصرية لمكافأتها بالعربية ، وذلك حرصاً على أمانة النقل وحتى يجد من يبغي تتبع المسألة واستقصاءها الأمر مبسوطاً أمامه في المصادر المنقولة عنها ـ وهي لا تزال في اللغات الأوروبية ولا توجد في العربية إلا نادراً جداً . وفي هذا الجانب واجهتني مشكلة من مشـاكل النقل عن الفرنجة تكمن في عدم اتفاقهم على المقابل من الأحرف اللاتينية للرموز الهيروغليفية التي تسهل مقابلتها بالحروف العربية . إذ نجد الهمزة عند بعضهم (A) ، وعند الآخر (3) ، والياء تكتب : (y)à ,(i̯) ,(ī) ,(i) ، والقاف : q, ḳ . والخاء : ḫ, kh . والدال : d, ṯ . والشين : š, sh . وهكذا مما خصصنا له جدولاً في موطنه . وقد استعملت هذه الرموز كما جاءت في مصادرها . ولعل يوماً يأتي نستعمل فيه الأحرف العربية وحدها بصورة متفق عليها بإذن الله .

هذا الكتاب يأتي في أجزاء ثلاثة يحمل كل منها عنواناً :

الجـزء الأول بعنـوان (**البداية**) يحوي 16 مقالةً أو بحثاً هي في الواقع عبارة عن (فصول تمهيدية) لا بد منها تهيىء القارىء لما يأتي من بعد . والملاحظ أن هذه المقالات لم يقصد بها أن تكون

تأريخاً (أكاديمياً) - وإن اتبعت المنهج العلمي بالطبع - ولكنها تتحدث عن «قضايا» تثيرها لاعادة النظر في ما اعتبر مسلمات من قبل. وهي بهذا تضع القارىء أمام تفكير جديد وموقف مختلف فيما يتصل بحضارة وادي النيل وما يحيط به من «جيران» هم في الحقيقة أهل أقربون.

الجـزء الثـاني بعنوان **(الغاية)**. . يأتي بعد أن تهيأ القارىء للمشاركة في فهم تحليل أسماء المعبودات المصرية تحليلاً يعيدها إلى عروبتها الأولى، ولإدراك أبعاد هذه الأسماء ودلالاتها، مع مقدمات توضيحية وتفصيلات يأخذنا إليها الحديث المرتبط بعضه ببعض.

الجـزء الثـالث بعنوان **(الدراية)**. والمقصود هنا معرفة وحدة اللغتين المصرية والعربية على أساس (وحدة القواعد). ويجيء هذا الجزء وقد تابع القارىء ما سبق وأصبح على استعداد لمناقشة التفصيلات اللغوية القواعدية، النحوية والصرفية. ويتبع هذا الجزء ملحقان لمقارنة بعض المفردات القواعدية، تعمدت اختيارهما من رجلين كانا لا يسلمان بعروبية لغة مصر القديمة، هما الأستاذ «بدج» والأستاذ «غاردنر» اللذان استفدت من مؤلفاتهما عظيم الفائدة.

أخيرا أقول إن هذه المقدمة كان يمكن أن تكون أطول مما هي عليه، وأكثر إسهاباً في ذكر الأقوال ومناقشتها، وإن ثمة قضايا كثيرة للغاية لا تزال في حاجة إلى درس وتفصيل. ولكني أحسب أن في مثل هذا الكتاب مجموعة من الاجابات عن بعض الأسئلة، ليست بالضرورة إجابات شافية أو نهائية، ويكفيها أن تثير في الأذهان أسئلة أخرى سيأتي من يجيب عنها بقدر أوفر من العلم مما لدي، وهو جد يسير. ولست أدعي أن الصواب كان حليفي في جميع تحليلاتي وتعليلاتي، ولا أزعم أنني أحطت بكل شيء علماً. بيد أنها محاولة مني، أرجو أن تتبعها محاولات من علماء عرب آخرين، بمنهج عروبي مبين قد يجد في جيل الشباب من يأخذ به، فننزع عن عقولنا وأبصارنا الغشاوة التي أسدلها «أساتذتنا» علماء الغرب ردحاً من الزمان طال.

وختاماً أود أن أتوجه بالشكر العميق لكل من أعانني في أثناء بحثي، وهم كثيرون، أخص بالذكر منهم الأستاذ **علي مصطفى المصراتي** الذي أمدني بعدد كبير من المراجع العربية، والدكتورة **علية شريف** (هيئة الآثار المصرية - القاهرة) التي مكنتني من فرص لقاءٍ وأحاديث مهمة في المرحلة الأخيرة من إعداد هذا الكتاب، وابنتي **هند** التي سهرت معي ليالٍ طويلة وأسهمت بقدرٍ كبير في مراجعة النتائج التي كنت أصل إليها وتحملت هي والآنسة **سالمة عبد الجبار** (قسم التفسير - جامعة الفاتح) عبء نقل وتبييض فصول كثيرة. والشكر موجه أيضاً إلى **زوجتي** التي هيأت لي حياة عائلية ساعدتني على إنجاز ما بدأت. ثم إلى الأصدقاء في (مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية - جامعة لندن) وخاصة الأستاذ الدكتور **«زيور زائدي»** من قسم التاريخ، والأصدقاء في (جمعية الدراسات المصرية) في لندن. وإلى كل من أعانني برأي، أو فكرة، أو مرجع. . أو كلمة تشجيع.

مصراته
(ليبيا)
15 . 1 . 1990م.

الرموز الهيروغليفية

ترد في ثنايا صفحات هذا الكتاب مجموعة من الرموز في الكتابة المصرية القديمة شرحناها في موطنها، وهذه لوحة لها باعتبارها «حروفاً» أو رموزاً هجائية، مأخوذة من الأستاذ «غاردنر» (Egyptian Grammar, p. 27) مقارنةً بما عند سواه من العلماء، مع المقابل العربي :

ملاحظات	المقابل العربي	عند آخرين	عند «غاردنر»	الرمز الهيروغليفي
ألف مهموزة، أو همزة مفتوحة	عـ، أ	a, '	ꜣ	
ألف مكسورة أو همزة وصل، أو ياء	إ، إ (مرققة)، ي	â, ĭ	i	
ياء النسبة أو التثنية غالباً	ي	i, î, ī	y	(1) (2)
	ع	ā	ʿ	
	و	u, u̯	w	
	ب	b	b	
باء مهموسة	ب	p	p	
	ف	f	f	
	م	m	m	
	ن	n	n	
	ر		r	
	هـ	h	h	
	ح	ḥ, h	ḥ	
	خ	kh	ḫ	
صوت ما بين الحاء والخاء المعجمة	ح، خ	kha	ẖ	
	س، ص، ز	ś, z	s	(1) (2)
	ش	sh	š	
قاف، أو قاف معقودة	ق، ک، ڪ	q	ḳ	
	ک (كاف مكشكشة)	č	k	
جيم مجهورة أو معطشة	ج، (جيم معطشة)	k, ğ	g	
	ت		t	
ثاء مثلثة، أو ثنائية بنطق المغاربة	ث، ت	th, dj, tj	ṯ	
	د	ṭ	d	
	ذ، تش، ح، ط، ص، ض	tch, t', dj, tj, ts	ḏ	

ملاحظـة :

لا توجد في الألف باء العربية في الأصل : (ب، ک، ڪ، ت، ج). وهي مبتدعة لمقابلة بعض الأصوات في الحرف اللاتيني.
ولسنا على ثقة من أن نقحرات العلماء الغربيين للرموز الهيروغليفية صحيحة كلها بدليل اختلافهم فيما بينهم في هذه النقحرات.

تنبيه

تأتي في هذا البحث تعبيرات هذا بيانها :

الهيروغليفية : الكتابة المصرية القديمة.
المصرية : اللغة المصرية القديمة.
اللهجة المصرية، أو المصرية الدارجة : اللغة اليومية المعاصرة في مصر.
الليبيون : سكان شمال أفريقيا القدماء (= اللوبيون، في بعض المراجع).
الليبية : اللغة الليبية القديمة (lybique ـ في المراجع الفرنسية خاصة).
اللهجة الليبية، أو الليبية الدارجة : اللغة اليومية المعاصرة في «ليبيا» اليوم.
سوريا، سوري : بلاد الشام، شامي، على الإطلاق.
الجبالية، الجبايلية : لهجة في الشمال الأفريقي (= البربرية، الأمازيغية).
العربية : العربية الشمالية، لغة الحجاز، أو العربية العدنانية، وهي الفصحى.
العروبية : لغات الوطن العربي القديمة، في بلاد الرافدين والشام والجزيرة وجزء من شرق أفريقيا ووادي النيل والشمال الأفريقي.
النقحرة : «نقل حرفي» (عن : منير البعلبكي في «المورد») = Translitiration .
اللغة : (في بعض الأحيان، وخاصة في العروبيات) اللهجة.

الجزء الأول

البدايـــة

فصول تمهيدية

الغـرب والشـرق.. يلتقيـان

في البوتـقـة العظيمـة

أوائل العشرينات من هذا القرن، بدأ الاهتمام بدراسة المواقع الأثرية التي خلفها إنسان ما قبـل التـاريخ في ما يسمى (الصحـراء الليبية) من مستوطنات وفخاريات وتصاوير على صخور المرتفعات. وتوالت البعثات بعد هذا في مختلف التخصصات مكونةً مجالات واسعة للتنقيب والبحث تدور في أغلبها حول نشأة الحضارة الانسانية الأولى في (الصحراء) وعلاقتها بحضارة وادي النيل[1].

كان من أوائل البعثات تلك التي قام بها مجموعة علماء من بينهم «أوليفر ميرز» Oliver Myers و«هانز ونكلر» Hans Winkler ما بين عامي 1937 ـ 1938م. إلى منطقة جبل العوينات والجلف الكبـير. وكان هدف «ميرز» دراسة بقايا المستوطنات البشرية هناك ومحاولة معرفة أثرها في سكان «أرمنت» إبـان الأسرة الـرابعـة. أما غاية «ونكلر» فكانت دراسة التصاوير القديمة المنقوشة على صخـور جبل العوينات. وقد توصل «ميرز» إلى نتائج مهمة منها: التدليل القاطع على حدوث تغيرات خطيرة في مناخ الصحراء، وبالتالي حدوث خلخلة سكانية. ومنها: إثبات حدوث تغيرات اقتصادية، كما في الرعي، والزراعة التي ظهرت في الصحراء قبل أن تظهر في وادي النيل[2].

أما «ونكلر» فقد ألف كتاباً عن تصاوير الصخور سنة 1938م قال فيه:

«إن هذه التصاوير تحل بقدرٍ ما محل السجلات المكتوبة، إذ لا نفهم منها مختلف الادراكات الفنية فحسب بل قد نحصـل منهـا أيضـاً على معلومات قيمة عن الثياب والأسلحة، والصيد، والملاحة، والحيوانات البرية والمستأنسة، ويمكننا أحياناً أن نستخلص منها أفكاراً عن المعتقدات الدينية والمؤسسات الاجتماعية للذين سطروا هذه التصاوير»[3].

---

1) من أهم الدراسات المركزة في هذا الموضوع:

The Sahara and the Nile Quaternary environments and prehistoric occupation in North Africa, Balkema, Rotterdam, 1980.

وهو مجلد في حوالي 600 صفحة بأقلام عدد من المختصين المعروفين أحاطت بحوثهم بجوانب الموضوع المختلفة.

2) M. A. Hoffman; Egypt Before the Pharoahs, p. 232

3) المصدر السابق، ص 233.

ومن هذه الدراسات التي استعرضها «هوفمان» بتفصيل استخلص :

«لقد شرع الآثاريون العاملون في قفار الصحراء الواسعة الآن فقط في تجميع قصة العلاقات الحضارية الحقيقية بين (الأرض الحمراء) و(الأرض السوداء)[4]. فالآن، على الأقل، يبدو كما لو أن ثورة إنتاج الطعام حدثت في (الأرض الحمراء) قروناً متطاولة، إن لم تكن ألف سنة كاملة، قبل أن تنفذ إلى منخفضات النيل الخصيبة. وبذا فإن أوليات التقدم [الحضاري] صارت معكوسة وكان (الهمج)[5] هم موجة المستقبل. ويظهر أن رعاة الصحراء الذين طالما حقر الكتابُ المصريون القدماء أعقابهم، ويا للعجب، هم الذين جاءوا بثورة العصر الحجري الجديد إلى أفريقيا، وربما - بطريقة غير مباشرة - هم الذين وضعوا أسس المدنيَّة المصرية. إن العالم... قُلب رأساً على عقب»[6].

كان «ميرز» و«وينكلر» وأمثالهما يتابعون أستاذهم «فلندرز بيتري» F. Petrie عالم المصريات الذائع الصيت، وهو من قضى عمره الذي قارب التسعين عاماً مستكشفاً، وكاشفاً، وباحثاً ودارساً للآثار المصرية، وخلص إلى أن سكان الوادي تكونوا أساساً من مهاجرين من (الصحراء) جاءوا على دفعات متوالية، كل دفعة تزحم التي قبلها في ما قبل التاريخ، بل حتى في العصور التاريخية المسجلة. ولم يعد أحد من أساتذة المصريات يناقش في صواب هذا المذهب، وإن اختلفوا في التفصيلات وتحديد تواريخ موجات الهجرة التقريبية وهو أمر طبيعي ؛ إذ نحن نتعامل هنا مع مسألة تخضع للمقارنة والاستنباط وليس مع مسجلات مسطرة، اللهم عدا ما سجلته النقوش من أحداث بعد اختراع الكتابة بالطبع[7].

---

4) أي الصحراء (دشرت) dšrt ومصر (كمت) kmt . (أنظر تحليل الكلمتين في موضعهما من هذه الدراسة).
5) أي أهل الصحراء كما كانوا ينعتون في النقوش المصرية.
6) المصدر السابق، ص 239.
7) كانت الصحراء الليبية منذ ما سمي (الجفاف العظيم) أي منذ حوالي 20.000 سنة ترسل موجات أو «نبضات» من المهاجرين ليس إلى مصر شرقاً فحسب بل إلى جبال الأطلس التي انحسر عنها الجليد غرباً، ثم إلى شبه جزيرة إيبريا شمالاً حتى بريطانيا (قارن Whishaw ; Atlantis in Andalucia) . ويقول الأستاذ «لويس سبنس» L. Spence في كتابه The Mysteries of Britain ، إن الديانة، السحرية (الدرويدية) Druidism في الجزر البريطانية هي ذاتها (ديانة أوزيرس) في مصر - أي ديانة عبادة الموتى - التي خرجت من الصحراء مع المهاجرين شرقاً وغرباً، وإن تلوَّنت بطابع البيئة المحلية. وقد ورد في (تاريخ كمبردج القديم) ما نصه : «هناك عدد قليل من سلسلة مخلفات الجماجم في إسبانيا والبرتغال يقال إن بعضها يماثل في مقاييسه تلك الجماجم الموجودة في (نقادة) بمصر في عصر ما قبل الأسرات. ويبدو أن هذا الدليل الهيكلي يثبت المقترحات المؤسسة على دليل آثاري أن **شبه جزيرة إيبريا كانت نقطة دخول لأقوام العصر الحجري الحديث من شمال أفريقيا، وهي الأقوام التي تحركت كذلك نحو أعالي وادي النيل في أزمنة ما قبل الأسرات»** . (The Cambridge Ancient History, Vol. I, part I, p. 168) . وقد تتبع الأستاذ «سيرجي» Sergi في كتابه المميز «جنس البحر المتوسط» The Mediterranean Race هذه الهجرات وانتشارها في أصقاع بعيدة. أنظر كذلك : J. D. Clark ; The Prehistory of Africa, pp. 207-212 الذي درس الهجرات الليبية القديمة إلى وادي النيل وشرق أفريقيا وغربها.

المثير للاهتمام أن «وينكلر» الذي درس رسوم الصحراء غرب وادي النيل وربط بين مخلفيها وسكان الوادي هو ذاته الذي ركز اهتمامه على رسوم أخرى شرقي النيل، بينه وبين البحر الأحمر. وهي تتكون في أغلبها من صور مراكب، أو قوارب، على صخور جبال (الصحراء الشرقية). من الذي رسم هذه التصاوير؟ ما الذي تفعله القوارب في الصحراء يا ترى؟ وكان التفسير الوحيد المقنع أنها مخلفات من أسماهم «الغزاة الشرقيين»، جاءوا - في رأيه - إلى الوادي من بلاد الرافدين. وقد ناقش «هوفمان» هذه المسألة وحاول نقض رأي «وينكلر» بالقول إن رسوم القوارب هذه لا توجد شرقي النيل فحسب، بل هي كذلك في غربه[8].

وليس المهم أن يكون هؤلاء «الغزاة» جاءوا من الرافدين أو من شبه الجزيرة[9]، غير أن رسوم القوارب ذاتها غربي النيل تدل على أن القادمين من الشرق انزاحوا غرباً ليمتزجوا بالقادمين من (الصحراء) بعدئذ. وهو ما حدث بعد ذلك كثيراً حين كان الوافدون من شبه الجزيرة العربية إلى الوادي يمضون غرباً. حتى يصلوا أمواج المحيط الأطلسي، كما جرى في (تغريبة بني هلال) مثلاً. والعكس صحيح؛ إذ كانت القبائل «الليبية» منذ قديم الزمان تتجه شرقاً، فبعضها يستقر في الوادي - شماله وجنوبه - وبعضها يمعن في تشريقه حتى يختلط مع قبائل شبه جزيرة سيناء[10].

في سنة 1970م. أثار الباحث المعروف في ما قبل تاريخ شمال افريقيا الأستاذ «ماكبرني» Mc. Burney زوبعة من النقاش حول بحث ألقاه في مؤتمر عقد بجامعة لندن عن العلاقات «الحامية - السامية» حين تعرض لنشأة ما يسمى «إنسان قفصة» حوالي الألف العاشرة قبل الميلاد. وكانت خلاصة الجدل الذي شارك فيه جملة من كبار الباحثين (أمثال: Vycichl, Garbini, Mercel Cohen, Tucker, Isserlin, Crossland) **أن التغير المناخي والتشكل الحضاري الذي مر بـ (الصحراء الليبية) تزامن مع ذاك الذي حدث في (الصحراء العربية)، وأن الهجرة إلى وادي النيل كانت تأتيه من الشرق والغرب على دفعات متتالية مما جعل هذا الوادي بوتقة انصهار كبرى**[11].

هذا الانصهار الذي كان منذ بدء التاريخ هو الذي جعل باحثاً شهيراً كالأستاذ «آرثر إيفانز» Arthur Evans المكتشف الفعلي لحضارة «كريت» يعبر عن الأثر (الليبي - المصري) Egypto – Libyan

---

8) Hoffman ; Egypt Before The Pharoahs, pp. 234-246.

9) من المستبعد أن تقطع هذه القوارب البدائية المسافة من الخليج العربي إلى البحر الأحمر لتصل إلى وادي النيل. والتفسير المقبول أن (الغزاة) خرجوا من الجزيرة وعبروا البحر الأحمر إلى النيل في إحدى موجات الهجرة الكثيرة.

10) يتحدث العلماء كثيراً عن أصل من يسمونهم (الساميين)، ولم يتفقوا على رأي قاطع في الأمر. غير أن ثمة من يرى أن (الساميين) كانوا أساساً في شمال أفريقيا ومنها انطلقوا عبر التاريخ إلى الشرق. (أنظر: طه باقر، في مجلد «ليبيا عبر التاريخ»، ومحمد عطية الأبراشي: الآداب السامية، أغناطيوس غويدي؛ محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الاسلام، ترجمة إبراهيم السامرائي).

11) أنظر: Mc Burney, The Archaeogical Context of The Hamitic Languages in North Africa, in «Hamito-Semitica» Mouton, 1975, pp. 495-515.

في أساس الحضارة «المنوية»[12] باعتبار أن سكان غربي الدلتا الذين أثروا في هذه الحضارة كانوا كتلة واحدة من «المصريين» و«الليبيين». وليس هنا مجال مناقشة أسس الحضارة «المنوية» أو «الكريتية»[13]، بيد أن «إيفانز» يربط ما بين هذه الأسس وحضارة الرافدين في مثل قوله :

«إن تكرر ظهور رمز «نت» الربة الليبية، على نوع من الاسطوانات التي كانت شائعة قبل الأسرة الأولى، يجب أن يعتبر رابطاً لها بالدلتا الغربية. ومن جهة أخرى فإن التماثل القريب بين أنواع الاسطوانات المصرية المبكرة والأسطوانات الكلدانية Chaldean البدائية يميل إلى إظهار أن هذا الشكل من الأختام اتخذ سبيله في البداية إلى وادي النيل من الجانب الآسيوي»[14].

لكن ما يشد الانتباه أن من يسميهم الأستاذ «إيفانز» (الليبيين ـ المصريين) هم أنفسهم الذين يدعوهم الأستاذ «هول» (الليبيين ـ الساميين) Semito – Libyans في كتابه عن «**التاريخ القديم للشرق الأدنى**»[15]. وهو يسمي الطبقة الأولى من سكان الدلتا مرة «الساميين» Semites وأخرى «الليبيين ـ الساميين» Semito – Libyans وثالثة «الساميين ـ المصريين» Egyptian – semites . أما جنوب الوادي (الصعيد) فقد جاء سكانه الأولون، في رأيه، من الصومال وبلاد «الغالّا» Gallas ، وهم انتموا إلى «الجنس الحامي» Hamitic Race ويضيف : «**وهو الجنس الذي قد ينتسب إلى العرب الجنوبيين**» (ص : 86).

هذه الجملة الأخيرة ذات دلالة خاصة ؛ إذ أن التفرقة بين ما يسمى (الجنس السامي) و(الجنس الحامي) باتت تفرقة لا معنى لها. فقد ثبت بالأدلة العلمية، لغوية وسلالية وآثارية، أنهما من جنس واحد في الأصل ولم يعد ثمة من يضع حدوداً فاصلة بين (الجنسين)، حتى أن علماء اللغات والباحثين في تطورها وعلاقاتها صاروا يتحدثون عن اللغة «الحامية/السامية» أو «السامية/الحامية» حين تبينوا الصلات الوثيقة بين الفرعين. نحن نسمي هذا المصطلح المركب : «**اللغة العروبية الأولى**» شاملة لغات الوطن العربي المعروف الآن بما فيه لغات شرق أفريقيا. أما للغات «**الزنجية**»، التي كانت تحسب ضمن اللغات الحامية، فهي قسم آخر يكاد يكون منفصلاً وإن ظهرت فيه بقوة آثار «عروبية» (حامية/سامية)[16].

---

12) نسبة إلى Minos صاحب قصر «كنوسوس» في كريت. اسم ملك (أو ملوك). جذره «م ن» mn . قارن اسم موحد القطرين في وادي النيل «م ن» mn ((mina/mene(s) عرف في الترجمات العربية بـ «مينا». ومعناه : القوي. قارن الجذر العربي «منن» = القوة.

13) يذهب أنيس فريحة (**ملاحم وأساطير من أوغاريت**) إلى أن اسم «كريت» قد يكون جاء من اسم البطل الكنعاني «ك ر ت» ← كارت/كريت (على وزن : فاعل، فعيل). وهذا غير مستبعد. إنه الامتزاج الحضاري منذ القديم.

14) A. Evans ; **Scripta Minoa**, Oxford, 1909, Vol. I, p. 121 .

15) H. R. Hall ; **The Ancient Historry of The Near East**, pp. 85 – 97 .

16) يعلّق (هول) على هذه المسألة في هامش ص 87 من كتابه المذكور قائلا :

«لعل العنصر (السامي) في اللغة المصرية القديمة راجع ببساطة إلى العلاقة الأصلية بين الألسنة (الحامية) =

ومرة أخرى يذكر «هول» التشابه الكبير، بل التماثل، بين بدايات الحضارة المصرية وحضارة الرافدين .

«قد يقال إن علم الآثار لا ينفي وجود عنصر (سامي) مبكر حتى في مصر العليا (الصعيد)، ما دامت هذه التشابهات بين بعض المواد المبكرة في الحضارة المصرية والبابلية باقية دون تغير. مواد من مثل أسطوانات الأختام، رؤوس الصولجانات، وأسلوب بناء جدر الآجر المسطحة، المتشابه في البلدين (مصر والرافدين). وقد افترض أن اختراع الآجر نفسه جاء إلى مصر من بلاد الرافدين». وإذا قيل إن هذا كله جاء من «السومريين»، وهم غير (ساميين)، فإن وجود (الساميين) في الرافدين قبل «السومريين» يلغي هذا الاعتراض[17]، ثم يمضي الأستاذ «هول» في تبيان أوجه الشبه بين نتاج الحضارتين المصرية والبابلية، وما قبلها، وما بعدها، بتفصيل كبير، سواء في نتاج الحضارة المادي من طراز بناء ومخلفات أثرية، أو في المعتقدات والأفكار الدينية الكبرى، وفي الزراعة كذلك «حتى لقد قيل إن معرفة القمح جاءت إلى مصر من بلاد الرافدين»، إلى جانب الأثر «الفلسطيني» ـ كما يسميه ـ أي أثر عرب فلسطين الأقدمين[18].

ولا نرى أن نغرق القارىء في تفصيلات الأدلة وتدقيقات المقارنة، ويكفي أن نعرف أن الأستاذ «هول» يجعل سكان الدلتا الأقدم هم «الساميين الأُوَل» Proto-Semites، وهم من يسميهم أحياناً «الليبيين/الساميين» Semito-Libyans في الشمال، أما في الجنوب (الصعيد) فخلاصة كلامه أن السكان الأُوَل جاءوا من الصومال وشرق أفريقيا **«وهم ليسوا زنوجاً أو حتى متزنجين»** (They were not negroes or even negroid). وكل ما يمكننا فعله أن نسميهم «حاميين» (ص: 90) **وهم لا شك يحملون شبهاً كبيراً بأهل جنوب الجزيرة العربية، أي اليمن**. (نفس المصدر والصفحة).

ويتحدث الأستاذ «بريستيد» Breasted عن مصر وتكوينها السكاني الأول:

«ينتسب أجداد القوم الذين سنتحدث عنهم [يعني المصريين القدماء] **إلى الليبيين أو الشمال أفريقيين من جهة وإلى شعوب أفريقيا الشرقية من جهة أخرى** وهم الشعوب المعروفة الآن باسم قبائل الغالاّ والصومال والبجاة. وقد طبع غزو رُحّل آسيا (الساميين) وادي النيل وشخصيته الأساسية بشكل لا يخطئه النظر في لغة الشعب الأفريقي هناك. وتوشي أقدم طبقة تحتية في اللغة المصرية مما وصلنا بهذا الأصل المختلط بوضوح. فهي في حين لا تزال ملونة بسوابق أفريقيّة فإن هذه اللغة (سامية) في تركيبها. بل هي نتاج (سامي) كامل كما يلاحظ في أقدم أمثلتها المحفوظة لدينا.

= و(السامية) لولا حقيقة أن (سامية) اللغة المصرية تبدو أقوى كثيرا من (حاميتها) وعليه فإننا حين نعثر على دليل سكاني دقيق في مصر السفلى لا نملك إلا ترجيح أن العنصر (السامي) في المصرية جاء من (الساميين).

17) هذا الرأي يقرره «ألبرايت» Albright في مقالة في: The Cambridge Ancient History.

18) أنظر ص 88ـ90 من المصدر السابق. وعن التشابه ما بين آثار الانسان الأول في فلسطين والجبل الأخضر بليبيا أنظر دراسة «ماكبيرني» Mc Burney عن (العصر الحجري في شمال أفريقيا). The Stone Age in North Africa.

غير أن امتزاج الليبيين والأفريقيين الشرقيين بأقوام وادي النيل استمر طويلا حتى العصور التاريخية، ويمكن تتبُّع الأمر، في حالة الليبيين، في الوثائق التاريخية العتيقة مدة ثلاثة آلاف عام أو تزيد. أما الهجرة (السامية) من آسيا، ولها أمثلة يمكن أن تلاحظ أيضاً في العصر التاريخي، فقد جرت في عهد سحيق يتجاوز أبعد مدى لأفقنا التاريخي. ولن نقدر أبداً على أن نحدد متى أو عن أية سبل، يقيناً، حدثت هذه الهجرات، رغم أن أكثر السبل احتمالاً هو ذاك الذي اتخذته هجرات مماثلة من صحارى الجزيرة العربية في الأزمنة التاريخية، أي برزخ السويس، الذي جاء عن سبيله الفتح الاسلامي إلى البلاد[19]».

وعلى الرغم من اعتراف الأستاذ «بريستيد» بأثر اللغة (السامية) التي جاء بها النازحون من آسيا إلى وادي النيل، «**وهو أثر لا يُجْحَدُ في أهل وادي النيل القدماء**» - كما يقول - فهو يرى ألّا أثر لهم في الديانة المصرية (ص : 26). وهذا رأي يدحضه الواقع بالطبع. ثم يمضي قائلاً :

«إن الصلات الملاحظة في ميدان اللغة ثابتة فيما يتعلق بالليبيين، كما هو الحال كذلك فيما يتصل بالمنتجات التي قاومت الزمن من الحضارة العتيقة مثل الفخاريات التي تشبه كثيراً الفخاريات التي لا يزال يصنعها الليبيون الجبايلية»[20].

ويختم الأستاذ «بريستيد» بالحديث عن «البنتيين» Punites أو «الصوماليين» وأثرهم في وادي النيل، ولكنه يقول :

«إن الفكرة التي اتَّبعها بعض المؤرخين حيناً من الزمان أن **المصري كان من أصل أفريقي زنجي مرفوضة الآن**، ومن الواضح أنه على الأكثر، ربما صبغ قليلاً بدم زنجي بالاضافة إلى العناصر السلالية الأخرى التي ذكرت من قبل» (نفس المصدر والصفحة).

في كتابه عن آثار «نقادة» و«البلاص» يفصل المكتشف عالم المصريات الأستاذ «بيتري»[21] Petrie الحديث عن نظريته القائلة بقدوم من أسماهم «**الجنس الجديد**» New Race إلى جنوب مصر في زمن جعله ما بين سنة 3300/3000 قبل الميلاد. وهو يدافع عن نظريته بحرارة وبجملة هائلة من المقارنات والأدلة الأثرية المتمثلة غالباً في الفخاريات وأشكالها ورسومها، وفي شكل الذقن ومقاييس الجماجم... إلخ. والذي يهمنا هنا أن الأستاذ «بيتري» يرى الأثر الليبي جلياً في هذه الهجرة، أو الاكتساح، ليس في مجال الفخاريات وزخرفتها مما يبدو شبهها الكبير بين مكتشفات «نقادة» وما في جبال الأطلس الجزائرية فقط، بل حتى في أشكال الوشم المكتشفة في مقبرة (سيتي الأول) وجماجم رؤساء القبائل الليبية في عهد (رمسيس الثالث)... إلخ.

(19 J. H. Breasted ; a History of Egypt, p. 25 – 26 .

(20 Libyan Kabyles . تترجم عادة «القبائلية» وهو خطأ ؛ إذ النسبة للجبال (جبال الأطلس) وليس للقبائل (جمع قبيلة) التي لا معنى لها.

(21 Flinders Petrie ; Nagada and Ballas, Bernard Quaritch, London 1896 .

هذا (الجنس الجديد) ـ يقول الأستاذ «بيتري» ـ **ليس من أثر للزنوجة فيه**، وهو لم يأت من الجنوب، بدليل عدم اكتساحه لجنوب الوادي، فلم يبق إلا الواحات التي كانت نقطة استراحة وانطلاق لشعب جاء من المغرب ليهبط وادي النيل. يقول :

«إن الغزوات الليبية غير المستبعدة شيء نفهمه عبر التاريخ المصري. ولنبدأ بالقول إن **(المصريين) أنفسهم تشكلوا في غالبيتهم من مهاجرين ليبيين... ولعل الأفكار الليبية دخلت بشكل واسع في الديانة والحضارة المصريتين**. «نيث» معروفة باعتبارها ربة ليبية، وتاجها هو الذي يشكل الجزء الأسفل من التاج المزدوج [للقطرين]، أما أن يكون هذا هو التاج الليبي فأمر تؤكده قيمته الصوتية ؛ إذ إلى جانب حرف (ن) هناك القيمة الصوتية «**بت**» التي تتبادل والشعار الملكي الآخر، النحلة. ولذا فإن التاج والشعار الملكيين يسميان «**بت**» (ب أ ت). ويقول « هيرودوت» إن الليبيين كانوا يسمون ملكهم «**باتوس**» Battus في لغتهم[22]. هنا إذن أحد التاجين ونصف اللقب الملكي عرف بأنه ليبي. وفي الأزمنة التاريخية نرى علامة القواس أو الجندي نفسها على أقدم القبور تمثل رجلاً ليبياً. وقد خدم شعب «التمحو» في الواحات في حروب «ببي» الأول، وهاجمهم «**مرنرع**» (م ر. ن. رع) Merenre و«أسرتيسن» Usertesen . وأن لهم يداً في الأسرة الثامنة عشرة تظهره تسمية ابنة «أحمس» Aahmes : «**أميرة التمحو**». وفي الأسرة التاسعة عشرة احتل الليبيون الجانب الغربي من الدلتا برمته حتى مصر الوسطى وطمحوا إلى ابتلاع البلاد بأكملها لولا أن ردهم جهد جهيد بقيادة (مرنبتاح) Merenptah . وبعد ذلك بقليل دخلوا البلاد. ثانية وأجلوا، مع حلفائهم، على يد (رمسيس الثالث). بعدها بقليل نجحوا في تأسيس الأسرة الثانية والعشرين التي كان يدعى أمراؤها (زعماء المشوش). ثم جاءت الأسرة السادسة والعشرين التي من المرجح أنها كانت تنتسب إليهم»[23]. وقد توالت هجرات الليبيين، إلى مصر، أو غزواتهم لها، عبر التاريخ حتى جاءت «الأسرة الفاطمية» من تونس لتؤسس فيها أزهى دول القرون الوسطى ـ كما يعبر (بيتري).

المشكلة التي واجهت الأستاذ «بيتري» تكمن في أن ما استند إليه من آثار فخارية وتصاوير تتشابه وما عثر عليه في «نقادة» بوادي النيل، وفي شمال أفريقيا، بل في اسبانيا وجزر ما يسمى الآن «مايوركا» الكبرى والصغرى، والأهم من هذا كله أنها تشابه ما بقي من آثار «العموريين» في بلاد الشام !

يقول : «تبقى مسألة الصلات بين (الجنس الجديد) والعموريين لنعالجها. إن التشابهات أقرب من أن تكون عارضة، وهي تقوي رأياً قُدِّم منذ مدة طويلة. فقد كان العموريون شعباً أبيض كالليبيين، وسحناتهم على الآثار المصرية متماثلة، وكان كلا الشعبين من بناة الأضرحة الحجرية العظام. وعلى هذه الأسس اقترح الأستاذ «سايس» Sayce أنهما فرعان من الجنس ذاته... هنا إذن

---

22) أنظر للمؤلف مقالة «الباطش» في كتابه (**بحثا عن فرعون العربي**) ـ الدار العربية للكتاب 1984م.
23) المصدر السابق، ص 63 ـ 64.

حل لتطابق الفخار والرسم العموريين مع مخلفات (الجنس الجديد) ؛ إنهما قسمان من نفس الأصل . . . بل حتى لعله من الجائز أن الغزو العموري لبلاد الشام كان جزءاً من الحركة ذاتها في اتجاه الشرق كما هو غزو (الجنس الجديد) لمصر»[24] .

ويختم الأستاذ «بيتري» فيما يتعلق بهذه النقطة قائلاً :

«نستخلص إذن أن في (الجنس الجديد) نرى فرعاً من نفس السلالة الليبية هو الذي أنشأ القوة العمورية، وأن لدينا في مخلفاته مثلاً لحضارة جنوب البحر الأبيض المتوسط في بداية عصر استعمال المعادن حوالي سنة 3200 ق.م . . . باختصار ؛ لقد كشفنا الغطاء عن قسم من حضارة البحر المتوسط، حفظتها لنا مؤرخةً تربة مصر»[24] .

هذا التشابه في السحنة والمظهر الذي أشار إليه «بيتري» بين الليبيين والعموريين لاحظه الدارسون كثيراً ما بين الليبيين والآسيويين، كما هو تعبيرهم، وهم حاروا في تعليله، أو حار بعضهم على الأقل. من ذلك مثلاً ما يذكره «وليام وارد» W. Ward في كتابه عن علاقات مصر ببلاد شرق البحر المتوسط[25] عند حديثه عن رسم يمثل إحدى حملات الفرعون «نب حبت رع» Nebhepetre عثر عليه في منطقة (الجبلين). وفيه يظهر الفرعون وهو يضرب أسيراً بينما ركع ثلاثة أسرى آخرين في انتظار دورهم في العقاب، وقد كتب إلى جانب كل منهم بالقلم الهيروغليفي نسبته أو (جنسيته) :

(1) «س ت و» (نوبي/نوبيون). (2) «س ث ت» (آسيوي/آسيويون).
(3) «ث ح ن ي و» («تحنو» = ليبي/لوبيون).

ويعلق «وارد» بقوله :

«وعلى كلٍّ فإن الشكل الذي يمثل (الآسيويين) هو نفسه الذي يمثل (الليبيين) بما في ذلك الريشة على الرأس التي تلازم الأخيرين عادةً، ولا يوجد ملمح من الملامح الخاصة بالتصوير المصري للآسيويين»[26] .

ثم يحاول التعليل :

«لعل هذا النص يشير إلى القبائل المحيطة بمصر من الجنوب والشرق والغرب، فيكون (الآسيويون) هنا هم قبائل من شرق الدلتا. وقد يقترح المرء خطأً من المصور إذ رسم شخصين متطابقين حيث كان واجباً أن يرسم شكلين مختلفين، غير أن هذا لا يبدو ممكناً حدوثه في معبدٍ ملكي»[26] .

لقد رد «وارد» على نفسه في مسألة «الخطأ الفني» هذه ؛ إذ لا خطأ هنا ولا سهو، بل تعمد الرسام وضع الأنساب بوضوح كامل حتى لا يأتي أحد من بعد فيفسر رسمه على هواه : نوبيون،

24) المصدر السابق، ص 64 .

25) W. Ward ; Egypt and the East Mediterranean World, American University of Beirut, 1971 .

26) المصدر السابق، ص 61 .

آسيويون، ليبيون (تحنو). ولعل ما دفع الرسام إلى وضع هذه الكلمات بالهيروغليفية احساسه هو ذاته بـ«التطابق» بين أهل ما شرق الدلتا حتى «سيناء» والجزيرة وما كان غربها لما يعرف الآن باسم «ليبيا».. فميز بينها بالكتابة عمداً.

بيد أن مسألة التطابق بين المشرق والمغرب، بين ما كان شرقي الوادي إلى الخليج والرافدين، وما كان غربيه حتى المحيط الأطلسي، كانت ظاهرة استرعت انتباه الباحثين وحاول كل منهم تفسيرها حسب منطلقه، أو حسبما ارتأى. وتبدو هذه الظاهرة بجلاء في الأسماء الليبية القديمة التي حفظتها لنا الآثار المصرية. فقد أورد الفرعون «مرنبتاح» في لوح انتصاراته الحربية جملة من أسماء الزعماء الليبيين، كما فعل «رمسيس الثالث» من بعد. وتعرض لتحليلها الأستاذ «أوريك بيتس» مقارناً إياها بما يسميه «اللغة البربرية». لكننا حين نمعن فيها النظر نجدها أسماء عروبية (بل عربية) واضحة حتى مع التسليم بصحة تحليلاته[27].

كذلك انتبه الأستاذ «بيتري» إلى ما دعاه «مشرقية» أسماء فراعين الأسرة الثانية والعشرين (شيشنق وخلفائه): «**إن الأسماء الملكية [لهذه الأسرة] مشرقية في أساسها وليست مغربية**»[28] حتى ليذهب إلى القول: «يجب علينا أن نبحث عن مغامر بابلي أو فارسي في خدمة ملوك [مدينة] «تانيت» للوصول إلى أصل هذه الأسرة»[28].

أما الأستاذ «بروغش» Brugsch فيبني على أساس تطابق أسماء فراعين الأسرة الثانية والعشرين مع الأسماء المعروفة عند الآشوريين دليلاً على أن **هذه الأسرة أشورية الأصل**، وأن مؤسسها «شيشنق الأول» ليس إلا حفيداً للملك أشوري آخر غزا مصر وقاتل فرعونها، ثم أخرج المصريون الغزاة الأشوريين ودمروا كل ما تركوه من آثار وكتابات، ولم تبق إلا لوحة واحدة قرأها «بروغش» كما حلا له وحشا فراغاتها بجمل من عنده لتوائم نظريته في النشأة الأشورية للأسرة الثانية والعشرين.

من المسلم به قطعاً أن هذه الأسرة المكتوب تاريخها جيداً على مخلفاتها الأثرية في جنوب الوادي وشماله هي أسرة ذات أرومة ليبية سيطر أبناؤها تدريجياً، بعد فشل ما عرف بـ(الغزو الليبي العظيم) أيام «مرنبتاح» و«رمسيس الثالث»، على مقاليد كهانة آمون ثم مقاليد الحكم بعد ذلك واستمرت حوالي 200 سنة. **أما (مشرقية) أسماء فراعينها، بل عربيتها إن شئت، فتفسيرها المنطقي الوحيد تلك الوحدة الحضارية واللغوية بين مشرق الوطن العربي ومغربه منذ أقدم الأزمنة**، مما يتبدى في مجالات الحياة المختلفة ويرفض أغلب الباحثين الغربيين الاعتراف به وإن برز من خلال دراساتهم دون أن يدروا، فيمضون إلى تفسيرات وتعليلات غريبة. ومصر، أو وادي النيل، كان هو بوتقة

27) O. Bates ; The Easten Libyans, p. 80.

28) Petrie ; a History of Egypt, Vol. III, p. 232.

29) أنظر: Henry Brugsch ; History of Egypt under the Phoroahs, John Murray, London 1879. ولاحظ أن «بروغش» كتب منذ ما يزيد عن قرن بعقد من الزمان.

30) أحدث مؤلف عن الأسرة الثانية والعشرين راجع:
K. A. Kitchen ; The Third Intermidiate Period in Egypt, Aris an Philips Ltd, London 1973.

انصهار شعوب هذا الوطن، كما سبق القول. وهذا هو سبب التشابه والتماثل أو ما شئت من مظاهر القرب بين مكونات شعوبه، أو قبائله[31].

لنقرأ قليلاً مما يقول «موراي» وهو يرد **«العرب» و«الليبيين» إلى أرومة واحدة بعد حدوث الجفاف العظيم الذي مر بالصحراويين في الجزيرة وشمال أفريقيا** :

«إلى حين تمام هذا الجفاف، القديم في الزمان بحسب المقاييس المألوفة، المتأخر فعلاً في تاريخ الجنس البشري الطويل، لا بد أن شمال أفريقيا بأجمعه وشبه الجزيرة العربية كوَّنا أرض رعي أو كلأً عظيمة كان يجول فوقها بكثافة أسر رحالة من الصيادين والرعاة يتبعون مهاطل الغيث، مثلما كانت تفعل الحيوانات التي يرعونها أو يقتلون»[32].

وحتى في هذه المرحلة المبكرة كان طبيعياً أن تنقسم هذه المجموعات البشرية إلى فئات قد تسمى بعدئذ : شعوباً بحكم التنوع البيئي، ما بين سهل وجبل وساحل بحر وأن تتنوع الثقافة المحلية. **لكن أغلب جماجمهم [سكان الصحراويْن] تبين عن شكل طولي بالغ، ولغاتهم الباقية حتى اليوم هي من نفس العائلة (الحامية)، ومن بينها تبدو اللغة (السامية)، على أهميتها، ليست إلا مجموعة معينة متأخرة.**

ومع تزايد الجفاف التدريجي أصبحت تحركاتهم الجماعية محدودة شيئاً فشيئاً، وشرعت القبائل في التحول إلى سلالات جنسية. وفي حين شحذت قسوة الظروف التي كانوا يحيون في ظلها مهاراتهم فإن الجماعات الأكثر تقدماً التي استقرت في وديان الأنهار الخصبة... سرعان ما شرعت في الزراعة.

جماعتان سلاليتان بدأتا في التكوُّن : (العرب) المعزولون ما بين النيل والفرات... و(الليبيون) في الصحراء»[33].

الأستاذ «موراي» إذن يجعل (العرب) و(الليبيين) من أصل واحد، فرعين من جذع واحد[34]،

---

31) ينقل محمد عزة دروزة كذلك مجموعة نقول من مؤلفين آخرين تقول بالرأي نفسه (عروبة مصر في القديم والحديث، ص 12-17).

32) G. W. Murray ; The Sons of Ismael (a study of the Egyptian beduin), London, 1935, pp. 9 – 10.

33) نفس المصدر، ص 10.

34) يبدو أنه كان لدى قبيلة «المرمريداي» Marmaridae الليبية القديمة - وكان موقعها في شرقي ليبيا الآن - شعور بالانتماء إلى الجزيرة العربية، إذ يذكر «أغروويتاس» Agroetas في (الشذرات) Fragmenta جدهم الأول «مارماريس ابن العرب» «Marmaris son of Arabs» ويعلل «بيتس» Bates هذا بالقول إن قبيلة «المرمريداي» ربما شملت في العصور المتأخرة بعض الرحل (الساميين) من سيناء أو الجزيرة العربية (B The Eastern Libyans, p. 54, note). وهذا تفسير يقدم نصف الحقيقة فقط ؛ إذ الاعتراف بقدوم بعض (الساميين) من سيناء والجزيرة في «عصر متأخر» (لاحظ أن «أغرويتاس» كتب في العصر الروماني) يتبعه الاعتراف بإمكانية وصولهم في «عصر متقدم»، كما أن «بعض» الرحل (الساميين) لا يمكن أن يجعلوا قبيلة «المرمريداي» كلها تنتسب إلى «العرب»، بل ينبغي أن يكون جلهم على الأقل، إن لم يكن كلهم، يحسون بهذا النسب.

وحتى اللغة (السامية) يجعلها منبثقة من نفس جذع اللغة (الحامية)[35]. ونكرر أننا نسمي هذه اللغة الأم : **اللغة العروبية**. وكانت موجات الهجرة إلى وادي النيل تأتي من الغرب والشرق. وربما من الجنوب، أي ممن يسمون (النوبيين) أو (الأثيوبيين) أو حتى (الصوماليين). **ولنا عن هؤلاء (الجنوبيين) كلمة.**

يقول «موراي» :

«في أزمنة مختلفة تدفق الليبيون على وادي النيل من الجبل الأخضر في برقة، وتملّك النوبيون تلال رادفور والشلالات، في حين تبعت موجة إثر أخرى أختها من الاثيوبيين متجهة إلى الشمال الغربي من جبال الحبشة. **وكلّ هؤلاء سلالات شمال أفريقية** حتى إن مازجها دم غريب ولم تؤد غاراتهم وغزواتهم [للوادي] إلّا إلى قليل من الفروق الحضارية والجسدية»[36].

فكيف هذا يا ترى؟ إذا سلمنا بوحدة الأصول المصرية والليبية فكيف الأمر بالنسبة للجنوبيين القادمين من جبال الحبشة وتلال دارفور؟ أليسوا «أفريقيين» منفصلين عن سواهم؟

أما أنهم «أفريقيون» فنعم. وكذلك ليبيو الشمال الأفريقي، وأهل مصر. ولكنهم - بالقطع - ليسوا «زنوجا»، وإن خالطهم دم زنجي كما هو متوقع بالطبع. إنهم في الواقع يشاركون (العرب) و(الليبيين)، أي أهل الجزيرة وأهل الشمال الأفريقي، في وحدة الأصل ووحدة اللغة (تسمى الآن : اللغة الحامية في بعض المناطق، ولا ننس أن لغة الحبشة تعتبر لغة «سامية»). هذه المشاركة ترجع إلى زمن قديم جداً، بل موغل في القدم. هم - باختصار - في الأصل كانوا مهاجرين من الصحراوَيْن العربية والليبية استقر ببعضهم المقام في منطقة دارفور غربي السودان، ومضى بعضهم إلى منطقة الحبشة والصومال (القرن الأفريقي) حين غادروا الصحراء الليبية، حيث التقوا هناك بمهاجرين من شبه الجزيرة العربية عن طريق باب المندب. فلما مضى الزمان واستقر الأمر في وادي النيل رغبوا في الانتقال إليه... وكانت تلك الموجات «النوبية» التي ذكرنا.

في كتابه (**ما قبل تاريخ أفريقيا**) يتحدث الأستاذ «دزموند كلارك» عن هجرة ليبيي الصحراء إلى غرب أفريقيا وشرقها فيقول :

«إنها صورة مختلفة على الجانب الشرقي من القارة حيث استقرت شعوب رعوية منذ مدة طويلة في القرن الأفريقي وشرق أفريقيا. ومستوطنات المزارعين القرويين، من العصر الحجري

---

35) يذهب «إرمان» (A. Erman ; Agyptische Grammantik) من ناحية إلى أن ما يسمى (البربرية) هي اللغة (السامية الأم) proto-Semitic ، كما يرى من ناحية أخرى أن (البربرية) ولهجات النوبة (البشارية والبجاوية) «ذات أصل عربي بعيد» (Bates ; The Eastern Libyans, p. 73) . ويعترض «بيتس» على هذا المذهب بحجج بالغة الوهن، إذ أن الدراسات اللغوية المقارنة تثبت الآن بما لا يدع مجالا للشك أن (البربرية) لغة عروبية صريحة، وتحتوي في الوقت نفسه قدرا كبيرا من مفردات اللغات العروبية الأقدم، كالأكادية والكنعانية وحتى السومرية.

36) نفس المصدر، ص 11.

الحديث أساساً وإن استعملوا شيئاً من النحاس وربما زرعوا غلالاً، معروفة في سهول شمال شرق أثيوبيا حيث تبين الحضارة المادية صلات بشعوب المجموعة السلالية (ج) التي انتقلت إلى داخل النوبة من الصحراء الغربية حوالي سنة 2500 ق. م. فلو كانت هي الشعوب ذاتها، كما يظهر من رسومات الصخور في أجزاء أثيوبيا الشرقية والصومال، فإنهم «ليبيون» - والكلمة (ليبيون) مستعملة هنا عمداً - من الغرب، كانوا يملكون قطعاناً من الأبقار طويلة القرون غير ذات سنام وهي الظاهرة في آثار أساليب الفن عند أهل الصحراء الشرقية.

ولعل فيضاً من الشمال الأفريقي إلى الصحراء في الألف الأولى ق. م. أعان كذلك على تحويل بعض مجتمعات العصر الحجري الحديث إلى الانتقال جنوباً. فطرق العربات التي تشق الصحراء إلى منحنى نهر النيجر تتميز بنقوش ورسوم لعربات خفيفة ذات عجلتين تجرها الخيول. إنها ترتبط بالقرمنت Garamantes والفاروسي Pharusii الذين نعرفهم بعد القرن الخامس الميلادي عن طريق الكتاب القدامى. وقد استعملت هذه العربات لاكتساح سكان الكهوف في الصحراء، وتوثق مناظر أخرى في رسوم الصخور المتأخرة اجتياح رعاة العصر الحجري الحديث من قبل مهاجرين مقاتلين مستعملين للمعادن - هل هم أسلاف (البربر) ياترى ؟ وبالمناسبة : هذه العربات هي أول برهان غير مباشر على التجارة عبر الصحراء - وما توحي به من احتمالات تتصل بالطرق وليس، بالطبع، بما يمكنها أن تحمله.

هذه التحركات السكانية التي جاءت ببعض رعاة الصحراء إلى وادي النيل وأثيوبيا، وربما حولت آخرين منهم جنوباً من حوض تشاد إلى أفريقيا الوسطى ثم انحداراً عبر البلاد الأكثر جفافاً إلى السودان الجنوبي وشمال أوغندا، ثم إلى مراعي الجرف في كينيا وشمال تنزانيا، هذه التحركات من المرجح كذلك أن يكون سببها بقدر ما ذلك الجفاف المتسارع في الصحراء بعد سنة 2500 ق.م. . . .

بنهاية الألف الأولى ق. م.، إن لم يكن أبكر من ذلك، كان الأفارقة - البحر متوسطيون [أي أهل شمال أفريقيا]، ولعلهم هم ذاتهم أسلاف الجماعات النيلية، أصحاب الغنم والبقر، يحتلون الجرف القاري في شرق أفريقيا»[37].

لم يكن الأستاذ «كلارك» أول من تحدث عن هجرة الليبيين من صحرائهم إلى منطقة شرق أفريقيا، فقد سبقه إلى هذا القول الأستاذ «سيرجي» Sergi في كتابه المعروف (جنس البحر المتوسط)، الذي نشره أواخر القرن التاسع عشر بالايطالية ثم ترجم إلى الأنكليزية[38]. وفيه قسم

(37) J. Desmond Clark ; The Prehistory of Africa, Thames and Hudson, London, 1970, pp. 206 – 208

(38) كان «سيرجي» أستاذ علم الانسان، بجامعة روما. وفي كتابه هذا يذهب إلى أن أهل أوروبا جميعا - بما فيهم الجرمان والاسكندنافيون وغيرهم - ليسو من الجنس الآري، بل هم جميعا من جنس أسماه (جنس البحر المتوسط) نشأ في شمال أفريقيا وانتشر عبر أيبيريا في أوروبا كما امتد في القارة الأفريقية شرقا وجنوبا. وهو كتاب بالغ الأثر لو ألفه واحد من أهلنا لاتهم بشتى التهم (!) نشر بالايطالية في روما سنة 1897م. ونشرت ترجمته الانكليزية بعد ذلك. أنظر :
G. Sergi ; The Mediterranean Race (a study of The Origion of the European Peoples), Walter Scott, London 1901.

(الحاميين) إلى فرعين نشآ من أصل واحد، هو الصحراء الليبية قبل جفافها، فرع شرقي ويضم : المصريين، والنوبيين، والبجاة، والدناكلة، والغالاّ، والصوماليين، والمساي . . إلخ . وفرع غربي يشمل : الجبايلية، والتبو والفلاتة، وسكان جزر الكناري .

وحين يقسم «موراي» بطون «البجاة» إلى أربع : العبابدة، البشارية، الهدنداوة، وبني عامر - ويذكر أن البشارية والهدنداوة «يتحدثون لغة (حامية) قريبة من اللغة التي يتحدثها المساي في شرق أفريقيا، والشلوح في المغرب والغوانش في جزر الكناري والهتنتوت في جنوب أفريقيا»[39] فهو لا يعلم أن لغات هؤلاء جميعاً ليست إلا فروعاً من «العروبية» التي يسمونها (الحامية/ السامية) - وهي تلتقي مع العربية والمصرية في الأساس[40].

هذا إذن هو تكوين مصر السكاني منذ البداية. كانت أرض الدلتا سباخاً ومستنقعات لا تسكن وما يسمى الآن الصحراء، غرباً وشرقاً وجنوباً، معشوشبة مطيرة. فلما جفت المراعي (الصحراوية) كان أن جفت في الوقت ذاته منطقة الدلتا وتراكم الطمي فيها مكوناً أرضاً صالحة للزراعة والحياة، وتحدد - بقدر ما - مجرى وادي النيل ذاته. فكان من الطبيعي أن يهاجر (الصحراويون) من الوطن القديم الذي بدأ يقفر إلى الوطن الجديد الذي شرع يتشكل من

---

39) The Sons of Ismael, p. 12 .

40) لفائدة القارىء نورد هنا بعض الملاحظات : فاسم «التَّبو» الذي يطلق الآن على سكان شمال تشاد وجبال «تبستي» (لاحظ الجذر «تب» في «تبستي») مختصر فيما نرى من «أثيوبياي» Aetheopiae وهي كلمة يونانية معناها الحرفي (المحترقة وجوههم من أثر الشمس)، كثيرا ما يرددها هيرودوت في (تاريخه) عند حديثه عن قبائل جنوب ليبيا، وهو لا يقصد قطعا «أثيوبيا» الحالية التي كانت تسمى (بلاد الحبش) أو (الحبشة) - والأصل في التسمية يرجع إلى معبود عربي جنوبي نقله المهاجرون العرب مِن اليمن إلى تلك البلاد وهو المعبود (ح ب س) أو (ح ب ش).

وفي اللهجة الليبية لدينا كلمة «بتِّي» ومعناها : الأسمر، أو بالتحديد : الخلاسي من والدين أحدهما أبيض والآخر أسود. والأرجح أنها مقلوب «تبِّي» > «تبوي» (تباوي) نسبة إلى «التبو».

أما كلمة «غوانش» guanche التي تطلق على سكان جزر الكناري الأصليين (وهم في الأساس مهاجرون من شمال أفريقيا، لغة وحروف كتابتهم تعود إليه) فهي تحريف لكلمة «جنس» (الجنس) GNS والجيم هنا غير معطشة (قاهرية) أطلقها القوم على أنفسهم باعتبارهم «الجنس البشري الحقيقي والأرقى من سواه». وهذه قاعدة معروفة ؛ أن يسمى كل شعب نفسه بما يوحي بتميزه عن غيره بينما هذا «الغير» (الأغيار) همج متوحشون.

تبقى الاشارة إلى لغة «الهتنتوت» وهي تسمية أطلقها المستعمرون الهولنديون على أهل البلاد التي أحتلوها بمعنى : المتلعثم - عربيتها : «متهته». أما هذا الشعب فيسمى نفسه «البانتو» Bantu ومعنى الكلمة : «الشعب الأصلي» أو «الأرقى» = البشر الحقيقيون (!).

وقد بات من المسلم به اليوم أن لغة شلوح المغرب وأهل جزر الكناري لغة عروبية قديمة باعد الزمان والمكان - في الظاهر - بينها وبين عربية الحجاز. أما أن تتحدث قبائل المساي في شرق أفريقيا وأهل النوبة ذات اللغة فالأمر راجع إلى الهجرات القديمة من شمال أفريقيا - كما سبق القول - ومن جنوب الجزيرة العربية، كما هو معروف، إلى تلك المناطق. والمعروف أيضا أن لهجة «المهرة» في جنوب الجزيرة اليوم تطابق إلى حد كبير لهجة أهل الشمال الأفريقي. وهذا أمر يستحق الاهتمام والانتباه ويستوجب دراسات مقارنة واسعة لكي تثبت بشكل قاطع ونهائي وحدة هذه الكتلة البشرية منذ بدء التاريخ، أو منذ درج الانسان على هذه الأرض.

مجموعات بشرية كانت في الأصل مجموعة واحدة، تفرعت، ثم التقت من جديد. و من امتع ما نقرأ وما يلخص لنا بدايات مصر الحضارية، ذلك الفصل الذي كتبه الأستاذ «دونالد ماكنزي» بعنوان (فجر المدنيَّة) في كتابه عن (**الخرافة والأسطورة المصرية**)[41]، نقتطف منه شيئا في هذا الفصل. قال:

«في الأعصر السحيقة الغابرة حين ذاب الغطاء الجليدي في شمال أوروبا كان وادي النيل عبارة عن مستنقع تنمو فيه نباتات غابية مثلما هو الحال في الدلتا. كان المطر يسقط في موسمه ومجاري المياه تتدفق منْ المرتفعات، وكانت السهول، التي هي الآن قفار جرداء، أرضاً معشبة. وكان بدائيو العصر الحجري المبكر يصطادون ويرعون هنالك، ولا تزال الأدوات الصوانية التي نحتوها وهذبوها بشكل غير متقن توجد في كهوف الجبال وعلى سطح الصحراء ومطمورة في الطين اللزج المنحدر من المرتفعات».

وفي وقت ما ظهر شعب أكثر تطوراً. وبعد أن مضت قرون طويلة تقاسم القوم الوادي فيما بينهم، وكان عددهم يزداد وقبائلهم تتشعب. وهكذا تكونت عدة ممالك مستقلة. وحين أصبحت (الحكومة) في النهاية مركزية بعد التوحيد صارت هذه الممالك مقاطعات كان لكل منها عاصمتها بإلهها المسيطر ونظامها الديني المحلي. وقد تسبب تداخل الشعوب تداخلاً في المعتقدات الدينية، واكتسب كل إله خصائص إله آخر دون فقدانه هويته فقداناً كاملاً.

جاء المستوطنون الأوائل من شمال أفريقيا الذي كانت تعمره قبائل من الجنس المتوسطي، كانوا ذوي بشرة بيضاء ورؤوس مستطيلة صغيرة وأجسام نحيلة وأنوف مستقيمة وعيون سوداء وشعر أسود. كانوا في شرق الدلتا هم (**قدماء المصريين**) Archaic Egyptians. أما في الدلتا الغربية وعلى طول الساحل فقد عرفوا باسم (**الليبيين**). وفيما كان عددهم يتزايد ويعيشون حياة رغدة انتشرت شعوب المتوسط هذه بعيداً عن مركز نشأتها الأولى في شمال أفريقيا؛ فكانت هجرتها إلى الجنوب، في النوبة، حيث تقابلت هذه القبائل السواحة في صراع ضد مجموعات من رجال الغابات (Bushmen) الذين امتزجوا بهم آخر الأمر. وتبع هذا تداخل مع الزنوج الأطول قامة في أزمنة تلت. وهكذا كانت نشأة (شعب النوبة).

هذا بالنسبة لهجرة أهل الصحراء الليبية إلى مصر والنوبة، وأما هجرتهم إلى أوروبا فهو يرى أن تحول فائض السلالة المتوسطية كان نحو الشمال أكثر منه نحو الجنوب. **وهم انداحوا نحو الشرق وصبوا في فلسطين وآسيا الصغرى. وهم كانوا (الفينيقيين) الأول الذين اختلطوا بـ (الساميين)، وهم كانوا (الحِثيين)** الذين امتزجوا بالمغول والأرمنيين «ذوي الرؤوس العريضة». وبانطلاقهم إلى إيطاليا واليونان عرفهم التاريخ باسم (الايطاليين) Italici و(قدماء الاغريق) Ligurians, Pelasgians .. إلى آخره. وهم أسسوا مدنيَّة عظيمة في «كريت» حيث تأتي الأدلة على استقرارهم منذ عشرة آلاف عام قبل الميلاد.

(41) Donal A. Mackenzie ; Egyptian Myth and Legend, Bell Publishing Company, New York 1978. pp.30 – 44.

توالت قرون عديدة وظهرت مدنيَّة جديدة في مصر السفلى (الدلتا). **استقرت هناك قبائل من المشرق**، وأدخلت فنوناً جديدة وأنماط حياة ومعتقدات جديدة. بدأ الناس في زراعة الأرض بعد فيضان النيل وغلوا الشعير والقمح. كان عصر «أوزيريس» و«إيزيس». وظهر شعب سيطر في مصر العليا (الصعيد)، **جاء من جزيرة العرب أو عبرها، استوعب ثقافة من مدنيَّة عتيقة لا يمكن تعيين موقعها ذات صلة بالبابليين الأقدمين**. وقد عبروا البحر الأحمر ودخلوا وادي النيل عبر الصحراء أو عبر مرتفعات الحبشة. وكان هؤلاء الغزاة هم **عبدة «حورس» (الصقر)** ولكنهم اعتنقوا أيضاً المعتقدات الدينية للقوم الذين اختلطوا بهم، بما في ذلك عبادة رب الغِلال [الصحراوي]. **«أوزيريس»**.

بعد فتح «الفيوم» يظهر (الليبيون) شعباً مهيمناً في مصر السفلى. كانت عاصمتهم في (سائيس) كرسي معبودتهم «نيث» Neith . وتعكس صفات هذه المعبودة طبيعة حضارة عابديها. كان شعارها درعاً وسهمين، وقد صورت بوجه أخضر ويدين خضراوين، إذ كانت «روح الأرض» التي أمدت بالعطاء جماعات الشعب الرعوي، ورسم مغزل على جسدها ليشير إلى أنها منحت النساء مهارتهن في النسيج.

وقد انتصر «مينا» على (الليبيين) في الحرب ووسع مملكته إلى سواحل البحر المتوسط، ثم اتخذ لنفسه، في حضور جيوشه المحشودة، تاج مصر السفلى الأحمر. ويبدو كذلك أنه قنَّن استيلاءه على العرش بأن اقترن بالأميرة «نث ـ حتب» Neith-hotep (نيث تستريح) وهي أميرة من بيت (سائيس) الملكي. ويعتقد أن الذكرى السلالية لفتح مصر السفلى تنعكس في الرواية الأسطورية عن «حورس» وانتصاره على «ست». وتقول إحدى الروايات إن «حورس» غلب «ست» وقدمه إلى «إيزيس» مغلولاً في الأصفاد، غير أنها امتنعت عن الانتقام لموت زوجها «أوزيريس» وأطلقت سراح «ست». فحطم «حورس» في سورة غضبه التاج من فوق رأسها. وقد شد هذا بصورة خاصة إلى الظروف التي قادت إلى هزيمة (الليبيين) إذ يقول (بيتري) Petrie معلقاً: «لا يمكننا بسهولة اجتناب قراءة تواريخ عداوات الأرباب باعتبارها صراعات عُبَّادها».

وكان (الليبيون) على الدوام شعباً مشاغباً على (الفراعنة) الذين لم تكن قبضتهم على المقاطعة الغربية للدلتا مؤكدة أبداً. وقد سعى «مينا» إلى كسر شوكتهم بأن أخذ في الأسر ما لا يقل عن 120.000 أسير، وكانت غنائمه تتضمن كذلك أربعمائة ألف ثور، ومليوناً وأربعمائة وعشرين ألف عنز. ولم يكن تحويل السكان هذا بمثل هذا العدد الكبير من أهل الشمال بدون تأثيره في الشكل الجسدي لأهل وادي النيل. وكانت الفروق في التكوين بين الشمال والجنوب واضحة قبل الفتح، **أما بعد اتحاد المملكتين فقد اقترب تكوين الطبقات الحاكمة من مصر العليا كثيراً من نمط تكوين أهل الدلتا**. ومن الواضح أن المدنية الوطنية المحلية التي ازدهرت في وادي النيل لأكثر من أربعين قرناً دانت بالكثير لعطاء وعبقرية الجنس المتوسطي الذي نمَّى حضارة حيثما حطت رحاله.

ويمضي «ماكنزي» في حديثه ليقول :

إن إسهام شمال الدلتا في حضارة الأسرات لم يكن غير ذي شأن ؛ فالواقع أنه لا يمكن ادعاء المبالغة فيه . لقد كانت مدنية الدلتا متطورة جدًا قبل (الفتح) وكان القوم يستعملون الكتابة الطولية المستقيمة Linear Script تماثل نظم (كريت) و(بحر إيجه)، وكذلك الحروف التي ظهرت بعد ذلك في (كاريا) Caria وأسبانيا . وقد يمكن تتبع بداياتها الأولى، ربما في تلك العلامات الفجة التي نحتها الرواد من العصر الحجري المتأخر في أوروبا الغربية على الأحجار الاسطوانية (dolmens) الفرنسية[42] . وتبين الحروف (الفينيقية) أن تجار البحر الكبير (المتوسط) فيما تلا من الزمان بسطوا هذا النظام ونشروه بعيداً وعلى أوسع نطاق. **إن أبجديتنا، على هذا الأساس، كانت منذ زمان سحيق شمال - أفريقية في أساسها.**

ويتحدث عن ديانة وادي النيل فيقول :

لا ريب في أن ديانة (هيراكليوبوليس) الكبرى متأثرة أشد التأثر بلاهوت عُبّاد الشمس، ويبدو أنها تأثرت أيضاً بمعتقدات (ممفيس). كان المعبود الرئيسي هو «**حرشف**» الذي يحمل شبها بـ «**يتاح تانن**» أقوى من شبهه بـ«**حورس**». كان هو الأب العظيم، خالق نفسه، الذي كان رأسه في السماوات بينما استقرت قدماه على الأرض، في حين كانت روحه النور الذي يفيض على العالم. كان يتنفس من منخريه الريح الشمالية الباعثة الحياة في كل شيء. إن «الريح» و«النّفس» و«الروح» كانت في اعتقاد شعوب بدائية كثيرة شيئاً واحداً. فكان «حرشف» إذن مصدر الحياة الكونية. فهو باعتباره «رب الريح» يشبه المعبود الجنوبي «**خنومو**» الذي كان يدعي أيضاً «**كنف**»، وهي كلمة مصرية تعني «الريح»[43]، «النَّفس»، «الروح» - هواء الحياة. وفي العبرية «**نِفْش**» (rouch, nephesh) وفي العربية : **نَفس، روح** - لها نفس الدلالة.

وقد أدخل جميع (الآباء العظام) - مثل : **حرشف، بتاح، خنومو** في «**أوزيريس**». وكان «**حرشف**» هيراكليوبوليس يسمى «هو من على الرمل» وهي إحدى صور «أوزيريس» الذي يدعى :

---

42) يذهب «ماكنزي» إلى أن المهاجرين من الصحراء، على دفعات مع فترات جفافها، مضى فريق منهم شرقا إلى وادي النيل في حين أن «الهجرة نحو الغرب في اتجاه المغرب (مراكش) أدت إلى تداخل على فترات مع قبائل الجبال الشقر، حتى أن السلالة التي دخلت اسبانيا عبر جبل طارق انتشرت عبر أوروبا الغربية وهم من عرف أهلها في التاريخ باسم (الايبيريين) Iberians . وقد تقابل هؤلاء واختلطوا بالقبائل المتفرقة على طول شاطىء اليونان. وفي حركتهم نحو الشمال عن طريق وديان الأنهار في فرنسا عبر (الأيبيريون) إلى بريطانيا مستوعبين المستوطنين الأسبق منهم الذين نجوا من صدام الصراع. وكان هؤلاء هم أهل العصر الحجري المتأخر» (ص 30 - 32).
هذا الرأي القائل بتكوين سكان أوروبا الأوائل من عناصر شمال أفريقية تردد كثيرا لدى عدد من الباحثين، منهم (سرجي) Sergi و«سبينس» Spence . وقد خصصت الأستاذة «ويشو» Whishaw كتابا ضخما بعنوان Atlantis in Andalucia (أطلنتيس في الأندلس) عن هذا الموضوع مدعما بالمقارنات، والكشوف، ودراسة النقوش العتيقة على الصخور في الأندلس، ومواقع من فرنسا.

43) في معجم اللغة المصرية «خ ن ف» بالخاء = نفس، استنشق. قارن العربية : **خنف، نف، أنف**.

الرب الذي على الرمل. وكان «حرشف» يصور في العادة بصورة رجل رأسه رأس كبش، يلبس التاج الأبيض ذا الريش تعلوه هالتان (الشمس والقمر) وحيّتان بهالات على رأسيهما[44]. وقد اعتبره (بلوتارخ) رمز «القوة والشجاعة»، وهو تصور يتمشى مع السمعة العسكرية على الأقل لبعض ملوك (هيراكليوبوليس) الذين عاشوا في الأزمنة العصيبة ذات القلاقل[45].

«حرشف» وغيره من المعبودات المصرية، أو «الآباء العظام» كما يعبر (ماكنزي)، ما كانوا في حقيقة الأمر إلا معبودات وردت إلى وادي النيل مع أهلها القادمين من الشرق ومن الغرب منذ ما يسمى (ما قبل التاريخ) أي قبل بدء التدوين بتوصل الانسان إلى فن الكتابة ليسجل أهم ما يراه جديراً بالتسجيل. وكان (ما قبل تاريخ) وادي النيل عبارة عن موجات متوالية تأتي إليه فتستقر، وقد تقاتل من سبقها من المهاجرين، وقد تنتصر أو تنهزم، لكن النتيجة في النهاية اختلاط عظيم بين مجموعات من البشر يجمعها رابط بالغ القدم منذ أن سعى الانسان على أرض هذا الوطن الكبير.

أما ما يعرف باسم «التاريخ» ذاته، أي المسجل المدون، فهو معروف؛ إذ يبدو أنه نشأت (مملكة) واحدة على طول الوادي في البداية ـ لوحدة المهاجرين أصلاً ـ ثم ما لبثت أن انقسمت إلى مملكتين، شمالية وجنوبية. ولعل دفعة جديدة من أهل الجزيرة دعمت الجنوبيين حتى شعروا بالقوة الطاغية للزحف على الشمال، ففعلوا بقيادة «مينا» (نعر ـ مر) معيداً توحيد «القطرين» حيث يبدأ عصر الأسرات. وهنا نجد «هجرات» أخرى تتوالى؛ من مثل هجرة «الهكسوس» أوائل الألف الثانية ق.م.، ثم «هجرة» ليبية جديدة في القرن الثالث عشر ق.م.، مضيفتين دماً جديداً إلى الدماء السابقة، وهما الهجرتان اللتان تتحدث عنهما النقوش المصرية كثيراً، إلى جانب عمليات «تسلل» دائمة ومستمرة كانت ملحوظة في تاريخ وادي النيل من شرق وغرب.

وفي تاريخ مصر الطويل كثيراً ما تختلط الأسطورة بالواقع، أو أن الأسطورة المضخمة، أو المحرفة، تبنى على واقع تنسى تفاصيله وتضيع صورته. وهذا ما نلحظه في (تاريخ «مانيثو») المؤرخ المصري الذي كتب في القرن الثالث ق.م. وحفظت لنا شذرات مما كتب في مؤلفات مؤرخين آخرين من عصره، بعضها شوه عمداً كما عند اليهودي «يوسفوس»، كما نلحظه في كتابات الاخباريين الاسلاميين أيضاً. و«مانيثو» ـ مثله مثل المسعودي وابن خلدون والهمداني والواقدي وغيرهم ـ يبدأ «التاريخ» عنده ببداية الخليقة ذاتها، أي بداية وجود الانسان على هذه الأرض. وإذا كان «مانيثو» ينطلق من «حكم الأرباب» أو «الآلهة الحاكمة» التي عاشت في مصر القديمة جداً قبل أن يتولى «الانسان» الأمر، فإن الاخباريين الاسلاميين يبدأون بآدم أبي الخليقة حتى العصر الذي عاشوا فيه. غير أن علم التاريخ استفاد عظيم الفائدة من شيء جديد لم يكن ميسوراً من قبل، أعني فك رموز اللغات القديمة وإمكانية قراءتها، وفي مقدمتها الرموز الهيروغليفية، ثم بقية لغات الوطن العربي. وبهذا أمكنت المقارنة العلمية على ضوء الكشوفات الأثرية وبتطور «علم الآثار»

44) لمزيد من المعلومات والتفصيل عن المعبود «حرشف» ارجع إلى مقالة الكاتب بعنوان: **من عهد سيدنا خرشف**، في كتابه: **بحثا عن فرعون العربي**.

45) يقصد ملوك الأسرة الثانية والعشرين (الشناشقة) المنحدرين من قبائل «المشوش» الليبية.

(الأركيولـوجيا) ومـا أدى إليه من قراءة جديدة للتـاريخ. ومع هذا فإنه لا يمكن إغفال روايات «الأسطورة» وأهمية دلالتها في تكوين وعي الشعوب بذاتها وبالآخرين، كما لا يمكن إغفال روايات التراث الشعبي ورفضها تماماً، إذ هي تمثل دون شك دلالات بالغة الأهمية ربما أدت إلى فوائد جليلة إذا ما درست بعناية وتدقيق بمنهج علمي مقارن.

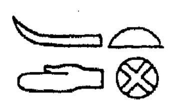
فكيف نظر «المصريون» القدماء إلى أجناس البشر الأخرى المحيطة بهم؟ ماذا أسموهم بعد أن استقروا هم في الوادي وكونوا مجموعة مترابطة تحرص على ذاتها وتشعر بالتميز عن غيرها؟ هذه هي «قصة الخلق المصرية» كما تصوروها في أساطيرهم، في ما اصطلح على تسميته بـ«قصص الخلق المصرية» التي تتنوع وتتعدد في تفاصيلها وقد تختلف بحسب العصور.

في ما يلي إحدى هذه القصص التي نعرضها مع ملاحظتين:

الأولى: أنه رغم «أسطورية» هذه القصة فهي تشير إلى وحدة الأجناس البشرية في أصلها البعيد، إذ ترجع كلها إلى أصل واحد ومنشأ واحد... إلى الخالق «رع» في أقسامها الأربعة. كل ما في الأمر هو أن أحد هذه الأقسام تميز عن بقيتها. أو لعله «فُضِّل» عليها، أو «اختير» ـ فهو من «المصطفين».

والثانية: أن عرضنا يقوم على **التحليل اللغوي** لأسماء هذه الأجناس في اللغة المصرية، وهو المنهج الذي يسود هذا الكتاب كما هو غاية وضعه أساساً. ذلك لأن فكرة انفصال الحضارة المصرية عما يحيط بها هي التي أدت إلى (الدعوة الفرعونية) التي قامت على القول بانفصال اللغة المصرية وانعدام صلتها بسواها من اللغات العروبية.. وسوف يثبت للقارىء بطلان هذه المقولة وزيفها.

دعـنـا ننظر في الأمر.



قصة الخلق المصرية

والأجناس الأربعة

تحكي إحدى أساطير الخلق المصرية أن إله الشمس «رع» بكى، فخلق الجنس البشري من دموعه المتساقطة، وكان البشر ينقسمون إلى أربعة أقسام: المصريين (ر م ث) والليبيين (ت م ح و)، و(الأمو)، والزنوج (ن ح س و) وسمى «المصريون» أنفسهم (ر م ث) (البشر الحقيقيون) وهي تسمية تعتمد على التشابه اللفظي بين (ر م ث) بمعنى «بشر» و «ر م ي ت» بمعنى «دموع» (Budge ; The Eg.Gods, p. 8, The Eg. Heaven and Hell, p. 146) .

نمضي، دون الدخول في التفصيلات الدينية والأسطورية، إلى تحليل الكلمات التي تحتويها قصة الخلق هذه:

(1) «ر م ث» rmṯ : بشر. (2) «ر م ي ت» rmyt : دمع. (3) «ت م ح و» tmḥw : ليبيون. (4) «أ م و» amw : ما شرق مصر. (5) «ن ح س و» nḥsw : زنوج.

ونلاحظ أن قدماء المصريين كانوا مثل أي شعب آخر ظهر في التاريخ، يحسبون ما عداهم «برابرة» همجاً غير متحضرين. إذ هم «البشر» بمعنى الكلمة وأما ما عداهم فمجرَّد «**مخلوقات بشرية**»، ومن هنا كانت «ر م ث» تعني البشر عموماً، لكنها تعني «**المصريين**» بالتحديد.

ويجدر بنا أن ننبه القارىء إلى أن القراءة «ر م ث» بوجود الميم قراءة درج عليها بعض العلماء للرمز الهيروغليفي [hieroglyphs] **والذي يجب أن يقرأ** «رث» rṯ (أنظر: Gardiner ; Eg. Gr., p. 618. Budge ; an Eg. Hier. Dict. p. 435-6) .

وقد قرأ «فولكنر» (a Con. Dict. of M. Eg. pp. 149-50) الرّمز [hieroglyphs] (مع وجود المحدِّد ؛ صورة إنسان) على شكل «ر م ث» rmt رابطاً بينه وبين الرمز [hieroglyphs] الذي يُقرأ «ر م ث» rmṯ (ناس، بشر) وكذلك [hieroglyphs] التي وردت في (نصوص الأهرام) المتأخرة نسبياً (قارن كذلك: Budge ; an Eg. Hier. Dict. p. 425 – 6.) وأيضا: Budge ; Egyptian Language, p. 101, 210) .

وفي ظننا أن خلطاً ما وقع. ففي النصوص المصرية المتقدمة على (نصوص الأهرام) توجد الكلمة في صورة «ر ث» **بدون وجود حرف الميم**، ثم أضيفت الميم في بضع حالات. فإن لم تكن خطأ من الكاتب، فالمسألة في رأينا لا تتعدى الخلط بين تسمية «البشر» «ر ث» وفكرة خلقهم من

دمـوع «ر م ي ث» الإلـه «رع» حسب الأسـطورة. فكان المزج اللفظي بين الكلمتين في صورة «ر م ث» مما أدى إلى خلط العلماء بعدئذ بين «ر ث» و«ر م ث» فجعلوهما بمعنى واحد. لكن الأمر الموثوق به للغاية أن البشر (وربما يُقصد أهل مصر خاصة) يدعون «ر ث» r t̲ وليس «ر م ث».

هذه المقدمة التوضيحية كان لا بد منها (وليراجع القارىء معجم «بدج»، صفحة 6 ـ 435 للتثبت من صحة القراءة : «ر ث»وليس «ر م ث»). ذلك لكي تتضح لنا الصورة فيما يلي من التحليل.

نلاحظ أولاً أن «ر ث» r t̲ تأتي بمعنى «إنسان» (مفرد) كما تأتي بمعنى «أناس، بشر» (جمع). وفي حالة المفرد تُرْسم صورة رجل محدِّداً الإفراد، فإذا قُصِد الجمع رسمت صورة رجل وامرأة دلالة الجمع. والمثير للانتباه أن «ر ث» لا تلحقها واو الجماعة، إذ لا توجد «ر ث و» r t̲ w قط في معجم اللغة المصرية. وواو الجمع ـ كما نعرف ـ في المصرية، كالعربية تماماً، ترد كثيراً جداً في حالة الجمع. فلماذا انتفت في «ر ث» ؟

انتفت، كما نذهب، لأن المقصود معنًى آخر غير الذي ترجمه العلماء بكلمات : بشر، ناس، الجنس البشري، ونحوها.

فالمعنيُّ في المصرية شيء مثل : **الأصل، الأساس، الأول** ـ في حالة إفراد. والمقصود سكان وادي النيل، الذين هم ـ حسبما سبق ـ في نظر أنفسهم : «**الأصل والأساس الأول**». ما عداهم من «البشر» مجرد برابرة وهمج تطلق عليه أسماء أخرى كما سنرى. وهذا ما شرحه «بدج» وغيره من علماء المصريات. **ولم ينتبهوا إلى دلالة «ر ث» العميقة لأنهم صرفوا أنظارهم عن مقارنة المصرية بالعربية لفظاً ودلالة.**

إذا كانت الفكرة اتضحت للقارىء فإن المكافىء العربي للمصرية «ر ث» هو «رَسٌّ» (وقد تعاقبت الثاء المثلثة والسين، كما تتعاقب الآن في لهجة عرب مصر المحدثين بالضبط)[1].

فما معنى «الرّس» في العربية ؟

يقول ابن منظور :

«في حديث ابن الأكوع : إن المشركين **راسُّونا** للصلح **وابتدأونا** به. . . معناه : **فاتحونا**، من قولهم : بلغني **رَسٌّ** من خبر أي : **أوَّله**

والرَّسُّ : ابتداء الشيء.

والرسيس : الشيء الثابت.

ورسَّ وأرسَّ : دخل وثبت». (اللسان، مادة : رسس).

فالرَّسُّ إذن يفيد البداية، والمفتتح، والأولية، والثبات، أي «**الأصلية**» (الأولية والتجذُّر = البداية والثبات). وهو ما قصده المصريون الأول من إطلاق «ر ث» على أنفسهم.

1) يبدلون الثاء سيناً فيقولون : أساس = أثاث، سلاسة = ثلاثة، سُمَّ = ثُمَّ، كُسَيِّر عَزَّة = كُثَيِّر عَزَّة، مِسْل = مِثْل، مَسَلاً = مثلاً. . إلخ. وحتى في نطق عرب مصر للانكليزية يقلبون الثاء سيناً.

هل من المناسب في هذا المقام أن نذكر «أصحاب الرَّسِّ» الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم مرتين مقرونين بقوم نوح وعاد وثمود من الأقوام القديمة ؟

﴿وَعَاداً وَثَمُوداً وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِك كَثِيراً﴾ (الفرقان/38).

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ﴾ (ق/12).

وقد اختلف علماء التفسير في هذه «الرَّسِّ»، ما بين كونها بئراً لطائفة من ثمود دفنوا فيها نبيَّهم، وكونها دياراً لثمود، أو قرية باليمامة، «ويروى أنهم كذبوا نبيهم ورسُّوه في بئر أي دسُّوه فيها حتى مات (!)» (اللسان).

وهذا تفسير تخريجي لفظي محض لا يثبت. والأصوب القول بأن **«أصحاب الرَّس»** قوم عاصروا عاداً وثموداً **وليسوا من عاد أو ثمود**، بدليل ذكرهم معهم منفصلين وإن اقترنوا بهم، وبدليل قوله تعالى **﴿وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً﴾** أي أزمنةً أو أجيالاً وأمماً.

في المصرية يُسمى شعب جنوبي مصر **«ر س ى و»** r s y w (= جنوبيون). والمفرد **«ر س ي»** r s y (جنوبي) و**«ر س و»** r s w . و(الجنوب) **«ر س»** r s . وقد ترجمت «ر س» ومشتقاتها بأنها تعني «الجنوب» ـ أو: الصعيد ـ بحسب ما فهمه العلماء الغربيُّون. فلم لا تكون هي **«رَسٌّ»** العربية بالمعاني التي تفيدها ومنها **«أصحاب الرَّسِّ»** أي «الرَّسِّيون» (المصرية **«ر س ي و»** r s y w) ؟!

إننا نعرف أن قوم الصعيد (الجنوب) عاصروا قوم عاد وثمود، بل لعلهم عاصروا قوم نوح نفسه، منذ قديم الزمان، وذكرهم منفصلين عن عاد وثمود يعني انفصالاً مكانياً، بدليل اقترانهم جميعاً في الآيتين ﴿وَقُرُوناً بَيْنَ ذلك كَثِيراً﴾ ـ أي في أزمنة طويلة سحيقة.

هذا هو التفسير الذي نعرضه، ولا يمتنع معه أن تكون **«رس»** هي **«رث»** بتعاقب السين والثاء، بل إن هذا يؤيد ما نذهب إليه؛ إذ من الواضح أن **«رث»** (= المصريين = الخلق الأصلي) كانت تطلق على سكان الجنوب، في مقابل **«ت م ح و»** t m ḥ w (وهم سكان الشمال ـ كما يتضح بعد قليل). الجنوب إذن **«رث»** وهو **«رَسٌّ»**.. والمعنى واحد.

هل نثبت هذا القول في تعاقب الحروف وثبات المعنى ؟ في العربية ـ كما رأينا ـ دلت مادة **«رسس»** (ثنائيُّها : رس) على «الثبات» (= الأصالة/الجذرية) كذلك تفعل مادة **«رزز»** (ثنائيها «رز») :

«رَزَّ الشيء في الأرض وفي الحائط يرزُّه رَزًّا فارتزَّ : أثبته فثبته. و**الرَّزُّ** كل شيء تثبته في الشيء... إلخ». (اللسان).

وكذلك تفعل مادة **«رصص»** : (ثنائيُّها «رص») :

«رَصَّ» البنيانَ يرصُّه رصًّا : حكمه وجمعه.

وفي التنزيل : ﴿كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾».

وفي هذا معنى الثبات، كما في «الرَّصص» الذي هو «الرّصَاص» مشتق من ذلك لتداخل أجزائه، وثباتها وصلابتها.

أهذا يكفي ؟

فلندر الحديث إلى جهة أخرى :

ففي الأنكليزية هناك كلمة Race التي يعرِّفها (معجم أكسفورد) الاشتقاقي Ox. Con. Dict. بأنها تعني : «**مجموعة أشخاص أو حيوانات أو نباتات ترتبط بأصل مشترك**»، إلى جانب تعريفات أخرى قريبة من هذا المعنى أهمها الدلالة على الأمة المشتركة الأرومة، وأي قسم كبير من المخلوقات أو جماعة من الأفراد يربطهم ملمح ما. كما أن race تعني كذلك : **جذر، أصل**. وهي دخلت الأنكليزية من الفرنسية، وهذه أخذت عن الايطالية Razza «**وأصلها مجهول**» (كذا !)[2].

إن الجهل بمنشأ race (ومثيلاتها في غير الأنكليزية) وكيف ومتى دخلت أوروبا يجعلنا نميل إلى أنها من العربية «**رس**» (المصرية : «**رس**»، «**رث**») ـ فإن هذا أقرب الاحتمالات، خاصة أنها لم توجد في السنسكريتية أو غيرها مما يسمى اللغات الآرية. **ولابد أن ندعم هذا الترجيح بما يجعله مؤكداً تماماً**.

نحن نعرف أن **اللاتينية** تطورت في شبه الجزيرة الايطالية. لكنها كانت مسبوقة بلغة أخرى هي اللغة **الأتروسكية** Etruscan، وهي لغة شعب ذي حضارة طمرت إلا بقايا قليلة ونقوش اهتم بها العلماء وتتبعوها كثيراً وحاولوا الكشف عن أصولها ومن أين جاء أهلها.

ومنذ ما يقرب من مائة عام كتب عالم أمريكي يدعى «برنتون» Brinton مقالة خطيرة عن اللغة الاتروسكية ذهب فيها إلى ما خلاصته أن **الأتروسكيين ليبيُّون** هاجروا من شمال أفريقيا واستقروا في إيطاليا ونمت حضارة لهم هناك. وقد عقد فصلاً ممتعاً عن أسماء الآلهة الأتروسكية والليبية القديمة، وفصلاً آخر عن الصلات اللغوية بين الفريقين[3].

مرت عقود **الأعوام**، وفي عام 1980م. كتب باحثٌ آخر هو الأستاذ «مايكل غرانت» كتاباً عن الأتروسكيين وكانوا عنده ـ في خلاصة القول ـ **ينحدرون من أصل كنعاني**[4].

وليس مهمًّا الدخول في تفاصيل هذا الموضوع، فإن له مجال بحث آخر. لكن لنقرأ ما يقوله «غرانت» :

«ما يمكن الآن اعتباره جلياً، على كل حال، هو أن اللغة الأتروسكية، رغم دخول كلمات إيطالية ولاتينية وكلمات مستعارة وأسماء يونانية فيها عبر القرون، **لم تكن تنتمي إلى عائلة اللغات**

---

2) ليعد القارىء إلى أي معجم انكليزي أو فرنسي ويتتبع المشتقات التي انبثقت عن race هذه، وهي كثيرة جدا.. و«الأصل» واحدا

3) D. Brinton ; on Etuscan and Libyan Names, Proceedings of American Philos. Society, 1889.

4) M. Grant ; **The Etrucans**, Weidenfeld and Nicolson, London, 1980.

الهند ـ أوروبية التي تنتمي إليها الألسن المذكورة. . . إن **الأتروسكية كانت لغة أصلها غير هند ـ أوروبي**. . . وعندما أعلن (ديونيسيوس الهاليكارناسي Dionysius of Hallicarnassusc في القرن الأول قبل الميلاد أن **الأتروسكية لم تكن تشبه اللغات المعروفة** [لديه] فلعله كان على صواب تام».

ويهمنا ما يختم به «غرانت» هذه الفقرة من كتابه بقوله :

«لقد أعانت هذه العزلة اللغوية الأتروسكيين على الشعور بأنهم كانوا متميزين يكوِّنون وحدة أو أُمَّة منفصلة وهي ما دعوها (رُسْنَا) Rosna أو «رُسْنِيَا» Rosnea ، وقد نَقْحرها اليونانيون : «رَسِنَّا» Rasenna ».

ولسنا نحب أن ندخل القارىء في متاهات بحث مفصَّل، ليس هذا مجاله، وإن كانت تجدر الاشارة، مرة أخرى، إلى أن **جميع أمم الأرض، بدون استثناء، كانت تعتبر نفسها «الجنس المميز» أو «الشعب المختار» وما عداها همج وبرابرة**. وواضح أن الأتروسكيين لم يشذوا عن القاعدة، فكانوا يعتبرون أنفسهم جنساً مميزاً يقفون وحدهم أمة منفصلة متميزة هي «رسنا».

لقد قال «برنتون» إن الأتروسكيين «ليبيون». . منذ حوالي مائة سنة، وقال «غرانت» ـ في آخر بحث عنهم ـ إنهم «كنعانيون». وذلك على أساس اللغة المقارنة.

فات الأستاذين الكبيرين أن **اللغة الليبية والكنعانية مشتركتان في كونهما لغتين عروبيتين**، نشأتا من مصدر واحد، وهذا هو السبب في أن الأتروسكية كانت قاسماً مشتركاً بينهما. . فهي لغة عروبية كذلك، سواء جاء أهلها إلى إيطاليا من شمال أفريقيا (برنتون) أو جاءوها من أرض الشام (غرانت).

هذا هو السبب أيضاً في أن القائمة التي أوردها «برنتون» للكلمات الأتروسكية مقارنة بالليبية تنطبق تماماً على العربية بالضبط، كذلك ما جاء به «غرانت» من مفردات أتروسكية مكافئاً إياها بالكنعانية يتطابق مع العربية أيضاً.

فإذا نظرنا إلى كلمة «رسنا» وجدنا جذرها «رس» العربية ـ المصرية. ودلالتها واضحة : «الشعب المميز، الأصيل، الأصل، أمة هي الأصل الثابت (رس) وما عداها مجرد همج». وهذا ما يطابق «رث» المصرية، كما رأيت، والتي هي في الوقت ذاته «رس» (الجنوب/المصريون الأصلاء/أصحاب الرَّس).

فإذا كان الجذر في «رسنا» هو «رس» فمن أين جاءت «نا» هنا ؟

فلنلاحظ اختلاف النقحرة في الحروف اللاتينية : Rosana, Rosna – وعند اليونان Rasenna . وهذا يعني أن الجذر هو (Rs + n) بدون وضع الحركات. ولنا هنا أن نقول، باعتبار الأتروسكية لغة عروبية (وقد ثبت أنها ليست هندو ـ أوروبية على الاطلاق) إن «ر س ن» هذه مكوَّنة من :

(1) الجذر «رس» = أساس، عِرْق، جنس = Race.

(2) + «ن» = نون النسبة للجماعة المتكلمة في العربية والكنعانية معاً. فهي ـ في العربية

الحديثة : «رَسُّنا» أي : عِرْقنا وجنسنا الرسيس. لفظة مركبة صارت علماً[5].

فإن لم تكن هذه فهي إذن من تنوين «رس». والتنوين الذي كان أصلاً للتعريف يأتي في آخر الكلمة (ع ر ب ن = العرب/الأعراب. ر ك ب ن = الركب، الجمال - مثلاً)[6] ظاهرة معروفة في اللغات العروبية، وأخذته اليونانية كذلك، ومنها ظهر في الأنكليزية والفرنسية والاسبانية والايطالية. فإذا قلنا بتنوين «رس» في الأصل لوجب أن تكتب بنون ظاهرة في آخرها «ر س ن» R S N تعريف «رس» (باعتبار «ر س ن» = الرس» أي : الشعب[7] الأصلي، الأساسي، الثابت، الفعلي. فلما جاء اليونان نقحروا[8] الحروف الصوامت إلى Rasenna ، كما نقحرها العلماء من بعد إلى : Rosnea, Rosena. والأصل : R S N .

هناك رأي آخر قد يكون صواباً ؛ ذلك باعتبار الكلمة «ر س ن» (R S N) هنا كلمة واحدة (رغم أن جذرها الثنائي هو «رس») دالة على الثبات والأصالة. ولنا أن نقارنها بالعربية «رسن»، وتبدل السين صاداً «ر ص ن» كما تبدل زاياً «رزن»[9] والمعنى واحد في جميع الأحوال هو معنى «رس» و«رز» و«رص» = الثبات والأصالة وهو ما يكافىء المصرية «رث».

فلنراجع «رث» المصرية مرة أخرى فنجد منها : «ر ث ن و» R Ṯ N W
و

فإذا سألنا علماء المصريات ما «ر ث ن و» هذه كان الجواب أنها عنت في النصوص المصرية «**جزءاً من بلاد الشام**». (a part of Syria) بحسب قول «فولكنر» (صفحة 150) ومعجم «بدج» (صفحة 436). ويضيف «بدج» أن في المصرية : «**ر ث ن و. ح ر ت**» R ṯ n w ḥ r t (بلاد الشام العليا) و«**ر ث ن و. ق ر ت**» R ṯ n w. q r t (بلاد الشام السفلى). (عربيتها : «**ر ث ن و» الحرّة/الحرّية** = العليا. و«**ر ث ن و» الغور/ الغورة، أو الخور/ الخورة، أو «ر ث ن و» القارة، القرارة** = المنخفضة، السفلى).

وما دام المصريون فرّقوا بين «الشام العليا = ح ر ت» و«الشام السفلى = ق ر ت» وقبل كل منها كلمة «ر ث ن و» فلا بد إذن أن تكون هذه تعني بلاد الشام كلها، أو على الأقل ساحل الشام.

---

5) في الايطالية نفسها شيء شبيه بهذا الأمر، ونقارن هنا - للتسهيل - باسم المنظمة الصقلية المشهورة cosa nostra (قضيتنا) - فهي (عند ترجمتها إلى العربية) لفظة مركبة من «قضية + نا» - صارت اسم علم تُطْلَقُ على جماعة بعينها.

6) أنظر : غابوتشان = **التعريف والتنكير**، ترجمة : د. جعفر دك الباب.

7) في التراث العبراني تأتي كلمة «الشعب» والمقصود «شعب إسرائيل» (المختار) في التصوُّر اليهودي، حتى إن لم يضف إلى كلمة «الشعب» شيء آخر.

8) **الرسن والرصن** (للدابة) : ما تثبت به. ورجل رصين ورزين : ثابت.

9) (نقحر) أي : نقل حرفيا. و(النقحرة) = النقل الحرفي Transliration.

وهي بصيغة الجمع «ر ث ن و» بإضافة واو الجماعة في آخرها. مفردها «ر ث ن»[10].

هنا نعود بالقارىء إلى ما قرره «غرانت» ـ من خلاصة دراسات العلماء لأصل الأتروسكيين ـ إذ قال إنهم جاءوا أصلاً من الشام، وهم كنعانيون في نشأتهم الأولى، ثم استقروا في أرض إيطاليا وأنشأوا حضارة خاصة بهم، كنعانية الأرومة. ولن ندخل في جدل طويل مع ما ذهب إليه «برنتون» من أنهم ليبيون أصلاً؛ إذ لا يمتنع أن يكونوا جاءوا من الشام واستقروا في شمال أفريقيا، ثم هاجروا إلى إيطاليا. وطبيعي أن صِلاتهم لم تنقطع مع الوطن الأم أو مع الوطن الثاني على مدى الزمان.

ما يهمنا فعلاً هو التعبير المصري عن «بلاد الشام» أو بالأصح «أهل الشام» بكلمة «ر ث ن و» (مفردها: «ر ث ن»). ألا نلمح هنا صلة بين «ر ث ن» هذه و«ر س ن» الأتروسكية التي أطلقها الأتروسكيون على أنفسهم كما رأيت؟

مبلغ علمنا أن أحداً لم ينتبه إلى هذه النقطة الجوهرية في رأينا، والتي تربط خيوط المسألة بعضها ببعض، وتضع الأمور في نصابها الصحيح.

فهل نكمل البحث أو نستكمله على الأقل؟

هذه هي «**الرَّس**» العربية تتنقل من مكان إلى مكان.. وقد بلغت الانكليزية في صورة race والفرنسية كذلك (باختلاف النطق طبعاً). وهي في الألمانية rasse والايطالية razza والاسبانية raza والسويدية rase (= جنس، عرق، قوم، فصيلة.. إلخ). وكلها من الايطالية (المجهولة الأصل! razza). وهي ذات صلة بالانكليزية root (جذر، أصل، التي تستعمل في النبات خاصة بينما

10) في «معجم بدج» (صفحة 435) تأتي بالتاء «ر ت ن و» (rtnw) مرتين، يترجم الأولى: «شعب سوريا الشمالية» والثانية: «رتن الشرقية» Eastern reten (سوريا ـ وذلك باختلاف المحدَّد للدلالة على الناس أو الأرض).

ويسمح لنا هذا الاختلاف الطفيف في الترجمات، ما بين: سوريا العليا، وسوريا السفلى، وشمال سوريا وشرقها (والمقصود بلاد الشام) بالقول إن «ر ث ن و» أو «ر ت ن و» تدل على بلاد الشام كلها. وهذا لا يمنع من التخصيص بعد ذلك، فيقال: مرتفعات الشام، وسهولها، شمالها وشرقها، كما نقول «مصر العليا» و«مصر السفلى» وهي «مصر».

ومن التخصيص في اللغة المصرية لجزء من بلاد الشام كلمة «ر م ن ن» Rmnn التي تترجم إلى «لبنان» Lebanon (معجم فولكنر، صفحة 149). والمعروف أن الراء تقوم في المصرية أحيانا مقام اللام الذي يفتقد في الهيروغليفية، فهي «ل م ن ن» lmnn والمقصود بياض الثلج الذي اشتهرت به جبال لبنان (قارن اللاتينية: lumen = ضياء، نور. جذرها lmn). والميم في المصرية، كما في اللاتينية، إبدال من الباء في العربية «لبن» (lbn) الدالة على البياض ومنها جاءت كلمة «لبنان» (تنطق لُبنان، لِبنان ـ والصواب: لَبنان، بفتح اللام). وقد أضيفت في المصرية والعربية نون أخرى إلى الجذر «ل ب ن» فكانت «ل ب ن ن»، فهي إما أن تكون نون التعريف، التي صارت تنوينا، أو لصيغة المبالغة يكرر الحرف الثالث من الجذر الثلاثي فيصير رباعيا. (قارن: رعد ← رعدد ← رعديد. صند ← صندد ← صنديد. وفي اللهجة المصرية الحديثة: سمن ← سمنن ← سمنان = سمين. وقارن: عرب/عربان. سلم/سلمان).

تستعمل race للأعراق البشرية، وتقابلها الفرنسية racine، والألمانية wuzzel[11]، والايطالية radi-ce والأسبـانية raiz .. إلـخ. ويقول (معجم أسكفورد) الاشتقاقي إنها ترجع إلى اللاتينية radix بمعنى «جذر»، ولعله لم ينتبه إلى أن هذه تعود إلى العربية «رس»، المصرية «رث». ولك أن تضيف ما شئت في هذا الباب حتى تصل إلى كلمة radish (فجل) وهي من الفرنسية القديمة، radis التي تعود إلى اللاتينية radicem، وهذه من radix (= رَس) أي: جذر (!).

ويمكنك، وأنت واثق كل الثقة، أن تقرن radish (فجل) بـ radical (التي «عرَّبناها»: راديكالي!) فهي مركبة من radi (جذر = رس/ رث) بإبدال السين دالاً كما أبدلت ثاءً في المصرية، وزيناً وصاداً أيضاً في العربية، ملحق بها cal ـ (أداة النسبة أو الصفة في الانكليزية).

أما وقد رأينا «جذرية» هذه المنقولات الأوروبية عن العروبية، فيحسن بنا أن نعود إلى «رسّ» الموضوع.. أعني بدايته الأولى.

وقد ذكرنا أن ثمة خلطاً بين «رث» (بشر) و«ر م ي ت» (دمع)، فكان أن كتبت الأولى أحيانا «ر م ث» وقرئت كذلك، ليحدث الجناس اللفظي بين الكلمتين وهو ما أغرم به المصريون الأقدمون نتيجة الفكرة الأسطورية في الخلق من دموع «رع» حين بكى حزناً على مصير العالم. وقد تكون «رث» أيضاً تعني «بكى» هي الأخرى في الأصل. وهنا نرجع إلى الجذر في العربية «رثا»:

«رثى فلانٌ فلاناً يرثيه رثياً ومرثيةً إذا بكاه بعد موته... ورثوت الميت أيضاً إذا بكيته وعددت محاسنه وكذلك إذا نظمت فيه شعراً» (اللسان).

ومن الواضح تطور الدلالة في «رثا» من مجردالبكاء وتهاطل الدمع إلى المدح وتعديد محاسن الميت.. تطور المعنوي المجرد من الحِسِّي الملموس.

وقريبٌ من هذا ما في مادة «رثن»:

الرثان: المطر غير المتتابع، المتقطع (كالدمع).
وأرض **مرثَّنة و مرثَّمة ومرثونة**، أصابها **رثان ورثام**. (لاحظ أن «رثم» مقلوب «رمث»).
وقد ورد في مادة «رثم» شيء شبيه بهذا؛ فهو سيلان الدم من الأنف، و«رثم»: دمي.

في بعض النصوص المصرية وردت «رت» r t بدلاً من «رث» r ṯ (قارن معجم «بدج» صفحة 435) بتعـاقب الثـاء والتـاء. والمعـاني هي ذاتها. وقارن «بدج» كلمة «رت» r t (بشر، الجنس البشري) بـ«رث» r ṯ (ناس، شعب، الجنس البشري) من جهة، وقارن بينهما وبين القبطية «رمي» rome من جهة أخرى، كما أورد (في صفحة 4 ـ 423) الجذر «رم» rm ومنه:
«ر م و» r m u: ناس، بشر، الجنس البشري. («ر م م و» ـ كذلك).

---

11) الأقرب أن تكون الألمانية wuzzel ذات صلة بالعربية «أصل».

«رم» rm : إنسان.
«رم» rm : يبكي، ينتحب. («ر م م» كذلك)؛
«ر م ي» rmy : يبكي
«ر م ت» و«ر م ي ت» rmt, rmyt : دموع.

إلى جانب مشتقات أخرى كثيرة ـ تختلف دلالاتها في الهيروغليفية باختلاف المحدِّد.

وفي مكافأتنا للمصرية «رث» rṯ وجدنا العربية «**رثا**» (بكى)، «**رثن**» (مطر) وكذلك «**رثم**» (مقلوب «ر م ث») تدل على المطر وسيلان الدم. فهل نجد مقابلاً للجذر «ر م» rm (الذي يفيد «الدمع» و«البكاء» الذي تنحدر فيه الدموع)؟

فلننظر..

في مادة «**رمي**» يقول ابن منظور:

«**الرميُّ**: قطع صغار من السحاب... سحابة عظيمة القطر شديدة الوقع... **الرمِيُّ**: السقيُّ وهي السحابة العظيمة القطر.. وقال مُلَيح الهذلي في الرميِّ السحاب:

حنين اليماني هاجه بعد سلوةٍ * وميض رميٍّ آخر الليل معرق

وقال أبو جندب الهذلي، وجمعه أرمية:

هنالك لو دعوتَ أتاك منهم * رجال مثـل أرمية الحميـم

والحميم: مطر الصيف، ويكون عظيم القطر شديد الوقع».

في مجال أسطورة الخلق المصرية يمكن استخلاص أن «**الرميّ**» (السحاب العظيم القطر الشديد الوقع) هو ذاته «ر م ي» rmy (دمع الإلـه «رع» باعتبار المطر الغزير الواقع من السماء دموع الرب الباكي تهطل مدراراً فتتحول القطرات إلى بشر (ر م ث) يدبون على الأرض دبيباً)[12].

هذا استنتاج. أما الاستنتاج الأخر فيكمن في تتبع الجذر الثنائي «رم». ما الذي يحدث إذا أضيف إليه حروف أخرى؟

لنقـرأ:

«**الرمج**: إلقاء الطائر سجَّه، أي ذرقه» (وهذا يشبه سقوط الدمع من العين).
«**الرَّمح**: ... جاء كأن عينيه في رَمْحين ـ وذلك من الخوف والفَرَق وشدة النظر، وقد يكون ذلك من الغضب أيضاً». (لاحظ علاقة العين بالرَّمح).
«**الرمد**: وجع العين وانتفاخها».
«**الرمز**: ورمزته المرأة بعينها: غمزته.
وجارية رمَّازة: غمَّازة. وقيل لها: رَمَّازَة ـ **لأنها ترمز بعينها**».
«الرمش: تفتّل في الشفر وحمرة في الجفن مع ماء يسيل». (قارن: رمش، رموش).

---

12) يذكرنا هذا بالتصور الأسطوري عند بعض الفرق الاسلامية المؤمنة برجعة علي (كرم الله وجهه) وأنه حي في السماء، الرعد صوته والبرق لمعان سيفه، ولعل المطر دموعه.

«الرمص : في العين كالغمص ـ وهو قذىً تقذف به . . . وهو البياض الذي تلفظه العين ويجتمع في زوايا الأجفان» .

«الرمع : التحرك . تحرك الأنف من الغضب» (وعند البكاء) .

«الرمق : . . . رمقه يرمقه رمقاً ورامقه : نظر إليه . . . ورمّق ترميقاً : أدام النظر . . . ورجل يرموق : ضعيف البصر» .

من هذا نرى أن الجذر الثنائي «رم» في العربية يؤدي ، بإضافة حرف ثالث ، إلى جملة دلالات مرتبطة بالعين في مختلف أحوالها[13] ارتباط الرمز الهيروغليفي المحدِّد للجذر «رم» rm في المصرية بمشتقاته الدالة على البكاء وذرف الدموع (أنظر : «معجم بدج» ـ صفحة 424) ـ كما نحصل على دلالة سقوط المطر من «رمي» ، وسائل الطائر من «رمج» ، والقذف السائل من العين من «رمص» .

أخيرا . . نكرر ما ذكرناه من وجود جناس أو طباق بين «رث» (خلق/بشر) و«رث» (بكى/دمع) من جهة (قارن العربية : رثا = بكى . وس = رث/أصل) و«ر م ي ت» (دمع . العربية : رمي) من جهة أخرى . وترد «رث» r ṯ المصرية أيضاً «ر ت» r t .

كذلك في العربية يبدو أن هناك تطابقاً في المعنى والدلالة بين «رتا» و«رمى» وإن لم يوضح في المعاجم بها في الكفاية . فقد ورد :

«وأنشد للحارث يذكر جبلاً وارتفاعه :

مكفهرًّا على الحوادث لا يـر * توه للدهر مُؤْبدٌ صمّاءُ

. . . قال أبو عبيد : معنى «لا ترتوه» : لا ترميه .

. . . ورتوت : رميت . والرتوة : رمية سهم» . (اللسان ، مادة : رثا) .

فكأنما البشر عند خلقهم كانوا «رَتْواً» (= رَمْياً) من «رتوات» (= رميات) دموع «رع» (= رمي) تناثروا من عينه وتحدّروا قطرات على الأرض يسعون ، حسب الأسطورة المصرية ـ وذاك ما في اللغة المصرية : «ر ث/ ر ت» = بشر (ثم خصّت المصريين باعتبارهم البشر الحقيقيين ، الأصلاء ، الأوّل) وصارت ، في بعض الكتابات المتأخرة ، «ر م ث» ، «ر م ت» لتطابق «ر م ي ت» (دموع) حبًّا في الجناس اللفظي . . وقد طابق هذا ذاك ، ولم تبق حاجة إلى مزيد بيان .

هذه إذن هي نشأة التسمية التي أطلقها المصريون القدماء على أنفسهم وارتضوها ، بينما أطلقت الجماعات المحيطة بوادي النيل على سكانه تسميات أخرى تدرس في موطنها . وأطلق المصريون على هذه الجماعات من الشمال والجنوب والشرق أسماء آن الأوان للحديث عنها فيما يلي من الصفحات[14] .

13) فكرة «خلق» البشر من دموع «رع» تعني أنهم خُلقوا من «عينه» . لنتنبه هنا إلى لغة الفلسفة في كلمة «تعيُّن» (= الوجود) .

14) من الواضح أن هذه التسميات كانت قبل توحيد القطرين (الدلتا والصعيد) بدليل تخصيص الشماليين (والمقصود الليبيون الذين عمروا الدلتا بعد جفاف الصحراء وهجرتهم منها) . أما ليبيو الصحراء فقد عرفوا في النقوش المصرية باسم «ر ب و» RBW الذين سيلي الحديث عنهم .

ت ء م ح Ta meḥ

ت م ح و Temḥu

تطلق كلمة «ت م ح و» Tmḥw على الليبيين سكان الدلتا في القديم قبل توحيد القطرين (الدلتا والصعيد) على يد «نارمر» (مينا) حوالي سنة 3200 ق. م. وهي تسمية تتردد في كتب التاريخ كثيراً (أنظر مثلاً : O. Bates ; The Easten Libyans) وقد جُعلوا في أسطورة الخلق المصرية أحد الأجناس البشرية الثلاثة، سوى المصريين، وهم : «التمحو» و«الأمو» و«النحسو».

هذا الاسم مكّون في أساسه من مقطعين :

«ت ء» Ta : أرض، بلاد. (العربية : طيَّة، طآة، طاءة).
«م ح» m ḥ : شمال، جهة الشّمال.
+ «و» w : واو الجمع.

وفي «معجم بدج» (صفحة 816) : «ت ء. م ح» Ta mḥ : (بلاد الشمال، الدلتا). وفيه (صفحة 837) : «ت م ح و» T m ḥ w : (الليبيون). و: «ت م ح ي ت» T m ḥ y.t : (ربة «الأرض الحمراء» أو «الصحراء» = ربة ليبيا).

ومن الجلي أن المقطعين «ت ء» T a (أرض) و«م ح (و)» m ḥ(w) (شمال/شماليون) قد أدمجا في كلمة واحدة هي «ت م ح (و)» T m ḥ(w) ونسبت إليها «ربة ليبيا» «ت م ح (ي. ت)» T m ḥ(y.t). وليست «ت م ح» T m ḥ هي الجذر، بل الجذر هو «م ح» m ḥ (= شمال) (أنظر «غاردنر» Eg. Gr. p 599).

تحت الجذر«م ح» في المصرية نجد كلمات كثيرة تدل على «الشمال». من ذلك مثلاً :

«م ح. ت» m ḥ t : ربة الشمال.
«م ح ي ت» m ḥ y t : بلاد الشمال، الدلتا، شمالي.
«م ح ت ي و» m ḥ t y w : القبائل الشمالية.
«م ح و ت» m ḥ w t : ريح الشمال.

كما أن هذا الجذر «م ح» m ḥ يدل على الماء الغزير والفيضان والمطر الدافق (لارتباط الدلتا بالماء الغزير، والمطر النادر في الجنوب) :

«م ح ى» m ḥ y : فيضان، غمر.
«م ح ي ت» m ḥ y t : فيضان، عاصفة ممطرة، ماء كثير، غمر.
«م ح ي ت» m ḥ y t : ربة الفيضان.
«م ح و ي و» : m ḥ w y w الفيضان الذي أهلك الجنس البشري.

(قارن «معجم بدج» ص 316 وما بعدها)

فما هو المكافىء العربي الذي يؤدي المعاني ذاتها التي يؤديها الجذر «م ح» في المصرية ؟
إنه الجذر «**محا**». وفيه جاء :

«المحوة : المطرة، تمحو الجدب ؛ عن ابن الأعرابي. وأصبحت الأرض **محوةً** واحدة إذا تغطى وجهها بالماء حتى كأنها محيت. وتركتُ الأرض **محوة** واحدة إذا طبقها المطر. وفي (المحكم) : إذا جيدَت كلها. . . **ومحوة** اسم للدَّبور لأنها تمحو الأثر. . . وقيل : هي **الشَّمال**. قال الأصمعي وغيره : من **أسماء الشمال** : **محوة**، غير مصروفة. قال ابن السِّكِّيت : هبَّت **محوة** اسم الشمال، معرفة. وأنشد :

قد بكرتْ **محوة** بالعجاج ٭ فدمرت بقيـة الرِّجــاج

وقيل : هو **الجنوب**. وقال غيره : سميت الشَّمال **محوة** لأنها تمحو السحاب وتذهب به. **ومحوة** : ريح الشمال لأنها تذهب بالسحاب، وهي **معرفة لا تنصرف ولا تدخلها ألف ولام**. قال ابن بري : أنكر علي بن حمزة اختصاص المحوة **بالشمال** بكونها تقشع السحاب وتذهب به. قال : وهذا موجود **في الجنوب**. . .

ومحوة : **اسم موضع** بغير ألف ولام. وفي (المحكم) : **والمحو اسم بلد**. قالت الخنساء :
لتجر الحوادثُ بعد الفتى الـ ٭ مغادر بالمحــو أزلالـهــا».

ولا أحسب أن ثمة نصاً يبينِّ عن التطابق التام بين دلالات «م ح» المصرية و«**محا**» العربية أوضح من هذا النص. فهو جامع مانع لكل مشتقات «م ح» ومعانيها التي تفيد : الماء الغزير، مطراً وفيضاناً، والشَّمال.

والمدهش فعلاً أن تكون «محوة» **معرفةً غير مصروفة ولا تدخلها ألف ولام**[15]. . . كأنها اسم علم. والشيء نفسه في المصرية. والأبعث على الدهشة أن تكون «**محوة**» **اسم موضع** بغير ألف ولام، وأن تكون «**المحو**» اسم **بلد**. والأكثر إثارة للدهشة هذا الاختلاف في اعتبار «**محوة**» مرة ريح «**الشمال**» وأخرى ريح «**الجنوب**». وإذا كان الاختلاف وقع في ريح «الدَّبور» وريح «**الصبا**» أيضاً، إلا أنه ذو دلالة هنا بالذات ؛ فكتب التاريخ تتحدث عن «**التمحو**» ليس باعتبارهم أهل «الشمال» فقط بل هم ليبيو «الجنوب» أيضاً[16]. ويبدو أن هذه القبائل، أو القبيلة، الليبية كانت في الجنوب (غربي الصعيد) ثم انتقلت إلى الشمال حيث عاشت في الدلتا في التاريخ القديم ـ فصارت الدلتا تسمى «**ت ء م ح و**» Ta-m ḥ w (أرض المحو. حرفيا : **طيَّة محو = طية المحو**)، ثم أدغمت «**ت ء** Ta (**طيَّة**) في «**م ح و**» m ḥ w (الشمال) فكانت «**ت م ح و**» T m ḥ w . وهو الاسم الذي عرفت به القبـائـل الليبية في هذا المـوضع أو البلد[17]. **وهم القسم الأول من أقسام البشر الثلاثة، عدا المصريين، كما تصوَّرتهم أسطورة الخلق**. ويبقى قسمان آخران : «العامو» (أو : الأمو) و«النحسو» وعنهما مايلي من حديث :

15) هذا في بعض الأقوال. وقد أدخل ابن منظور أداة التعريف في (المحوة) و(المحو).
16) أنظر في هذه المسألة : Oric Bates ; The Eastern Libyans
17) بعض الكتاب العرب حاول تعريب الكلمة فجعلوها «طمحو» (!) .

«ع أ م و» Āamu

«أ م و» Amu

Amtit

القسم الثاني من البشر، غير سكان وادي النيل. وترد في النصوص المصرية في صورة «ع م و» ᶜm w (مفـردها : «ع م» ᶜ m) و«ع ء م و» ᶜamw (مفردها «ع ء م» ᶜam). والمقصود البشر الذين كانوا شرقي وادي النيل. وهي تترجم إلى الأنكليزية asiatics (آسيويون) أو semites (ساميُّون).

نقرأ في معجم «فولكنر» (An Eg. Con. Dict., p. 38) : «ع ء م» ᶜa m : آسيوي (رجل آسيوي).
«ع ء م ت» ᶜa m t : آسيوية (امرأة آسيوية).

وفي معجم «بدج» (an Eg. Hir. Dict. p. III) :
«ع ء م» ᶜa m : أسيوي، بدوي من الصحراء الشرقية.
«ع ء م و» ᶜa m w : رعاة، بدو، رُحَّل، فلاَّحون.
«ع ء م ي ت» ᶜa m y t : امرأة آسيوية.
«ع ء م و» ᶜa m w : روح «العامو» في «دوت» (طوى).

ثـم :

«ع ء م» ᶜa m : حيوان، بهيمة.
وفي نفس المعجم (صفحة 122) :
«ع م ء م و» ᶜm a m w : شعب آسيوي.
وفي (صفحة 6) :
«أ م و» a m w : أحد آلهة الفجر.

يذهب الأستـاذ «إمبـير» (Ember ; Egypto-sem. Stud ; 10.B) إلى أن ثمـة إبدالاً في كلمة «ع ء م» ᶜa m ؛ الهمزة مبدلة من الراء، مما يحدث كثيراً ويضرب أمثلة لذلك، والميم مبدلة من الباء، وهو أمر كثير الحدوث عند مقابلة المصرية بما يسميه (السامية) - ويضرب أمثلة لذلك أيضاً[18].

18) من أمثلة إبدال الراء همزة : ك ء م (كرم = عنب)، ق ء ب (قرب/قِراب/قربة = وعاء)، ي ء ق (يرق = أخضر)، ب ء (فرّ = طار، هرب)، ق ء ق ء (قرقر/قرقور = قارب طويل).
ومن أمثلة إبدال الباء ميماً : د م ء (دبر = خلف)، ك م ء (كبر= نما). وهذه أبدلت فيها الراء همزةً والباء ميماً.
وهناك : ج م ه (جبه/جبهة = جبين)، و ش م (وشب = خلط)، خ ن م (خنب/خلب = سرق)، ت ن م (طلب = سأل).

وبحسب رأي الأستاذ «إمبير» فإن «ع ء م» ${}^{c}a\ m$ على هذا الأساس تقابل «ع ر ب» (${}^{c}r\ b$) التي تفيد في اللغات العروبية أصلاً : **بدو، رُحَّل، أهل الصحراء**[19].

وهذا ممكن تجيزه كثرة الابدال في اللغة المصرية نفسها، وبينها وبين العربية. ولكن لم لا نأخذ الأمر ببساطة أكبر فنقول إن «ع ء م» هي «ع م» وإن الهمزة بين العين والميم مزيدة ؟ وهناك عدد لا يكاد يحصى من الكلمات تضاف فيه الهمزة في المصرية وتكون محذوفة أو هي مدة بالألف أو بالواو أو بالياء عند المكافأة بالعربية (من ذلك مثلاً : «و ء ح ت» = واحة. «ب ء س ت» = بسة (هرة). «ب ء ق، ب ء ك» : فاق (زيت). «ب ء ق س» = بقص/فقس. «ح ء ت» : حيط (بيت) «خ ء ب ء س» = قبس. «خ ء ر» : خار (صوت الثور). «س ء ب» صَبَّ، سبب. «ش ء ق» : زق (كيس/وعاء). «ك ء ب» : كبو (حرق البخور). «ق ء ق ء» : قاق (صياح الطائر). . . إلخ).

وفي العربية نفسها تهمز بعض اللهجات ما لا يهمز عادةً[20] وقد تحذف الهمزة، فنقول : **بير = بئر، فار = فأر، باس = بأس، فاس = فأس، ذيب = ذئب**. . . وهلم جراً.

فإن قلنا إن «ع ء م» هي «ع م» كنا على صواب. وهنا ننطلق لننظر في «عم» العربية فنجدها تؤدي إلى عدد كبير من المشتقات، حين تثلَّث، تدل على **القوة** في مجموعها : **عَمَتَ** : قسر. رجل **عميت** : جرىء. **العمشل** : الضخم الثقيل. **العَميشل** : الضخم الشديد العريض. **عَمَدَ** : طال، ومنها : **العماد، العمود** ؛ السند الطويل. **عَمَرَ** : **العمر** : الحياة (قوة). **العمش** : ما فيه صلاح البدن. **عَمَقَ** : **العُمق** : ما بعد من الأطراف. (ومن هذه الأخيرة : **عَمْلَقَ** ـ التي سنعود إليها بعد قليل). **عَمَلَ** : العمل فيه معنى القوة والنشاط ؛ **اليعملة والعَمَلَة** : الناقة النجيبة الفارهة القوية، **العامل** : والوالي/الحاكم (القوي). حتى نصل إلى «عمم».

---

19) للأستاذ عبد الحق فاضل رأي لطيف في التوحيد بين كلمتي «عربي» و«أرمي» (آرامي ـ كما هو شائع) في اللفظ والدلالة على أساس تعاقب العين والهمزة من جهة والباء والميم من جهة أخرى. ويضرب مثلاً لتعاقب الباء والميم كلمة «مكة» التي جاءت «بكة» أيضاً في القرآن الكريم. وقد أخذ عليه الدكتور إبراهيم السامرائي هذا الرأي وحمل عليه حملة ظالمة سفَّه فيها ما ذهب إليه الباحث، تحت ستار الأكاديمية العلمية المزوَّقة. فلو نظر الدكتور السامرائي إلى ما ذكره «إمبير» (وهو أستاذ أكاديمي كبير لا يطعن أحد في علمه بالألسن والألسنيات) لرأى أنه كان أمعن من الأستاذ فاضل، فقد جعل «ع ء م» المصرية «ع ر ب» بينما اكتفى الأستاذ فاضل بأن جعل «أرم» في صيغة «ع ر ب» ـ وكلاهما قريب بعضهما من بعض. وقد تختلف مع الأستاذ فاضل في مقابلته، فإن «أرم» تعني «جبل» و«الأرميين» = الجبليين. ولكن البحث لا يُرَدُّ عليه بمثل ما فعل الدكتور السامرائي على كل حال. (أنظر : فاضل ؛ **مغامرات لغوية**، صفحة 99).

20) جاء في مادة «رثا» في (اللسان) : «وامرأة **رثَّاءة ورثاية**. . . وكذلك القول في **سقاءة وسقاية** وما أشبهها. قال ابن السكِّيت : ربما خرجت بهم فصاحتهم إلى أن يهمزوا ما ليس بمهموز، قالوا : **رثأت** الميت **ولبأت** بالحج **وحلأت** السويق **تحلئة**، إنما هو من الحلاوة». بل قالوا : **النأر** بدلاً من النَّار، **والعألم، والنأس**، بدلاً من العالم والناس.

في مادة «عمم» («ثنائيُّها «عم») نجد :

العم : أخو الأب (المعنى الأصلي : المساند، القوي).

العمامة : ما يوضع على الرأس (مجازاً : العمائم تيجان العرب، وإذا سُوِّد الرجل قيل : عُمِّم).
العميم : الطويل من الرجال والنبات.
نخلة **عَم**، ونخلة **عميمة** : طويلة تامَّة[21]. وكل ما اجتمع وكثر فهو **عميم**.
العمم : عظم الخلق، الجسم التام. **واعتم** النبات : اكتهل، وتمَّ خلقه، إلى آخر ما يرد في هذه المادة من معاني الطول والتمام... فلتراجع. ومنها تصريفات : **عُمُم**، **عَمَم**، **اعتمام**، وجارية **عميمة وعمَّاء**. وكلها بمعاني الطول والجسامة.

ونفس ما يفيده الجذر الثنائي «عم» وثلاثيه «عمم» يفيده رباعيه «**عملق**». ومنه : «**العملاق** : الطويل، والجمع : عماليق، وعمالقة، وعمالق، بغير ياء. وعَمْلق وعِمْلق وعِمْلاق : **أسماء**. **والعمالقة من عاد**؛ وهم بنو عملاق. قال الأزهري : عملاق أبو العمالقة، وهم **الجبابرة** الذي كانوا بالشام على عهد موسى عليه السلام». (اللسان، مادة : **عملق**).

هؤلاء «**العمالقة**» الذين كانوا بالشام على عهد موسى عليه السلام - أي أواخر القرن الثالث عشر ق.م. والذين هم من عاد - أي من العرب البائدة - هم أنفسهم الذين قاتلهم بنو اسرائيل وأسموهم «**العناقيم**» أي «**العناقيين**» أي الضخام الطوال، الجبابرة، العماليق. وقائدهم في الأسطورة الاسرائيلية «**عوج بن عنق**» أو «**بن عناق**» ومعنى الاسم : القائد أو الرئيس[22] **الطويل** (أو ابن الطويل).

والذي يهمنا هنا أن الجذور «**عمم**» و«**عملق**» و«**عنق**» تؤدي معنىً واحداً، وأننا قرأنا في التاريخ أن «العناقيين» (العناقيم) هم أنفسهم الذين كانوا يسمون في الجزيرة العربية «**العماليق**»

---

21) في المصرية نجدها في صورة «إ ء م» i a m او«إ ء م.ت» i a m t (مؤنثة) = نخلة، شجرة نخيل (معجم «بلدج» صفحة 20).
ويُسمى سكان سيوة في المصرية «إ ء م ت ي و» iamtyw . وقد تكون الياء للنسبة والواو للجمع والتاء لتأنيث «إ ء م». فإن لم تكن التسمية نسبة إلى النخل «عم» الذي يكثر في سيوة، فإن «إ ء م» هي «عم» بالمعاني التي نتعرض لها في هذا البحث، وبذا تستوي تسمية «بدو» شرق مصر مع تسمية «بدو» غربها تماماً.
في ليبيا - حتى الآن - يُسمَّى النخل الطويل «عامِّي» والواحدة «عامِّية»، وكذلك بلحه ورطبه وتمره (بلح «عامِّي»، ورطب عامِّي). وقد لفت نظري الحديث المنسوب إلى النبي ﷺ الذي يقول فيه «أكْرموا عمَّتكم النخلة». ويقول ابن منظور : «سماها عمَّة للمشاكلة في أنها إذا قطع رأسها يبست كما إذا قطع رأس الانسان مات (!)» (وهذا تفسير ينطبق على «رأس» أي كائن ولا يخص الانسان). قال : «وقيل : لأن النخل خلق من طينة آدم عليه السلام». (وهذا تفسير خرافي بالطبع لا أساس له من الصحة، متهافت سقيم). وأضاف : «(قال) ابن الأعرابي : عُمَّ إذا طُوِّل، وعَمَّ إذا طال». ونرى أن هذا هو معنى : «عمتكم» النخلة - أي طويلتكم، أو شجرتكم الطويلة أو بالتحديد : «نخلتكم» الطويلة. اللهجة الليبية : «عامِّيتكم (عامِّية) وفي المصرية «إ ء م ت» (لعلها أصلاً «ع ء م ت» صارت «إ ع م ت» ثم «إ ء م ت»).
22) نذهب إلى أن «عوج» صارت في اليونانية agos, ag = رئيس، قائد.

هاجروا منها إلى الشام واستقروا فيها - وفي فلسطين بالذات - فلما جاء بنو اسرائيل وجدوهم فيها فقاتلوهم وأسموهم «**العناقيم**» (ترجمة عبرانية للعربية «**عماليق**»).

فما الذي نفهمه ؟

يمكننا أن نفهم - بوضوح - أن شعب الجزيرة (وما هو شرقي مصر عموماً) كان يسمى عند العرب «**عماليق**» أو «عمالقة»، وعند العبرانيين «**عناقيم**» (عناقيين، ومادة «عنق» العربية تؤدي نفس المعنى) وعند المصريين «**عامو**» - أو بدقة أكبر «ع ء م و» c a m w (لاحظ أن الواو في آخر الكلمة للجمع تقوم مقام «يم» في العبرية و«ين» في العربية المتطورة).

فهل نقنع بهذه النتيجة ؟

إن الألفاظ تتطور دلالتها وتتنوع - وهذا قانون لغوي معروف - ولكن يظل ثمة خيط رفيع يربطها بعضها ببعض. خذ الجذر العربي «عم» مثلاً (ثنائياً، ومنه «عمم») تجده يؤدي، إلى جانب ما ذكرنا، إلى كلمة «عامَّة» (خلاف «الخاصَّة»). ويفسر ابن منظور نشأتها تفسيراً يتفق مع مفهوم عصره، نقلاً عن ثعلب، فهي «**سميت بذلك لأنها تعمم بالشر**». ولم ينتبه إلى قوله : «**العُمَمُ** : العامَّة، اسم للجمع».

والواقع أن **العامَّة** (العمم - في صيغة الجمع) انبثقت من «**عمم**» بمعنى : كثر واجتمع و. . عمَّ. فهي **الأغلبية الغالبة والكثرة الوافرة**. ومفردها بصيغة النسبة «**عامِّي**» التي تجمع على «عوام». . ويجوز - قياساً - جمعها على «**عامِّيِّين**». (صورتها في المصرية «ع م و»).

في العربية يقال : «رجل **عُمِّيٌّ** و رجل **قُصْرِيٌّ**. **فالعُمِّي** : العامُّ، والقُصري : الخاص».

وقد نقرأ قُصري : قَصري - بفتح القاف : فتكون النسبة إلى القصر (المدينة) ويكون المعنى : العُمِّي : البدوي (من ليس مدنياً) والقصري هو من سكن القصر (المدينة)[23].

من جهة أخرى تطورت دلالة «**عامي**» إلى معنى الجهل وعدم المعرفة وربما الجهالة، بحكم كثرة «العوام» الغالبة واقتصار «= قصر» المعرفة على أهل المدينة والحضر، فصارت دلالتها أوسع وأشمل، حوت قسماً من أهل المدينة أنفسهم أو القسم الأكبر منهم، أعني «عامَّة» الناس و«عوامِّهم» (أو : عاميهم) الجاهلين. ثم دلت على الجهل بالقراءة والكتابة، في مواجهة «**الخاصة**»[24] الذين أسعدهم الحظ، أو المكانة أو الثروة، بمعرفتها. **فكانت «العامي» تعني ذاك الذي لا يقرأ ولا**

---

23) قارن : «**برجوازي**»، من الفرنسية bourgeoise صفة من bourge (جذرها BRG وهي العربية : «**بُرج**» = قصر، مدينة).

24) لاحظ صلة «**الخاصة**» بـ«**الـخُصّ**» وهو «البيت» الذي صارت في بعض اللغات الأوروبية Casa .

يكتب. وقد احتفظ الجذر «عمم» هنا بصلة بمعنى الجهل في جذريه الثلاثيين الآخرين: «عمه» و «عمي» اللذين وردا في القرآن الكريم بمعنى الجهل، أو العَمَى المعنوي[25].

وعند المقارنة باللغات العُروبية الأخرى نجد في الكنعانية: «ع م» بمعنى «شعب» (فريحة؛ ملاحم.. صفحة 647). وهي ذاتها «ع م» و «ع م م» أي: «أناس» (Gordon ; Ug. Handbook, (p. 257 أما في الأكادية فنجدها في الجذر «أ م م» (بتعاقب العين والهمزة) ومنه: أمَّاتو ammātū: قوَّة (= عملقة). (Weir, p. 19) كما أن منه «أمُو» umū: ناس، شعب (Arnolt ; p. 54).

فماذا يحدث لو أبدلنا العين في العربية «عمم» إلى همزة لتتكون «أمم» (جذرها الثنائي «أم») ؟

سوف نقرأ في هذه المادة:

الأُمَّة والإِمَّة: الدين (فيه معنى القوة)
الإِمَّة: النعمة.
الإِمَّة: المُلك.
أُمُّ القوم: رئيسهم. وكذلك **الإمام**[26]: القائد.

حتى نصل إلى «**الأُمَّة**» أي الجماعة الواحدة، وهم «الناس» أو «الشعب» ونحوها.

من نفس الجذر «أمم» تخرج كلمة «**أُمِّيّ**» **أي الذي لا يكتب**[27]، وقد فسرت بأنها تعني المنسوب إلى ما عليه جبلته «أمُّه»، أي لا يكتب. «وكانت الكتابة في العرب من أهل الطائف تعلموها من رجل من أهل الحيرة، وأخذها أهل الحيرة عن أهل الأنبار» (يعني: **النبط**. وصحيح أن الكتابة العربية تطورت عن النبطية). قال الزجاج: **الأُمِّي** الذي على خِلْقة الأُمَّة لم يتعلم الكتاب فهو على جبلته... وفي الحديث: بعثت إلى أمَّة أُمِّية» (اللسان).

---

25) ﴿الله يَستهزىء بِهِمْ ويَمُدُّهمْ في طُغْيَانِهِم يَعْمَهُونَ﴾. البقرة/15 ﴿مَنْ يُضلل الله فلاَ هَاديَ له ويذَرُهم في طُغيانهم يَعْمَهون﴾ الأعراف/186 «فمن أبصرَ فلنفسه ومن عَمِيَ فعليْها». الأنعام/104. ﴿فَعَمِيت عليهم الأنباء يومئذٍ فهم لا يتساءلون﴾. القصص/66 ﴿وأمَّا ثمودُ فهديناهم فاستحبوا العمَى على الهُدَى﴾. فصلت/17.

وتجمع «عمي» على «عمون/عمين»: ﴿بَل هُم في شك منها بل هُم منها عَمُون﴾ النحل/66. ﴿وأغْرقْنا الذين كذَّبوا بآياتنا إنَّهم كانوا قوماً عَمِين﴾ الأعراف/64 و«أعمى» على «عميان»: ﴿والَّذين إذَا ذُكِّروا بآيات رَبِّهم لم يخرُّوا عليها صُمًّا وعُمياناً﴾. الفرقان/73.

وعلى «عُمْي»: ﴿أفأنت تهْدي العُمْيَ ولَو كانوا لاَ يبْصرون﴾. يونس/43.

26) قارن القرآن الكريم: ﴿ونَجعلُهم أئمَّة ونجعَلهم الوارثين﴾. القصص/5 أي نجعلهم سادة.

27) لا يقال: الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب، بل الذي لا يكتب فقط. ذلك لأن «القراءة» (قرأ، يقرأ، إقرأ) من جذر آخر بمعنى: رفع صوته، صاح. و«الأمي» يستطيع أن «يقرأ» (يرفع صوته بالقراءة لما حفظ مثلاً دون أن يستطيع الكتابة).

هنـا تمتـزج المسـائل. لكن الثابت أن ثمة صلة قوية بين «أمة» (شعب) و«أُمِّية» (الجهل بالكتابة). و«أمة» في الأكادية هي «أُمّو» (قارن في العربية : أُمّة = أمّ). وهي «ع م ت» الكنعانية (عامّة) وهي «ع ء م و» المصرية.

«قيل للعرب الأميون لأن الكتابة فيهم عزيزة».

وهـذا هوالتـطور الأخـير لدلالة «أُمّي». وقد ورد في القرآن الكريم : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ الْأُمِّيَّ﴾. الأعراف/157.
﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ﴾. الأعراف/158.

وقد أخذت صفة «الأمي» بمعنى **الذي يجهل الكتابة**، استناداً إلى قوله تعالى :

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ البقرة/78.

و«الكتـاب» هنـا بمعنى «الكتابة» وليس المقصود الكتاب التوراة أو الانجيل وما سبق من كتب الـرسـل. **ولكن هذا لا يمنع أن تكون «أمي» نسبة إلى تسمية أطلقت على شعب ما، يسمون «الأميين»**. وقد ورد في الكتاب العزيز :

﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ﴾ آل عمران/20.

و«الكتاب» الذي أوتوه (أعطوه) هنا ـ فيما نرى ـ مقصود به التوراة والانجيل، أي اليهود والنصارى (قارن : ﴿آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾، ﴿آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ﴾، ﴿آتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً﴾، ﴿آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾، ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾، ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ واليهود خاصة باعتبارهم كانوا مجتمعاً معروفاً، عرقياً ودينياً، في المدينة على وجه الخصوص والحجاز عامة.

كمـا ورد :

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ﴾. (الجمعة/2).
﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي **الْأُمِّيِّينَ** سَبِيلٌ﴾. (آل عمران/75).

وكلمـة **«الأميـين»** هنـا تميز فريقاً معيناً من البشر عن اليهود، الذين كانوا يدعون غيرهم «أوميم» أي «الأمم»[28] ـ كما تعرَّب ـ وهي مقابلة للعربية «أُمِّيِّين» («ـ يم» («ـ يم») في العبرانية = «ـ ين» في العربية، علامة الجمع). كما أن «قوييم» تطلق على غير اليهود (الشعب/الشعب المختار) وتترجم إلى «أقوام». ونرى أن هذه الترجمة غير موفقة فإن «قوييم» جمع «قُوْيْ» في العبرانية، وهي تقابل

28) الانكليزية gentiles وأصلها اللغوي genes ـ عربيتها : جنس ← أجناس. أصبحت علماً. هذا غير مستغرب، فإن الاسم الذي يطلق على أهل جزر الكناري الأصليين (وهم ليبيو اللغة والكتابة) هو guanche (بمعنى : قوم، جنس) وهو تحريف لـ«جنس» العربية.

العربية «قَويٌّ». وقد أطلق العبرانيون «قوييم» على من حاربوهم في فلسطين فهي بمعنى «**الأقوياء**» (= عناقيم/عناقيين) مما يعيدنا مرة أخرى إلى معنى القوة في «أوميم» (الأميين) كما وجدنا معناها في الجذر العربي «أم/أمم».

«الأُمّيّون» إذن تسمية، أو اسم علم، والأسماء عبارة عن صفات أصلاً، نشأتها الأولى بمعنى «**الأقـويـاء**» (العماليق/العمالقة/الطوال/العُمم/العامِّيون) وفيها معنى السيادة والعزة (أمة/إمام/أئمة). جذرها «أم/أمم»، وهو نفس الجذر «عم/عمم» - وفيه معنى الكثرة والوفرة، الكثرة الغالبة (عمم/عامٌ/عميم/عَمَّ، يَعُمُّ عامَّة. الكنعانية «ع م ت» = ناس، بشر كثيرون، الغالبية العظمى).

وقد تطورت الدلالة إلى معنى عدم المعرفة (**عامي/عامة**) صفة ألصقت بغير أهل المدينة، أي أهل الصحراء، البدو غير العارفين بالكتابة. وهي في المصرية «ع ء م و» ᶜa m w.

إن كانت القضية اتضحت في ذهن القارىء فإن النتيجة هي القول بأن «ع ء م و» هي بالضبط «**الأمّيّون**» = العرب.

هل نمضي شوطاً أبعد؟

لقد جمعت المصرية في كلمة واحدة بين «**عم**» ᶜm و«أ م» a m (وقد رأينا أنهما تفيدان المعاني ذاتها) فأسمت ما ترجمه «بدج» (المعجم، صفحة 122): «شعب آسيوي» an asiatic people فقالت: «ع م - أ م و» ᶜM-a m w.

ونكافئها: عامّة الأُم/عموم الأمة = «**عامة الأميين**».

وفي المصرية أيضا:

«أ م و» a m w أحد آلهة الفجر (معجم «بدج» صفحة 6).

و«**الفجر**» كما تعرف - حتماً - يأتي من المشرق، أي من بلاد «الأمو» أو «العمو» (أمم/عمم) - فنسب إليها؛ «أمّي» أو «عامي» - فلم لا يكون «أُمّي»؟

لقد كان فجراً عربياً... ولا يزال!

ن ح س و Neḥesu

هذا هو القسم الثالث من البشر، عدا المصريين، حسب أسطورة الخلق. و«**ن ح س و**» nḥsw أيضاً هم القبائل السودانية في عالم «**د و ء ت**» (طُوَى). ويترجمها «غاردنر» (Eg. Gr., p. 513): زنوج، سود.

ترجع هذه التسمية إلى الجذر «**نحس**» دون ريب - وهو يفيد السواد:

«**النُّحاس**، بضم النون: **الدخان** الذي لا لهب فيه. وفي التنزيل: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُواظٌ من نار ونُحاس فَلا تَنْتصِرانِ﴾... قال: النُّحاس: الدخان. قال الجعدي:

يضيء كضوء السراج السليـ * ط لم يجعل الله فيه نحاسا.

قال الأزهري : وهو قول جميع المفسرين. وقال أبو حنيفة : النُّحاس : الدخان الذي يعلو وتضعف حرارته ويخلص من اللهب. . .

والنحاس، بفتح النون : ضرب من الصُّفَر والآنية شديد الحمرة. . . ابن بزرج : يقولون : **النُّحـاس**، بالضم، الصُّفر نفسه، **والنِّحاس**، بالكسر، دخانه. وغيره يقول للدخان : **نُحاس**» (اللسان، مادة : نحس).

هذا هو «النُّحاس» في معناه الأصلي : الدخان = الأسود. والمقصود هنا «السودان»، جنوب مصر. وقد يكون «النِّحاس» شديد الحمرة، وهو ما ينطبق على أهل شمال السودان الممتزجة أعراقهم بين الزنج والعرب، فهم إلى الحمرة أميل منهم إلى السواد. ولا ضرورة لتتبع مادة «نحس» واستعمالها المجازي. . . كنايةً فليفعل القارىء. . . إن أراد.

وهذا السياق يذكّرنا بلفظة وردت في قاموس اللغة المصرية مرتبطة به، هي كلمة «**د ن ق**» أو «**د ن ج**» d n g وتعني «**قـزم**» (معجم «بـدج» صفحـة 883) تليها d n g بمعنى «قصور»، «نقص» (لاحظ أن «قُصور» و«قِصَر» من جذر واحد : قَصَرَ).

وقـد يكون المقابل العربي الجذر «**زنج**» بتعاقب الدال والزاي (بقراءة الكلمة «**د ن ج**»). «والزِّنج والزَّنج (لاحظ كسر الزاي وفتحه مما يرجح الإبدال الذي أشرنا إليه) جيل من السودان، وهم الزنوج». (اللسان).

لكننا نجد أن الجذر الثنائي «د ن» في العربية إذا ثلِّث أعطى معنى القِصَر (القزمية) والقصور (النقص) أو معنى الذلة والانكسار. فالجذور الثلاثية : **دنح**، **دنخ**، **دنغ**، **دنق** ـ كلها تفيد هذا المعنى. وكذلك حين يربَّع : **دنفس**، **دنقس**. وهناك : **دنب**، **دنم** = قصير. «والمرأة القصيرة : **دنقصة**».

وهناك «**دنقة**». و«**الدنقة** : **حبّة سوداء مستديرة**».

وهذا ما يذكرنا بها في اللهجة الليبية : «**دنقة**» danga التي تعطي معنى «**دنق**» dng المصرية.

هذا جائز. . . وليس ثمة ما يمنع أن تكون هذه الكلمة تطابق اسم قبائل «**الدِّنْكَا**» (**دِنْقَا**) في السودان الجنوبي (Dinka كما أخذناها عن الأوروبيين). فإذا نطقنا الحرف g في dng جيماً قاهرية كانت d (a)n g(a) أو dinka - d(i)n g(a) (بتعاقب k, g)، ووجدنا الأمر يطابق بعضه بعضاً سواء من حيث اللون (**الدنقة** : حبة سوداء مستديرة) أو القِصَر أو القصور. ولا ننس كلمة «**دانق**» العربية التي كانت تدل على «أقل» وأصغر وحدة نقود عند مقارنتها **بالدرهم والدينار**، وتجمع على «**دوانق**» و«**دوانيق**»[29].

---

29) بذا يثبت أن «دانق» عربية وليست فارسية كما هو الاعتقاد الشائع.

فإذا نطقت الجيم في المصرية d n g جيماً معطشة (ge) وجدناها في اللهجة الليبية في كلمة «**دنجال**» dinjāl ومعناها بالضبط «قزم» وتجمع على «**دنا جيل**». وقد زيدت اللام في «**دنج**» فكانت «**دنجل**» ـ مما يحدث كثيراً في العربية (عمث ـــ عمثل، عطب ـــ عطبل، عقب ـــ عقبل . . . إلخ). ومنها الفعل «**يد نجل**» أي يمشي على الأرض قصيراً كمشية القزم (وتطلق على مشي الأطفال الصغار الأجسام عادة).

هل هناك صلة بين ما ذكرناه وبين اسم منطقة «**دنقلة**» أو «**دنكلة**» في السودان ؟

جائز. فقد كانت «دنقلة» على نهر النيل عاصمة مملكة مزدهرة قبيل الفتح الاسلامي وبعده، في بلاد النوبة. وكما ترجع «**دنجال**» في اللهجة الليبية إلى «دنجل ـــ دنج» فإن «**دنقلة**» تعود إلى «دنقل ـــ دنق»، والدلالة واحدة ولا فرق إلا في اختلاف نطق الحرف g في d n g وإبداله معروف.

بمناسبة ذكر «النوبة»، يُرجع كثير من الباحثين اسم هذه البلاد إلى المصرية «**ن ب**» n b (= ذهب) إذ كان الذهب يأتي من بلاد النوبة بكميات كبيرة على مدى التاريخ القديم، فسميت به. وفي اللغة النوبية، التي تحوي عدداً كبيراً من المفردات المصرية القديمة، **يسمى «الذهب» حتى الآن «نَبْ»** nab . (متولى بدر ؛ اللغة النوبية، صفحة 5، 19، 125). ولا تزال هذه الكلمة موجودة في أسماء بعض المواقع ؛ ففي شمال السودان هناك : «**تَنُوبا**»، «**تينوبا**» وأصلها في المصرية «**ت ء. ن ب**» Ta. n b (أرض الذهب). (نفس المصدر، صفحة 33). وفي مصر : «**كوم أمبو**» (شمال أسوان) بمعنى : مرتفع امبو. من «**أَمْبِي**» Ombi التي هي تحريف لاسمها القديم «**ن ب ي ت**» n b y t (الذهبية). (معجم «فولكنر»، صفحة 125).

والواقع أن الجذر «ن ب» n b في المصرية ذو مشتقات كثيرة منها ما يدل على **مرتفع الأرض، أو الشرف المادي والمعنوي، ومنها ما يدل على ارتفاع ألسنة النيران، كما يسمى «السيد» (الشريف، الرفيع) كذلك** «ن ب». ونلاحظ أن جملة المشتقات من هذا الجذر تفيد **الارتفاع**، مادة ومعنى. ويبدو أن «**ن ب**» (بمعنى : ذهب) ومشتقاتها جاءت من «**ن ب**» بمعنى : لهب النار الأحمر الساطع المرتفع (قارن العربية : لهب/ ذهب ـ بتعاقب اللام والذال المعجمة التي تنطق «دهب» دون إعجام). فماذا عن العربية ؟

هناك : «**نبأ**»: ارتفع. «**النبأة**» : الصوت. **نَبَّأ** : أخبر (ارتفع صوته). ومنها : **النبيء** : المخبر، المتكلم. **والنبيُّ** ـ وقيل إنه مشتق من **النباوة** وهي الشيء المرتفع.

وهناك : «**نبب**» : ارتفع صوته. ونَبَّ : تكبَّر (ترفَّع).

وكذلك : «**نبت**» (ارتفاع النبات على الأرض)، «**نبح**» : صاح بصوت مرتفع، ومثلها : «نبخ». ومن «**نبخ**» : **النبخاء** : الأرض المرتفعة. وفي الكلام : «**النبر**» : ارتفاع الصوت (ومنه «المنبر» الذي يقف عليه الخطيب مرتفعاً رافعاً صوته). و«**النبس**» : الكلام (ارتفاع الصوت)، و«**النبص**» : الصوت. و«النبط» : ارتفاع الماء من البئر، وكذلك «**نبع**» ومثلها «**نبغ**» (بالمعنى المادي، والمجرد : نبغ = برز وظهر بين أقرانه). و«**النبكة**» : الأكمة والرابية. وتفيد «**نَبَلَ**» معنى

«نبغ» أي كان ذكياً(لاحظ أن **الذَّكاء** ذو صلة بـ «ذُكاء» = الشمس / الالتهاب، التوقد، الارتفاع. ومن ذلك: أذكَى النارَ، أي أوقدها وزاد في لهيبها). و«**نبه**»: قام (ارتفع) وعلا ذكره. حتى تصل إلى «**نبو**»: **النَّبْوة**: الارتفاع، وهي **النباوة**. **والنبيُّ**: ما ارتفع من الأرض. **والنبيُّ**: العَلَم من أعلام الأرض (المرتفع). «وفي الحديث: **لا تصلُّوا على النبيِّ** - أي على الأرض المرتفعة المحدودبة». وفي هذه المادة «**نبو**» من الدلالات ما يقابل «ن ب» المصرية تماماً.

وقد يحب القارىء الاستزادة في هذا الباب، فنأخذه إلى مادة «**نبط**» وفيها ورد إلى جانب معنى الارتفاع:

«**والنبيط والنَّبطَ**، كالحبيش والحبش في التقـدير: جيلٌ ينزلون السواد. وفي (المحكم): ينزلون سواد العراق، وهم **الأنباط** والنسب إليهم **نبطي**. وفي (الصحاح): ينزلون بالبطائح بين العراقين... رجل نَبَطِي ونَبَاطي ونباطٍ مثل يمني ويماني ويمانٍ». إلى آخر ما جاء تحت هذه المادة في (اللسان).

وينبغي ألا نفهم من هذا أن «النبط» اسم خاص اطلق على من ينزلون «سواد» العراق، أو البطائح بين العراقين، فإن في بقية المادة ما يشير إلى أن «**النبط**» **تعبير أطلق على من كان غير عربي قح بإجمال**. ولا ننس أن «النبطيين» (أو «الأنباط» أو حتى «النبط» - بالأنكليزية Nabatians) كانوا عرباً أقاموا حضارة معروفة في ما يسمى «البتراء» (من Petro(s) اليونانية = حجر، صخر. وعربيتها: سلع)[30] - وهم الذين تطور من حرفهم القلم العربي الذي نستعمله اليوم. ويبدو أن كلمة «**النبط**» كانت عامة حتى لقد استعملت في موقع لا يتوقع، فقد ذكر البكري في كتابه (المسالك والمهالك) عند حديثه عن مدينة اجدابية في صحراء سرت أنها «مدينة كبيرة في الصحراء، أرضها صفا (= صخر) وآبارها منقورة في الصفا (الصخر)... وأهلها ذوو يسار **أكثرهم أنباط**»[31].

المثير أن يضيف ابن منظور في مادة «**نبط**»:

«**وعِلْكُ** الأنباط هو الكامان المذاب يُجْعَل لزوقاً للجرح».

فما هو هذا «الكامان» ؟

---

30) الأرجح عندنا أن «النبط» (= النبطيين، الأنباط) سُمُّوا كذلك لأنهم سكان مرتفعات صخرية، تماماً كما سميت «النوبة» (= نوبت/ن ب ت = ن ب ط). وليس لأنهم كانوا «يستنبطون الماء بواسطة الآبار» كما هو شائع بين أغلب الكتاب.

31) أنظر: نجم وعباس؛ ليبيا في كتب الرحلات، صفحة 29. وقد أثبت المحققان كلمة «أنباط» على شكل «**أقباط**» بالقاف بدلاً من النون وفعلا الشيء نفسه في نقلهما النص ذاته من كتاب (الاستبصار) - ص 58. ولا يستقيم أن يوصف أهل أجدابية بأنهم «أقباط» بل الصواب أن يوصفوا بأنهم «أنباط» مما يتفق وسياق بقية الجملة: «... **وبها نبذ من صرحاء لواتة**». فكأن «الأنباط» هنا تعني أن «عامة» أهل أجدابية «وسوادها» لم يكونوا من صرحاء الأصول المتميزة وقتها، بل هم مزيج عام.. إلا أن بها نبذاً من صرحاء لواتة.. كما قال.

إننا نرجح، ما دام وصف بأنه «علك» الأنباط، أنه ما نسميه الآن «**الصمغ العربي**» وهو الذي يخرج من أشجار الصمغ الشهيرة به منطقة شمال السودان، أي بلاد «الأنباط». (**علك الأنباط = علك النوبة**). أما اسمه فهو «الكامان». . وعندنا أنه من المصرية التي نقرأ في قاموسها :

«**ق م إ ي ت**» qmiyt : صمغ عربي.
«**ق م إ ي**» qmiy : سائل يُعدّ من مادة الصمغ العربي.
ق م إ ي. ت. ن ت. ع ن ت ي : qmiy.t.nt.ānty : صمغ شجر المرّ.
«**ق ء م إ ي**» qamiy : نبات زيتي.
«**ق م إ ي**» qamiy : دهان، ضرب من اللزوق.
(أنظر : معجم «بدج»، صفحة 771، 763، 802).

والجذر في هذه المشتقات هو «ق م» qm (كما ورد بنفس المعنى : «ج م» gm - بدج، صفحة 802). وقد أخذته اليونانية بالكاف فكان فيها «كُومْيٌ» Kommi ونقلته اللاتينية في صورة gummi، فكان في الفرنسية القديمة gomme وفي الأنكليزية gum (صمغ، علك/مطاط). وفي عصرنا هذا يسمى العلك الذي يمضغ في الانكليزية : gum أو Chewing-gum (وتدمج الكلمتان Chewingum) وفي الفرنسية[32] gomme a macher وفي الألمانية Kaugummi وفي الايطالية Gomme da masticare وفي السويدية Tugummi وفي اليدِّيَّة (لغة يهود أوروبا الشرقية) Koygume. والأصل فيها جميعاً المصرية : gm/qm = صمغ، لبان، علك. وقد أبدلت q وg في العربية كافاً كما فعلت اليونانية (Kommi) فكانت في العربية «كم» ومنها «**الكمان**» الذي هو «**علك النبط**» (أي : كمان النبط — كم النبط = المصرية : «ق م. ن ب. ت» qm.nb.t[33].

أما وقد عدنا إلى «نبط» من جديد، فهل ننسى مملكة (أو بالأحرى : ممالك) «**نباتا**» Nabata - وهي النقحرة الأوروبية للعربية «**نبط**» - التي نشأت حوالي 1600 ق.م. واستمرت حتى 308 ق.م. وكان لها صلات وعلاقات مع المصريين والليبيين في التاريخ القديم، كما كان لها صولات وجولات؟ أليست هي مملكة «**نبط**» بذاتها؟

وليس مجالنا دراسة التاريخ هنا، فلنحدده بدراسة الألفاظ والمفردات. وقد ذكرنا أن بعض الباحثين قالوا إن «النوبة» (نبطة ؟) سميت كذلك لأن الذهب (في المصرية «ن ب») كان يأتي منها. لكنني لم أعثر، في ما بين يدي من مصادر ومراجع، على اسم بلد النوبة بالتحديد في الجذر «ن ب» ومشتقاته. وقد يكون ما أشير إليه من مسألة «الذهب» صحيحاً، فعربية «**ن ب**» (ذهب) هنا من

---

32) تُترجم الفرنسية macher والايطالية masticare (قارن : mastica = لبان عمت) والانكليزية masticate إلى اللاتينية mastichum وهذه من اليونانية mastikhé، وهذه في العربية «مصطكى» (اللهجة الليبية : مسْتَكَة). ونرجعها كلها إلى العربية «مَضَغَ»، «يمضغ»، «مَضْغ» ← «مَضْغَة»/«مَضِيغَة».

33) يسمى شجر الصمغ في السودان اليوم : شجر «الدوم» (جذرها : «دم») ألا تكون الدال هنا إبدالاً للقاف في المصرية، كما أبدلت في اليونانية كافاً وفي اللاتينية جيما.. إلخ؟!

الجـذر العربي الثنائي «نب» الذي سبق بيان ثلاثياته التي تؤدي إلى معنى الارتفاع والعلو ورفعة الشيء مادياً ومعنوياً ـ وقيمة «الذهب» العالية معروفة منذ القديم . وقد تقابل «ن ب» العربية «لهب» - بإبـدال الـلام نونـاً وسقوط الهاء ـ بمعنى ألسنة النار المرتفعة (المصرية «ن ب» أيضاً = لهب) بالاضافة إلى لونه الشبيه باللهب (قارن : أبو لهب = الأحمر الوجه) . ولا يمنع هذا من أن تكون تسمية «النـوبـة» جاءت من أنها أرض مرتفعة عالية (المصرية «ت ء. ن ب» t a.n b = الأرض المرتفعة . عربيتها : **الطية النابية أو : الطيَّة النبيَّة/ النبيئة**) . ولا جدال في ارتفاع أرض النوبة ـ التي ينحدر منها النيل ـ على أرض مصر.

ومهما يكن الأمر، فإن المسألة هنا مجرد تخريج ، ولا أجد نصا قديماً مصرياً يحدد بالضبط لماذا سميت «النوبة» كذلك ـ فهي في المصرية تسمى : «إ ء ح س» i a ḥ s و«ك ش ت» k š t و«إ ك ش» i k š (كوش) وليس في الجذر «ن ب» ومشتقاته ما يدل على بلد بعينه . ولعل تسمية «النوبة» جاءت متأخرة بمعنى «بلاد الذهب» أو «الأرض المرتفعة» يقابل كليهما في المصرية «ت ء. ن ب» T a. n b (ومنها اسم الموقع في شمال السودان : تَنُوبَا، تِينُوبَا، ثم صارت «نوبا» (← نوبة ← النوبة) . وهي العربية : نبط (= نبت).



الغرب شــرق.. والشرق غــرب

حتى بعد توحيد القطرين ظلت مملكتا الشمال (الدلتا) والجنوب (الصعيد) تتمتعان بشيء من الادارة المحلية شبه الذاتية، وكانت مصر الموحدة تنقسم إلى مجموعة من الأقاليم (تشبه «البلديات» أو «المحافظات» في نظمنا المعاصرة) لكل منها اسمها وشعارها الدال عليها.

وكانت «الدلتا» تقسم إلى إقليمين رئيسيين، غربي وشرقي، يضم كل منهما جملة من «المقاطعات»[1]، يسمى الأول منها: «إ م ن ت» imnt والثاني «إ أ ب ت» iabt. وإليك تحليل كل منهما:

1) «إ م ن. ت»: الدلتا الغربية، ثم صارت الكلمة تطلق على «الغرب» عموماً - أي ليبيا - كما تعني (جهة الغرب) في مقابل (جهة الشرق). ولما كان المصريون القدماء يعتقدون أن الأرواح عندما تفارق أجسادها تمضي ناحية الغرب، وهي في عمومها صحراء، فقد تطورت الكلمة لتعني «أرض الأموات» (الآمنين؟ أرض الأمن والطمأنينة والسكون؟). وكان تعبير «ب أ و - إ م ن ت» Baw-imnt يعني «أرواح الغرب» = الأرواح الميتة (الغاربة)[2]. في الوقت نفسه دلت «إ م ن» imn على الجانب الأيمن، ما ضاد الشمال، كما دلت على الوصول، الاستقرار، الراحة... إلخ. وهي ذاتها جذر اسم المعبود الذي نعرفه بصيغة «أمون» (= الخفيّ). وفي «معجم بدج» (ص 51-54) هذه الدلالات كلها، ومشتقاتها الكثيرة. فما هو السر في الجمع بين هذه الدلالات؟

السر، ببساطة، يكمن في أن المصري القديم كان في تحديده للجهات الأربع يتجه صوب منبع النيل الذي يقدسه، فما كان يواجهه فهو «ر س و» r s w (= الجنوب) وما كان وراء ظهره فهو «م ح و» mḥ w (الشَّمال) وما كان عن يساره فهو «إ أ ب ت» i a b t (الشرق) وما كان عن يمينه فهو «إ م ن ت» i m n t (الغرب)[3]. وعربي الجزيرة كان يتجه صوب مطلع الشمس، فما كان عن يمينه فهو «اليَمَن» وما كان عن شماله فهو «الشأم» (تحولت بالترخيم إلى: الشام، ولاحظ الجمع «شآم»

---

1) تسمى في اليونانية nome وفي المصرية «ح س ب» hsp. قارن العربية: «حزب» جزأ، قطع ← مقاطعة. وفي اللهجة المصرية المعاصرة: «عِزْبَة» = مزرعة، حقل كبير، منطقة زراعية. وتطلق «عزبة» على «القرية» كذلك.

2) أنظر التفصيل في: Moret ; the Nile Civilization ص 73 وما بعدها.

3) راجع تحليل «ر س و» و«م ح و» في (قصة الخلق المصرية) في ما سبق.

وهو ضد «اليُمْن» إذ كان التبرك باليمين منذ القديم)[4]. ومن الواضح أن «**اليَمَن**» سمي يَمَناً إذ جاء في جهة «اليمين» (وهو في الواقع في الجنوب). بينما سمي «الشرق» كذلك لأن الشمس تشرق منه، و«الغرب» سمي غرباً لغروبها فيه.

الياء في «اليَمَن» و«اليمين» تبدو وكأنها مقلوبة عن الهمزة في «أمن» ومنها «الأمان» و«الأمن» = الطمأنينة، الراحة، الاطمئنان. وفي «الأمن» معنى بلوغ الغاية والاستقرار[5]، كما أن في «أَمِنَ» معنى الاخفاء والستر (الايمان).

لاحظ أن التاء في «إ م ن ت» المصرية للتأنيث. الأصل المذكر هو «إ م ن»، والهمزة المكسورة هي في الواقع صوت شبيه بالياء غير المشبعة ترسم في الهيروغليفية وكثير من علماء المصريات يرسمها هكذا (i̯) وليس (i) كما يفعل «بدج». وسهل انقلابها إلى ياء - كما حدث في العربية بالضبط. فهي «**ي م ن (ت)**» = الغرب، ليبيا. فهي «**اليُمْنة**»، «**اليَمْنة**».. «**اليَمَن**» بالضبط.

2) «إ أ ب ت»: في معجم «بدج» (ص 18 - 19) تأتي هذه القائمة:

«**إ أ ب ي**» iaby: اليسار، الناحية اليسرى.

«**إ أ ب ي. ت**» iaby.t: يد «رع» اليسرى.

«**إ أ ب. ت**» iab.t: الشرق. والصفة: «إ أ ب ت ى» iabty = شرقي.

«**إ أ ب. ت**» iab.t: الريح الشرقية (في اللهجة الليبية المعاصرة: شرقي).

«**إ أ ب ت ت**» iabtt: الشرق، ناحية الشرق.

ونرى من هذا أن «إ أ ب» iab تعني: الشرق، كما تعني: جهة اليسار، أو الشِّمال (بكسر الشين). ويقارنها «بدج» بالقبطية eieb(t) بمعنى «شرقي». وقد ذكرنا أن «إ أ ب ت» (مؤنثة) أطلقت في النصوص المصرية على مقاطعات شرقي الدلتا، لكنها ما لبثت أن صارت تعني «شرقي» دون تخصيص. ومن الثابت أنها كلمة قديمة جداً وجدت في (نصوص الأهرام) كما وجدت في مخلفات الأسرة الخامسة[6]: «إ أ ب ت» iabt وتظهر في كل المشتقات المتصلة بكلمة «**شرق**» و«**يمين**» (أنظر مثلاً: معجم بدج - ص: 18). **áab-t**

لتحليل هذه الكلمة:

التاء في هذه الكلمة للتأنيث، ويبدو أنها تستعمل للدلالة على الجماعة كذلك[7]. الأصل هو

---

4) قارن الشيء نفسه في الانكليزية: (right) = يمين، صواب، والفرنسية: (droit) = يمين، صواب، شرعي، حق. وفي القرآن الكريم «أصحاب الميمنة» هم الأخيار، بينما نجد «أصحاب المشأمة» هم الأشرار.

5) قارن القرآن الكريم: ﴿فَأَجِرْهُ حتَّى يَسْمعَ كلامَ الله ثُمَّ أبْلِغْه مَأْمَنَهُ﴾ (التوبة، 6).

6) أنظر Moret, the Nile Civilization, pp. 77-79، وقارن: Champollion ; Principes Généraux de l'écriture Sacrée Egyptienne, p. 97.

7) قارن اللهجة: الصَّيادة، جمع صياد / الحـدَّادة، جمع حدَّاد / الحوَّاتة، جمع حوَّات، الخبَّازة، جمع خبَّاز. وفي الفصحى: النقالة، الرحالة، الجوالة - جمع: نقال، رحَّال، جوَّال (صيغة: فعَّال / فعَّالة). وهناك: السابلة، جمع سابل: عابر السبيل. قارن: العرب البائدة، العاربة، المستعربة. الصفة هنا تبدو مفردة مؤنثة مع أنها صفة للجمع والمفروض أن تتبعه. وقارن كذلك: المعتزلة، الباطنية، النابتة.. إلخ

«إ أ ب» iab . وقد لاحظنا أن الهمزة المكسورة في المصرية مبدلة أحياناً كثيرة من الهمزة المفتوحة (قارن : «إ م ن» = أمن. وقارن اللهجة المعاصرة : إنْتَ، إنْتِ، إنْتم = أنْتَ، أنْتِ، أنْتُم). فهي إذن «أ أ ب» aab بهمزتين مفتوحتين[8].

أما الهمزة الأولى فهي مبدلة من العين (أ = ع) وهي لغة معروفة أن تبدل العين همزة، وكثيراً ما يحدث هذا في المصرية، فنجد : «ك أ ب» = كعب، «إ ن ق» (حضن) = عَنَق، «ج م أ» (ضَمَّ) = جَمَع، وغير هذا كثير. (أنظر Ember ; 3, D) بل كثيراً ما تسقط هذه العين تماماً (قارن الحديث عن «ر ب و» r b w). والعربية تبدل العين همزة[9] في أحوال كثيرة، ومن ذلك مثلاً كلمة لصيقة بما نبحث فيه، إذ يقال «**الأربان**» لغة في «**العُربان**»، و«الأربون» لغة في «العَربون» (اللسان، مادة «**أرب**»). وأما الهمزة الثانية فهي مبدلة من الراء، ويقدم الأستاذ «امبير» (Ember ; 3, B) خمسين كلمة أبدلت فيها الراء في العربية همزة في المصرية، من مثل :

«ب أ ك» = بَرَكَ، «ش أ ع» = شَرَعَ (بدأ).
«ج أ م» = جِرْمٌ، «ق أ ق أ» = قرقر < قرقور (سفينة طويلة).
«و أ خ» = ورخ (قمر) «ع أ ب» = غرب (نوع من الشجر)[10].

على هذا الأساس فإن كلمة «إ أ ب» iab تحلل كما يلي :

1) إ = أ (a ° i) = ع.
2) أ = ر (r ° a).
3) الباء (b) أصيلة.

«إ أ ب» iab = ع ر ب» ᶜr b.

«إ أ ب ت» iabt «عربت»/«عربة» ـــ عروبة (الواو هنا حرف صائت لا يوجد في المصرية ذات الصوامت).

بذا فإن هذه الكلمة التي تبدو في البداية غريبة تتضح أمامنا مستعملة في نصوص من أقدم الآثار المصرية هي «عربت/عروبة» أو «العربية»[11] (أي بلاد العرب = الجزيرة) ما كان «شرقي»

8) يؤيد ما نذهب إليه أن «شامبليون» يقرأ الكلمة بشكلين : iebt, eibt ويقارنها بالقبطية في هاتين الصورتين (Principes Généraux... p. 97).

ويقرر Lacau أن «إ» (= ī, j, y, i) تبدل من الهمزة المفتوحة «أ» (= a, ꜣ) في كثير من الحالات. أنظر مؤلفه Etudes d'égyptologie, pp. 29-41.

9) هذا ما يسمى (عنعنة تميم)، أنظر : أحمد تيمور : **لهجات العرب**. وفي الأكادية عادةً تقرأ الهمزة عيناً لمكافأتها إياها.

10) عن إبدال الراء همزةً في المصرية قارن كذلك P. Locau ; Etudes d'Egyptologie, p.13 حيث يقدم أمثلة منها : «ك أ م» (عنب) = كرم، «ق أ ب» (جوف) = قرب < قراب، «ع ى أ» (حمار) = عير، «ب ك أ» (صباح) = بكر < بكرة / بكور.

11) **في الانكليزية اليوم Arabia = (الجزيرة) العربية. وفي الفرنسية : l'arabie (= العربية). وفي اللغات الأوروبية المعاصرة الناقلة عن اللاتينية : Arabia Felix تترجم : «العربية السعيدة» = اليَمَن، (واليمن من اليُمن = السعادة) وقولنا «اليمن السعيد / أو السعيدة» تكرار لا معنى له.**

مصر، فصارت تعني الشرق عموماً ـ وهذا تفسير العلماء الأعاجم ـ كما تعني جهة اليسار في مقابل «إ م ن ت» = اليمين، اليَمَن (= الغرب).

ولا غرابة. فلا يزال وادي «عَرَبة» في فلسطين حتى يومنا هذا، وهو وادي العرب أو العروبة، أي: العربان.

هذا هو التفسير المنطقي الذي نراه.

إضافة:

يذكر الأستاذ «موريه» أن من ضمن مقاطعات الدلتا الشرقية «إ أ ب ت» إقليماً مسيطراً يسمى Anzti (والرسم منقول بشكله الذي أورده) يسمي باسم مدينة تُسَامِتُ مدينة «سا» (سائيس = صا الحجر) تدعى Anzti كذلك، وقد سميت المدينة بهذا الاسم ذكرى لزعيم قديم أُلِّه يسمى أيضاً Anzti . قال: «وزعيم هذه المملكة (الاقليم/المدينة) «أنزتي» يمثل مظهراً شخصياً للغاية. فهو الوحيد من بين شعارات الأقاليم الذي له صورة بشرية. في الأزمنة العتيقة يمثل «أنزتي» رجلاً واقفاً مقدماً رِجْله اليسرى وعلى رأسه ريشتان متساوقتان، ويدٌ ترفع عكازة الراعي علامة على السلطة بينما تحمل الأخرى سوط قطيع الأبقار أفقيًّا. لكنه في (نصوص الأهرام) يبدو مختلفاً. ففي هذه النصوص كانت شخوص البشر والحيوانات تقطع على أساس الخشية من عودتها إلى الحياة وإظهار عدائها للانسان الفاني. وعليه فإن «أنزتي» صور في نصف شخصه فقط، مغروزاً على عمود ـ وهو خاصية شعارات العصور العتيقة ـ دون حتى مجرد الركيزة المعتادة تحته. إنه شكل مفزع، فوق قطعة أرضه المربعة، كأنما هو (فزاعة) في حقل. ولعل هذا أقدم صورة بشر حاكم خلفه لنا تاريخ مصر.

من مظهره يبدو «أنزتي» أقدم كثيراً من ملوك «ثانيت». ويشير شكله وصفاته ووقفته المسيطرة إلى أنه بطل إنساني أُلِّه. وفي صورته المركزة **هذه فإن الاسم ذاته الذي حمله معبر**: «الحامي» «المانع» أو «**راعي الناس**»، الذي قاد أهل مملكته كما كان يقود قطعانه بالعكازة والسوط.

ولقد اختفى «**أنزتي**» من النصوص الدينية والتاريخية بعد عصر الأهرام، فلا يظهر اسمه في قوائم المقاطعات الشمالية إلا على شكل شعار للأقليم التاسع. لماذا؟ لأنه استبدل، في مقاطعته وفي كل مكان آخر، بإلـه يستحوذ على مقاطعته وعلى اسمه... هو (أوزيريس)»[12].

ما يهمنا من هذا النص كله هو الاسم «**أنزتي**» Anzti ، اسم الملك المؤلَّه، والذي أطلق على الاقليم وعاصمته. إذ يشير الأستاذ «موريه» في الهامش (ص 79) إلى أن Anzti مشتقة من الجذر «ع ن ز» Ânz[13]، «ع ز» Âz (الكون في حالٍ طيِّبة to be in good condition). واسم الفاعل، مع

---

12) Moret ; the Nile Civilization, p. 79

13) في معجم «بدج» (ص 128) ântch (= ᶜnz) : قوي، شديد، ثابت، مكين، ملك. وبقية المشتقات كلها تدور حول الملك والحكم والقوة، كما تدور حول: النور، الضياء (الآتي من الشرق، أي «الاشراق». والاختلاف في النقحرة يعود إلى الرمز الهيروغليفي ... الذي لم يتفق اثنان من علماء المصريات على مقابله الصوتي، ونجده يقابل =

التعريف (وزيادة) ti ستعني : (ذاك الذي يستمر في حال طيبة He who keeps in good condition ـ «الحامي» (المانع) « protector ».

أليست هذه هي «عز» و«عنز» العربية ؟

في مادة «عزز» : العزيز[14] ؛ الممتنع فلا يغلبه شيء ، وهو القوي الغالب . ومن ذلك : العـزة = المنعة . والعِز : القوة والشدة والرفعة والامتناع . وهي مادة طويلة ، فلتراجع . وتزاد ميماً فتكون : مَعَز . والمَعَزُ : الشدة (وفي حديث عمر : اخشوشنوا وتمعززوا ، أي اشتدوا وتصلّبوا) . ويبدو أن النون في «عنز» زائدة كما زيدت الميم في «معز» (والعنز : الماعزة ، وهي الأنثى من المِعْزَى) . ومعـروف أن أسماء عدد كبير من الحيوان تفيد القوة والشدة ، وهي تتخذ أسماء أو ألقاباً للرؤساء والزعماء . بقايا من المرحلة الطوطمية ، أي عبادة الحيوان ، كما هو ملاحظ .

في مادة «عنز» كذلك أن «العَنْز» اسم قبيلة من هوازن . قال الشاعر :

وقاتلت العنْزُ نصف النهـــا * ر ثم تـولـت مع الصـــادر

قال ابن منظور :

«وعنز : اسم رجل ، وكذلك ؛ عناز . . . وعَنَزَة وعُنَيْزة : قبيلة من العرب ينسب إليها فيقال : فلان العَنَزي . وعنيزة في البادية موضع معروف . وعَنَزَة : أبو حيٍّ بن ربيعة ، وهو عَنَزة بن أسد ابن ربيعة بن نزار ، وعنيزة : موضع» .

وهذا كله ينطبق على Anzti (أنزتي = عنزتي) اسم الحاكم ، والاقليم (القبيلة) والموضع (المدينة) .

ونـلاحظ أن اسم «الْعَنْزَة» (= عَنَزة) اسم قبيلة موجود حتى يومنا هذا في أطراف الجزيرة العربية الشمالية الشرقية ، وفي الجهات الشرقية من ليبيا ، والنسبة إليها «الْعَنْزي»[15] . لكن هذا الاسم قديم في العربية قدم (نصوص الأهرام) والأسرة الفرعونية الخامسة ؛ إذ كان اسم امرأة من «طَسْم» كان لها دور في القصة المشهورة بين «طسْم» و«جديس» (من العماليق = العرب البائدة ، معاصرين لنصوص الأهرام والأسرة الخامسة ؟) وهو كذلك اسم «زرقاء اليمامة» المعروفة في الحادثة ذاتها . (اللسان ؛ مادة : عنز) .

= في العربية : الزاي ، والصاد ، والطاء ، وقد يقابل الجيم المعطشة . وينقحره الغربيون : dj, tch, d . . إلخ (أنظر مبحث : الأصول العربية لرموز الهجاء الهيروغليفية ـ في هذه الدراسة) . ونلاحظ في قاموس المصرية أن : عنز ، عنت ، عند ، عنس ، عنق ، تفيد القوة في مجملها . وهذا هو الحال في العربية كذلك .

14) «العزيز» في القرآن الكريم لقب الحاكم المصري الذي اشترى يوسف بن يعقوب . وكثير من الدارسين يذهبون إلى أن مجيء يوسف إلى مصر كان في عصر من يعرفون باسم «الهكسوس» ما بين القرنين التاسع عشر والرابع عشر ق . م . وهم عرب (أنظر الحديث عنهم في هذه الدراسة) جاءوا من الجزيرة ، فلا يستغرب استعمال «العزيز» لقباً لديهم ، من الجذر «عز(ز)» ، كما هو الحال في الأمر الذي نبحثه الآن .

15) وقد تصغّر «العَنيزي» .

هذا كله، وقد أوردناه مختصراً جداً، يرينا مبلغ الاتفاق بين ما كان في شرق الدلتا وما كان في الجزيرة العربية في قديم الزمان. لكن ثمة شيئاً آخر مثيراً لا يمكن إغفاله، أعني صورة شعار إقليم «أنزتي» (عنزة) كما خلفته لنا الآثار المصرية ؛ وهو عبارة عن رمح مزيّن، علماً أو ركيزةً (أنظر : Gardiner ; Eg. Gr. p. 502) . (وقارن : De Buck ; p. 185) ويذهب «موريه» (ص 77) إلى أن هذا الرمح، شعار الشرق وإقليم «أنزتي»، قد يكون من المعدن، نظراً لوجوده في الشرق. والملاحظة المهمة في شكل الرمح / الشعار أنه يبدو **نصف** رمح وليس رمحاً كاملاً كما هو ظاهر من الصورة. فلنعد إلى مادة «عنز» في (اللسان).

و«**العَنَزة** : عصاً في قدر نصف الرمح أو أكثر شيئاً فيها سنان مثل سنان الرمح[16]. وقيل : في طرفها الأسفل زُجٌّ[17] كزُجِّ الرمح يتوكأ عليها الشيخ الكبير. وقيل : هي أطول من العصا وأقصر من الرمح، والعكازة قريب منها».

لعل الصورة اتضحت الآن أكثر مما سبق. ونضيف أن هذا الشعار الذي يرمز لاقليم «**أنزتي**» Anzti هو ذاته الذي يرمز للشرق.

«ت ح ن و» Ṯḥnw

تسمية أطلقت في النصـوص المصرية على مجموعة من القبائل كانت تتحرك شمال النطاق الزنجي حتى «الغزوات الكبرى» أواخر القرن الثالث عشر ق. م. وإليهم ينسب (شيشنق الأول) مؤسس الأسرة الثـانية والعشرين أوائـل الألف الأول ق. م عن طريق جده الأعـلى الذي يلقب «**ت ح ن** بويواوا» رغم أن شيشنق هذا كانت يلقب «رئيس **المشوش** العظيم» مما يشير إلى اختلاط القبائل الليبية القديمة وتداخل أنسابها.

النقحرة المعتادة هي «**ت ح ن**» T ḥ n (بالتاء المثناة) بيد أن الاسم في الرسم الهيروغليفي يبدأ بالرمز التي اتفق على أنه يمثل الثاء المثلثة[18]. وهذا ما يسمح بأن يكون طاءً عن طريق الابدال (والطاء عبارة عن تاء مضخمة) ويؤيد هذا أن بعض الباحثين يكتبه : dj, Tj [19]؛ ولعل هذا ما أدى ببعض الكتاب العرب إلى نقحرته «**طحنو**»، وهو الصواب . . جمع بالواو لـ«**ط ح ن**».

أما عن معنى الكلمة فقد اختلف علماء الغرب فيها، وإن دارت ترجماتهم لها ما بين : مشعٌّ، لامع، ساطع، ونحوها ـ كما أوردها «بيتس» : (Bright وShining و Radiant) بل حتى : أبيض البشرة أو أشقـرها (fair) ـ رغم تأكيده أن هؤلاء القوم «سمر» brun (ص 40). وعند «وينرايت»

16) يشبه ما يعرف في ليبيا باسم «حامي سمّه»، عصا في رأسها مسمار تستحث به الدواب. ولعل الأصل : «حامي سنه» أي : سنّه (سنانه) حامية.

17) الزُّجّ : الحديدة التي تركب في أسفل الرمح، والسنان يُركّب عاليته. والزج تركز به الرمح في الأرض، والسنان يطعن به». (اللسان، مادة : زجج).

18) أنظر : Bates ; The Eastern Libyans, p. 46 .

19) Gardiner ; Egypt of the Pharoahs, p. 270-2 .

Wainright نجد الترجمة : أحمر، أو : وردي - في أثناء حديثه عن الأميرة الليبية (الطحنية) «نيتوكريس»[20].

واختلاط تسميات الألوان ظاهرة معروفة في اللغات كلها، وقد يعبر باسم لون عن لون آخر لاسيما إذا كان اللونان غير محددين بدقة أو يغلب أحدهما على الآخر[21]. فما هي الكلمة العربية التي تشير إلى السمرة والحمرة والورد، وتفيد في الوقت نفسه اللمعان ؟

إننا نجدها في مادة «**طحل**». فلنقرأ :

«**الطحال** : لحمة **سوداء** عريضة في بطن الانسان وغيره عن اليسار لازقة بالجنب... ماء **طَحِلٌ** أي كثير الطحلب، وماء طَحِلٌ : كَدِرٌ... وكساء أطحل : على لون الطحال. ورماد **أطحل** : إذا لم يكن صافيا... **الطُّحلة** لون بين **الغبرة والبياض بسواد قليل** كلون الرماد، ذئب أطحل وشاة طحلاء... وجعل أبو عبيد الأطحل اسم اللون وقال : هو **لون الرماد**... ابن الأعرابي : **الطِّحِل** الأسود، ويقال : فرس **أخضر أطحل** للذي يعلو **خضرته** قليل **صُفرة**» (اللسان). وفي مادة (طحلب) - رباعي مزيد (طحل) «الطحلب : **خضرة تعلو الماء المزمن**»[22].

هنا اجتمع السواد، والكدرة، والرمادية، والغبرة، والبياض، والخضرة، والصفرة وكلها في «الطحال» الذي هو مجتمع الدم، وفي «الطحلب» بلونه المعروف الذي نسميه «الطحلي». وقد أبدلت اللام في «طحل» نوناً في المصرية فكانت «ط ح ن»، وحدث الشيء ذاته في **العربية العامية إذ نجد اللون «الطحني»** يفيد السمرة، وهو مقلوب «**حنطي**» ونسبة إلى **الحنطة** (= البُرّ) ذات القشرة السمراء اللامعة[23].

أما عن دلالة اللمعان فهي ظاهرة في «الطحال» الذي هو عبارة عن كتلة لامعة من المادة المشبعة دماً، كما أن «الطحلب» يسطع فوق المياه الآسنة نتيجة انعكاس الشمس عليه.

هذا هو الأصل العربي لاسم «التحنو» (الطحنو) الذي أطلقه المصريون القدماء، على فريق من القبائل الليبية كانت تحيا - فيما يبدو - جنوب شرق ليبيا، متصلة بأرض السودان، وتتحرك ما بين الجنوب والشمال عبر فترات التاريخ.

---

20) The Sky-Religion. pp. 40-44 . والاسم Nitokris (Nitocris) هو الصورة اليونانية للمصرية NT-qrt «نت - قرت» = [الربة] «نت الوقورة» (= **عنات الوقورة / الموقرة**).

21) قارن هنا «**كُميت**» في مادة (كَمَتَ) العربية حين تختلط الشقرة (وهي درجة من الحمرة تشوبها صفرة) بالسواد. وفي الأثر : «إنما بعثت للأحمر والأسود» - وواضح أن «الأحمر» هنا يعني ما كان غير أسود، مهما كان لونه. و«خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء» يعني البيضاء، أو الشقراء. وفي مادة «دمم» نجدها تفيد : الحمرة، السواد، والبياض.

22) وتبدل الباء في «طحلب» ميماً فتكون «طحلم» < «طحلوم» : ماء طحلوم : آجن أي علاه الطحلب.

23) «الطحيني : نسبة إلى الطحين. ويقال : فلان طحيني للدلالة على السمار». «الحنطي : نسبة إلى الحنطة (القمح) وهو الأسمر، وأغلب ما يرد وصفاً لبشرة الانسان، فيقال : رجل حنطي أو حنطاوي... أي أسمر». غازي مبارك ؛ **أسماء الألوان ودلالاتها في السلط**، مجلة (**التراث الشعبي**)، بغداد، العدد 5 لسنة 1979، ص 77-86. وفي اللهجة الليبية يسمى الطحال : «طيحان»، بالنون، مع مدّ كسرة الطاء.

عن «الليبو» و«العريبو»

كيف نشأت كلمة (ليبيا) ؟ ما هو مدلولها ؟ كيف تطورت على مدى القرون ؟

باختصار شديد أجيبك : تعددت الآراء وآختلفت، وتحير العلماء وقلبوا الأمر على وجوهه. قالوا مرة : انه اسم ملكة كانت تحكم شعبا يقطن إلى الغرب من وادي النيل فأطلق على الشعب كله نسبة إليها. وقالوا : بل كانت ربة معبودة من ربات القدماء، تعمقت أسطورتها على أيدي الاغريق وربطوا في أساطيرهم بينها وبين الربة يوروبا (أوروبا) وبين آلهة الكنعانيين، وصاغوا مغامرات لهذه الربة وغيرها من الأرباب هي من جملة ما أنتجه خيال الاغريق الشعري العنيف[1].

ويقول الأستاذ رينوف في مقالة له بعنوان (من كان الليبيون ؟)[2] إن الاغريق فهموا من المصطلح (ليبيا) القدر الذي عرفوه من قارة افريقيا، أو افريقيا باستثناء مصر. وطبقا لهيرودوت

---

1) تقول الأسطورة اليونانية إن ليبيا كانت ابنة ممفيس Memphis وايبافوس تزوجها الاله بوسيدون Posiedon فولدت له ولدين هما : آجينور Agenur وبيلوس Belus وكانا توأمين.
أما آجينور فقد صار ملكا على فينيقيا، وأما بيلوس (والاسم صيغة مؤغرقة من (بعل) السامية بمعنى «السيد») فقد صار ملكا على إفريقيا وجزيرة العرب [وليلاحظ القارىء هذا الربط الميثولوجي القديم بين القارة الافريقية والجزيرة العربية قديما] وتزوج من انشنوى Anshinoe ابنة نهر النيل التي أنجبت له الميلانبوديس Mélanipodes (ذوي الأقدام السوداء) - يعني مصر، أو وادي النيل، وأطلق عليها اسمه وبه صارت تعرف عند اليونان، حتى وصل الاسم إلى اللغات الأوروبية الحديثة كلها كما هو.
فليبيا إذن - حسب الأسطورة - هي أصل جميع أنصاف الأرباب وملوك فينيقيا والجزيرة العربية ومصر وشمال إفريقيا.
أنظر مثلا : M. Grant : Who is who in Classical Mythology, London, 1973
P. Le Page Renouf : «Who were the Libyans ?» Proceedings of Society of Biblical Archaeology, 1881, p. 599 ss.

2) ناقش الضابط ف، بيشي F. W. Beechy أصل هذا الاسم في كتابه :
Proceedings of Expedition to explore the Northern Coast of Africa from Tripoli eastward الذي نشر في لندن سنة 1928م. تسجيلا لرحلته في البلاد سنتي 1821-1822م. وجاء بعدة تحليلات، منها :
1 - أن الاسم يمكن أن يكون عبريا أو فينيقيا بمعنى «أرض الأسود أو الأرض المسبعة» Leonum arid nutrix .
فإن كلمة لوبيا - يقول - تعني اللبؤة أو أنثى الأسد. ولا ريب عنده في انطباق الوصف بأرض السباع على هذه البلاد.
2 - قد يكون الاسم عربي النشأة. فكلمة (لوب) تعني العطش، أو الجفاف، أو الحر. وهو وصف ينطبق أيضا على هذه البلاد، كما يقول.

(الكتاب الثاني. الفقرة 16) يقول الاغريق والايونيون إنَّ الأرض تتكون من ثلاثة أقسام : أوروبا وآسيا وليبيا. وفي ظن هيرودوت أنه «ينبغي عليهم أن يضيفوا قسما رابعا وهو بالتحديد دلتا النيل ان لم تكن جزءا من آسيا أو ليبيا». وكان الاغريق ـ وخاصة على عهد شاعرهم الأكبر هوميروس ـ لم يعرفوا من العالم القديم شيئا يبعد عن إيطاليا، وربما اسبانيا، شمال البحر الأبيض المتوسط، كما لم يعرفوا شيئا غرب مصر أبعد مما يسمى (ليبيا) الآن.

وعلى هذا الأساس كانت الكلمة ـ في مدلولها الجغرافي ـ تعني المنطقة المحصورة ما بين وادي النيل شرقا وتونس حاليا في الغرب. ثم مر الزمان وتعرف القوم ـ ومن بعدهم الرومان بالطبع ـ على الجزء الشمالي مما نسميه اليوم (قارة افريقيا) وأطلقوا عليه اسم (ليبيا) ودعوا جميع سكان هذه المنطقة (الليبيين) وبهذا سلكوا في عداد الليبيين، على مختلف القبائل والشعوب، أهل تونس، والجزائر والمغرب وموريتانيا. وكانوا عددا هائلا من القبائل والبطون بأسمائها المندثرة والباقي بعضها حتى يومنا هذا، وهم متنوعون طباعا ولباسا وعادات وتقاليد ولكنهم رغم كل شيء (ليبيون) تجمعهم صفات مشتركة، لعل أهمها اللغة، وهي احدى الروابط العظيمة بين الأمم، بل لعلها أهم الروابط في بعض الأحيان. وحين جاء الرومان وعرفوا بعض مناطق القارة الافريقية الداخلية أطلقوا على القارة اسم (ليبيا). وكان الليبيون لديهم جميع سكان القارة مهما تباعدت أجناسهم، تماما كما نقول نحن اليوم عن أهل القارة انهم (افريقيون) وفيهم الأبيض والأسمر والأسود الشديد السواد، متبايني اللّغة والجنس والدّين، مختلفي البيئة والتكوين ـ ومع هذا فالجميع (افريقيون) أو (أفارقة) مهما كان الأمر.

هل كانت كلمة (ليبيا) في نشأتها الأولى من جملة هذه الأساطير كما نقرأ في كتابات اليونان والرومان ؟

لا أظن. وإنما يغلب على ظني أن هذه الكلمة ذات أصل تاريخي ومدلول لغوي معروف، وإن وصل إلينا محرفا وتداولته الألسنة وثبت في الأذهان. بل إني لأذهب إلى أن هذه الكلمة ذات أصل عربي، أو هي ترتبط بمعنى العروبة بأوثق الصلات. ولكن هذا الظن في حاجة إلى مقدمة ليتحول إلى رأي، أما أن يكون يقينا فهذا أمر آخر ما أحسب أن البحث الموضوعي يسمح به على كل حال.

أحد مصائب العلم الكبرى ـ في قديمه وحديثه ـ تقسيمه البشر، عند دراسة السلالات، إلى ثلاث مجموعات بشرية كبرى : ساميين، وحاميين، وآريين. الأولون نسبوا إلى سام بن نوح، ومن بعدهم أبناء حام بن نوح أيضا، و الأخيرون أبناء يافث وهو الأخ الثالث. وهذا تقسيم توراتي قديم

وعندما عدت إلى (لسان العرب) لابن منظور وجدتُه يقول :

«اللّوب واللُّوب واللؤوب واللواب : العطش.

اللابة واللوبة : الحرة. والجمع : لاب ولوب ولابات ـ وهي الحرار.

وقالوا : أسود لوبي ونوبي ـ منسوب إلى اللوبة والنوبة، وهما : الحرة.

وفي الحديث : لم تتقياه لوب ولا مجته نوب»، انتهى نص ابن منظور.

جاء به اليهود، ونسبوا إليه الأجناس البشرية بعد الطوفان، وأخذ به من بعدهم المؤرخون القدامى، وأخذ به ـ للأسف الشديد ـ العلماء النصارى في عصر النهضة متأثرين بالتيار الديني العنيف إبانها.

وقد نشأت عن هذا الأخذ أخطاء تاريخية رهيبة بالنسبة لبقية الأجناس، وخاصة في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر حين اكتشفت القارة الأمريكية واحتار العلماء في وضع من أسموهم (الهنود الحمر) ـ فلا هم ساميون ولا حاميون ولن يسمح لهم بالطبع أن يرتقوا إلى رتبة أبناء يافث (الآريين) فقالوا عنهم أنهم «أبناء الشيطان»!

هذا المنهج لا يثبت للنقد التاريخي، وهو مبني على أهواء خاصة تمليها الطبيعة البشرية، وقع فيها واضعو هذا التقسيم أنفسهم في التوراة ذاتها. فهم مثلا يضعون الكنعانيين من جملة الحاميين، وهم بحسب المنهج ذاته ـ أقرب الناس إلى السامية ـ وسبب هذا «الحرمان» الذي فرضه العبرانيون على الكنعانيين من أن يكونوا ساميين هو العداء التاريخي المستحكم بين الشعبين، رغم كونهما ينتميان إلى نفس العرق ويتحدثان اللغة نفسها التي ظلت ـ رغم تطورها عند الفريقين ـ متصلة بعضها ببعض.

لكن لا مفر لنا ـ رغم إنكار هذا التقسيم ـ من النظر إلى موضوع الليبيين والعرب بحسبه، تقريبا للأمر وتسهيلا على القارىء ولنرى كيف تمضي المسألة.

إن التوراة ـ وهي مشحونة بأخطاء فاحشة ـ تقدم لنا هذا التقسيم لنشأة الأمم والشعوب بعد الطوفان:

«وهذه مواليد بني نوح: سام وحام ويافث. وولد لهم بنون بعد الطوفان. فبنو يافث: جومر وماجوج وماداي وياوان وتوبال وماشك وتيراس.. وبنو حام: كوش ومصرايم وفوط وكنعان.. وسام أبو كل بني عابر، أخو يافث الكبير، ولد له أيضا بنون. بنو سام: عيلام وأشور وأرفكشاد ولود وآرام»[3].

ثم تأتي من بعد ذلك تفريعات أخرى، فنجد من الحاميين: مصرايم «الذي ولد لوديم وعناميم ولهابيم ونفتوحيم وفتروسيم وكسلوحيم». ونلاحظ أن لهابيم (أو لهوبيم Lehubim) هو في الغالب جد الليبيين (اللوبيم). كما نلاحظ الأسماء المذكورة في هذه الفقرة «خرج منهم فلشتيم وكفتوريم» ـ أي الفلسطينيين وأهل كريت. «وكنعان ولد صيدون بكره وحثا (الحثيين)... وبعد ذلك تفرقت قبائل الكنعاني. وكانت تخوم الكنعاني من صيدون حينما تجيىء نحو جرار إلى غزّة وحينما تجيى سدوم وعمورة وأدمة وصبوييم إلى لاشع».

أما بالنسبة لأبناء سام ـ حسب التوراة ـ فينقسمون إلى فرعين رئيسين: بنو أرام (الآراميون) بن سام. وبنو عابر بن شالح ابن أرفكشاد بن سام.

---

3) أنظر سفر التكوين، الاصحاح العاشر الآيات 1-22.

ولعابر (جد العبريين) ولد ابنان، فالح وأخوه يقطان. أما فالح فيتصل نسله حتّى يصل إلى إبراهيم (عليه السلام)، وأما يقطان فقد ولد ألمواد وشالف وحضرموت ويارح وهدروام وأوزال ودقلة وأبـايل وشبا وأوفير وحويلة ويوباب. ثم تمضي التوراة في تتبع قصة إبراهيم وهجرته من أرض الكلدانيين إلى فلسطين وما جرى له في مصر. . إلى آخره.

وهنا تبدو لنا ملاحظة تكمن في عدم ذكر التوراة للعرب بهذا الاسم الذي عرفوا به أو نسبتهم إلى أحـد أعقـاب نوح أو سام. ولكنهـا تذكر قبائل عربية كانت في جنوب الجزيرة، من أعرقها حضرموت وشبا (سبأ) ويدخل بقية أبناء يقطان (وهم اليقطانيون الذين كانوا في جنوب الجزيرة كذلك) ضمن نسله مقابل أبناء أخيه فالح جد إبراهيم. فكأن أهل الجزيرة في الجنوب (وهم عرب) يشتركون في النسبة إلى عابر (أو عبيرو ـ أو عبرو) مع أبناء فالح إلى سام بن نوح (وهم العبريون أو العبرانيون).

واضح أن هذا التقسيم التوراتي للسلالات البشرية لا يقوم على سند موضوعي علمي، ولكنه توزيع عبري ـ يهودي يرتكز إلى القول بأبوّة نوح أبي البشر الثاني ـ للجماعات الانسانية بعد الطوفان وهو توزيع يخضع للهوى أكثر من خضوعه للحقيقة التاريخية المجردة. ولا يمكن للتوراة أن تبرر إخراجها الكنعانيين من جملة الساميين، وإدخالهم ـ والحثيين كذلك! ـ في جملة الحاميين. كما لا تستـطيع توضيح حسبـانها الفلسـطينيين (فلشتيم) من جملة الحـاميين أيضا إلى جانب المصريين والليبيين وأهـل كريت. دعـك من بقية التفـريعات الأخرى التي تختلط فيها الأنساب والأنسال اختلاطا عجيبا لا يمكن التفريق معه بين الحامي والسامي، ناهيك باليافتي (الآري).

ولا نتعرض لأهل الصين واليابان وسكان أمريكا الأولين «الهنود» والأزتك والمايا وعشرات الأجناس التي لم يكن كتبة التوراة يدرون من أمرها شيئا.

نحن إذن في حل من قبول تقسيم التوراة للأجناس البشرية، ولنا أن نرفض تصورها ـ إذا شئنا ـ لتوزع المجموعات الانسانية وانتشارها، فإن هذا التصور محصور في فترة تاريخية معينة، بعد الطوفان، وفي رقعة محددة من الأرض لم تخرج التوراة عنها. ولا أحد يعلم ـ إلّا الله ـ بداية الحياة البشرية بالمعنى المفهوم من الكلمة، ولا أحد يدري كيف دبَّ الانسان أول مرة على الأرض ولا أين، ولكن المسألة في أعماقها تخمينات قد تدعو إليها النصوص الدينية تارة وقد تغري بها البحوث والـدراسات العلمية تارة أخرى. لكن من المقبول القول بأن جماعة بشرية ما اشتركت في بعض الخصائص والمميزات يمكن بها تمييزها عن جماعة أخرى ذات خصائص أخرى قد تختلف، قليلا أو كثيرا، عن غيرها من الجماعات. ويمكن بعدها إطلاق اسم نتفق عليه تعرف به هذه الجماعة تيسيرا لدراسة تطورها ونموها وانتشارها في الآفاق. فلنتفق على تسمية جماعة من البشر باسم (الساميين) مثلا، ولنر كيف سارت بها الأمور.

يقول أوبري مينون : Aubrey Menon في كتابه المعنون : (مدن في الرمل Cities in the Sand):

«الساميون ليسوا جنسا. ولا يمكن تمييزهم بأنهم، مثلا، ذوو أنف معقوف. . . انهم قوم ارتبطوا

معا بلسان موحد في الأساس، وبنظرة إلى الوجود، أو بتعبير أدقّ بنظرة إلى ما وراء الوجود. انهم قوم عميقو التدين. وقد يأخذ الدين أشكالا كثيرة، من «التلمود» إلى «القرآن» إلى «العظة على الجبل» وحرق الأطفال أحياء ووضع عظامهم في الآنية بتبجيل ولكن مهما كان ما اعتقدوه فقد آمنوا به بعمق»[4].

ففكرة (الجنس) أو العرق المميز اذن فكرة غير صائبة، وهي ـ كما يقول مينون ـ طالما جرت على البشرية بلاء بعد بلاء. وهذا حقيقي، فإن الانسان منذ درج على هذه الأرض، وفي أزمنته التاريخية وما قبل التاريخ، كانت الأرض له يسيح فيها ويسوح، ويهاجر من موطن إلى آخر يطلب سبل الحياة ويسعى في سبيل الرزق، قبل اختراع الحدود والقيود وجوازات السفر وتأشيرات الدخول والخروج. وهو اختلط ـ في نطاق الظروف الجغرافية والبيئية ـ وامتزج. بيد أن هذه الظروف المناخية والطبوغرافية ذاتها هي التي (حددت) ملامح بعض الجماعات و(حدّت) من حركتها في كثير من الأحيان.

كان الانسان (يهاجر) كالحيوان تماما أثناء همجية العصر الحجري القديم، وينتقل من مكان إلى مكـان بحثا عن الطعام. فلما تطور ـ بحدوث الانقلاب البشري الهائل في العصر الحجري الجديد ـ وصار (ينتج) طعامه عن طريق الزراعة صار أكثر استقرارا وأهدأ حركة من ذي قبل، وإن ظلت الهجرات الجماعية تتوالى تبعا لتغير الظروف المناخية المحيطة. فماذا عن ليبيا وشمال إفريقيا بصفة عامة؟

لقد قام الأستاذ ما كبيرني Mc Burney بمهمة جليلة في هذا الباب، ونشر بحثه القيم (العصر الحجري في شمال إفريقيا)[5] الذي أصبح المرجع الرئيسي في هذا الموضوع، وفيه تتبع الهجرات المتـوالية بين ليبيا والشرق الأدنى، حتّى فلسـطين، وهي هجرات مزدوجة من الشمال الافريقي وإليه. ويرى الدكتور طه باقر في دراسته الممتازة عن (عصور ما قبل التاريخ في ليبيا وعلاقتها بأصول الحضارات القديمة)[6] أن ما يضفي على البحث في شمال افريقيا ـ ومنه ليبيا ـ أهمية خاصة في تاريخ الحضارة وأصول الأقوام «هو موقع هذه المنطقة الجغرافي المميز بكونها جسراً يربط بين أوروبا الغربية وبين أفريقيا الاستوائية وآسيا الغربية. وتكون أهمية هذه الميزة أكبر في الأطوار الأولى من عصور ما قبل التاريخ حيث العوارض والحواجز الطبيعية الموجودة الآن، كالصحارى والمضائق المائية، إما لأنها لم تكن موجودة أو أنها تختلف عما هي عليه الآن»[7].

ثم يقدم استنتاجا جيدا يدعو إلى «أن ننوه بما أسفرت عنه حديثا تحريات الباحثين في علم اللغـة المقـارن في حقل اللغات السامية والحامية. فالذي عليه جمهرة هؤلاء العلماء هو تأكيدهم

4) المصدر المذكور، ص 13.

5) The Stone age of Northern Africa ; Pelican, 1960.

6) ليبيا في التاريخ ـ مجلد يضم بحوثا ودراسات ألقيت في مؤتمر كلية الآداب ـ بنغازي عن هذا الموضوع سنة 1968م.

7) المصدر السابق، ص 4.

للصلات الوثقى بين اللغات السامية واللغات الحامية . . . وأن هذه الصلات القوية في أوجه الشبه الكثيرة في المفردات والتراكيب اللغوية الأساسية جعلت الباحثين المختصين يرجعون اللغات السامية واللغات الحامية إلى أصل بعيد واحد أي إلى عائلة لغوية كبرى، وأن المتكلمين بتلك العائلة اللغوية قد تفرقوا أو تفرعوا إلى أقوام كثيرة كبرى متعاقبة»[8].

ليس هذا فحسب، بل إن الدكتور طه باقر يمضي إلى أبعد من هذا عند حديثه عن نشأة الساميين. وهو مع اعترافه بأن نظرية ارجاع مهد الساميين ولغاتهم إلى الجزيرة العربية لا تزال النظرية المعول عليها إلا أنه من الممكن ـ في ما يرى ـ تحويرها قليلا برأي لا يتعارض معها وذلك بارجاع المهد الأصلي البعيد لجميع الأقوام السامية والحامية[9] إلى الرقعة الجغرافية الواسعة الممتدة من الجزيرة العربية إلى شمال أفريقيا. ويختم ملاحظته بالتنويه بأن «من النظريات المشهورة لمهد الساميين النظرية التي تجعل هذا المهد في الشمال الأفريقي»[10].

بيد أن الأستاذ الباحث طه الباقر لم يعين «هذه النظرية المشهورة» ولم يحدد صاحبها. ثم يذهب إلى أن الهجرات بين الجزيرة العربية كانت متوالية ثم انقطع الاتصال بين الكتلتين اللغويتين الكبيرتين، السامية والحامية، قبل نحو 000 . 15 ـ 000 . 10 عام خلت.

ولست أدري ما أسباب هذا الانقطاع ؟
هل لتغير الظروف المناخية دخل في الأمر ؟
هل تحسن الأحوال المعيشية واستقرار السكان دعا كل فريق إلى البقاء حيث هو ؟

لا أحد يمكنه أن يجيب. ولكن الواضح أن الاتصال بين ليبيا ـ وشمال افريقيا عموما ـ والجزيرة العربية لم يكن انقطاعا كاملا على كل حال. وقد جاءت هجرات معروفة في الأعصر التاريخية، من أهمها هجرة الفينيقيين الذين أسسوا قرطاجنة ومن بعدها أويا ولبدة وصبراته ما بين القرنين الثامن والسادس قبل الميلاد، ثم الفتح الاسلامي والهجرة الجماعية لقبائل بني سليم وبني هلال . . .

وليس من المهم هنا إثبات أي الموطنين كان مهد الجنس السامي ـ أهو الجزيرة العربية أم شمال إفريقيا. بل ليس من المهم التسمية ذاتها (الساميون). ولكن المهم القول بأن صلة وثيقة كانت بين شمال افريقيا والجزيرة العربية، وأن هذه الصلة قديمة قدم التاريخ وأنها استمرت على مدى العصور، وأنها تتبدى في اللغة القديمة أكثر ما تكون وضوحا.

من هذا المنطلق يمكن الحديث عن «ليبيا» وعن «العرب». ومن هذه «الكتلة اللغوية الكبرى» يمكن الحديث عن وحدة المنطقة ـ من المحيط إلى الخليج ـ وحدة راسخة منذ عصور ما قبل التاريخ، منذ الأعصر الحجرية الجديدة والقديمة على حد سواء.

---

8) المصدر نفسه.

9) المصدر السابق.

10) المصدر السابق، ص 5.

لينتبه القارىء أولا إلى جملة حقائق جلية، أولها أن «الهوى» القديم الذي ظهر في توراة اليهود بدا واضحا في دراسات المستشرقين وعلماء الأجناس الغربيين، فكانت أغلب أبحاثهم تصب في تيار واحد ـ في الأغلب ـ هدفه قطع الصلات بين المشرق والمغرب، وتمزيق كل جناح من جناحي الأمة العربية على حدة. وجعلوا أهل الجزيرة ساميين. وجعلوا أهل مصر حاميين، وجعلوا أهل المغرب بربرا هم من أصل أوروبي مرة وهم دون أصل يعرف مرة أخرى (!)

وثانيها أن دراسة لغوية مقارنة تستنفر لها الهمم تبحث عن الجذور المشتركة بين لغات الأمة القديمة أصبحت واجبا يحتمه الحرص على الوجود الموحد. وسوف يدهش الكثيرون حين يجرون هذه الدراسة المقارنة بين لغة حمير مثلا ونقوش ليبية قديمة، فإنها هي هي.

وثالثها وجوب سعة الأفق والصدر معا في أثناء الدرس والبحث، وعدم الالتفات إلى غوغائية ضارة تبرز من هنا أو هناك، دون سند من علم ولا مؤيد من هدى ولا كتاب مبين.

ونسأل : ما هي اللغة ؟

والجواب : إنها أداة الافهام وإيصال الأفكار عن طريق الصوت بحسب اصطلاح معين بين القوم.

وهي «كائن حي» يتطور وينمو ويزيد وينقص ويموت أيضا.

ولذا فهي ـ مثل أي «كائن حي» ـ ذات وجود مستقل في تطوره وإن كانت نشأته الأولى ترجع إلى سواه. ومن هنا كان اختلاف اللغات، بعد أن كانت مجرد لهجات، ونموها نموا ذاتيا يتميز بتركيب معين خاص. وفي حديثه عن اللغة العربية أثار الأستاذ جواد علي سؤالا : رب سائل يقول، لقد كان للعرب قبل الاسلام لغات، مثل المعينية والحميرية والصفوية والثمودية واللحيانية وأمثالها اختلفت عن عربية القرآن اختلافا كبيرا، حتّى أن أحدنا إذا قرأ نصا مدونا بلغة من تلك اللغات عجز عن فهمه وظن إذا لم يكن له علم بلغات الجاهليين أنه لغة من لغات البرابرة أو الأعاجم، فماذا سيكون موقفنا من أصحاب هذه اللغات ؟

وهو يجيب : أن هؤلاء، وإن اختلفت لغتهم عن لغتنا وباينت ألسنتهم ألسنتنا فإنهم عرب لحما ودما، ولدوا ونشأوا في بلاد العرب، لم يردوا إليها من الخارج ولم يكونوا طارئين عليها من أمة غريبة، فهم إذن عرب مثل غيرهم، وكلّ لغات العرب هي لغات عربية وإن اختلفت وتباينت. وما اللغة التي نزل بها القرآن الكريم إلّا لغة واحدة من هذه اللغات[11].

الأمر واضح إذن. إذا كانت هذه (اللغات العربية) من معينية وحميرية وثمودية وغيرها قد اختلفت هذا الاختلاف كله حتّى بات من المستحيل على غير العالم فهمها، وهي عربية (نسبة إلى الجزيرة العربية) في نشأتها ونموها متصلة التطور، على قرب المكان وجوار القبائل والبطون. . فكيف الأمر إذن بالنسبة للغة عربية أخرى بعد مكانها ونأى زمانها ؟

11) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ـ الجزء الأول، ص 33 .

هل يجوز أن تنمو لغة عربية في جيزان أو حضرموت نموا مستقلا عن لغة جرهم وثمود وهي على بعد مرمّى حجر منها، ثم نطلب من اللغة المصرية أو الليبية أن تكون أقرب إلى لغة القرآن من لغة لحيان وحمير ؟!

فإذا عدنا إلى ما ذكر من أصل واحد للغتين السامية والحامية (وهذا للتذكير مجرد اصطلاح أكاديمي ليس غير) أفليس من المقبول القول بأن فروع هذا الأصل ـ على بعد الدار ـ تطورت ونمت بحكم البيئة حتّى اختلفت عن اللغة الأم وعن اللغات الأخوات وحتّى عجز غير أهلها عن فهمها وحسبوها من لغة الأعجام ؟

ثم نسأل : ما هي اللغة العربية ؟

اتفاقا هي ما نعرفه باسم (اللغة الفصحى) أو (لغة القرآن الكريم) وهي قد شرفت بأن نزل بها كتاب الله العزيز (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) (وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا) (وهذا لسان عربي مبين). وكانت إحدى اللغات العربية الكثيرة ـ هي لغة قريش ـ لغة إحدى قبائل العرب، فصارت بالقرآن لغة العرب أجمعين. لكنها تظلّ عند الفحص العلمي المجرد لغة من مجموعة كبيرة من اللغات.

سؤال آخر : من هم العرب ؟

هنا لا بد من وقفة طويلة أمام هذا المصطلح وتحليل لهذه الكلمة وتحديد لمدلولها في قديم الزمان وحديثه. وليس ثمة من قدم تحليلا شاملا وتتبعا دقيقا لهذا اللفظ أفضل مما فعل الدكتور جواد علي، وإليه نستند في تقديم خلاصة ما كتب[12].

يقول الأستاذ : لم تكن كلمة (عرب) تؤدي ما نفهمه اليوم من معنى الجنس أو القومية، خاصة في الكتابات العربية الجنوبية، ولم يبرز الحس بهذا المعنى عند القبائل العربية إلا قبيل ظهور الاسلام بفترة قصيرة. وهو حس لعله برز في شمال الجزيرة أولا بحكم الاحتكاك، ثم الصدام بين هذه القبائل والامبراطورية الفارسية من جهة والروم من جهة أخرى. وبفضل الاسلام وحده وسيطرة لغة واحدة صارت كلمة (العرب) ذات مدلول جنسي وقومي معروف. أما قبل الاسلام فقد كانت الكلمة تؤدي معنى البداوة والقفر والجفاف، أو ما يسمى (الأعراب) في مقابل الحضر. وكان أهل الحضر ـ أو المدن ـ يسمون أنفسهم باسم قبائلهم : فهم سبأ، وهمذان، وحمير، ومعين، وحضرموت، وما إليها. فلما جاء الاسلام نما الحس القومي لدى سكان الجزيرة وشعروا بأن لهم كيانا واحدا هو الكيان العربي، وصاروا يبحثون عن شيء يجمعهم ويوحّد أصولهم، وظهرت فكرة أن (يعرب) هو أبو العرب وأنه أول من تكلم العربية وإليه ينسب القوم. وهذه فكرة قحطانية تبلورت في أثناء صراع القحطانيين (الجنوبيين) والعدنانيين (الشماليين) لا تصمد للنقد التاريخي.

بمعنى البداوة والإعرابية إذن وردت لفظة (العرب) في اللغة العبرية ولغات سامية أخرى، مثلما هو الحال في سفر أشعياء وفي سفر أرميا من (العهد القديم). وقد وجد الباحثون أن أول نص

12) المفصل ـ ص 16 ـ 25.

ذكر فيه العرب هو نص أشوري من أيام شلمنصر الثالث، أو الثاني، ملك آشور، والمقصود باللفظة أمـارة أو مشيخـة، يتزعمها رجل بلقب ملك اسمه «جنديبو» (جندب)، وكانت تتاخم الحدود الأشورية. واختلف العلماء في قراءتها على هذه الصورة :

Aribi, Arubu, Arbi, Urbi, Arabi, Arabu, Aribu, Matu,-a-Rabi

وردت في الكتابات البابلية جملة «ماتو أربي» أي (أرض العرب) بمعنى (بلاد الأعراب).

وفي نقش بهستون لدارا الأكبر باللغة الأخمينية جاءت لفظة أربابة (عربية) Arbaya . وباللغة العيلامية جاءت : أربابة Arpaya (M-ar-Payah) .

وفي النصـوص العـربية الجنـوبية كانت كلمـة (أعرب) بمعنى (أعراب) : وأعرب ملك حضرموت = وأعراب ملك حضرموت . /وأعرب ملك سبأ = وأعراب ملك سبأ.

وعند الآراميين :

بيت عربابة beth arbaya بمعنًى (أرض العرب) أو الأعراب ـ البدو الرحل، أهل القفر.

وأول مرة ورد فيها ذكر (العرب) لدى الكتاب اليونان كانت عند اسخيلوس (525ـ456 ق.م.) ثم تلاه هيرودوت (484 ـ 425 ق.م.) ولم ترد عند أي من الكتاب اليونانيين قبل هذا. ويبـدو أن معـرفة اليونان بالجزيرة قد ازدادت، لكن معنى البداوة هو المقصود عند الحديث عن العرب، أما ممالكهم فكانت تسمى بأسمائها المعروفة.

ويذكر سترابون أن كلمة أرمبي Erembi تعني عند البعض (العرب) ولعلها تحريف لكلمة عربي Arabi .

من هذا الموجز يمكننا استخلاص النتائج التالية :

1 ـ أن كلمة (العرب) باعتبارها مدلولاً قوميا وجنسيا لم تعرف إلا في وقت متأخر وبفضل ظهور الاسلام خاصة.

2 ـ أنها لفـظة تعرضت للتحريف، بالاضافة والحذف وإبدال الحروف بحسب اختلاف الشعوب وعند تباين الأمم.

3 ـ أنها تعني البداوة والقفر والارتباط بالصحراء في الغالب الأعم.

فماذا عن كلمة (ليبيا) وما يتصل بها هنا ؟.

يقول الباحثون أن كلمة (ليبيا) مشتقة من كلمة (ليبو) وأن المرة الأولى التي سمع فيها بهذه الكلمة كانت في عهد الفرعون مرنبتاح Merneptah (حوالي عام 1220 ق.م.) حيث وردت في نقش هيروغليفي يمجد انتصار ذلك الفرعون على (الليبو) الذين رئسوا غزاة لمصر جاءووا من الغرب[13].

13) Gardiner, Egypt of the Pharaohs, p. 35.

من غير المهم هنا الدخول في مناقشة الصوب والخطأ في كتابة الكلمة، هل هي ليبيا Libya أو لوبيا Lybia فذلك خاضع لاختلاف نطق الحرف Y الذي قد يقابل حرف (الياء) العربي وقد ينطق باعتباره (واوا). ولكن المهمّ إثبات ما يذكره العالم المعروف (سير) ألن غاردنر Sir A. Gardiner من أننا صرنا نعرف الشعب الذي كان يعيش على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط غرب مصر باسم (الليبيين) متبعين في ذلك الاغريق[14] ثم يضيف ما نصّه :

«وهذا الاسم هو، على وجه الدقة، اسم مغلوط فيه وخطأ في تسلسل الحوادث التاريخية معا»[15]
. (This name is, stricIty speaking, both a misnomer and an anachronism)

انتبه غاردنر إلى الغلط الواقع في الاسم (ليبو) غير أنه لم يمض ليوضح لنا هذا الغلط. ويمكن لنا أن نتبينه بشيء من الانتباه، **فان الاسم المنقوش لم يكن ليبو Lebu كما درجنا على قراءته، بل كان (ريبو) بحرف الراء بدلا من حرف اللام.**

أما «أوريك بيتس» في مؤلفه (الليبيون الشرقيون) فيتحدث عن هذه المجموعة من الأقوام القاطنة في شمال غرب مصر باعتبارها، حسب القراءة الصحيحة، الريبو R'bw - Rebu .

وكان (الريبو) شعبا كبير العدد حتّى أن أهميتهم قادت اليونان إلى أن يسبغوا التعبير السلالي (الليبيين) على مواطني شمال إفريقيا في جملتهم[16]. هكذا في عدد كبير آخر من المصادر.

ومن العجيب فعلا أن نرى وفرة من الباحثين تبذل جهدا في تبرير أن يتحول (الريبو) إلى (الليبو) فيقولون بأن علامة الراء في اللغة المصرية القديمة هي نفسها علامة اللام، وأنه من الجائز إبدال الحرفين. وقد يكون هذا، لكن السؤال : لماذا يحول الراء لاما في هذا الاسم بالذات ولا يتحـول في اسم رمسيس (أو رعمسيس) مثلا فيظل (رمسيس) ولا يتحول إلى (لمسيس)، كما لا يتحول (رع) الإلـه المصري الأكبر إلى (لع) ؟

والرأي عندي أن الاسم الذي أطلقه المصريون القدماء على جيرانهم الغربيين هو (ريبو) كما نقش وحفظ لنا - ولعل اليونانيين هم الذين أبدلوا في لغتهم وحرفوا - وهو أمر غالب الحدوث بالنسبة للأسماء الأجنبية - ثم قرنوا بين تحريفهم وبين أساطيرهم، أو هم أضفوا هذه الأساطير على (ليبيا) بعد ذاك. والدليل على هذا الرأي أن (الريبو) لم يكونوا شعبا قائما بذاته، أو قبيلة بعينها، بل هم مجموعة من القبائل كانت معروفة بأسمائها، منها ما حفظه الزمن وظل يسري حتّى وقتنا الحاضر ومنها ما اندثر وامّحى. من هذه القبائل مثلا : الأموهيكك Imuhekek والقيهق Kehek والأسبت Esbet والقيقش Kekesh والشاي Shai والهس Hes .

14) المصدر السابق.
15) المصدر نفسه.
16) Oric Bates ; The Eastern Libyans, p. 46, 51.

ولعل أعرفهم قبائل التحنو (Teḥenu) والتمحو (Temeḥu) والمشوش Meshwesh تجمعهم جميعا - وقبائل أخرى كثيرة لا تعدّ ولا تحصى - كلمة (الريبو). **وهذا بالضبط، ما كان يحدث في الجزيرة العربية، قبائل وشعوب ذات أسماء تنسب إليها، لكنها تظل جميعها - بالنسبة للأجانب خاصة - تنضوي تحت اسم موحد هو (العرب) أو (الأعراب).**

هنا تواجهنا مشكلة تكمن في سؤال ذكي : إذا قبلنا تحليلك لكلمة (الليبو) باعتبارها (الريبو) وقولك أن اليونان حرفوا الكلمة الأصلية (الريبو) **فكيف تفسر أن التوراة استخدمت كلمتي (اللهابيم) و(اللوبيم) هي الأخرى بينما تورد كلمة (الأعراب) و(العريبو) ؟**

وقد جرى البحث في هذا السؤال من قبل - ولم يبق شك في أن كلمة «لهابيم» (الواردة في سفر التكوين اصحاح 10، آية 13) هي بعينها «لوبيم» (الواردة في سفر دانيال، اصحاح 11، آية 43). **فهما شيء واحد والمقصود بهما أهل منطقة بذاتها، هم أهل الشمال الأفريقي.** ولكن نعرف بالتأكيد أن كلمة Rebu (التي حرفها اليونان إلى Lebu) أقدم مما ورد في التوراة. ويرى ب. رينوف أن أقدم ذكر للوبيم Lubim «**لا يستبعد إمكانية أن الاسم وصل إلى العبريين (عن طريق الفينيقيين) من الاغريق**»[17].

ولعل أخذ العبريين الاسم عن الاغريق يفسر لنا بوضوح كيف أثبتوه بصيغته التي أخذوا بها دون أن يدركوا بالطبع تحريف اليونان لجذر الكلمة الأصلي عند المصريين.

لعل القارىء لاحظ، بشيء من إمعان النظر، العلاقة اللغوية بين لفظي (ريبو) و(عرب). **ونضيف أن العرب كانوا يعرفون أيضا باسم (عريبو).**

فهل يمكن القول بتطابق اللفظين ؟ إننا نعلم مما سبق أن كلمة العرب (أو الأعراب - أو العريبو) كانت تعني البداوة والقفر والجفاف في جميع النقوش والآثار القديمة في مقابل الحضر وأهل المدن والأمصار. ألم يكن المصريون هم أهل الحضر - أهل مصر - في مواجهة أهل البداوة من جيرانهم الغربيين ؟ أليس من الجائز، بل المرجح، أن تعبيرهم بكلمة (ريبو) مقصود به ما تعني كلمة (عريبو) ؟ أليس من المقبول أنهم كانوا على علم بالصلات الوثقى بين عرب المشرق وعرب المغرب، اجتماعيا وثقافيا وعرقيا كذلك، أو بين (اعراب) المشرق والمغرب، أهل البداوة، وهم مطمئنون في حياتهم الرغدة على ضفاف النيل الخصيب، فأطلقوا الاسم ذاته على الفريقين ؟ وأخيرا، أليس من المعقول أن يكون اللفظ - بصيغ نطقه المختلفة - هو المستعمل للدلالة على جناحي الأمة في مشرقها ومغربها ؟

يقول الأستاذ ميكل هوفمان، في كتابه (**مصر قبل الفراعنة**) إن اللغة التي كان يتكلمها الفراعنة الأول هي اللغة المصرية تماما مثلما نتحدث عن اللغة الحميرية أو المعينية أو السبئية. **ويضيف ما نصه :**

17) P. Renouf ; Who Were the Libyans, p. 599.

«ويصنف اليوم العلماء هذه اللغة باعتبارها فردا من الأسرة (الافريقية ـ الآسيوية) أو (الحامية ـ السامية) التي تشمل : السامية والبربرية (الليبية) والكوشية ولغة الهاوسا. وحقيقة أن هذه اللغات، بقدر يزيد أو ينقص، متصلة جغرافيا يوحى إلى بعض العلماء أنها، منذ عهد سحيق، لا بد انبثقت من مركز واحد في الشرق الأدنى أو شمال افريقيا»(18).

إن كان الأمر كذلك، وهو فعلا كذلك، فما الذي يمنع أن تكون كلمة (ريبو) أو (عريبو) هي اللفظ الموحد بين هذه المجموعة البشرية ـ التي كانت ولا تزال تحتل ما نسميه اليوم (الوطن العربي) من المحيط إلى الخليج، وهي كلمة استعملت في جميع اللغات، وعند جميع الشعوب، بالمعنى المقصود منها ؟ **ولماذا لا يكون (الليبيون) هم (الريبيون) أو (العريبيون) أو (الأعراب) أو (العرب) بالمعنى الشامل الكامل ؟**

أخيرا. نؤكد ما ذكرناه من أن تحريفاً حدث في نطق الكلمة عند اليونان أولاً، ثم تحريفاً حدث في معناها ثانياً، بأن (شامبليون) وهو أول من كتب في اللغة المصرية وقواعدها ـ باعتباره فاك رموز كتابتها ـ ترجم كلمة «ريبو» Rbw في مؤلفه (Principes generaux de l'écriture sacrée Egyptienne) إلى «بدو» Bedouins ولم يترجمها «ليبيون» Libyens. ونحن نعرف أن كلمة «بدو» و«عرب» مترادفتان نشأةً ودلالة.



(18 M. Hoffman ; Egypt Before the Pharaohs, p. 290.

عن «الهكسوس».. وعن «هوارة»

في أوائل الألف الأولى ق. م. وفي تاريخ لم يحدد بالضبط، جاءت إحدى الموجات البشرية مهاجرة إلى مصر من شرقها، واستطاعت أن تسيطر على الوادي متخذة من الدلتا مركزاً لها مدة طويلة من الزمن، قدرها المؤرخ «مانيثون» بـ 510 من السنين، وعرف أهلها في كتب التاريخ باسم «الهكسوس»[1].

وقد تمكن أهل الجنوب في مصر، بقيادة «أحمس» من القضاء على مملكة «الهكسوس»، وبذا أعاد توحيد القطرين من جديد. لكن «الهكسوس» لم يعودوا جميعاً من حيث أتوا - كما قيل لنا - بل إن فريقاً كبيرا منهم ظل في مصر، بينما مضى فريق آخر نحو الغرب حتى بلغ المغرب الأقصى وانتشر في شمال أفريقيا كله.

لم يتفق الباحثون - كالعادة - حول أصل هؤلاء «الهكسوس»، وإن اتفق أغلبهم على أنهم (ساميون). قال بعضهم إنهم كنعانيون، وقال آخرون إنهم بابليون، وفريق ثالث قال إنهم فلسطينيون. لكن (مانيثون) يرى أن «**البعض يقول إنهم كانوا عربا**»[2]. وهو هنا يقصد أهل الجزيرة بالذات. وهذا الرأي في عروبة «الهكسوس» أصبح مقبولاً تماماً لدى طائفة كبيرة من الباحثين. وما يعنينا هنا هو التسمية التي أطلقت، وهي التي نقلت إلينا في لسان اليونان وانتقلت من بعد كما هي إلى بقية اللغات، ومنها العربية، هكذا.. «هكسوس».

الاسم في صورته اليونانية (= 'Yksows (Hyksôs منقول عن المصرية، وقد خضع لجملة تفسيرات، أولها ما ينقله «يوسفوس» عن «مانيثون» - الذي كتب باليونانية - من قوله إن الكلمة تعني

(1) يرى «بروغش» (H. Brugsch ; History of Egypt Under The Pharoahs, Vol.1., p : 232) أن هذه هي التسمية الشعبية التي أطلقت على العرب (= الأعراب، البدو) الذين حكموا الدلتا قادمين من الشرق، ولم يكن «الهكسوس» يسمون أنفسهم بها. أما في النصوص المصرية التي تتحدث عنهم فإنهم يسمّون «الأمو» Amu (قارن تعليق «وادل» على ترجمته (تاريخ مانيثون) ص 76 - 77). ونرى أن «أمو» هي ما يقابل العبرانية «أوميم»، بصيغة الجمع بالميم، أي : الأقوام، غير العبرية (الأمم)، وتكافىء العربية «أميون»، وهي التعبير القرآن عن «العرب» (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ»، «النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ».

(2) أنظر : **تاريخ مانيثون**، ص 76 - 77. ويجعلهم «بروغش» (المصدر السابق، ص 214 - 215) من «الأدوميين» استناداً إلى نقوش مصرية. والواقع أن هذه الأقوام كلها بأسمائها المختلفة ليست إلا فروعاً، قبائل وبطوناً، من «العروبيين»، كتلة بشرية واحدة تنوعت أسماءً وصفاتٍ. وهذا ما ينطبق تماماً على ما يورده ابن خلدون في (تاريخه) عن أصل (البربر) مما سنعرض له بعد قليل.

في المصرية : الملوك الرعاة King-Shepherds إذ تعني hyk : ملك، وSôs : راعٍ، أو رعاة. لكن «يوسفوس» يزعم أنه ورد في نسخة أخرى من تاريخ «مانيثون» المفقود أن hyk وhak في المصرية تعني «أسير»/«أسرى»، ولا يقدم دليلاً على ما يقول، وهو لعله أتى بهذا التفسير ليوائم ما يورده بعدئذ من حديث عن قصة يوسف حسب التراث اليهودي، ومن ادعائه أن (الهكسوس) كانوا هم بني اسرائيل الذين غزوا مصر واحتلوها مدة طويلة من الزمان.

واقع الأمر أن كلمتي hyk وhak في الصيغة اليونانية المنقولة عن المصرية كلمتانِ مختلفتان. فالأولى هي في المصرية «ح ق» ḥ q. وتعني : حكم، وجّه، قاد، تسلط. ومنها مشتقات كثيرة جداً ترد في نفس الدلالة (معجم «بدج» ص 512-513) ومحددها الهيروغليفي صولجان الحكم ويكافئها الأستاذ «مارسيل كوهن» (...Eassai Comp.) . بالعربية «حقٌّ» legalite (= شرعية) باعتبار الحكم حقاً شرعياً لا تنازل عنه، مما يشبه القول بـ «الحق الآلهي» الذي عرف في أوروبا في العصور القريبة نسبياً، ويماثل اللقب الذي عرفَ به «سرقن»[3] البابلي في القديم. ومنذ فجر التاريخ كان «الحاكم» و«الحق» شيئاً واحداً - ولعله لا يزال!

أما الثانية hak فإن «وادل»[4] يعلّق بأن «يوسفوس» يتلاعب بكلمة «ح أ ق» ḥ a q المصرية التي تعني : «يقبض على، يأسر/أسر»[5]. وعربية هذه الكلمة إما «حلق» (= أحاط - واللام لا توجد في الهيروغليفية) أو «حوق»، «حيق» بمعني : أحاط، حوط - كذلك. وهذا هو معنى «الأسر» أصلاً حين يحاط بالمأسور، أو حين يكتف مثلاً.

بيد أن الباحثين في جملتهم تقبلوا فكرة أن «ح ق» المصرية تعني : حكم، حاكم (الحق) وهو المقطع الأول من «هكسوس» كما وردت إلينا عن طريق اليونانية (hyk) ؛ إذ كانوا هم الحكام ولم يكونوا الأسرى.

هذا عن المقطع الأول أما المقطع الثاني فقد جاءنا في صورة Sôs ، وهي - كما يقول «مانيثون» - تعني «راعٍ» أو «رعاة» في المصرية. ويعلق «وادل» (المصدر السابق) بأن هذا صحيح ؛ فإن الكلمة المصرّية «ش أ س و» تعني «بدو» هي التي صارت في القبطية Shôs (راعٍ). بيد أن المعنى الأصلي للكلمة كان فيها يبدو المشي مطلقاً كما نرى في معجم «بدج» (ص 727 - 728). وتفيد الكلمة ومشتقاتها : المشي، السعي، السفر، ومنها «ش أ س و» = البدو الرُّحّل (من : رَحَلَ) أي غير المستقرين في مكان.

الأستاذ «أمبير» (Ember ; Egypto-Semito Studies, H.) يقابل الكلمة المصرية Sôs Sōsawa بالاثيوبية (= أسرع في المشي، هرول) وبالعبرية Sis (= حصان، خطاف) لشهرة هذين الحيوانين

(3) اللقب مكون من كلمتين : «سر» ملك. العربية : سريٌّ = شريف، رفيع + قن = شرعي. العربية : قانوني. أي : الملك الشرعي، الحاكم الحقيقي. في اللهجة : الحقّاني (قارن تسمية وزارة العدل مصر سابقاً : وزارة الحقانية = العدل، الحق).

(4) Waddell ; Manetho..., p. 85

(5) معجم «بدج» (ص 464)

بالسرعـة[6]. ومن الـواضـح تعـاقب الشـين المعجمة والسين المهملة وسقوط الهمزة من المصرية «ش أ س» في المصرية ذاتها ؛ إذ نقرأ في معجمها كلمة «س س م» ssm (= زوج من الخيل) وهي أصلاً صيغة جمع عروبية بالميم أخذت باعتبارها مفردة فكانت منها في المصرية «س س م ت» ssmt بمعنى «فرس» (معجم بدج ص 696).

ولم تنته الرحلة بعد ؛ فإن الجذر الثنائي «س س» أدى في العربية إلى الثلاثي «سوس» من ناحية ومنه : سياسة الدواب (ساس، يسوس) أي القيام عليها، وسياسة الناس، أي ترويضهم (أو تسييرهم)، والسياسة : فعل السائس (في لغتنا الحديثة انبثقت منها : **السياسي**، على النسبة، ولم تكن معروفة في القديم) ثم الثلاثي «سيس» من ناحية أخرى وفي هذه المادة ورد في (اللسان) :

«يقال : هؤلاء بنو ساسان للسُّؤال»

أي للمتسولين أو «الشحاذين»[7]. فمن أين جاء هذا التعبير ؟

الجواب يكمن في أن «السُّؤَّال» ليسوا إلا سعاةً من باب إلى باب، فهم «رُحَّل» أصلاً لا يستقرون. وهذا ما يعود بنا ثانية إلى الكلمة المصرية «س س» في المقطع الثاني من «هكسوس» في معناها الأصلي وما تطور إليه بعد ذلك من معانٍ تبعد عن الأصل.

الطريف أن هذه الكلمة الرحَّالة في جذرها «س س» موجودة حتى اليوم في اللهجة الليبية المعـاصرة : «سـاسـاي»= سائـل، شحَّـاذ، وتجمـع على «سـواسي» وتفعَّـل : «يسـاسي»، والاسم/المصـدر : «مسـاسـاة». بل هي انتقلت إلى اللغة المالطية فكانت فيها «سيسيا» Sisiya =سؤال، طلب، تسوُّل.

---

(6) في الحكايات الشعبية الليبية، وفي تونس، يسمى الخطاف : «أم سيسي»، وهي تسمية متداولة في الدارجة. وفي لغة الطفولة يدعى الحصان : «صَصْ». وفي اللهجة المعاصرة المصرية يدعى الحصان الصغير : «سيسي». وفي مادة «سيس» صلة بالدواب، والخيول خاصة، ومنها : السائس = راعي الخيول ومروِّضها. دخلت الانكليزية (عن طريق الهندية ـ كما يقول «معجم أكسفورد» الاشتقاقي) في صورة : Syce, Sice.

(7) يعرفون أيضاً بـ«المكدِّين» و«بني ساسان». تردد ذكر «بني ساسان» بمعنى المتسولين في (المقامة الحلوانية) للحريري وفي (المقامة الساسانية) لبديع الزمان الهمذاني. وقد ناقش الكثيرون منشأ كلمة «ساسان» وذهبوا في ذلك مذاهب شتى، فمنهم من جعلهم من الغجر (الزط، أو النور) ينتمون إلى طبقة «السوادس» الهندية الوضيعة، ومنهم من جعلهم ينتمون إلى الدولة «الساسانية» الفارسية بعد أن سحقها الاسلام، فانقلب لقب الشرق والعز إلى معنى التحقير، وبين القائلين بهذا الشيخ محمد عبده في شرحه لمقامات بديع الزمان. كما عالج المسألة الدكتور طه الحاجري في تعليقه على كتاب (البخلاء) للجاحظ. وقد انتبه الدكتور جميل سلطان في كتابه (فن القصة والمقامة) إلى أن النون في «ساسان» زائدة، ولعلها في الأصل نون تنوين، غير أنه ذهب إلى صلة «بني ساسا» بطائفة «السوادس» الهندية (الزطية/الغجرية). (أنظر التفصيل في **مقدمة فاروق سعد لمقامات بديع الزمان الهمذاني**. دار الآفاق الجديدة، بيروت 1982م. ص 18 ـ 20). لكن أحداً، فيما يبدو، لم ينتبه لعلاقة «الهكسوس»، والمقطع الثاني بالذات من الكلمة، بـ(بني ساسا) وما نناقش في هذه الصفحات.

على هذا الأساس ترجمت «هكسوس» إلى الأنكليزية King-Shepherds و : Shepherds Kings (الملوك الرعاة/ الرعاة الملوك). وقد سرت هذه الترجمة وانتشرت. وصحيح أن تطور الدلالة قد يؤدي إلى هذا المعنى. ولكننا عرفنا أن الجذر «س س» يعني في اللغات العروبية، ومنها المصرية، «الحصـان». ومن المسلم به تاريخياً أن وادي النيل لم يعرف أهله استخدام الحصان قبل هجرة «الهكسوس» إليها، إذ هم الذين جاءوا به، كما جاءوا باستخدام عربات القتال في الحرب وهو سبب انتصارهم في معاركهم ضد أهل البلاد القارين[8]. ومن هنا نرى أن معنى اسمهم ينبغي أن يكون : «**ملوك الخيل**» بدلاً من «الملوك الرعاة»، أو هم : «أصحاب الخيول»، أو «أهل الخيل»[9].

* * *

يتحـدث ابن خلدون في تاريخه (العبر) عن قبائل (البربر) وأنسابها حديثاً مشوشاً بنقول متناقضة صارخة التناقض. ومن نافلة القول أن عبقرية ابن خلدون التي تجلت في «المقدمة» تبدو في «تاريخه» وكأنها مسحت تماماً ؛ إذ تكاد تنعدم لديه روح النقد والتمحيص، فإذا نقد قولاً كان نقده أغرب من القول وأشنع. وعلميًا لا يمكن التعويل على ابن خلدون، وأضرابه من الاخباريين العرب، إلا فيما ندر أو ما قرب منه تاريخاً وأحداثاً.

والـذي يهمنـا هنا حديثه عن قبيلة «هوارة»، التي تكتب أحياناً بضم الهاء وأحياناً أخرى بفتحها. وهي قبيلة مشهورة وافرة العدد ذات فروع كثيرة. فنرى ابن خلدون يجعل «هوارة» هذه مرة ممن يسميهم «البرانس» من البربر، أبناء «هوار» بن «أوريغ» الذي كان أخاً لصنهاج ولمط (أبوي قبيلتي صنهاجة ولمطة) من ناحية الأم. ومن «هوار» هذا كانت قبائل أخرى. ويجعلها مرة أخرى من «البتر» ضمن أربعة أجذام. وينقل عن الصولي البكري القول بأن هوارة ولمطة ولواتة ينتسبون إلى حمير بن سبأ، كما يورد القول بأن هوارة تزعم بأنها من كندة من «السكاسك».

عن أصل (البربر) يورد ابن خلدون أقوالاً كثيرة ؛ فهم من أبناء إبراهيم، وأوزاع من اليمن، أو من فلسطين «**فلما وصلوا مصر منعهم ملوك مصر النزول فعبروا النيل وانتشروا في البلاد**». وهم من ولد النعمان بن حمير بن سبأ، ومن ولد جالوت، وأخلاط من كنعان والعماليق، وقبائل شتى من حِمْيَر ومضر والقبط والعمالقة وكنعان وقريش، تلاقوا بالشام واستجاشهم «أفريقش» لفتح أفريقية، «**والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره في شأنهم أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح . . . وأن اسم أبيهم مازيغ . . . وإخوانهم بنو كسلوحيم بن مصرائيم بن حام**». «وقال الصولي البكري : «**إن الشيطان نزغ بين بني حام وبني سام فانجلى بنو حام إلى أهل المغرب ونسبوا**». «**وقال بعض أهـل الآثـار إن الشيـطان نزغ بين بني حام وبني سام فوقعت بينهم مناوشات . . . وخرج حام (الأصـل : سام) إلى المغـرب وقـدم إلى مصر وتفـرق بنوه ومضى على رجله حتى بلغ السوس**

(8) أنظر : Rawlinson ; Ancient Egypt ; p. 132 – 146 .

(9) عودة إلى المقـطع الأول «ح ق» h q (= هك ـ حق) ؛ إذ هي مستعملة الآن في بعض الأقطار العربية بمعنى : صاحب، مالك، ذو (= بتاع، متاع ـ في لهجات أخرى) = الانكليزية of (أداة المِلكية). بذا تكون «ح ق . س س» = (Those) of The Horses = أصحاب/ أهل/ ذوو الخيول.

الأقصى، فخرج بنوه في إثره يطلبونه، فكل طائفة من ولده بلغت موضعاً وانقطع عنهم خبره، فأقاموا بذلك الموضع وتناسلوا فيه، ووصلت إليهم طائفة، وتناسلوا هناك».

من هذا الخلط الفاجع يمكننا أن نلحظ الصلات الوثيقة بين (البربر) - عروبي المغرب - من جهة، والكنعانيين أو العماليق، والمصريين، والفلسطينيين، واليمنيين، والشوام - عروبي المشرق - من جهة أخرى. بل نرى الصلة بين «بني سام» و«بني حام» الذين كانوا أمة واحدة حتى **«نزغ الشيطان بينهم»** فتفرقوا. وسبب هذا الخلط، فيما نرى، يعود إلى أن ابن خلدون، ومن نقل عنهم من الاخباريين، كان يصرُّ دائماً على ارجاع نسب كل قبيلة، أو شعب، إلى جد أعلى لا بد أن يكون معروفاً اسمه ونسبه، تتفرع عنه البطون والأفخاذ حسب الأبناء وأسمائهم، ثم يتفرع هؤلاء ومن جاء بعدهم . . . هكذا - كالشجرة ذات الفروع، ومن هنا جاءت فكرة (شجرة النسب) المعروفة جيداً في التاريخ العربي.

هذا التقسيم النّسبي Geneological أدى إلى ما نعرف من ارتباك في تاريخ القبائل والشعوب العروبية القديمة، وهو تقسيم مبني - للأسف الشديد - على التراث اليهودي التوراتي بما فيه من اضطراب يبدو من التقسيم الأول لأبناء آدم في «سفر التكوين»[10] ولكن تظل - رغم كل شيء - قبسات هنا وهناك يمكن الاهتداء بها وتدعيمها على أساس من البحث التأريخي (الآثاري واللغوي) المقارن.

فلنرجع إلى «هوارة».

خذ مثلاً قوله إن **هوارة تزعم أنها تنتمي إلى «السكاسك»**. فمن هم «السكاسك» هؤلاء ؟

ورد في (اللسان) :

«سكسك بن أشرس، من أقيال (ملوك) اليمن. والسكاسك والسكاسكة : حيٌّ من اليمن أبوهم ذلك الرجل. والسكاسك ؛ أبو قبيلة من اليمن، وهو السكاسك بن وائلة بن حمير ابن سبأ، والنسبة إليهم، سكَسكي».

وملاحظاتنا :

1) لماذا اختلفت التسمية ما بين «سكسك (بن أشرش) مرة و«سكاسك» (بن وائلة) مرة أخرى ؟ الأولى مفردة والثانية جمع.

2) لا وجود تاريخياً لـ «وائلة بن حمير بن سبأ». فكلمة «سبأ» ليست اسم شخص بل هي اسم شعب. وبذا فإن التسلسل النّسبي باطل، مثله مثل بقية الأنساب.

3) كثير من الأسماء في الأنساب موضوع ومطعون فيه، فقد كان النسابون وضاعين معروفين لعوامل كثيرة مختلفة[11].

(10) أنظر (الاصحاح الرابع) عن عقب آدم وقارنه بما ورد في (الاصحاح الخامس) من «سفر التكوين».

(11) قارن : كتاب الاكليل، للهمداني، تحقيق محمد بن علي الأكوع، منشورات المدينة، ط 3 - بيروت 1986م. الجزء الأول، ص 358. وفيه يتضح الخلط والارتباك في الانساب، ومن ذلك الحديث عن سكسك، أو السكاسك، بن أشرس وغيره.

بعد هذا . . ما الذي يمنع أن تكون «السكاسك» التي انتسبت إليها «هوارة» هي ذاتها تحريف عربي لليونانية «هكسوس» التي كانت تحريفاً بدورها للعروبية المصرية «ح ق . س س» كما مر البيان ؟

إنها بقايا ذكريات التسمية القديمة ظلت سارية في شمال أفريقيا حتى جاء الفتح الاسلامي ، فقرن بينها وبين «سكاسك» اليمن ، مهما كانت نشأة هذه التسمية في الأسطورة والتاريخ .

هل يبدو هذا القول غريباً ؟

فلنردفه بقول آخر . . عن أصل تسمية «هوارة» ذاتها ؛ ابن خلدون ينسبهم إلى «هوار» بن «أوريغ»[12] في ذلك الخلط المشوش كما رأيت . . من (البربر) البتر تارة ومن البرانس تارة أخرى ، أو هم - كما يزعمون - من حمير بن سبأ . فلنعد إلى «الهكسوس» .

تتحدث المراجع عن أن «الهكسوس» استقروا المدة الطويلة من الزمان حكاماً في شمال وادي النيل ، وكان سلطانهم مبسوطاً على الجنوب أيضاً نفوذاً وسيطرة . وتتحدث عن مدينة شهيرة بنوها وكانت عاصمة لهم[13] يُكتب اسمها في المصادر بأشكال مختلفة وإن تقاربت :

في المصرية : «ح ت . و ع ر . ت»[14] ḥ t. w ^{c}r.t

(عاصمة إقليم «إ م ن . ت» = i m n.t. Libya Mareotis)

«ح ت . و ع ر . إ م ن ت»[14] ḥ t. w ^{c}r.i m nt

(12) في ربط ابن خلدون بين «هوار» و«أوريغ» يمكننا أن نلحظ الصلة بين عاصمة الهكسوس «هور» hwr والعاصمة السومرية «أُرُكْ» Uruk (Ur–ki) التي تعرف في التوراة في صورة Erech وهي تعرف الآن في العراق بصورة «الوركا» Warka التي سيلي الحديث عنها بعد قليل . وفي ظني أن الانساب التي يسردها ابن خلدون وغيره من الاخباريين المسلمين تحتاج إلى إعادة نظر ودراسة جديدة على ضوء الاكتشافات الأثرية واللغات العروبية القديمة ، إذ لا ريب عندي في أن كتابات هؤلاء الاخباريين ، من مثل المسعودي ورفاقه ، تحتوي على أصداء من الماضي البعيد مشوشة بحكم بعد الزمان وعدم معرفتهم باللغات القديمة ، فانعدمت لديهم امكانية البحث المقارن والتمحيص الدقيق .

(13) لم يتحدد موقع هذه العاصمة بدقة ، وإن اتفق على أنها كانت في شرق الدلتا . وقد ربط موقعها بـ «بوباستيس» Bubastis (تل البسطة) وبـ «سائيس» Saïs (صا الحجر ، أو صان الحجر) ، أو «تانيس» Tanis (تَنَس) ، وأماكن أخرى . (أنظر : Waddell ; Manetho, p. 80 - 81) ومن رأي «رولنسون» (Rawlinson ; Ancient Egypt, p. 138-139) أن «الهكسوس» بنوا مدناً عديدة منها العاصمة Avaris على فرع رشيد ، و«زوان» Zoan (كما ترد في التوراة) وهي «صا / صان» ، والتي هي موقع يسمى (ميت فارس) الآن عند الفيوم .

(14) لاحظ أن المصرية «ح ت» تعني : دار ، بيت ، قلعة . عربيتها : «حط < حيط / حائط» . وباعتبار «و(ع)ر» صارت اسم علم فإن «ح ت . و ع رت» = قلعة «المدينة» ، «ح ت . و ع ر . إ م ن ث» = «قلعة مدينة [إقليم] إمنت» .

(قسم من عاصمة إقليم «إ م ن ت»).
(معجم بدج، ص 1015).

في اليونانية : θεολογιας Αϋαριν **(ثيولوغياس أوارين)** :
(أوارين الدينية/المقدسة)
(تاريخ «مانيثون»، ص 80).

في الأنكليزية : تنقل عن اليونانية في شكلي : Avaris, Auaris
(Rowlinson ; Ancient Egypt, p. 138).

اسم عاصمة «الهكسوس» هذه لا يعني شيئاً سوى : «المدينة»، أو ما يؤدي إلى معناها من الاحاطة والتسوير، أو الاقامة والاستقرار. ولنا في تاريخ تسميات المدن الكبرى أمثلة تشير إلى أن الأصل فيها هذه الدلالة[15]. لذا فإن البحث يتجه نحو مكافىء عربي للصيغ التي أوردنا ؛ فالمصرية «و ع ر» wᶜr هي في الواقع «و ر» w r ، فإن العين في الكتابة الهيروغليفية كثيراً ما تضاف ونجدها تسقط عند المقابلة بالعربية، أو العروبيات، أو تبدل[16]. واليونانية «أوارين» auarin و«أفاريس» avaris في الأصل ـ aur (أور)، ومعلوم جداً أن الهاء في العروبيات تقلب في اليونانية همزة، وفي اليونانية الحديثة حلت الهمزة محل الهاء في اليونانية القديمة حتى في الأسماء، وهو أمر معروف. فالأصل في اليونانية إذن هو «هور» = «أور». ولعل هذا هو النطق الأصلي لاسم عاصمة «الهكسوس» : «هور»[17].

فما هو المقابل العربي ؟

إنه في مادة «ح و ر» في السبئية.

في معجم «بييلا» (J. Biella ; Dict of old south arabic, p. 170) نجد أن «ح و ر» في النصوص السبئية تفيد معنيين : 1) الذهاب 2) الاستقرار. وقد يبدو أن هاتين الدلالتين متضادتان. ولكن

(15) قارن : «أوغاريت» Ugarit ـ عاصمة الكنعانيين = «قرت» = (ال)قرية. و«قرطاج» < «قرت ـ حدش» القرية (أوغاريت) الحديثة = الجديدة. «مصر» = المصوَّرة/المسوَّرة. «أبيدوس»< «أ ب د» (عاصمة الجنوب في مصر) = أَبَدَ = مَدَنَ < مدينة.

(16) قارن مثلاً المصرية «ن ع ر» nᶜr (ماء) = الأكادية «نارو» nāru ، الكنعانية «ن أ ر» nar العربية : «نهر».

(17) «بروغش» وحده، فيما اطلعت عليه من مراجع أجنبية، يكتب الاسم Hauar ، وإن ذهب في تحليل معناه مذهباً آخر (History of Egypt, vol. I, p. 203-4) . وقد فعل الشيء نفسه الدكتور عبد العزيز صالح (حضارة مصر القديمة، ص 39ـ40) الذي يكتبها «هوارة» ـ عن الأصل القديم «حت وعرة» ويقول إنها تسمية يصعب تفسيرها فهي قد تعني : قصر الربوة، أو قصر الناحية، أو دار الساق. وهو في هذا يتبع تفسيرات العلماء الأجانب. تفسيرنا نحن أن «ح ت. و ع ر ت» ḥ t wᶜr t = (1) «ح ت» : حيط، حائط = مدينة + «و ع ر ت» = «و هـ ر ت» مقلوب «هـ و ر ت» والتاء في آخرها للتأنيث = (مدينة هور) = هوارة.

الأمر ليس كذلك ؛ فمعنى الذهاب والمضي (وأحياناً : الاياب) يأتي من «حَوَرَ» بمعنى : مشى ، سعى ، قدم[18].

وتقارن بالاثيوبية «حورا» ḥora = يذهب[19]. والأصل : التردد[19]، الدوران حَوْلَ ، أي : الحَيْرة (حَوَرَ = حَيَرَ). أما معنى الاستقرار فقد جاء من «حَوَرَ» أيضاً بمعنى الاحاطة والشمول، الدوران . . إذ تبنى المدينة ، أو القرية أو المستقر مهما كان ، فتحاط بسور حولها ، يحورها = يحوطها ، يحويها . وهنا تقارن «ح و ر» (= مدينة) بالعربية : «حارة»[20] = قسم من مدينة . وفي لهجة جنوب الجزيرة العربية المعاصرة : حارة = قرية[21] (المصدر نفسه ـ مع نصوص مقارنة) .

كيف تحولت «حور» إلى «هور» ؟

الأمر لا يعدو تعاقب الحاء والهاء ـ وهما من مخرج صوت واحد ـ وكثيراً ما يتعاقبان في العربية ذاتها (قارن : مدهه = مدحه) .

كان اسم عاصمة «الهكسوس» في مصر إذن هو «هور» . وطبيعي جداً أن ينسب القوم إليها . فنحن نعرف الكثير عن هذه النسبة إلى المدن (البابليون نسبة إلى «باب ـ إل» = «مدينة إل» ، والأشوريون نسبة إلى مدينة «أشور» ، وقس على هذا : القرطاجيون = قرطاجة ، المصريون = مصر (المصر = المدينة) ، وعشرات الأمثلة في القديم والحديث) . فهم : الهوريون : الهوَّارة[22] .

فما الذي جاء بهم إلى شمال افريقيا ، ليصبحوا قسماً من قبائل (البربر) يا ترى ؟

التاريخ يحكي عن ثورة الجنوب على الشمال في وادي النيل ، وزحف الجنوبيين على الشماليين أي على «الهكسوس» ـ تماماً كما فعل «مينا» في الألف الرابعة قبل الميلاد . وهو الزحف الذي أحيط بهالة كبيرة من التزييف والمبالغة في المصادر المصرية (إذ من طبيعة أي نظام حكم جديد أن يسيء إلى سابقه ، ليبرر سيطرته هو) وفي كتابات علماء الغرب عن تلك الفترة من تاريخ الوادي ، لأهداف لا تخفى عن الناظر المتفحص . كانت الثورة ، أو الزحف الجنوبي ، بقيادة «أحمس» كما هو معروف وهو الذي صار بطلاً «قومياً» بعد ذاك . وقد سقطت «هور» العاصمة «الهكسوسية» وسقط تبعاً لذلك نظام حكمهم . وقيل لنا إنهم «طُردوا» من مصر وأعيدوا أدراجهم من حيث أتوا . . جميعاً ، بدون استثناء ، فرداً فرداً ، كل «هكسوسي» وكل «هكسوسية» عن بكرة أبيهم ، نحو الشرق .

---

(18) قارن القرآن الكريم : ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ الانشقاق : 14 أي لن يعود .

(19) في اللهجة الليبية المعاصرة : دَهَبْ = ضَلَّ ، احتار . «اندهبت شيرته» = حار في أمره = ضلت مشورته .

(20) مادة «حور/حير» أدت إلى تسميات مدن أخرى في الوطن العربي من مثل : «الحيرة» (عاصمة المناذرة) و«حوران» في بلاد الشام .

(21) كذلك بمصراته في (ليبيا) منطقة الزروق ، هناك قرية كانت تسمى «الحويرة» .

(22) بوزن فعَّالة . قارن : خرَّازة = خرازون ، فحَّامة = فحَّامون ، بحَّارة = بحَّارون ، خيَّالة = خيَّالون ، نظَّارة : نظَّارون .

هل هذا معقول ؟

يذكر «مانيثون» في تاريخه (ص 83) أن حامية «هور» وحدها كانت تتكون من 240.000 (مائتين وأربعين ألف) جندي مدجج بالسلاح، فكم كان يبلغ عدد «الهكسوس» إذن، وقد كانوا يحكمون الدلتا كلها بأقاليمها حكماً مباشراً ويبسطون نفوذهم العسكري والسياسي والاقتصادي على الصعيد ؟

وتقول بعض المصادر إن حكم «الهكسوس» استمر خمسمائة عام، وفي مصادر أخرى مائتي عام. فلنأخذ بالمتوسط.. ثلاثمائة عام. فكم تراهم تناموا في تلك الفترة ؟ وهل من المعقول أنهم لم يندمجوا بعناصر السكان في الوادي ؟

ثم لماذا يعودون إلى المشرق وحده، وهو الذي جاءوا منه ؟ أليس من المعقول أن ينتشروا، بعد انتهاء حكمهم شرقاً وغرباً، أعنى أن يسيحوا في الأرض ؟

وقد قرأنا عن ابن خلدون بقيةً من فكرة تقول إن **«حام خرج إلى المغرب وقدم إلى مصر وتفرق بنوه ومضى على وجهه حتى بلغ السوس الأقصى، فخرج بنوه في إثره يطلبونه، فكل طائفة من ولده بلغت موضعاً وانقطع عنهم خبره أقاموا بذلك الموضع وتناسلوا فيه ووصلت إليهم طائفة وتناسلوا هناك»**. أو قوله عن مجيء (البربر) من فلسطين : **«فلما وصلوا مصر منعهم ملوك مصر من النزول، فعبروا النيل، وانتشروا في البلاد»**.

ضع كلمة «الهكسوس» بدلاً من «حام» (ولا تنس أن الهكسوس قيل إنهم من الكنعانيين حسب بعض المصادر، وأن الكنعانيين في التوراة من ولد حام) أو بدلاً من (البربر) الذين قدموا من فلسطين تجد الصورة منطبقة. ولن نناقش التفاصيل، وإنما المهم أنه كانت هجرة من المشرق، عبر مصر، إلى المغرب.. وهي واحدة من هجرات كثيرة متواصلة متبادلة بين المشرق والمغرب، في أية صورة كانت هذه الهجرة.

فلنقل بعد هذا إن «الهكسوس» (أهل مدينة «هور» = «هوار» = «هوارة») غادروا ـ أو على وجه الدقة : غادر بعضهم ـ العاصمة التي سقطت، فمنهم من غرّب ومنهم من شرق، ومنهم من صار جزءاً من سكان مصر واندمجوا في تلك البوتقة العظيمة الصاهرة، فالذين غربوا كانوا قبيلة هوّارة (البربرية)، ولا نستبعد هنا العودة إلى نشأة الإسم الأولى (هور = حور)، فكانوا «هوارة» بمعنى «الرُّحل»، البدو، الساعين أبداً، يحورون هنا وهناك.

أما الذين شرّقوا فقد كان لهم حديث آخر يهمنا منه رواية «يوسفوس» عن «مانيثون» أن حوالي ربع مليون من «الهكسوس» غادروا مصر شرقاً، بعد معاهدة صلح مع «أحمس» ومضوا إلى بلاد الشام، وهناك **«بنوا في الأرض التي تدعى اليوم «يهودا» Judaea مدينة على قدر من الضخامة تتسع معه لتلك الآلاف من الناس، وأطلقوا عليها اسم (أورشليم) Jerusalem»**[23].

---

(23) تاريخ «مانيثون»، ص 89.

أمـا معنى التسمية فهـو، باتفاقٍ، «مدينة السلام». وكلمة «سلام /سَلْمٌ» العربية كلمة عروبية قديمة جدًّا، وجدت في نقوش «رأس شمرا» الكنعانية «ش ل م» š l m واستعملها الفرعون «مرنبتاح» أواخر القرن الثالث عشر في لوحة انتصاراته على (الغزو الليبي الأول) «ش ر م» š r m (ر = ل. معجم بدج، ص 727) وفي البابلية تدخل في اسم «شلمنصر» «شلم + نصر» ؛ كما تدخل في اسم «شلمن» = «سلمن» = «سليمان». وهي المقطع الأول من اسم المدينة المقدسة.

ويلفت النـظر فعلاً أن يبني «الهكسوس» الذين وصموا بكل نقيصة، فهم القتلة وسفاكو الدماء والمخربون وذابحو الأطفال والنساء، أن يبني هؤلاء «المجرمون» مدينة جديدة في «منفاهم» فيسمونها (مدينة السلام). وحتى لو قيل لنا إن «سلم/ش ل م» إسم إلّه معبود لديهم فما من شك في أن التسمية تدل على السـلامـة والأمن والطمأنينة تنطبق على معبود رحيم طيب، يخالف كل المخالفة معبود اليهود «يهوه» من بعد، بكل فظاعته وفظائعه الدموية.

شيد «الهكسوس» مدينة السلام.. «أورشليم»، وقد تبين المقطع الثاني من الاسم المركب. ويبقى المقطع الأول: «أور» أو «أر» ur ، ومعناه ـ كما قلنا: «مدينة». وهو ورد في النص اليوناني 'IEpo وينقـل إلى اللغـات الأوروبية Jeru (حرف j ينطق أحياناً ياءً، قارن heleluja = هللويا). والعجيب أن الأستاذ «وادل» Waddell مترجم روايات تاريخ «مانيثون» (ص 88-89) يورد أسماء مدن فيها هذا المقطع من مثل Jeru-baᶜal (مدينة بعل)، Jeru-él (مدينة إل)، Jaru-wataš (مدينة وتش)، ويقول إنه «غير (سامي)» (!)

أنظر إلى اليونانية IEpo (hero) تجد الحرف الأول منها مبدلاً من الهاء ـ كالعادة ـ في (هيرو) والهاء مبدلة من الحاء في «حير» التي تعادل بالضبط «حور» (السبئية «ح و ر») ومن الأولى «الحيرة» ومن الثانية «حوران» ـ على سبيل المثال، وكلاهما = قرية/مدينة/بلد.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإننا نجد كلمة «أُر» ur بمعنى «مدينة» في النقوش الأكادية بالقلم المسماري (Uru (> ur وهي صارت بالتمييم (كما في السبئية = في العربية: التنوين): Urim, Urum في حالتي الرفع والجر (فالأكادية لغة مُعْرَبَةٌ ـ أي تظهر الحركات في أواخر كلماتها كالعربية)[24].

ولعل هذه الكلمة ذاتها كانت في العربية مُـمَيَّمةً: «إرم»[25]. ويقرر الأستاذ «ألبرايت»

---

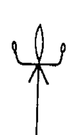
(24) أنظر في ذلك: رمضان عبد التواب: فصول في فقه اللغة العربية، ص 369 ـ 395.

(25) وهي التي ورد ذكرها في القرآن الكريم ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد. إرم ذات العماد. التي لم يخلق مثلها في البلاد. وثمود الذين جابوا الصخر بالواد. وفرعون ذي الأوتاد﴾ (سورة الفجر). وقد نسبت «إرم» إلى عاد، وهذا لا يمنع أن تكون نفس التسمية في العراق أو غيرها من أقطار الوطن العربي؛ فإن أسماء مدن كثيرة تتردد في أقطار عديدة (حضرموت، في جنوب الجزيرة، وحضرموت (سوسة) الآن في تونس، على سبيل المثال فقط. ويذكر مؤلفا كتاب (إبلا.. لغزآثاري) (Ebla, An Archaelogical Enigma, p. 191) أنه عثر في آثارها على أسماء «ثمود» في صورة Sha-mutu و«عاد» Ad و«إرم» Iram مما يطابق ما في القرآن الكريم. أما كيف تتحول الكلمة مُيَمَّمَةً إلى اسم علم فإننا =

(The Cambridge Ancient History, vol. I, p. 149) أن تغيرات صوتية حدثت دون شك في نطق هذه الكلمة، وهي ذاتها Uruk [26] المدينة السومرية العتيقة.

وقد يقول قائل إن الكلمة سومرية الأصل، وليست عروبية، أو «غير سامية» كما قال «وادل»، وذلك باعتبار السومريين عنصراً قطن بلاد النهرين قبل وصول (الساميين). وهذا رأي شائع عند الباحثين، ومنهم العرب للأسف، تدحضه المقارنات اللغوية بين السومرية وبقية اللغات العروبية، ويدحضه قول باحث معروف هو الأستاذ «ألبرايت» في (تاريخ كمبردج القديم) إن «كثيراً من العلماء اليوم يميلون إلى القول بأن (الساميين) كانوا هناك [في العراق] في نفس الفترة المبكرة (من التاريخ) التي كان فيها السومريون، وأنهم أثروا في الأخيرين مثلما أثر الأخيرون فيهم»[27].

هكذا إذن كان الأمر ؛ جاء «الهكسوس» إلى مصر في إحدى الهجرات الكبرى من المشرق، وسيطروا على الوادي قروناً، ثم انتهى ملكهم بسقوط عاصمتهم «هور»، فمضى فريق منه غرباً وكانت قبيلة «هوارة»، وعاد فريق آخر إلى الشرق، واستقر في فلسطين وبنى «مدينة السلام» (أور - شليم)، كما يعترف «يوسفوس» المؤرخ اليهودي ذاته، ولعلها كانت تنطق «هُور» وأبدلت الهاء همزة، كما تعاقبت مع الحاء في «حور». فهي مدينة عربية منذ فجر التاريخ وقبل أن يظهر العبرانيون على مسرح التاريخ بمئات السنين. وعندما جاء هؤلاء إلى فلسطين غزاة وجدوا «مدينة السلام» قائمة مزدهرة، مدينة مقدسة، وقد صار اسم أهلها «الكنعانيين» (تذكر : في بعض الأقوال إن «الهكسوس» أصلاً كنعانيون) وأسماهم العبرانيون : «العناقيم»، أي : العماليق، «الجبارين» بلغة القرآن الكريم[28].



= نضرب مثلاً من اللهجة الليبية المعاصرة، إذ نجد فيها كلمة «بَنيمة» بمعنى «حجر» وتجمع على «بنيمات» (أحجار) واسم الجنس منها «بنيم»، ولا جدال في أن هذه الأخيرة صيغة جمع بالميم لـ«بن» = حجر، في اللغات العروبية، ومنها : بنى، يبني، بناء. «بن» < «بنيم» تماثل تماماً «ار» < «أريم» ثم سهلت إلى «إرم» بكسر الهمزة في أولها.

(26) هي ذاتها في التوراة Erech، وتنطق اليوم على ألسنة عرب العراق «وركا» Warka (Kramer ; The Sumerians, p. 27) وقد تكون «أُرُكْ» ذات صلة بتسمية «العراق». ونلاحظ أن الأصل هو Ur أما المقطع الثاني Uk فهو متطور عن المحدِّد Ki في السومرية التي تعني : بلاد، أرض (قارن العربية : قيا = أرض) وتأتي آخر الكلمة Uru-ki < Uruk (= حرفيا : بلاد أور. أرض أور).

(27) The Cambridge Ancient History, Vol. I, p. 147.

(28) ﴿قالُوا يا مُوسى إنَّ فيها قوْماً جبَّارِين﴾ (المائدة، 24). كان ذلك قول بني إسرائيل لنبيهم عندما طلب منهم القتال ولم يدخلوها في عهد موسى، حتى جاء داود ودخلها غازياً كما هو معروف.

بحثاً عن فرعون العربي*

قامت الحضارة المصرية القديمة على دعامتين كبيرتين في أساسها الثقافي المدني : **الدّين** - باعتباره محور حياة المصريين، في الدنيا والآخرة، ومحرك عواطفهم، والباعث على تسطير أفكارهم ودعواتهم وصلواتهم للأرباب على جدر المعابد وورق البردي، مما كوّن تراث مصر اللغوي والثقافي كله. ثم : **المَلِك** - باعتباره مركز الاهتمام والحركة السياسية والادارية والاجتماعية، حتّى صار هو المعبود، له تبنى الاهرامات وتسجد الرعية ويسبح باسمه صباح مساء.

هكذا قامت حضارة مصر القديمة. ومع هذا، وهنا موطن العجب، تخلو اللغة المصرية تماما من الكلمتين الأساسيتين المهمتين : «الدين» و«المَلِك». والمقصود بتعبير «الدين» هنا ذلك النظام الخاص المركب من معتقدات وطقوس تحدد معالم سلوك الفرد فيما يتعلق بالدنيا والآخرة مما يقابل كلمة Religion مثلما هو الحال بالنسبة لليهودية والنصرانية والاسلام أو حتّى البوذية، ذلك لأنّ مدلول مثل هذا النظام كان بعيدا عن ذهن المصري القديم. صحيح أنه كانت لديه تصورات عن نمط من الشعائر، مثل الصلاة وتقديم القرابين، وأفكار خلقية كالتواضع وفعل الخير، مما نجده في اللغة المصرية وخاصة في المرحلة المتأخرة، كما كانت لديه تصورات معينة عن الآلهة والكون والخلق والبعث وغيرها مما يدخل في صميم الديانة، لكن هذا وحده لا يكون نظاما دينيا مركبا شاملا بحال[1].

والملاحظة المهمة هنا أن كل ما يتعلّق بحياة المصري القديم الدينية، تجاوزا، من معتقد وعبادات كان منبثقا عن موقفه من فرد واحد، هو (الفرعون) ؛ فهو ابن الآله، أو الآلهة، بل هو الآله المعبود ذاته. وكلمته هي العليا وهي القانون. وهذا ما يفسر خلو التراث المصري من تشريع ثابت أو قوانين متفق عليها يسير على هديها المجتمع ويطبق نصوصها القضاة، كما هو الحال مثلاً في

* كانت هذه المقالة عنواناً لمجموعة مقالات أخرى نشرت معها، ورأينا إثباتها هنا لصلتها بما نحن فيه.

(1) Hall and Simpson ; The Ancient Near East, p. 216-17 .

ويقول ج. شيرني J. Cerney في كتابه Ancient Egyptian Religion (ص 57) :

«إن أي عمل من أعمال الدين من وجهة نظر المصريين القدماء هو في تصوّره شأن من شؤون السحر. وحقيقي أن اللغة المصرية افتقرت إلى كلمة تعبر عن (الدين). وأقرب كلمة تعبر عنه هي كلمة (هيكي hike) التي تعني (السحر)».

حضارة بابل. فقد كان الفرعون مركز الوجود ومصدر القوانين والمرجع الأول والأخير في جميع ما يتّصل بالسلوك العام والخاص على حد سواء[2].

وكان الموقف غريبا حتّى في علاقة الفرد بالآلهة، إذ لم تكن ثمة علاقة مباشرة أبدا بين البشر والأرباب، بل لا بد من وسيط هو الفرعون ذاته الذي تحبه الآلهة، وقد تحب البشر بشكل ما، أما أن يحب البشر الأرباب فهذا ذاته ما لا يجوز[3] ومن هنا كان «الدين» شيئا بعيدا عن ذهن المصري، وكانت عبادته للأرباب، متميزة أو متمثلة في الفرعون، مجرد طقوس تؤدى بطريقة آلية واجبة التطبيق دون إحساس شخصي بوجود الألوهية المباشرة. وهذا ما جعل من حق الفرعون أن يقول «**أنا ربّكم الأعلى**»[4] بالمعنيين: الربوبية الدينية والربوبية الدنيوية.. أي الحاكم المطلق غير المنازع.

في الفرعون إذن نجد امتزاج الدين والدنيا وتداخل فكرة «الدين» وفكرة «الملك» المطلق، فهو الفرد الممثل لكليهما معا. وبانتفاء مفهوم الدين كنظام معين انعدم اللفظ المعبّر عنه في اللغة ووجدت ألفاظ تعبر عن الأفكار والشعائر والتصورات الدينية دون النظام ذاته. وبتداخل مفهوم «الملكية» مع الألوهية في شخص الفرعون لم تكن صورة «الملك» كما عرفتها الحضارات القديمة الأخرى، أو كما نفهمها نحن الآن، واضحة في ذهن المصري فانتفت هي الأخرى من قاموس اللغة وحل محلها تعبيرات مختلفة استعملت للاشارة إلى هذا الملك - الإلـه عند الحاجة.

هذا القول يؤيده ما سوف نراه من أن اللغة المصرية تحتوي على عدد وفير من الكلمات العربية الدالة على الحكم والولاية لكنها لا تشمل الجذر «م ل ك» الذي استعمله العرب الكنعانيون مثلا بكثرة وعرب فلسطين قبل الغزو العبري، بل استعملته حتّى القبائل العربية الصغيرة في الحجاز[5].

فما هي الألقاب التي استعملها المصريون للاشارة إلى الملك؟ وما علاقتها باللغة العربية؟

أما الألقاب فسوف نتعرض لها، بعد قليل، بالسرد والعرض والتحليل، وأما علاقتها باللغة العربية فهو ما سيبدو بوضوح كامل من خلال هذا العرض والتحليل. وقد أصبح من نافلة القول

---

(2) Speiser; Oriental and Biblical Studies, p. 548. :
«كان الفرعون، باعتباره إلّها، هو الدولة.. ومن الضروري لأية دولة أن يكون لها قواعدها وتنظيماتها للإجراءات الادارية، ولكن من الواضح أنه لم يكن في مصر تشريعات مقننة متفق عليها وإليها يرجع الإداريون والقضاة دون اعتبار للتاج. وكان العرف أن كلمة الفرعون هي القانون.. وقد منع تركيز الدولة في شخص الفرعون وجود أي قانون عام، فإن أي تشريع مقنن كان سيصطدم حتما بسلطة الفرعون الشخصية». قارن: J.A. Wilson; The Burden of Egypt, p. 49-50. وانظر أيضاً: The An. N. East, p. 217.

(3) Hall and Simpson; The Anc. Near East, p. 202

(4) قرآن كريم: سورة: النازعات آية: 24.

(5) شيخ قبيلة بني عبس المشهورة في ملحمة عنترة بن شداد العبسي كان يسمّى «الملك» زهير على الرغم من أن عبسا كانت مجرد قبيلة صغيرة من قبائل العرب ولم تكن «دولة» بالمعنى المفهوم من اللفظ. ويثبت النقش المشهور على قبر امرىء القيس بأنه كان يدعَى «ملك».

الآن الحديث عن اللغة المصرية باعتبارها أختا شقيقة للعربية، تماما كما هو الحال بالنسبة للبابلية والكنعانية والليبية وغيرها. وكان الباحثون لفترة طويلة من الزمن يقسمون لغات الوطن العربي إلى قسمين: **سامية**، وتشمل لغات الجزيرة العربية، **وحامية** وهي اللغات في مصر وشمال افريقيا. وكتبت آلاف الدراسات والبحوث على هذا الأساس. وكان الباعث على هذا الاتجاه خطأ تاريخي يكمن في الاعتماد على تقسيم التوراة للأمم والشعوب من جهة، ومخطط سياسي ينبع من الرغبة الملحة في تقسيم شعوب الوطن العربي عن طريق تجزئة تراثه الثقافي والحضاري القديم ومقومه الأول - اللغة، ولكن الكثيرين الآن يرجعون إلى التسليم بوجود «قاسم مشترك» لا ينكر بين لغات هذا الوطن القديمة، أسماها بعضهم «اللغة الأم»، أو السامية - الحامية تحرجا من تسميتها **«اللغة العربية الأولى»** باعتبار العروبة في عصرنا الحاضر ذات مدلول سياسي وقومي قائم بذاته. ولكننا نحن، بالطبع لا نجد هذا الحرج. ولذا فإن من الممكن تسمية مجموعة اللغات المعروفة باسم السامية - الحامية اللغة **«العروبية»** تمييزا لها عن «العربية» ومحاذاة للغة «المصرية» و«الكنعانية» و«الليبية» و«السبأية» وغيرها من «ثمودية» و«آشورية» و«بابلية» و«آرامية» الخ. هي كلها تنبثق من مصدر واحد وترجع إلى أصل موحد أول، تفرعت بحكم التطور الطبيعي ونمت حتى بدا أنها مختلفة وهي في حقيقتها الأولى واحدة دون ريب[6].

هذا المنطلق هو الذي يقودنا إلى استعراض الألقاب الملكية في مصر القديمة على ضوء وحدة الأصل اللغوي المشتق منه اللقب، ومقارنته بالألقاب التي استخدمت في مختلف مناطق الوطن العربي قديما. . استنادا إلى أقوال الباحثين الغربيين أنفسهم وشرحهم لمعاني هذه الألقاب في دراساتهم وبحوثهم. **ومنها نرى أنها جميعا عربية قحة، وأن أشهرها - فرعون - الذي تعزى إلى اسمه «الفرعونية» بمعناها الاقليمي المنغلق الضيق هو في حقيقته لقب عربي صميم، بشاهد اللغة ودليل التاريخ**، ويبقى أمامنا القول بأن هذه **«الفرعونية»** المفهومة خطأ في الأذهان لا تخرج عن كونها صورة من صور **«العروبية»** شاء المخطئون فهما أم أبَوا!

فلنعد الآن إلى هذه الألقاب الملكية المصرية القديمة، ولننظر في أمرها من حيث انطلقنا، ولنحصرها في خمسة هي بالتحديد:

(1) **«ن ب»**، (2) **«ن س و»**، (3) **«ب ت»**، (4) **«ح ك»**، (5) **«ف ر- ع أ»**.

ثم لنأخذ القارىء إليها واحدة تلو الأخرى.

---

(6) لم أكن، شخصياً، مقتنعا بالتعبير عن مجموعة لغات الوطن العربي في شرقه بأنها لغات «سامية» وفي غربه بأنها لغات «حامية» وحتى بعد تسليم الكثير من الباحثين الغربيين بوحدة هذين (الفرعين) ونشأتهما من لغة أم واحدة لم أجد التعبير عنها بأنها «السامية/الحامية» مرضيا. **وتجب الاشارة هنا إلى فضل الأستاذ خليفة التونسي الذي عالج المسألة في مقالة نشرت له بمجلة (العربي) واقترح لفظا يدلّ تماما على الغرض وهو لفظ «العروبية»** بدلا من «السامية» أو حتى «السامية/الحامية». **وبذا تندرج جميع لغات الوطن العربي القديمة وقسم من لغات افريقيا تحت هذا اللفظ، دون احساس بالتقسيم الغامض المعروف من قبل. وهنا أحب توجيه الشكر للأستاذ التونسي على تقديمه هذا المصطلح الموفق الذي نرجو أن ينتشر ويذيع.**

1. ن ب (n b) :

تترجم عادة بأنها : مولى ـ سيد ـ (lord, master) أو ببساطة : المولى (الملك)[7]. وهذا ما يجعلها تساوي بالضبط كلمة «رب» العربية. ومن المعروف أن حرفي النون والراء يتبادلان في اللغات العروبية الأولى. فنجد في الأكادية والبابلية والسبأية القديمة كلمة «ب ر» بمعنى «بن» أو ابن الصلب، أو الولد من الصلب. وكلمة «نب» أو «نبو» نفسها معروفة جدا في البابلية بمعنى «رب» ونجدها في عدد من الأسماء مثل : «نب ـ عقب»، «نب ـ خذ ـ نصر» (نبو خذ نصر = نبختنصر). وتدخل في جمل وأسماء كثيرة باعتبارها «الرب» تماما كما يدخل اسم «بعل» عند الكنعانيين و«رع» أو «أمون» عند المصريين. فنقرأ :

نبو حن (الرب حنون)، نبو رعي (الرب راع)، نبو شمع (الرب سميع)، نبو رف (الرب مرفه = منعم)، نبو شرع (الرب صارع = غالب)[8].

كلمة «**نب**» المصرية إذن تعني «**الرب**». ومن هنا نجد تعبيرا مصريا معروفا من مثل : «**ن ب و ى**». وهو مثنى «**ن ب**» ومعناه : السيدان : أي الآلهان : حورس وشيت. ومقابله العربي : الربان. ونجد تعبيرا آخر هو : «**ن ب ت. پ ر**» ومعناه الحرفي : ربة البيت (mis-tress of the house). (ولاحظ تاء التأنيث «نبت» وهي كالعربية تماما. وانظر كلمة «پ ر» في تحليل اسم فرعون)*.

2. ن س و (n s w) :

استعملت هذه الكلمة للدلالة على «ملك مصر العليا» أو الصعيد، أو ما يعرف أحيانا باسم «الوجه القبلي» باعتبار مصر مكونة منذ القديم من اقليمين أو قطرين هما الصعيد و«الوجه البحري» أو «الدلتا» ـ تفصل بينهما ممفيس[9] أو القاهرة الآن.

في النقوش البابلية يقابلنا كثيرا اللقب «**ناشيء**» أي : الحاكم أو ذو المنصب.

وفي النقوش السبأية (محرم بلقيس) نجد «**نشأ** ـ كرب (قرب)» باعتباره قائدا عسكريا، أو ملكا[10].

(*) يرجع الجذران «ربا» و«نبا» إلى معنى واحد : ارتفع.
قارن : ربوة = نبوة = مرتفع. وفي مادة (نيب) : الناب = السيد.

(7) Gardiner; Egyptian Grammar, p. 573

(8) Run Zadok; On West Semites in Babylonia, p. 7 J.B. Pritchard; Ancient Near Eastern Texts, Princeton, 1950.

(9) Eg. Grammar, p. 575.

(10) Jamme; Sabaean Inscriptions, p. 145.

وفي النقوش المصرية نجده مقطعا من أسماء عديدة : «نب ـ نس، نس ـ أمون، نس ـ حر ، نس ـ فتاح، نس ـ مت، نس ـ خنسو» . . إلى آخره . . مقرونا باسم رب من الأرباب في العادة كما هو واضح[11]. فما معنى هذا اللقب وما هو جذره اللغوي ؟ في الأكادية تعني كلمة : «ن ا ش و» našu : يرفع ـ يعلي ـ يقبض على الملك (يصير ملكا)

. (Reimschneider ; An Akk. Gram.To Seize, hold of Kingship)

في الكنعانية الأولى (نقوش رأس شمرة) نجد «نشأ» بمعنى : يرفع، يعلي[12]. وفي نقوش جنوب الجزيرة (محرم بلقيس) معناها : قائد ـ رفيع المكانة . وفي العبرية : «ناشيء» تعني : المرفع . وفي البابلية كذلك ـ والمقابل الانجليزي عند الباحثين لا يخرج عن : .raise, lift, lift up[13] .

فإذا التفتنا إلى العربية رأينا الجذر «ن ش أ» = ربا، شب، ارتفع . ومنها : أنشأ، أي رفع (البناء ـ أو : أنشأ يقول = رفع صوته يقول) . ومنها : «الجواري المنشآت في البحر كالأعلام» . وفسرت «المنشآت» بأنها «المرفوعة القلوع» .

والخلاصة أن الجذر «ن ش أ» عرف في جميع اللغات العروبية بمعنى : رفع، رفيع، مرفع . . إلى آخر الاشتقاقات . وقد رأينا أن «نشأ» استعمل في شمال الجزيرة (بابل) وجنوبها (سبأ) بمعنى الحاكم أو الأمير أو الملك . وهذا بالضبط هو معناه في المصرية . تطابق لفظا ومدلولا .

من هذا الجذر العروبي، وقد تحرَّفَ في المصرية إلى «ن س»[14] نجد كلمات في هذه اللغة من مثل : «ن س ت» . أي : كرسي المنصب (Seat of Office) وهو بالضبط : العرش (ولاحظ أن المعنى الأصلي لكلمة «العرش» العربية هو : الرفع . عرش سرير الملك ـ المرتفع عادة عن سواه) عرش البيت : سقفه . عرش الكرم : رفع دواليه . المصرية : «نب . نسوت . توى» = رب (ملك) عرش القطرين .

«م ن س» : ينشأ . يرفع . يعلو .

ثم نجد «س . ن س و» : الأمير . ولي العهد . حرفيا : ابن الملك[15] .

(«س» = ذو (العربية : ابن) «ن س و» = ملك . نشأ . ذو نشأ) .

وهذا هو التعبير العربي الجنوبي، يقابل «ذونواس» بالضبط في ممالك اليمن القديمة .

---

(11) Kitcher ; The Third Intermediate Period .

(12) معجم «غوردن» Ugaritic Handbook رقم 1376 .

(13) أنظر لمزيد من التفاصيل : Speiser ; Background and Function of Biblical «Naši», in «Oriental and Biblical Studies», pp. 113-122 .

(14) هذا هو الرسم المألوف nsw, ns . ولكن غاردنر (Eg. Grammar, p. 446) يرسمه (ن ز و nzw) وأيضا (ن ش و ت nšw. t) ومن الغني عن القول أن حروف السين والشين والزاي تتبادل في مختلف اللغات، وخاصة العروبية منها . وعلى هذا تكون «ن س و» المصرية هي «نشأ» العربية .

(15) Eg. Grammar, p. 575 .

3. ب ت (b t) :

لهذه الكلمة تاريخ طويل للغاية حللناه في مقالة خاصة به. وهي استخدمت لقبا لملوك الدلتا قبل توحيد القطرين على يد «مينا» أواخر الألف الثالثة قبل الميلاد. ويشار بها إلى ملك الوجه البحري، أو مصر السفلى. وحين توحد الوجهان وأدمج التاجان أدمج اللقبان ليعرف بها ملك مصر الموحد هكذا : «ن س و ب ت»[16].

وقد عرفنا أصل كلمة «نسو» أو «نشو» مما سبق. فما هو أصل كلمة «بت» هذه ؟

في الهيروغليفية يرمز لهذه الكلمة بصورة (نحلة) ثم نصف دائرة وتقرأ «ب ت» ويمكن أن تنطق : (بوتو، بوتي، باتي، باتو، بيتا، بوتا).. إلى آخر الحركات التي نريدها نظرا لأنّ الهيروغليفية مجرد رموز أو حروف تصويرية دون حركات. فلنا مطلق الحرية في وضع الحركات التي نراها مناسبة للمقام[17]. وترجمت إلى اليونانية في حجر رشيد بكلمة باسيليوس basileus (ملك)، ولكن علاقة النحلة بالمسألة ظلت غامضة تماماً[18] بيد أن الأمر لا يخرج عن كون النحلة في هذه الكتابة الهيروغليفية هنا لا يزيد عن رمزه لحرف الباء[19] تليه نصف الدائرة التي ترمز إلى حرف التاء. وهي هكذا قرئت منذ القديم وانتقلت إلى اليونانية كما يقول بدج[20] على شكل «بيتيس» bites بزيادة حرف السين علامة الجمع.

وليس من الضروري هنا الدخول في تفصيلات وتدقيقات لغوية مقارنة ليس هذا مجالها، وإنما نكتفي بالاشارة إلى أن كلمة «باتوس» بالذات كانت معروفة عند الليبيين، وقد اتّخذها

---

(16) المصدر السابق، ص 564، 575.

(17) المصدر السابق، ص 3.

(18) المصدر السابق، ص 83.

(19) من الطريف أن تسمّى النحلة في الانجليزية «بي» Bee (الجذر اللغوي b) فكأنّ اللفظة انتقلت بصورتها ودلالاتها على حرف B من المصرية إلى الانجليزية وبمعناها كذلك ! هل ثمة صلة لغوية بين Bee الأنجليزية، مأخوذة عن (ب ت) و(ب ط) المصرية، ذات العلاقة بالجذر (ب ط ش) العربية ؟

قد يبدو هذا شيئا بعيدا عن الذهن أو مجرّد الاحتمال. ولكن دعنا ننظر في الكلمة العربية «نحلة» أو «نحل» وهي الحشرة المعروفة المنتجة للعسل.

من العجيب فعلا أن كلمة «ن ح ل» nhl في الكنعانية الأولى (نصوص رأس شمرة Gordon, no. 1296) تعني : وريث Hier (وريث الملك. ولي العهد. نائب الملك). والكلمة ذاتها في نقوش سبأ تعني (قائد) فقد ورد في النص رقم 665 سطر 32 : «أ ف ص ى. ن ح ل. ر ك ب ن.» (أفصي قائد الجمال (الركب) (Sabaean Inscriptions, p. 171) أخيرا : من المشهور في التراث البريطاني أن الكنعانيين عندما جاءوا إلى الجزر البريطانية أطلقوا عليها اسم «بلاد العسل Country of honey لكثرة النحل بها كثرة غير مألوفة».

مجرّد خاطر بدون تعليق !

(20) Budge ; An Eg. Hier. Dictionary, p. 39

ارسطاطاليس قائد الاغريق منشيء قورينا عام 631 ق.م. لقباً له وسرت في عقبه، وهي كلمة ليبية، كما يؤكد هيرودوت، معناها (ملك)[21]. ونحن نعلم، واثقين، أن اللغتين الليبية والمصرية كانتا شقيقتين قريبتين بعضهما من بعض، وهذا ما جعل المعنى ذاته للكلمتين واحدا في البلدين. ونعلم أيضا أن سكان الوجه البحري (الدلتا) منذ عصور ما قبل التاريخ وحتّى العصر الحاضر كانوا من المهاجرين الليبيين. وحين قام «مينا» في أواخر الألف الرابعة قبل الميلاد من عاصمة ملكه في الصعيد بحملتـه على الدلتا فإنّه كان يقود حملة توحيدية للقطرين. ورغم هذا التوحيد فقد ظلّ الاعتراف بالأمر الواقع، أعني انشطار مصر إلى قطرين، حقيقة ماثلة في التاج الموحد المشتمل على رمزي الجنوب والشمال، وفي اللقب الثنائي : «ن س و + ب ت»[22].

لكن السؤال يظل : ما أصل هذه الـ (بت) ؟

وببساطة نقول : إن أصلها من (ب ط ش) العربية، بمعنى «فتك» «أخذ بالعنف»، وما إليها، ولنا في هذا شاهدان :

الأوّل : الاسم العربي «بـطشو» الذي تحول عند اليونان إلى «باتيس» Bates أو «بتّوس» Battus، وأصله «الباطش»، وكان اسم ملك، أو لقبه[23].

الثاني : أن كلمة «باطش» بمختلف التحريفات الداخلة عليها وجدت في مئات أسماء القادة والزعماء ـ الكهنة في مصر القديمة، مما يدل دونما شك على أنه (لقب) وليس اسم علم[24].

ونضيف إلى هذا أن حرف الطاء والتاء يتبادلان. فأصل «بت» في الواقع هو «بط». أما حرف الشين المحذوف في آخر الكلمة فهو ظاهرة معروفة جدا في اللغة المصرية بحذفها الحرف الثالث من الكلمات الثلاثية الجذر، أو ان شئنا قلب الآية قلنا ان **الجذر الثلاثي متطوّر في حقيقته من الجذر الثنائي** تطورا طبيعيا معروفا في عالم اللغة[25] ويؤيد هذا القول أننا لو أخذنا **الجذر الثنائي «ب ط»**

---

(21) راجع : تاريخ هيرودوت. الكتاب الثاني.

(22) Eg. Grammar, p. 575

(23) أنظر : جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج : 2 ـ ص 8، 10.

(24) Kitchen ; The Third Intermediate Period in Egypt, p. 467

يتبادر إلى الذهن هنا التساؤل عن السّر في استعمال لفظ «نشأ» في جنوب مصر (الصعيد) ولفظ (باطش) في شمالها (الدلتا). ولعلّ السبب يرجع، فيما نرى، إلى قُرب الصعيد من اليمن (سبأ وما قبلها) حيث استخدم لقب «نشأ» بكثرة، وقرب الدلتا من العرب الشماليين حيث عرف لقب «باطش».

(25) وقـد أوضحت الدكتورة بربارة واترسون ظاهرة سقوط الحروف، الضعيفة خاصة، في أواخر كلمات المصرية القديمة باعتبارها أمرا مألوفا جدا. وضربت لهذا ما يحدث في اللغة الانجليزية، إذ تتحول going إلى goin و getting إلى gettin (Introducing Egyptian Hieroglyphics, p. 59).

ونلاحظ في أيامنا هذه أن حرف العطف في الانجليزية and يكتب، كما ينطق، n. فنقرأ في لوحة اعلان مثلا : Fish n'chips وفي حوار بعض الروايات يتبع الكتاب نطق الشخصيات، فإذا كانت الشخصية اسكتلندية حذف حرف التاء من الكلمات، Table تتحوّل إلى able وكلمة، bottle تكتب bo'lle ونقرأ dus' بدلا من Dust الخ... =

وأضفنا إليه بعض الحروف لوجدنا الكلمات الناتجة تدور حول المعنى نفسه، القوة. (بطش : فتك وأخذ بالعنف. **بطح** : طرح أرضا وضرب. **بطر** : طغى وتجبّر. **بطل** : شجاع قوي، مقدام).

4. «ح ك»، «ح ق» (ḥk, ḥq) :

كلمتان مرتبطتان بعضهما ببعض مبنىً ومعنىً، تطورتا من مصدر واحد وفكرة واحدة حتّى صار لكل منهما استعمال خاص بها.

تترجم كلمة «ح ك» ḥk في العادة بأنها تعني «سحر» magic ومنها الصفة «ح ك ي» ḥky (ساحر)[26]. ولكن الساحر في مصر القديمة لم يكن يعني ما نفهمه اليوم من خرق العادة والقيام بالمعجزات وإظهار الأعاجيب، بل كان يعني السيطرة على مظاهر الطبيعة وبالتالي السيطرة على مقدرات البشر، تماما مثلما كان الحال في فارس القديمة التي عرف فيها الساحر magi (في العربية : المجوس. ومنها الانجليزية magician) وكان هو «الحاكم» بالمعنى الدقيق للكلمة. ويبرهن على هذا وجود الربة المصرية المعروفة باسم (و ر ت. ح ك و) Great of magic (السحر العظيم أو الساحرة العظمى) وكانت تصور وعلى رأسها تاج ملكي دليلا على الملك والحكم[27].

وعلى هذا فإن الأصل العروبي للقب هو «ح ك م» ومشتقاتها : حاكم ـ حكم ـ حكومة. وينبغي ألّا ننسى كلمة «حكمة» التي منها «حكيم» = فيلسوف، طبيب، كيميائي، عالم بأسرار الطبيعة وما وراء الطبيعة أيضا. وكلها تدور في هذا المجال المتصل بالحكم والحكمة. . «ح ك» المصرية.

أما كلمة «ح ق» بإبدال الكاف قافا فهي تترجم في العادة إلى rule, ruler, chieftain (يحكم، قائد، حاكم) بل إلى King (ملك)[28].

ويرى (مارسيل كوهن) أن هذه الكلمة ترجع إلى الجذر العروبي «حق» ـ أو فكرة الحق. أو الشرعية légalité [29] التي تطورت إلى فكرة الحكم بالحق الآلهي، أو هي كانت في الأساس هكذا بحكم الايمان القديم بالصلة بين الحاكم والآلهة وتمثيل الحاكم للرب على أساس «الخلافة» في الأرض.

= ولعلّ اللغة الفرنسية أوضح شاهد في هذا المجال، إذ تسقط حروف عديدة في أواخر كلمات عند النطق وسوف تسقط بمرور الزمن عند كتابتها، تماما كما حدث في الانجليزية ـ الأمريكية التي صارت تتبع رسما يتفق مع النطق وليس مع الرسم المعهود في انجليزية الجزر البريطانية التي تختلف بدورها في الرسم عن انجليزية شكسبير وملتون.

(26) Cerney: Anc. Eg. Religion, p. 57 وانظر معجم غاردنر Eg. Grammar, مادة hkȝ.

(27) Eg. Grammar, p. 583.

(28) المصدر السابق.

(29) Cohen; Essai Comparatif p. 99 ويترجم كوهن كلمة ḥk المصرية إلى «حاكم» (gouvernuer, dominer).

وهذا الرأي يمكن تأييده ببعض المفردات من قاموس اللغة المصرية ذات الصلة بالموضوع. ففي هذا القاموس نجد أن كلمة «ح ق ت»[30] تعني «سيف» ومن الواضح أن السيف، علامة القوة والسلطة قديما على الأقل، والحاكم متصلان لا يفترقان. ولكن هذه الكلمة ذاتها «ح ق ت» تعني أيضا «مقياس» أي الوزن والتقدير. وهذه متّصلة بفكرة «الحق» دون شك. ولكن الأوضح من هذا كلّه أن «حاكم القرية» أو «شيخ البلد» (village headman) كان يسمّى في اللغة المصرية «ح ق. ح و ت».

5. «پ ر ـ ع أ» (فرعون) (pr-ᶜa) :

هذا أهم الألقاب الملكية المصرية على الاطلاق ولذا فإن حديثنا عنه سيكون مفصلا أكثر من سواه لأهميته ودلالته في مجالنا الذي نحن فيه.

تعرض هذا اللقب للتطور والتبدل عبر الزمن ومرت به مراحل، أو هو مر بها، كان فيها لقبا، واسم علم، مقرونا باسم شخص أو مفردا. وقد تصدّى له بالتحليل عدد كبير من الباحثين الكبار، ولا بأس هنا من ذكر ما أورده بعضهم. ويقول السير (ألن غاردنر) في مؤلفه القيم «النحو المصري» أن الأصل المصري (پ ر ـ ع PR – a) استعمل في الدولة القديمة في أثناء عبارات كثيرة منها: «س م ر. پ ر ـ ع» (SMR. PRA) رجل البلاط. نديم القصر. حرفيا: **سمير فرعون.** ومن الواضح أن الكلمة تشير إلى القصر نفسه أو البلاط **وليس لشخص الملك.**

وفي نهاية الأسرة الثانية عشرة قرنت (پر ـ عأ) بالدعاء للقصر الملكي بـ «الحياة والرغد والعافية» وهي دعوة تقليدية لملوك مصر تماما كما هو الحال بالنسبة للقب «طويل العمر» أو دعوة «طال عمرك» في بعض البلاد العربية اليوم.. ولكنها ظلت **تعني القصر وليس شخص الملك.**

وفي الأسرة التاسعة عشرة بدأنا نقرأ: «پر ـ ع أمضى»، «پر ـ ع أ قال».. إلى آخره. ولكن الاشارة ظلت، مع هذا، **تعني القصر الملكي دون شخص الملك ذاته**[31].

هذا الرأي في أصل كلمة فر ـ ع[32] أوبر: ـ عا (فرعون) قال به جميع الذين تعرضوا له من علماء المصريات، وهو ما يقول به أيضا الباحث المشهور (سير آرثر ايفانز) والعالم (ألن شورتر).

---

(30) راجع مادة ḥk في معجم غاردنر.
ونود الاشارة هنا إلى أن عبارة (ح ق ح و ت) المصرية بمعنى (حاكم القرية) مكونة في واقعها من كلمتين عروبيتين:
(ح ق): حاكم
(ح و ت): قرية (والأصل العروبي: حوط، حيط، حائط، بمعنى: بناء. تجمع على: حيطان وحيوط). والأصل البعيد: البناء الذي (يحيط) أو (يحوط) السكان.

(31) Eg. Grammar, p. 75.

(32) يلاحظ القارىء أن حرف الباء الثلاثية النقط پ هو الذي أورده الباحثون في معاجم اللغة المصرية في مقابل الرمز الهيروغليفي □ (مربع مغلق). وبمقارنة المفردات التي تبدأ بهذا الحرف باللغات العروبية الأخرى يتضح أنه يتبادل مع حرف الباء الموحدة النقطة والفاء. فكلمة (پ س ق) psq مثلا تساوي «بصق. بزق» العربية. وكلمة (پ ت =

ومعناه الحرفي : «**البيت الكبير**» أو «**البيت المرتفع**» أي «**القصر**» الملكي[33]. وهو تعبير استعمل للاشارة إلى الملك دون ذكر اسمه تماما كما كان يعبر عن السلطان في تركيا الخلافة بـ «**الباب العالي**» - ومثلما يحدث اليوم أن نقرأ : «ذكر **البيت الأبيض**» والمقصود الرئيس الأمريكي، أو «**قال الاليزيه**» أي **قصر الاليـزيه**، والمعنى الرئيس الفرنسي، وأمثلة أخرى كثيرة من «البيوت» و«القصور» التي تذكر، وتقول، وتدعو، وتستنكر، وتؤيد، وتعارض، و«تنطق» معبرة عن مختلف المواقف كناية عن صاحب السلطة فيها.

بيد أن هذا اللقب، وقد عرفنا منشأه، تطوّر مدلوله مع الزمان. فنجد أقدم نص موثوق يشار فيه إلى الملك، دون ذكر اسمه، في عهد أخناتون في أثناء دعوة تقول : «**بر - ع. وع ن خ. و د أ. س ن ب. ن ب** : فرعون [له] الحياة والدعة والسلامة. الرب!»[34].

أما أقدم مثل ذكر فيه اللقب «فرعون» مقرونا باسم الملك الشخص فقد كان في عهد أحد الشناشقة من الأسرة الثانية والعشرين أوائل الألف الأولى قبل الميلاد.

ثم تحول اللقب إلى **اسم علم** في مصدرين من أهم مصادر التاريخ القديم. فنجده يذكر في التـوراة هكـذا «**فـرعون ملك مصر**» (سفر الخروج، اصحاح 6 - آية 11 وما بعدها). ويقدمه هيرودوت على هذا النحو : «**الملك فيروس (فيرون = فرعون) بن سيزوستريس**» (الكتاب الثاني - فقرة 111)[35].

ويضيف غاردنر : «أن التطور النهائي لهذا اللقب كان عندما أضيف اسم معين إليه، مثلما حدث بالنسبة **للفرعون خفرع** المذكور في التوراة» ونحن نعرف، بالتأكيد، ان خفرع التوراة هو خفرع بن بسماتيك الثاني، تولّى الحكم بعد أبيه سنة 587 ق.م. وكان له دور كبير في الصراع ما بين اليهود والملك البابلي نبوخد نصر في فلسطين وحول بيت المقدس. **وهو من الأسرة السادسة والعشرين الليبية في مصر، كما كانت الأسرة الثانية والعشرين (الشناشقة) ليبية كذلك**»[36].

= ح) pth تساوي «فتح» - وهكذا في عدد كبير من الألفاظ. وعلى هذا فكلمة (ب ر) pr تحولت في العبرية إلى «ف ر» وصارت «پرعون» : «فرعون» ومنها انتقلت الى الانجليزية Pharoa عن طريق اليونانية التي تجعل حرفي ph في مقابل حرف f واحتفظت بهذا الرسم، والمفروض أن تكون Faroa . أما في اللغات العروبية، ومنها العربية فإننا نجد المقابل كلمة «ب ر» - ولا يمنع هذا من أن تكون «ف ر» أحيانا. ولهذا فإن من الجائز تحويل pr إلى «فر - ع» أو «بر - ع» على حد سواء.

(33) انظر : Sir Arthur Evans; Scripta Minoa p. 269. Allen Shorter; Everyday life in Ancient Egypt, p. 5.
وقارن : Cheyne; Encyclopaedia Biblica S. V. «Pharao». Petrie; Royal Tombs of the first Dynasty, part I, p. 36

(34) Gardiner; Eg. Grammar, p. 75.

(35) نص هيرودوت : «وحين مات سيزوستريس خلفه ابنه فرعون (الأصل : فيروس = فيرون = فرعون)، وهو أمير لم تكن له مغامرات عسكرية. وقد خلف (فرعون) أحدُ مواطني ممفيس».

(36) أنظر للتفصيل : Gardiner; Egypt of the Pharoahs, pp. 352-360.

والسؤال هنا : أليس مثيرا للدهشة حقا أن يرتبط أقدم مثل لارتباط لقب «فرعون» باسم الملك وآخر تطور له بالأسرتين الثانية والعشرين والسادسة والعشرين، وهما أسرتان ليبيتان «المفروض» أنهما «غريبتان» عن البيت الكبير (بر - ع) أو فرعون ؟! أليس عجيبا أن ترتبط «الفرعونية» بفرعونين ليسوا فرعونيين ؟ !

إن التفسير الوحيد الممكن هنا هو أن هذه (الفرعونية) وأصلها ومشتقاتها ليست قطعا خاصة بمصر، بل الأصل تعبير عروبي، سواء جاء من شرق مصر أو غربها أو نبع منها ذاتها، متعلق جذرا واستعمالا باللغة العربية وأخواتها من اللغات العروبية الأخرى. وهذا ما يجعلنا نعود إلى الجذر (پر - ع أ) بالتحليل والمقارنة لنرى فيه القول الفصل.

وقد ذكرنا من قبل أن كلمة «پر - ع» تعني : البيت الكبير أو القصر. أي «البيت العالي» أو المرتفع. وواضح أنها مكونة من مقطعين (پر + ع). . فلننظر في كل منها على حدة تحت ضوء المقارنة اللغوية.

1 - (پ ر) pr :

في المصرية : پ ر = بيت. وفي معجم غاردنر[37] نجد :

پ ر : بيت

پ ر - ع أ : بيت كبير

پر - ور : المعبد (البيت) العظيم

پ ر - ن س و : قصر (بيت + نشأ = بيت نشأ = بيت الملك)

ن ب ت - پ ر : ربة البيت.

في الأكادية : پ ر ت و = قلعة. حصن. قصر كبير

الآرامية : پ ر = بيت.

وردت في النص الآرامي - الليدي الثنائي اللغة.

پ ر - ب ر ه = غرفة الانتظار (باللهجة الليبية : المربوعة) = البيت البراني.

پ ي ر. ت = قلعة. قصر. حصن[38]

السبأية : ب ر = بناء، مبنى (بيت).

جاء في نصين سبأيين الفعل (بر) بمعنى (يبني). ووردت كلمة (برط) للدلالة على المسكن، المنزل، المحطة. . البيت[39].

ونجد هذه الكلمة حتى في اللغة الحثية : ب ي ر = (بيت) وفي **الليدية** : ب ى ر ا Bira (بيت) وهما لغتان متأثرتان باللغات العروبية[40].

---

(37) Eg. Grammar, p. 565 .

(38) Friderich; Extinct Languages, p. 115 .

(39) Jamme; Sabaean Inscriptions, p. 314 .

(40) Ext. Languages, p. 115 لاحظ الجذر الأصلي هو br وحرفا الحركة a,i مضافان.

ونعثر على هذه الكلمة أيضا في ما اصطلح على تسميته **بالبونيقية الجديدة**.

وهي اللغة **الكنعانية المتأخرة** في شمال افريقيا، وذلك في نقش من نقوش طرابلس، وردت فيه (ب ى ر) BYR و(ب و ر) BUR بمعنى : مبنى كبير على القبر - ضريح أو **بيت الميت**(41).

هذا كله يقطع بأن كلمة «پر» المصرية بمعنى «بيت» وردت في اللغات العروبية الأخرى بالمعنى ذاته مع اختلاف يسير في النطق طبيعي. وهو ما يتفق مع ترجمة العلماء للمقطع الأول من اسم فرعون.

2) ع أ (ᶜa) :

يكتبها بعضهم «عو» ويكتبها آخرون «عا»، وتترجم في العادة بأنها تعني : العظيم أو الكبير great لكنّ باحثا ممتازا، هو الأستاذ مارسيل كوهن، يرجعها إلى العربية «عال» بمعنى «مرتفع»(42) وهو لفظ يتفق تماما مع طبيعة **قصر الملك المرتفع البناء**، ولا يبعد عن معنى العظمة والكبر، فإذا انتبهنا إلى أن أواخر الحروف في عدد وافر من الكلمات كثيرا ما يهمل أو «يؤكل» في اللغة المصرية القديمة، وأنه لا وجود للام في الرموز الهيروغليفية، وهي كثيراً ما تبدل همزةً عرفنا أن كلمة «عال» هي المقصودة في هذا المقام. وقد تعرضت هذه الكلمة للتحريف في عدد من اللغات في المنطقة، وطبيعي أن تتعرّض للتحريف ذاته في المصرية(43).

العربية : عال. علو. علي. علاء. علية. علياء. على. علا، عل. . الخ.
الأكادية : الو. ألو elu, alu
الطارقية : أل. أغلي agli
السوس الأقصى : أون aun
بني سنوس : آني ani
النوبة : عال al
عفار (جيبوتي) : آلي ale
الصومال : عال al

ولا نريد الاطالة هنا، إذ الأمر في غاية الجلاء. ولكن لا بد من الانتباه إلى ما ورد في القرآن حين تحدّث عن فرعون في ثلاثة مواطن ووصفه فيها بالعلو :

في سورة يونس - الآية 83 : ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ﴾.

(41) Krahmakov; a Neo-Punic Shaft..., p. 59.

(42) Cohen; Essai Comparatif..., p. 88.

(43) المصدر السابق.

وهناك أمثلة عديدة على إسقاط أواخر الحروف في المصرية القديمة : در dr : ذراع.
ك م km : كمل، كامل
ن ع nᶜ : نعم. ناعم.
ن س ns : لسان. . إلى آخره.

في سورة الدخان ـ الآية 30 ـ 31 : ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ، مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِياً فِي الْأَرْضِ﴾.

في سورة النازعات ـ الآيات 17 ـ 24 : ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ ـ ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾.

ومن المفهوم هنا أن هذا العلو يعني الاستعلاء أي التجبر والطغيان في موضع الذم. وهذا هو الواقع. **فقد كان الفراعين مستعلين فعلا**، بل متألهين أو مُؤَلّهين، يعبدون باعتبارهم أربابا أو أبناء الرب. ولعل في أصل اللقب هذا المعنى ذاته. **ودقة القرآن الكريم وحكمته هي التي أدت إلى وصف الفرعون بالعلّو.** مما ينطبق تماما مع واقع الحال معنى ومبنى.

من هذا العرض الموجز للقب «فرعون» في تطوره التاريخي وتركيبه اللغوي يتبين لنا أنه اسم عروبي صميم. لكن لا يزال أمامنا سؤال مهم : **هل اقتصر استعمال هذا اللقب على مصر وحدها ؟ أم عرف عند العرب الآخرين ؟ وما هي مشتقاته الأخرى ؟**

والجواب أن العرب الآخرين عرفوا هذا اللقب واستعملوه أيضا، وإذا كانت ندرة النقوش العربية القديمة لا تقدم أمثلة كثيرة فإن لدينا مثلا ممتازا من مملكة سبأ القديمة في جنوب اليمن، وهي مملكة معاصرة لاستعمال اللقب ذاته في مصر. وكان «**فرعم**» مؤسس إحدى أسرها. فنقرأ في أحد نقوش «محرم بلقيس» :

«ال ش ر ح. ى ح ض ب. و ا خ و. ى ا ز ل. ب ى ن. م ل ك ي. س ب ا. وذ ر ى د ن. ب ن ى ف ر ع م. ى ن هـ ب. م ل ك. س ب ا.»

(الشرح يحضب وأخوه يأزل بين ملكا سبأ وذو ريدان ابنا فرعم ينهب ملك سبأ)[44].

هنا نجد «فرعم» لقبا للملك «ينهب» ملك سبأ، وهو ما يقابل «فرعون» أو «فرعو» أو «برعو» استعمل مع وجود لقب «ملك» فكأنه لقب مختلف عن لقب «الملك» وهذا بالضبط ما كان بالنسبة لملوك مصر.

من كان السابق يا ترى في استعمال هذا اللقب ؟ هل نقله عرب جنوب اليمن السبأيون عن عرب مصر، ام نقل أهل مصر عن عرب اليمن كما حدث بالنسبة للقب «نشأ» أو «نشو» ؟

لا يمكن، بالطبع، البت في الامر ولكن الواضح تماما ان هناك «تداخلا» ثقافيا وحضاريا ولغويا وسياسيا بين أقطار الوطن العربي القديم لا يخفى عن العيان. فلنترك الاجابة عن هذا السؤال لباحثي المستقبل مزودين بنظرة جديدة للتاريخ العربي ومادة أوفر ووقت اكثر. ولنلتفت الى مادة «فرع» في قاموس لغة سبأ القديمة ونقارنها بالعربية في تطورها. وقد ورد اللفظ في نصوص سبأية كثيرة (راجع مادة FR في Sabaean Inscriptions) نكتفي منها بنصين :

(44) النص رقم 576 . (Jammes; Sabaean Inscriptions, p. 67)
وقارن صفحات : 305، 308، 312 من المصدر ذاته.

النص رقم 618 ـ السطر 15 :

«سْ ع د ه م : ا ل م ق ه. ف رع. د ث ا. وخ ر ف»
(فليسعدهم [الرب] المقه بأوفر غلال الربيع والخريف).
فرع هنا تعني : الوفرة، اليمن، الكثرة، النمو، الزيادة، وما إليها. . ومن هنا اشتقت كلمة «التفرع» وجاءت صفة «الفارع» ـ فارع الطول. ويشبه هذا التعبير الشعبي في ليبيا : «فرعن».
فرعن النبات : نما نموا كبيرا واستطال. وهناك نبات «الفرعون» وهو نبت مشهور بنموه السريع في أية تربة.

نلاحظ هنا أن «فرع» هذه جاءت مقرونة بالغلال. فلننظر في الكلمات المثيلة في بعض اللغات العروبية الأولى ولنقارن.

يترجم غاردنر (ص 565) كلمة PRT المصرية بكلمة Seed الانجليزية التي تعني «البذرة» و«الذرية» أو «النسل» أيضا. وفيها معنَى التكاثر.

أما مارسيل كوهن (ص 169 ـ رقم 367) فهو يرجعها إلى :
الكنعانية : ف ر.
العبرية : ف ر ى ـ ف ر أ
بمعنى : ثمر، مثمر، خصيب.
الآرامية : ن ب ر = فكرة الذرية
ويذكر كوهن من المصرية : ف ر. ت = ثمر
ف ر ى = مثمر
ن ف ر = حبوب ـ غلال
ويربط بينها وبين بعض اللغات الافريقية المحيطة :
البجاة : ف ى ر ى = انجاب ـ ازهار.
النيجر : ف ر ى = أثمار
الهاوسا : ف ى ر = ثمر
الأكادية : يذكر رايمشنايدر :
ايبورو eburu = حصاد harvest.
فرعو (برعو) PERU = نسل ـ عقب ـ وفرة الولد.

ويشير كوهن إلى كلمة «بُر» العربية التي تعني القمح أو الحنطة (الغلال / الحبوب) وعلاقتها بالأكادية «ايبورو» Fruit des champs (غلال. حرفيا : ثمر الحقول) ـ التي تعود إلى السومرية «بورو» BURU بمعنى «ثمر» ويتساءل : أليست العلاقة واضحة بين هذه الكلمات والكلمة اللاتينية المتأخرة كثيرا عنها Frug ـ والتي منها جاءت الفرنسية والأنكليزية Fruit والايطالية Frutta والتي تعني في الأساس «الثمر» وليس «الفاكهة» كما يفهم منها الآن ؟!

ما علينا. فلنعد إلى نصوصنا السبأية قبل أن يسرقنا الحديث :

2 ـ في النص رقم 649 ـ الأسطر : 12 ، 18 ، 35 في مجال الحديث عن منجزات ملك سبأ وريدان وانتصاراته العسكرية في نقش على صنم برونزي مقدم للرب ألمقة :

«و ذ ف ر ع م. ب ق د م. ج ي ش ن.»

(وذو شأن عظيم قدام (أمام) الجيش).

فرعم هنا تعني : عظم الشأن، الأهمية البالغة، العظمة.

فإذا عدنا إلى لقب «فرعون» لا نجد صاحبه يخرج عن هذين الأمرين : البسطة في الجسم أو المال أي القوة (فارع) أو العظمة (فرعم). وهذه هي الصفة المفترضة للملك.. أو الفرعون.

هل نفهم من هذا أن الجذر العربي (فارع) هو أصل لقب فرعون ؟

هذا ممكن. ويمكن القول بأن أصل (فرعون) هو (فرعن). والنون في آخر الكلمة أصلية في أثناء تطور العربية واستعيض عنها بالتنوين الذي ينطق ولا تكتب نونه. وتتحول النون في لغة سبأ إلى ميم (فرعم = فرعن) (فرع). تكلم = تكلن (تكل). نمرم = نمرن (نمر)). وقد يؤيد هذا الرأي ورود الاسم في المصرية : پ ر ع (= فرع) بإبدال پ فاء. ولم تعرف المصرية التنوين.

ولكن هذا يجوز فقط باعتبار الكلمة واحدة غير مجزأة. وماذا نفعل بتحليلنا السابق للقب الكريم وقد قسمناه إلى مقطعين (پ ر + ع أ) وأرهقنا في متابعة كل مقطع منهما وتحليله ؟

لا تنزعج. فلسنا في الواقع ندري أي الكلمتين أسبق في الوجود، «فرع» أو «پر ـ ع أ». ومن الممكن جدا أن تكون «فرع» العربية السبأية مصاغة من «بر ـ ع أ» المصرية. قد يكون السبأيون سمعوا المصريين ينطقون هذه الكلمة المركبة من مقطعين والدالة، في مجملها، على العظمة والملك، فنقلوها بصيغة «فرع» باعتبارها كلمة واحدة، ثم استعملوها (فرعم) لقبا لملوكهم ودليلا على عظم الشأن (فرعم)، وعبر العصور تطورت الكلمة و«تفرعت» حتى صار معناها ما نعرفه الآن. والأمر. على كل حال، يظل في نطاق العروبية، سواء نظرنا إليه لفظا واحدا أو مقطّعا إلى جزئين. ومهما قلبناه على وجوهه نجده عروبيا، أو عربيا، هنا وهناك، بشاهد اللغة والتاريخ.



هل المصرية لغة (أفريقية) ؟

(مناقشة رأي بدج)

يزعم الأستاذ «والس بدج» W. Budge . في مقدمة معجمه الضخم[1] أنه ظل طيلة سنوات جمعه مادة هذا المعجم يبحث «**متلهفاً في النصوص عن أي دليل يلقي ضوءاً على صلة اللغة المصرية القديمة باللغات (السامية) ولغات شمال شرق أفريقيا**». (يقصد الحبشة ونواحيها). ثم يمضي ليقول :

«ورغم أن الموضوع ذو أهمية بالغة من الوجهة الفيلولوجية فإنه، في رأيي، لم يدرس أبداً، بشكل مناسب، وذلك لأن علماء (الساميات) الذين كتبوا فيه كانت تعوزهم المعرفة بالمصريات وهي الضرورية للوصول إلى قرار، وعلماء المصريات ـ باستثناء المرحوم «بركهاردت» Burchardt ـ لم تكن لديهم المعرفة المناسبة باللغات والآداب (السامية).

لقد استنتج «بينفي» Benfey أن اللغة المصرية القديمة كانت ذات صلة قريبة بمجموعة اللغات (السامية)، ولكنه قال بعد ذاك إن (الساميين) كانوا ينتمون إلى مجموعة بشرية أكبر لا تشمل المصريين فحسب بل أهل أفريقيا بأجمعها. وهذا، كما هو واضح، شيء مبهم. . . وقد لاقت وجهة نظره القائلة بوجود صلة بين المصرية واللغات (السامية) قبولاً لدى عدد كبير من العلماء، من بينهم «دي روجيه» E. de Rougé و«إيبرز» Ebers و«بروغش» Brugsch ، وجميعهم كانوا علماء مصريات .

وكانت وجهة نظر «بيرش» Birch أن «القسم الأكبر من الكلمات [في اللغة المصرية القديمة] هي صيغة قديمة من القبطية، أما الأخرى، التي لا توجد في القبطية، فيبدو أنها من أصل (سامي). دخلت اللغة [المصرية] تدريجياً من الآرامية ومصادر أخرى. وعدد قليل من الكلمات هند ـ جرمانية» .

أما «بروغش» فقد قرر بالتحديد أن أعتق أشكال اللغة المصرية القديمة ذات جذور في (السامية) وتنبأ **بأن علم فقه اللغة سوف يدهش ذات يوم لقرب العلاقة التي وجدت بين المصرية**

---

1) An Egyptian Hieroglyphic Dictionary صدرت طبعته الأولى في لندن سنة 1920م. وأعادت نشره في جزءين Dover Publications Inc. في نيويورك سنة 1978م.

واللغات (السامية). وهو كان مقتنعاً بأنهما [المصرية و(السامية)] من لغة أم مشتركة، وأن موطنهما الأصلي ينبغي أن يبحث عنه على ضفاف دجلة والفرات. وقد استمسك «برغش» بهذا الرأي عملياً حتى نهاية حياته . . .

«ستيرن» Stern ، أستاذ القبطية الذائع الصيت، صرح هو أيضاً بأن للمصرية صلةً باللغات (السامية) التي تبين عن نفسها في تشكيلات الضمائر وفي الجذور المشتركة بينها، ولكنه ظنَّ أنها [أي المصرية] انفصلت عن أخواتها اللغات الآسيوية في عهد مبكر جداً وتطورت في حدودها الذاتية»[2].

ثم يضيف الأستاذ «بدج» :

«هذه الآراء التي عبر عنها علماء المصريات الأقدمون بأحكام عامة بلورها «إرمان» Erman في بحث. . . سنة 1892 م. وفيه يسرد بشكل ترتيبي تفاصيل قواعد المصرية التي لها ما يقابلها في اللغـات (السامية) وطبع قائمة كلمات مشتركة بين المصرية واللغات (السامية). . . وعند النظرة الأولى إليها سيقول كثير من المتفحصين دون تردد : «المصرية لغة (سامية)». وها هو عالم قدير للغاية في فقه اللغات (السامية) المقارن، «كارل بروكلمان» Carl Brockelmann ، وقد تأثر بملاحظات «بروغش» وهذه القائمة، يقول إن المصرية يجب بكل تأكيد أن توضع ضمن اللغات (السامية)، وإنه كلما زيد البحث في صورتها الأقدم، مثل التي عرفت من (نصوص الأهرام)، ازداد الوضوح المقنع بتشابهها مع اللغات (السامية). ويحسب «بروكلمان»، كما يحسب «بروغش»، أن المصرية انفصلت عن شقيقاتها الألسنة الأخرى منذ ألوف السنين ومضت في سبيلها. وطبقاً له، فإن اللغة المصرية تطورت بأسرع مما فعلت لغات (الساميين) الآخرين، وهذا راجع في جزء منه إلى اختلاط البشر الذي سببه غزو وادي النيل من قبل (الساميين) وهو يعود في جزء آخر إلى السرعة الفائقة التي بلغت بها المـدنية المصرية قمة ازدهارها، مثلما حدث للغة الانكليزية ؛ إذ ابتعدت عن اللغات الجرمانية الأخرى.

وفي ظن «رايت» Wright أن الصلة بين المصرية و(السامية) كانت أقرب مما قيل إنها وجدت بين (السامية) واللغات الهند ـ أوروبية. غير أنه لفت النظر إلى حقيقة أن أغلب الجذور في المصرية وحيدة المقطع monosyllabic وأنها لا تظهر ثلاثية الجذر (السامي). وكان على أهبة قبول أن «عدداً غير قليل من الصلات التركيبية» قد يظن أنها كافية لتبرير مذهب أولئك اللغويين الذي تمسكوا بأن المصرية بقية من أقدم عصور (السامية) أي الكلام (السامي) كما كان قبل أن يصاغ بشكل يقال إننا نعرفه تاريخياً.

وبعد هذا الاستعراض القصير يقرر «بدج» أنه ما من أحد عمل في حقل اللغة المصرية يمكنه أن يشك في وجود كلمات (سامية) كثيرة في هذه اللغة، أو أن كثيراً من ضمائرها، وبعض أرقامها

2) نفس الرأي عند الأستاذ «غاردنر» في مقدمة كتابه عن قواعد المصرية. Gardiner ; Egyptian Grammar, p. 2 وإن كان يرى بعدئذ أن المصرية ليست من اللغات (السامية) رغم التقارب !! (ص 3).

وبعض صياغاتها النحوية، تشبه تلك الموجودة في اللغات (السامية). **ثم يأتي إلى استنتاج غريب**؛ فيقول:

«ولكن حتى مع التسليم بكل أوجه الشبه التي ادعاها «إرمان»، فإنه لا يزال مستحيلاً عندي الاعتقاد بأن المصرية لغة (سامية) في أساسها. حقٌّ أنه ثمة الكثير في (نصوص الأهرام) يُذكِّر بنقاط وتفاصيل من النحو (السامي) ولكن بعد اطِّراح الجذور الثلاثية كلها يبقى عدد كبير جدًّا من الكلمات غير (سامي) ولم يبتدعها أبداً شعبٌ (سامي). وهذه الكلمات أحادية المقطع ابتدعها أحد أقدم الشعوب الأفريقية (أو الحامية، إن فُضِّلت هذه الكلمة) في وادي النيل ممن لدينا أية بقايا من لغتهم المسجلة، وهي كلمات استعملت للتعبير عن العلاقات والمشاعر الأساسية وعن المعتقدات التي هي أفريقية خاصة، غريبة من كل وجه عن الشعوب (السامية).
ويقع الموطن الأصلي للشعب الذي ابتدع هذه الكلمات في أقصى الجنوب من مصر، وكل ما نعرفه عن المصريين ما قبل عصر الأسرات يومها أنه كان في جوار (البحيرات الكبرى) أو ربما إلى الشرق منها. وقد كان طول وادي النيل مفتوحاً، كما هو الآن، لشعوب كانت تعيش غربه وشرقه، ولا بد أنه كان هناك اختلاط مهاجرين بسكانه الأصليين. وقد اقترض هؤلاء الأخيرون [يعني السكان الأصليين] كلمات كثيرة من القادمين الجدد، وخاصةً من الشعوب (السامية) الأولى من البلاد التي تُدْعى الآن (الجزيرة العربية)، ومن سكان الأرض الواقعة بين النيل والبحر الأحمر والمحيط الهندي، ولكنهمْ مضوا في استعمال كلماتهم المحلية للتعبير عن أفكارهم البدائية الخاصة بهم، ولاسيما فيما يتعلق بالمعتقدات والاحتفالات الدينية» (ص LXIX من المقدمة).

وقد ناقشنا في موطن آخر مسألة التكون السكاني لمصر ما قبل الأسرات، **وما يهمنا الآن هو الأساس الذي بنى عليه «بدج» رأيه في نفي الصلة الأولى العتيقة بين أهل وادي النيل الأقدمين ومن يسميهم (الساميين) وزعمه أن اللغة المصرية في أساسها لغة أفريقية**. فهو يبني دعواه على أساس أنه بعد اطراح الجذور الثلاثية في هذه اللغة يبقى عدد كبير منها أحادي المقطع ابتدعها شعب أفريقي (أو حامي، يعني: زنجي) قدم من البحيرات الكبرى (في أوغندا الآن). أما ما نجده من أثر (سامي) فهو «دخيل» في اللغة المصرية الأصلية (!)

الأستاذ «بدج» ينسى أن اللغة تتطور، وأنها بدأت أصلاً أحادية المقْطع، ثم صارت ثنائيته، وأصبحت بعد ذلك ثلاثية الجذر في العروبيات خاصةً التي نجد فيها الجذر الرباعي كذلك، والخماسي والسداسي.. باعتبار المزيدات[3].

---

3) تبرز أحادية المقطع في المصرية بشكل واضح باعتبارها لغة في بداية نموها، خاصة في الكلمات المتصلة بالحياة والطبيعة، وكثير فيها الثنائي المقطع، كما أن بها الثلاثي والرباعي. وتبرز أحادية المقطع في اللغات الإلصاقية، إذ تبدو واضحة حين تجرد من السوابق ومن اللواحق. وفي اللغات البدائية تتحقق الأحادية بصورة جلية، ثم تليها الثنائية. وهذا موضوع نوقش كثيراً في العربية ما بين مؤيد ومعارض. أنظر: رمضان عبد التواب؛ فصول في فقه العربية، ص 298 وما بعدها.

على أن أحادية الجذر (أو المقطع) مسألة طبيعية للغاية، لاسيما في بدايات اللغة أو طفولتها[4]. ونظرية تقليد الطبيعة التي قال بها كبار اللغويين العرب[5] تشير إلى هذا بكل وضوح.

فما الذي فعله الأستاذ «بدج» للبرهنة على مذهبه؟

هو اختار اثنتي عشرة كلمة، ثمانٍ منها ثنائية وأربع فقط أحادية المقطع:

«كلمات مثل:

tef **"father,"** ***sa*** **"son,"** ***sen*** **"brother,"** ***áf*** **"flesh,"** ***qes*** **"bone,"** ***tep*** **"head,"** ***áb*** **"heart,"** ***ā*** **"hand,"** ***tches*** **"self,"** ***ka*** **"double,"** ***ba*** **"soul,"** ***áakh*** **"spirit,"**

وعشرات أخرى، استعملت من أقدم الأزمان إلى أواخرها، هي أفريقية ولا صلة لها باللغات (السامية). حسب تعبيره (ص LXVIII من المقدمة).

حسن... ماذا يحدث لو ثبت أن هذه الكلمات كلها كلمات عربية، أو أن أصولها موجودة في العربية؟

نظن أن هذا سيكون كافياً لنقض الأساس الذي بنى عليه الأستاذ «بدج» رفضه القاطع لعروبية اللغة المصرية، ويبرهن بما لا يقبل الشك على أصالة هذه العروبية بحكم قدم هذه الكلمات وأصالتها في وادي النيل كما يكرر هو ذاته. فلنأخذها واحدة بعد الأخرى ولنتناولها بالتحليل والتعليق:

(2) «ت ف» (father : t f) أبٌ، والد:

أ ـ الأرجح أن الفاء هنا مبدلة من الباء المهموسة («پ» p) في المصرية، فالأصل إذن هو «ت پ» t p. وتشغل هذه المادة الصفحات 828 ـ 831 في معجم «بدج» نفسه، وهي تدل أصلاً على الارتفاع ثم العلوّ المعنوي، فالأسبقية، والأقدمية، والأولوية، وفيها معاني: الرئيس والأسلاف والأجداد كذلك. وهذا ما يقابل الجذر العربي «ت ب (ب)» بتعاقب الباء المفردة مع الباء المهموسة التي صارت فاءً، وكلها من مخرج صوت واحد. وفي مادة «تبب» (ثلاثي «تب») يورد (اللسان):

«... والتابُّ: الكبير من الرجال، والأنثى: تابَّةٌ»[6].

---

4) أنظر للكاتب بحثاً بعنوان: **«ديدش حب الرمان»** في كتابه **(بحثاً عن فرعون العربي)** ـ الدار العربية للكتاب، طرابلس/تونس 1984م. وفيه تفصيل هذا الأمر.

5) من مثل ابن جني في كتابه المعروف **(الخصائص)**.

6) وفي (القاموس المحيط): **الأتَبُّ**: الجبل المرتفع. قارن: **التُّبَّة**: المرتفع من الأرض، الربوة، الجبل الصغير.

وكما أن في المصرية «ت ف ت ف» tftf = والد الوالد، أي الجد (معجم بدج، ص 833) فإن في العربية : «تَبْتَبَ الرجلُ : إذا شاخ» أي صار جَدًّا.

ب - غير أن «بدج» في (ص 832) من معجمه يقرر أن «ت ف» تعادل المصرية «إ ت» it التي تجدها في (ص 96) تعني : أبٌ، والد - القبطية eiot. كما تعني : ضرَبَ.
والشيء نفسه نجده عند «فولكنر» (Faulkner ; p. 298)[7]. it(i) father

إذ يحيل القـاريء في مادة «tf» إلى مادة it(i) (أبٌ/والـد - ص 32) وهو أورد النص التالي المثير للاهتمام : it.f 'his father : ويبدو منه أن صورة «ت ف» tf انحدرت عن it.f التي تعني حرفيًا «والده» أو «أبوه» ؛ بالاسناد إلى ضمير المفرد المذكر الغائب، ثم صارت تعني «والد»، «أب» مجرداً، وهذا غير مستغرب، وقد أشرنا إلى مثل منه عند حديثنا عن أصل العربية «سَوْفَ» (لما اصطلح على تسميته بأداة المستقبل البعيد). . . فلينظر (في الجزء الثاني - في قواعد المصرية).

الأستاذ «غاردنر» (E. G. p. 600) كذلك يحيل قاريء مادة «tf» إلى مادة «it» ومنها : «إ ت» it = والد، «إ ت - ن ت ر» it-ntr = أبو الآله (لقب طبقة من شيوخ الكهنة) كما أن منها «إ ت ي» ity = غالب، سيد Souvereign . ويورد في صفحة 43 النص المهم التالي :

var. it (not itf or tf) father.

ومن الجلي أن الفاء ( ) هنا زائدة وأن الأصل هو «إ ت» (it) ويعلق الأستاذ «غاردنر» في نفس الصفحة قائلاً :

«لقد أُظْهِرَت الفاء الواضحة في هذه الكلمة لتكون محدِّداً determinative لمعنىً رمزيٍّ غير محقَّق. (أنـظر : 311، Ann. 43) وإلى عهـد قريب اعتـبرت it و tf كلمتـين متـمايزتيـن (أنظر : 18، AZ 48)»[8].

7) قارن كذلك «غاردنر» (E. G. p. 600) . وعند «شامبليون» (Principes, p. 104) يقابل المصرية القديمة كما يقرأها «إتف» etf و«أتف» otf بالقبطية : iwt, eiwt .

8) ولكنها، في الواقع، كلمة واحدة أصلها «إت» it وصارت «ت» t . ثم «ت ف» tf ، والفاء فيها زائدة. والملاحظ أن هذا التحريف، أو التحوُّل، لم يحدث في هذه الكلمة فحسب، بل حدث في كلمة شهيرة أخرى مماثلة صياغةً وإن اختلفت معنًى، وهي «إت» it (شعير، حنطة، طحين، دقيق) ونجدها «ت» t = خبزة، رغيف. كما نجدها «ت ف» tf = خبز، كعكة، طعام عموماً (قارن معجم «بدج» ص 97، 815، 833).
في الأكادية (معجم «آرنولت» Arnolt ص 128) : «إتو» ittu : أبٌ، والد. لقب لرتبة عالية. وفيها «أتي» ati = قوت، طعام. وكذلك «إتُّو» ittu : قُوَّة (معجم «وير» Weir ص 130)، وليلاحظ القاريء الصلة الصوتية والدلالية بين «قُوت» (طعام) و«قُوَّة» (التاء فيها أصلاً منطوقة : قُوَّتْ). ولا قوَّة دون قوتٍ (طعام = شعير، حنطة خبز. . . إلخ) وهو ما يأتي به الأب (زعيم الأسرة)، ومن هنا جاء الارتباط اللفظي والمعنوي بين الكلمات المعبرة عن هذه المعاني المتصل بعضها ببعض

ورد الجذر «إ ت» it في المصرية بمعنى : ضَرَبَ، غَلَبَ، سَيْطَرَ. وعني : «**الأب**». كما ورد بمعنى : «**أمير**»، «**ملك**» (معجم بدج، ص 97).
كما ورد «أ ت» at = **عصا** ومنها «أ ت ى» ati : قوي (المصدر نفسه ص 1). وهذا هو شأن «**الأب**» أو «**الوالد**» رئيس العائلة، القوي، الضارب، المسيطر. . الغالب.

في (لسان العرب) :

أَتَّ = كَبَتَ، غَلَبَ. و آتاه : طاوعه، ومنها : **المؤاتاة** = حسن المطاوعة. (مادتا : **أتت**، أتي)[9]. وهذا هو شأن الأب، الغالب.

أما في الكنعانية فقد أبدلت التاء دالاً فكانت «أد» ad (= أ ب) ولها صلة بها في الأكادية : **أَدُّو**» addu = قوة (قارن العربية : «**أَيْدٌ**» = قوة) وأنثت : «أ د . ت» ad.t (= أُمٌّ). (غوردن، ص 207). وطبيعي أن مذكرها «أ د» ad = أبٌ، والد.

هذا كله يكافىء المصرية «إت» it (أب/والد) التي صارت «**ت ف**» tf وحسبها الأستاذ (بدج) كلمة أفريقية خالصة لا صلة لها بالعروبية.

(2) «س أ» sa : (son) ابن، ولدٌ :

أ ـ عند «غاردنر» (ص 471) هناك قراءتان : «ز أ» za ، «س أ» sa . ومكافئها في العربية الجنوبية : «ذ» < ذا، ذو = ابن ـ وهي تحولت إلى أداة إضافة، كما هو الحال في الأكادية «**شا**» ša والكنعانية «**ش**» š (غوردن، ص 271).

ب ـ الملاحظ أن الرمز الهيروغليفي لكلمة «س أ» هو صورة وزة/إوزَّة (وعمادها حرف **الزاي**) والدلالة المقصودة مستندة إلى sa (ذكر **الإوز**، مؤنثها sa.t «**وز. ت**» < «**وزَّة**». معجم بدج، ص 633) ولكن من الجذر ذاته هناك كلمة «**س أ و**» saw = عرَّاف، منشد، قارىء التعاويذ (المصدر نفسه، ص 585) أي : ذلك الذي يصدر صوتاً، يصيح. ونحن نعرف كلمة أخرى في المصرية تعني الولد، أو بالتحديد : الفرخ، فرخ الطير، ثم أيَّ فرخ (ولد/ابن) بعد ذلك، هي كلمة «**و أ**» wa الممثلة هيروغليفيا بصورة فرخ طير يقول الأستاذ «غاردنر» (E. G. p. 472) إنها تمثل حرف الواو (w) «لسببٍ مجهول» وقد بينا أنها الصوت الأول من «و أ (و أ)» < وأواء = صاح، صائح[10].

«**س أ**» تفيد الصياح أو الصراخ، كما تفيده «و أ»، وهو أول ما يصدر عن الولد حين يخرج إلى عالم الحياة الصاخب. فلنقرأ ما جاء في العربية (**صأي**) :

«الصَّيئيُّ، على (وزن) فعيل : صوت الفـرخ. صَأَى الـطائـر والفـرخ والفـأر. . . أي صاح . . . ويقال للكلبة : صِيئِيٌّ، سميت بذلك لأنها تَصْأَى أي تصوِّت. في المثل : جاء بها صأى

9) قارن هنا «**أتاوة**» = «ضريبة». ولا جدال في الصلة بين «**الضريبة**» و«**الضرب**»، كما هي الصلة بين «**أتَّ**» و«**أتاوة**».
10) أنظر البحث عن «الأصول العربية لأسماء رموز الهجاء الهيروغليفية» في هذه الدراسة لمزيد من البيان.

وصمت، يعني جاء بالشاه والإبل، وما صمت ؛ بالذهب والفضة. . . ويقال أيضاً : جاء بها **صاة** وصمت، وهو مقلوب من صَأَى» .

وهي مادة طويلة تفيد الصوت والصياح . . . حتى يقول :

«**والصآة** مثل الصعاة : الماء الذي يكون على رأس **الولد**. وقال الأحمر : هو **الصاءة** بوزن الصاعة، ماء ثخين يخرج مع **الولد**» (اللسان) .

وهذا ما يذكرنا بالمصرية «م س» ms (ولد) وصلتها بالعربية «**مشيمة**» (كيس الولد) . . فلتنظر في موطنها من هذه الدراسة .

وملاحظة نضيفها تتلخص في أن هذه المقابلة التي عرضناها ما بين المصرية «**س أ**» والعربية «**صأ (ى)**» بتعاقب السين والصاد لا تمنع أن تكون المصرية «**س أ**» معدَّاة causative **بالسين للمقطع** الأحادي «**أ**» وهو الدال على الصياح، والذي ثني فصار «**أو**» aw ومنه كلمة «**س أ و**» saw (العراف، المنشد، القارىء) = الصيَّاح، أو : **الصائي**.

(3) «**س ن**» sn : (brother) **أخٌ** :

الـعــربية : «**صن (و)**» = مثيل، شبيه، أي : أخ. قارن : **شقيق** = أخ، أي الشِّق = النصف، المثيل، الشبيه.

(4) **إف** if : (flesh) لحمٌ :

الملاحظة الأولى أن ما يرد ثنائي الجذر في مادة «**إ ف**» if نجده بنفس المعنى في الجذر الثلاثي، «**إ و ف**» iwf (قارن معجم بدج، ص 34، 43 و«فولكنر» ص 13) مما يبرهن على تطور الجذر من الثنائية إلى الثلاثية بوضوح[11] .

الملاحظة الثانية : أن if عند «بدج» نفسه (المعجم، ص 43) تعني في جملة ما تعنيه ما يلي : لحم[12]، ربط، خبــز، طعـام . flesh, meat, joint, bread, food [13] ولنـا أن نقـارن joint هنـا بالعربية : (لَحَمَ) من (لحْمٌ). وهذا يعني أن المعنى الأولي للكلمة يعني الطعام، أو القوت، عموماً ثم خصص للحم. (لاحظ أن «لحم» نفسها كانت تعني «طعام» وهي كذلك «لخم» في العبرية وفي الكنعانية **ل ح م** = خبز) وهذا الطعام قد يكون خبزاً، كما قد يكون لحماً، كما ورد عند «بدج» نفسه.

إليك بعض المقارنات :

في الكنعانية : i p w/i p y (**إ ف ى/ إ ف و**) = خَبَزَ.

---

11) قارن : Gardiner, E. G., p. 52.

12) flesh في الانكليزية تعني أصلاً اللحم أيًا كان ثم اقتصرت، بشكل ما، على اللحم البشري، الجسد البشري، أو الجانب الحيواني الشهواني من تركيب الجسد.

13) أو : «شوى اللحم». أو «طها اللحم»، لاحظ أن lḥm = خبز، لحم (بالمعنى المتداول الآن).

y i p. lḥ.m (ي إ ف . ل ح م) = خَبَزَ الرغيف[14]. (غوردن، ص 214).
في اللهجة الشلحية : tifiyi (te) (تِفِييتْ) = لحم.
السبئية : «أ ف ي» FY' = خبز (معجم بيبلا، ص 25)[15].
في العبرية : afah = خبز (فريحة ؛ ملاحم . . . ص 598).

(لا نملك هنا إلا المقارنة ـ للتوضيح ـ بالانكّليزية meat التي تعني الآن : اللحم، ذاك الذي يكسو عظام الانسان أو الحيوان[16]. ولكنها أصلاً كانت تعني : الطعام، عموماً. ولها صلة بكلمة meal (وجبة طعام). كما عنت «خبز» ولا تزال مستعملة في Sweet meat = **خبز حلو**، نوع من الحلوى).

وقـد نذهب إلى أن الهمـزة المكسـورة في المصرية (iwf/if) والكنعـانية : (إ ف ى/إ ف و) والشلحية (إ ف ى) أو المفتـوحة في العبرية (afah) تعاقبت مع العين في العربية في الجذر الثنائي «**عف**» ومنه : عفا < «**عافية**» (قارن : قُوت/قُوّة).

و«بدج» في (معجمه) يجعل من معاني «إ ف» if : جيفة، جسد ميت (ص 43) ومن معاني «إ و ف» iwf : جيفة، جسد، لحم إلى جانب : التهام، ابتلاع، أكل (ص 34).

في مادة «**عيف**» (ثـلاثي «**عف**») نجد : النسور «**العوائف**» = (آكلة الجيف). وفي مادة «**عـوف**» : العوف = الضيف (= الآكل) و «يقال للجراد : **أبو عويف**» (= الملتهم، الآكل)، «**وتعوَّف** الأسد : التمس الفريسة بالليل، **وعوافته** : ما يتعوَّفه بالليل **فيأكله**».

ملاحظـــة :

لعـل الأصـل الحِسِّي الأول للمصرية «**إ ف**» if بمعنى «**جيفـة**» هو الصوت الذي يصدره الانسان من أنفه حين يشم رائحة عفنة كريهة. (قارن العربية : **أفٍّ** < **أفَّفَ/تأفف**) . وفي مادة «**عيف**» العربية : الطيور العوائف = آكلة الجيف. (قارن : **عافَ** الشيء = كرهه وامتنعت نفسه منه).

---

14) (tifiyi(te) : viande) Destaing, p. 397 ولاحظ أن التاءين في البداية والنهاية للتأنيث (قارن اللهجة المصرية المعاصرة : لحمة = لحم) والأصل هو ifi(y) (إف).

15) وهي ترجمهـا : baked goods التي يمكن ترجمتهـا إلى العـربية : مواد مطهـوَّة / مشـوية وتقـارنها بالاثيوبية efy (baked)' ولغة أهل جزيرة سقوطرة mo'fe (oven) والعربية : mīfâ, mawfâ مخبوزة/معجونة وهو ما نجده في مادة «وفي» في (اللسان) :

«الميفَى : طبق التنور، قال رجل من العرب لطباخه : خلِّب ميفاك حتى ينضج الرودق. قال : خلِّب أي طبِّق، والرودق : الشواء. وقال أبو الخطاب : البيت الذي يطبخ فيه الآجُر يقال له الميفَى».

16) في الاستعمال العام : meat = لحم الحيوان، flesh = لحم الانسان.

(5) «ق س» q s (bone) : عَظْمٌ :

ملاحظـات أوليـة :

أ ـ يكتب «بدج» الكلمة بالسين المهملة (s) أما عند «غاردنر» (E. G. p. 514) فهي بصورتين : بالسين العادية (s) وبالسين الأقرب إلى الصاد (ś) فهي تقابل «ق ص» في العربية .

ب ـ هناك محدِّدٌ هيروغليفي للكلمة هو إلى يمين (= ق ص) في كل من معجم «بدج» (ص 778) ومؤلف «غاردنر» المذكور. وقد فسر «غاردنر» هذا المحدِّد (الرمز) بأنه «رأس حربة من العَظْم» . وهذا هو عظم الصدر الذي كانت تتخذ منه رؤوس الحراب في القديم .

ثم لنقرأ من مادة «قصص» (< قص) في (اللسان) :

«القصّ والقَصَصُ والقَصْقَصُ : الصدر من كل شيء . . . وقيل هو : عَظْمه . . . . والقَصّ : رأس الصـدر . . . الليث : القَصُّ هو المشـاش المغـروز فيه أطـراف شراسيف الأضلاع في وسط الصدر» .

(6) «ت ب» T p (head) رأس :

العربية ، مادة تبـ(ب) :
الأتبُّ : الجبل المرتفع .
التبة : الربوة .
التاب : الشيخ (الرئيس ، من : رأس) .

وقد فصلنا فيها القول مراراً .

(7) «إ ب» i b (heart) قلب :

اللام في المصرية منعدمة ، كتابة على الأقل ، وتبدل . هنا أبدلت همزةً ، وهي العربية «لُبٌّ» = قلب[17] .

(8) «ع» ᶜ : (hand) يدٌ :

(أنظر حرف «العين» عند الحديث عن الأصول العربية لاسماء رموز الهجاء بالهيروغليفية ـ في هذه الـدراسـة) . ونلاحظ أن الرمز (Ā) في السومرية يقرأ i d/ṭ t ويقابل في الأكادية «إيدُمْ» idum [18] (العربية : يد) .

---

17) «بدج» نفسه يعلق على «إب» ib هذه في موطن آخر فيقول إن هذه الكلمة المصرية قد ترتبط بـ«العبرية والسريانية والاثيوبية والعربية (لُبّ)» . أنظر : W. Budge ; Osiris and the Egyptian Resurrection, Dover Publications, New York, 1973, Vol. II, p. 130.

(18) Introduction to the Study of Ancient Languages, p. 68 .

(9) «د س» tches [19] : (Self)

(10) «ك أ» K a : (double)

(11) «ب أ» b a : (Soul)

(12) «إ أ خ» i a ḫ : (Spirit)

نؤثر أن نتحدث عن هذه الكلمات الأربع مجتمعة، إذ هي في الواقع تمثل صعوبات كبيرة أمام الباحثين في ترجمتها بالدقة اللازمة، وذلك لتعلقها بعالم النفس (أو الروح) في الحياتين الدنيا والآخرة وتصورها عند عرب مصر الأقدمين تصوراً خاصاً من العسير جداً فهمه بخلفية ثقافية ودينية مختلفة. والمشكلة نفسها تواجه اللغة الأنكليزية في التعبير بـ Spirit, Soul, Self أو ghost عن الروح أو النفس. كما واجهت هذه المشكلة العرب المسلمين في بحوثهم الدينية والفلسفية عند حديثهم عن النفس والروح[20]، وهي كانت معضلة عسيرة الفهم عند فلاسفة اليونان من قبل[21]. وهذا هو السبب في أن علماء المصريات لم يتفقوا على ترجمة واحدة لأي من الكلمات المذكورة، وإنما فسرها كل منهم بحسب فهمه الخاص وبقرينة سياق النص.

وقد بينا القول في «ك أ» و «ب أ» في موضع آخر فلا حاجة للتكرار. وبقي أن نتحدث عن «د س»و «إ أ خ» - من حيث المقارنة اللغوية. لكن قبل هذا نحب أن نقول إنه يبدو واضحاً أن عرب مصر القدماء فرقوا بين (أنواع) أو (مراتب) من النفوس، أو هي (مظاهر) للنفس - كما هو الحال عند الفلاسفة اليونان والمسلمين. إذ نجد أن «ب أ» ba تقابل النفس الحيوانية (في الحياة الدنيا)، و «ك أ» ka تقابل النفس الآلهية (الأسْمىٰ/الخالدة)، **بينما تقابل «د س» ds جانب الشر من النفس (اللوامة/ الأمارة بالسوء) وتقابل «إ أ خ»** i a ḫ جانب الخير فيها (النفس المطمئنة/الزكية = النورانية).

---

(19) هذه نقحرة «بدج» أما عند «غاردنر» و «فولكنر» فهي «ds». وعند «بدج» في (المعجم، ص887) : d(e)s «دس»، وهي الصورة التي سنعتمدها فيما يلي.

(20) يبدو - عموما - أن «الروح» تعني الجانب الآلهي الخير وهي (من أمر ربي) لا يُعلم كنهها، أما «النفس» فهي أقسام: النفس اللوامة، النفس الأمارة (بالسوء)، الأنفس الشح - وهذا جانب سيء منها. كما أن هناك النفس الزكية، النفس المطمئنة، وهذا جانب الخير فيها (أنظر مثلا: مقالة لويس ماسينيون):

L. Massignon; (The Idea of Spirit in Islam, the Mystic Vision), London, 1968, pp. 319-323

وفي الانكليزية يعبر بـ (Holy ghost) عن (الروح القدس) كما يعبر بـ (Holy Spirit). ولكن كلمة (ghost) تعني كذلك «الهامة»، كما يقال (evil Spirit) (الروح الشريرة). والحق أنه يكاد يكون من المستحيل تحديد استعمالات هذه الكلمات في موطن بذاته.

(21) أفلاطون - مثلا - قال إن ثمة نفوساً ثلاثة: النفس الآلهية (الخالدة) والى جانبها: النفس الانفعالية (الغضب والشهوة) والنفس الغذائية. وقال مرة: هناك ثلاث نفوس: النفس الآلهية (الروح)، والنفس الحيوانية، والنفس النباتية. وعند أرسطو: النفس واحدة بالفعل كثيرة بالقوة. وهناك: النفس النامية (الحياة)، والنفس الحاسّة (المشاعر)، والنفس الناطقة (العقل). (أنظر يوسف كرم؛ **تاريخ الفلسفة اليونانية**، صفحات 153-167، 85-91).

هذا ما يبدو لنا، وعلى هذا الأساس نمضي لنقول :

(1) «د س» ds : تترجم عادةً بالانكليزية self وبـالفـرنسية même . وهي هنـا لا تعني «النفس» بمعنى الـروح فقط بل تعني «عـين الشيء» أو «**ذاتـه**». ومن السهل مقابلتها بالعربية «**ذ ا ت**» < «**ذ ت**» بهذا المعنى . . وينتهي الأمر. غير أن الأستاذ «ليفيفر» G. Lefebvre يذكر أن كلمة «**د س**»/ «**دِ س**» منحدرة من أصل بالغ القدم، وهي تقابل العربية «**جُثَّة**» ويقارنها باستخدام المصرية «ح أ و» (بدن/جسد ـ العربية : «**حوي**») في نفس الوضع[22].

لاحظ أن «جثـة» (بـدن/جسم) من الجذر «**جث**» > «جثث» الذي يقابل، بالابدال، «**دِ س**». وهـو ما ينطبق على «**ذ ث**» > «**ذ ا ت**» بالضبط. ولا بأس من قبول هذا التحليل في استعمال «**د س**» بمعنى التخصيص كما نقول في العربية : ذاته، عينه . . إلخ. لكننا نتحدث عن «**د س**» بمعنى النفس، (أو الروح في أحد مظاهرها). وقد ورد على خاطري في أثناء كتابة هذا البحث الآية القرآنية الكريمة :

﴿**وَنَفْس وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا. قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زكاها. وقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾ (سورة الشمس).

وقد اختلفت التفسيرات لكلمة «**دَسَّاهَا**»هذه من حيث دلالة اللفظ، ولكن ثمة اتفاق على الدلالة العامة ؛ فإن «دَسَّاهَا» من (الدس) أو (الدسس) الذي يفيد الخسة والخبث والشر والسوء، شأن **النفس الحيـوانيـة** (أي البـدنية، أو «**الجُثِّيـة**»[23]) في مقابل «زَكَّاهَا» أي النفس المزكاة (= المطهَّرة، أو الزكية).

(2) «**إ أ خ**» i a ḫ : إذا كانت «**د س**» ds تمثل جانب السوء من النفس، أي الجانب الجسدي المعتم «**الظلماني**»، فإن «**إ أ خ**» i a ḫ تمثل جانب الخير، أو الجانب «**النوراني**» منها. وهذا ما جعل من معانيها : طيب، جيد، رائع، فاخر، ومعانٍ أخرى كلها تفيد «الخيرية» (أنظر معجم «بدج» ص 22 ـ 24). والمعنى الأولي التي تنبثق عنه بقية المشتقات هو «**النور**»، **الضياء والاشعاع** (ص 22). وهذا أمر طبيعي ؛ إذ اعتبر النور دائماً مرتبطاً بالخير، في جميع العصور ومختلف الديانات. فاسم «إله النور» the light-god في المصرية هو «**إ أ خ و**» i a ḫ w و«**إ أ خ و**» تعني كذلـك : نور، روعـة، إشعـاع، سطوع، أعمال مجيدة، أفعال رائعة، امتياز، بركات، خيرات. و «**إ أ خ و. ت ك**» = عينا (حورس) المنيرتان ؛ الشمس والقمر. . . إلخ ؛ إلخ (ص 23)[24].

(22) Eg. Lefebvre ; Grammaire de l'egyptien classique, p. 54.
«Il semble que ce mot (ds) dérive d'une racine trés ancienne, à quelle s'apparente egalement l'arabe ǧu_t_ta (corps)...
L'emploi de (ds) dans (ds. f) «lui meme» litt. «son corps», serait don parallèle à celui de (ḥ'w) dans l'expression (mḥ'w. f).».

(23) أو «الذاتية» (نسبة إلى «الذات»). وفي بعض استعمالاتنا الحديثة لكلمة «**الذاتية**» إيحاءٌ بـ «**الأنانية**» المعادلة للأثرة والشهوة أو «حب الذات»، وهي مظاهر سوء في الانسان.

(24) قارن كذلك معجم «فولكنر» (ص 9) : «**إ أ خ و**» = شعاع الشمس، إشعاع. وهو يقرر أن i a ḫ w هي الصورة الأقدم لصورة a ḫ w التي عرفت بعد ذلك. قارن : «غاردنر» Egyptian Grammar في مواطن مختلفة.

فما هو المكافىء العربي يا ترى في هذا المجال ؟

من الواضح أن الهمزة الثانية في «إ أ خ» i a ḫ مبدلةٌ من الراء (إ رخ) i a ḫ وأن الصوت الأول من الكلمة الذي سميناه (إ) هو في الواقع صوت ضعيف ꜣ يتحول إلى همزة أو واو أو ياء بسهولة.

هذا من الناحية اللفظية، أما من الناحية الدلالية فإن من المعروف أنّ القمر عُبد في الديانات العروبية القديمة باعتباره ممثلاً لآله النور، أو هو «النور» المعبود ذاته، وأ طلقت عليه جملة أسماء منها «س ن»[25] في بابل وسبأ، كما أن منها «أ رخ» = القمر. وقد تطورت الكلمة ودلالتها؛ فنجد في العربية الجنوبية «و رخ» = الشهر[26] (معجم بيبيلا، ص 149)، والعربية : «أ رَّخ»، «و رَّخ»، التأريخ، التوريخ < «التاريخ» - تسجيل الحوادث استناداً إلى التقويم القمري، ثم تسجيل الحوادث وروايتها بإطلاق. وهي تطورت بشكل آخر فأدت إلى معنى السير، لأن القمر كوكب سيَّار. ففي الأكادية «أُرخو» urḫu = طريق، و«أرْخيش» a r ḫ ē š = سريع السير. وفي العبرية «أريحا» ariḫa = قمر، سار (ومنه اسم «أريحا» المدينة الفلسطينية = مدينة المعبود «أرح» = القمر). وفي العربية : «رَوَحَ < راح، يروح، رواح». و«ريحٌ» = الهواء المتحرك . . . إلخ حتى نصل إلى : «رُوح».

وهكذا نجد أن اللفظ تدخل عليه تحويرات وتبديلات في أصواته، كما تتطور دلالته مع الزمان. وهذا ما حدث في المصرية وأخواتها من اللغات العروبية الأخرى. والمهم أن ندرك أن المصرية «إ أ خ» هي العربية «أ رخ» = القمر، أي : النور، سطوع، الاشعاع. وهذه هي النفس «النورانية» بذاتها.

* * *

بعد هذا يلتفت الأستاذ «بدج» إلى الأعداد الترتيبية فيقول إن أسماءها تظهر أن الشعب الذي ابتدع الكلمات المذكورة آنفاً كان يَعُدُّ بالخمسات ؛ إذ أن لديه كلمات (خاصة) تعبر عن الأعداد : «واحد»، «اثنين» «ثلاثة»، «أربعة»، «خمسة» و«عشرة». فلما اتصل (بالساميين) أخذ عنهم الأعداد : «ستة»، «سبعة»، «ثمانية»، و«تسعة».

وقد بَيَّنّا المكافيء العربي لتسميات الأعداد في المصرية، من «واحد» إلى «خمسة»، وكذلك «عشرة» و«مائة» . . إلخ. فلينظر القارىء ذلك في حديثنا عن الأعداد . . ولا حاجة للتكرار.

---

(25) قارن العربية الفصحى : «سنا» = نور. ويذكر أن «طور سينا(ء)» (حرفيا : «جبل سن») سمي كذلك نسبة إلى «سن» (= القمر). قارن القرآن الكريم : «وَطُورِ سِينِينَ» (التين : 2).

(26) لاحظ أن «الشهر» في العربية الفصحى تعني «القمر» كذلك. «فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُم الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ» قرآن كريم. أي : من شهد القمر الذي يسمى أول ظهوره هلالاً. و«شهر» من «الشهرة» و«الاشهار» أي الاعلان عن ظهوره، كما أن «هلال» من التهليل (رفع الصوت) عند مشاهدته = الاعلان عنه.

ليس هذا فحسب بل إن «بدج» يمضي ليقرر أن المصريين القدماء (غير «الساميين» عنده) أخذوا كذلك تاء التأنيث عن «الساميين»، وضمائر كثيرة، وفي مرحلة متأخرة جداً أخذوا كلمات (سامية) وفيرة من سوريا وفلسطين.

ووجود تاء التأنيث، والضمائر العروبية، في المصرية القديمة دليل على عروبيتها وليس ضدها بالطبع. أما قوله إن المفردات (السامية) دخلت المصرية في «عهد متأخر جداً» فمغالطة تاريخية بالغة السوء؛ ذلك لأن هذه المفردات ملحوظة بشكل واضح للغاية في أقدم النصوص التي تعود إلى أول عهد الأسرات[27].

ويمضي قائلاً :

«لقد بدا لي دائماً أن بعض الألفاظ الأصلية عند المصريين الأوائل وجدت سبيلها إلى البلاد المجاورة حيث لا تزال تحيا حتى الآن. وهكذا فإن الكلمة المصرية الشائعة «خ ف ت ى» khefti (عدو) التي لها مقابلها في القبطية «شفت» ϣⲁϥⲧ shaft توجد في الأمهرية في صورة «شفتا»: والكلمة المصرية «د ن ق» (د ن ج) ţeng (قزم) يبدو أنها حفظت في الأمهرية «دنك» denk. والكلمة المصرية «د وءت» ţuat (صباح) يبدو أنها عاشت في الأمهرية «د و ا ت» ţuwat. ويمكن مقارنة المصرية «س أ» sa (رجل/شخص/إنسان) بالأمهرية «س أ» = (?) sa (رجل أو امرأة/شخص/إنسان)».

* * *

أما أن هذه الكلمات خرجت من مصر، أو جاءت إليها من البلاد المجاورة فهذا غير مهم ولا يمكن البت فيه. **ولكن لماذا يعمد الأستاذ «بدج» إلى مقارنة هذه الكلمات التي اختارها بالأمهرية فقط؟** نعم. الأمهرية لغة عروبية. لكنه أراد الايحاء بأنها كلمات «أفريقية» ـ ما دامت الأمهرية موجودة في الحبشة وهذه موجودة في أفريقيا! لكن هذه الكلمات ذاتها موجودة في اللغات العروبية الأخرى، وأولاها العربية، فلماذا أهمل المقارنة بها؟

لنفعل نحن إذن :

(1) «خ ف ت ى» (عـدو) : قد نقابلها بالعربية «خفت»، «خفض» وفيها معنى الضعة والضعف والخور، وهي الصفات التي تطلق على العدو عادةً، من باب رفع الروح المعنوية للشعب وتدميرها عند العدو. لكن الأستاذ «غاردنر»[28] يشير إلى وجود محدِّد مهم في رسم هذه الكلمة بالقلم

(27) أنظر في هذا الخصوص :

S. Yeivin ; The Ceremonial Slate-Pallete of King Narmer, in : Studies in Egyptology and Linguistics, Jerusalem, 1964, pp. 24 – 53.

(28) Gardiner ; Egyptian Grammar (A 14) p. 443)

الهيروغليفي هو صورة رجل واقع على الأرض يسيح الدم من رأسه، وهو محدِّد يستعمل في كلمة «خ ف ت ى» enemy = عدو» كما يستعمل في كلمة «م و ت» die) m w t = موت).

هنا نعود إلى مادة «**حفت**» في العربية (ح = خ)، فنقرأ:

«**الحَفْتُ**: الاهلاك. **حفته الله حفتاً**: أهلكه، ودقَّ عنقه. قال الأزهري: لم أسمع حفته بمعنى دق عنقه لغير الليث. قال: والذي سمعناه: **حفته ولفته إذا لوى عنقه وكسره**، فإن جاء عن العرب حفته بمعنى عفته فهو صحيح ويشبه أن يكون صحيحاً **لتعاقب الحاء والعين** في حروف كثيرة». (اللسان).

فانظر: **حَفَته = عَفَته = لَفَته**. أي: أَهْلكه، دقَّ عنقه، لوى عنقه، أو كسرها. وهذه هي «**خ ف ت**» والنسبة إليها «**خ ف ت ى**» أي: المهلَك، المدقوق العنق، أو المكسورها. لا فرق. وهو ما يُمكن عادةً أن يحدث للعدو، ومن هنا جاء المحدد المشار إليه في رسم الكلمة[29].

(2) «**د ن ق/ د ن ج**» (**قزم**):

في العـربية مادة: «**دَنَق**» تفيد القِصر (القزمية) والسواد معاً[30]. و«**دنج**» أدت إلى ما هو معروف في اللهجة الليبية الدارجة: «**دنجال**» = قزم («دنجل» مزيد «**دنج**» = d n g).

(3) «**د و أ ت**» (**صباح**):

الدال بدلٌ من الضاد في العربية: «**ضوء. ت**» (مؤنث: ضوء).

(4) «**س أ**» (**رجل/ شخص»/ إنسان**):

الأكـاديـة: «**شـا**» ša

الكنعانية: «**س**» s

العربية الجنوبية: «**ذ**»

الشمالية: ذو/ذا.

* * *

بعـدهـا يشـير «بـدج» إلى القبـائـل التي كانت تحيط بوادي النيل، وهو يقصد (الليبيين) و(النوبيين)، ويقر بالتأثير والتأثر المتبادل عفويًا بينهم وبين أهل الوادي كما حدث مع (الساميين)،

---

(29) لاحظ تعاقب الحاء والعين في العربية (حفته، عفته) وهما تعاقبا مع الخاء في المصرية (خ ف ت). أما في القبطية والأمهرية فكانت الشين بدلاً. قارن الابدال باللام في العربية «**لفت**».

وقارن الأكادية «خِبو» hipu = عدو (معجم «وير» ص 106) والباء المهموسة (p) = ف (خِبو = «خِفو». جذرها «خ ف» وهو الجذر الأصلي للمصرية «خ ف ت ى» والعربية «خوف»، والمعاني، على كل حال، متداخلة.

(30) وكذلك: دنأ، دنح، دنخ، دنغ... إلخ. وكلها ثلاثي (دن).

ولكنه لا يرى إمكان فهم النصوص المصرية بمعونة اللغات الحديثة عند هذه الأقوام «**غير أن القدر اليسير من الاهتمام الذي أمكننا توجيهه إلى قواعد بعض اللغات في شرق السودان ومفرداتها أقنعني بأنها تحوى الكثير مما يفيد في دراسة لغة النقوش الهيروغليفية**».

ثم يختم بقوله: «المصريون القدماء كانوا أفارقة، وهم تكلموا لغة أفريقية، وشعوب شرق السودان المعاصرة أفارقة وأهلها يتكلمون لغات أفريقية، وعليه فإن ثمة الكثير في التراث اللغوي السوداني الحديث مما يعين طالب اللغة المصرية القديمة في عمله».

ولا يجادل أحد في تقارب اللغات المصرية والنوبية والليبية القديمة، بل وحدتها. ولكن ليس معنى أن يكون أهلها أفارقة أن تعتبر لغتهم «أفريقية» بمعنى انفصالها عن اللغات العروبية. وقد أصبح من المسلم به أن ما كان يدعى اللغات الأفريقية (وتسمى: الحامية) واللغات «السامية» العروبية ليست في الواقع إلا فروعاً من لغة أم واحدة.

بالنسبة للغة النوبية (لغة شرق السودان كما يسميها «بدج») يذكر «محمد متولي بدر»:

«وقد اختلف في أصل النوبة، فمن قائل إنهم ليبيون انحدروا من الشمال إلى بلاد النوبة ودفعوا القبائل الزنجية جنوباً واحتلوا أماكنهم، ومن قائل إنهم نزحوا إليها من آسيا عن طريق البحر الأحمر، ولكل وجهة ودليل يستند إليه... **ولسنا نعرف بالضبط كيف وأين نشأت اللغة النوبية**. أهي لغة أفريقية نشأت في قلب أفريقيا، أم آسيوية انتقلت من آسيا إلى أفريقيا؟ هناك ثلاثة احتمالات لا بأس من الاشارة إليها:

الأول: أنها أفريقية نشأت في أفريقيا في نفس مكانها الحالي.

الثاني: أنها لغة الكوشيين الذين انتقلوا إلى أفريقيا من آسيا...

الثالث: أنها لغة القبائل الليبية التي نزحت من الشمال ودفعت القبائل الزنجية جنوباً واحتلت مكانها كما سبقت الاشارة إلى ذلك»[31].

أما عن اللغة الليبية القديمة فإن «أوريك بيتس»[32] يقول:

«من المعروف جدًّا أن اللغة المصرية، حتى في أقدم مراحلها، تحوى عنصراً (بربريًّا) أوليًّا. وهو عنصر ذو طبيعة عميقة الجذور. ورغم طبيعة الفعل (السامية) في اللغة المصرية فإنه حتى في هذا الجانب المهم من اللغة تشارك (البربرية) بعض الملامح. وزيادة على ذلك فإن في اللغتين كلتيهما جذور ضمائر ذات صلة بعضها ببعض، وهما تصوغان الجمع والضمائر المطلقة [أي المنفصلة] بنفس الطريقة. وكلتاهما تصوغان جمع المؤنث بأسلوب متقارب للغاية. وفي الاثنتين يستعمل حرف «ن»

(31) اللغة النوبية؛ القاهرة 1955، صفحة 5، 45. ويذهب محمد متولي بدر إلى أن النوبية لغة قديمة قائمة بذاتها وليست هي المصرية القديمة، وإن كان ثمة تشابه كبير بين اللغتين. فهما، بعبارة أخرى، فرعان من أصل واحد تميزتا بمرور الزمان.

(32) Oric Bates; The Eastern Libyans, pp. 81-84.

علامة إضافة غير مباشرة. وفيهما معاً تعامل المجردات وأسماء الجمع باعتبارها جموعاً قواعدية (نحوية). وإلى جانب هذا الضرب من الصلات فإن مقارنة المفردات المصرية و(البربرية) تظهر أن في اللغتين عدداً من الكلمات الأصلية البدئية المشتركة» (ص 81).

ثم يورد الأستاذ «بيتس» مجموعة من الجذور الأصلية مقارناً إياها في اللغتين (ص 81 ـ 83). **وهي جذور «أصلية» بمعنى أنها غير دخيلة، أو واردة من لغة أخرى** (والمقصود لديه العروبية أو «السامية» كما هو مصطلحهم) فهي أساسية، محلية. وهو يقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه الأستاذ «بدج» ومن وافقه ؛ فإن مقارنة بسيطة بين هذه الجذور والمفردات الناتجة عنها في المصرية ولغة شمال أفريقيا تبين عن عروبتها الواضحة. وها هي مقارنتنا نحن لها بالعربية :

الجـــذر		المعنى بالأنكليزية	المكافىء العربي	
مصري	ليبي			
FḲ	FK	reward	ف ك	كف (مقلوب «فك») < كافأ[33].
MṢ	MǦ	to give birth	م ش	مشي < أمشى = ولد[34].
MSḲ	MZ	to pluck off, to snatch	م ز	مز < مزق/مزع.
MT	MT	to die, death	م ت	موت < مات.
BT	BD	to go, to enter, to arrive	ب ت	بيت < بات.
Bš	BZ	to pour out	ب ز	بز < بزق. قارن : بسق، بصق، بزز[35].
SWR	SU	to drink	س	سأ < سأسأ، سأر < سؤر.
M	M	Water	م	ماء
Gš	KS	Knife, dagger	ق ص	قص < مقص[36]
MṢDR	MZغ	ear	س م ع	سمع (مقلوب «مسع» = مزغ، مسد)
MS	MS	lord, master	م ز	مزز[37]
SR	ZR	Prince, chief	س ر	سر < سريٌّ[38].
MSS	BSS	belt, girdle	ب ز	بزز[39]
MSR	MḎR	evening	م س	مساء[40].
R	R	at, to, into, towards	ل	«ل» بدل من «ر»[41].
N	N	gign. genit	ل	«ل»، «ن»[42].
T	T	father	أ ت	«أتت»[43].

هوامش

(33) مقلوب «كف» > كافأ.

(34) قارن كذلك : الكنعانية m'gy ، الآرامية : mty ، العبرية : msa . أنظر :
Greenfield ; Some Reflections on the Vocabulary of Aramaic, p. 153.

(35) الأكادية «أبشو» apšū : فاض، تدفق.

(36) الجذر الثنائي «قص» يثلث إلى : قص، قصع، قصل، قصم. . إلخ = قطع.

(37) الأكادية «ماسُّو» massu (معجم «وير»، ص 206) = قائد، زعيم. في مادة «مزن» العربية : «المِزُّ : القدر والفضل، وشيءٌ مِزٌّ ومزيز : فاضل». وفي مادة «مزا» :
«مزا مزواً : تكبّر. والمزو والمزي والمزيّة في كل شيء : التمام والكمال». وهذه صفة القادة والزعماء.

(38) الجذر الثنائي «سر» ومنه الثلاثي «سرا» في العربية يؤدي معنى الرفعة والشرف.

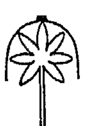
(39) «البَزُّ : الثياب، وقيل : ضرب من الثياب. . . والبِزَّة : الهيئة والشارة واللِّبسة. . والبَزُّ والبزة : السلاح، يدخل فيه الدرع والمغفر والسيف». (اللسان).
في مادة mss المصرية (= الليبية bšš ، العربية «بزز») يترجمها «بدج» في (معجمه) بأنها تعني : حزام من جلد، نطاق، سلاح، درع، ثوب قتال مصنوع من الجلد.

(40) الأكادية mūšītu, mūšīti = ليل. الكنعانية mš . (Gordon ; Ug. Handbook, p. 249)

(41) ليس في الهيروغليفية حرف اللام. وهو كثيراً ما يُبْدَل راءً في (البربرية). وخاصة في لهجة الريف المغربي.

(42) أنظر حديثنا عن (الاضافة) في قواعد اللغة المصرية فيما يلي.

(43) مادة «أتت» في العربية تفيد الغلبة والقهر، صورة الأب رئيس العائلة. راجع مناقشتنا هذا الموضوع في الرد على الأستاذ «بدج» فيما سبق.



هل المصرية لغة (خاصة) ؟

(مناقشة رأي لوفيبر)

يذهب الأستاذ «لوفيبر»[1] في قضية العلاقة بين المصرية واللغات المجاورة إلى أن اللغة المصرية تنتمي إلى ما يسميه (عائلة اللغات الحامية - السامية) التي تنقسم عنده إلى أربع مجموعات :

(1) **المجموعة السامية** (الأشورية - البابلية ، أو الأكادية ، الفينيقية[2]، العبرية ، الآرامية ، العربية والعربية الجنوبية ،[3] والأثيوبية) .

(2) **المجموعة الليبية - البربرية** (libyco – berbère) . لهجات شعوب قديمة وحديثة تعيش غرب مصر على شواطىء البحر المتوسط أو في الصحراء .

(3) **المجموعة الكوشية** (وتشمل : البجاة والبشارة ، وكذلك لغات الحبشة غير السامية ؛ الصومالية ، لهجة عيسى وعفار . . إلخ) .

(4) **وأخيراً** : المصرية .

ويضيف «لوفيبر» أن اللغات التي تشكل المجموعات الثلاث الأخيرة ، وهي التي يدعوها «لبسيوس» Lepsius (اللغات الحامية) قد تعتبر في جملتها نتاجاً لتداخل كلام الأفارقة البدائيين ، سكان البلاد الأصليين ، و(السامية) الأولى التي دخلت شمال وشمال شرق أفريقيا عند نهاية فترة طويلة من الزمان سبقت العصور التاريخية ، **عن طريق غزاة ربما قدموا من شبه الجزيرة العربية** . ومن هنا فإن اللغة المصرية تحمل طبقة لغوية تحتية substrata أفريقية (ليبية بالأحرى) تسربت إليها وحوَّرتها تأثيرات (سامية) قوية . فالأولى أن يقال إن اللغة المصرية في جملتها لغة أفريقية سُمِّيت (semitisée) من أن يقال إنها لغة (سامية) حُرِّفت (deformée) .

---

(1) G. Lefebvre ; Grammaire de l'Egyptien Classique, 2ème edition, le Caire 1945, pp. 1-5.

(2) أي الكنعانية . وكلمة «الفينيقية» ناتجة عن تحريف يوناني لـ«بني كنعان» تماماً كما أن «البونيقية» punic/punique (التي تعرَّب أحياناً : البونية !) وهي لهجة (قرطاج) وما جاورها في شمال أفريقيا ناتجة عن تحريف لاتيني لـ «بنى كنعانية» كذلك . (قارن : محمد عطيه الأبراشي ؛ **الآداب السامية**، ص 38) .

(3) يقصد بـ«العربية» لهجات شمال الجزيرة ، وبـ«العربية الجنوبية» لهجات اليمن القديمة وفروعها من معينية وقتبانية وسبئية . . . إلخ .

هذا الرأي الذي يقول به الأستاذ «لوفيبر» هو نفس مذهب الأستاذ «بدج» - وقد بيناه ورددناه خاصة فيما يتعلق بالكلمات (البدائية) primitive الأفريقية وكيف أنها هي ذاتها في العروبية عموماً والعربية بوجه خاص. ومع اعتراف الأستاذ «لوفيبر» بأن الطبقة التحتية (الأفريقية) هي طبقة ليبية Lybique فهو يخلص إلى أن **المصرية لغة أفريقية تأثرت بالسامية وليست لغة (سامية) دخلتها تأثيرات أفريقية**. وما دفعه إلى هذا القول ظنه، وبعض الباحثين الغربيين الآخرين، أن «الليبية» - قديمها وحديثها المتمثل في ما يسمى (البربرية) بمختلف لهجاتها - لا تنتمي إلى (السامية). والبحث الدقيق في النصوص الليبية على النقائش التي عثر عليها متناثرة على طول شمال أفريقيا، وبعضها يرجع إلى القرن الثالث قبل الميلاد، وكذلك الدراسة المتأنية للهجات شمال أفريقيا المعاصرة، يثبتان أن القديم والحديث من هذه اللغة عروبي الأرومة. وبذا فإن تأثر المصرية بالليبية - كما ذكر «بيتس» - في بداياتها تأثر عروبي (أو هو تداخل) وليس أفريقيا بمعنى خاص.

بعد هذا يمضي «لوفيبر» في عقد مقارنات مهمة: **الأولى** في بيان علاقة اللغة المصرية من جهة واللغات (السامية) و(الليبية - البربرية) والكوشية من جهة أخرى. وهي تتلخص في النقاط المشتركة التالية:

(1) من الناحية الصوتية: سيادة الصوامت (Consonants) على الصوائت (Vowels). وكثرة الحروف الحلقية (العين، الحاء، الخاء.. إلخ).

(2) أهمية الجذور (الصوامت الأساسية) في الأسماء والأفعال المشتقة.

(3) تقابل الترسيسات اللغوية على وجه الجملة بين المصرية و(السامية) و(البربرية) أو الكوشية. مثال:

المصرية: «م (و) ت» m (w) t (السامية): «موت» (البربرية): «إمّت» emmet.

المصرية: «ذ ب ع» d b ᶜ (السامية): «ء ص ب ع». البجاوية: «جيبا» gība.

(نسي أن يضع العربية: مَوْتٌ، صبع/إصبع/أصبع!).

(4) في الأسماء: علامة التأنيث التاء (ت - ا ت) وعلامة الجمع الواو.

(5) في الضمائر اللاحقة (أي المتصلة، أو الاسنادية): خاصة في المذكر المفرد المخاطب (... ك) والمفرد المتكلم (... ى) والجمع المتكلم (... ن).

(6) في الضمائر المنفصلة: رغم تعقدها تمكن ملاحظة التطابق الموجود في ضمير المتكلم المفرد. المصرية: «إ ن ك» i n k. القبطية: «أَنُكْ». العبرية: «أنوكى» anōki. (الأكادية: «أناكو» anaku). البربرية: «إنك» ink.

(7) في الفعل: يميز المخاطب المفرد بالتاء (سابقةً أو لاحقةً أو الاثنين معاً).

العربية: (أنتِ تكتب). كَتَبْتَ. البربرية: «تْرُورْتْ» trurt [4]. البجاوية: «تفديقا»

(4) عند «مرسير» (Mercier ; Vocabulaire et texts berbére, p. 415):
Tararit un urar: refrain (رجع، ارتد). وعند «داليه» (Dict. Kabyle-Fr, p. 696):
tarurit: pose, remise, restitution, retour (توقف، رد، إرجاع، إعادة). وجذرها الثنائي «تر» tr. (قارن العربية: «تروّى»، «تريث» = توقف، تردد). والجذر الأصلي (ر). قارن العربية: «ورا» > وراء = خلف، رجوع.

tefdigā [5] (= تَرَكْتَ). المصرية : «س دِ م ت (ى)» sd m t (y) [6] (= سَمِعْتَ).

(8) صياغة الأفعال للمبالغة بمضاعفة الصامت الأصلي الثاني.

العبرية : «قتل» Kétal ، «قِتِّل» Kittel . (= قَتَلَ، قَتَّلَ).

البربرية : «إِلْمَدْ»[7] elmed (دَرَسَ).

عيسى وعفار : «بَرَرْ» barar (طَارَ)، «بَرَّرَ» barrar [8] (حَوَّمَ).

(9) تحوير ظاهري في الجذر بوساطة إحدى السوابق :

أ ـ إما لصياغة الفعل السببي (المتعدِّي) وتكون السابقة هي «السين» (المصرية القديمة ś في المصرية والبربرية والكوشية ومتنوعة في اللغات (السامية) المختلفة (س، ش، هـ . .)

في المصرية : «ع ن خ» ^{c}nḫ (حَيِيَ).

«س ع ن خ» s^{c}nḫ (أحيا).

البجاوية : «نفر» nefir (طَيِّبٌ).

«سْنَفِرْ» snafer (طَيَّبَ)[9].

البربرية : «دودو» dudu (رجف، ارتعش).

«سدودو» sdudu (أرجف، أرعشَ)[10].

ب ـ أو بإسباق النون في المصرية وبقية اللغات لصياغة الفعل الذاتي[11].

المصرية : «ك أ ى» k3i (عَقَلَ)[12].

---

(5) (fdg) = (wdā) بتعاقب الواو والفاء وهما صوتان شفويان من مخرج صوت واحد، وكذلك حرف (g) والعين إذ يعسر نطق العين عند البجاة كما أنهما حرفان حلقيان يتبادلان. قارن العربية : «ود ع» < «ودَّ ع» = تَرَكَ. «مَاوَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى» (قرآن كريم) أي : ما تركك.

(6) d = ع . sdm «س ع م» مقلوب «سمع».

(7) العربية : لَمَذَ/لَمَذَ < تلميذ، تلمذ، تتلمذ. وقد زعم بعض الباحثين أنها مأخوذة عن العبرية. ونحن نرى أن «لمد» مقلوب «ملد» = لين، طري، طفل. وهو شأن المتعلم الصغير.

(8) الباء تعاقبت مع الفاء في العربية : «فرَّ/فَرْفَرَ». قارن المقلوب : «رَفَّ/رَفْرَفَ».

(9) راجع مادة «ن ف ر» في هذه الدراسة. وانظر الحديث عن «التعدية» فيما يلي من (قواعد المصرية).

(10) عربيتها : «د أ د أ» = المشي، الحركة، الاهتزاز، الارتعاش، الرجف.

(11) يماثل العربية «انفعل» (أنظر الحديث عن هذه النون في : قواعد اللغة المصرية ـ من هذه الدراسة). وهو ليس الفعل المبني للمجهول وإن قاربه.

(12) «العقل» هنا بمعنى الفهم (penser) والتعقل بمعنى التأمل والتفكر (reflicher). والمصرية حتى بهذا المعنى المتطور ترجع إلى ka بمعنى الرباط أو الوثاق (معجم «بدج»، ص 783) كما هو الحال بالنسبة للعربية «عقلٌ» < «عُقَالٌ»، وكما ترجع «منطق» إلى «نطاق» = رباط. في مادة «قوا» (= ka) في (اللسان).

«القوة : الخصلة الواحدة من قوى الحبل. . والجمع : قُوىَ وقِوىَ. وحبل قُو. . . يقال : أقويت حبلك، وهو حبل مُقَوًّى». (في اللهجة الليبية : «الكاو = الحبل الغليظ. أبدلت القاف كافاً).
=

«ن ك أ ي» nk3i (عَقِل) = انعقل .

البربرية : «إربن» erben (وسِخ)[13]

«نربن» nerben (اتّسخ) .

العبرية : «قاتل» kātel (قَتَلَ) .

«نِقْتِل» nikṭel (قُتِل) = انقتل .

أما المقارنة **الثانية** فيعقدها «لوفيبر» عن التطابق بين المصرية واللغات الأخرى من العائلة اللغوية المذكورة «**مع استثناء السامية**» كما يقول (ص 3 من المصدر نفسه) . وهي تتلخص في ما يلي :

(1) الأعداد الوفيرة، على وجه اليقين، من الأصول اللفظية المشتركة بين المصرية واللهجات (البربرية) خاصة في اللهجة التارقية، والتطابق الملحوظ في أنماط جذور الأفعال المختلفة . مثال :

المصرية : gmi (وَجَدَ) . التارقية : egmi[14] .

المصرية : srķ (استنشق) التارقية : esreg[15] .

(2) الأصول اللغوية المشتركة بين المصرية واللغات الكوشية، ولا سيما البجاوية . مثال :

المصرية : «ن ف ر» nfr (طيب، جميل) .

البجاوية : «نفـر» nefir

المصرية : «إ إ» i i ، «إ و» i w[16] (قَدِمَ، أَتى» .

البجاوية : «إ إ» i i .

(3) صياغة الأفعال في صيغة المبالغة بـ :

أ ـ مضاعفة الجذر كله . مثال :

= «والقُوَى : العقل . وأنشد ثعلب :

وصاحبينِ حازمٍ قواهما

نبهت والرقاد قد علاهما

إلى أمونيـن فعدَّيـاهمـا» .

(13) لم أعثر في ما بين يدي من معاجم لهجات شمال أفريقيا على الجذر (rbn) بمعنى الوسخ والدنس (salir). وقد يكون الأستاذ «لوفيبر» كتب الراء مقابلة للغين (والراء تنطق في فرنسية باريس التي عمت فرنسا الآن غيناً) فهي إذن «إ غ ب ن» وليس «إ ر ب ن» . أقرب جذر عربي إليها هو «غَبَنَ» وفيه من معاني النقص ما يقارب الدنس .

(14) أنظر هامش (18) في ما يلي (من الصفحة التالية) . وقارن تطور دلالة الانكليزية (fetch) = فتّش < أحضر .

(15) في (معجم بدج، ص 681) : «س ر ق» serq = يفتح [القصبة الهوائية]، يتنفس، ينشق، يوسع الرئتين، ينتعش . وهذه المعاني تؤديها مادة «شَرَقَ»العربية : شَرَقَ = شقَّ، فتح . «شَرَقَ = غص بالماء ونحوه (أي دخل الماء القصبة الهوائية = تنفسه شهيقا، استنشق) .

شَرَقَ = أشرق (انتعش)

(16) العربية : «أوي» < أَوَى/آوى، يأوي = جاء، أتى، قدم .

المصرية : «ن دٍ» nḏ (سَأل)، «ن دِ ن دِ» nḏ nḏ [17] (انتصح ، أخذ بالمشورة) .

البربرية : gemi (بَحَث ـ chercher) .

gemigemi (القيام بالبحث ـ faire de chercher) [18] .

البجاوية : hirer (مشى) .

hirerhirer (مشى مسرعاً) [19] .

ب ـ مضاعفة الحرفين الأخيرين من الجذر الثلاثي . مثال :

المصرية : «ح أ ج» ḥ a g (فرح) .

«ح أ ج ح أ ج» ḥ a gḥ a g (فرح شديد ، جذل) [20] .

البربرية : kusem (مملّح) .

kusemkusem : (ملح جدًّا ، أجاج) [21] .

4 ـ وجود الاضافة المنفصلة (غير المباشرة genetif indirect) بوساطة النون ، وهي في (البربرية) ضمير إشاري ، كما هو الحال في بعض اللهجات (السامية) [22] .

أما المقارنة الثالثة فيخصصها للعلاقة بين المصرية واللغات (السامية) ، وهي لا تتعدى عنده ثلاث نقاط :

---

(17) قارن العربية في مادة «ندى» : (نَدَى = دعا، سأل. أناديك : أشاورك. الندي ، النادي ، المُنْتَدَى : دار الجماعة يجلسون فيها للتشاور، ومن ذلك «دار الندوة» المعروفة في مكة . وفي تعبيرنا الحديث : **الندوة** : اللقاء للتباحث في أمر والتشاور حوله) .

(18) في المصرية كذلك gmi = بحث، نقب، فتش. gm gm = جدَّ في البحث (معجم بدج، ص 807). ويقرن «غاردنر» (Eg. Gr. p. 470) بين gmi و gmḥ (ج م ح) = (أنظر (look at) . وهذه مقلوب «ج ح م» . قارن القلب في العربية : «حجم»⟵ **أجحم** عن الشيء= كفَّ، **كأحجم**) . وفي «معجم بدج» (ص 808) يفيد الجذر gmḥ في المصري : النظر، الاستكشاف، الرؤية وما يتعلق بالعين من أفعال . في مادة «**جحم**» العربية في (اللسان) :

«الجحمة : العين. . . والتجحيم : الاستثبات في النظر. . . وجحمني بعينه : أحدَّ إلي النظر» .

وعلى كل حال فإن من معاني المصرية gmi إلى جانب (وَجَدَ، بحث) : جَلَبَ، أحضر، لَقَطَ. وهنا نقارنها بالعربية «**جَمَعَ**» و«**جمأ**» ، ودلالتهما متقاربة .

(19) قارن العربية : «**هرع**»، «**أهرع**» . وكذلك «**هرول**» = مشى مسرعاً .

(20) «ح أ ج) عن طريق القلب : «ح ج أ». قارن العربية : «**حَجَأ**» : فرح. حجىء بالأمر : فرح به. وحجأت به : فرحت به» (اللسان) .

(21) يورد «داليه» (Dallet ; Dict. Kabyle – Français, p. 427) هذه الكلمة في الجذر (ksmy) ومنه : -Kesemsem, kkesmu mi بمعنى : «حدوث ردِّ فعلٍ ، أو إشارة يثيرها طعم شيء لاذع أو حامض» . ويجعلها مشتقة من ismum (من الجذر sm) ويحيل القارىء إلى مادة Kresmumi في الجذر (krsmy). ومعناها لديه ما ترجمته عن الفرنسية : تقطيب الوجه (التكشير) أو القشعريرة عند أكل شيء لاذع أو مرٍّ. ويعيدها هي الأخرى إلى مادة ismum (جذرها sm) التي نجدها (في ص 776) ومشتقاتها (ومنها Kesmumi) تفيد معنى الحموضة والمزازة والحدة والمرارة واللذع . وهذه تنطبق على «**الملح**» والماء «**الأجاج**»، ولكنها تنطبق أيضاً على العربية «سم» المعروفة. (أنظر : مادة «سمم» في اللسان) .

(22) راجع هذه النقطة في مبحث «قواعد اللغة المصرية» من هذا البحث .

(1) هذه العلاقة تبدو في ما يتصل بالمفردات التي تمثل تقريباً ثلاثمائة أثل مشترك بين المجموعتين[23]، وضمن الجذور المشتركة نميز في عدد وافر منها جذوراً ثلاثية، وهذه الظاهرة الثلاثية تلاحظ أيضاً في الكوشية والليبية ـ البربرية (أمثلة منها في ما تقدم).

(2) توجد في المصرية، كما في (الساميات)، صياغة الصفة بما يسمى «النسبة» بإضافة الياء في نهاية الأسماء أو الأدوات (الحروف)، وهي تلقائية في الأسماء.

(3) توجد في المصرية صياغة الفعل باللواحق، تشبه في الجملة ـ إن لم يكن في التفصيل ـ الماضي التام (perfait) في اللغات (السامية) ربما تقارب الماضي المستمر (permansif) في الأكادية، وتقارب في قسم منها نوعاً من النعتي qualitatif الذي يقابلنا في (البربرية) في بعض الأفعال المشيرة إلى ظرف أو نعت أو حال.

* * *

هذه خلاصة ما يعرضه الأستاذ «لوفيبر» في كتابه المذكور. وقد بينا عروبية، بل عربية، المفردات التي استشهد بها في الهوامش بما فيه الكفاية، وكثير منها، وغيرها، مبثوث ضمن هذه الدراسة. أما تفصيل موازناته اللغوية والنحوية فيجده القارىء في الباب الخاص بقواعد اللغة المصرية وصلتها بالعربية بكثير من الاسهاب.

يبقى هناك بعض الملاحظات :

(1) ما يتعلق بمقارنته المصرية بما يدعوه اتباعاً لـ «لبسيوس» : (اللغات الحامية)، أي المجموعة (الليبية ـ البربرية) والمجموعة (الكوشية). وواضح أن هاتين المجموعتين على صلة وثيقة بالعربية، أو على الأقل بالعروبية الأولى. وقد ذكر «لوفيبر» نفسه أن لغات هاتين المجموعتين تكونت عن طريق هجرات «**ربما قدمت من شبه الجزيرة العربية**» إلى شمال أفريقيا وشمالها الشرقي. وطبيعي أن تكون اللغة المصرية في قلب المسألة، سواء جعلناها ضمن (المجموعة الحامية) كما يسميها «لبسيوس» أو حيَّدناها منفصلة بذاتها كما فعل «لوفيبر».

(2) حول ما يسمى المجموعة (السامية ـ الحامية) التي تضم المجموعات المذكورة من قبل، وهو ما يراه «لوفيبر». وكان ذلك اعترافاً، وإن جاء متأخراً، بتطابق ما أسموه المجموعتين «الحامية» (وتشمل الليبية ـ البربرية والكوشية) و«السامية» (وتشمل البابلية بأقسامها والكنعانية والأرامية بفروعها والعربية، شمالها وجنوبها، والحبشية). وهي عندنا : **العروبية**.

---

(23) هذا ما تقوله أيضاً السيدة «واترسون» (Watterson ; Introducing Eg. Hieroglyphs, p. 44). وعندنا أن عدد الجذور المشتركة بين المصرية واللغات (الحامية) أكثر من مائة جذر، وبينها واللغات (السامية) أكثر من ثلاثمائة جذر. والحقيقة أن هذه الجذور المشتركة بين العروبية (السامية، عندهم) والمصرية تعد بالآلاف وليس بالمئات. وأرجو أن يخرج (المعجم المصري ـ العربي المقارن) إلى حيِّز الوجود قريباً لبيان هذه الحقيقة الجلية. ولعل القارىء واجد شيئاً من هذا في ملاحق هذا البحث الذي بين يديه الآن.

(3) ما يخص المفردات التي تخيرها «لوفيبر» لمقارناته مع المصرية. إذ نلاحظ أن الأستاذ لم يشر **إلى العربية في كل هذه المقارنات، صرفاً ونحواً ومفردات، سوى مرة واحدة في ذكر العربية** (أنت: تكتبُ، كتبتَ) ضمن اللغات الأخرى (!!)

وهـذه المـلاحـظة تكشف عن منحى كثير من المستشرقين ورغبتهم في **فصل المصرية عن العربية**، وإن قاربوها بلغة البجاة والتوارق وقبائل «النيام نيام».. كما فعل الأستاذ «بدج» من قبل!

بعد هذا يخصص الأستاذ «لوفيبر» كلمة قصيرة لما يراه خاصاً **بالمصرية وحدها**.. فيقول:

«على الرغم من القرابات الثابتة فعلاً بين المصرية واللغات ذات النسب بها، **فإن الجزء الأكبر منهـا مكـوَّن من عنـاصر أصليـة (محليَّة)**». ويضرب لهذا مثـلاً اسم «النيل» **«ح ع پ ر» أو «ح ع پ ي»** ويقرر: **«وواضح أنه مصري على وجه التعيين»**. أما لماذا هو «مصري» خالص، محلي، أصلي، غير وارد من لغة أخرى، فلا يبينه الأستاذ. فلنبين نحن وجه الحق في الأمر إذن:

في مادة «ح أ پ ي» من هذه الـدراسة فصلنا القول في تسمية نهر النيل هذه، وكيف أن الكلمة تكافىء العربية **«حفي»**. ونضيف هنا أن العين في المصرية **«ح ع پ ي»** كما يوردها «لوفيبر» زائدة لا محالة؛ إذ من غير المتوقع أن ينطق حرفان حلقيان متتاليان. والدليل أنها تأتي **«ح پ ي»** ḥ p y في مواطن أخرى (معجم بدج، ص 477) وعند «غاردنر» «ح پ» ḥ p (Eg. Gr., p. 619).

الجذر الأصلي لهذه الكلمة التي أطلقت على نهر النيل تعني أساساً: الفيضان، الماء الغزير. وهو جذر ثنائي «ح پ» ḥ p (والباء المهموسة (P) تقابل الفاء في العربية **«حف»**). قارن العربية: **«حفي»** =كثير. فإذا ثلث الجذر بالنون إلى **«حفن»** وجدنا المعنى: ماء غزير متجمع. وكذلك إذا ثلث بالـلام «حفـل». فإذا ثلث بالـراء أدى إلى **«حفـر»**، وهذا ما يقابل اسم النيل في المصرية «ح پ ر» ḥ p r. ولنقتطف من (اللسان) هنا بعض ما جاء في مادة «حَفَرَ»:

«**استحفر** النهر: حان له أن يحفر (أي يعمق ليمضي في مجراه)... وهذا غيث **لا يحفره** أحد أي لا يعلم أحد أين أقصاه[24]... قال الأزهري: **والأحفار المعروفة في بلاد العرب ثلاثة**: حَفَرَ أبي موسى، وهي ركايا احتفرها أبو موسى الأشعري على جادة البصرة... ومنها حَفَرَ ضبة، وهي ركايا بناحية الشواجن بعيدة القعر عذبة الماء، ومنها حَفَرَ سعد بن زيد مناة بن تميم، وهي بحذاء القَرَمة وراء الدهناء يستقى منها بالسانية عند جبل من جبال الدهناء يقال له الحاضر».

والركايا ـ للعلم ـ هي مجموعة الآبار، أو مجتمع الماء، أو الأحواض وأن تعينَّ الأحفار (جمع حَفَر، بفتح الفاء) بثلاثة يعنى أن «الحفر» تطلق على ما كثر ماؤه وغزر فيصبح مورداً وعَلَماً، وليس مجرد بئر محفورة، فإن الآبار العادية لا تعد ولا تحصى. وهذا هو بالضبط ما كان من أمر «ح پ ر» أي نهر النيل، الذي يمكن اعتباره رابع الأحفار المعروفة أو أولها. ولا يهم القول بأن الأحفار سميت كذلك لأنها آبار حفرت، فما النيل إلا ماء تدفق فحفر مجراه المعروف.

(24) نفس الشيء كان بالنسبة لنهر النيل الذي لم يكن أحد يعرف منبعه حتى بداية عصر الاستكشاف.

فمن أين، بعد هذا، للأستاذ «لوفيبر» أن يقول بأن تسمية النيل «ح پ ر» في المصرية كانت أصلية، محلية، خالصة ؟

هذه هي «الميزة» الأولى التي رأى أن المصرية تميزت بها. أما «الخصيصة» الثانية التي تفردت بها عن غيرها من اللغات، حسب رأيه، فهي تصريفها الخاص ؛ إذ هي «لا تملك الصياغة الفعلية بالسوابق ولا تماثل الماضي الناقص imparfait (السامي) أو الصيغ المشابهة في البربرية والكوشية» - كما يقول. بل على العكس هي تقدم اللواحق، وهو نظام غير معروف في المجموعات الأخرى من اللغات (الحامية - السامية). وذلك بإضافة لواحق الضمائر بتنوعات كثيرة. . مما يبين بجلاء عن أصل أفريقي.

ولعل «لوفيبر» يقصد تصريف الفعل في حالة المضارع ؛ إذ يوضع الضمير المناسب في العربية أول الفعل : [أسمع (أنا). نسمع (نحن). تسمع (أنت). تسمعين (أنتِ). تسمعانِ (أنتما). تسمعون (أنتم). تسمعن (أنتن). يسمع (هو). تسمع (هي). يسمعان/تسمعان (هما). يسمعون (هم). يسمعن (هن)]. وفي المصرية يوضع آخر الفعل المضارع : [«س دِ م. ي = س دِ م إ» (أنا أسمع). «س دِ م. ك» (أنتَ تسمع). «س دِ م. ت» (أنتِ تسمعين). «س دِ م. ف» (هو يسمع). «س دِ م. س» (هي تسمع). «س دِ م. ن» (نحن نسمع). «س دِ م ت ن» (أنتم/أنتن، تسمعون/تسمعن). «س دِ م. س ن» (هم، هن، يسمعون/يسمعن)][25].

فهذه الضمائر، كما يلوح لأول وهلة، لواحق في الفعل المضارع في المصرية بينما هي في العربية سوابق. وهذا غير مطرد ؛ إذ نلاحظ أن العربية تستعمل اللواحق في : المخاطب المثنى، والغائب المثنى، والجمع كذلك. هذا في المضارع أما في الفعل الماضي فكل الضمائر لواحق.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نشير إلى التطور اللغوي، ونذكر أن «ال» التعريف في العربية مثلاً، وهي التي تسبق الآن المعرف كانت في الأصل «ن» اللاحقة، مع ما جرى عليها من تطورات[26]. هذا التطور طرأ على المصرية ذاتها[27]، مما لا يمس الأصول المشتركة الأولى على أية حال. ونظرة واحدة مقارنة بين التصريف المصري والتصريف العربي يظهر التماثل في النشأة، وأحيانا في التطور، سواء في مسألة السوابق واللواحق - وهي عادة مجموعة الضمائر التي شرحناها في موطنها - أو في صياغة الأفعال حسب الزمن.

هاتان هما النقطتان الوحيدتان اللتان ذهب الأستاذ «لوفيبر» إلى (تميز) المصرية وتفردها بهما عن بقية اللغات المحيطة بها، وخاصة اللغات العروبية، وقد أبنا وجه الحق فيهما.

فهل يقال بعد هذا إن اللغة المصرية لغة مستقلة، أو حتى افريقية، غير عروبية ؟!

---

(25) Watterson ; Introducing Eg. Hier., pp. 97-98

(26) أنظر «أداة التعريف» في باب (قواعد اللغة المصرية) في هذه الدراسة.

(27) كما بينه الدكتور عبد المحسن بكير في كتابه (**قواعد اللغة المصرية في عهدها الذهبي**).

إضافات

(1)

تسنّى لي، حين شُرع في الطبع، أن أطلع على مؤلَّفين لعالمين عربيين، أحدهما من دمشق والآخر من القاهرة.

كان الأول بعنوان: (**الهجرات العربية القديمة من شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين والشام إلى مصر**) للدكتور محمود عبد الحميد أحمد، مدرس تاريخ الشرق القديم بكلية آداب جامعة دمشق (دار طلاس، دمشق 1989م). وهو عمل جادٌّ مشكور مدعم بالمراجع والمصادر، وإن اقتصر على مطابقة عنوانه.. لا يزيد. وأما الثاني فهو بعنوان: (**حضارة مصر القديمة وآثارها**) للدكتور عبد العزيز صالح، عميد كلية الآثار سابقاً (القاهرة 1980) ـ الجزء الأول من جهد مركز وتتبع متأنٍّ صبور بنظرة العالم المدققة.

وما يهمنا في الكتاب الأول الفصل الرابع الذي عقده الباحث عن «الأثر الذي تركته العناصر البشرية ذات الأصول العربية في حضارة مصر القديمة» (ص 255 ـ 280) ويتحدث عن «**الأثر اللغوي**» بدءاً من صفحة 263 فيقول ما نصه:

«وفيما يتعلق بالظواهر اللغوية العربية التي وجدت في اللغة المصرية القديمة فإن بعض العلماء يعزون سبب وجودها إلى تمكن بعض العناصر ذات الأصول العربية من الوصول إلى مصر في عصور ما قبل الأسرات، وإلى استمرار وصول عناصر أخرى إلى مصر منذ مطلع العصور التاريخية، إما بشكل أسرى حرب أو أرقاء، أو تجار، أو جماعات مهاجرة، أو أفراد يعملون مع البعثات التعدينية والمصرية في سيناء. وكان تأثير هذه العناصر البشرية في اللغة المصرية كبيراً لدرجة أصبح معها للصيغة اللغوية العربية وجود بارز في اللغة المصرية القديمة أكثر من أية ظاهرة لغوية أجنبية سواء في نحو اللغة أو مفرداتها».

هذا الرأي منقول عن «غاردنر». ولا يعقل، طبعاً، أن يؤثر أسرى الحرب والأرقاء والتجار وبضعة جماعات مهاجرة أو أفراد يعملون مع البعثات التعدينية المصرية في سيناء، هذا الأثر الكبير. **المعقول أن يكون أساس الوجود المصري ذاته عربيًّا، وليست العربية لغة طارئة مؤثرة.**
ثم نقرأ:

«**وفيما يلي يقدم الباحث أهم الخصائص اللغوية المشتركة بين اللغة المصرية القديمة ومجموعة اللغات العربية القديمة بشكل عام**».

ويلي ذلك ثمانية أسطر (!!) عن هذه «**الخصائص المشتركة**» (ص 263 ـ 264).

ويضيف:

«كما اشتركت اللغة المصرية القديمة مع أخواتها العربيات باستخدام (يقصد: في استخدام) مجموعة من المفردات المتشابهة. وأقدِّم نماذج من هذه المفردات المتشابهة فيما يلي».

والذي يلي 88 مفردةً مقارنة مأخوذة عن أحمد بدوي، وغاردنر، وعبد العزيز صالح. ثم يختم:

«ولكن على الرغم من وجود تشابه في قواعد نحو وصرف اللغة المصرية القديمة مع قواعد نحو وصرف أخواتها العربيات، ووجود كثير من المفردات العربية في اللغة المصرية القديمة، نتيجة لتسرب العناصر البشرية [العربية] إلى مصر، منذ عصور ما قبل الأسرات وحتى نهاية الدولة الوسطى، **فإن ذلك لم يؤد إلى ضياع شخصية مصر اللغوية واللفظية**» (ص 275).

هذا القول مأخوذ بحذافيره من كتاب الدكتور عبد العزيز صالح المذكور، إذ يقول بعد مقارنات بين المصرية والعربية والليبية والبجاوية وغيرها من اللغات التي تسمى (السامية/الحامية):

«**ومرة أخرى، لم يؤد التقارب بين اللغة المصرية وبين جاراتها في الشرق والغرب والجنوب إلى ضياع شخصيتها إطلاقاً**، ولم تكن المفردات التي أسلفناها غير قلة قليلة من كثرة كثيرة من مفردات **ابتدعها المصريون** بوحي بيئتهم وبما يناسب مطالب حضارتهم ويتفق مع أذواقهم وتخيلاتهم. فهم وإن شاركوا إخوانهم الساميين في التعبير عن العين بلفظ (عين) على سبيل المثال، إلا أنهم **ابتدعوا** للعين ستة أسماء أخرى فضلاً عن عدد من الصفات، وإذا شاركوهم في التعبير عن الأذن بكلمة (إدن) إلا أنهم **ابتدعوا** لها خمسة أسماء سواها **لم يشاركهم فيها جيرانهم**. وإذا شاركوهم في التعبير عن الطفولة بلفظ (طفن) إلا أنهم عبروا عنها من ناحيتهم بما لا يقل عن عشرين لفظة أخرى. وظل هذا شأنهم في التعبير عن كل ما أحاط بهم وعاشوا فيه ووصفوه، فعبروا عن السماء بنحو أربعين صفة، وعبروا عن العرش بنحو ثمانية عشر اسماً وصفة، وعبروا عن حركات المشي في الذهاب والاياب بنحو أربعين فعلاً، وعبروا عن حالات الفرح والاستمتاع بنحو أربعين فعلاً أيضاً، وهلم جرًا[28]». (ص 26).

والحق أن حكم الدكتور صالح يبعث على الدهشة فعلاً، وسبب هذه الدهشة أنه أكد في مواطن كثيرة من كتابه وحدة الجنس البعيدة، ووحدة الثقافة، بين عرب مصر و«جيرانهم» ثم عاد لينقض ما أكد. وقد يكون مفهوماً أن تحتفظ مصر بشخصيتها المحلية، وكذلك يفعل أي قطر آخر، لكن هذا لا يؤدي إلى انفصال. أما ما يذكره عن الأسماء والصفات الكثيرة التي أطلقت على السماء، وحركات المشي، والعرش، وحالات الفرح والاستمتاع، فهو ذاته ما يعرف في العربية **بالمترادفات**، حتى لقد اشتهر عن العرب تسميتهم الأسد بمائة اسم، وكذلك السيف، والجمل، وغيرها، مما هو في الواقع صفاتٌ وليس أسماءً، أو صفاتٌ تحولت إلى أسماء. لكن كيف يثبت أن المصريين «**ابتدعوا**» هذه الصفات أو الأسماء؟! هذا ما لا سبيل إلى إثباته؛ فقد يكونون جاءوا بها من الغرب أو الشرق، أو وردت إليهم بعد استقرارهم، أو تطورت من أصول بعيدة.

(28) هذا التعبير العربي «هلم جرًّا» مركَّبٌ من «هلم» بمعنى: تعال، أقبل، وهي بدورها مركبة من (هاء التنبيه + لُمّ) ولكنها استعملت استعمال الكلمة المفردة البسيطة + «جرًّا» وتقابلها في المصرية «ج ر و» g r w التي ترد في صور: g r, i g r, g r t, i g r t - يقول عنها «غاردنر» (ص 155 و 188) إنها قد تفيد في الأنكليزية: moreover, also, further, any more - وهذا ما تفيده العربية «هلم جرًّا»، ولاحظ أن «هلم» سابقة مضافة على «جرًّا» ذات الصلة بالمصرية «g r».

وإذا كان الدكتور عبد العزيز صالح ذكر أن المصريين شاركوا إخوانهم (الساميين) في كلمة «عـين» و«أذن» و«طفـل» فهو لم يذكر الصفات الست الأخرى للعين والخمس للأذن والعشرين للطفل التي **تفرد** بها المصريون. وهنا يأتي دور الدكتور محمود عبد الحميد أحمد الذي قدم الصفات أو الأسماء التي «لم يشارك الساميون إخوانهم المصريين» فيها، «**وكلها مقصورة على اللغة المصرية القديمة**». (ص 276).

فلننظر في ما قدم، ولنقدم نحن المكافىء العربي الذي لم يُشِرْ هو إليه:

1. المصرية: «**ع ن**» = العربية: «**عين**»
المصرية: «**إ ر ت**» irt = العربية: **رأى** < **رائية**.
المصرية: «**و ن م ت**» wnmt (بمعنى: العين اليمنى) = العربية: **يمنة**.
المصرية: «**و ض أ ت**» wḏɜt (بمعنى: العين الصحيحة) = العربية: **وضأ** < **وضيئة**.

2. المصرية: «**إدن**» idn = العربية: «**أُذن**».
المصرية: msḏr (بمعنى: أُذن) = العربية: «**مسمع**»، «**سَمْع**». الراء في msḏr زائدة، و msḏ مقلوب smḏ = سمع (ḏ = ع).
المصرية: «**ع ن خ و ى**» ᶜnḫwy (بمعنى: أُذنان).
لاحظ أن wy ـ للتثنية في المصرية والأصل هو ᶜnḫ = أُذن.
في مادة «**عنذ**» العربية: العانذة أصل الذقن **والأذن**.
وفي مادة «**عنش**»: عنش الناقة إذا جذبها إليه بالزمام، كعنجها[29].
وفي مادة «**عنج**»: العناج حبل أو سير يُشَدُّ به الدلو من أسفل (= **أذن الدلو**).

3. المصرية: «**ت ف ن**» tfn = العربية: «**طِفْل**».
المصرية: «**خ ر د**» ḫrd = العربية: «**خرد**». الخريدة: العذراء، البكر = الطفلة.
المصرية: «**م س**» ms = العربية: «**مشا**»، «**مسا**»: ولد.
المصرية: «**ش ر ي**» šry = العربية: «**صغير**». الأكادية «**شيرو**» šīru.
المصرية: «**ر ن پ ي**» rnpy. الياء في آخرها للنسبة. في العربية: مادتا «**رنب**» و«**رنف**» تفيدان النبت، تماماً كما تفيده مادة rnp المصرية، والتعبير عن الولد بالنبت معروف. (يقال في اللهجة الدارجة: اللي خلف **النبات** (= الولد) ما مات).
المصرية: sḏty. يترجمها «غاردنر» (Eg. Gr., p. 593) بمعنى: طفل، ربيب. وعند «فولكنر» (المعجم، ص 261) ترد في صورتي sdty, sḏty ويترجمها: طفل، ربيب الملك. وعند «غاردنر» أن sdty لقب **غير معروف المعنى** (ص 593).
ويبدو لنا أن الياء في آخر الكلمة للنسبة (قارن: šry, rnpy) والتاء للتأنيث، والأصل هو sḏ أو sd، وهو ما يؤدي إلى:

---

(29) قارن ما في اللهجة: «شدّه من ودنه» أي جذبه.

أ. sd(1) : كسر. مؤنثها s d t والنسبة إليها s d t y . عربيتها : «شظ» < شظي < شظية. أو الثنائي «شذ» < شذذ، شذر، شذب = قطع/كسر.
والمعنى البعيد هنا «القطعة» = الولد/الطفل - كما يعبر في العربية عن الولد بأنه «**بضعة**» (= قطعة) من أبيه، أو هو «**فلذة**» (= قطعة) كبده.

ب. sd : ذيل. وباعتبار s d t y تعني : الربيب، ربيب الملك، فهو «**تابع**» له أو «**ملحق**» به، أي «**ذيل**» له، أو «ذيلي» على النسبة. المصرية s d هنا تقابل العربية : «سادٌّ»/«**سد**» < «سدد» < «سداد»/سَدَّةٌ، «سادَّة» - مؤنثة. ويرجح هذا المذهب اشتقاق s d t y (اللقب غير المعروف المعنى عند «غاردنر») من s d بمعنى «ذيل» (ص 465). فالربيب هنا يقوم مقام (= **يسدُّ**) الابن من ناحية، كما أنه ملحق بالملك (**سادٌّ**) من ناحية أخرى. ويؤكده أن s d t y/s d t y لا تعني الطفل مجرداً، أي طفل، بل تعني **الربيب**، أو ربيب الملك تحديداً.
أما مقابلتنا المصرية s d بالعربية «سدّ» فيدعمها أن في المصرية : s d(3) بمعنى «ختم» وهي ذاتها العربية «سد»، ومنها s d ȝ w t, s d ȝ y t = ختم، وكذلك s d ȝ w t y = كنز (ختم = سد) بالتأنيث والنسبة كما في s d t y .

جـ. التحليل الثالث أن يكون الجذر الأصلي في المصرية s d t y هو d t ، والسين في أوله سابقة للتعدية (أو السببية Causative) والياء في آخره للنسبة. وفي معجم «فولكنر» (ص 317) تترجم d t بأنها تعني : جسد شخص، صورة، صورة جسدية لآله، نفس. وهذه هي العربية «**ذات**» («ذت» بدون حركة). فإذا عرفنا أن «م س» m s في المصرية تعني «**ولد**» كما تعني «**صورة**» (باعتبار الولد صورة أبيه) أدركنا الصلة بين «**ذت**» بمعنى «صورة» والمشتق منها s-d t-y بمعنى : ولد، صبي، طفل، ربيب، ربيب الملك، فهو «الذتي» أو «الذاتي» أي الذي جاء من «ذات» الملك (قارن التعبير المصري الدارج : «**ابن ذوات**»، «**أولاد الذوات**» أي : الأرستقراطي، الطبقة العليا في المجتمع. و«**ذواتي**» = رفيع، من طبقة عليا).

ويمكننا هنا أن نزيد تسميات أخرى للطفل لعل الباحث لم ينتبه إليها :

1. «**ن خ ن**» n ḫ n «**ن خ ن و**» n ḫ n w (معجم فولكنر ص 138) : صبي، طفل، صغير، ووردت : «**ن خ ن ت**» n ḫ n t : طفولة (غاردنر، ص 575).
في العربية مادة «لخن» (بتعاقب النون الأولى في «ن خ ن» واللام) وفيها : «**الألخن** : الذي لم يختن» - وهو الطفل، إذ كان المصريون القدماء يختتنون، فعبروا عن الطفل الذي لم يختن بعد بـ«الألخن» = «ن خ ن».

2. «**ن ن ي**» n n y - (غاردنر Eg. Gr. p. 443) . ولا تزال في اللهجة المصرية المعاصرة : «**نونو**». والأصل البعيد في دلالتها الضعف، شأن الطفل الصغير. ومن ذلك في معجم اللغة المصرية : n n y : مُتْعَب، كالٌّ. w n w : تعب، خمود. n n y w : الخامدون = الموتى. (معجم فولكنر، ص 134).
عربيتها : «**وني** : . . . التواني والونا : ضعف البدن. . . والونا : الضعف والفتور (= الخمود) والكلال والاعياء». (اللسان).

وفي مادة «نأنأ» : النأنأة : العجز والضعف . وتنأنأ : ضعف واسترخى . والنَّأْنَأُ والنَّأناءُ : العاجز الضعيف .

3 . وفي المصرية كلمة «إ ن پ» i n p التي تترجم إلى : «ولي العهد» ، «الطفل الملكي» royal child ـ حسب «غاردنر» و«فولكنر» كليهما . والطفل الملكي ، أو ولي العهد Croun-prince هذا لا يكون إلا «سيداً» ، سيصبح «سيد السادات» حتماً حين يشب ويعتلي العرش . قارن هنا العربية «**أنف**» في (اللسان) وهي مادة غزيرة وفيها : «**الأنف** : السيد» .

4 . وفيها : w ḏ ḥ ، وتعني : الأمير الصغير السن يُرضع بلبن غير لبن أمه (غاردنر Eg. Gr., p. 443) . فالأصل في تسمية الأمير الطفل بهذا الاسم هو **اللبن** الذي يرضعه . مادة «**وضح**» العربية تفيد البياض والنقاء والصفاء ـ مما يناسب الأمراء الصغار ـ وفيها ورد :

«الوَضَحُ : اللبن . . . سمي بذلك لبياضه . ويقال : كثر **الوَضَح** عند بني فلان إذا كثرت ألبان نَعَمهم» . (اللسان) .

5 . كما يسمى الطفل في المصرية كذلك : «ح و ن» ḥ w n ـ كما تعني : صغير السن ـ وتؤنث «ح و ن ت» بمعنى : صبيَّة (غاردنر، ص 580 . فولكنر، ص 166) . عربيتها «**حول**» > **حولي**، **حولية** ، أي من مرَّ عليه حَوْلٌ (= سنة) من الأولاد ، فيقال : حالَ الغلام ، وأَحْوَلَ ، فهو مُحْوِلٌ . «وقيل : مُحْوِلٌ ؛ صغيرٌ من غير أن تُحدَّ بحولٍ» (اللسان) .

وهكذا نجد أنه بشيء من الدقة ، والتدقيق ، وبشيء من التحري والبحث والعودة إلى أصول الكلمات ونشأتها الأولى ومقارنتها بما في العربية ، يمكننا القول إن مصر شاركت جاراتها في الشرق والغرب لغتها ، وإن من الخطأ الحكم المتسرع بأن المصريين «**ابتدعوا**» مفردات «**لم يشاركهم فيها جيرانهم**» أو أن «**التقارب بين اللغة المصرية وبين جاراتها لم يؤد إلى ضياع شخصيتها إطلاقاً**» . ذلك لأن «**شخصية مصر**» كانت منذ البدء ، وإلى الأبد ، عروبية خالصة كريمة .

(2)

من المؤسف أن ينزلق بعض العلماء العرب إلى تبنِّي أفكار الفرنجة المضلِّلة ، أو المضلَّلة ، دون تمحيص ، حتى لنجد أستاذاً جليلاً كالدكتور عبد العزيز صالح ، يقول بعد أن عقد مقارنات ممتازة بين اللغة المصرية ولغات جيرانها بين فيها الصلات والوشائج :

«وانفردت اللغة المصرية من ناحيتها بخصائص وقواعد ميزتها عن لغات جيرانها ، وكان من ذلك على سبيل المثال أنها تضمنت بين حروفها المكتوبة حرف (پ) لم تتضمنه أبجدية جيرانها ، وتضمنت شكلين لحرف السين بينهما فارق تعبيري لا يكاد يحس ، ولم تشاركها هذه الظاهرة فيما أذكر غير حروف المسند القديمة التي تضمنت بدورها شكلين لحرف السين لا يختلفان كثيراً في نطقهما»[30] .

(30) حضارة مصر القديمة وآثارها ، الجزء الأول ، ص 30 . وهو ينقل هذا الرأي عن Driver في كتابه Semitic Writing . =

وهذا قول باطل من أساسه ؛ فإن البابلية ـ بلهجاتها الأكادية والأشورية، قديمها ومتوسطها وحديثها ـ مليئة نصوصها بالباء المهموسة «پ» ونظرة واحدة إلى بعض مراجعها تبين هذا الواقع، وكذلك الأمر في الكنعانية (نصوص رأش الشمرا ـ مثلاً). وينسى الأستاذ الجليل أن نصوص العربية (العدنانية) كتبت في مرحلة متأخرة سقطت فيها هذه الباء المهموسة وأبدلت فاءً أو باء مفردة ويظل المعنى قريباً لقرب مخرج الصوت (قارن : باءَ، فاءَ = رجع، عاد = المصرية «پ أ» pa).

أما مسألة وجود شكلين لحرف السين بفارق تعبيري لا يكاد يحس فإن وجود الشيء ذاته في حروف المسند اليمنية القديمة دليل على مرحلة تطورية مشتركة. ونضيف أن الأمر ذاته ملاحظ في الأبجدية الكنعانية (التي تسمّى : الأوغاريتية) كما بينه أنيس فريحة (ملاحم وأساطير من أوغاري) و«غوردن» (Gordon ; Ug. Handbook). إلى جانب أن العلماء اتفقوا على قراءة الرمز الهيروغليفي (𓋴) سيناً أما السين الثانية (𓊃) التي يشير إليها فقد قرأها بعضهم صاداً وقرأها آخرون زاياً، ولعلها أحد هذين الصوتين اللذين لم يدرجهما بعض العلماء الآخرين في «الأبجدية» المصرية.

ثم يدلِّل الدكتور صالح على هذا «التفرد» و«التميز» في اللغة المصرية بقوله :

« واحتفظت اللغة المصرية بتشبيهاتها البيانية التي خدمت وجود الحضارة الفكرية والمادية التي طرقنها دون جيرانها أو أكثر من جيرانها (!!) وعبرت من ناحيتها عن ضمير الغائب المنفصل فيها بلفظ «نتف» أو «انتف» وعبرت عن ضميره المتصل بحرف الفاء دون بقية أخواتها الساميات والحاميات».

وقد بيَّنا أمر ضمير الغائب المنفصل والمتصل في باب الحديث عن قواعد اللغة المصرية في الجزء الثالث من هذه الدراسة، فليعد القارىء إليه مشكوراً.

هذه هي الأسس التي انفردت عليها اللغة المصرية «بخصائص وقواعد ميزتها عن لغات جيراتها» : حرف الباء المهموسة «پ»، وصورتان لحرف السين، وضمير الغائب (!)

وهذا غير كافٍ. فماذا بعد للبرهنة على هذا التفرد والتميز ؟

قال :

«واستخدمت (اللغة المصرية) صيغاً فعلية مرنة تزيد كثيراً وتختلف كثيراً عن صيغ الأفعال عند جيرانها ؛ فكان أدباؤها إذا كتبوا جملة بسيطة مثل (خرج جلالته) وجدوا من مرونة لغتهم ما يسمح لهم بأن يعبروا عن هذه الجملة القصيرة بنحو عشرين أسلوباً في أزمنتها الثلاثة وفي صيغتها الفعلية وصيغتها الاسمية فيقولون :

بر حمف	بر ن حمف	بر إن حمف
برت حمف	برت ن حمف	برت بو إيرن حمف
حمف بر	حمف برف	حمف حر برت
عحعن حمف بر	. عحعن بر ن حمف	عحعنف بر حمف

= . ومعروف أن «درايفر» واحد من أشد غلاة العلماء اليهود تعصبا، وكتابه المذكور بالذات يعتبر نموذجاً للتشويه المتعمد والدعاوة للعبرية.

بر خر حمف	إو حمف بر	إو بر ن حمف
إن حمف بر	ون خر حمف حر برت	ونن حمف حر برت»[31]

ولا يُؤْخَذَنَّ القارىء بهذه السلسلة من الحروف المرصوصة، فهي ليست إلا تركيبات منوعة لجملة واحدة، اسمية وفعلية في الأزمنة الثلاثة مع الأدوات المساعدة. وأهم مفرداتها :

1. «بر» pr : خرج. عربيتها : برَّ، برًّا (برّة).

2. «حمف» ḥm. f : جلالته. مكونة من : «حم» : جلالة. عربيتها : «حمي/ حمو/ حِمىً». والفاء ضمير الغائب (ـه).

3. «إر» ir : عمل. عربيتها : «أري».

4. ثم الأدوات المساعدة :

أ ـ «إن» in، «ون» wn، «ونن» wnn. عربيتها : «إِنَّ».

ب ـ «حر» ḥr : على.

جـ ـ «خر» ḫr : تحت = في.

د ـ «إو» iw : للمستقبل.

(أنظر باب قواعد المصرية في الجزء الثالث)

هـ ـ «عحعن» ᶜḥᶜ n : ثُمَّ، إِذَنْ، وعليه (= حينئذ).

ويمكننا، بالطبع أن نقدم المكافىء العربي حرفيًّا، كما يلي مثلاً :

«بر حمف» : «برَّ حموُّه» = خرج جلالته.

«عحعن حمف بر» : «حينئذ حموُّه برَّ» = حينئذ جلالته خرج.

«حمف بر» : «حموُّه برَّ» = جلالته خرج. . إلخ.

ولكن هذا أمر قد يضني القارىء، فلنركب في عربيتنا المقروءة والمحكية الآن تنويعات من «خرج جلالته». . ولننظر :

خرج جلالته	خارجٌ (في الخارج) جلالته	خروجاً (عمل) جلالته
خرجت جلالته	إن جلالته خرجت	جلالته في الخارج
جلالته خرج	حينئذ جلالته خرج	جلالته خارجاً
وحينئذ جلالته خرجت	سيخرج جلالته	على خروجِ جلالته
تخرج جلالته	ستخرِج جلالتهُ	ثم خرج جلالته
إن جلالته خارجة	خارجةٌ جلالته	جلالته خارجةٌ

وهكذا. . يمكننا أن نضيف عدداً كبيراً من التركيبات في الأزمنة الثلاثة، مما يفوق حتماً ما ذكر في المصرية. وماذا لو وضعنا مع «خرج جلالته» : (كان) وأخواتها، و(إنّ) وأخواتها، وأفعالاً وأدوات مساعدة أخرى ؟ !

(31) المصدر المذكور سابقاً، ص 30. وقارن : Gardiner ; Eg. Gr., p. 38.

الذي يحدث أن الصيغ الفعلية المرنة التي استخدمتها المصرية لا تزيد كثيراً، ولا تختلف كثيراً عن صيغ الأفعال عند جيرانها.

(3)

مثلما فعل «بيتس» Bates في مقارنته بين المفردات الليبية والمصرية وإغفاله العربية قام آخرون بالمقارنة بين المصرية من جهة والليبية (تسمى أحياناً: البربرية) واللغات الكوشية (البجاوية والصومالية والغالية) من جهة أخرى باعتبار هذه اللغات تنضوي تحت ما يسمى «اللغات الحامية» ـ كما فعل «لوفيبر».

وصحيح أن بعض العلماء لاحظوا الصلة بين «المجموعة الحامية» و«المجموعة السامية» حتى أدمجوهما معاً في ما أسموه «المجموعة الحامية/السامية» غير أن التركيز كان دائماً على فكرة الفصل بين المجموعتين، مما يوهم بأنهما مجموعتان قائمتان بذاتهما ولا سبيل إلى الجمع بينهما. وقد قدَّم الدكتور عبد العزيز صالح آراء العلماء الذين قازبوا بين المصرية و(السامية) وعرض في نحو خمس صفحات من كتابه القيم أوجه التشابه في النحو والصرف والمفردات، ولكن «**ليس من سبيل للأسف إلى معرفة مدى فضل المصريين في نحت هذه الألفاظ السامية**» (ص 22). ونحن لا يهمنا أن نعرف «من أخذ عن من» بقدر ما يهمنا إثبات وحدة هذه الكتلة البشرية منذ القدم عن طريق إثبات وحدة لغتها.

ثم يمضي إلى عرض المقاربة بين الليبية[32] والمصرية، فيقول:

«وساهم كلٌّ من (م. كوهن) و(إ. زيهلرز) مع غيرهما في عقد المقارنات بين اللغة المصرية ولغة (البربر الليبيين) وعرضوا عدداً من أوجه التشابه المقبولة بين بعض أفعال وأسماء اللغتين مع اختلافات إقليمية بينهما في اللهجة وترتيب الحروف، مثل الخلط بين الباء والفاء، وبين الحاء والهاء، وبين التاء والكاف، وبين القاف والكاف والجيم، وبين العين والألف (أي: الألف المهموزة) وبين الألف والهمزة، وبين الواو والهمزة، والخلط بين الفعل اللازم والفعل المتعدي، وإضافة ألف (ليبية) مهموزة في بدايات بعض الأفعال.. إلخ» (ص 22 ـ 23).

وهـذا ما يسمى في العربية الابدال، أو المعاقبة، أو التعاقب، والقلب المكاني. وهو باب معروف جدًّا في العربية.

وفي ضوء هذه الوجوه من التشابه والاختلاف ينقل عن «زيهلر» Zyhlarz مقاربته بين أفعال مصرية قديمة وأخرى ليبية تقترب منها في النطق والدلالة إلى حد مقبول ـ كما يقول ـ ويقدم أمثلة في جدول. لكن المقارنة تقتصر على المصرية والليبية ولا ذكر للعربية، سوى بعض الملاحظات في الهـوامش عن وجود ما يقارب الفعل أو الاسم في (السامية). فيما يلي نقدم هذا الجدول[33] مع مقاربتنا نحن بالعربية:

(32) المقصـود بـ(الليبية) هنا ما يسمَّى «البربرية» أي لغة بعض أهل الشمال الأفريقي غير العربية العدنانية، وهي لهجات منبثقة عن الليبية (أو اللوبية) العتيقة، أما إذا ورَد تعبير (الليبية الدارجة) أو (اللهجة الليبية) فالمعني ما يتكلم به عامة الناس في ليبيا اليوم.

(33) يلاحظ أننا حافظنا على رسم نطق الكلمات المصرية والليبية كما وضعه المؤلف، وأضفنا النقحرة المتعارف عليها الكلمات المصرية بالحرف اللاتيني، واعتمدنا في التحليل الأصل المصري المتفق عليه. أما الكلمات (الليبية) فإن =

(أ) في الأفعال

المصرية	المعنى	الليبية	العربية
جمي (gmi)	وجد	إجمي	جمي[34].
نجي (ngi)	انشق وانفتح	إنجي	**نجا** = قطع . وقارن الثلاثيات : **نجب، نجذ، نجر، نجل، نجم**.
بسي (وفي) (psi)	طبخ	إفي	**بسل** : أبسل البُسْرَ = طبخه وجففه .
وبي (wpi)	شق	إبي	**أبب** : أبَّ = شق[35].
مت (وموت) (mt)	مات	إمت	**موت** : مات، يموت .
سوي (swi)	شرب	إسو	**سأسأ** : (مضاعف «سأ»). **شيأ** : الشّيُء = الماء .
سون (swn)	عرف	إسن	**أول**[36]
نو (n w)	رأى	إني (وإنهي)	**عين** : عايَنَ = شاهد، رأى .
ندي (ndi)	طرح أرضاً	إندي	**ندأ** : ندأ اللحم = ألقاه في النار.
إري (iri)	عمل	أرو	**أري** : الأري = العمل .
مري (mri)	أحب	مري (ومرهي)	**روم** : رام = أحب[37].
ودف (wdf)	تباطأ	إتّف	**دفف** : الدفيف = الدبيب، وهو السير اللين .
سرق (srq)	تنفس (ونفس)	إسرج	**شرق** : الشرق = دخول الماء ونحوه الحلق مع الهواء . قارن : شهق .
ساق (saq)	جمع (وتماسك)	أسيج	**سوق** : ومنه : السُّوق = مجتمع الناس .
فدق (fdq)	شق	إفتك	**فتق** : شقَّ .

= شدة الإختلاف في نطقها بين قبائل شمال أفريقيا ومناطقها يجعل الرسم بالحرف العربي هنا غير نهائي، ومناقشاتها وتحليلها تفصيلاً عملية ثقيلة . . قد يكون مجالها بحثاً آخر بإذن الله .

(34) يبدو أن المعنى الأصلي للمصرية gmi لا يفيد «الوجود» بمعنى : العثور على الشيء، وإنما يفيده من حيث هو موجود، بمعنى : متوفر، كثير ـ بحيث «يوجد» في كل مكان ويعثر عليه . وهذا ما يفيده الجذر الثنائي في العربية «جم» الذي يثلث إلى : جمأ، جمر، جمع، جمل، جمم، جمي، والرباعي : جمهر ـ وكلها تفيد الكثرة والتوفر.

(35) قارن : أبٌّ = كلأ، عشب ؛ الأصل هو شق النبت للأرض . وكذلك «أب» بمعنى : والد ؛ الأصل فيه معنى «الخلق» الذي هو «الشق» .

(36) في مادة «أول» العربية معنى التدبير والتقدير والتفسير والفهم (ومن ذلك : التأويل). وتضاف سين التعدية في الجبايلية فنجد «سأول» : تكلم، تحدث (بفهم طبعاً) وفي العربية : سأل = استفهم . وفي الدارجة الليبية : «ساول» و«سول» . وتبدل اللام نوناً في كثير من ألفاظ العربية ذاتها، فنجد مثلاً أن «التسوُّل» و«التسوُّن» ـ بمعنى : استرخاء البطن ـ واحد . أما المصرية فإنه لا لام في أبجديتها، وبسقوط الهمزة ـ كما في الدارجة الليبية ـ وإسباق سين التعدية نجد «سون» وقد تطور معناها إلى «عرف» . وبإسباق الهمزة المكسورة في الجبايلية، وهي ظاهرة معروفة، وسقوط الواو نجدها «إسّن» مشددة السين، وأصلها : (إ)سون .

(37) الثنائي «رم» في العربية مقلوب «م ر» في المصرية أدى عند تثليثه إلى : روم، رأم، بمعنى : أحب .

المصرية	المعنى	الليبية	العربية
تكا (tka)	أشعل [النار]	توكو	**طقق** : طقَّ[38]
سبدد (spdd)	أصلح (وحدَّد)	سدبد	**سفد**[39]
حتب (ḥtp)	استقر	حتبت	**حتف** : الحتف = الموت ، أي الاستقرار والهدوء .
ونف (wnf)	استمتع	ونف	**ونج**[40] .
وسف (wsf)	تكاسل	وسف	(أنظر : «**ودف**» ، «**إتف**» فيما سبق = «**دف**»)
وبن (wbn)	وضح / أشرق	ومن	**بين** : بيان = وضوح ، إشراق .
مجد (أو مزد) (mḏd)	أصاب الهدف	مدد	**مصد**[41] .
نج (nḏ)	صاح	إنجو	**ندي** : نادَى = صاح .
إقر (iqr)	تفوق	أجر	**وقر** : التوقير = التبجيل والتعظيم[42] .
سكي (ski)	حرث	سكي	**سكك** : السكة = حديدة المحراث .
سنثر (snṯr)	بخَّر	سنكر	**صندل**[43]

---

(38) من الواضح أن «**طق**» (= **تك**) محاكاة لصوت ألسنة النار عند اشتعالها في الوقود. وفي اللهجة الليبية الدارجة : «**طقَّاش**» = شر النار، مفردها : «**طقَّاشة**». قارن العربية : طقق .

(39) في المصرية : «س پ د» s p d = حدَّد، جعل الشيء حادًّا، كما نقول في العربية : جعله ثاقباً (النجم الثاقب = المضيء، الحـاد الضوء). وفي العربية : «**سفد**» < سفود/سفاد = ثقب. السفود : حديدة (حادَّةٌ) ذات سنٍّ (قارن : سَنَّ = جعله حادًّا) تنغرز في اللحم ونحوه.

أما عن زيادة الدال الثانية في «سبدد» فقارن زيادتها في العربية في مثل : **رعد** < **رعديد**.

(40) في (اللسان) : الوَنَج : المعزف وهو المزهر والعود، وهو الوَنُّ ـ فارسي معرب أصله «نه»، وهو الصنج .

وهذا غريب ؛ فإن الوَنَج ، والونَّ ، ليسا إلا ثلاثي «**ون**» وهو الصوت الطبيعي يصدر عن الأوتار عند العزف عليها ، والمكافىء في المصرية (والليبية) «**ونف**» تعني : طرب ، طروب (joyful) عند «فولكنر» كما تعني : سعيد، مرح (glad, gay) عند «غاردنر» ، وهو ما يلازم العزف بالمزهر أو العود، أي «الونج» أو «الونف» ثلاثي «ون».

(41) من دلالات m ḏ d في المصرية : ضغط ، رمى هدفاً، لطم . وفي مادة «مصد» في (اللسان) هذه الدلالات في مجال المجـامعـة . فإذا كانت الميم في m ḏ d سابقة والأصل هو ḏ d فإن المكافئ العربي هنا يكون : «**سد**» < **سدد**. «سدَّد : وأما السَّداد، بالفتح ، فإنما معناه الاصابة في المنطق . . . وكذلك في الرمي . يقال : سدَّ السهم يَسِدُّ إذا استقام» (اللسان).

ويحلل «غاردنر» (Eg. Gr., p. 520) المحدد الهيروغليفي لكلمة m ḏ d ـ وهو عبارة عن سداة نسيج (لاحظ الجذر «**سد**» في «سداة») بين قائمتين بأن هذا يوحي بأن المعنى الأصل هو أقام (= استقام ، العربية : **سدَّد**، **استدَّ**). فهل نلمح العربية «**مَسْدَى**» هنا لتقابل m ḏ d ؟

(42) الدلالة الأساسية لـ«**إقر**» هي الثقل (العربية : **وقر**) ثم العظمة والمكانة ، والوزن الكبير للشخص ، مما يؤدي إلى الامتياز والتقديم والتفوق .

(43) في (اللسان) : «**الصَّندل** : خشب أحمر ومنه الأصفر، وقيل : الصَّندل شجر طيب الرائحة». وهو ما يُتَبخَّر به . وهناك تعاقب بين الصاد والسين، والتاء والكاف والدال ، والراء واللام ، وكلها قريبة مخرج الصوت . وقد تُفعِّل «صندلٌ» إلى : صَنْدَلَ، يُصَنْدِلُ = أحرق شجر الصندل بخوراً .

(ب) في الأسماء والصفات

المصرية	المعنى	الليبية	العربية
جو (gw, ka)	ثور	أجُو	أنظر الهامش[44]
ونش (wnš)	ذئب	وشّن (أو : شّن)	أوس : «أوس» و«أويس» = الذئب، ولا يعرَّف.
مجو (أو مزو) (mḏw)	عشرة	مزو	مدي، مذي : الماء[45].
تامرت (أو تامرة)(؟)	ذقن	تامرت	مـرط[46].
باد (pd)	ركبة	أفّاد	بـدد[47].
سمي (smi)	دسم	إسم	سمن : ثلاثي «سم». قارن «دسم» مثلثة من أولها بالدال.
فقا (fqa)	هدية	إفك	كفأ : جازى بعطية. الأصل «كفّ» مقلوب «فك».
مجيت (mḏt)	وتد	مديت	ذود : مِذْوَد.

(44) في المصرية ka تعني الثـور إطلاقاً، أما g w فهي نوع من الثيران. ويقارب «كوهن» (Essai Comp. p. 112) بين المصرية في صورتيها و«البربرية» (= الليبية) : agu, aggu, agwi ، والكوشية agala . (الهمزة بدل من العين في العربية «عجل»). في المصرية يظهر أن العين في بداية الكلمة ساقطة. («عجل» < «جل»). أما اللام فلا توجد في الهـيروغليفية، واستعيض عنها بالهمزة في «كأ» ka ـ كما يحدث كثيراً ـ مع إبدال الجيم كافاً : ᶜgl < gl = ka (عجل). لكننا لا نزال نجد (ga) في كلمة «جاموس» (جا + مس. حرفيًّا : الثور وَلَدَ = وَلَدَ الثورُ = «شبيه الثور» (أو البقرة) ـ لأن «م س» تعني : ولد، شبيه، صورة). ولا يمكن أن ننسى الانكليزية (cow) أي : بقرة ـ وشبيهاتها في اللغات الهند ـ أوروبية. هل هي كلمة دوَّارة ؟

(45) المعنى الأصلي البعيد للدلالة على العدد (عشرة) هو الكثرة والاحاطة، مثلما هو الحال في العربية «عشرة» من الجذر «عشر» بمعنى : كثر واجتمع. أنظر مبحث الأعداد في هذه الدراسة.

(46) رغم أنني لم أعثر في ما بين يدي من مراجع على ما يشبه «تامرت» (t m r t ɜ) بمعنى «ذقن» فإنني أقدم الملاحظات التالية :

أ. «الذقن» في العربية : مجتمع لحيي الانسان من أسفلها، والذاقنة، مؤنثة، ما تحت الذقن أو رأس الحلقوم، وقيل إن الذاقنة هي الذقن. . . وهي عند الذكر والأنثى، ولا صلة لها بالشعر الذي سمى هنا : اللحية ـ خاصة بالرجل.

ب. «الذقن» تذكَّر وتؤنَّث، كما تؤنث لفظاً ومعنى : ذاقنة.

جـ. نذهب إلى التاء الأولى في «تامرت» (ت. مرت) للتأنيث، وكذلك التاء الثانية، غير أن الأخيرة وقعت بعد حرف قريب منها فأدغم الاثنان.

د. نمضي إلى مادة «مـرط» العربية فنجد أنها تفيد زوال الشعر وفيها جاء : الرجل الأمرط هو الذي خفَّ عارضاه من الشَّعر، والمرطاوان والمريطاوان : ما عري من الشفة السفلى، وهو ما يقارب الذقن.

(47) في المصرية : pd تترجم بأنها تعني «ركبة»، وإلى جانب هذا يترجمها «غاردنر» (Eg. Gr., p. 566) إلى Stretch = مدَّ، وسع، فرد. في مادة «بدد» (ثلاثي «بد») في (اللسان) : البدد : تباعد ما بين الفخذين، ورجل أبدُّ وفي فخذيه بدٌ أي طول مفرط، وفرس أبدُّ أي بعيد ما بين اليدين، والبادَّان : باطنا الفخذين، وكل من فرَّج بين رجليه فقد أبدَّهما، والبادُّ أصل الفخذ، والبادَّان من ظهر الفرس ما وقع عليه فخذا الراكب (قارن : «ركبة» من «رَكَبَ»). وبعض العلماء يقارب بين المصرية «بد» والليبية «أفّاد» والعربية «فخذ»، «فخد».

المصرية	المعنى	الليبية	العربية
شونتة (šntt)	قاعدة (مشروع)	إسنتي	سنن : سُنَّة.
سو (أو أسو) (sw)	يوم	أسّو	ضو(أ) : الضوء والضياء : النور[48].
چري (ḏri)	سور	دري	سور : وقارن : «دور» = أحاط.
حررة (ḥrrt)	زهرة	أريرة/واريري	حرر : في مادة «حرر» معاني الرقة والحسن والنقاء، شأن الزهر.
نر (nr)	راعٍ	إنر	أنظر الهامش[49].
ع (ᶜ)	ناحية	إ	عـلا[50].
جنس (dns)	ضيق	إهنسا	زنق، ضنك[51].
نيني (nni)	صغير	نونّو	وني، أني، ونن : تعني الضعف، حال الطفل الصغير.
بوت (bwt)	فاسد	بويت	بـوط[52].
نجم (nḏm)	حلو	نودم	نعم : بتعاقب العين و(ḏ) والدال.

(48) في العربية يقال : ضوء، وضياء. وقد تحذف الهمزة في آخرها. و«ضوأ» مقلوب «وضأ» بمعنى النور. والمعنى الأصلي في المصرية s w هو النور، ضوء النهار، ومحدد الكلمة في القلم الهيروغليفي صورة الشمس ☉ ومن الواضح تعاقب السين والضاد في «س و» المصرية و«ضو» العربية.

(49) عند «غاردنر» (Eg. Gr. G14, H4) : «ن ر و» n r w = خوف. وعند «فولكنر» (ص 134) : n r w (مخيف) و n r w (خوف) و n r i (حمى). ونذهب إلى أن النون في بداية هذه الكلمات ليست أصلية (أنظر أمثلة لذلك في باب قواعد المصرية في الجزء الثالث من هذه الدراسة) والأصل هو ri, r w الذي نقابل بالعربية «روع» بمعنى : خوف، و«رعى» بمعنى : حمى. ولنا أن نذكر هنا r w i (يتوقف، يمتنع عن، يصد. غاردنر، ص 577) بالعربية «ارعوى» = امتنع عن - لتأكيد ما ذهبنا إليه.

(50) في معجم المصرية تترجم (ع) بأنها تعني : منطقة، ناحية région إلى جانب معانٍ أخرى (فولكنر، ص 36، وغاردنر، ص 556)، ولكنها أصلاً تعني : ذراع، يد. والمعنى البعيد هو الارتفاع (أنظر حديثنا عن حرف العين في مبحث الأصول العربية لرموز الهجاء الهيروغليفية). وفي المصرية «ع أ» ᶜa = مرتفع - والهمزة إبدال من اللام (ع ل) > عالٍ، علو.

الملاحظة الأخرى أن المقطع «ع» المبتور من «ع أ» (= ع ل) بمعنى : ناحية region لا يأتي وحده، بل يرد مقترناً باسم الناحية المعنية (معجم فولكنر، ص 36)، وهي غالباً ناحية مرتفعة (عالية) مثلما هو الحال بالنسبة للصعيد «ع - ر س ي» وجبال الصحراوين الشرقية والغربية «ع - خ أ ش ت»، كما توجد «ع - م ح ت ي» بمعنى : ناحية السماء الشمالية، والدلتا.

في مادة «علا» في (اللسان) ورد :

العالية : ما فوق أرض نجد إلى أرض تهامة وإلى ما وراء مكة، وهي الحجاز وما والاها.

والعوالي : أماكن بأعلى أراضي المدينة وأدناها من المدينة على أربعة أميال وأبعدها من جهة نجد ثمانية، والنسب إليها : عاليٌّ، على القياس، وعُلْوي، نادر على غير قياس.

وعالية الحجاز أعلاها بلداً وأشرفها موضعاً، وهي بلاد واسعة، وإذا نسبوا إليها قيل : عُلْوِيّ . . . إلخ .

(51) تفيد المصرية «د ن س» d n s (وليس : جنس) معنى الثقل (معجم فولكنر، ص 314، وغاردنر، ص 520). وقد نقابلها بالعربية «دنس» بمعنى الوسخ، وفيه معنى الثقل، والضيق كذلك. كما أن معنى الضيق موجود في العربية «زنق»، أما الثقل والضيق معاً فهما في مادة «ضنك» - وكل هذا مع ملاحظة تبادل الحروف والأصوات.

(52) «باطَ الرجل، يبوط، إذا ذلَّ بعد عزٍّ أو إذا افتقر بعد غِنًى» (اللسان). وفي هذا معنى الفساد. فإذا لم تكن التاء =

بعد هذا يعرض الدكتور عبد العزيز صالح (المصدر المذكور، ص 25 ـ 26) نماذج من مقاربات العلماء بين المصرية من جهة واللغات الكوشية (وبالذات : البجاوية وهي لغة البشاريين والعبابدة في شرق السودان وشماله، أي في النوبة، والصومالية والغالية) من جهة أخرى. ويذهب إلى أن «هذه المقارنة لم تخل من إظهار نوع من التقارب اللفظي بين مفردات الجانبين، وهو تقارب لا ندري إن كان نتيجة لاتصال جنسي (سلالي) قديم، أم ترتب على صلات الأخذ والعطاء في مجالات التجارة وانتقالات الرعاة، أو تأكد خلال امتداد النفوذ المصري في الجنوب خلال عصوره الفرعونية الطويلة» (ص 25).

ومهما تكن الأسباب في هذا «التقارب» فإن جهوداً أكبر واهتماماً أكثر يجب أن توجه لتأكيد ـ وليس مجرد توضيح ـ هذه القربى على أيدي علماء عرب، لا أن تترك الدراسات المقارنة للأجانب الذين لن يبلغوا ـ مهما غزر علمهم ـ مبلغ العربي في فهمه لأسرار ألفاظ اللغة ولهجاتها وحرصه على جلاء ما غمض بحكم عوامل كثيرة.

فيما يلي نورد الألفاظ التي ذكرها الدكتور صالح في مجال الأسماء والأفعال، مع **شيء مهم للغاية لم يشر إليه هو المكافىء العربي للفظ وتحليله نورده نحن حتى يتبين الحق :**

(أ) في الأسماء

المصرية	المعنى	العربية
سن (sn)	أخٌ	في البجاوية : سان صِنْوٌ = مثيل، شقيق، أخٌ.
عخم (^{c}ḫm)	صقر	في البجاوية:إهم رخم : عقاب[53].
نف (nf)	نفس	في البجاوية : نيفي **نفَّ** = نفس.
رد (r d)	رِجْل	في الصومالية : راد **ردى** : الردي : الركض، ورَدَى : إذا رفع رجلاً وقفز بالأخرى.
سم (sm)	خُضر	في البيجاوية : سيام **سم** < سمم[54].
حتر (ḥtr)	حصان (وأي زوج من البهم)	في البيجاوية : حتاي **حضر**[55]
إدر (idr)	قطيع	في البيجاوية : ودر **عذر**[56].

= في b w t أصلية فإن مكافىء b w هو العربية : «بوة»، وفيها دلالة الحمق، والطيش، والسُّحق، مما يفيد الفساد، والاسم منها : «بوهة» (= b w t).

(53) **الرخمة** : طائر أبقع على شكل النسر خِلقةً إلا أنه مبقع بسواد وبياض يقال له : الأَنْوَق. والجمع : رَخَمٌ ورُخَمٌ، واليرخوم : ذكر الرخم.

(54) في الأكادية : شمُّو = خضر، بقول.
وفي العربية : السمسم ؛ الجلجلان، وحب الخردل (مادة : سمم)، وهو من البقول، مضاعف «سم»، يقابله في الأكادية : šamaššammu (جلجلان. معجم شنايدر، ص 30).

(55) **الحضر** : العدْو، وتطلق على ركض الخيل. والحِضار من الابل : البيض. وحضار : اسم للثور الأبيض.

(56) عند «غاردنر» (Eg. Gr., p. 556) تعني المصرية i d r : ربط، رباط، كما تعني : قطيع. وفي مادة «غدر» العربية يجتمع المعنيان.

المصرية	المعنى	العربية	
نياو (niaw)	عنزة	في البيجاوية : ناي / نيايأ	أنظر الهامش[57].
إح، إحت (iḥ, iḥt)	ثور، بقرة	في البيجاوية : أحا، أحًّا	أرخ : الإرخ = الثور، الإرْخة : البقرة[58].

(ب) في الأفعال

المصرية	المعنى	العربية	
جد (ḏd)	قال	(جد في لغة الغالا)	صدى، شدا = صات[59].
إإ (ii)	أتى	(إآ) في لغة البيجاوية	أوى = جاء.
مي (mi)	تعال	(مآ) في لغة البيجاوية	أمَّ = قصد، مضى إلى، جاء.
شمس (šms)	تبع	(شمس) في لغة البيجاوية أنظر الهامش[60].	
عم (ᶜm)	ابتلع	(أم) في لغة البيجاوية	عبَّ، هَمْ < لهم < التهم[61].
خم (ḫm)	جهِّل	(جام) في لغة البيجاوية	خم : خمي، عمي[62].
حسي (ḥsi)	غنّى	(حسو) في لغة البيجاوية	حسس : الحسُّ = الصوت/الغناء.
قبب (qbb)	برَّد	(قابوب) في الصومالية	قبب[63].

(57) الأصل «ن أ و» n a w (غاردنر، ص) معناها معز جبلي ibex الذي هو في العربية : «وعل». ولا لام في الهيروغليفية فأبدلت نوناً، والألف المهموزة إبدال من العين (Iᶜw = naw) (ن أ و = ل ع و) والأخيرة مقلوب «و ع ل».

هذا تحليل، أما التحليل الثاني فيذهب إلى أن الألف المهموزة إبدال من العين، كالسابق، فتكون «ن ع» ثنائي «ن ع ج». وفي العربية : النعاج الشاء الجبلي، أي : الوعل. ولكي نبين أن «نع» (وللعَلَمية في المصرية : «نعو» = naw) هي ثنائي «نعج» نذكر هنا أن هذا الثنائي يؤدى إلى ألفاظ متصلة بعالم الحيوان حيث يثلث : نعب < ناعب (غراب) وكذلك : نعق < ناعق، نعم < نَعام/أنعام). والأصل البعيد في «نع» هو صوت الحيوان. قارن : نع < نعر < نعير/نعَّار/ناعر.

(58) تطلق على البقر الوحشي. وقد سقطت الراء وأبدلت الخاء حاءً في «إح».

(59) الحرف ḏ (الذي ينقحر أحياناً إلى : جـ) يتعاقب كثيراً جدًّا مع أصوات، أو حروف، قريبة منه في العربية، بيناها في موطنها. هنا قد يقابل الصاد في «صدي» أو الشين في «شدا» وفي كليهما دلالة الصوت كما هي في «قول < قال».

(60) في معجم اللغة المصرية تجد أيضاً «س م ش» s m š بمعنى «تبع»، والسين في أولها، أو الشين أحياناً، للتعدية، والجذر هو «م ش» mš، عربيته : مشى، يمشي، مشياً.

(قارن العربية : شمَّاس = خادم المعبد/الكنيسة، أي : التابع). وكلمة «شمس» (النجم المضيء على الأرض نهاراً) انبثقت عن هذا الأصل لأنها سائرة/تابعة أبداً.

(61) الأصل البعيد محاكاة. قارن ما نعبر به عن الأكل والابتلاع : هَمْ هَمْ!

(62) الجذر الثنائي «خم» في العربية أدى إلى : خمت، خمد، خمج، خمل.. وكلها بمعنى الفتور، حسًّا ومعنىً، أي عدم الفطنة = الجهل. قارن تعبيرنا المعاصر في اللهجة المصرية : «راجل خام» (= جاهل، بسيط) وكذلك : «خمّ، يخمّ» (= يستغفل، من الغفلة وهي الجهل).

(63) في مادة «قبب» العربية : القابَّة = قطرة المطر. وفي مادة «قأب» : أكثر من شرب الماء (= برَّد حرقة عطشه). و«إناء قوأب وقوأبي : كثير الأخذ للماء». لاحظ إناء الماء في الهيروغليفية (𓈖 «ق ب ب» q b b) بمعنى : برَّد (بالماء) - في الأصل البعيد (cooling) ثم تطور إلى معنى «برْد» (cold).

الأصول العربيـة
لأسماء رموز الهجاء الهيروغليفيـة

مقدمـة

بدأت جميع أنماط الكتابة، بدون استثناء، تصاوير وأشكالاً مختلفة للموضوعات المراد التعبير عنها. ثم تطورت إلى صور مُخْتَزَلة لهذه الأشكال، حتى جُرِّدت وتحولت مع مرور الزمن إلى أحرف تختلف نطقاً وعدداً بحسب طبيعة اللغة وتطورها. والمتفق عليه أن ثمة أصولاً أربعة لجميع أنواع الخطوط المستعملة في العالم الآن: الخط المصري، والخط الحثي، والخط المسماري، والخط الصيني[1].

بالنسبة للخط المصري ـ موضوع حديثنا الآن ـ يُرجح الكثير من الباحثين أنه ورد إلى مصر من بلاد الرافدين أول ما ورد، ثم استقل بشخصيته الذاتية واستقر على شكل خاص به هو ما يُعرف بالخط **الهيروغليفي**، (وهذا تعبير يوناني معناه الحرفي: النقش المقدس). وانبثق عن الهيروغليفية، بحكم التطور وضرورة السرعة، خطّان آخران: الخط **الهيراطيقي** Hieratic وهو مختص بالنصوص الأدبية والدينية يستخدمه الكهنة (وهو من اليونانية Hieratikos = كهنوتي). وآخر يُستخدم في المعاملات التجارية والحياة اليومية ويسمى: **الديموطيقي** Demotic (من اليونانية Dimotikos = شعبي). ولكن الخط الهيروغليفي احتفظ بمكانته رغم كل شيء وظل مستعملاً في المعابد وعلى جُدر الهياكل لتأريخ مآثر الفراعين وآثار الملوك حتى عصر متأخر جداً، ولم تفقد الهيروغليفية مكانتها إلا باستيلاء الرومان على مصر وإنتهاء حُكم المصريين لبلادهم[2].

---

(1) هذا التقسيم بحسب العالم القديم المعروف، وهو يستبعد رموز حضارات أخرى، كحضارة الأنكا والأزتك في القارة الأمريكية التي لم تُفك بعد ولم تُرجع إلى أصل من هذه الأصول، كما لم يتقرر ما إذا كانت هي ذاتها أصلاً خامساً.

أنظر: فوزي عفيفي: **نشأة وتطور الكتابة الخطية العربية** ـ ص 14.

(2) عن الرموز الهجائية الهيروغليفية أنظر:

Wallis Budge ; Egyptian Language. p. 31 – 32
Wallerson ; Introducing Egyptian Hieroglyphs, p. 60 – 62.
Hart ; Early Egyptians, p. 41
Gardiner : Egyptian Grammar, p. 27.

الهيروغليفية في أساسها مجموعة من الصور، تفوق الخمسمائة عدّاً، وهي صُوَرٌ جميلة جدًّا بلغت من الدقة حدّ الروعة لأغلب مظاهر الحياة التي تهم أهل مصر، حيواناتٍ وبشراً وأمتعةً ونباتاتٍ ومظاهر طبيعة. . . إلخ. وتعتبر «لوحة الملك مينا» التي يرجع تاريخها إلى أواخر الألف الرابعة قبل الميلاد أقدم أثر معروف لها حتى الآن. وهي في أساسها ـ وظلّت ـ تصاوير ورسوم منوعة، أمكن قراءتها وفهمها بفضل «شامبليون» وغيره أوائل القرن التاسع عشر ـ وبذا فتحت آفاق واسعة للمعرفة بتاريخ مصر والشرق وبأحداث جسام كانت مجهولة، وعرفت جوانب من الحياة كانت خافية.

بدأت الهيروغليفية صوراً، صورة لكل موضوع ـ واستمرت على هذا زمناً، ثم قابلتها مشكلتان: الأولى تكمن في المعنويات، أي تلك المعاني التي يصعُب تصويرها كالحزن والفرح والحب، والغلبة، والقهر، والعدل والظلم. . . الخ. فاتُّفق على رمز يدل على أن الصورة، رغم حسيتها، معنوية. والثانية تكمن في ضخامة عدد الصور المطلوبة وتكرارها ـ وعدم الدقة في تحديد مدلولها مادة أو معنى. وهنا جاءت فكرة الاكتفاء بعدد من الصور تُكوّن «حروفاً» ـ وهذا هو الهجاء. . الألف باء أو الأبجدية[3].

ظهرت «الصور الهجائية» ـ وعددها أربع وعشرون حسب المتفق عليه ـ «حروفاً»، تنطق كل صورة حرفاً واحداً وتؤدي الصوت المتفق عليه، فهي «أبجدية» بالمعنى المعروف. لكن هذه الصور (الحروف) يمكن أن تكون (كلماتٍ) هي ذاتها ـ في بعض الأحيان ـ ثنائية أو حتى ثلاثية الحروف. ولا يمنع هذا من بقائها «حروفاً» عند الحاجة وهذا ما جعل بعض الرموز الهيروغليفية تُقرأ باعتبارها كلمة «قائمة» بذاتها، وجعل هذه الكلمة تتحول إلى حرف واحد، خاصة في الرموز المتفق عليها والتي ستتعرض لها بعد قليل.

يعرف القارىء أن حروف الهجاء العربية تطورت عن الكنعانية، أو السينائية (النَّبَطية) في بعض الأقوال. وعن الكنعانية أخذت اليونانية ثم اللاتينية. والكنعانية ذات صلة بالأشورية (المسمارية). والأخيرة قد تكون انبثقت عن السومرية. . . وهكذا. لكن الحقيقة التي لا تقبل الجدل أن **أسماء هذه الحروف هي ذاتها أسماء موضوعات الصورة التي تطورت عنها**، أو بالدقة: اختصار أسماء هذه الموضوعات.

لنضرب مثلاً:

ألف:

في العربية: ا

في العبرية: [illegible]

في اللاتينية: A

(3) الألف باء Alphabet بحسب ترتيب حروف الهجاء: ألف، باء، تاء. . والأبجدية بحسب ترتيب آخر: أبجد هوّز حطي كلمن. . . إلخ.

في الكنعانية :
في الأشورية :
في البابلية :
الأصـــل :

والأصل صورة «ثوْر». والثور في الكنعانية اسمه «ألف»، وفي الأكّادية «آلفو». ونلاحظ أن «ا» العربية أكثر الرموز تجريداً. وأن «A» اللاتينية هي ذاتها ∀ (وجه الثور بقرنيه مقلوباً ـ إذ كأنّ اللاتين قلبوا الصورة لأنهم يكتبون من اليسار إلى اليمين عكس الأمم العروبية !).

صورة رأس الثور (الألف) هذه كانت تُكتب وتُقرأ لتؤدي لفظة «ألف» (= ثور) كاملة، ثم آختصرت لتؤدي حرف الألف أو الصوت «أ».

وهذا ما حدث في بقية الحروف :

الباء : بيت. **الجيم** : جمل. **الدال** : باب (الكنعانية : دالت). **الواو** : وتد. **الميم** : ماء. **السين** : سن. **العين** : عين... الخ.
(راجع للتفصيل : التونجي ؛ **عبقرية العرب**... ص 34 ـ 35. وهيب الخازن ؛ **من الساميين إلى العرب**).

الشيء نفسه حدث للمصرية في رسومها الهيروغليفية، مع فرق واحد هو أن الهيروغليفية احتفظت بالصورة كاملة بالغة الدقة، وتجردت قليلاً في شُعْبتَيها : الهيراطيقية والديموطيقية. وهذا **ما جعل «أبجدية» الهيروغليفية متميزة واضحة للغاية، وجعل من الممكن السهل إثبات «عروبية» هذه الأبجدية وتأصيلها وإرجاع تسمياتها إلى العربية**.

فلنستعرض هنا هذه الحروف ـ الرموز واحداً بعد الآخر بحسب ما أثبته الباحثون ثم نرى إلى أي أصل تعود :

* * *

1 ـ : ء (همزة/ألف مهموزة) ꜣ و A
الرمز الهيروغليفي : نسر. عقاب (Volture). يُصوَّر أحياناً نسران متداخلان ويكون النطق : ء ء (ألفان مهموزتان متتاليتان) ꜣꜣ و AA.

في العربية : «**اليؤيؤ** : طائر يشبه الباشق من الجوارح. والجمع : **اليآيىء**. وجاء في الشعر : **اليآيىء**. قال الحسن بن هانىء في طردياته :

قد أغتدي والليل في دجاه * كطرة البرد على مثناه
بيؤيؤ يعجب من رآه * ما في **الأيائى يؤيؤ** شرواه

قال ابن بري : «كأن قياسه عنده «اليآيىء» إلا أن الشاعر قدّم الهمزة على الياء» . (قارن : 1 و a و1 Ember) .

وقد يُعترض على ما أوردناه من نشأة حرف الهمزة في الهيروغليفية ، المرموز بصورة النسر، إلى «اليؤيؤ» العربية بالقول إن هذه الكلمة تبدأ بحرف الياء وليس بالهمزة . وهذا اعتراض وجيه يمكن الرد عليه بعدة وجوه :

أ ـ يشير «غاردنر» (ص 549) إلى أن حرف «a» في المصرية صوت ضعيف عُرضة لأن يُستبدل بصوت «i» أو «.» ي/ى :

(«a» : weak consonant apt to be replaced by «i» or «y». (Eg. Gr. p. 549).

وقد يعني هذا أن الحرف/الرمز قد يكون في أساسه ياءً مما يُرجح نشأته عن «يؤيؤ» ثم تحول إلى همزة ضعيفة تستبدل أحياناً بالياء صوتاً consonant (ي) أو حركة ممدودة Vowel (ى) .

ولعل القارىء لاحظ الخلط بين الهمزة والياء من حيث القلب والابدال في جمع «يؤيؤ» العربية حسبما أورده ابن منظور عن بيت شعر أبي نواس، وناقش الأمر مناقشة طويلة في موطنه . . فلينظر .

ب ـ في حين يقول «غاردنر» إن في المصرية تعني «نسر» Volture (وواضح أنها اختصار لكلمة مقطعية) . يذكر فولكنر (a Concise Dictionary, p. 1) أنها تعني «نسر» كما تعني «**الطير عموماً**» Bird in general .

هذا ينقلنا إلى جذر عربي آخر قريب جداً من تحليلنا، بل هو ذاته . ففي مادة «أ و ا» ورد في (اللسان) : «طير أ و ي» ـ ومن الممكن القول على سبيل الاختصار أن «**الأوي**» تعني «الطائر» لغناء الصفة عن الموصوف . وهذا ما يطابق المصرية .

حين نبغي معرفة نشأة كلمة «أوي» ذاتها نعرف أنها من «أوى، يأوى» . «وتأوّت الطير تأوّياً : تجمعت بعضها إلى بعض، فهي متأوّية ومتأوّيات .

. . . قال الجوهري : وهن أُوِيٌّ، جمع آوٍ، مثل باكٍ وبُكي» . (اللسان/مادة : أوا) .

وليس من الضروري أن نأتي بكل الشواهد والاقتباسات، ويكفي معرفة أن «أوا» (أوى) تعني في الأساس : عاد، رجع، آب . ثم أدت إلى معنى : تجمّع، اجتمع . وخصّت الطير[4]، التي صارت تدعى لذلك «الأُوي» جمع «أوِيّ» .

ج ـ هذا «التجمع» للطير الذي أورد تحقيقه ابن منظور يُلفت انتباهنا إلى ما قرره «غاردنر»

(4) وإن استعملها الحارث بن حلّزة في غير الطير ـ استثناءً لا قاعدة .

(ص 497 ـ 549) عن وجود رمز مميز في الهيروغليفية يتكون من صورة نسرين متداخلين ويعبّران صوتياً عن همزتين متتابعتين «a a» ـ ء ء. وقد يكون من غير المستبعد أنّ صورة هذين النسرين المتداخلين (المتجمّعين) تؤدّي في الأساس الصوت «أُويّ» = الطير المتجمع. أو «أُوي» = الطائر المجتمع مع طائر آخر. ويؤيد هذا الترجيح ما سبق أن ذكره «غاردنر» نفسه من أن الهَمزة في المصرية حرف ضعيف قد يُستبدل بالياء. وبذا تكون a هي ذاتها (أُي) < «أوي».

2 ـ 𓇋 : ى (ياء مقصورة) i

معنى الرمز الهيروغليفي : «غابٌ. قصب. يراع» (reed) يقابل هذا الرمز في الأنجليزية حرف i ولكن ليس باعتباره حرف علة بل ياء صحيحة قد تنطق همزة مكسورة إذا جاءت في بداية الكلمات.

في المصرية نجد كلمة «إ ء ر» i a r بمعنى «غاب = يراعة reed» (غاردنر ـ ص 551). ومن المؤكد أن «إ ء ر» هذه تقابل «يراع» العربية «إ ء ر < ي ع ر < ي ر ع = يراع». وهو النبات المعروف تحت أسماء : قصب، بوص، غاب، أو حتى البردي. ويتخذ منه المزامير والأقلام.

وما يوضح الأمر ورود كلمة «ع ر» ᶜr (بوجود العين) بمعنى «يراعة» أو «يراع» ـ القلم من البوص reed (of writing) وكلمة «ع ر ت» ᶜr t = sheet (of Papyros) = أوراق البردي (اليراع). (غاردنر ـ ص 558).

وحرفا العين والهمزة كثيرا التعاقب (التبادل)، وهذا ما جعل «ع ر» تتحول إلى «إ ر» أو إلى «إ ء ر» ـ وعنها نشأ الرمز 𓇋 (= i) ويقابل أيضا حرف Y (الياء) وهو تطور هكذا : إر < إ ء ر < ع ر < ي ع ر < ي ر ع = يراع.

3 ـ 𓇌 : ى (ياء ممدودة) Y :

معنى الرمز الهيروغليفي : هو ذات المعنى السابق. وينطبق عليه نفس التحليل. والفرق يكمن في أن صورة اليراعتين معاً تدل على حرف الياء الضعيف (Semi-vowel) ولا تأتي إلا نادراً في بداية الكلمات، لكنها تأتي في نهايتها للنسبة (ياء النسبة) أو للتثنية (غاردنر ـ ص 29، 481) وتختصر الصورة أحياناً إلى مجرد خطين كانا في الأصل رسماً لليراعتين هكذا 𓏭 ليؤديا الصوت «ي».

4 ـ 𓂝 : ع (عين) : c

معنى الرمز الهيروغليفي : ذراع ممدودة تعني : ذراع، يد.

وقد تكون الحرف الأخير من : ذرا(ع) ـ كو(ع) ـ بو(ع) ـ با(ع). أو الحرف الأول من «عضد»/(ع) ـضد أو الحرف الأوسط من «ساعد/سا(ع)ـد.

ونلاحظ أن حرف العين موجود في الكلمات المتصلة باليد في أثناء بسطها ومدّها أو باليد كلها، وليس مقصوراً على الكف أو راحة «اليد» التي جاء منها رمز حرف الدال

وهذا ما نلاحظه في الهيروغليفية حين صُوِّرت اليد ممدودةً بطولها رمزاً لحرف العين(5).

5 ـ 𓅱 : و (واو) w :

معنى الرمز الهيروغليفي : «كتكوت. فرخ طير صغير». (بالتحديد : فرخ سمّن). ويختصر أحياناً إلى ‍𓏲 . يقول «غاردنر» (ص 472) إن رمزه لحرف الواو **لا يُعرف له سبب**.

بيد أن كوهن (Essai Comparatif, p. 196) يذهب إلى أن هذه الواو هي الحرف الأول في الجذر العربي «**ولد**» (ويدلل على هذا بأن «ولد» تُختصر في اللهجة الجبالية إلى «أو» aw ـ وفي بعض اللهجات الأخرى : «وَادْ» (مصر) ـ «وِدْ» (موريتانيا)(6). وفي العربية «ولد» التي نجدها في المصرية القديمة «**و ي د**» W y d بإبدال اللام ياءً (المصدر نفسه). على أن ما يحسم الأمر برمته في هذا الموضوع ورود حرف الواو (و W) بمفرده في النص الليبي القديم المشهور باسم «حجر مسنسن» ـ وهو نقش ثنائي الحرف واللغة ؛ البونيقية والليبية ـ مقابلاً لكلمة «**بن**» في النص البونيقي عشرين مرة، مما يقطع بأن «**و**» هذه تساوي «**ولد**» ـ وكما حدث في الليبية حدث في المصرية حذو النعل للنعل.

(أنظر : J. Friedrich ; Extinct Languages, P. 119 — 120)

ملاحظـــة :

لا تفـوتنـا هنـا الاشـارة إلى أن المقطع «وا» «ua» يوجد في اللغة الايرلندية بمعنى «**ابن**» بالضبط، ويوجد في أسماء من مثل ua — conner (ابن كونر) ـ ua — lery (ابن ليري) ـ ua — Brien (ابن بريان). وقد اختصر في الاسكتلندية والانجليزية إلى «أُوْ» (O) فصارت هذه الأسماء : O'lery O'brien, و O'conner . وليس من المستبعد أن تكون ua الايرلندية (O الاسكتلندية والانجليزية) من بقايا الطبقات اللغوية التحتية القديمة Substratum متأثرة بهجرات قديمة جداً من شمال أفريقيا إلى جزيرة إيرلندا.

نضيف إلى ما سبق أن ثمة رمزاً هيروغليفياً آخر لحرف الواو هو عبارة عن حبل مربوطة نهايته بهذا الشكل 𓍯 ويترجم إلى الانكليزية حين يلفظ كلمة قائمة بذاتها إلى lasso (حبل بطرفه أنشوطة) وفي المصرية «وأ» (w 3) . ومن هنا نشأ حرف الواو عن هذه الكلمة بهذا الشكل. (غاردنر، Eg. Gr., p. 522).

وقد نَستسهل الأمر فنبحث أولاً عن معنى كلمة lasso الأنكليزية ولا نكتفي بأنه : حبل في طرفه أنشوطة لصيد الحيوانات، فنجده في مادة «**وهق**» ويقول (لسان العرب) :

(5) نلاحظ أن في السومرية يوجد المقطع = (ā ع) ويترجم إلى الانكليزية arm (= ذراع) ويقرأ رمزه المسماري في الأكادية idum > id (العربية : يد/إيد).

أنظر : F.A. Ali and others ; Introduction to The Study of Ancient Languages, P. 68

(6) في اللهجة المصرية : ولد = وَادْ، وَلْهْ، وَلَ. وفي النداء : يادْ (ياء النداء + حرف الدال فقط). وكذلك : يا وا (ياء النداء + حرف الواو فقط).

«الوَهَق : الحبل المغار يرمى فيه أنشوطة فتؤخذ فيه الدابة والانسان، والجمع : أو هاق وأوهق الدابة : فعل بها ذلك . . . ومنه قول عدي بن زيد العبادي :

بكر العاذلون في فلق الصبـ * ـح يقولون لي : أما تستفيق ؟
ويلـومـون فيك يا ابنة عبـــ * ـد الله، والقلب عندكم موهوق .

وفي حديث علي : وأغلقت المـرء أوهـاق المنية . الأوهاق : جمع وَهَق، بالتحريك ـ حبل كالطِّوْل تشد به الابل والخيل لئلا تندّ» .

فهل يكفي هذا لنقول إن رمز الواو على شكل حبل ذي أنشوطة جاء من «وهق» ـ أول حرف في الكلمة ؟

في المصرية يسمى هذا الحبل (الطِّوْل تشد به الابل والخيل) «وأ» w 3 ـ ومنه مشتقات كثيرة تتصل بمعاني الربط، والشد، والوثاق . . الخ . (راجع معجم «غاردنر» ومعجم «بدج» لمزيد من التفصيل) . وهذا ما يأخذنا إلى مادة «وأى» في العربية فنجدها تقول :

«**الوأي**» : الوعد . .

وأصل الوأي : الوعد الذي يوثقه الرجل على نفسه ويعزم على الوفاء به . . ووأيت له على نفسي، أئي، وأياً : ضمنت له عِدَةً وأنشد أبو عبيد :

وما خُنْتُ ذا عهد وأيت بعهده * ولم أحرم المضطر إذ جاء قانعاً

. . . يقال : وأيت لك به على نفسي وأياً . والأمر : أَهْ، والاثنين : إياهْ، والجمع : أَوْا . . . وتقول : إيها وعدت، إيا بها وعدتما ـ كقولك : ع . » .

من هذا النص عن ابن منظور، وقد اختصرناه خشية الاطالة، نرى أن مادة «وأى» العربية قابل «وأ» في المصرية حسّاً ومعنى . فالوأي في العربية هو الوعد الذي «يوثقه» الرجل على نفسه، هذا من «الوثاق» الذي هو «الطِّول» وهو ذاته «الوهق» الذي نعرفه أيضاً باسم «الثبت»، وهو بعينه الحبل الذي «تشد» (توثق) به الدابة . إما لصيدها أو منعاً لها من أن تندّ .

وهذا هو منشأ الرمز الهيروغليفي ಌ الذي يمثل حرف الواو ـ جاء من «وأى» العربية ـ «وأ» المصرية .

6 ـ [رمز] : (باء) B :

معنى الرمز الهيروغليفي : «ساق . قدم . رجل» .

في المصرية : «ب و» bw = «مكان، مكانة» ـ (Place, Position) . (غاردنر ـ ص 457) . ويذكر الدكتور التونجي (عبقرية العرب ـ ص 192، 199) أن «پايه» بالفارسية معناها «درجة ومنزلة» وهي مُركبّة من كلمتين : «پا» = القدم + «يه» للتشبيه والنسبة . وعندهم : الثقيل والمؤسس، أي ذو القدم الراسخة، ذو المنزلة والمكانة . ومن هذا جاءت كلمة «**باشا**» (با = رجل، قدم + شاه = الملك . قدم الملك) . وكلمة «**بيك**» = رسول السلطان على رجاله، وهو الذي يسعى بالكُتُب على

قدميه. في الأصل باؤها فارسية مفتوحة، ثم عُرِّبت قديماً إلى (فيج) واستخدموها بمعنى الشرطي. دخلت السريانية بلفظة paiga» (التونجي؛ ص 238 ـ 239).

ومن العجيب أن تتحول «بيك» في مصر إلى «بيه» وفي الجزائر إلى «داي» وفي تونس إلى «باي» وفي الشام إلى «بيك»، وتظل في ليبيا «بَيْ». وهذا أقرب الأصوات إلى الجذر الأصلي، ثم أن ترجع إلى «با» الفارسية بمعنى «قدم».

هل قلنا فارسية؟

بل هي مصرية قديمة: با = قدم.

بل هي عربية صميمة. ولنقرأ:

«**البؤبؤ**: السيد الظريف الخفيف.

والبؤبؤ: الأصل.

قال ابن خالويه: «البؤبؤ، بغير مدّ، السيد، والبؤيبية: السيدة. (قارن اللهجة الليبية: البيّ = السيد. البيّة = السيدة).

قال ابن السكيت: «**البؤبؤ**: السيد الكريم» ولا يغيب عن بالنا أن «**بؤبؤ» هذه ليست إلا مضاعفة لـ«بؤ» التي تساوي المصرية «ب ء» أو «ب» (قدم، مكانة)**. وأمر المضاعفة في العربية، كما في المصرية، مشهور معروف لا يحتاج إلى بيان.

ثم نقرأ:

«**وبوّأتك بيتا**»: اتخذت لك بيتاً.

تبوّأ: نزل وأقام وسكن.

أباءه منزلاً: هيأه وأصلحه وأنزله ومكّن له فيه.

البيئة والمباءة والباءة: **المنزل**.

الفرّاء: **باء** (بوزن باع): تكبر كأنه مقلوب من «**بأى**».

البأي: العظمة.

البأو: الكبر والفخر. قال حاتم:

وما زادنا بأواً على ذي قرابةٍ. * غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقـر

تأبّى نفسه: رفعها وفخر بها».

نرى من هذا أن ما عُرف في المصرية والفارسية من دلالة «با» على «**المكانة**» والمنزلة والمقام الرفيع، كما دلّ على المكان أيضاً، هو ذاته في العربية: (مكان، مكانة، منزل، منزلة، مقام ـ حساً ومعنى).

أما أن تكون «با» تعني «قدم» في الفارسية، فليس ثمة ما يمنع من أن يكون المعنى البعيد لكلمة «بَاءَ» (رجع وعاد) في العربية ومشتقاتها هو ذاته معنى «القدم» لصلة هذه بالمشي والسير تماماً مثلما اشتقت «بيك» الفارسية من: «سعي رسول السلطان على قدميه».

وينبغي ألا يغيب عن بالنـا أن «البـاء» في العربية مأخوذة من «البيت» الكنعانية/العربية ومعناها : المنزل والمكان والسكن والمقام : باء، يبوء، بوءاً. أو من «بات» = سكن واستقر. والجذور «بأى» و«باء» و«بوأ» تدور مشتقاتها حول السكن والمنزل من جهة ـ أي المقام ـ وحول المشي والسعي ـ العودة والاياب والرجوع خاصة ـ من جهة أخرى. لكن الجذرين bāu, b'au في الأكادية يعطيان معنى «ذهب» ومعنى «جاء» معاً. وهنا يمكن أن نقارن «قدم» في العربية التي منها «قدِمَ» أي جاء، ومنها «قَدَمٌ» أي الرِّجْل وكذلك «قادم» أي آتٍ و«مقدام» = ذاهب بجسارة.

الملاحظة الجديرة بالذكر بالنسبة للمصرية أن العلماء أرجعوا الحرف الرمز (ب) إلى : قَدَم، رجْـل (Foot) . بيد أن المعـاجم كلهـا تذكـر أن BW تعني «مكـان» (Place) أو «منزل» أو «مكانة» . . . الخ . وكلها تدور في فلك واحد. وحين نقول في العربية : «حيّاك الله وبيّاك» فإن «بيّاك» ترجع إلى «بيّأك» أو «بوّأك» مكاناً علياً، أو مكانة سامية. أعني حرفياً : جعلك «بيأً» أو «بيكاً» ـ إن ذهبت إلى الفارسية.

7 ـ □ : پ (باء فارسية، مثلثة P) .

يوصف الرمز الهيروغليفي، وهو كناية عن مربع مغلق، بأنه : «مُجْثَى، كرسي الركوع» (Stool, Foot Stool) أو نحوه. ويقابل في العربية حرفي «الفاء» و«الباء» بحسب سياق الكلمة.

لكن الصلة بين هذا الرمز وما فُسِّر به تظل غير واضحة ولا منطقية، إذ إن المجثى أو كرسي الركوع وما إليه[7] قد لا يكون المقصود من هذا الرمز.

وقد فَسَّرَه «غاردنر» مرة (ص 565) بأنه : ركيزة عمود (pedestal) أو قاعدته، أو أساس (Base) في العصر البطلمي □ = ب = مقعد (Seat) . ثم بالكلمة القبطية : پؤي (Pōi) وتعني : «مقعد، دكة، صفة» Bench (ص 500) .

كلمات : (Stool, Pedestal, Seat, Bench) هذه التي تُرجمت بها «پ» المصرية تعني باختصار : «كرسي، مجلس، مقعد». بعبارة أخرى : «منزل، مكان، موضع» وما إليها. ونعتقد أن هذه لا تخرج عن الجـذر «بـوأ» في العربية الذي تدور مشتقاته حول معاني : المنزلة والمكانة والمجلس. تقول : تبوأت منزلاً، أي : نزلته. وفي قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ﴾ جعل الايمان محلاً لهم ـ على المثل. وقد يكون أراد : وتبوأوا مكان الايمان، وبلد الايمان، فحذف. وتبوأ المكان : حلّه. ومن ذلك : البيئة والباءة والمباءة = المنزل (المجلس).

وفي الحـديث : «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار». (راجع مادة : بوأ ـ في «لسان العرب» لمزيد من التفاصيل).

وهذا قد يدفعنا إلى القول بأن الرمز الهيروغليفي □ الذي نُقْحِرَ[8] في اللاتينية باء فارسية P

(7) من معاني Stool : كرسي بدون مسند للظّهر غالباً صغير واطىء. كرسي الأسقف. كرسي بيت الراحة (المستراح). مجلس. . . إلخ.

(8) نُقحر = نُقِل حرفيًا. النقحرة = النقل الحرفي (Translitiration).

هو في أصله باءٌ نشأ عن العربية «بوأ» التي تؤدي معنى : المجلس والكرسي والمقعد وما إليها بسبيل .

وينبغي ، أخيراً ، ألا تفوتنا الصلة الصوتية بين الباء B والباء الثلاثية P . كذلك نجد الصلة الدلالية وثيقة في العربية بين «باء» التي انحدرت منها الباء B و«بوأ» التي جاءت منها الباء الثلاثية P .

لقد سقنا هذا التحليل متابعة لتفسير «غاردنر» لمعنى الرمز □ . غير أن «بدج» (Budge ; Egyptian Language, p. 30) يذهب مذهباً أقرب إلى القبول إذ يرى أن العلامة □ في أصلها الكامل قبل أن تُجرد كانت تمثل باباً مصنوعاً من عدد من ألوان الخشب سُمّرت عليه ثلاث قطع تُصَالِبُ الألواح.

ويُضيف : «ولا يوجد في المصرية كلمة ، في الاستعمال الشائع على كل حال، تعني الباب وتبدأ بحرف الباء المهموسة P . ولكن ما يقابل الباء في المصرية ، كما هو الحال في العبرية ، ينبغي أن تُربط بجذر (فتح) To open ، وهي في المصرية (ب ت ح) pth .

وكما نعرف فإن الرمز الأول في هذه الكلمة يبدأ بالصوت «ب» P وليس بحرف آخر، وعلى هذا يمكننا افتراض أن الكلمة المصرية التي تقابل (باب) Door تبدأ بحرف «P» .

وطبيعي أن الأستاذ «بدج» لم يكن بحاجة إلى كل هذا العناء لو انتبه إلى العربية «فتح» فهي تُغنيه كثيراً باشتقاقاتها التي لا تكاد تُحصى . وهذا باعتبار أن P تقابل حرف الفاء . وهو أيضاً نسي الكلمة العربية الأخرى «باب» . وهي موجودة في المصرية (ب ب و B B W) ـ ومؤنثها (ب ب ت B B.T) . (أنظر : (Faulkner : a Concise Dictionary, p. 77, 82).

ونجد p تقابل b إذا اعتبرت باءً موحّدة عند مقابلة المفردات[9] .

والحقيقة أن هذا الصوت (الباء المهموسة p) لا يوجد في العربية المسجلة على الأقل، وقد تكون وجدت في البداية ثم سقطت واستُعيض عنها بالباء المفردة أو بالفاء . ويشير إلى هذا أن مقابلة المفردات المصرية التي تبدأ بهذا الصوت أو تتضمنه بالعربية تؤدي إلى الفاء أو الباء[10] .

---

(9) يتبادل صوتا الباء الموحدة B أحياناً في اللغة المصرية ذاتها. فكلمة Payt هي ذاتها كلمة Bayt (house) . العربية : «بيت» . (أنظر : (Budge ; An Eg. Hier. Dict., Vol. I. p. 231) .

ومن الجائز أن يكون حرف الباء المهموسة p من Payt (بيت) . وقد يرجح هذا المذهب رمزه الهيروغليفي الأصلي الذي هو عبارة عن باب البيت فإن نظرنا إليه في صورته المجردة ـــ وجدناه عبارة عن جدران أربعة (رمز البيت) . ونضيف إلى هذا أن منشأ حرف الباء في الكنعانية ، وفي العربية كذلك، كان من كلمة «بيت» وهو في العربية ، كما نلاحظ، ذو جُذُرٍ ثلاثة بـــ ربما كانت أربعة في البداية تشابه الرمز الهيروغليفي . أما النقطة تحت الباء العربية فقد زيدت حديثاً نسبياً ولم تكن موجودة من قبل. وهي انتقلت إلى اليونانية باسمها العروبي «بيتا» Beta كما هو معروف، منقولة عن الكنعانية .

(10) مصداقاً لهذا القول نجد في المصرية القديمة كلمة : «پ ء» (p a) = عاد، رجع . تحولت من العربية مرة إلى باء موحدة : بَاءَ = رجع وعاد. ومرة إلى فاءٍ : فَاءَ = رجع وعاد.

ومهما يكن الأمر فإن هذا الرمز/ الحرف □ لم يخرج، تأسيساً على تفسير العلماء لأصله، عن العربية في كل الأحوال.

8 ـ F : ف (الفاء).

معنى الرمز الهيروغليفي : «حية قرناء. أفعى» (horned viper).

في المصرية : f t «ف ت» = «حنش. أفعى» d w.f t «دو. ف ت» = «جبل الحنش» (حرفياً : طود الأفعى).

fy «ف ي» (في الكتابة الديموطيقية) = «أفعى».

dd. ft «دد. ف ت» = «أفعى الطوط» (ضرب من الحيات طويل/راجع «لسان العرب» مادة «طوط») أو : الأفعى الدودية/الدود **الأفعى**. (غاردنر، ص 476).

من الثابت أن الحرف/الرمز الهيروغليفي الذي يدل على «الفاء» مشتق من «ف ي»و «ف ت» (أفعى). ومن الواضح أن «ف ت» مؤنث «ف ي» وأن هذه الأخيرة هي «ف ع ي» بسقوط حرف العين.

إذا بحثنا في معجم العربية لا نجد «أفعى» في مادة «أفع» بل في مادة «فعا» مما يشير إلى أن الجذر هو «فعا» الذي يبدأ بحرف الفاء وليس «أفع» الذي يبدأ بالهمزة. ولذا مدلوله في نشأة الرمز الهيروغليفي صوتياً عن مادة «فعا». ويذكر ابن منظور بالتحديد ما نصه :

«سئل ابن عباس عن قتل المحرم الحيات فقال : لا بأس بقتل (**الأَفْعَو**)... فقلب الألف فيها واواً في لغته، أراد **الأفعى** ـ وهي لغة أهل الحجاز. وقال ابن الأثير : ومنهم من يقلب الألف ياء في الوقف : الأَفْعَيْ. (قارن : ف [ع] ي)... **وهمزتها زائدة**».

هذه الهمزة في «أفعي» إذن زائدة. فهي ـ بحسب اختلاف اللهجات : **فعا، فعو، فعي**. وهي تطابق «ف [ع] ي» المصرية ومؤنثها «ف [ع] ت».

فإن شئنا تتبّع أمر الهمزة إلى مداه أشرنا إلى أن زيادتها موجودة في المصرية كما وجدت في العربية، وقد حلّت الحاء محل الهمزة. (فهناك في المصرية : «ح ف ء و» ḥ f a w (غاردنر ـ ص 476) ـ وفي الصفحة ذاتها تحليل لطيف لأنواع الحيّات وأسمائها في المصرية التي لا تخرج عن العربية أبداً). ونلاحظ في «ح ف ء و» هذه أن الهمزة أبدلت حاءً والعين أبدلت همزة : ح ف ء و > **أ ف ع و = أفعو (بلغة أهل الحجاز)= «أفعى»**.

والبحث في هذا الموضوع يطول ؛ إذ هناك أسماء كثيرة لأنواع الأفاعي في العربية : الحنش، **الثعبان، الصل، الحية... الخ. دعك من أوصافها. وكذلك في الأنجليزية** : Viper, Snake, Serpent, Reptile. **والشيء نفسه في المصرية** : ḥ f a.t, f y, f.t, d d **وليس هنا مجال الإطالة فيه. ما يهمنا أن «ف ت» هذه التي نشأ عنها حرف الفاء سماها «غاردنر»** Horned viper (باللاتينية Cerastes Cornutus) **(الحية القرناء) [في اللهجة الليبية : أم قرين] وغني عن البيان القول بأن أسماء الأفاعي**

في العربية لا تعني ترادفاً، بل لاختلاف أوصافها وأشكالها. وهذا ما جعل ابن منظور يقول إن رأس «الأفعى» عريض كأنه فلكة «ولها قرنان». وهذه ذاتها هي «الفعو» (fy = ف [ع] ي) أو «الفعت» (ft = ف [ع] ت) عندما تؤنث.

كلمة أخيرة: في اللهجة الليبية تسقط الهمزة عادة، فيقال: «لِفعْ» و«لِفْعة» (لاحظ التأنيث والمعنى: الأفع/الأفعو، والأفعى (الأفعة).

9 - : م (ميم) M .

معنى الرمز الهيروغليفي: «بومة. بوم» - owl . في (اللسان): «**البوم**: ذكر الهام - واحدته: بومة. قال الأزهري: وهو عربي صحيح.

يقال: بومٌ بوّامٌ: صَوَّاتٌ. الجوهري: البوم والبومة طائر يقع على الذكر والأنثى حتى تقول «صدى أو فيّاد» فيختص بالذكر».

وهذا يشير إلى أن كلمتي «بوم» و«بومة» اللتين تقعان على الذكر والأنثى دون تمييز ترجعان في الأساس إلى الصوت الذي يصدره «الهام» أو «الصدى» أو «الفياد» إن كان ذكراً - فهو بوّام أي: صوَّات. ولعل هذا الصوت نفسه هو الذي أدى إلى تقارب اسم هذا الطائر في مختلف اللغات، فهو في الأرمنية: «بوُ» bu و«بويك» buec . وفي اللاتينية: «بوبو» bubo . وفي اليونانية: «بوا(س)» bua(s) والتي لعلها في الأصل: «بوبو» bubu أو: «بومو» bumu . ويذهب الأستاذ «إمبير» (Ember ; 10 – B) إلى أن اسم هذا الطائر في المصرية كان كما يبدو «بو» bu - تحولت بعدئذ إلى «مو» mu - وذلك لشيوع تحوّل حرف الباء في المصرية إلى حرف الميم. وهو يضرب لذلك أمثلة عديدة منها:

(ك م ء) < ك ب ء < ك ب ر = كبر، كبير Powerful, Great .
ت ن م < ت ن ب < ط ل ب = طَلَبَ Ask .
ج م ء < ج ب ء < ج ب ل = جبِلَّة، جَبَلَ Create, Shape .
و ش م < و ش ب < = وشب (خَلَطَ). عجن Knead .
ع م < ع ب = عَبَّ Swallow .
ن هـ م < ن هـ ب = نهب Take away, Rob.
خ ن م < خ ن ب = خنب (خلب = سرق). Seize .

في هذه الحالات، وأمثلة عديدة أخرى، تتحول الباء إلى ميم. وهذا يُرجح أن اسم الطائر المرسوم في المصرية قد يكون «ب ب» (**بوبو - بوبا**) أسوة بما هو حادث في الأرمنية واللاتينية واليونانية - بتكرار الحرف الواحد. أو قد يكون «ب م» (**بومو = بوم. بوما = بومة**). وهذه هي الكلمة العربية بعينها التي لا نعرف عن أصلها شيئاً سوى كونها محاكاة لصوت الطائر حين يُصوّت. وقد يكون تكراراً لحرف الباء، أو حرف الميم، وهما قريبان بعضهما من بعض. ولما كانت العربية تنفر من تكرار حرف واحد في ألفاظها فقد جمعت بين الباء والميم في الكلمة «**بوم - بومة**».

هذا ما يراه «امبير». أما «غاردنر» (ص 469). (قارن : Budge ; Egyptian Language, p. 31) فهو يورد الكلمة القبطية «مولاغ» Moulag باعتبارها تعني «بومة» owl **وقد تكون من بقايا المصرية القديمة**». ولعلها أصل حرف الميم الذي تبدأ به الكلمة. الأستاذ أنيس فريحة (في اللغة العربية وبعض مشكلاتها، ص 148) يذكر من جهته أنه «**في الكتابة المصرية القديمة كانوا يصوّرون البومة أمام كل لفظة تبدأ بحرف الميم لأن البومة، في اللغة المصرية القديمة، كانت تسمى مولاغ**».
ويضيف الأستاذ فريحة قوله : «وبقايا هذه الطريقة لا تزال شائعة في كتب تعليم الصغار حروف الأبجدية ؛ فصورة البطة ترمز إلى حرف الباء وصورة الكلب ترمز إلى حرف الكاف، وهذا التطور في الكتابة كان معمولاً به في الكتابة المصرية القديمة. ولسنا نشك في أن الفينيقيين أخذوا هذه الفكرة عن المصريين القدماء».

هل يمكن بعد هذا القول بعروبة اسم البومة في اللغة المصرية القديمة «مولاغ» Moulag الموجود في القبطية حتى نستنتج أن حرف الميم (ممثلاً في صورة البومة) نشأ عن هذه الكلمة ؟

لنعد إلى (اللسان) ونقرأ في مادة (ملع) :

«**عُقاب ملاعٍ، مضاف، وعقابٌ مُلاعٌ ومِلاعٌ وملوعٌ** : خفيفة الضرب والاختطاف.

قال امرؤ القيس :

كأنّ دثـاراً حلقت بلبونــه * **عقاب ملاعٍ** لا عقاب القواعل

. . . وقيل : اشتقاقه من الملع الذي هو العدو الخفيف.

وقال ابن الاعرابي :

عقاب ملاع تصيد الجرذان وحشرات الأرض».

ونقـرأ :

«ومن أمثالهم قولهم : أودت بي **عقاب ملاع**. قال بعضهم : **ملاعُ** مضاف، ويقال **ملاعٌ** من نعت العقـاب أضيفت إلى نعتهـا. قال أبـو عُبيد : يقال ذلك في الواحد والجمع وهو شبيه بقولهم : طارت به العنقاء، وحلّقت به عنقاء مغرب. قال أبو الهيثم : عقاب ملاع هو (العقيّب) الذي يصيد الجرذان يقال له بالفارسية : موشْ خوارْ. ومن أمثالهم : لَأنتَ أخف يداً من عقيّب ملاع يا فتى، منصوب. قال : وهو عقاب تأخذ العصافير والجرذان ولا تأخذ أكبر منها».

وليس يهمنا هنا أن تكون «ملاع» مضافاً أو صفةً، وإن كان لهذا الاختلاف دلالته، ولكن يهمنا معرفة أن «عقاب ملاع» (العقاب الملاع ـ باعتبار «ملاع» صفة) عبارة عن «عقيّب» خفيفة الضرب والاختطاف، تصيد الجرذان وحشرات الأرض وتأخذ العصافير ولا تأخذ أكبر منها، كما ورد. وهـذه كلهـا صفـات «البومة» (وخاصة صيد الحشرات والجرذان) إذ نحن نعرف قطعاً أن «العقاب من عتاق الطير» بل إن «عتاق الطير هي العقبان». وهي التي لا تصيد الخشاش، أي الحشرات ونحوها (أنظر مادة : عقب). وإذا وجدت «عقبان الجرذان» كما يقول أبو حنيفة، فهي ليست بعتاق، وليست بسودٍ ولكنها كهب «ولا ينتفع بريشها». **فهي إذن شبيهة بالبومة**، وهي طائر يصيد الخشاش والحشرات.

فإذا أضفنا أن «مـلاع» صفة لهذا الطائر (العقيّب/العقاب تجاوزاً) فإن الصفة تغني عن الموصوف ـ حسب القاعدة المعروفة.

من هذا كله نأتي إلى القول بأن «الملاع» في العربية تعني «البومة» أو طائراً يُشبهها ـ وهي ما يقابل في المصرية[11] «مولاغ» Moulag ومن بداية اسم هذا الطائر برز حرف الميم في المصرية على شكل البومة[12].

10 ـ : ن (نون) : N :

معنى الرمز الهيروغليفي : «ماء. مياه. أمواه» (تموجات مائية).

من هذا الجذر في المصرية : «**ن و ى**» nwy = ماء. فيضان. ويؤنث : «**ن و ي ت**» n w y t ، «**ن و ت**» t w n «**ن ت**» n t . وكلها بمعنى : «ماء». (غاردنر ـ ص 573)، ووردت في «كتاب الأموات» : «ن و» n u = ماء.

في اللغات العروبية الأخرى نجد أن الجذر «نون» يعني السمك أو ما كان يعيش في الماء من حيوان. في الأكادية مثلاً : «**نونو**» Nunu تعني : سمك (Weir ; A Lexicon of Akk. Prayers, p. 252) وفي العربية : **النون** = الحوت. وقالوا : النون = السمكة. وفي التنزيل العزيز : ﴿**وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً**﴾ هو يونس النبي، سماه الله «ذا النون» لأنه حبسه في جوف الحوت الذي التهمه. والنون : الحوت. (لسان العرب، مادة : نون).

في أسطورة الخلق المصرية أن جبلاً برز من هيولي الماء (**نون**) وفوقه المعبود «**أ ت م**» (التام = الكامل) وهو الذي خلق نفسه ثم مضى ليخلق المعبود «**ش و**» (الهواء = جَوٌ) والربة «**ث ف ن ت**»

---

(11) أعني المصرية الحديثة أي القبطية كما تنطق الآن. وأمّا الجذر الأصلي فهو «م ل غ» أو «م ل ع».

(12) بعد كتابة هذه الفصلة عثرت على كلمة «ملالاغو» mlalaغ u في اللهجة الشلحية (السوس، بالمغرب الأقصى) ويقول عنها (ديستان) إنها «عقاب ذات ريش أبيض، تسمى في العربية (رخمة) ويقال إن لحمها يطعم للأطفال المرضى علاجاً (للكبد)».

(Destaing ; **Textes bérbères en parles des chleuhs du Sous, p. 175**) . وواضح أن اللام في «ملالاغو» مزيد، والجذر هو «ملغ» = «ملع»، بتعاقب العين والغين.

ويبدو أن الكلمة دخلت اللغة الاسبانية عن طريق شمال أفريقيا، أو هي بقية من العربية أيام الأندلس، إذ نجد في قاموسها كلمة miloca بمعنى «اسم نوع من البومة».

(أنظر : F. Corriente ; **Neuvo diccionario Español-Arabe**) . كورينتي ؛ **معجم جديد إسباني ـ عربي** . المعهد الاسباني العربي للثقافة، مدريد، 1988م).

ثم قرأت في معجم اللاتينية الاشتقاقي.

(Ernout et Meillet ; dictionnaire étymologique de la langue latine, Paris 1985) : كلمـة miluus و miluos بمعنى : حدأة، طائر جارح. دخلت الفرنسية في صورة milan ، وهي في الأصل miluago . ويذكر أنها تأتي بصيغة المؤنث milua ، ومن غير الممكن افتراض منشأ لها لا يتفق مع منهج التأثيل، أي أن أصلها (أثلها) ليس لاتينياً. وواضح لدينا أن الأصل ما أوردنا (مولاغ/ملاع).

(الرطوبة. من مادة «تفل» العربية). وقد ولد هذان بعدئذ رب الأرض «ج ب» (جبوب) وأخته ربة السماء «ن و ت» (مؤنث «نوء» = النجم). إلى آخر الرواية.

(أنظر: M. Lurker ; The Gods and Symbols of Ancient Egypt, p. 42).

وأورد ابن منظور رواية عن ابن عباس أنه قال: «أول ما خلق الله القلمَ فقال له: اكتب. قال: أي رب.. وما أكتب؟ قال: القدر، قال: فكتب في ذلك اليوم ما هو كائن إلى قيام الساعة. **ثم خلق النون ثم بسط الأرض عليها.** فاضطربت النون فمادت الأرض فخلق الجبال فأثبتها بها».

وقد فُسِّرت «النون» بأنها السمكة أو الحوت بحسب التصور الأسطوري للخلق على رأي ابن عباس، لكن اسطورة الخلق المصرية تجعل «النون» هو الماء. ومن المرجح جداً أن «النون» كانت تعني «الماء» في العربية أصلاً. ثم انصرفت إلى الحوت أو السمكة. بل الأقرب إلى التصور في القول المنسوب إلى ابن عباس «ثم خلق النون ثم بسط الأرض عليها» أن يكون **المقصود من «النون» هو «الماء»** وليس الحوت.

وفي القبطية، وريثة المصرية القديمة، نعرف أن كلمة «**نون**» Noun بحذافيرها تعني: «ماء». وقد يكون العكس، فأطلق المصريون «النون» على الماء وكان يعني في البداية الحوت. وكلا الأمرين جائز من باب إطلاق الخاص على العام أو العام على الخاص.

ومع كل هذا تظل الصلة وثيقة بين معاني «النون» في جميع اللغات العروبية، وهي صلة الماء بالسمك التي لا تنفصل عراها.

11 ـ ر(راء) R:

معنى الرمز الهيروغليفي: «فم»

يقول «غاردنر» (ص 452) إن منشأ هذا الحرف/الرمز كلمة «ر ء» R 3 (في القبطية Rŏ) ومعناها الشائع «فم» لكن من معانيها كذلك: «حديث، كلام، لغة، سحر» (تعويذة) وما يتصل بنشاط الفم خاصة عند الكلام.

على هذا قد يكون الجذر العربي «رَوَى» (رَوَى، يروي، رواية) أصلاً له، وهذا أمر غير مستبعد.

لكننا نلاحظ، عند المقارنة، أن هذا الحرف يقابل في الكنعانية حرف الراء ويُكتب هكذا (وهو غير بعيد من الرمز الهيروغليفي). ويسمى «**ريش**». يقابل في العربية: «**رأس**». (الخازن؛ من الساميين إلى العرب ـ ص 39). وفي الأبجدية الليبية هو عبارة عن دائرة تمثل شكل الرأس. وهو أيضاً عبارة عن تدوير كامل للرمز الهيروغليفي لحرف الراء. فهل

يكون أصل الرمز الهيروغليفي «رأس» («ريش» الكنعانية) كان دائرة في الليبية واتخذ شكلا بيضاويا في المصرية[13] ؟

يقول أغلب العلماء إن الشكل الهيروغليفي يمثل فماً مفتوحاً إشارة إلى الكلام وما يتعلق به R 3 . لكن هذا الشكل فيما نرى أقرب ما يكون إلى العين، فإذا تأملناه جيداً وقارنّاه بحرف العين في العربية «عـ» الذي تطور عن شكل العين البشرية (> > C > «عـ») ملنا إلى القول بأن الرمز الهيروغليفي يرمز إلى العين وليس إلى الفم كما هو شائع.

وإذا كان الباحثون ذهبوا إلى فمّية الشكل وليس إلى عينيته انطلاقاً من وجود كلمة r 3 (= كلام/رواية. رَوَى) وبدايتها حرف الراء الذي نشأ عنها، كما يقولون، فإن الكلمات التي تدل على العين وما يتصل بها في المصرية وتبدأ بحرف الراء أكثر من ذلك.

هناك مثلاً : «روء» r w 3 وتُترجم عادة إلى Consider = فكر - اعتبر - نظر. وعربيتها الجذر «روى» (رأى، رؤية. تروّى، رويئة، رويّة).

وهنـاك : «رع» R3 (الشمس. المعبـود «رع» إلّـه الشمس. راع. حارس). والأصل في العربية : رأى، رعى - وهما يتبادلان لفظاً ومعنى.

وهناك «ر م ي» « r m i » (دمع) ومنها : «ر م و» r m w (نحيب، بكاء) وعربيتها : «رمع» (حركة الأنف والعين عند البكاء)(في الأصل.

ومنها : ارمعلّ الدمع، أي سال (وكذلك : ارمعَنَّ) رمي (السحاب الممطر/الباكي) والرمل (المطر الخفيف/البكاء الخفيف على التشبيه). ونضيف إليها ما يتعلق بالعين من الجذر «رم» : رَمَش، رَمَص، رَمَدَ، رَمَقَ. . الخ.

12 - : هـ (هاء) H :

يقول «غاردنر» (ص 493) إن الرمز الهيروغليفي = H ويعني : «حُجرة» Room وهذا أصل الحرف/الرمز. ومن رأيه أن الرمز يعني وقاءً مصنوعاً من الغاب Reed-shelter (في اللهجة الليبية : حلّاق) - «ولعله هو ذاته الذي لا يزال يُرى في حقول مصر». ويذكر أن هذا الرمز يُقـرأ في بردية متـأخـرة موجودة في كوبنهاغن «ب ر. ن. س خ ت» Field – House (حرفيا : بر السخاخ = حوش السخاخ) باعتبار هذه الجملة أحد أوصاف هذا الرمز الهيروغليفي.

نلاحظ أن بداية الكلمات المتعلقة بهذا الرمز تبدأ بحرف الحاء (حجرة. حلّاق. حوش). فهل كانت الهاء إبدالاً للحاء في هذه الحالة ؟

---

(13) قارن شكل حرف الراء في اليونانية p وفي اللاتينية R . وقد أخذت الأخيرة عن الأولى حرف الراء p وحوّرته إلى R . وكانت اليونانية حوّلت الراء الكنعانية إلى p . والكنعانية ذات صلة بيّنة بالشكل الهيروغليفي . ومن الجائز أن المقصود بشكل حرف الراء في الهيروغليفية أصلا «رأس» ليتفق في تسميته مع بقية الأبجديات.

إن لنا أن نضرب أمثلة يكون الأمر فيها كذلك :

h 3 t «هـ ء ت» : Ceiling, Roof . العربية : حيط .

h y «هـ ي» Hail العربية : حيّىَ .

h p «هـ پ» : Judge, Law العربية : الحافي (القاضي) .

h m «هـ م» : burn, Hot . العربية : حمى .

h m h m t «هـ م هـ م ت» : roaring, war – cry العربية : حمحمة .

h d «هـ د» : Punish . العربية حدٌّ (عقاب) .

ومن الجائز أن يكون الحاء هو الأصل ثم تبدل إلى هاء لقرب مخرج هذين الصوتين الحلقيين . وهذا ما قد يجعل أية كلمة من الكلمات المذكورة (حجرة . حلاق (حَلَق) . حوش) والقريبة من الرمز الهيروغليفي أصلاً له[14] .

يؤيد ما ذهبنا إليه ما يورده «غاردنر» (ص 494) (15/0) من رسم كامل غير مبسط لمبنىً مُسَوَّر يشبه كل الشبه رمز حرف الهاء في الهيروغليفية بعد تجريده إلى خطوط ، ويقرأه «و س خ ت» (w s ḫ t) ويترجمه : Hall . وعند «فولكنر» (ص 69) ، Court hall, = «قاعة ، باحة ، صحن المنزل ، ساحة[15]» .

ومن المؤكـد أن هذه الكلمـة w s ḫ t (و س خ + تاء التـأنيث) ترجع إلى العربية «وسع» (وسعة/بإبدال بين الخاء والعين) .

«الواسع = من أسماء الله الحسنى - : المحيط بكل شيء ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ . الله واسع عليم : محيط العلم بكل شيء» . (قارن : حوط . أحاط . حيط/حوط = حوش) .

وفي اللهجة الليبية تعني «وسعاية» - سواء كانت داخل البيت أم خارجه : «ميدان ، قاعة ، ساحة» . . . الخ . Court, Courtyard, Hall.

وأخيراً فإن مقابل كلمة «حُجرة» أو «غرفة» Room التي ترجم بها غاردنر هذا الرمز ليست إلا «حائط» (جدار ، حيط . المصرية : «ح ت» ḥ t) التي نشأ عنها هذا الحرف/الرمز في الهيروغليفية[16] .

13 - 𓎛 : ح (حاء) : Ḥ :

معنى الرمز الهيروغليفي : «فتيلة كتّان» .

---

(14) في الأكادية أُبدلت الحاء خاء فصارت «حوش» : «خشو» khuššu بمعنى مَكان محصور ، سور Enclosure. Fence . ولا شك أن ثمة صلة بين «خشّ» (دخل) و«حوش» و«حشا» إذ تفيد كلها الدخول في محيط .

(15) «س ح» (sḥ) عند فولكنر (ص 237) . وعند بدج (Eg. Lang., p. 78): Hall وBooth وCouncil . العربية : «ساح» .

(16) راجع (Budge : An Eg. Hier., Dictionary) في حرفي h وḥ تجد أغلب الكلمات العروبية الأصل ترد في حرف الهاء كما ترد في حرف الحاء . وهذا دليل على تبادل الحرفين في المصرية القديمة .

أقرب كلمة عربية تؤدي المعنى تماماً من حيث الشكل المرسوم والتي نرجح أن حرف الحاء - رمزاً ونطقاً - جاء منها هي : «حبل».

ويُرجح هذا المذهب ما يذكره «مارسيل كوهن» . (Essai Comp., p. 105) من أن كلمة «ح ن ب» ḥ n b في المصرية تفيد معنى «حبل» العربية (Corde) - وذلك عن طريق إبدال اللام نوناً وعن سبيل القلب : (ح ن ب> ح ل ب> ح ب ل > = حبل).
قارن معجم فولكنر : ḥ n b = أوصل، وصَّل = حبل).

وعند «غاردنر» (Eg. Gram., P. 586). . ḥpɜ (ḥbl) : Naval – String = «حبل سُرِّي».
(لاحظ أن «سُرّة» أصلاً تعني الحبل، من «أسَرَ» = شدَّ. الاصر : الرابطة).

14 - : خ (خاء) KH, Ḫ.

معنى الرمز الهيروغليفي : «مَشِيمَة» Placenta (في النبات والحيوان). «والمشيمة هو الكيس أو الحوران يكون فيه المولود». (اللسان. مادة : شيم).

ويُعرّف معجم اكسفورد الـ placenta بأنها : مسطح دائري اسفنجي وعائي في الثدييات العليا يُطرح بعد الولادة والمساعدة في تغذية الجنين المتصل به عن طريق الحبل السُّرّي. وفي النبات هو جزء من المبيض تُعلق به البيضيات (أو البذيرات). وجاءت الكلمة من اليونانية (Plakoeis -entos ومعناها : كعكة مسطحة (أو مبططة) flat cake»[17].

في المصرية حسبما يذكر «مارسيل كوهن» (Essai Comparatif, p. 98) تقابلنا كلمة ««خ ء ت» ḫɜt ويترجمها : بيت الجنين (Matrice) - حضن (Sein) - رحم (Ventre) - ولادة (Generation) . وهي كلمة تبدأ بحرف الخاء ومنها جاء الحرف المعني.

فإن كان الأمر كذلك وجاء حرف الخاء من الهيروغليفية عن هذا السبيل، فإن الكلمة العربية التي تعني «مشيمة» وتبدأ بحرف الخاء هي : «الخلاص» - خلاص الوليد.

وبشيء من النظر يمكن أن نتبيّن أن الهمزة في «خ ء ت» المصرية متعاقبة مع اللام في «خلص» العربية[18] فتكون خ ء ت» هي «خ ل ت». فإن كانت التاء أصلية فهي إبدال للصاد في العربية «خ ل ص» وإن كانت من بنية الكلمة فهذا راجع لثنائية الجذر في اللغة المصرية. وبذا تكون «خ ء = «خ ل [ص]».

من جهة أخرى نجد الأستاذ «إمبير» في معجمه المقارن : (Ember : 15-A) يكتب الكلمة المصرية «خ ي» ḫy (Placenta مشيمة) بيد أنه يقابلها بكلمة عربية مختلفة تبدأ بحرف الخاء هي الأخرى : «خويّ» من «خواء البطن». وتقدم لنا مادة «خوي» العربية مجموعة من المشتقات يدور

(17) من الطريف أن نجد كلمة placenta في المجرية palaceinta مستعملة في نوع من الطعام نعرفه في العربية باسم «المحشي» (المَحشوّ). وهو أشكال من الخضر أو العجائن المحشوة، مما يقابل : المشيمة، الوعاء المحشو بالجنين!
(18) يقدم أمبير (Ember : 1-2) اثنتين وثلاثين كلمة مصرية يبدل اللام فيها همزة حين تقابل العربية.

مُعظمها حول التجويف والفراغ، وأوضح ما يتصل بموضوعنا ما جاء في (اللسان) من قوله :

«**خويت المرأة، خواً، وخوت** : ولدت - فخوى بطنها أي خلا». و«**الخواء** : خلو الجوف من الطعام». وقد يكون من أسماء المشيمة placenta : **الخواء** - أي ذاك الذي تخلو منه بطن الوالدة، أو تخوي منه حين تضع وليدها. وهذا ما يقابل في المصرية ẖ ꜣ t **الخوّية - حسب قراءة كوهن)** أو ẖy **(خوى/ خويّ - حسب قراءة إمبير)**.

ومع عدم إغفال الصلة الواضحة بين ẖ ꜣ t «خ ء ت» المصرية و«**خلت**» (بإبدال اللام همزة - لعدم وجود حرف اللام في المصرية وكذلك «**خوت**» - ومعنى الكلمتين العربيتين واحد - فإن من المدهش ما نجده في تعبير اللهجة الليبية عن «المشيمة» باسم «**خوات الصغير**». وقد تكون أساساً «**خَوَت**» الصغير أي الوليد = كيس الصغير أو حوران الوليد. وهي ذاتها «**خ ء ت**» المصرية التي نشأ عنها حرف الخاء في الرموز الهيروغليفية.

15 - : **حاء (خاء)** ẖ

معنى الرمز الهيروغليفي : «جوف حيوان مع حلمات ثدي». يرى «غاردنر» و«واترسون» أن نطق هذا الحرف يكون ما بين الحاء والخاء، فهو أقرب إلى ich الألمانية. وهو يتبادل الوضع مع حرفي الخاء والشين في بعض الكلمات[19].

بيد أن متابعة الكلمات المصرية التي يوجد بها هذا الحرف ومقابلتها بالعربية تبين أنه إلى الحاء **أقرب** (راجع : Ember, 16-B). ومن الجائز أن يكون نطقه مختلفاً قليلاً عن الحاء المشبعة دون أن تتبدل إلى حرف آخر، **كما يفعل عرب السودان مثلاً في نطقهم القاف أقرب إلى الغين دون أن تتحول غيناً**. على هذا فإن الكلمتين العربيتين اللتين أخذ منهما هذا الحرف فيما نرى هما : (1) **حشا** (جوف). ونلاحظ تبادل الحاء والخاء في الكلمتين المرتبطتين : حشا (أحشاء، حشو = جوف، الباطن، الداخل) **وخشّ** (دخل). (2) **حَلَمة** : الهنّية الشاخصة من ثدي المرأة وتُنْدُوَة الرجل (صدره).

---

(19) يتفق علماء المصريات تقريباً على أن الرمز يقابل الحاء ويرمز له من الحروف اللاتينية بـ (ḥ) - (حرف الهاء تحته نقطة، والرمز يقابل الخاء ويُرمز له بـkh وأ ḫ. أما الرمز فقد ساوى (بدج) بينه وبين الخاء كتابة kh وفصل بينهما عند الترتيب في معجمه.

(راجع : Budge ; An. Eg. Hicroglyphic Dictionary)

ولكن أغلب الباحثين رمزوا بـ ẖ (حرف الهاء تحته خط) للدلالة على تميّزه باعتباره صوتاً بين الحاء والخاء. ونشير إلى أن الحاء والخاء يتبادلان كثيراً في الأكادية بالذات. ومن الدلالة أن الجذر «ح ش» (ومنه : حشا، يحشو) يتساوى والجذر «خ ش» (دخل، بطن). ويمكن للقارىء ملاحظة معنى الابطان في (حشي) و(خش) في العربية كتساوي دلالة بَطَنَ مع بَطْن (الجوف)، (المصرية ẖt). قارن تساوي الحرفين في المالطية أو بالأصح وجود ẖ (حرف ما بين الحاء والخاء) في تلك اللغة في كلمات مثل : خبزة ẖubza التي تكاد تنطق : حبزة (بالحاء).

16 ـ (1) 𓋴 (2) 𓊃 : س(السين) ,s/ś

يؤدي كل من هذين الرمزين حرف السين. ومعنى الرمز الأول : كتّان أو قماش مطوي ـ Folded Linen (Cloth). ويذكر «غاردنر» (ص 507) أن **الكلمة التي نشأ عنها هذا الحرف غير معروفة**. وقد يقابل أحياناً حرف الصاد الخفيفة «ś» وإذا تتابع مع حرف الشين «š» حدث إبدال بينهما في الغالب الأعم (ص 587)[20].

فإذا قارنّا هذا الحرف في الكلمات المصرية مع العربية وجدناه يتبادل وحروف أخرى مثل : الشين والصاد والضاد والذال والزين ونحوها. (راجع : غاردنر ـ صفحات 587 ـ 582).

ويذكر «غاردنر» كذلك أن هذا الرمز يُرى كثيراً في أيدي عدد كبير من التماثيل **ولعله منديل (قطعة من القماش)** ـ كما يتخذ رمزاً مختصراً لكلمة **«س ن ب»** (s n b) ومعناها : سلم/سلامة «إبدال بين اللام والنون، والميم والباء». ونلاحظ أن كلمة «سلم» (س ن ب) تبدأ بحرف السين.

الطريف أن يسجل «غاردنر» نفسه (ص 582، 595) أن كلمة **«س ش»**، وتُقلب أحياناً إلى **«ش س»** تعني بالضبط : كتان، قماش Cloth, Linen. وعند «فولكنر» Faulkner, A Concise Dictionary of Middle Egyptian, p. 113) تأتي **«س ي س»** (s i s) بمعنى «قماش» linen أو بالتحديد **«القماش المطوي** ست مرات» Six — weave linen .

وظاهرة الطي في هذا القماش (عند غاردنر : المنديل المطوي) تُفسر لنا شكل الرمز الهيروغليفي 𓋴 على شكل كتان مطوي. (ويمكن للقارىء أن يقارن ما يُعرف في ليبيا باسم «مقطع القماش أو الكتان» وهو لفيفة الكتان تباع كاملة أو يُقتطع منها متراً بعد متر).

السؤال هو : من أين جاءت كلمة **«س ش»**، **أو «ش س» أو «س ي س»** حسب اختلاف القراءات ؟

ما أظن القارىء إلا فطن إلى كلمة ترد على الخاطر في هذا المقام ـ أعني كلمة **«شاش»** بشينين متتاليين، وتستعمل أحياناً بمعنى الكتان أو القماش على وجه العموم، أو بتخصيص ضرب رقيق منه خفيف. ولكن للكلمة استعمالات أخرى.

ففي مصر يُطلق **«الشاش»** على لفائف القماش الطبية تُضمد بها الجراح[21].

(20) يقول «غاردنر» ما نصه :

«Note that the sequence of (sš) and (šs) are Particulary liable for metathesis».

«لاحظ أن تتابع (س ش) و(ش س) على وجه التخصيص عُرضة للابدال» (Gardiner : Eg. Gram., p. 587).

(21) هذا بالنسبة لاستعمال اللفظة في **معنى خاص بمجال التطبيب** غير أن كلمة **«شاش»** تستعمل في اللهجة المصرية الحديثة بمعنى «الثوب» كذلك.

ويُعبّر في تونس عن الصداقة العميقة بين رفيقين فيقال : فلان وفلان رأسان في **«شاشية»** ـ أي يجمعهما غطاء رأس واحد. ونفس التعبير موجود في ليبيا بالصيغة ذاتها أو : رأسان في **«شيشة»**. وليس المقصود طبعاً من كلمة «شيشة» القنينة التي تُدعى كذلك، وأحسبها صيغة أخرى من **«شاشية»** على النسبة، أو أن أصلها **«شاشة»** (مؤنث شاش) وتحولت إلى **«شيشة»**.

وفي تونس يسمى غطاء الرأس «**شاشيّة**» نسبة إلى «**الشاش**» وإن كان غطاء الرأس يصنع من الصوف عادة، أو الصوف المخلوط بالقطن. وفي ليبيا هناك لعبة «**الشاش**» وهي كرة من القماش يتقاذفها اللاعبون، أو كرة من المطاط مغطاة بقماش خاص[22].

وينبغي الاعتراف بأنني لم أعثر على كلمة «**شاش**» أو ما يقاربها بمعنى قماش أو كتان في **العربية الفصحى** في المعاجم التي بين يدي حتى الآن، رغم استعمالنا لها بهذا المعنى أو ما يتصل به[23] وقد **تكون الكلمة من القديم المهات حافظت عليها المصرية وانحدرت إلى استعمالاتنا الحديثة في أيامها هذه.**

لكن هناك المصدر «**شفّ**» وقد يكون أقرب كلمة إلى «**شش**» هذه بتعاقب الشين والفاء، وهو يزودنا بمادة تتعلق بموضوعنا، وخاصة إذا قرنّا «شش» بمعنى «منديل» وهو القماش الرقيق عادة:

«**شفّ الثوب**: إذا رقّ... **والشف**: ضرب من الستور يُرى ما وراءه، وهو ستر أحمر رقيق من **صوف**... وجمعه: شفوف. وفي حديث عمر (رضي الله عنه): لا تلبسوا نساءكم **القباطيّ** فإنه إن لا يشف فإنه يصف. ومعناه أن قباطيّ مصر ثياب رقاق، **وهي مع رقتها صفيقة النسج** فإذا لبستها المرأة لصقت بأردافها فوصفتها، فنهى عن لبسها وأحب أن يكسين الثخان الغلاظ».

ولنا، بالطبع، أن نربط، من حيث المدلول على الأقل، بين «**شش**» و«**شف**» و«**قباطي**» مصر الرقاق (أي الثياب القبطية) وتكون الثلاثة هي هي على هذا الأساس.

ومن الطرافة أننا نسمي الآن هذه «الثياب الرقاق» ـ وخاصة ثياب المرأة ـ باسم «**الشيفون**» وهذه منقولة عن الفرنسية Chiffon المشتقة بدورها من Chiffe (رقيق، شفّاف).

وأرجح الأمر أنها نقلت من العربية يوم كانت النسوة العربيات في الأندلس أو في بلاد المشرق يلبسن «الشف» من الثياب وتلبس الأوروبيات الثياب الثخان الغلاظ!

---

(22) قد لا يُدهش القارىء أن يعرف أن لعبة «التنس» Tennis المعروفة التي يقول عنها معجم اكسفورد إنها دخلت اللغة الانكليزية حوالي سنة 1400م بصيغة Tenes و Tenetz، وجاءت في رأيه من الفرنسية Tenez (خذ ـ تقبّل) لا ترجع إلى الفرنسية ـ ولكنها جاءت من نسبتها إلى مدينة «تنس» في مصر (قديماً وتعرف باسم **تانيس** Tanis) وكانت تشتهر بصناعة ضرب من النسيج الصوفي الرقيق تغطى به الكرة التي يُلعب بها وتتقاذف بالمضرب بين اللاعبين. (أنظر: F. Reichmann : The Sources of Western Literacy. (Greeneood Press. London. P. 195).

والدليل على صواب هذا الرأي ماذكرناه من أن عرب ليبيا يدعون هذه الكرة التي تُلْقف وتحذف: «شاش» ـ أي الكرة المغطاة بالشاش التنسي!

(23) يعتبر الدكتور حسن ظاظا (**كلام العرب**، ص 64) كلمة «شاش» من الدخيل على العربية ويقول: «والشاش هو نسج رقيق كان يأتي من بلدة بهذا الاسم في إقليم السند (بالقرب من بخارى وسمرقند)». ولكنه يضيف في الهامش: «**وقيل إن أصله مصري قديم**».

وقد دخلت هذه الكلمة اللغة الأنجليزية «ساش» Sash وتعني «وشاح زينة يرتديه الرجل عادة كجزء من بزته أو شارة على أحد كتفيه أو حول وسطه، وتلبسه المرأة أو الطفل حول الوسط. **وأصله من العربية** (شاش) (The Concise Oxford Dictionary).

من كل ما مضى يمكن القول بأن نشأة حرف السين ورمزه في الهيروغليفية كان على هذا النحو :

شف < شش < شس< س ش (المنديل المطوي، أو القماش الملفوف كما تثبت معاجم اللغة المصرية القديمة). واكتُفي بالحرف الأول من الكلمة، كما هي العادة في بقية الحروف، فكان حرف السين (المهملة) الذي يتبادل مع حرف الشين (المعجمة) في كثير من الأحيان، كما تتبادل «**س ش**» و «**ش س**» وتكون حيناً «**ش ش**» = **شاش، شاس، ساش**.

أما الرمز الثاني ⊸ فهو : «مزلاج» (رتاج) Bolt . ويأتي في مواطن أخرى بمعنى : «أقفل، أغلق، أحكم الاغلاق، أمّن» Secure .

وهنا نأتي إلى الكلمة العربية الفصيحة : «**سكّر= أقفل و(تربس)**. «**سكّره تسكيراً** : خنقه. وقوله تعالى ﴿**سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا**﴾[24] أي **حُبست عن النظر وحيرت، أو غُطّيت وغشيت. وسُكرت ـ بالتخفيف ـ أي : حُبست» (الفيروزبادي/القاموس المحيط)**.

«**سكّر** النهر : سدَّ فاه. وكل شق سُدَّ فقد سُكّر. والسِّكْر ما سُدَّ به. **والسِّكْر** : اسم ذلك السداد الذي يجعل سداً للشق وغيره». (اللسان/مادة : سكر). ومن الجذر «سكّر» جاءت : السُّكْر، سكر يسكر سَكَراً، فهو سكران، وساكر، وسكّير. والمعنى البعيد : انغلاق منافذ العقل وسدُّ بابه.

ونجد أهلنا في ليبيا يقولون : **سَكِّرْ الباب** ـ أي : أقفله. وفلان رأسه مسكّر ـ أي : مغلق، كناية عن البلادة. ويسمى المزلاج أو الترباس؛ في اللهجة الليبية : «سكّارة»/سكّارة الباب»[25].

من هنا نرى أن أصل حرف السين الثانية هو «سكّارة» (من الجذر : سكّر) خاصة وأن الرمز الهيروغليفي هذا يؤدي معنى «يسكّر» Secure وينبغي ألا ننس أنّ Secure الأنكليزية والاسم Security (الفرنسية Sécurité) هي ذاتها «سكّر» العربية، وهي في اللاتينية Securitas . وقد تكون دخلت اللاتينية من عرب شمال أفريقيا أو من شرق البحر المتوسط في القديم القديم من الزمان.

---

(24) ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورون﴾ الحجر/15.

(25) **نلاحظ أن النطق في اللهجة الليبية لهذه الكلمات أقرب إلى الصاد منه إلى السين.** «مصكّر صكّر، صكّارة/صكران = سكران». مما يتطابق مع اتخاذ الرمز الهيروغليفي ⊸ علامة لحرفي السين والصاد معاً.
وكذلك الأمر في «سكّ» (= سكّر)، وتُنطق «صَكّ» (أقفل). قارن كذلك : سكت (صمت. أقفل فمه).
سكف (الأسكفه : عتبة الباب التي يوطأ عليها، والساكف : أعلاه الذي يدور فيه الصاتر، متعلق بالأقفال).
سكن : سكت (انغلق وهدأ).
وهذا ما يُبرهن على أصالة «سكّر» في العربية. إذ نجد المعنى متقارباً بإضافة بعض الحروف إلى الجذر الثنائي «سكّ» (سكت، سكر، سكف، سكك، سكن).

17 ـ — : ش (الشين) š (SH)

معنى الرمز الهيروغليفي : «بركة ماء» Pool .

من هنا، يقول «غاردنر» (ص 491)، جاء الصوت «ش» š . ويبدو أنه علامة أرض مرويّة. ولذا فهو كثيراً ما يتبادل مع الرمز وخاصة في كلمات مثل «م ر ي» m r i = حب، تعلّق، حنان (العربية : رام/ مرام/ رئم/ رؤوم) و«م ر» m r = مجرى ماء، نهر (العربي : مرّ، ممر) و«م ر ت» m r t = غزّالون weavers (الفعل العربي: مرّ = فَتَل الحبل «المرار») .

وإذا كان الباحثون، بقدر ما بين يدينا من مراجع، لم يقدموا كلمة كاملة نشأ عنها هذا الحرف «الشين» في المصرية، **فإن الملاحظ ارتباط رمزه الهيروغليفي بالماء والنبات في المعاجم**، وقد يُرسم مستطيلاً يعلوه نبات اللوتس هكذا (في المصرية š š n . العربية : **سوسن**) .

في معجم فولكنر (A Con. Dic. of M. Egyptian) يرد الرمز «**ش**» (š) **مجرد** مستطيل ويترجمه : «بحيرة، بركة» (Lake, Pool) . ويرد الرمز «ش ء» š 3 (مستطيل يعلوه اللوتس) ويترجمه : حقل (Field)، مرج (Meadow)، ريف (Country)، سبخة (Marsh)، مستنقع (Swamp) » .

هذه الصلة الوثيقة بين الرمز المعني والماء (والنباتات المائية خاصة) يمكن تفسيرها بالنظر إلى ورود الرمز ذاته مكرراً في اسم «شيشنق» šš (NQ) . ومن المؤكد أن ثمة صلة بين المقطع الأول (š š) في اسم هذا الفرعون والدلتا المصرية ومياهها الغامرة ونباتاتها يبحث في موطنه إن شاء الله . ثم يمكن المقارنة باللغة الأكادية بكلمة مهمة في هذا المجال في كلمة «Tsutsu» [**تسوتسو = تشوتشو**] (هكذا يكتبها Sayce ; Elem. Grammar) وهي ذاتها «šušu» [**شو ـ شو**] (تقابل المصرية šš بإسقاط الأصوات الفرضية) .

كلمة šu šu (Tsutsu) الأكادية تعني بالضبط ما تعنيه (Pool) (بركة) والمصرية šš ، «سبخة» (Marsh) . وهي في الوقت نفسه تعني (كالمصرية) : «نبات مائي» Aquatic Plant (قارن اللوتس) .

هذه الصلة الوثيقة للكلمة في المصرية والأكادية بالماء هي التي أدت، فيما يبدو، إلى الفعل šiti في الأكادية [**شيتي = شتي**] . (E. Reiner ; A Linguistic Analysis of Akkaidian) .

(قارن العربية : **شتاء. شتي. شتوي** = مطر الشتاء. وفي الشام يُقال : **شَتّي** = أمطري . **شتوية** = مطر) . فأين هذا من العربية ؟

قد يمكننا القول بأن أصل رمز حرف الشين في الهيروغليفية يعود، برسمه ومعناه، إلى العربية (شُرب/شراب) لارتباطه بالماء في كل الأحوال. بيد أن سقوط الراء والباء من «شرب» وبقاء الشين وحدها قد يخلق إشكالاً (ولو أن حرف الراء أُبدل في الواقع همزة في š 3 = شر [ب] وهو أمر كثير الحدوث جداً في المصرية). **ورغم هذا فلا بأس من العودة إلى العربية والبحث في وعن كلمة**

«ش ء» هذه، ومن الـطريف أن نجـدهـا مستعملة في «مخـاطبـة» الحيوان، والحـمار على وجـه التخصيص، كما ورد في (لسان العرب) تحت مادتي «شأشأ» و«سأسأ» عن طريق تبادل السين والشين.

قال: «**شؤشؤ وشأشأ**: دعاء الحمار إلى الماء.

شأشأ: زجر الحمار ليحتبس أو يشرب.

وفي المثل: قرِّب الحمار من الردهة ولا تقُل له «**شأ**».

ويُقال للحمار: «**شأ**» عند الشُرب يبتاز به ريّه، فإن روي انطلق وإلا لم يبرح».

ثم يضيف: **ومعنى قوله «شأ» أي «إشرب»**. وفي ظننا أن هذا النص يحدد الصلة اللغوية الوثيقة بين اللغات العروبية الثلاث: المصرية والأكادية والعربية في هذا الباب. ويُحدد بالتالي منشأ رمز حرف الشين في الهيروغليفية الذي جاء على شكل بركة ماء كما ذكر العلماء، والأصوب أنه على شكل حوض ماء يُشبه تمام الشبه حوض شراب الحيوان ▭ وليس البركة كما قد يتبادر إلى الذهن.

أما فيما يتعلق باستشهادنا بكلمة «شأ» التي (يُخاطب) بها الحمار عند الشُرب، فقد يعترض معترض عليه، **بيد أن إيراد ابن منظور للكلمة في (لسان العرب) وقوله إن معناها «إشرب» يوضح اعترافه بها كلمة عربية متداولة، وتسجيله لها في (اللسان) مع إيراد الأمثلة والتحليل دليل على ذلك**. وينبغي ألا يندهش القارىء إذا عرف أن عدداً كبيراً من كلمات «لغة الطفولة» التي نحسبها مجرد لغو هي في الواقع مفردات لغوية قديمة مستعملة حتى في النصوص الدينية المقدسة بمدلولاتها التي نعرفها. وحتى بالنسبة للمفردات التي «يخاطب» بها الحيوان نجدها في اللغات العروبية كما هي. فمثلاً: «صَصْ» ـ للحصان ـ هي ss في المصرية، ṣṣ في الكنعانية، s e s في الأكادية.

وكلمة «بَعْ»، «بعيّة» في المصرية = كبش ← الكبش ← المقدّس ← القدّوس ← الروح.

وكلمـة «تيت» لزجر الحصان وحثّه على السير أصلها في المصرية t ȝ t = عصا ← ضرْبٌ ← زجْرٌ ← أسْرِعْ ← إنْطَلَق... الخ. ثم صارت تدل على الإمرة والحكم.

وكلمة «ميو» بمعنى هرّ أو سنور، في المصرية Miw (العربية: موّاء. مَاءَ يموء).

وكلمة «خُخْ»، «خُخَّة» أي: «ذبح» ـ في المصرية: ḫḫ «خ خ» = حَلْق، عُنُق، رقبة. ومنها ḫ y t = ذبح، قتل، نحر..

(**يحسن أن يرجع القارىء إلى مقالة الكاتب في مجلة «تراث الشعب» العدد السابع من السنة الثانية، طرابلس/ليبيا 1982 م لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع**)[26].

---

(26) نشرت أيضاً في كتابه: **بحثاً عن فرعون العربي** ـ الدار العربية للكتاب، طرابلس/تونس ـ 1985م.

على أن جورجي زيدان يُشير في أثناء مقابلته للغة العربية بأخواتها (تاريخ اللغة العربية : ص 48 ـ 49) إلى كلمة «شتاء» ومادة «شتأ» في القاموس. وكل مشتقاتها ترجع في دلالتها إلى الفصل المعروف من فصول السنة الأربعة.

ولم يدلُّنا صاحب القاموس على أصل هذا المعنى في هذا اللفظ. «**على أننا إذا راجعنا هذه المادة في اللغات (السامية) رأينا الأصل في دلالتها الشُرب أو الري أو الصب. . . ويؤخذ من مراجعات كثيرة أن المادة الأصلية (شتا) كانت تدل على الرطوبة أو الري في «اللغة السامية». فلما تفرقت القبائل. . . تولّدت منها المشتقات. . . فتولّد منها لفظ الشتاء للمعنى المعروف له في العربية** وأهمل معنى الري أو الشُرب».

من هذا نفهم أن الجذر «شتا» كان يدل على «الشرب أو الري أو الصبّ». ثم تطور في العربية إلى الفصل المعروف وهو فصل المطر وانصباب الماء (في الشام يُقال حتى الآن : شتي = أمطري. شتوية = مطر. وفي العربية : شتوي = مطر الشتاء، والشُرب والري والصب يتبعه وجود إناء يصب فيه الماء، ويُشرب فيه، ويُرتوى منه). وهذا هو بالذات الحوض المستطيل الشكل في الرموز الهيروغليفية، الذي يوجد به الماء ويسمى في المصرية «ش ء» (š) اختصاراً للجذر «شتا» ـ أو كما حسب الباحثون ونقحروه على هذا الأساس. (وقد تكون النقحرة الصحيحة «ش ت» أو «ش ت ء») وأسموه «بركة ماء». . والصواب «حوض» للشراب والري.

وهذا هو أصل حرف الشين في الهيروغليفية.

ونقطع الشك باليقين فنورد أخيراً ما ذكره (اللسان) في مادة «شيأ» :

الليث : **الشيء** : الماء. وأنشد :

«**ترى ركبه بالشيء في وسط قفرة**»

قال أبو منصور : لا أعرف الشيء بمعنى الماء، ولا أدري ما هو، ولا أعرف البَيت ! »

وجهل أبي منصور[27] لا يعني أن عرب الجزيرة لا يعرفون (الشيء) ـ بكسر الشين المشدَّدة ـ بمعنى الماء، وهي ذاتها المصرية «ش ء» دون إدخال الحركات.

18 ـ ⊿ : ق (قاف) Q, Ḳ.

معنى الرمز الهيروغليفي : تل. جانب الجبل» hill-slope في المصرية تعني كلمة «ق ء ء» k 3 3 : «هضبة» hill. «مرتفع» high. وهذا هو أصل تسمية حرف القاف الذي هو على صورة منحدر جبل (غاردنر ـ ص 489). والجذر الأصلي هو «ق ء ي» K 3 Y ـ وثمة مشتقات كثيرة منه بمختلف الصيغ التي تدور حول معاني : «عالٍ، طويل، مرتفع، سامٍ، هضبة، جبل، تل. . . الخ». (أنظر : غاردنر ـ ص 596).

---

(27) هو كجهل عمر بن الخطاب (ض) لمعنى كلمة «أب» حين قرأ قوله تعالى : ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ ـ وكان غيره يعرفها بمعنى الكلأ.

عند المقارنة بالعربية نلاحظ إبْدالاً بين الهمزة والعين، ولكن معنى الارتفاع يظل موجوداً بمختلف الصيغ وإضافة بعض الحروف للحرفين «ق ع» (المصرية : ق ء) وذلك لغلبة الثنائية على المصرية، والثلاثية على العربية.

«قعل : **القاعلة** : الجبل الطويل. والقواعل : رؤوس الجبال قال امرؤ القيس :

«عقاب تَنُوفَى لا عقاب القواعـل»

وقيل **القـواعـل** : الجبال الصغار (التلال). الجوهري : **القاعلة** : واحدة القواعل، وهي الطوال من الجبال. قال أبو عمرو :

واحدة القواعل : **قوعلة** وشعر الأفوه دليل على أنه **قاعلة**.

قال :

والدهر لا يبقى عليه لِقْوَةٌ * في رأس قاعلة نمتها أربـعُ

وعقاب **قيعلة** : تأوي إلى القواعل (الجبال) أو تعلوها...

والقيعلة : المـرأة الجـافية العـظيمـة... **والاقعيـلال** : الانتصاب في الركوب. وصخرة **مقعالة** : منتصبة لا أصل لها في الأرض.

قعم : القعم : ارتفاع أرنبة الأنف.

قعن : القعن **والقعي** : ارتفاع في الأرنبة.

القيعون : **ما طال** من العُشب.. واشتقاقه من قعن».

(ابن منظور، لسان العرب).

وقد يحب القارىء للتأكد من عروبية هذه الكلمة التي نشأ عنها حرف القاف في الهيروغليفية مزيداً من المقارنة باللغات العروبية الأخرى.. ولا بأس.

ففي **النصـوص البـابلـية (الأكادية/ الأشورية)** تـتردد كلمـة **«ق ء ي»** بمعنـى «مرتفـع» .(Zadok p. 88).

وفي **الأرامية** ظهرت بصيغة **«ق ء ي ه»** (G A Y H) وكذلك بصيغة **«ق ا ي ا»** (Gaiaa) بالمعنى ذاته (نفس المصدر، ص 120).

ويقارنها «مارسيل كوهن» (Ess. Comp., p. 118) كما يلي :

العبريـة : G' Y = رفيع، عالٍ.

الجبالية : A G G = الأعلى.

I G G I = الجزء الأرفع.

A G A Y U = الرأس.

وفي **السريانية** (معجم أنيس فريحة Gaīa = عالٍ، رفيع، مرتفع.

وفي **الكنعانية** (المصدر نفسه) : G'N = فخر، زهو، رفعة.

وفي الكنعانية أيضاً : «ق ع ن» G‘N = فخر، زهو، رفعة.
وفي الكنعانية أيضا : «ق ع ن» G‘N هضبة، تل، مرتفع.

وهكذا يفعل الأساتذة «أمبير» Ember ، و«بدج» Budge وغيرهما في معاجم اللغة المصرية عند التعرض لكلمة «ق ء» هذه.

وقد قارن بعضهم بينها وبيْن كلمة «**أوج**» العربية، على سبيل القلب والابدال بين الجيم والقاف، ووصلوا بينها وبين a g a g u اليونانية (= رفيع، سيّد، رئيس، رأس) ولكن هذه في الواقع لها صلة بكلمة «**أ ق ق و**» akku الأكادية، «**أخ**» (3ḫ) المصرية، «**أخ**» العربية التي كان معناها الأصلي «السيد» وليس «الشقيق» (Brother).

تبقى ملاحظة أخيرة تكمن في أنه حدث في المصرية ما حدث في العربية من **انتقال اللفظ من المحسوس إلى المعنوي**؛ فإن 3/Q 3ḳ تعني أيضاً : المرفَع/رفيع الشأن < مرتفع. < عالي المقام < عليٌ < علوٌ. سامي المكانة < سموٌ < سماء. رئيس < رأس... الخ.

19 ـ ◡ : ك (**كاف**) K.

معنى الرمز الهيروغليفي : «سلة» ـ Basket. وبتحديد أكثر : سلة مصنوعة من الصفصاف أو الخص ذات يد. Wickerwork Basket With handle (غاردنر ـ ص 525). **ولسبب مجهول**، يقول «غاردنر»، صارت رمزاً لحرف الكاف.

هذا «**السبب المجهول**» عندنا يرجع إلى كلمة عربية مشهورة هي «**قفة**» أي : «سلة». وقد قُلبت القاف كافاً في المصرية، كما قلبت في العربية كذلك. وقُلبت الفاء في المصرية إلى باء فكانت «**ك ب**» K B (Cohen : Essai... p. 124) وهي في الجبالية «**أكافو**» Akāfu ، وفي الفرنسية ـ لمزيد من العلم : Couffe = قفة[28].

فماذا تقول العربية؟
«**قفف** : القفة : الزنبيل. وأنشد :

رب عجـوز رأسهـا كالقفـة * تمشي بخفٍ معهـا هرشفّـة.

ويروى : **كالكُفَّة**... قال الأزهري : ورأيت الأعراب يقولون :
القفعة : القفة، ويجعلون لها **معاليق** يعلقونها بها من آخرة الرحل، يلقي الراكب فيها زاده وتمره، وهي مدوّرة كالقرعة (**وهذا ما جعل القفة تعني القرعة اليابسة كذلك**). **القفة : شبه زنبيل صغير من خوص** يُجتنى فيه الرطب وتضع فيه النساء غزلهن». (اللسان).

---

(28) ولست أدري هل «**الكوفية**» ـ بمعنى غطاء الرأس ـ نسبة إلى **مدينة الكوفة** بالعراق أم لأنها «كفة» للرأس (كالقفة). أما الكوفة ـ وهذه إضافة مستحسنة لوجود المد بها ـ فقد سُميت **كذلك لأن موقعها كان رملاً مجتمعاً** ـ ويسمى : «**الكوفة**». والرمل المجتمع (الكثيب ـ القوز) عبارة عن **قفة مقلوبة**، أو «**قبة**» من الرمل!

«القفة» إذن هي «الكفة» ومادة «كفف» في موضع مادة «قفف» ولكي نزيد الأمر وضوحاً نقتبس : «كفف : كفّ الشيء يكفه كفّاً : جمعه» (مثلما يجمع الشيء في القفة).

«تكافّ القوم : كأنهم جعلوا الأمر في وعاء» (السلة).

«كل ما استدار فهو كِفة، بالكَسْر، نحو كفة الميزان وكفة الصائد، وهي حبالته». (قارن شكل القفة المستدير).

«الكفة والشبكة أمرهما واحد» (قارن القفة المصنوعة من نفس المادة التي تصنع منها الشبكة).

ومهما تتبعنا مادة «كفف» وجدناها تعني : الجمع، والاحتواء، والاستدارة، وما إليها من أوصاف «القفة» التي هي ذاتها «الكفة»[29].

إن كفة الميزان شبيهة بالقفة. ولا شك أن الميزان في هيئته الأولى كان يتخذ شكل القُفتين المتناظرتين. فهل يقترب هذا كله من الحرف الذي تجري دراسته ؟

20 ـ : ج (جيم) G :

معنى الرمز الهيروغليفي : «**قاعدة جرة**» (stand for jar) ومرة أخرى يفاجئنا «غاردنر» (ص 529) بالقول بأن سبب اتخاذ هذا الرمز إشارة إلى حرف الجيم **غير معروف** (!) . ولو أنه انتبه إلى الكلمة الانكليزية التي عبر بها عنه لعرف السبب ؛ فإن معجم اكسفورد يقول إن كلمة jar الأنكليزية (بالفرنسية jarre) عربية الأصل : «جَرَّة». وهي في المصرية «ج ر g r».

«الجرة إناء من خزف كالفخار. وجمعها : جُرٌّ وجِرارٌ. . .

قال ابن دريد : المعروف عند العرب أنه ما اتخذ من الطين. . .

التهذيب : الجرُّ آنية من خزف، الواحدة جَرَّة، والجمع جُرٌّ وجِرارٌ. والجرارة : حرفة الجرّار». (اللسان ـ مادة : جرر).

ولعل الأصل اللغوي البعيد : **جرجر**. و«الجرجرة : الصوت، وتردد هدير الفحل. . . وفي الحديث : الذي يشرب في إناء الفضة والذهب إنما **يجرجر** في بطنه نار جهنم ـ أي يهدر فيه ـ وهو صوت وقوع الماء في الجوف، فجعل الشرب والجرع : جرجرة». والواقع أن **الجرجرة = القرقرة**، وهي أيضاً صوت دفق الماء متتابعاً من الجرة.

ونلاحظ أن حرف G الذي نَقْحَرَ (نقل حرفياً أو حرفاً من لغة إلى أخرى) به علماءُ الغرب الرمز الهيروغليفي إلى اللاتينية يُنطق حيناً جيماً معطّشة كما بحرف Gem مثلاً، وحيناً جيماً مصرية (قافاً ليبية) كما في Good . وحين ننظر في معجم اللغة المصرية ونقارنه بالعربية نجد هذا الرمز يوافق حرفي الجيم (معطشة وغير معطشة) والقاف. كما يوافق الغين أحياناً. وهذا راجع إلى كثرة الابدال بين هذه الحروف الثلاثة (قارن : **جرجرة = قرقرة = غرغرة**).

---

(29) ليقارن القارىء كذلك كلمة «قُبّة» وهي عبارة عن «قفة» مقلوبة ـ دليلا على تعاقب الحروف بين قفة، كفة، كبة، قبة. ولا ننسى cup الأنكليزية وهي شبيهة بالرمز الهيروغليفي، تقابلها «كوب» العربية وتُجمع على «أكواب».

وقد يهم القارىء أن نضيف معلومة صغيرة هنا، وقد تكرر تعريف الجرة بأنها «إناء» ـ من فخار أو طين أو فضة أو غيرها ـ إذ يُقرأ هذا الرمز الهيروغليفي كذلك باعتباره كلمة قائمة بذاتها هي «إن (و)» «in (w)» أو كما يكتبها «كوهن» : y n (a) (Essai Comparatif. P. 80).

ومعناها عنده : Pot ـ وهي ذاتها العربية : إناء.

أما «غاردنر» (ص 572) فيقرأ الكلمة المهجّاة «ن إ و» (N I W) ويترجمها إلى : Bowl = قدح، وعاء، قعب = إناء.

هذا التأثيل الذي سبق كان باعتبار الرمز يمثل «الجرة» أو الاناء الخاص بالشراب. **ولكن بعض المصادر تعتبر هذا الرمز مجرد قاعدة للجرة.** وهنا نشير إلى أن الحرف اللاتيني (G) الذي نُقْحِرَ به الرمز ينطق كما سبقت الاشارة نطقين مختلفين كما في good مرة وكما في Gem مثلاً مرة أخرى. فلنعتبره هنا مقابلاً للجيم المصرية (القاف الليبية) كما في good. فهو يقابل القاف العربية (كما في : قال) ـ علماً بأن الجيم والقاف في مختلف المواقع يتبادلان في العربية. فلنأخذ الكلمة باعتبارها «ق ر» بدلاً من «ج ر»، فلا نجدنا بعيدين عن العربية هنا أيضاً. وفي مادة «قرر» العربية مجال كبير للمقارنة.

«**القارورة** : واحدة القوارير.
القارور : ما قرّ فيه الشراب وغيره.
والجمع : **قوارير**. وفي القرآن الكريم : ﴿**قوارير قوارير من فضة**﴾».

وهذا ما يقابل إناء الشراب G R في المصرية.

ثـم :
القَرُّ : مركب للرجال بين الرجل والهودج.
وقيل : **القر** : **مركب للنساء**».

والذي يهمنا أن «القر» مركب، سواء كان للرجال أم للنساء أم للجرة تستقر (أو : تقرّ) فوقه. وهو المطلوب.

ومن العجيب فعلاً أن مادة «قرر» العربية تؤدي إلى كلمة «قرقور» وهي السفينة الطويلة العظيمة، وهي في المصرية «ق ر ق ر» g r g r.

ولا يغيب عن بالنا أن السفينة في العربية تسمى : ماعون، إناء، مركب. وهذه كلها موجودة في المصرية القديمة بنفس المدلول والاستعمال.

21 ـ : **ت (تاء)** T :

معنى الرمز الهيروغليفي : «رغيف» (Loaf) ـ «خبز» (Bread). ولهذا الرمز/الحرف أشكال أخرى. هذا الشكل ⌓ (نصف الدائرة) أشهرها، منها المستطيل ▭ والمثلث △ وهي كلها

أشكال رغيف الخبز الذي يبدو أن المصريين تفننوا في صناعته (!) وهو يُتَبادل كثيراً مع حرف الثاء كما يحدث الآن في لهجة عرب ليبيا.

وهذا الحرف وحده «ت» (يحرك تخميناً : تا) يعنيّ : «خبز».

في المصرية مثلاً : «ت ـ ر ت ح» t — rth = رغيف محمّص (Baked Bread) . (العربية : «ت ـ ح ر ق» = خبز محرّق).

«ت ـ و ر ت» T — W R T = خبزة كبيرة (Large Bread) .

(العربية : «ت ـ وار (وري) (ورية) = خبز كبير.

«ت ـ ن ب س» T — N B S = خبز النبق (Bread of Nebk Tree) .

(العربية : ت ـ نبق [السندر]).

(راجع : غاردنر ـ ص 531).

فمن أين جاءت التسمية يا تُرى ؟

في لغة الطفولة العربية[30] يقابلنا هذا الحرف/الكلمة بمختلف الصيغ : **المغرب** : توتو. **الجزائر** : تاتا (كسكسي). **ليبيا** : تاتا (= خبز). ومن المثير أن «**تاتا/ توتو**» تعني أنواعاً مختلفة من الطعام بحسب البلد، وهذا يشبه كلمة «**عيش**» التي تعني في لغة الكبار في ليبيا : عصيدة (بازين). وفي مصر : رغيف. وفي الخليج العربي : الأرز. **فالعيش إذن يعني ما يغلب على أهل القطر من طعام، أي ما «يُعاش» به. وكذلك الأمر بالنسبة لـ «تاتا».**

ولم أجد في معاجم العربية ما يعين على اكتشاف الأمر، ربما لأن الكلمة مماتة ولم تعد تستعمل منذ زمن بعيد، وظلت في لغة الطفولة وحدها.

بيد أن اللغات العروبية الأخرى تساعدنا على ربط الصلة بقدر كبير من الوضوح.

في **الأكادية** نجد «**أتيتو**» Utitu / «**أتاتو**» Atātu = حبوب/شعير، ittu = قمح.

وفي **الكنعانية** (نصوص رأس الشمرة) نجد : «**ت ي ت**» = طعام (Gordon : Ugaritic Handbook, p. 276) ويذكر «كوهن» (Essai Comparatif., p. 150) أنّ كلمة «**أ ت**» في **النوبية** تعني «خبز». وأن كلمة «**توو**» Towu في **الحبشية تعني** «طعام».

وفي وسط المغرب يسمى الخبز حتى الآن «**توتو**» (Bynon : Berber Nursery Language, N. 26) . بينما تُطلق لفظة «**تاتا**» في الجزائر على «الكسكسي» (المصدر نفسه/رقم 178).

ومن رأي الأستاذ «باينون» أنّ «**تاتا**» ومختلف صيغها (المصرية «**تا**» ـ ت T) عبارة عن اختصار كلمة «طعام» العربية بإبدال الطاء تاءً (**تعام**) وإسقاط بقية الكلمة. وقد يُقبل هذا الرأي لسهو

(30) أنظر مقالة للكاتب بعنوان (ديدش حب الرمان، لغة الطفولة في ليبيا، دراسة مقارنة) ـ مجلة «تراث الشعب» العدد الرابع ـ ص 67ـ98.

منشورة أيضا في كتاب المؤلف : «بحثا عن فرعون العربي»، الدار العربية للكتاب، طرابلس/تونس 1984م.

تحوّل الطاء إلى تاء، حتى في أيامنا هذه إذ يلاحظ إبدال الطاء تاءً، خاصة في الطبقات المرفّهة في مصر والمتفرنجة، ولعدم وجود الطاء العربية الجلية في اللغة المصرية القديمة فكانت «تاء» «T» ونشأ حرف التاء (ورمزه الرغيف) عن هذا السبيل كما نشأت بقية الحروف الأخرى.

22 ـ : ث (ثاء) ṯ, th

معنى الرمز الهيروغليفي : «عقال للدابة، شكال، مطول، طوال ـ حبل طويل تربط به الدابة».

هذا الرمز/الحرف يتعاقب وحرف التاء في الغالب وخاصة في عصر المملكة الوسطى. ويقول «غاردنر» (ص 27) إنه يقابل الصوت Tsh وكذلك الصوتين Č, Tj . ولكنه على الجملة، فيما يبدو لنا، يقابل حرف **الثاء المثلثة** في العربية.

ويقـول «غاردنر» كذلك (ص 523) في تحليله لمنشأ هذا الحرف/الرمز إنه جاء من كلمة «**ث ث ت**» ṯṯt في المصرية وهي تعني : «قيّد، غلّ، صفد» (Fetter).

إن أقرب كلمة عربية تؤدي المعنى هي «**ثبت**» : ثَبَتَ، ثَبَّتَ، ثباتاً، وتثبيتاً، وثبوتاً، وإثباتاً. وواضح أن ثمة تعاقباً بين الثاء والباء حين نقارن المصرية «**ث ث ت**» والعربية «**ثبت**»[31].

وفي (لسان العرب) :

«**ثبت الشيء يثبت ثباتاً وثبوتاً فهو ثابت وثبيت وثْبت**. . . وفي حديث مشورة قريش في أمر النبي (ﷺ) قال بعضهم : إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق. أي شدّوه واعقلوه أو اربطوه».

ومن هنا جاء «الثبات» (ثبات الدابة) أي الحبل الذي تقيد به وتُغَلّ. وهذا هو رمز الثاء في الهيروغليفية.

23 ـ : د (دال) D :

معنى الرمز الهيروغليفي : «**يد**» Hand .

يُرجِع «غاردنر» (ص 455) أصل تسمية هذا الحرف/الرمز إلى الكلمة العروبية «**يد**» Yad ، ويقارنها بالكلمة المصرية «**ودي**» (Wdi) بمعنى : وضع (أودى) (Put) ، دفع (Push) ، دفق (Emit) .

ونستطيع مجاراة هذه الكلمات بالمشتقات العربية من «يد» من مثل : **أيّد** (ساند)، **ودّى، أدّى، أودى**. وكذلك : «**دفع، دفّ، دفر**» وهي من أفعال اليد **ويدخل فيها جميعاً حرف الدال**.

---

(31) قارن كذلك : Budge ; Eg. Hier. Dict. وعنده أن «**ثثت**» ThTht = «**ربط، قيّد، ثَبتَ**». وتعني «**ثثي**» Th Thy «**كتابة، نقش**». وهذا يقابل «**ثبت**» من العربية بمعنى قيد بالحبل وقيّد بالكتابة. واتفاق المعنيين الحسي (ربط الحيوان) والمعنوي (الكتابة) بين المصرية «**ثث**» والعربية «**ثبت**» يرجح أن ثمة ابدالاً بين الباء والثاء، أو أن الباء سقطت في المصرية بينما (ثبتت) في العربية ـ على كل حال.

وأخيراً نضيف القول بأن كون أصل هذا الحرف/الرمز جاء من «يد» آخذاً الحرف الأخير من الكلمة يؤيد ما ذهبنا إليه من أن رمز صوت العين (ذراع ممدودة) مأخوذ من آخر حرف من : ذراع، باع، كوع.

24 ـ : ط (طاء) T.

معنى الرمز الهيروغليفي : «أفعى، حية». (Snake).

يكتب الباحثون المقابل اللاتيني لهذا الحرف/الرمز بأشكال مختلفة : Tj, The, dj, d ـ وذلك بحسب تصور كل منهم للطريقة المثلى لمقابلته بالحروف اللاتينية والنطق الذي يراه مناسباً له. وهو في مفردات كثيرة يقابل في العربية حروف : د، ذ، ج، ش، ص، ض، ظ، ط. كما يقابل أحياناً : س، ز. وهو كثير التعاقب مع حرف الدال، مما يجعله أقرب إلى التاء المفخمة، أو هو **حرف الطاء في العربية الذي نقابله به نظراً لما نراه من نشأته الأولى.**

يقول «غاردنر» (ص 476) إن أصله كلمة مصرية ينقلها إلى اللاتينية dt وينقلها «بدج» Tchet ومعناها لديهما : «**حية**». ومن رأينا أن هذه الكلمة تقابل العربية «**طوط**» (وجذرها : **طط**). **ويورد ابن منظور ما يلي في شأنها :**

«**الطوط** : الحية. قال الشاعر :

ما إن يزال لها شأن يقوّمها * مقومٌ مثل طوط الماء مجدول»

و«طوط الماء» هو ثعبان الماء، وهو حَيوان سابح طويل. ولعل المعنى البعيد للطوط هو الطويل، جاء من الطول. ويضيف ابن منظور :

«**الطاط والطوط** : مفرط الطول. وقيل : هو الطويل ـ فقط ـ من غير أن يقيد بإفراط». ولعل الأفعى (الحية) سميت طوطاً لطولها. ويقول :

«**والطوط والطاط** : الرجل الشديد الخصومة، وربما وصف به الشجاع». وهذا من باب تشبيه الرجل الشديد الخصومة بالأفعى. ولا ننسى أن كلمة «الشجاع» ذاتها تعني الجسور المقدام كما تعني الأفعوان أو ضرباً من الحيات لعله المقصود بالتسمية «الطوط» أو «الطاط» كما يسمى الأشجع. و«الأشجع : ضرب من الحيات... وهو الشُجاع والشِّجاع، بضم الشين وكسرها. قال شمر في (كتاب الحيات) : هو ضرب من الحيات لطيف دقيق. وهو، زعموا، أجرأها. وقيل : هو ضرب من الحيات صغير. وقيل : هو الخبيث المارد منها».

والمهم أن «الشجاع» هو «**الطوط**» **أو** «**الطاط**». وهذه هي d t المصرية (الكوبرا) وهي أصل حرف الطاء في رمزه الهيروغليفي.

ويؤيد ما ذهبنا إليه ما يراه «ولفنسون» (تاريخ اللغات السامية ـ ص 99 ـ 100) من أنه رغم **مغايرة أبجدية الخط الكنعاني للقلم الهيروغليفي والمسماري فإن من المحتمل أن مخترعي هذا الخط كان لهم إلمام بهذين القلمين، ويحتمل أنهم استعانوا ببعض صور وعلامات هذين الخطين لاختراع**

قلمهم الجديد. ونحن نجد لمعاني الحروف الكنعانية علاقة بالصور، كما سبقت الاشارة، ومن ذلك حرف «الطاء» في هذه الأبجدية الذي يُسمّى «طيت» ومعناه «حنش» (العربية : **طوط، طاط**).
ويذكر الشيخ نسيب الخازن (من الساميين إلى العرب، ص 39) أن حرف «الطاء» ـ وهو يسميه : التاء المفخمة ـ تسمى في الكنعانية «**طيط**». وهو ما يقابل العربية (**طوط ـ طاط**) والمصرية d̲ t .

والحيات، كما تعلم، ضروب وأنـواع. وقـد اتخـذ عرب مصر الأقدمون صنفين منها رمزاً هجائيّاً : الأول ـ الحية القرناء Horned Viper وشكلها ـ · وتسمى «**ف ت**» (F.T) ومنها نشأ حرف الفاء كما مرّ بنا من قبل. والثاني ـ الكوبرا. ومنها حرف الطاء، وما يتعاقب معه من أصوات، كما علمت منذ قليل. وهي في نقحرتها اللاتينية d̲ t . لكن هناك حية ثالثة تُسمّى «**ح ف ء و**» h f 3 w (أفعوان Serpent). ورابعة نقحرتها اللاتينية d̲ d وهي مختلفة الشكل عن غيرها هكذا ـ ـ عبارة عن حنشٍ طويل رقيق ينقله «غاردنر» (ص 476) إلى الأنكليزية Worm ـ وهي ما تقابل العربية «**دود**».

هل لاحظت الصلة اللغوية والمعنوية بين «طوط» و«دود» في العربية ؟ إنها نفس الصلة بين d̲ t و d̲ d في المصرية. ولا عجب أليست كلها حناشاً طويلة «طوطة» أو هي «دودة»، تسعى ؟!

إضافة

يتقارب الرمزان الهيروغليفيان و في دلالتهما الصوتية التي ينقحرها علماء الافرنج : tch, dj, d̲ . . . إلخ. وقد أوضحنا المقابل العربي للرمز الأول فيما سبق.

بيد أن جذراً في اللغة المصرية شهيراً يأتي فيه أحد هذين الرمزين، أو كلاهما، ويقرأ d̲d عند «غاردنر» و«فولكنر» و tchet عند «بدج». وقد يقرأ تسهيلاً لنطق القارىء الأوروبي djed . وهو يترجم إلى : «قـالَ» (say) ، ومشتقـاتها ومرادفاتها. وقد نقابله بالعربية «**شدا**» : أصدر صوتاً، تكلم، تحدث، قال. كما أن من معاني الكلمة المصرية أيضاً : ثبت، ثابت (Stable) ومرادفاتها التي تفيد البقاء والمكوث. (أنظر : معجم بدج، ص 913. غاردنر، ص 604. فولكنر، ص 325).

الجذر الثلاثي في العربية «ذود» يكافىء تماماً ما في المصرية التي ننقحرها هنا «ذ د». (لاحظ أن ثنائي «ذود» هو «ذد»). وهنا يقابل الرمزان الهيروغليفيان ، الذال المعجمة في العربية (ذ).

في مادة «ذود» العربية نقرأ :

«**المذود** : اللسان، لأنه يذاد به عن العرض. قال عنترة :

سيأتيكـم مني وإن كنـت نائيـاً * دخان العَلَنْدىَ دون بيتي **ومذودي**

قال الأصمعي : أراد بمذوده لسانه، وببيته شرفه. وقال حسان بن ثابت :

لساني وسيفي صارمان كلاهما * ويبلغ ما لا يبلغ السيف مذودي».

«المذود» هنا بمعنى «اللسان»، والفعل منه : ذاد، يذود. الاسم : الذود. وهذا ما يقابل المصرية d ḏ (بنقحرة غاردنر) = «ذد».

ثم نقرأ في مادة «ذود» كذلك :
«ومعلف الدابة : مذوده».

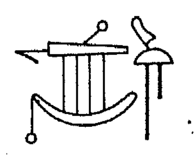
والمذود هنا ما نعرفه في لغتنا المعاصرة باسم «الاسطبل» (الاصطبل) وهو يكافىء الانكليزية Stable التي تعني أصلاً : الثبات. (قارن العربية : ثَبْت. ثبت الدابة ما تربط به لتمكث مكانها فلا تبرحه). وكلمة Stable الأنكليزية ذاتها تعود إلى اللاتينية Stabulum المشتقة من Stare = وقف/توقف. وجذرها -st الذي يفيد المكث والتوقف عن الحركة، القعود. يقابلها في العربية «ست» < «أَستَ، سَتَه». وفي المصرية الجذر «س ت» st .

المذود (= الاسطبل) يمنع ما بداخله من الحركة الطليقة، وهو أيضا يحميه ويدفع عنه ما يسيء. ومن هنا جاء الفعل العربي «ذاد» بمعنى : دفع، طرد، حمي. والمذود أيضاً عبارة عن حاصرٍ (للحيوان عادةً) يعمل من أغصان النبات أو من جريد النخل بدائياً، حزماً يشد بعضها إلى بعض. ومن المفيد هنا أن نقرأ ما يذكر الأستاذ «غاردنر» عن الرمز إذ يقول :
«هو عمود يحاكي حزمة من سيقان النبات شد بعضها إلى بعض» (Eg. Gr., p. 502) .

أليس هذا هو ذاته ما يكون «المذود» في العربية (معلف الدابة) المصنوع من حزم سيقان النبت، أو أعواده أو من الجريد، شُدَّ بعضها إلى بعض ؟

وقد يعترض على المقارنة ما بين المصرية «ذد» d ḏ والعربية «مذود» (رغم أن جذر الأخيرة هو «ذود» ثلاثي «ذد»). فلنذكر هنا أن المصرية ذاتها استعملت ميم المصدرية في : «م ذ ت» mḏt ، ومعناها : معلف الدابة = اسطبل Stable ، وتجمع على «م ذ و ت» mḏwt (اسطبلات) حسبما يذكر الأستاذ غاردنر نفسه (Eg. Gr., p. 524) .

الفارق الوحيد بين اللغتين أن «مذود» العربية وردت بصيغة المذكر، بينما هي «م ذ و ت» مؤنثة في المصرية. وقد اتفقتا في الجذر وفي الدلالة معاً.



العرب والهيروغليفية

(من أحمد بن وحشية إلى أحمد كمال)

هل عرف العرب شيئاً عن الهيروغليفية ؟

هذا سؤال تبدو الإجابة عنه عسيرة جدًّا، وقد تكون بالنفي إذا أردنا وصولهم إلى إدراك معاني رموزها الهجائية أو الصوتية باعتبارها ضرباً من الكتابة تمكن قراءته. إذ من الواضح أن الهيروغليفية صارت قلماً مجهولاً تماماً منذ وقت مبكر، إذ يسميها (كلمنت الاسكندري) Clemens Alexandrus المتوفى سنة 210 م. ـ أي قبل دخول العرب المسلمين مصر بما يزيد عن أربعة قرون ـ بـ «النقوش المقدَّسة» مما يبرهن على الجهل بأسرارها تماماً.

ومع هذا، فيبدو أن محاولات بذلت لكشف سر هذه النقوش ومعرفة ما ترمي إليه. إذ تذكر المصادر أن الصوفي المعروف «ذا النون المصري» كان يطوف بـ«البرابي»[1] ويحاول الوصول إلى سر مستغلقاتها من التصاوير العجيبة، وهو الذي ينسب إليه انشغاله بالعلوم «الهرمسية».

وتـذكر المصادر أيضاً رجلاً آخر هو أحمد بن وحشية[2] (المتوفى في العقد الأخير من القرن الثالث الهجري، أوائل القرن العاشر الميلادي). ويعرف بالصوفي، وهو كلداني الأصل، أو نبطي، من أهل قُسِّين قرب الكوفة بالعراق. كان عالماً بالكيمياء وينسب إليه الانشغال بالسحر والشعوذة. وهـو ترجم كتابـاً عن (الفلاحة النبطية) عن الكلدانية وآخر عن (أسرار الطبيعيات في خواص النباتات). ولكن اهتمامه كان أيضاً منصرفاً إلى اللغات القديمة فيما يبدو ؛ إذ يُذكر من كتبه[3] : (شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام).

---

(1) جمع «بربا» وهذه في المصرية القديمة «پ ر ـ ب أ» pr–ba (= بيت الروح). وانظر حديث المسعودي عن برابي مصر وروحانييها في (أخبار الزمان)، طبعة دار الأندلس، ص 169 ـ 170، بيروت 1980م.

2) أحمد بن علي (بن قيس) بن المختار بن عبد الكريم بن حرقيا (أو جرثيا)، أبو بكر. أنظر : كحالة ؛ معجم المؤلفين، جزء 2، **الزركلي** ؛ الأعلام، جزء 1، ط 5، بيروت 1980م.

(3) إلى جانب (كنز الأسرار والسر والطلسمات) ـ وبعض كتبه لا يزال مخطوطاً في مكتبات العالم. أنظر مؤلفاته كاملة في «الفهرست» لابن النديم، طبعة التجارية الكبرى، ص 433، 504.

(وقد أورد صاحب (الأعلام) في الطبعة الخامسة، جزء 1، ص 170-171 أن كتاب ابن وحشية (شوق المستهام) الذي «جمع فيه أصول الأقلام التي تداولتها الأمم الماضية من الفضلاء والحكماء السالفين والفلاسفة العارفين» نشر في لندن بترجمة وتقديم (يوسف همر) سنة 1806م. ولم يتيسر لي، للأسف، الحصول على نسخة للاطلاع على محتوياتها التي قد تضيء أمامنا الطريق فيما يتعلق بهذا الأمر).

فهل حاول ابن وحشية الاقتراب من القلم الهيروغليفي ؟

هذا غير مستبعد[4]؛ إذ رغم أنه كان يعيش في العراق فقد كانت له صلة بوادي النيل عن طريق المراسلة، ويقول ابن النديم عند حديثه عن ابن وحشية إنه قرأ «نسخة الأقلام التي يكتب بها كتب الصنعة والسحر، ذكرها ابن وحشية، **وقرأتها بخطه**».

ويضيف :

«**وقرأت نسخة هذه الأقلام بعينها** في جملة أجزاء بخط أبي الحسن بن الكوفي، **فيها تعليقات لغة ونحو وأخبار وأشعار وآثار** وقعت لأبي الحسن بن الفتح[5] من كتب ابن الفرات[6]. وهذا من أظرف ما رأيته بخط ابن الكوفي بعد كتاب (مساوىء العوام) لأبي العباس الصَّيمري».

والمهم هو ما يلي :

«**حروف الفاقيطوس** : أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن و هـ لا ي.

حروف المسند : أ ب ت ث ج ح خ د ذ س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن و هـ لا ي[7]. **هذه [هي] الحروف التي يصاب بها العلوم القديمة في البرابى**».

والاشارة إلى «**البرابى**» هنا ذات دلالة خاصة، إذ هي معابد مصر القديمة خاصة ولا تطلق على أي أثر آخر في أي مكان غير مصر. أما حروف «**الفاقيطوس**» فلا جدال في أنها «**الفابيطوس**» بالباء، وهي في اليونانية alphabetus (الانكليزية Alphabet) من العربية «**ألف باء تاء**». فهل كان ابن وحشية يقرأ القبطية المكتوبة بحروف من اليونانية يا ترى ؟ إذا كان يفعل فهو قد يكون وصل إلى معرفة القلم «الديموطيقي» أو «الهيراطيقي» وهما القلمان المتطوران عن القلم «الهيروغليفي». على أن ذكر «**البرابى**» بالذات يشير إلى الهيروغليفية، إذ أنها هي التي كتبت بها نقوش المعابد المصرية

(4) إذ يذكر ابن النديم عثمان بن سويد الاخميمي، من أخميم، **قرية من قرى مصر**، وكان مقدماً في صناعة الكيمياء «**وله مع ابن وحشية مناظرات، وبينه وبينه مكاتبات**». (**الفهرست**، ص 505 من طبعة المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة 1348هـ).

ويقول (في ص 433) إن من كتبه كتاب (مفاوضاته) مع ابن جعفر الأموي وسلامة بن سليمان **الاخميمي**.

(5) الأصل : التيخ.

(6) الأصل : أبى.

(7) لا أدري الحكمة من تكرار صورة حروف (الفابيطوس) وحروف (المسند) دون فرق في الترتيب.

القديمة وليس بالقلمين الآخرين. فيكون بهذا سبق «شامبليون» في خطته وفي (اكتشافه).

ويختم ابن النديم حديثه عن ابن وحشية بهذه الملاحظة الدقيقة ذات الدلالة العميقة :

«حروف العنبث :[8] ربما وقعت هذه الخطوط في كتب العلوم التي ذكرتها من الصنعة والسحر والعزائم باللغة التي أحدث أهلها العلم فلا تُفْهَم، اللهم إلا أن يكون الانسان عارفاً بتلك اللغة، وهذا مُعْوِزٌ. وربما كانت هذه الكتابات تراجم تؤدي إلى اللغة العربية، وينبغي أن تُتَأمَّل وتُجْعل هذه الأقلَام مثالاً لها ويرجع إليها إن شاء الله تعالى».

---

(8) هكذا في جميع الطبعات التي اطلعت عليها ولم تفسر.

ويقول «غوستاف فلوغل» G. Flugel في تعليقات نشرته لكتاب (الفهرست) لابن النديم (صفحة 195) إن «عنبث هو اسم شخص مجهول» ـ ولا يزيد على ذلك شيئاً.

غير أننا يمكن أن نفهم من نص ابن النديم أن حروف **العنبث** (وليس «عنبث») هي قلم من الأقلام، أو خطوط «**وربما وقعت هذه الخطوط في كتب العلوم التي ذكرتها من الصنعة والسحر والعزائم باللغة التي أحدث أهلها العلم فلا تفهم**. . . » وباعتبار «**العنبث**» اسم قلم فلا بد أن يكون للكلمة أصل.

في (معجم بدج ـ ص 665) ورد اسم مركّب هو «س ف خ ي ت . ع ب و ت» (Sefkhit ābut) وترجم بأنه يعني اسم «ربّة/إلهة الحروف». ويمكن أن نرجع اسم «**سفخيت**» إلى مادة «س ف خ» (=صبّ الماء أو المداد أو الطلاء) وعربيتها : «سفح»، «سفك»، والياء للنسبة والتاء للتأنيث. أو نرجعها إلى المكافىء العربي الآخر «**صفح**» ـ ودلالته الأولى تتفق مع دلالتي «سفح»، «سفك» ـ ومنه : الصفحة، وجمعها : صفحات، ومقلوبه «**صحف**» ومنه صحيفة، وجمعها : صحف (صحف ابراهيم وموسى)، والمصحف، أي القرآن الكريم. وتمكن المقاربة في هذا المجال مع المصرية «**درب**» d r p و«**درف**» d r f التي تعني : صبَّ، سكب ـ العربية : «**ذرف**» ـ ومعناها في المصرية : كتب. وهي قلبت إلى «ذ ف ر» فصارت بالإبدال : شفر، سفر (ومنها : سِفْرٌ = كتاب)، زبر (= كَتَبَ وأيضاً «ذبر») ومنها : زَبُور = كتاب.

هذا عن «**سفخيت**» = سافحة، سافكة، صافحة < > صاحفة = **كاتبة**.

أما «**عبوت**» فإنها تعود في المصرية إلى الجذر «ع ب» ـ الواو للعلمية والتاء للتأنيث. ومادة «ع ب» في المصرية تفيد الربط والتقييد (في معجم فولكنر : ع ب : وحّد، جمع. ع ب ب : عقدة. وفي معجم بدج : ع ب : ربط، وحّد. ع ب : نسج. ع ب و ت ي : الناسجتان، إيزيس ونفثوس. ع ب : قمط. ع ب و ت : حبال، أربطة، قيود. ع ب و : باقة، ضمة زهر مربوطة. . . الخ).

في العربية نجد الجذر «عبا» (ثلاثي «ع ب») يقدم هذه الدلالة أيضاً : **العباية والعباءة** ضرب من الأكسية (نسيج). ويقال : امرأة **عابية** أي ناظمة تنظم القلائد. قال الشاعر يصف سهاماً :

لها أُطُرٌ صُفْرٌ لطافٌ كأنها * عقيقٌ جلاه **العابيات** نظيم

وفي هذا معنى الجمع والضم والتقييد كما في معنى النسيج، مما يقابل المصرية «**ع ب**» (= ضمَّ، قيَّد، نسج، كتب. قارن العربية : قيَّد، سجَّل، ألَّف = كتب. وكَتَفَ = كتب. . . إلخ).

على هذا الأساس تكون المصرية «**عبوت**» وهي المقطع الثاني من اسم ربة الكتابة، مكافئة للعربية «**عابية**»، كما أن «**سفخيت**» وهي المقطع الأول من الاسم المركب = صفحية = كاتبة. فهي إذن (**الصفحية العابية**).. أي **السافكة/المقيِّدة**.

أما كيف وردت «**العنبث**» عند ابن النديم فإن الألف واللام للتعريف، والنون مزيدة، والأصل «عبث» ولعل الثاء الثلاثية مصحَّفة عن التاء الثنائية، أو مبدلة، في «عبت» (ع ب ت) مؤنث «ع ب» كما مر، تضاف إليها واو العلمية وتاء التأنيث فتكون «ع ب و ت».

إن ابن النديم، ببساطة، يقول ما معناه أن لغة هذه الخطوط التي كتبت بها العلوم المذكورة معوزٌ من يعرفها. . لكنها قد تكون وسيلة ترجمة إلى اللغة العربية. بعبارة أخرى: هي (حجر رشيد) آخر. . لغة قديمة لها مقابل بلغة يمكن فهمها، وعلى هذا الأساس يمكن الوصول إلى سر اللغة الأولى التي أحدث أهلها العلم المكتوب بها **«وينبغي أن تُتَأَمَّل وتُجْعَل هذه الأقلام مثالاً لها»** أي أن تفك رموز لغة مجهولة بخطوط لغة معلومة **«ويُرجع إليها»** بعد ذلك.

لكن. . واأسفاه!

لم يسمع نصيحة ابن النديم أحد، فيما نعلم حتى الآن[9]، إلى أن جاء (شامبليون) ورفاقه، فالتقطوا الخيط ومضوا إلى العمل بالنصيحة. . وكان ما كان.

* * *

ومضى الزمان. . إلى أن جاء العصر الحديث.

والتاريخ لن ينسى أبداً عالماً عربياً رائداً في مجال دراسة الهيروغليفية، أدرك حقيقة الصلة المتينة بين اللغتين المصرية والعربية، بل وحدتهما، ونذر حياته لتبيان هذه الحقيقة والتدليل عليها بكل سبيل، وهو جاهد بكل ما يملك لكي ينبه الأذهان ـ في وقت مبكر جداً وبحماسة منقطعة النظير ـ إلى ما بين اللغتين من وشائج وصلات، واقفاً بصلابة في وجه محاولات الدارسين الغربيين ذوي الروح الاستعمارية تحويل الدراسات المصرية، واللغة المصرية القديمة بالذات، إلى وجهة تَنْأَى بها عن العروبة وتجعل منها كياناً مستقلاً عن الحضارة العروبية العامة، بل أحياناً مضاداً لها بمختلف أساليب التحريف العلمي والتشويه التاريخي المتعمد. ذلك هو الأستاذ **أحمد كمال**.

وقصة أحمد كمال نموذج رائع للعالم العامل، المؤمن بقضية عروبة مصر منذ فجر التاريخ، وهي سجل فاخر للتفاني في متابعة الجهد وإدراك أبعاد (المسألة الفرعونية) وحقيقتها العروبية الواضحة. ومن المؤلم حقاً أن رجلاً على مثال هذا الرجل يهمل هذا الاهمال المحزن، ولا يحظى بالتكريم وتخليد الذكر حتى أن القاهرة التي عاش فيها وعمل لا تخصص شارعاً باسمه أو لوحة تجدد ذكراه، بينما تحتل أسماء «مسبيرو» و«شامبليون» وغيرهما لوحات الشوارع الكبيرة في عاصمة المعز.

من مقالة للدكتور محمد جمال الدين مختار[10] نعرف أن أحمد كمال ولد سنة 1849م. بالقاهرة وهو تعلم في (مدرسة الألسن) أو مدرسة «بروغش» للآثار واللغات القديمة، ثم عمل في مصلحة الآثار المصرية، التي كان يسيطر عليها الأجانب، حتى أصبح أميناً للمتحف المصري، وكان أول عربي يحتل هذا المنصب الذي شغله حتى تقاعد سنة 1914م. وهو في الخامسة والستين من عمره، وعاش بعدها تسع سنوات حتى توفي سنة 1923. عن أربعة وسبعين عاماً. وهو قام بتدريس اللغة

(9) من يدري؟ لعلنا نكتشف يوماً مخطوطة عربية كشفت سر الهيروغليفية وبنتيها الهيراطيقية والديموطيقية.

(10) **المجلة التاريخية المصرية**، العدد 12، 1964 ـ 1965م. الصفحات 43 ـ 57، بعنوان: **أحمد كمال ـ العالم الأثري الأول في مصر**. وهي المقالة الوحيدة التي أمكنني الاطلاع عليها تتحدث عن هذا الرجل.

المصرية القـديمة والحضارة المصرية في المدارس والجامعة الأهلية، ونال عضوية المجامع العلمية واللغـوية، وحصل على كثير من الرتب والأوسمة. «**وهو أول مؤرخ عربي كتب في تاريخ مصر وحضارتها القديمة كتابةً علمية سليمة، وإمام الرعيل الأول من الأثريين المصريين**».

وعدَّد الدكتور مختار ثمانيةً من كتب أحمد كمال المطبوعة، وعدداً كبيراً من المقالات والبحوث المنوَّعة نشرها باللغات العربية والفرنسية. و«لقد عاش أحمد كمال في زمن لم يعرف فيه المصريون أهمية الآثار وقيمتها، ولم يعنوا العناية اللازمة بها، **في فترة احتكر فيها الأجانب العلم وتولوا المناصب الكبيرة في البلاد، مما عرضه للكثير من المتاعب والمضايقات**.

ومع ذلك فإنه لم يضعف أمامها ولم تعقه العقبات التي وضعت في طريقه، بل صمد ونجح في صموده» ـ وكان ذلك بفضل إيمانه وإلمامه بكثير من اللغات، كالفرنسية والانجليزية، والألمانية، بجـانب العـربية والتركية، وبعض اللغات (السامية)، وبفضل اطلاعه على ما وصل إليه علماء الغرب من أبحاث في اللغة والتاريخ والحضارة والديانة وجغرافية البلاد القديمة، وأخيراً بفضل ما جبل عليه من إخلاص ودقة في العمل وجدٍّ وتفان في البحث وشغف وميل للدراسة والتحصيل.

على أنَّ أهم ما يميز أحمد كمال، العالم الأصيل، هو إيمانه بأن اللغة المصرية القديمة لغة عروبية، أو هي أخت للعربية شقيقة. ولسنا ندري هل كان للأستاذ «بروغش» العالم الألماني الذي أصرَّ ـ حتى آخر يوم من حياته ـ على (سامية) اللغة المصرية أثرٌ فيه؟ أم أن اطلاعه الواسع على العربية ذاتها هو الذي أدى به إلى اكتشاف الصلة الوثقى بينها وبين المصرية؟ أم كان العاملان معاً ذوي أثر في توجهه؟

المهم أن أحمد كمال خصَّص جزءاً كبيراً من نشاطه لاثبات هذه الصلة. ويذكر د. جمال الدين مختار في نفس المقالة أن أحمد كمال تحدث في مقال له من أربعين صفحة عن أسماء ملوك مصر التي وردت في المخطوطات العربية مع التعليق عليها والبحث عن أصلها. وتحدث في مقال آخر من 35 صفحة عن أسماء الملابس عند المصريين القدماء مع مقارنتها بالمرادفات العربية. وأفرد مقالاً ثالثاً لأصنام العرب محاولاً الربط بين أسمائها وبعض ألفاظ اللغة المصرية القديمة[11] أو إيجاد صلة بينها وبين المعبودات المصرية. وفي مقال رابع تناول بالدراسة أصل كلمة «مصر».

بيد أن أهم أعماله وأثمنها عمل لم ير النور قط! ولهذا قصة عجيبة تظهر مدى الحرب التي شنت على المنهج العربي في دراسة تاريخ وادي النيل، وتبين عن أية روح «علمية» صدرت دراسات بعض علماء المصريات.

فلنترك د. مختار يتحدث عن هذا الموضوع. قال:

«هذا المعجم يرتبط بناحية اهتم بها أحمد كمال وهي مدى صلة اللغة المصرية القديمة باللغات

---

(11) يشير إلى مقالة بالفرنسية لأحمد كمال عن «الأصنام العربية والمعبودات المصرية».
(Les idoles Arabes et les Divinités Egyptiennes).
أنظر: W. Budge ; The Gods of The Egyptians, Vol. II., p. 289.

السامية بوجه عام واللغة العربية بوجه خاص. فقد لاحظ العلماء منذ منتصف القرن التاسع عشر في قواعد اللغة المصرية القديمة الشيء الكثير من مظاهر وخصائص اللغات السامية : من ذلك اعتماد اللغة المصرية على الحروف الساكنة وخلوها من المتحركة، وتشابه صيغ الفعل وأزمانه مع الفعل السامي، واشتمالها للمثنى بجانب المفرد والجمع، ولظروف الزمان والمكان، ولياء النسب وتاء التأنيث والضمائر المتصلة، ثم استخدام اللغة المصرية الجمل الفعلية بجانب الاسمية، كما لوحظ أن الكثير من ألفاظ اللغة المصرية قريب في تركيبه ونطقه من مرادفاتها السامية.

وهذا الميدان الواسع المتشعب لا يمكن أن يطرقه إلا عالم ملم باللغة المصرية واللغات السامية وخاصة العربية إلماماً كبيراً، وقد طرق أحمد كمال هذا الميدان، وتناول العلاقة بين اللغة المصرية والعربية في محاضرة ألقاها بمدرسة المعلمين الناصرية سنة 1914 جاء فيها :

«اعلموا أيها السادة أن كثرة مطالعتي في اللغة المصرية القديمة منذ كنت في الثامنة عشرة من عمري إلى أن بلغت الستين مهدت لي سبيل الوصول إلى اكتشاف غريب مفيد ألا وهو أن اللغة العربية واللغة المصرية القديمة من أصل واحد. . . ».

ثم جاء في هذه المحاضرة :

«ولما وقفت على أصول اللغتين العربية والمصرية وعلى ما فيهما من القلب والابدال أمكنني الخوض في مقارنتهما بالبراهين القاطعة التي تظهر لنا حقائق المعاني وتبين لنا فحوى النصوص التي وضعت. لا أفتخر بذلك ولا أبرىء نفسي من الغلط في مثل هذا المجال الواسع ولكني سلكت طريقاً أضمن وأرقى من غيره وهو تطبيق اللغة المصرية القديمة على اللغة العربية مع بيان القلب والابدال في بعض كلماتها، اقتداء بالمصريين أنفسهم، حتى تظهر لنا حقيقة المعنى لوجودها محفوظة في اللغتين. . . ».

وعلى هذا الأساس بدأ أحمد كمال في كتابة معجمه الذي استغرقت كتابته، ما يقرب من عشرين عاماً، وأخرجه في 22 جزءاً، ويتضمن كل جزء أحد الحروف الهيروغليفية. وكانت طريقته في هذا المعجم أن يدون الكلمات الهيروغليفية ـ وقد يسجل أحياناً النصوص التي احتوتها ـ ثم يذكر مرادفاتها العربية والفرنسية والقبطية والعبرية. ولنضرب مثلا بحرف الـ «س» فقد تضمن المجلد الخاص بهذا الحرف 1072 صفحة من القطع الكبير. حافلة بالمعلومات والمقارنات والملاحظات.

وقد انتهى أحمد كمال من معجمه تقريباً قبل أن يظهر قاموس إرمان «وجرابو» الصغير سنة 1921، كما أن المعجم المصري الكبير المعروف بقاموس برلين، الذي أخرجه المجمع العلمي البروسي جامعاً بين الكلمات المصرية والقبطية والألمانية، لم يظهر إلا في الفترة بين 1926، 1931 أي بعد بضع سنوات من وفاة المرحوم أحمد كمال.

وتقدم أحمد كمال قبل وفاته ببضعة أشهر إلى وزارة المعارف طالبا طبع المعجم على نفقتها، فأحيل جزء منه وهو المتضمن حرف «القاف» إلى مدير المطبوعات وكان إنجليزيا في ذلك الوقت،

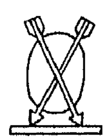
فأحاله إلى كبير الأمناء بمصلحة الآثار، العالم الانجليزي «فرث» ليبدي رأيه فيه. وقد أشرك «فرث» معه في هذا الموضوع، العالم الفرنسي «لاكو» مدير مصلحة الآثار وقتذاك، وعالم الآثار الأمريكي «ريزنر» الذي كان يدير حفائر جامعة «هارفرد» بمنطقة أهرام الجيزة، وقد حبذ الأمريكي طبع المعجم ورفض الفرنسي ذلك، وامتنع الانجليزيان عن إبداء الرأي، وهكذا قضى على هذا المعجم بأن يطوى في زوايا النسيان».

* * *

هذه هي قصة أحمد كمال - بإيجاز. وهي جديرة بالنظر وجديرة بالاعتبار.

فماذا كان يحدث لو نشر معجمه المقارن، والمقارب، بين المصرية والعربية يا ترى؟ ماذا كان يحدث لو أن عمله العظيم خرج إلى حيز الوجود - وحرف السين وحده تبلغ صفحاته ثنتين وسبعين وألفاً من الصفحات؟ كيف كانت تمضي دراسة اللغة المصرية القديمة على هَدْيٍ من عروبيتها، بل كيف يُقرأ التاريخ المصري كله وكيف كان يُكتب؟

لو أن علماء المصريات من العرب، ومن أبناء وادي النيل خاصة، اتّبعوا منهج الرائد الجليل وساروا على نهجه وآمنوا بما آمن هو به - عن علمٍ وإدراك ويقين - لتغيَّر فعلاً وجه التاريخ الذي زيفه أعداء الأمة العربية وزوّروا - بتوجُّه مقصود وتوجيه متعمَّد - حقيقته، ونحن عن ذلك غافلون.



الوليد بن مصعب .. ومصعب بن الوليـد

ينقل الهَمْداني عن محمد بن اسحاق (صاحب السيرة) وهو يتحدث عن أولاد سام بن نوح قوله :

«ومن ولد ودان[1] : الفراعنة بمصر. والمشهور أنهم من العمالق[2]، منهم الريَّان بن **الوليد**، ويقال : **الوليد بن الريان**، وهو الملك في عهد يوسف، **والوليد بن مصعب** الذي كان في عهد موسى، وإليه أرسل»[3].

ويذكر ابن منظور أنه :

«في الحديث أنه (أي النبي) دخل على أم سَلَمَة وعندها غلام يُسَمَّى **الوليد** فقال (النبي) : «**اتخذتم الوليد** حناناً. غيِّروا اسمه». أي تتعطفون على هذا الاسم فتحبونه. وفي رواية أنه من أسماء **الفراعنة**» (اللسان، مادة : حنن).

في هذين النصين، وفي مواطن أخرى كثيرة عند الاخباريين والمؤرخين العرب المسلمين[4]، يتردد اسم «الوليد» باعتباره من أسماء الفراعنة. فلماذا «**الوليد**» بالذات ؟

الجواب يكمن في أن هذه الكلمة ليست إلا المرادف العربي لكلمتين أخريين تدخلان في ألقاب ملوك مصر الأقـدمـين بشكل يكاد يكون متواتراً حتى لا يكاد يخلو لقب أي فرعون من أحدهما ؛

---

(1) ورد بعد قليل في صورة «دان». وقد تردد اسم «دناوس» Danaus بالصيغة اليونانية (دان + وس) في «تاريخ مانيثون» باعتباره اسماً آخر لـ «هرمس» (حر ـ مس) أخي «ست» Sethôs في أثناء الصراع بين الاثنين، وهو صراع ـ لاشك ـ رمزي، وله دلالاته، رغم ما يعترى الروايات الأسطورية حوله من خلط يبلغ درجة الغموض. أنظر في مواطن متفرقة (سلسلة «لويب») : W.G. Waddell ; Manetho .

(2) العمالقة، أو العماليق، جمع عملاق وعمليق، وهم في التوراة : عناقيم = الأقوياء، الجبابرة، «الجبارين» بلغة القرآن الكريم : «**وَقَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ**» (المائدة/22). وهم أهل فلسطين العرب حين جاءها العبرانيون.

(3) **كتاب الاكليل، تحقيق محمد بن علي الأكوع، منشورات (المدينة)، ط 3، 1986م. الجزء الأول، ص 72.**

(4) **قارن المسعودي في (أخبار الزمان) :**

«وقال أصحاب التاريخ من أهل مصر إن أول من تسمى بفرعون غلام الوليد بن دمع العماليقي» (ص 176 من **طبعة دار الأندلس، بيروت 1980م).**

الأولى : «س ء» s a أو «ز ء» z a (غاردنر : ص 471)[5] ومعناها : **ابن، ولد** - وتدخل في ألقاب من مثل : «سا - رع»، «سا - حر» أي : ابن الشمس (رع)، ابن الصقر (حُر). والثانية : **«م س»** ms ونجدها في ألقاب من مثل : «رع - م س» (رعمسيس/رمسيس)، **«ت ح ت - م س»** (تحتمس)، **«أح - م س»** (أحمس) = رع وَلَدَ، تحت وَلَدَ، أح وَلَدَ (أنظر : غاردنر Eg. Gr., p. 74) ومعناها كذلك : ابن رع، ابن تحت، ابن أح . . . إلخ[6].

إن كلاً من «س ء»/ «ز ء» و«م س» تعني في المصرية : ولد/ابن، وهما من (أسماء) الفراعنة تدخلان في تلك السلسلة الطويلة من ألقاب التبجيل، باعتبار الفرعون **ابناً لآله من الآلهة** بحسب غلبة عبادته على مصر في فترات التاريخ، سواء كان (رع)، أو (حر) أو (أمون) أو (تحت) أو غيرهم.

وقد ظلت هذه «البُنُوَّة» الآلهية في ذاكرة الأجيال حتى بلغت الاخباريين العرب فسجلوها. وكل ما في الأمر أنهم استعملوا مرادفاً آخر لـ «ذو» و «م س» هو «وليد». أي : ولد صغير = ابن.

فلنقرأ نصَّ الهمداني، عن ابن اسحاق، مرةً أخرى :

«ومن ولد ودان (دان) : الفراعنة بمصر. والمشهور أنهم من العمالق (العماليق)، منهم **الريان بن الوليد، أو الوليد بن الريان**».

قد نجرؤ على القول هنا إن هذا الاختلاف ما بين «الريان بن الوليد» و«الوليد بن الريان» يقابل ما نراه في المصرية ذاتها ؛ فإن سلَّمنا بأن «الوليد» (الولد < ولد) تقابل المصرية «م س» m s وهي تقدم وتؤخر، فهل يمتنع أن تقابل «**الريان**» اسم المعبود «رع» ؟

لاحظ أن الألف واللام للتعريف، زائدتان، وكذلك الألف والنون في آخر اسم «الريان»، والجذر الأصلي هو «ري»[7] وهو بتبادل العين والياء ذاته «رع». وهذا لا يستغرب ؛ ألا ترى أن «رع» ومنها «رعىٰ» (راعٍ، رعاية، رعياً) هي ذاتها «ر أ» ومنها «رَأىٰ» (راءٍ، رؤية)[8] ؟ وكما ورد في

---

(5) «س ء»، «ز ء» هي نقحرة (غاردنر) وبقية علماء المصريات. تقابل بالضبط العربية الجنوبية (اليمنية) :
ذ < ذو = ابن.

(6) «رع/م س» بإلحاق «م س» وليس إسباقها هي القراءة المشهورة، ولعل هذه صيغة متأخرة بتأثير اليونانية. هناك أسماء تسبق فيها «م س» اسم المعبود (= ابن . . .) مما يطابق العربية، من مثل : «م س - إ م ن» = ابن آمون، «م س - رع» = ابن رع. أنظر : Gardiner ; Egypt of The Pharoahs.
وكذلك : Kitchen ; The Third Intermediate Period in Egypt.
في مواطن متفرقة. ويبدو أن «م س» هذه عرفت بشكل مشوه عند الاخباريين العرب، إذ يتحدث المسعودي عن أحد ملوك مصر الأوائل يقال له «فرعان بن ميسون» (أخبار الزمان، ص 176). وواضح أن «فرعان» هي «فرعون» (أو في المصرية : «پ ر - ع ء» pr-ʿa) و «ميسون» هي «م س» ms التي تقابل «الوليد».

(7) قبل النص الذي نقلناه بسطر واحد : «قال ابن إسحاق : فمن ولد آزر بن فهلوج أهل الري وأصبهان. قالوا : ومن ولد ودان : الفراعنة بمصر. . . إلخ». وبصرف النظر عن الخلط الواضح فإن كلمتي «آزر» و «الري» تبدوان ذاتي صلة بـ «أزر» (أوزيريس) و«رع» المعبودين المصريين الشهيرين. والمعروف أن عبادة (أوزيريس) في وادي النيل سبقت عبادة (رع) فمن الطبيعي أن يكون «أهل الري» (= أتباع رع) من «ولد آزر» (= أتباع أوزيريس).

(8) هذه مجرد ملاحظة، ولعل من المفيد قراءة نصوص الاخباريين العرب على ضوء الكشوف والدراسات اللغوية الحديثة.

نص الهمداني «الوليد بن الريان» أو «الريان بن الوليد» فهو كذلك في النصوص المصرية : «م س - رع» (أو : س ء/ز ء = ذو - رع) = الوليد بن الريان و«رع - م س» (رعمسيس < = رمسيس) = الريان بن الوليد.

على أن صلة «م س» بـ «وليد» تبدو أكثر جلاءً في موضع آخر ؛ إذ نجد في مادة «ولد» في (اللسان) :

«وفي الحديث : واقيةً كواقية **الوليد**، هو الطفل، فعيل بمعنى مفعول، أي كلاءةً وحفظاً كما يُكلأُ الطفل. **وقيل : أراد بالوليد موسى، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، لقوله تعالى : ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً﴾**[9]».

«وليد» إذن = «موسى»، جذرها «م س». وهذه مسألة أثارت كثيراً من النقاش والبحث والتقصّي.

في مادة «مَوَسَ» يذكر (اللسان) :

«وموسى اسم النبي، عربيٌّ معرَّب[10]، وهو (مو) أي : ماء و(سا) أي شجر، لأن التابوت الذي كان فيه وجد بين الماء والشجر فسمي به. وقيل : هو بالعبرانية «موسى» ومعناه «**الجذب**» لأنه جُذب من الماء. قال الليث : واشتقاقه من الماء والساج[11]، فالمو = ماء، وسا = الشجر، لحال التابوت في الماء».

وهذا هو التفسير التقليدي لاسم «موسى» النبي. ويمكن الاستعانة بالعربية هنا في الجذر «**مسا**» الذي يفيد استخراج ماء الفحل، أو النطفة، أو الولد من رحم الناقة[12]، وهو الاستلال أو «الجذب» = المَسْوُ، المَسيُ < موسى»[13] = المجذوب، المولود، الوليد.

لعل هذا هو التفسير الصحيح لأصل الاسم (موسى). أما مسألة الماء (مو) والشجر (سا/شا) فهو تخريج بعيد القبول، خاصة إدخال المقطع الثاني («سا/شا» بمعنى «شجر»)[14].

---

(9) الشعراء : 18. وكان هذا قول فرعون وهو يَمُنُّ على موسى تربيته له : ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ. وَفَعَلْتَ فِعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ. قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾. الآيات 18 - 20.

(10) كذا.. «عربيٌّ معرَّب» (!)

(11) كذا، بالجيم. وفي (القاموس المحيط) : «الشا».

(12) «المَسْيُ : إخراج **النطفة** من الرحم... ومسيت الناقة إذا سطوت عليها وأخرجت ولدها. والمَسْيُ لغة في المَسْو... ومسيت الناقة والفرس... إذا أدخلت يدك في رحمها فاستخرجت ماء الفحل، والولد... وكل استلال مَسْيٌ».

(13) في العبرية «مُوْشي» Mōshē قارن مادة «مشي» العربية = ولد، نتج، خرج الولد من رحم أمه، انجذب. وفي اللهجة الليبية الدارجة : «الماشة» = حديدة ذات ذراعين يستخرج بها الجمر من موقد النار.

(14) في نقده الحاد لمذهب نشأة اللغة من مقطع أحادي تطور إلى ثنائي ثم ثلاثي تعرض د. عبد الصبور شاهين لكتاب الشيخ عبد الله العلايلي (مقدمة لدرس لغة العرب) وتساءل مستنكراً : «غير أن الذي لم يقله المؤلف ولا يملك الإجابة عنه هو : هل مرت كلمات مثل (شجر، وجبل، وجمل، وسمك) العربية بدور الأحادية هذا، مع دلالتها=

على أن صلة اسم «موسى» بالماء في تفسيره قديمة وردت عند المؤرخ اليهودي (يوسفوس) الـذي كان يرد على المؤرخ المصري «مـانيثون» في قوله إن اسم موسى الأصلي كان «أُسَرسيف» Oserseph (لاحظ علاقته بـ «أزر» < «أوزيريس») فقال :

«الاسم الحقيقي (لموسى) يعني : المنقَذ من الماء one saved out of the water لأن الماء يدعى «مُوْ - ي» mo-y عند المصريين»[15].

وقد علق الأستاذ «و. ج. وادل» W.G. Waddell على قول (يوسفوس) هذا بأن صلة اسم موسى بالماء صلة فرضية لا تقوم للنقد الفيلولوجي. أما ما ورد في العهد القديم (سفر الخروج، الاصحاح 2/آية : 10) من أن ابنة فرعون هي التي «دعت اسمه موسى وقالت إني انتشلته من الماء» (العبرية «ماشه» mashah = «المنتشل» من الماء) فاشتقاق لا يكاد يؤخذ مأخذ الجد، حسب رأي العلماء[16]. وهو يلفت النظر إلى المصرية «م س» أو «م س ى» التي تتردد في أسماء الفراعين بكثرة وافرة.

هذا الرأي نفسه نجده عند «سيجموند فرويد» في كتابه المشهور (موسى والتوحيد)[17] وهو

= بمقطع واحد مع ما تدل عليه بنيتها الثلاثية، علماً بأن هذه التسميات من أقدم ما عرفه الانسان ؟ وهل مرت هذه الكلمات وأشباهها بعد دور الآحادية بدور الثنائية مع نفس الدلالة ؟» (في التطور اللغوي : ص 89).

وقد رأينا في النص المنقول عن ابن منظور أن «سا» و«شا» تعني «شجر» (وهذا مقطع أحادي) كما أورد «ساج» (جذرها «س ج») بمعنى «شجر» وهو مقطع ثنائي، وتبادل السين المهملة والشين المعجمة معروف (قارن نطق عرب لبنان : سجرة = شجرة، وقارن : «سا» = «شا»). نذهب إلى أن هذا هو تطور كلمة «شجرة» : «ش» (سا/شا) مقطع أحادي ← «شج» (ساج) مقطع ثنائي ← «شجر» (ثلاثي).

ويضيف الدكتور شاهين مستنكراً : «وبعبارة أوضح : هل نتصور أن العربية في مراحلها الأولى كانت تطلق المقطع (ج) مثلاً على كل مرتفع، كالجبل... وما شكْلُ ثنائيتها في مرحلتها الثانية آنذاك ؟» (نفس المصدر والصفحة).

والجواب : نعم. فإن هذه الـ(جـ) كانت تنطق في اللغات العروبية القديمة ga (أي جيماً غير معطشة) تكافىء القاف المعقودة ؛ وهذا ما نجده في المصرية يفيد الارتفاع، أما في العربية فإننا نجدها في جذور من مثل : قيا، قوا، قعا (وهي جذور ثنائية أساساً تثلث فتفيد الارتفاع). وقارن اليونانية Gea (الأرض) التي صارت في اللغة الأوروبية الحديثة -geo (العربية : قيا < القاءة = الأرض).

فإذا أضفنا الباء إلى الجيم كانت الثنائية في المرحلة الثانية (جب) ثنائي (جبل)، ومنها المصرية (ج ب» g b وتعني «الأرض» و G b = إلـه الأرض، عربيتها : جب < جبب ← «جبوب» = أرض (أنظر مادة «ج ب» في هذه الدراسة). ثم تثلث بإضافة اللام فتصير «جبل». والدليل على أن اللام غير أصلية أن الثنائي «جب» يثلث بالألف المهموزة «جبأ» فيعني الخروج والبروز، وبالخاء (جبخ) وبالراء (جبر) فيفيد الكبر والتكبر، وبالزاي (جبز) وبالنون (جبن) فيفيد الغلظة، وهذه كلها من سمات (الجبل)، ويثلث بالهاء (جبه) ومنها (جبهة) وهي أشبه شيء بالجبل ارتفاعاً وتقدماً وبروزاً.

(15) أنظره في : .Josephus ; Contra Apionem . W.G. Waddell ; Manetho . سلسلة «لويب»، ص 147.

(16) نفس المصدر. وهويستشهد برأي «ت. ر. روبنسون» T.R. Robinson في كتاب (تاريخ إسرائيل) Hisory of Israel ، جزء أول، ص 81.

(17) Sigmund Freud ; Moses and Monotheism, Tr. K. Jones, The Hoggart Press Ltol., London, 1951, pp. 12-13.

يستشهد باقتباس طويل من عالم المصريات المعروف «بريستد» Breasted [18] الذي يؤكد فيه أن اسم موسى Mosé(s) ببساطة هو الكلمة المصرية «م س» ms(mose) التي تعني : طفل child (أي : وليد) وهي اختصار لصيغة أسماء كاملة مثل : «ب ت ح - م س» (فتّاحٌ وَلَدَ < وَلَدَ فتّاحٌ < ولدُ فتاحٍ) وهكذا : «أ م ن - م س». ويستغرب «فرويد» من أن «بريستد» نسي : «أ ح - م س» (أحمس)، «ر ع - م س» (رمسيس)، «ت ح ت - م س» (تحتمس) وهي أسماء مشهورة. والخلاصة أن «م س» m s هي «مُوْسى» mose = طفل، وليد، أما السين في آخر mose(s) فزائدة يونانية.

فإذا قال ابن منظور إن النبي (ﷺ) «أراد بالوليد موسى» فهو قول صواب. وإذا خاطب فرعون موسى : «أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً ؟». فلا جدال في أنه كان يكلمه بالمصرية «م س» (أو لنحركها : موسى) وليس «ولد» أو «وليد»[19].

هذا عن «الوليد»، سواء كان الوليد بن الريان، أو الريان بن الوليد «وهو الملك في عهد يوسف» ولكن ما القول في «الوليد بن مصعب الذي كان في عهد موسى وإليه أرسل» - كما يقول الهمداني ؟

لا نريد الدخول هنا في نقاش تاريخي عن عهدي يوسف وموسى (فقد أشرنا إلى ذلك عند الحديث عن «الهكسوس»). ولكن يهمنا أن نعرف لماذا قرن اسم «**مصعب**» بالذات بـ «**الوليد**» ؟

اسم «مصعب» اسم عربي صريح، وجذره «صعب»، وهو يفيد **الشدة**، نقيض الذَّلول، والمُصْعَب : **الفحل**، وبه سمي الرجل مصعباً، ورجلٌ مصعب : مسَوَّدٌ (في أهله)[20]. وهذه المعاني الدالة على القوة نجدها واضحة في الألقاب الطويلة التي كانت تسبغ على الفرعون إجلالاً وتقديراً، بيَّنها «غاردنر» (Eg. Gr., p. 71 - 75) من مثل : «كا - ن خ ت» ka n ḫ t = الثور القوي (الناشط)، «ن ب» n b = السيِّد (المسوَّد = نبي، رب). ونجدها في قائمة الفراعين آخر معجم «بدج» (ص 917 - 946) في اسم «أخناتون» مثلاً «أ خ = قوة + نون الاضافة +إتن = **الشمس/ أتون**) وتتردد كلمة «م ر» m r ومعناها : قوي، شديد (قارن العربية مادة «مرر» < مرء،

---

(18) .The Dawn of Conscience, London, 1434, p. 350.
وقد ترجمه إلى العربية بعنوان (فجر الضمير) الدكتور سليم حسن، سلسلة الألف كتاب (108) مكتبة مصر، بدون تاريخ.

19) لا يوجد حرف اللام في المصرية. الولد يسمّى فيها «وا» أو «و ء».
أنظر بيان نشأة رمز الواو الهيروغليفي في (الأصول العربية لرموز الهجاء الهيروغليفية) في هذه الدراسة.

20) اللسان، مادة : صعب. ومن أشهر من سمي مصعباً : مصعب بنُ الزبير. قال : وكان ذو القرنين المنذر بن ماء السماء يلقب بالصعب، قال لبيد :

والصعبُ ذو القرنين أصبح ثاويـاً * بالحِنْوِ، في جَدَثٍ، أُمَيْمَ، مقيم

وقد كان اسم «الصعب» (أو لعله لقبٌ) منتشراً في اليمن القديمة علماً على الملوك والزعماء مثل : الصعب بن تبّع الأقرن، الصعب بن ذي مراثد، الصعب بن القرين، الصعب بن مالك. أنظر في مواطن متفرقة : (**ملوك حمير وأقيال اليمن**، قصيدة نشوان الحميري وشرحها، دار العودة، بيروت، 1986م).

مرار، مِرَّة. . إلخ) وكذلك «م ن» m n (= قوي، صلب. قارن العربية، مادة: «منن» = قوي).
وهكذا مما لا نريد أن نثقل على القارىء به، ولكنه معلوم مشهور.

«الوليد بن مصعب» ظهر في عهده النبي موسى. هكذا يقول الهمداني وعامة الاخباريين العرب. وكثير من الباحثين الغربيين والمهتمين بتأريخ التوراة (أو العهد القديم) يقولون إن موسى ظهر في عصر فرعون من الأسرة التاسعة عشرة أواخر القرن الثالث عشر ق. م. هو «**مرنبتاح**» (م ر. ن. ب ت ح mr. n. ptḥ[21] = **قوة** (الاله) فتّاح). وكلمة «م ر» هنا = قوة، شدة، **صعوبة**، **فهو** «**الصَّعْب**» (كما هو لقب المنذر بن ماء السماء) أو «**مُصْعَب**».

الصعوبة التي نواجهها هنا أن اسم فرعون موسى كما يقول الهمداني هو «الوليد بن مصعب»، وليس العكس. ولعل في الأمر خلطاً كما حدث في اسم «الوليد بن الريان». فلنقل إن اسم فرعون موسى هو «مصعب بن الوليد». . فيُحل الاشكال، ونواجه بغريبة أخرى هي أن لقب «مرنتباح» يخلو من «م س» (الوليد) التي مضى الحديث عنها، لكن اسم والده مشهور بالغ الشهرة ألا وهو: «رمسيس الثاني» (ر ع - م س = **ولد رع** = **الوليد**). وبذا يطابق «مر» أو «من» في (مرنبتاح»/منفتاح) «مصعب» و«مس» تطابق «الوليد» = مصعب بن الوليد.

فإن لم يكن هذا مُرْضِياً فإن في اسم خليفة[22] «مرنبتاح» كلمة «**م س**» (الوليد)، وهو «رمسيس الثالث» (ر ع - م س) صاحب الحرب المشهورة ضد «أقوام البحر». وليس من المحقق متى ظهر موسى، أفي عهد مرنبتاح أو عهد أبيه أم عهد حفيده فإن كان الأخير فهو بالضبط «**الوليد بن مصعب**»، مرادف عربي لمقطعين من اسمه: «**ر ع (م س) + (س) ن. ب ت ح**».

(21) في بعض النصوص «م ن. پ ت ح» (Menephtah = m n. p t ḥ) والجذر «م ن» (العربية: منن) يفيد القوة والشدة والصلابة، أي: الصعوبة.

(22) ليس ابنه من صلبه ولكنه حفيده، وهو ما تجوز تسميته ابناً.

الثور المسافــر !

في مادة «سفر» في (اللسان) يورد ابن منظور نصاً يبدو منفصلاً تمام الانفصال عن مجمل المعاني التي تقدمها هذه المادة، دون تفسير ولا بيان.
قال :

«وسمّى زهيرٌ البقرةَ **مسافرةً فقال** :

كخنساء سفعاء المِلاَطَيْنِ حُـرَّةٍ * مسافرةٍ مزؤودةٍ أُمِّ فَرْقَدِ

ويقال للثور الوحشي : **مسافر وأماني وناشط**. وقال :

كأنها بعدمـا خَفَّـتْ ثَمِيلَتُهـا * مسافرٌ أشعث الرَّوْقَيْنِ مكحولُ».

فلماذا سُمِّي الثور «**مسافراً**» (والبقرة : مسافرةً) ولماذا سمي الثور نفسه «**أماني**» و«**ناشط**» ؟ فإذا قلنا إن «مسافر» ذات صلة بالسفر ـ بمعنى : الترحال أو التنقل ـ وإن الثور «يسافر» من مكان إلى آخر أُجبنا بأن هذا السفر ليس خاصاً بالثور وحده، فكل حيوان غالبا ما يتنقل ويرتحل، خاصة حيوان البادية الباحث عن الكلأ أو عن الصَّيْد. ثم ما معنى أن يُسَمَّى «**أماني**» وأن يُسَمَّى «**ناشط**» في هذا المجال ؟

السر، عندنا، يكمن في أن هذه الكلمات الثلاث ذات صلة بالثور، وتسمياته، في المصرية، وُجدت في العربية دون معرفة مصدرها، أو هي عربية أصلاً، لنقل مشتركة بين اللغتين. فلنأخذ التسميات الثلاث ونرى أمرها :

(1) **مسافر** : في العربية نقول : فلان مسافرٌ، وهو سَفْرٌ، بمعنى «راحلٌ» وهذا ينطبق، قياسا، على تسمية الثور : مسافر = سَفْر.

في المصرية كلمة «س ب ر»[1] spr (ب = ف) وتترجم بأنها تعني «ضلع» rib وهي تكتب في الهيروغليفية هكذا : [hieroglyph] عبارة عن صورة ضلع كبيرة (من الواضح أنها ضلع ثور) وشيء يشبه الدودة أو العلقة أو قطعة لحم. فكأن الكاتب الهيروغليفي أراد أن يقول : ضلع ثور سقط عنه

(1) في الأكادية : «سپورو» supūru = زريبة الأبقار cattle-stale حسب معجم «واير» Weir (ص 300) وهو يقول إنه لا يعرف أصلها.

اللحم = «س پ ر» spr . وهذه الفكرة لا تتضح إلا إذا قرأنا ما يورده ابن منظور في مادة «سفر» ذاتها بعدما ذكرناه :

«وفرسٌ **سافرُ اللحم** أي قليله . قال ابن مقبل :

لا سافرُ اللحم مدخولٌ ولا هبجٌ * كاسي العظام ، لطيفُ الكَشْحِ مهضومُ» .

ومن البديهي أن أول ما يظهر من قلة اللحم في الحيوان أضلاعه ، فيُسمَّى سافر اللحم ، أو مجرد سافر ، أو «سَفْر» (المصرية «س پ ر» لا تعني فقط (ضلع) بل : الضلع الخالي من اللحم = السافرة . وربما أطلقت على الثور القليل اللحم ، كما وصف الفرس العربي بأنه «**لا سافر اللحم**» ، من باب إطلاق الجزء على الكل وهو باب معروف مشهور) . **ومن هنا جاءت تسمية الثور الوحشي في العربية «مسافر»** بمعنى (قليل اللحم) . وهذا طبيعي ؛ فهو أقل طعاماً من الثور المدجّن الأهلي الذي يطعمه أصحابه ويعتنون بغذائه .

ملاحظة أخرى عن الرمز الهيروغليفي تتعلق بالقطعة التي تحت الضلع وقد ترسم أحياناً مقلوبة . إذ تأتي في كلمات مكتوبة بالقلم الهيروغليفي ذات صلة باللحم وأعضاء الجسد مثل : رقبة ، كتف ، جهاز الأنثى التناسلي ، كبد . وكانت هناك اختلافات بين العلماء في تفسير أصلها : «غاردنر» يرى أنها مجرد قطعة لحم ، ورأى غيره أنها نشأت عن رسم خصية ، وآخرون قالوا إنها للدلالة على الولد (غاردنر Eg. Gr., p. 467) أي أنها «دودة» ، أو «علقة» التي هي أصل الولد .

نعود إلى ابن منظور . وقد رأينا أن «سفر» تعني «الخالي» من اللحم . وهي تقابل (صَفَرَ < صِفْر)[2] = خَالٍ . فلنقرأ ما جاء في مادة «صفر» من (اللسان) :

«والصَّفَرُ : **حيّة تلزق بالضلوع فتعضها** ، الواحد والجميع في ذلك سواء . وقيل : واحدته صَفَرة . وقيل : الصَّفَر **دابّة تعضّ الضلوع والشراسيف** . قال أعشى باهلة يرثي أخاه :

لا يتأرّى لما في القِدْرِ يرقبه * ولا يَعَضُّ على شرسوفه الصَّفَرُ

. . . والصَّفَرُ والصُّفار : **دود يكون في البطن وشراسيف الأضلاع**» .

هذه «الدودة» أو «الدابة» (التي تدب) أو «الحية» (من «الحياة» وليس المقصود الأفعى طبعاً) التي تلزق بالضلوع والشراسيف هي الرمز الهيروغليفي = قطعة اللحم ، أو العلقة ، تسمى في المصرية «س پ ر» spr وفي العربية «صَفَر» . ولنلاحظ ، مرة أخرى ، موقعها تحت الضلع مباشرة ، لازقة به . . أو تكاد .

(2) أماني : «الأماني» في العربية جمع «أمنية»[3] ، وعجيب أن يسمى الثور «أماني» (هكذا !) .

---

(2) من المفيد هنا أن نسجل أن «غاردنر» ينقحر الرمز الهيروغليفي بالحروف اللاتينية : ṡpr, spr والرمز (ṡ) يقابل الصاد في العربية .

(3) ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾ ، (الحديد : 14) .
وقارن : البقرة : 78 ، النساء : 123 ، البقرة : 111 .

لكن العجب ينتفي حين نعرف أن الثور في المصرية يسمى «م ن» mn والبقرة «م ن. ت» mn.t. وفي (معجم بدج) و(معجم فولكنر) وكذلك عند (غاردنر) مشتقات كثيرة من الجذر «م ن» تدل على قطعان الأبقار «م ن م ن ت» mnmnt (مضاعف «م ن») وما إليها. لكن الدلالة الأصلية هي القوة، فقد كان الثور معبوداً في وادي النيل[4] يرمز إلى القوة (قارن جذر العربية «منن» ← قوة، وكذلك «مني») وقد يسمى الثور في المصرية: «م ن م ن» mnmn (صيغة مبالغة من «م ن»). كما أنه من مشتقات «م ن» معنى الحركة، في قطيع الأبقار أصلاً (قارن العربية: ماشية، ذات صلة بالمشي، واللهجة الليبية: «سَعْي» = ماشية، ذات صلة ب «سعى»/«يَسْعَى»). وهنا نجد العربية «نمى» = مشى، سعى. (هل تطورت كلمة «نمل» الثلاثية عن «نم» (مقلوب «م ن»). وهي الحشرة الساعية أبداً ؟). وفي مادة «منأ» العربية نجد: المنيئة = جلد (البقر) المدبوغ.

لاحظ أن جذر كلمة (أماني) الأصلي هو «م ن». أما الألف المهموزة أولها والياء آخرها، والألف الممدودة وسطها فزيادات، بدليل أن كلمة «أمنية» نجدها في «مني» وليس في «أمن».

ومع هذا فإننا نجد كلمة «إ م ن» imn في معجم المصرية يترجمها «بدج»: a bull-god (رب/معبود ثور) (معجم بدج، ص 53).

(3) **ناشـط**:

تتردد في معاجم اللغة المصرية كلمة «ن خ ت» nḫt مفردة أو صفة لموصوف، وتختلف ترجماتها بيد أن الدلالة الأصلية: القوة.

عند (فولكنر): «ن خ ت» = شباب. وعند (غاردنر، ص 575): قوي، جبَّار، غالب/قوة، غلبة. ومنها «ن خ ت و» nḫtw = حِصْن، قلعة. وتُعَدَّى بالسين: «س. ن خ ت» = قَوَّى، عَزَّز، حَصَّن. وهي تدخل في ألقاب الفرعون: «ك ء ن خ ت» kanḫt = **الثور الغالب** (غاردنر، ص 458، وقارن ص 51).

وفي معجم (بدج) ص 388-389 يشتق من الجذر «ن خ ت» كلمات كثيرة تدل في مجملها على القوة. ومن الواضح أن التاء في هذا الجذر أصلية وليست للتأنيث، بدليل أن «ن خ ت» = الرجل القوي، أما المرأة القوية فهي: «ن خ ت. ت» (معجم بدج، ص 389).

قد نقابل هنا بالعربية «**نخط**» (بتعاقب التاء والطاء بين المصرية والعربية)[5] وفيها: «**النُّخْطُ**»: اللاعبون بالرماح شجاعةً»[6] (اللسان). بيد أن الأستاذ (بدج) يقارن المصرية القديمة «**ن خ ت**» بالقبطية «نْشْتْ» ñshot = قوي، جبَّار (ص 388)، وهي بالشين بدلاً من الخاء كما ترى. ليس هذا

---

4) عرف في اليونانية باسم Mnevis وهو الثور المقدس في مدينة هليوبولس (عين شمس)، وكانت طقوس عبادته مطابقة في أغلب مظاهرها للمعبود «أبيس» Apis في مدينة [منف] - كما يقول (معجم أكسفورد للكلاسيكيات).

(5) يؤكد هذا التعاقب أن «ن خ ت» تأتي بالتاء المثلثة «ن خ ث» بنفس المعنى (معجم بدج، ص 389).

(6) في المصرية «ن خ ت. ع» nḫt-ᶜ = محارب، مقاتل Warrior.
و«ن خ ت. خ ب ش» = السّيف القوي Strong sword (نفس المصدر السابق).

فقط بل هو يقرر في مادة «ن ش ت» أنها ذاتها «ن خ ت» ومنها «ن ش ت ى» = قاسٍ ، عنيف cruel, violent (ص 395) .

هنا نمضي إلى مادة «نشط» العربية لنقرأ :

«النشـاط ضد الكسـل يكون ذلك في الانسان والدابة . . . ونشيط : طيب النفس للعمل ، والنعت : ناشط . . . وأنشط القوم إذا كانت دوابهم نشيطة . ونشط الدابة : سمن ، وأنشطه الكلأ : أسمنه» .

وفي هذا كله معنى القوة .

ويضيف ابن منظور :

«والناشط : الثور الوحشي الذي يخرج من بلد إلى بلد أو من أرض إلى أرض . قال أسامة الهذلي :

وإلا النعـام وحَفَّـانـة * وطغياً مع اللهق الناشط .

وكذلك الحمار» .

ونرى أن ابن منظور خلط هنا ما بين النشاط = القوة ، والنشط أو النشوط = الخروج والسير . ولا يفهم تفسيره لتسمية الثور (الوحشي) «الناشط» بخروجه من بلد إلى بلد أو من أرض إلى أرض («وكذلك الحمار» ـ الذي هو حيوان ساكن في الغالب لا يكاد يريم من مربطه إلا لعمل) اللهم إلا في ضوء تسميته مسافراً . أي متنقلاً أو مرتحلاً .

لعل هذا يبين تسمية الثور الوحشي : «مسافر» ، و«أماني» و«ناشط» في العربية ، إذ هو وما في المصرية سواء .



كـلاب «أنتف» الأربعـة

كان «أنتف الثاني» أو «أنتف الأكبر» (حرفياً : أ ن ت ف . ع ء = أنتف العـالي) أحد فراعنـة طيبة الأول، مغرماً بالصيـد. وعلى قبره الذي اكتشف عام 1827م. يصوَّر واقفاً وبين يديه كـلاب صيده الأربعة منقوشة أسمـاؤها فوق صورها. وقد تعرض «جـورج رولنسـون» (G. Rowlinson ; Ancient Egypt, pp. 98-99) لهذه الكلاب وصورها ومعاني أسمائها. [7]. ومنه نقتبس :

(1) **الكلب الأول** : يدعى «م هـ ت» m h t ـ ذو أذنين مرخيتين وأرجل طويلة قوية، وقد يشبه كلب صيد الثعالب، وكان لا شك سريعاً وقويًّا. ومعنى اسمه في الانكليزية (antelope). العربية : «مهاة» = رئم، تيتل، بقر الوحش ـ كناية عن سرعة العدو فيما يبدو.

(2) **الكلب الثاني** : اسمه «ب ك ر» B k r ـ وهو منتصب الأذنين دقيق الأنف خشن الذيل. وقد قارنه البعض بالكلب الألماني المسمَّى spitz ، لكن يبدو أنه أقرب إلى ابن آوى في الفصيلة، وهو يرجع إلى ذلك النوع الوحشي من الكلاب. ويذكر «رولنسون» أن معنى اسمه غير معروف.

نعود هنا إلى بعض المراجع الأخرى لعلها تبين لنا عن الغاية. إذ يذكر «بدج» في معجمه (صفحة 5) كلمة «أ ب ق ر» a b q r ويحددها بأنها تعني اسم كلب «أنتف الأكبر» الليبي الأصل، وهو كلب سلوقي.

أما «أوريك بيتس» (O. Bates ; The Eastern Libyans, p. 80) فيورد الكلمة الليبية «ك ب ر» k b r (أَكَبَّارْ akabbar وجمعها : إِكَبَّارِنْ ikabbaren) بمعنى : «مخالب، براثن»، ثم نجد «جنسن»

---

(7) إطلاق الأسماء على الكلاب عادة عربية قديمة معروفة، وقد أورد الجاحظ حديثاً مطولاً عن هذا الأمر، ومن ذلك وصف لبيد لثور :

فأصبح وانْشَقَّ الضباب وهاجه . . * أخو قَفْرةٍ يُشْلي ركاحاً وسائلاً.

أي أصبح الثور، وقد تبدَّد الضباب، وهاجه الصائد وهو يدعو (يشلي) كلبيه (ركاحاً وسائلاً) للطراد. واسم الكلبة «براقش» التي جنت على أهلها بنباحها مشهور. وقد أسمى الكميت الأسدي في أبيات له كلابه : خِطافاً، وسرحـة، والأخْـدل، كما أسماها مزرِّد بن ضرار : سخام ؛ ومقلاء القنيص، وسلهب، وجدلاء، والسرحان، والمتناول. وفي شعر آخر للبيد نجد : كساب، وسخام. وهناك اسم «درواس»، و«قدام»، و«وثّاب». ويذكر أن ابن عبـاس سمّى كلاباً لذريح وأبى دجانة : المحتلس، وغلاّب، والقنيص، وسلهب، وسِرحان، والمتعاطس (راجع : كتاب الحيوان، للجاحظ، بتحقيق عبد السلام هارون، الجزء الثاني، ص 18 ـ 20، 205 ـ الطبعة الثانية/الحلبي، القاهرة 1965م).

(abaikur) B k r «ب ك ر» يذكر الكلمة الليبية (H. Jensen ; Sings, Symbols, and Script, p. 157)
في حكاية شعبية قصيرة ومعناها : «كلب».

ننتبه هنا إلى أن اسم كلب الفرعون «أنتف» الليبي الأصل هو «ب ك ر» b k r عند «رولنسون» وهو ذاته اللفظ الذي أورده «جنسن» b k r بمعنى «كلب» في الحكاية الشعبية الجبايلية. وأن ما جاء به «بيتس» (kbr) ومعناه لديه «مخلب» ليس إلا قلباً للحروف بين الكلمتين (ب ك ر = ك ب ر).

بالنسبة للعربية يبدو واضحاً أن عملية قلب مكاني حدثت أيضاً صاحبها إبدال بين الراء واللام (ب ك ر = ب ك ل، ك ب ر = ك ب ل) فهي «ك ل ب» k l b . والمرجح أن «كلب» العربية هي الأصل. أبدلت اللام راءً (ك ر ب)[8] ثم قلبت الأحرف فكانت في المصرية «ب ك ر» وفي الليبية كذلك (حسبما أورده «جنسن») وبصورة «ك ب ر» (كما أوردها «بيتس»). ومن هنا نرى أن المصرية والليبية تشتركان في الحروف الثلاثة «ك ر ب» مقلوبةً قلباً مكانياً (= ب ك ر/ك ب ر) وتشاركها العربية بتبادل الراء واللام : «ك ل ب».

فلنمض لنرى أمر مادة (كلب) في العربية :

«الكلب : كل سبع عقور. . . وقد يكون التكليب واقعاً على الفهد وسباع الطير. وفي التنزيل العزيز : (وَمَا عَلَّمْتُم مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ) - فقد دخل في هذا : الفهد والبازى والصقر والشاهين وجميع أنواع الجوارح. . . والكَلُّوب : المنشال. وكذلك : الكلّاب. والجمع : الكلاليب. . . وكلاليب البازي : مخالبه». (لسان العرب، مادة : كلب)[9].

ولا شك أن هذا القول يقابل ما ذكره «رولنسون» من أوصاف كلب «أنتف» الثاني، كما يقابل ما أورده «جنسن» عن كلب الحكاية الشعبية الجبالية الليبية، ويرضى تفسير «بيتس» بأن «ك ب ر» تعني «مخلب» أو «برثن» talon (التي تعني : كلّاب - كذلك) وهذه الأخيرة (كلّاب) ترجع إلى «كلب» (ولينتبه القارىء إلى أن «خَلَبَ» < «مخلب» هي ذاتها «كَلَبَ» - بتعاقب الخاء والكاف القريبي مخرج الصوت).

لكن تبدو لنا ملاحظة مثيرة في نقحرة الأستاذ «بدج» للرموز الهيروغليفية التي كتب بها اسم هذا الكلب الذي صار شهيراً ودخل التاريخ مع «أنتف الأكبر» من أوسع أبوابه - كما يقولون ! فقد جعله «أ ب ق ر» a b q r - بالقاف وليس بالكاف. ومع تسليمنا بمسألة تبادل القاف والكاف نحب الاشارة إلى إمكانية أن تكون هذه هي القراءة الصحيحة. ونحن نعرف أن الهمزة في اللغة الليبية القديمة، ولا تزال كذلك في اللهجة الجبايلية، سابقة لغوية مزيدة، ولها مثيل في المصرية أيضاً. فالأصل إذن هو «ب ق ر» B q r . فإن كان الأمر كذلك - وهو ما نرجحه - فإن المقابل العربي هو

---

(8) تبدل اللام راءً في المصرية في كثير من الأحيان، كما تبدل همزة أو نوناً.

(9) قارن ما أورده الجاحظ في كتابه (الحيوان) الجزء الثاني، ص 187 وما بعدها.

الجذر «بَقَرَ» بمعنى «شَقَّ» أو «مَزَّق». وهذا ما ينطبق تماماً على هذا الكلب الوحشي الذي «يبقر» بطون ما يصاد ويمزق أحشاءه تمزيقاً. فاسمه، عربياً، إذن: «الباقر»، أو «البقّار».

(3) **الكلب الثالث**: يسمى «ك م» k m ومعنى الاسم: «الأسود» أو «السوداوي» black, blacky. وهو حيوان ضخم يشبه الكلب الذي يدعى mastif (الدرواس أو الزغاري) وله أذنان صغيرتان مدوَّرتان مرخيتان، وأنف مفلطح مربَّع تقريباً، وصدر منخفض وأطراف صلبة. ولعله كان كلب حراسة أكثر منه كلب صيد؛ إذ صوَّره الرسام مقعياً رمزاً للحراسة وتخويف اللصوص.

ولا نريد أن نطيل هنا في شرح مادة «ك م» في اللغة المصرية التي تفيد السواد وما يشتق منه، وهي ذاتها الجذر الثنائي في العربية «كم» الذي يؤدي نفس المعاني: كمه، كمأ، كمن، كمر، كمخ، كمد، كمط... إلخ. (راجع مادة «ك م ت» في هذه الدراسة لمزيد من التفصيل).

(4) **الكلب الرابع**: يكتب «رولنسون» اسمه Tekal (الجذر «ت ك ل» T k l) وقد صُوِّر بين يدي سيده، ويبدو مقطوع الأذنين، والمرجح أنه حيوان منزلي مدلَّل من فصيلة كلاب الصيد، وهو النوع المفضَّل لدى مولاه.

ولم يقدم «رولنسون» معنىً لاسم هذا الكلب الرابع، بيد أن الصورة التي قُدِّم لنا بها وكونه كلباً بيتياً كسولاً مدلَّلاً تسمح لنا بالظن أن اسمه لا يخرج عن العربية «تُكَل» أي التُّكَلة، وهو الكسول، أو المتَّكِل أو المتواكل.

ويذكر الأستاذ «بيتس» (The East. Libyans, p. 80) يقرأ اسم هذا الكلب «ت ق ر و» Tkrw محاولات العلماء السابقين عليه في التعرف على هذا الاسم باعتباره من اللغة الليبية القديمة التي لا تزال مفرداتها في اللهجة الجبايلية حتى اليوم. ونلاحظ أن الجذر هو «ت ق ر» tkr [10]، وأول ما يتبادر إلى ذهننا الكلمة الأنكليزية Tiger (الفرنسية Tigre) التي تعني «نمر» - ويقول عنها (معجم أكسفورد) إنها من اليونانية Tigri(s) التي هي من **أصل شرقي** Gr. Tigris, of oriental origion (كذا).

حين نعود إلى اللهجة الجبالية نجد كلمة «تَقَرُرْتْ» Tagarurt (وهي من الجذر «ق ر» q r — (Dallet ; Dictionnaire kabyle-français, p. 673) ومن معانيها: «ذئب» loupe [11] - أو على الأصح «ذئبة» لوجود تاء التأنيث في آخر taqarurt، فإذا حذفت كانت taqarur ونرى أن الراء الثانية في الكلمة مزادة والأصل إذن taqaru وهو ما يقابل اسم الكلب الرابع في لوحة «أنتف الثاني» (tkrw = t q r w) بالضبط، كما يقابل اليونانية tigri(s) (**الشرقية الأصل** - حسب معجم أكسفورد) التي جاءت منها الانكليزية tiger والفرنسية tigre.. إلخ.

---

(10) حسب نقحرة «بيتس»، والقاف هنا معقودة، أو جيم قاهرية = tgr.

(11) تطلق أيضاً على الورم أو الانتفاخ (قارن الفرنسية loupe = ذئب، ورم). لاحظ أن كلمة «سرحان» العربية تعني: ذئب - وربما سمي الورم في الجبايلية بكلمة تعني الذئب أيضاً لأن الورم «يسرح» أي يكبر ويزيد - كما يعبر في اللهجة الليبية الدارجة. كما أن الجذر «ق ر» في الجبايلية يفيد: الارتفاع، التحدب، قنينة - مقابلها في العربية: **قارة، تقوُّر، قارورة**.

أما كيف تختلط تسمية «الذئب» بتسمية «النمر» بين اللغات، فإن المسألة محسومة باتفاق الباحثين على أن اسماً ما يطلق على حيوان في منطقة بينما تعني التسمية حيواناً آخر في منطقة أخرى. . في اللغة الواحدة. . فما بالك بلغات متعددة.

فلندعم هذا القول برأي عالم شهير هو الأستاذ «بيتري» W.M. Flinders Petrie . ففي كتابه «تاريخ لمصر» (a History of Egypt, III, p. 232) تعرض الأستاذ «بيتري» لقضية مشرقية أسماء ملوك الأسرة الثانية والعشرين الليبية الأصل في مصر، ومن جملة هذه الأسماء اسم يكتبه مرة Takerat ومرة أخرى Tuklat ، ويقول ما نصه :

«Takert perhaps from Zend tighri**, The tiger, or from Tuklat** «help», a word which was prominent then in **Tuklatpalisharra** of Assyria».

«(تكرت) قد تكون من الزندية (**تغرى**)، النمر، أو من (**تكلت**) = عون، وهي كلمة كانت شهيرة ثَمَّ في (تكلت بلشرًا) الأشوري».

ويقصد «بيتري» بلغة «زند» Zend لغة «عيلام»[12] (أو : سوسة) أو فارس القديمة التي تعني كلمة tighri فيها، كما يقول، «النمر» tiger . وهذا يطابق ما ذكرناه. فإن لم تكن هذه فإنها من «**تُكْلَتْ**» tuklat البابلية التي تدخل في أسماء من مثل «تكلت باليشارًا» Tuklatpalisharra (اسم أحد ملوك آشور) وفي «تكلت» معنى العون والمساعدة، أو الاستعانة، وهو ما نراه في العربية «**تُكلة**»(قارن : اتّكل، اتّكال، تواكل. . إلخ). والذي يهمنا أمران ؛ أولهما أن الاسم مستعمل عند الليبيين سواء قرأناه «**ت ك ر**» أو «**ت ك ل**» أو «**ت ق ر**» أو حتى «**ت ج ر**» (بجيم قاهرية) ولوحة «أنتف الثاني» التي ندرس ما نقش فوقها ذات صلة وثيقة بالليبيين. وثانيهما أننا رغم تنوع قراءة الاسم نجد المقابل العربي واضحاً تماماً حين نفهم ما ترجم إليه في اللغات الأوروبية.



12) هذا هو الرسم المتداول، في الانكليزية (Elam) . . . عربيتها : عَلَمٌ. (= جَبَلٌ).

أسماء ملوك طِيبة المدهشة

كان «إيراتـوستنيس» Eratosthenes أحـد أعـلام عصره، عالمـاً وشـاعراً ومؤرخاً ورياضياً وجغرافياً، عاش في القرن الثالث ق. م. وكان أميناً لمكتبة الاسكندرية الشهيرة في العصر البطلمي في مصر. وهو «إيراتوستنيس القوريني» نسبة إلى «قورينا» («شَحَّات» اليوم) في الجبل الأخضر في الشق الشرقي من ليبيا. ولد فيها وتعلم، ثم رحل إلى الاسكندرية حيث عاش ولمع حتى وفاته سنة 276 ق.م.

في مجمـوعة الشذرات التي نقلت عن كتاب المؤرخ المصري «مانيثون» عن (تاريخ مصر) المفقود الأصل والذي ظلت نقولات منه متناثرة عند جملة من المؤرخين في اليونانية واللاتينية، جمعها الأستاذ «و.ج. وادِّل» W.G. Waddell وترجمها إلى الأنكليزية مع تعليقات وهوامش نافعة، نجد فصلاً نقله عن «سنْكِلُوس» Syncellus الذي نقله بدوره عن النسَّابة «أبولُودورس» Apollodorus عزا فيه قائمة تتكون من ثمانية وثلاثين اسماً من أسماء ملوك (طيبة) **«عَرَفَها إيراتوستنيس من التسجيلات والقوائم المصرية، وبأمر من الملك ترجمها إلى الاغريقية»** (ص 213).

وليس من المهم لدينا في هذا المجال صحة ترتيب هؤلاء الملوك أو القيمة التاريخية للقائمة المذكورة، ولكن ما يعنينا هو «ترجمة» الأسماء إلى الاغريقية، ومن الواضح أن «إيراتوستنيس» نقلها عن المصرية التي عرفها بالتأكيد بدليل ترجمته لمعاني الأسماء فيها، وهو الذي عاش في الاسكندرية، ثم إلى الانكليزية التي قام بها الأستاذ «وادِّل»، وبقي علينا مقابلتها بالعربية، حتى تتضح صورة عروبتها. وسنورد القائمة باليونانية، ثم الترجمة الانكليزية لمعاني أسمائها ونضع المكافىء العربي لها، مع الاشارة إلى أن عدداً من الأسماء لم ترد ترجمة له وإلى أن ثمة اختلافات في صور كتابتها باليونانية مما ضيَّع أثرها وجعل تتبعها عملاً بالغ الصعوبة. لذا سنكتفي بإيراد ما وضح منها والتعليق عليه (أنظر المصدر المذكور، ص 213ـ227) مُسبقين مكافأتنا العربية بنجمة (*).

(1) Mênês = **everlasting** (الباقي [أبداً]، السرمدي).

المقصود هو الملك «نر ـ مر» المعروف في العربية باسم: «مينا» ـ موحد القطرين حوالي سنة 3200 ق.م.

تعليق وادل: قد تترجم صورة اسم Menes المصرية بأنها تعني «المقيم» The abiding one من الجذر mn: to endure (استدام، بقي، تحمَّل).

* **العربية** : الجذر الثلاثي «منن» يفيد القوة **والتحمُّل** والبقاء.

(2) **born of Hermes = Athôthês** (ابن هرمس. حرفياً : وُلد من هرمس) :

تعليق وادل : من الواضح أن الاشتقاق يفترض وجود اسم «تحت» Thôth في **هذا الاسم**.

* **العربية** : Hermes = h r – ms = طَيْر (ال) حِر (أَ) مْشى = (حُرٌّ أَمْشىٰ) = الحرُّ وَلَدَ <> وَلَدُ الحُرِّ، ولدينا : dḥ t – m s = (تحتمس) = ضَحْوَةُ (القمر/الضياء) أَمْشىٰ = الضحو(ة) ولد(ت) = ابن الضيا، ولد النور (أنظر مادة **«ت ح ت» في** هذه الدراسة).

(3) **bull-lover = Miabaês** (محبّ الثور) :

تعليق وادل : من الجلي أن القسم الأول من هذا الاسم (mia) شكل من أشكال الفعل المصري m r «م ر» (أحبَّ).

* الجذر المصري «م ر» هو مقلوب الجذر العربي «ر م» < رام = أحبَّ. وهذا ما يقابل (m̥ r = mia). المقطع الأول من الاسم المركب miabaês والسين في آخره زائدة يونانية. والمقطع الثاني هو baê وهو يكافىء العروبية القديمة «بعل»[1] **ـ حذفت العين وأسقطت اللام. فالأصل إذن هو** m r – bᶜ(l) = محب الثور = «**رائم البعل**».

(4) **decendant of Hêraclês = Pemphôs** (نسل (أو عقب) هرقل) :

تعليق وادل : في بعض النسخ Sempsos, Semempsês.

* لا ندري من أين جاء «هرقل» Heraclês في ترجمة الاسم. ولكن في الصورتين الأخيرتين للاسم نلمح المقطع – Se وهو ما يقابل المصرية Sa (ومعناها : ولد، ابن. العربية : «ذو») التي تعادل : نسل، عقب decendant.

(5) **gift of the Sun = Marês** (هبة الشمس) :

تعليق وادل : في المقطع الثاني من الاسم (rês–) نلمح كلمة«رع» rᶜ المصرية = الشمس.

* **قد يكون الأصل هو** : ma(n)rês = m n – r ᶜ ، **(م ن ـ رع) أي هبة الشمس = عطية رع = «مَنُّ/مِنَّة رع»**[2].

(6) **revelling = Anôÿphis** (قصف، طرب، مرح، عربدة) :

تعليق وادل : لعل هذا التفسير يعتمد على الكلمة المصرية unôf (to rejoice ـ **يطرب**).

* **في «معجم بدج»** (ص 168) :

---

1) في «بَعَلَ» معنى القوة (وكذلك مقلوبها «عَبَلَ»، وكان الثور رمزا للقوة، في الحضارات العروبية القديمة، ومن هنا جاء اسم «بعل» المعبود الكنعاني، وصارت «بعل» تعني : رب، سيد، عظيم، وحتى «زوج» باعتباره «السيد». قارن كذلك في المصرية «م ن» = قوي، ثور. و«م ر» = قوي، ثور. و«كا» = قوي، ثور. (قارن الانكليزية : bull = ثور، من اللاتينية bulu(s) (بعل). وcow (كا) = بقرة). وفي العربية : منن، مرر، قوا، تفيد القوة.

2) في (معجم بدج) ـ ص 301 ـ mn = هبة/عطية/تقدمة. العربية : مَنٌّ/مِنَّة= عطاء. و«رع» = الراعي. **(أنظر مادة «رع»** في هذه الدراسة).

unuf : joy, gladness طرب، سرور.

unf : to rejoice, to be glad, gladness (Coptic : ounof). يطرب، يُسَرُّ، فرح (القبطية : «أونف»).

unf ib : to be glad, joy, gladness, a man of happy disposition[3] سرور، فرح، سرور، رجل مرح (أو سعيد) المزاج =.

من هذا نرى أن المصرية «و ن ف» تفيد الطرب الشديد، أو شدة الفرح المرتبط بالقصف والضجيج والعربدة أو «التهييص» المرتبط بالتصفيق طرباً أو الموسيقا. ولا نعثر على مادة «ونف» في (اللسان) ولكن جاء في مادة «ونج».

«الوَنَجُ : المِعْزَف، وهو المزهر والعود، وقيل : وهو ضرب من الصَّنْج ذي الأوتار وغيره فارسي معرَّب، أصله «وَنَهْ». والعرب قالت : الوَنّ بتشديد النون».

وورد في مادة «ونن» :

«الوَنُّ : الصَّنج يُضرب بالأصابع، وهو الوَنَج، كلاهما دخيل مشتق من كلام العجم».

وهذا متصل بالطرب والقصف، والفرح والسرور. وإذا كان ابن منظور يرى أن «الونج» و«الوَنّ» من كلام العجم، فهذه «ونف» العروبية المصرية تظهر أن المسألة لا تتعدى إبدال الحرف الثالث من الجذر الثنائي «ون» الذي يصدر ـ طبيعيًّا ـ عن أوتار الصَّنج والمزهر والعود وليس خاصًّا بلغة فارس أو لغات العجم[4].

(7) Son of the iris of the eye = Sirius (ابن بؤبؤ[5] العين) :

أو كما يقول آخرون : unharmed by the evil eye (لا تضرُّه العين الشريرة)[6]

تعليق وادل : المصرية Si – iri تعني «ابن العين».

✱ من الجائز أن اليونانية Sirius محرفة عن المصرية «Sa – r^c» «ذو رع» = (ابن رع) وهو لقب من جملة ألقاب عدد كبير من ملوك مصر. أما التحليل الآخر فهو :

(1) – Si = «س ا» sa . العربية : «ذو» = ابن.

(2) (i)rius = المصرية «إر» ir (= عين، نظر، بؤبؤ العين... إلخ)[7].

العربية : «رأى» (مقلوب «إر»).

---

3) unf ib حرفيا : ونف اللُّبِّ = فرح الفؤاد.

4) قارن الدارجة الليبية : «وَنّ» = رنَّ، أصدر صوتا. الونين = الطنين.

5) تترجم iris إلى : قزحية العين، أو حدقة أحيانا. (في اللهجة الليبية «صُبَيْ» العين. ولعلها تصغير «صَبيٌّ». قارن الانكليزية pupil = صبي (يتعلم)، بؤبؤ العين. اللاتينية (pupillu(s . وفي حين نرى صلة بين iris اللاتينية والمصرية iri والعربية «رأى» نلمح صلة، بطريقة ما، بين «بؤبؤ» و(pupillu(s.

6) أي : المحروس من عين الحسد. وهذا تعبير لا يزال معروفا في بلادنا العربية حتى اليوم.

7) أنظر (معجم بدج) ص 68 وفيه اشتقاقات من الجذر ir تتصل كلها بالعين ووظائفها.

أما تفسير اسم Sirius بمعنى (لا تضره العين الشريرة) فلم يرد تعليق عليه. وقد يكون ناتجاً عن قراءته si – riu (s) :

si . في المصرية S/sa = العربية ذو/الذي.

riu(s) في المصرية : ir = العربية : رأى = رعى (حرس) «ذو رعي» = الذي يُرْعى/المرعيُّ - أي «المحروس»[8].

(8) gold = Chnubos (ذهبٌ)، أو golden son (الابن الذهبي) :

تعليق وادل : Nûb في المصرية تعني «ذهب».

* **المصرية** : «ن و ب» n w b تعني «ذهب». لكن الجذر الثنائي «ن ب» n b في قاموسها يفيد الارتفاع عموماً، ومنه «ن ب ي» n b i «لهب» (معجم بدج، ص 367)، وهو أقرب شيء إلى «ذهب» من حيث لونه الأحمر. واللام لا توجد في المصرية، وتبدل نوناً («ن ب» = ل ب» < لـ[هـ]ب) إذ أن سقوط الهاء سهل للغاية، «ل هـ ب» = ذهب[9].

على أننا نلاحظ في الاسم chnubos في صورته اليونانية حرف ch (= خ) في بدايته وهو الذي أبدل g في صورة أخرى من الاسم ذاته Gneuros[10].

ونرى أن أصله حاء ḥ وهو بقية كلمة «ح ر» ḥr المصرية (= (طائر الحر = الصقر). وهي الكلمة التي ترد في ألقاب الفراعنة في ما يسمى (اسم حورس الذهبي) the golden Horus name الذي عقد له الأستاذ «غاردنر» فصلاً في كتابه عن «القواعد المصرية» (Egyptian Grammar, p. 73). ونجده في لقب الملكة «حتشبسوت» : «ح ر ت. ن ت. دِ ع م» ḥ r t. n t.ḏ ᶜ m («ح ر ت» مؤنث «حر» + «ن ت» أداة الاضافة المؤنثة + «دِ ع م» = ذهب. دِ = ذ، ع = هـ، م = ب). كما نعثر عليه في لقب «تحتمس الثالث» : «ب إ ك. ن. ن ب و» b i k. n. n b w (ب إك = بشق < باشق (صقر) + «ن» الاضافة + «ن ب و» = ذهب (و)).

(9) the arch-masterful = raŷosis (الرئيس المسيطر) :

تعليق وادل : لعل المقطع –ra أو –rha) طبقاً لهذا التفسير أصله الكلمة المصرية «ح ر ي» ḥ r y التي تعني : السيد. وبقية الاسم من المصرية «و س(ر)» wôse (r) (= القوي).

* مادة «ح ر» في المصرية تفيد الارتفاع والعلوّ. قارن مادة «حرر» العربية : «حُرٌّ»[11] الوجه ما

---

8) يستعمل هذا التعبير كثيرا في مصر الآن إشارة إلى الأطفال ودعاء لهم بأن يُحرسوا من الحسد، فيقال : «المحروس ابنك» مثلا. واسم «محروس» متداول في مصر، ولعله تحول في شمال أفريقيا إلى «محروز» ثم صار «محرز»، اسم علم معروف. وكذلك الأمر في اسم «مرعي».

9) مادة «لب ← لبب» العربية تدل على الارتفاع كذلك ومنها «لبلاب» = نبات متسلق، و«لبلب التيس» = ارتفع صوته. (راجع مادة «ن ب» في هذه الدراسة لمزيد من التفصيل عن الصلة بين «ذهب» و«لب» و«نب»).

10) صفحة 217. وواضح أن الباء في الصورة الأولى أبدلت راء في الثانية.

11) قارن كذلك طائر «الحر» = الصقر، المرتفع في الجو. ومنه «الحرية» = الانطلاق، الارتفاع. في المصرية «ح ر ي ت» = السماء (من : سما، يسمو).

ارتفع منه = الوجنتان». وهي تعني : الرأس، القمة = الرئيس.

ومادة «إزر» (أيضا «و س ر») = القوة. العربية «أَزْر» = قوة.

(أنظر مادة «أوزيريس» في هذه الدراسة).

أصل الاسم إذن هو «ح ر - إ ز ر» = حورس أوزيريس = «الحر الأزري» (الآزر، ذو الأزر) = الرئيس القوي / الرئيس المسيطر أو الغالب.

(10) Moscherês = gift of the Sun (هبة الشمس) :

تعليق وادل : لعلها Mencherês . وفي قراءة أخرى Megcherês .

* يمكن أن نحللها عربياً كما يلي :

Mos(Meg) = المصرية ms = ولد. **العربية** : أَمْشَىٰ.

أو :

men = المصرية m n = أعطى، وهب. **العربية** : منَّ / مَنٌّ / مِنةٌّ.

che = المصرية q a = الروح الرفيعة. **العربية** : جاه، قاه = رفعة.

res = المصرية rc = الشمس. **العربية** : رعى > راع.

أي : «**منة جاه رع**» = هبة الشمس.

(11) Pammes = leader-like (شبيه الزعيم) :

تعليق وادل : (دون تعليق).

* نحللها كما يلي :

Pa = «ال» التعريف في المصرية. (أنظر : «أدوات التعريف» في هذه الدراسة).

m(i) = شبيه، مثيل. (أنظر مبحث «قواعد اللغة المصرية» في هذه الدراسة).

mes = المصرية ms تعني : زعيم، قائد.

العربية : مادة «مزز» : المزُّ = القدر والفضل = الزعامة والقيادة. (قارن كذلك الجذر «م س» ms في لهجات شمال افريقيا = السَيادة).

(12) Appapus = the very great (العظيم جدًّا) :

تعليق وادل : هو الفرعون المعروف باسم Pepi .

* هذا الاسم مكوَّن من :

Pa = أداة التعريف في اللغة المصرية.

Pi = سما، علا، ارتفع، أي عَظُم. (معجم بدج، ص 234)

العربية : «**بأي**». «**البأي والبأواء** : العظمة، و **البأو** مثله... و **البأو** : الكبر والفخر... **تَبْأى** : تتسامى وتتعالى). (اللسان).

(13) Nitôcris = Athena the victorious (أثينا الغالبة) :

تعليق وادل : Nitôcris هي ذاتها Neit-okre (t) التي يعني اسمها «نيث العظيمة (أو الفائقة)»

Neith the excellent [12].

* يتكون هذا الاسم من مقطعين :

أ - «نت» n t وهو اسم معبودة ليبية - مصرية عتيقة تشبه المعبودة الكنعانية «عنت» > عنات/ عناة[13]. وقد تحول في اليونانية إلى «نيث» Neith ثم قلب فكان «أثينا» - Athena ، وهو اسم المعبودة اليونانية التي سميت بها عاصمة اليونان المعروفة.

ب - «إ ق ر.ت» i q r. t = المحترمة، المبجلة، «الموقَّرة»، من الجذر «إ ق ر» i q r . العربية : «وقر».

(14) **gift of Ammôn = Myrtaeus** (عطية أمون) :

تعليق وادل : في نسخة أخرى Amyrtaeus . وتفسير الاسم مبني على الاسم المصري الشائع Amenerdais (أمون أعطى).

* المقطع الأول (Amen –/ Amyr –//myr –) = «إ م ن» imn / «آمون»[14].

* والمقطع الثاني (erdais/–taeus –) يعود إلى الجذر «رد» rd في المصرية، ومعناه : «أعطى»، الراء إبدال من النون «ن د» > **أندى** = أعطى. (أمون أندىٰ/أنطىٰ = أمون أعطى. أي : **عطية أمون**).

(15) **Mighty is the Sun = Uôsimarês** (الشمس جبارة/قديرة) :

تعليق وادل : المصرية Wôse-mi-Rê تعني : «جبَّارة/قديرة مثل الشمس».

* Wôse هي i s r/w s r = «و ز ر»/ «أ ز ر» = قوي/قدير. (أنظر «أوزيريس» في هذه الدراسة).

mi = الكنعانية m t (مث)، العربية : مِثل

rc = «رع» (الشمس) = **الراعي/ الرائي**.

Uôsimarê(s) = «أزر، أو : **وزير (قوي) مثل رع**».

(16) **bull-lord = cuther** (السيد الثور) :

تعليق وادل : المقطع الأول من الاسم Cuther **قد يمثل المصرية** Kŏ (ثور).

* **في المصرية «كا»** k a = ثور. **وهي تأتي كذلك «قا»** qa **بتعاقب الكاف والقاف. العربية** : **«قوي»**[15].

---

12) صفحة 54 . وهو يحيل القارىء إلى المراجع التي ذكرت هذه الملكة التي كانت خاتمة الأسرة السادسة والعشرين في «سائيس».

13) أي «البتول». قارن مادتي «عنت»، «عنس» في العربية. وانظر للكاتب : **بحثاً عن فرعون العربي**،الدار العربية للكتاب، طرابلس/تونس.

14) أنظر هذه المادة في هذه الدراسة.

15) في الفارسية qa, ka = بقرة. قارن «**جاموس**» qa – ms = ابن (شبيه) الثور، أو البقرة. وتبدل القاف كافا في العبرية «كاو» (= حبل غليظ) = قاو/قوي (وهو في اللهجة الليبية المعاصرة : كاو = حبل قوي. وقارن اللهجة الليبية : «مكَاوا» = ورق مُقوّى).

أما **المقطع الثاني** (ther في اليونانية) الذي فسر بأنه يعني «سيد» فنرى أنه من المصرية «س ر» sr (= سيد). العربية : سَرِيٌّ = سيد (الجمع : سراة).

(17) Mieirês = loving the iris of the eye (محب بؤبؤ العين) :

تعليق وادل : في المصرية «محب (أو حُبُّ) العين» mai-iri = loving the eye.

* الأصل في mai (miei) في المصرية هو «م ر» m r بوجود الراء = حب. العربية : «رم» > رام/مرام.

وكلمة «إرى» iri تعنى العين ذاتها كما تعني البؤبو. العربية «رأى» > راءٍ/رائية.

اليونانية mieirê(s) = المصرية mr-iri = العربية «**مرام الرائية**» أو «**رامى (محب) الرائية**».

(18) Tômaephtha = World, loving Hêphaestus (العالم، محبة هيفا ستيوس)[16] :

تعليق وادل : كلمة tô في المصرية تعني «العالم». و«محبة هيفا ستيوس» في المصرية : . mai-Ptah

* هذا الاسم مكوَّن من ثلاثة مقاطع :

1. Tô = المصرية «ت أ» Ta . العربية : «طآة» = أرض (الأرض = العالم).
2. mae = المصرية «م ر» mr . العربية : «رام» = أحب/مُحِب (روم = محبة).
3. phtha = المصرية «پ ت ح» pth̩ . العربية : «فتّاح» = إلّه الخلق.

اليونانية : Tômae phtha المصرية : ت أ م ر پ ت ح» T a m r pth̩ .

العربية : «طآة،[17] رامي (ال) فتّاح».

(19) Soicunius = suchus the lord (سوخوس السيد) :

تعليق وادل : يرد هذا الاسم في صور مختلفة منها :

Soicunis, Soicuniosochus .

* المقطع «– Soic» هو تحريف لـ «Socho(s)» (أو (Suchu(s)) الذي هو تحريف للكلمة المصرية «س أ ق» s a q (معجم بدج، ص 589). والتي هي بدورها تحريف لكلمة «س ب ك» s b k التي تعني «تمساح» (الآله المعبود)[18] وهي عند «امبير» Ember تقابل العربية «سمك» بتعاقب الباء والميم. (أنظر هذه المادة في هذه الدراسة).

(20) Peteathyrês :

تعليق وادل : صورة جيدة الصياغة للاسم Pede-hathor وهو لا يوجد باعتباره اسم ملك.

---

16) Hephaestus إلّه الصناعة والمعرفة العلمية عند اليونان، وهذا تحريف للمصرية pth̩ (فتاح) رب الصناعات والعلم عند المصريين. أنظر هذه المادة في هذه الدراسة للتفصيل.

17) طآة، طاءة، طية = أرض.

18) معجم بدج، ص 660. وفي المصرية «س ب ق» = ساق. ويظهر أن ثمة صلة بين «سبق» و«ساق»، لأن «السبق» يكون عادة بـ«الساق». كذلك هناك صلة بين «س أ ق» و«سحق» باعتبار التمساح «يسحق» بذيله الذي يشبه بالساق. ومن ذلك في العربية : ساق، يسوق، سوقا، بالعصا وهي تشبه ذيل التمساح.

* راجع مادة «ح ت . ح ر» في هذه الدراسة .

Stammenemês (21)

تعليق وادل : الصواب Ammenmês .

* مكوَّنٌ من مقطعين :

أ ـ Ammen = «إ م ن» i m n = آمون .

ب ـ mês = «م س» m s = وَلَدَ (أمشىٰ) .

الاسم في المصرية : «إ م ن م س» i m n ms .

الاسم في العربية : «آمون أَمْشىٰ» = آمون ولد . < > «ابن آمون» .

(22) Siphthas = son of hephaestus (ابن هيفاسيتوس) :

تعليق وادل : هو الملك Siptah (ابن بتاح)

* الاسم مكون من مقطعين :

-Si = المصرية Sa **العربية :** «ذا/ذو» (ابن) .

phthas = المصرية pth **العربية :** فتح < «فتّاح» .

Siphthas = المصرية Sa-pth **العربية :** «ذو فتّاح» (ابن فتاح) .

(23) Phruoro (أو **Phuoro) = the Nile** (النيل) :

تعليق وادل : اسم النيل في المصرية هو p-yor-o ، وكان ملك مصر يشبَّه بالنيل[19] .

* قد يكون الأصل هو «ي ر. ع أ» pr-ᶜa في المصرية (حرفيا : البيت العالي)[20] التي تحولت إلى «بر ـ عن»[21] < فرعون» وهو اللقب المعروف الذي كان يطلق على بعض ملوك مصر.

وقد يكون الأصل هو «ب ر» pr التي تفيد الخروج ، الفيض (فيض الماء) ونجده في الأكادية في كلمة Pura-tum (= نهر) وهي في العربية «فُرات» . قارن كذلك اللهجة العامية الليبية : فَرَتْ = هرب/«فَلَتَ» . ثلاثي «فـر» < فَرَرَ/فَـرَّ . كذلـك : «بَرَرَ» ← بَرَّ/العامية : «بَرَّه» = خرج . وأيضاً : «فَوَرَ» ← فار = غَلَىَ (الماء) وفاض .

* * *

[ويختم سنكلوس كما بدأ :

«هذه هي الأسماء التي أخذها «إيراتو سثنيس» من الكتابات المقدَّسة في (ديوسبوليس)[22] وترجمها من اللغة المصرية إلى اللغة اليونانية] . (ص 225) .

19) وهو يرجع القارىء إلى : Grabon ; Die Bildlichen Ausdrückedes Aegyptischen, p. 62 .

20) في اللغات العروبية كلها «ب ر» = بنى/بني = بناء . المصرية «ب ر» . والجذر الثنائي «بر» في العربية يؤدي إلى معنى البناء المرتفع ، ثم المرتفع من كل شيء (قارن : الباري = الباني ، أي : الخالق) . ولا وجود للام في المصرية ، وهي تبدل همزة (ع ء = ع ل < علي/عال) .

21) لاحظ أن «عل < على» تقوم مقام «عن» ، بتعاقب اللام والنون ، في العربية .

22) Diospolis = «مدينة الرب» ، والمقصود «طيبة» . أنظر : معجم بدج ، ص 973 .

ونختم نحن بالقول :

نأمل أن نكون أفلحنا في إعادتها إلى عروبتها الأولى .

إضافة

إذا كانت عوامل التحريف والتحوير قد أبعدت أسماء فراعنة مصر عن أصولها في اللسان اليونـاني الذي نقلت إليه حتى ليعسر أحياناً إرجاعها إلى هذه الأصول ومعرفة معانيها ثم تحقيق عروبيتها، فإن العودة إلى هذه الأسماء في رموزها الهيروغليفية ودراستها تبين الأمر بكثير من الجلاء. ومن عبث الحديث، قطعاً، القول بأن ثبوت عروبية أسماء ملوك مصر وألقابهم لا يعني عروبتهم، ومن المراء، حقاً، الزعم بأن «تسرُّباً» متصلاً من العروبيين إلى وادي النيل هو الذي «أثَّر» في هذه الأسماء والألقاب والصفات .

إنني أمضي مباشرة إلى ما عرف في تاريخ مصر باسم **«الأسرة الأولى»** - أي بداية هذا التاريخ المسجل، وهي الأسرة التي كانت أول من دوَّن أسماء ملوكها على ألواح وصلايات تناثرت على أرض الوادي وكشف عنها الآثاريون والعلماء ودرسوها دراسات مستفيضة مضنية . وليس يعنينا في هذا المقام ما اشتجر من خلاف حول التواريخ والقراءات، أو حول الشخصيات المذكورة، ولا تحديد الأزمنة والغايات، بكل ما في ذلك من تفاصيل وجزئيات وحجج وبراهين ونقوض وردود ؛ فإن لهذا الأمر مراجعه الخاصة به ومصادره التي تعالجه . وقد فصل الدكتور عبد العزيز صالح الموضوع وأوجز الآراء وقـدم خلاصة بحوث الباحثين وآراء العلماء المعنيين، وإليه أستند في قراءتنا العروبية (أو العـربية) لأسـماء فراعـين هذه الأسرة الأولى، **ونقـدم بعـدئـذ المكـافىء العربي لها،** اعتماداً على (الترجمات) التي عرضها[23] :

(1) ارتبط تأسيس الأسرة الأولى بثلاثة أسماء :

أ . **«نعر مر»** : وهو اسم ظهر به صاحبه في نقوش مقمعته ونقوش صلايته التي أكد بها سيطرته على الصعيد والدلتا .

ب . **«عحا»، أو «حور عحا»** : بمعنى : المحارب، أو حور المحارب، أو صقر الحرب على التوالي .

جـ . **«منى»** : ربما بمعنى : الخالد، أو المثبت، أو الراعي .

ويرى بعض البـاحثين أن هذه الأسماء، أو الألقاب، لملوك ثلاثة، ويرى بعض آخر أنها لملكين اثنين، وفريق ثالث ذهب إلى أنها لملك واحد، هو موحد القطرين (الصعيد والدلتا) ومؤسس الأسرة الأولى . فلنقرأها نحن من جديد :

---

(23) **حضارة مصر القديمة وآثارها**، نسخة مصورة عن طبعة هيئة المطابع الأميرية (1962) - القاهرة 1980 - الجزء الأول - الصفحات 249 - 298 .

ويلاحظ أننا نقلنا أسماء الملوك وألقابهم هنا كما وضعنا المؤلف بالحرف العربي، وليست نقحرته هنا دقيقة كل الدقة ؛ إذ هو يكتب «حور» مثلاً والصواب «حر» مقابلة لـ h r في النقحرة اللاتينية ولكلمة «حر» العربية (= صقر)، ولم ترد h w r بمعنى «صقر» في النقوش المصرية وإن وردت h r w الواو في آخرها هنا للعَلَمية . وهو يضع الحرف «ج» مقابلاً للرمز الهيروغليفي الذي ينقحر في صور شتى وليس ضرورةً أن يكون في صورة «ج» دائماً .

أ. «نعر مر» : لقب مكون من كلمتين :

(1) «ن ع ر» nᶜr ـ وتترجم إلى الأنكليزية Catfish التي تعني : سمكة السلَّوْر، أو الصلَّور (القرموط والشلبة والبياض). وليس بالضرورة تحديد اسم السمكة أو نوعها، فقد تطلق على أية سمكة من الأسماك دون تمييز. لكننا نرى أن المعنى الأصلي ليس «السمكة» ولكنه «الماء» وهما مرتبطان كل الارتباط. (ولنا هنا أن نقارن كلمة «نون» في العربية التي تطورت إلى معنى «سمكة» ولكنها في اللغات العروبية القديمة ـ ومنها المصرية ـ عنت «الماء»). وباعتبار «ن ع ر» تعني «الماء» فهي تقابل بالضبط الأكادية «نارو» nâru التي تترجم في (معجم وير، ص 237) إلى : مجرى مائي، نهر، جدول، قناة مائية. وهذه بالتحديد العربية : «نهر». وسيؤكد هذا التفسير بعد قليل.

(2) : «م ر» m r ـ وقد تعني : محبوب، حبيب. وعربيتها هنا : رم < رامَ (مقلوب «م ر») < مروم (بإضافة الميم سابقةً زائدة). كما قد تعني : قوي، مسيطر، سيد. وعربيتها هنا : مر < مرء (= سيد)، والجذر الثلاثي «مرر» ويفيد القوة.

يذهب الكثيرون من الدارسين إلى أن «**نعرمر**» هو ذاته من عرف باسم «مينا» (قارن الفقرة (ج) فيما يلي) وهو موحِّد القطرين ومؤسس الأسرة الأولى، أي ذاك الذي حقق «وحدة الوادي» (= المجرى، الجدول، النهر، نهر النيل) ـ فهو سيده والمسيطر عليه وقويُّه، أو هو ذاته «النهر القوي» باعتبار تقديسٍ أهل مصر الأقدمين للنيل (العربية : «نهر + مر») وتشبيهاً للملك بالنهر المتدفق الجبار. ولعله لُقِّب بـ «النهر المحبوب» (نهر + رم < رام < مروم) أو «النهر المُحِب» (نهر + رم < رام < رائم).

ب. «**عحا**» أو «**حور عحا**» :

(1) «ع ح ا» ᶜḥ a بمعنى «المحارب». في معجم اللغة المصرية تفيد «ع ح أ» ᶜḥ 3 ومشتقاتها : يقاتل، يحارب، محارب... إلخ (معجم فولكنر، ص 46). ومن المستبعد ـ كما يقول «بدج» في مقدمة معجمه الكبير للغة المصرية ـ تصور أن ينطق المصريون القدماء بحرفين حلقيين متتابعين، مثل العين والحاء. وعليه فالأصل هو إما «حأ» أو «عأ» وهما صوتان يتعاقبان. ونذهب إلى أن الأصل الطبيعي الأول الذي نشأت عنه الكلمة هو صيحة الحرب التي يطلقها المقاتل تخويفاً لأعدائه وترهيباً أو تشجيعاً لرفاقه.

في العربية : **وعع** : الوعواع : الصوت والجلبة.

وعي : الوَعَى : الجلبة والأصوات.

وحي : الوَحْيُ : والوَحَى، مثل الوَغَى، الصوت.

غوي : الغوغاء : الصوت، مؤنث ويذكَّر : أغوغ. وغوي وغوية : أسماء. وكذلك : غيَّان، وبنو غيان : حي.

وغي : الوَغَى : الصوت في الحربِ مثل الوَعَى. والوَغَى : الحرب نفسها. والواغية، كالوغى، اسم محضٌ. ومنه قيل للحرب وغًى لما فيها من الصوت والجلبة. والوعى (بالعين المهملة) الصوت، عينه بدل من غين «وغى» أو غين «وغى» بدل منه.

(2) «حور عحا» بمعنى (حور المحارب) أو (الصقر المحارب) :
مكونة من كلمتين :
أ - «ح ر» ḥ r = الصقر. عربيته : حُرٌّ. طائر الحر هو الصقر.
ب - «عحا» ᶜḥ a = المحارب. وقد سبق شرحها.

جـ. «منى» بمعنى : الخالد، المثبت، أو الراعي. وقد عرف هذا اللقب في المراجع العربية في صورة «مينا»، وجذره في المصرية هو «م ن» m n - ويفيد القوة والثبات والبقاء والخلود (أنظر مثلاً : معجم فولكنر، ص 106). ونجد «م ن ي» و«م ن ي و» بمعنى «الراعي» (المصدر نفسه، ص 108) :

(1) «منى» = الخالد، المثبت. عربيتها في الجذر الثلاثي «منن» (ثنائيه «من») وفيه : المُنَّة ؛ القوة، والمنين ؛ القوي، وكذلك : الممنون = الحبل القوي.

(2) «منى» = الراعي. جاءت التسمية نسبة إلى «م ن» m n (المضاعفة إلى «م ن م ن» m n m n) بمعنى «قطيع» الحيوان، والأصل البعيد هو الحركة (أنظر : غاردنر Eg. Gr. p. 459 وقارن علاقة «الماشية» في العربية بالمشي، وتُسَمَّى قطعان الغنم والضأن في اللهجة الليبية حتى اليوم : «السعي»). المكافىء العربي نجده في المقلوب «نم» الذي يدل أصلاً على الحركة، وحركة الأقدام خاصة (قارن : نمي، نمل، مثلاً، عند تثليث الجذر الثنائي). ويقلب «نم» إلى «نأم» ويفيد الصوت، وفي (اللسان) : «تنؤّم العُجْم» أي صوت الحيوان. كما يثلث إلى «منأ» ومنه : **المنيئة** = الجلد في الدباغ، أو المدبوغ - والأصل جلد الحيوان. كما يقلب إلى «أنم» ومنه : **الأنام** = الخلق، أي الحيوان (كل حي متحرك بما فيه الانسان وهو حيوان). ونعود إلى «نم» وثلاثيه «نمي» فنجد فيه : **النامية** = خلق الله، كما نجد فيه معنى الزيادة (النماء والنمو) تماماً كما نجد معنى الزيادة في «مشي» (المشاء : كثرة إنتاج الولد، ومنه الماشية أي التي تتكاثر بسرعة شأن حيوان القطيع).

وقد تعاقبت الهمزة في «نأم» مع العين في «نَعَم» وتعني الحيوان (الأنعام) - ومن ذلك «النعمي» أي «الراعي»، ومن نفس الجذر : النعمة = الخير، المال. ولاحظ أن الحيوان، أو قطعانه التي ترعى بالتحديد، تسمى في العربية : المال - (ثنائيها «م ل» وبتعاقب اللام والنون = «م ن»).

وللتقريب - ولا يخلو الأمر من صلة - نشير إلى اللاتينية anoma وتعني في الأصل : الصوت (ومنها الأنكليزية name = اسم، المعنى البعيد : الصوت) أي صوت الحيوان، ثم دلت على الحيوان نفسه، ومنها الأنكليزية animal (حيوان) وأدت من جهة أخرى إلى nomad = رحّال، بدوي، راعٍ (نأمي، نعمي). وفي الروسية nīm = حيوان، اشتقت منها nimitz = حيوان، أعجم، بربري، لا يحسن الكلام - أطلقها الروس على الألمان، ودخلت العربية في صورة «نمسا» وهو اسم «النمسا» البلد الأوروبي المعروف، والنسبة إليه «نمساوي» في العربية = نعمي، أو «نأمي» = راعٍ (مني).

* * *

وقد أورد الدكتور، عبد العزيز صالح بعد ذلك بضعة أسماء أو ألقاب، ملوك من الأسرة الأولى اختلف العلماء في قراءة رموز بعضها الهيروغليفية واتفقوا في البعض الآخر، وقدم الترجمات المقترحة لها، لكنه لم يتعرض لما يكافئها في العربية (ص 256 ـ 258 من المصدر المذكور). فيما يلي قراءتنا لها :

(1) **واجي** : وهو اسم قرىء بقراءات أخرى كثيرة منها «**ونيمو**» بمعنى «**المُطعِم**».

* في المصرية : «و ن م» w n m = أكـل، «و ن م ت» w n m t = أكـل، طعام، وكذلك «و ن م و» w n m w . والمكافىء العربي هو : «**ولم**» ومنه : الوليمة = المأدبة، الطعام، و«المولم» : المطعم.

(2) **دن** : قرىء «وديمو» و«وجيمو» بمعنى : «حافر الترع» أو «واهب الماء».

* الاسم، كما هو واضح، مكون من مقطعين :

أ. «ود(ي)» أو «وج(ي)» wd(i), w$\underline{d}$ (i) : 1) بمعنى «حافر» ـ عربيته : **وج** < **وَجَأ** = فتح، حفر. 2) بمعنى «واهب» ـ عربيته : **ودي** = أعطى/وهب (ومنه : الدِّيَّة = العطية/الهبة).

ب. «مو» : ولا خلاف في أن هذه تقابل العربية «ماء» (قارن اللهجات : مَيْ، مُوْيْ، مَيَّة، إمَيَّة).

فعربية لقب «**وديمو**» أو «**وجيمو**» إذن إما : «**وجأ ـ ماء**» (واجىء الماء) أو : «**ودي ـ ماء**» (مؤدِّي الماء).

(3) **عنجإب** (**عجإب**، أو : **عنجإبي**) بمعنى : «سليم الطوية» أو «سلم قلبي».

* إذا قرأنا الاسم «ع ن ج ـ إب» ᶜn $\underline{d}$-i b ، فهو مكون من مقطعين :

أ. «**عنج**» ᶜn $\underline{d}$: سلم/سليم. عربيته : عنش < > **نعش**.

ب. «إب» i b : طوية/قلب. عربيته : **لُبّ**.

و«عنج ـ إبي» = «**نعش لُبِّي**» أي : «سلم قلبي».

(4) «**سمرخت**» : ربما بمعنى «سمير البدن»

* قابل الأستاذ عبد العزيز صالح المصرية «**سمر**» بالعربية «سمير»، وقد يكون الأمر كذلك، لكن معنى «سمير البدن» غير واضح. **الأصوب** ـ فيما نرى ـ أن «س م ر» s m r المصرية مكونة من : سين التعدية + «م ر» smr بمعنى «المحبوب». عربيتها : «رام» < «مروم». أما «خ ت» بمعنى «البـدن» أو الجسد، فعربيتها إما «**حويَّة**» (حويت < حوت < حت = «**خت**» ḫ t) أو «جُثَّة» (مؤنث «**جث**») على سبيل تعاقب الخاء في المصرية مع الحاء، أو الجيم، في العربية.

وهو أضاف أنه كان لهذا الملك اسم آخر هو «**شمو**» تحورت قراءته عند «مانيثو» إلى Sememp-ses . ولا جدال في أن «شمو» هي العربية «**شمس**».

(5) **قاي ـ ع** : «عالي الذراع» أو «طويل الذراع»[24].

* في المصرية «**قأي**» qai تعني : عالٍ، مرتفع، طويل (عموديًا). يقارنها «كوهن» (Essai Comp. p. 118) بـ«البربرية» aggi, aǵǵ (رفيع) واللغات الكوشية المختلفة : uga, agua, ogo . (قارن العربية : «**أوج**»). لكننا نجد الجذر العربي الثنائي «**قع**» < **قعل، قعم** (= مرتفع، عالٍ) أقرب، بتعاقب العين والهمزة.

وهذا هو المقطع الأول.

أما المقطع الثاني «ع» الذي يعني : يد، ذراع ـ فإننا نذهب إلى أن أصله «ع أ» والهمزة إبدال من اللام (= ع ل) < ، عالٍ، عليٌّ ـ شأن اليد.

(أنظر مبحث «الأصول العربية لرموز الهجاء الهيروغليفية» في هذه الدراسة، وخاصة حرفي القاف والعين).

* * *

هذه بعض أسماء فراعين مصر العربية من الأسرة الأولى.. ثم تلي أسماء أخرى من الأسرة الثانية (نفس المصدر، ص 257 وما بعدها) منها على سبيل المثال :

(1) **حوتب سخموي** : بمعنى «رضي القويان» أو «استقر القويان» ـ والمقصود بالقويين المعبودان «حور» و«ست» اللذين يمثل الملك سلطتيهما على الأرض أو يتقمص شخصيتيهما.

* «**حوتب**» في المصرية : «ح ت پ» ḥ t p = استقر، هدأ، اطمأن، استراح. عربيتها «**حتف**».

«**سخموي**» مثنّى «س خ م» s ẖ m = القوي. وهي كذلك في معجم اللغة المصرية، ولكن لعل معناها الأصلي : الغاضب ـ ففي معجم فولكنر (ص 241) نجد من دلالاتها : المتجهم (في الأنكليزية be grim of face). عربيتها : «**سخم**» ؛ والسُّخمة الغضب، وقد تسخَّم عليه، والسَّخَم مصدر السخيمة، وقد سخمت بصدر فلان ؛ إذا أغضبته.

(2) «**نبي رع**»، أو «**رع نب**» بمعنى : رَبِّي (هو) رع، أو : رع (هو) المولى. وهو أول اسم ملكي معروف اعترف صراحة برب الشمس «رع».

* في العربية تستوي دلالات الجذرين «نبا» (الذي منه : نب < نبي) و«ربا» (الذي منه : رب < ربي).

المصرية : «ن ب ي ـ رع». عربيتها : رَبِّي (= إلهي، مولاي، سيدي) رع.

«رع ـ ن ب» عربيتها : رع ربٌّ.

(وليلاحظ القارىء ياء نسبة المِلْكية للمتكلم المفرد في المصرية «ن ب ي» (= رَبِّي) كما هو الحال في

---

(24) له اسم ثانٍ قرىء «سنمو» كما قرىء «سن» بمعنى الرفيق أو الصفي. فإن كانت الأولى فهي تقابل «خ ل م و» عن طريق الابدال، عربيتها : «خِلْم» = رفيق، صديق حميم، صفي. وإن كانت الثانية فعربيتها «صِنْو» = رفيق.

العربية بالضبط، ولا ننس أن الاسم يرجع إلى بواكير تاريخ مصر القديم ! راجع مادة «رع» في هذه الدراسة لمزيد من تحليلها).

(3) «ني نثر» : وقرئت : «**نثرن**» كذلك ـ بمعنى : المنتمي إلى الآله.

* «**نثـر**» في المصرية تكتب ثاؤها في صور متعددة، وهي تقابل الطاء أو الظاء في العربية : «**ناطر**»، «**ناظر**» = الرائي، الحارس (راجع هذه المادة في صلب الدراسة للتفصيل). أما المصرية «نى» السـابقـة (وقـد قرئت خطأً لاحقـة في «نثـرن») فهي العـربية «ل» ـ إذ تستبدل اللام في الهيروغليفية نوناً. فتقرأ «لِ + نثر» = «لنثر» (**لنطر، للناطر، للناظر = للآله = المنتمي للآله**).

(4) «**پر إبسن**» : بمعنى «خرجت قلوبهم» (؟)

* هذا الاسم مكون من :

أ. «**پـر**» p r : خرج، ظهر. عربيته : **بر < برر، برَّ، برًّا (بَرَّة)**

ب. «**إب**» i b : قلب. عربيته : لب.

جـ. «**سن**» s n : هم ـ ضمير جمع الغائب. (أنظر التفصيل في باب الضمائر من قواعد اللغة المصرية في هذه الدراسة).

المصرية : «**بر + إب + سن**» = العربية : «**بَرَّ(ت) ألبابهم**» (خرجت قلوبهم).

(5) «**سنج**» : بمعنى «الرعب» أو «المرعب».

* الملاحظ أن التعبير عن الرعب، أو الخوف، في اللغات العروبية، وكذلك الأمر في كثير من اللغات الأخرى، يكون بكلمة أو تعبير يفيد معنى البرودة، ولعل ذلك يرجع إلى أن الخوف يجمد الأطراف ويرسل قشعريرة البرد في الأوصال، كما يقال في تعبيرنا المعاصر «جمد دمه» خوفاً. على سبيل المثـال. بعكس الغضب الـذي يغـلي فيه الدم ويفور ويسخن (المصرية : «**س خ م**» والعربية «**سخم**» كذلك = سخن).

في المصرية تفيد s n ḏ (يكتبهـا د. عبـد العزيز صالح «سنج») تعني «الخوف». ويقابلها «كـوهن» (M. Cohen ; Essai Comparatif) بالعربية «**ثَلج**». فاسم هذا الفرعون عربيًّا : «**الثلج**» (الرعب) أو «**الثالج**» (المثلِّج، باعث البرد في أطراف خصومه، أي : المرعب).

(6) «**خع سخم**» : أي «شَعَّ البأس» أو «تجلَّى القَويُّ».

* المصرية «خ ع» ḫc = سطع، بان، ظهر. العربيةَ : «**شَعَّ**» (خ = ش).

والمصرية : «**خع ـ سخم**». العربية : «**شعَّ السخم**» = شعَّ البأس، تجلَّى القوي.

والمصرية : «س خ م» sḫm = القـوة، البـأس، العـربية : «**سخم**» (راجع اسم «حوتب سخمنوى» فيما سبق منذ قليل).

المصرية : «**خع ـ سخم**». العربية : «**شعَّ السخم**» = شعَّ البأس، تجلَّى القوي.

(7) «**خع سخموي**» : بمعنى : «تجلّى القويان . ولعل المقصود بالقويين : الصعيد والدلتا .

* أو لعل المقصود المعبودان «حور» و«ست» .
المصرية : «خع» = العربية : «شعَّ» - بان، تجلَّى .
المصرية : «**سخموي**» = مثنَّى «**سخم**» . أي : «**شَعَّ السخمان**» = تجلَّى القويَّان .



أسمـاء مصر العربيـة

عرفت مصر في تاريخها الطويل بأسماء كثيرة أطلقت عليها عبر العصور ومختلف الأزمنة، وهي أسماء عرفتها بها شعوبٌ أخرى في الغالب ؛ إذ ليس ثمة أدلة تؤيد أن المصريين أنفسهم أسموا بلادهم باسم معين تمسكوا به على مدى الدهور. فالواقع أن أسماء الشعوب في أغلب الأحيان تأتي من الخارج، صفة تطلقها شعوب أخرى فتلصق بالشعب المعني وتصير علماً عليه واسماً له.

لدينا لمصر في مختلف الأزمنة جملة أسماء تبدو في صيغتها الأعجمية مستغلقة لا تمت، أو لا يمت بعضها على الأقل، في بداية الأمر إلى العربية بصلة. بيد أنها في الواقع جميعها، دون استثناء، عروبية الأرومة والأصل. وقد يبعث هذا القول على الدهشة، غير أنها دهشة اكتشاف الحقيقة والفرحة بالوصول إليها. وسوف نتعرض فيما يلي لهذه الأسماء ونرجعها إلى أصولها العربية بإذن الله.

في صفحات متفرقة من «تاريخ مانيثو» (Manetho ; Tr. W. G. Waddell, LOEB) وبالذات في صفحتي 227 و 243 نجد ثلاثة أسماء متميزة لمصر هي : «أيريا» Aeria «مسترايا» Mestraia و«أيجبتون» Aigypton [1]. ويعلق المترجم (الأستاذ «وَدِلْ») بأن هذه الأسماء الثلاثة تعني «مصر» في عصور متفاوتة، وأن اسم «أيريا» Aeria بالذات أقدمها الذي عرفت به. فلنأخذ هذه الأسماء ونحللها واحداً بعد الآخر.

(1) «أيريا» :

تكتب في اليونانية Airia, Aeria والصفة منها Ariton (مصري) و Aritae [2] (مصريون - أهل مصر).

---

1) تبعا للنص اليوناني الأصلي. أما في ترجمة «وَدِلْ» Waddell فإن التهجئة تختلف أحيانا عن الأصل. وقد استعملنا حرف الجيم في «أيجبتون» مقابلا للجيم القاهرية غير المعطشة، وقد تحولت في اللغات الحديثة، ما عدا الألمانية، إلى جيم معطشة قارن الانكليزية Egypt .

2) كلمة aritae مكونة من ari (اسم مصر) مضافا إليها tae التي تدل في اليونانية على النسبة إلى بلد ما. ويذكر «أوريك بيتس» في كتابه (The Eastern Libyans P. 71) ما قرره «ستيفانوس بيزانتينوس» من أن (i-tae) و(i-dae) نهايات مفضلة في اللغة الليبية القديمة في أواخر الكلمات الدالة على سلالة ما. وقد أرجعها«بيتس» بدوره إلى تاء التأنيث للمفرد في الليبية (t) التي صارت tae (وهذه بدورها صارت عن طريق الابدال dae) ،ضرب عدة أمثلة لما ذكر. **والذي فات الأستاذ «بيتس» أن يذكر أيضا أن إلحاق التاء بالاسم المذكر المفرد لتأنيثه ليس خاصا باللغة الليبية بل هو كذلك في المصرية والعربية. فإذا كان اليونان نقلوا عن الليبية أسماء قبائل ليبيا القديمة من مثل «أسبو - تاي»، «مرمر - داي»، «أدرماك - داي» فقد اتبعوا النسق نفسه في «هسبر - تاي» (وهي كلمة يونانية تعني :** أهل الغرب) **وكذلك في «أري - تاي» aeri – tae (أهل مصر = المصريون).**

هذه التسمية ترجع إلى دهور سحيقة في القدم، إلى بداية فجر التاريخ في مصر، أيام «**مينا**» والصراع الديني والسلطوي بين سكان جنوب مصر وشمالها حوالي سنة 3200 ق.م. يومها وَحَّدَ «مينا» (الذي يعرف أيضاً باسم «**نارمر**») القطرين (الصعيد والدلتا) في مملكة واحدة، وكان يتخذ الصقر شعارا له وكان معبوداً أكبر له ولأتباعه الذين يُسَمَّوْن «**عُبَّاد حورس**». وقد بلغت عبادة الصقر حداً من التمكن جعل ملوك الأسرة الثانية يتسمّون باسم «حورس» (الصقر) وظلت هذه التسمية سارية مدة طويلة جداً[3].

وقد كتبنا اسم الصقر «**حورس**»، وهذا نقل عن اليونانية **Horus** وأصلها المصري «ح ر» ḥ r (العربية : «**حُرٌّ**، طائر الحُرِّ = الصقر. أنظر هذه المادة في هذه الدراسة). واليونان يقلبون الحاء، أحياناً، هاءً، فكان أن تحولت «ح ر» إلى «**هـ ر**» ثم أضافوا السين، زائدة لغوية، فكانت ـ بالتحريك : Horus . فلما «عرَّبنا» نحن هذه جعلناها «حورس» ـ وبعض الكتاب كان أعرب فتخلَّص من السين اليونانية وجعلها «**حور**» والصواب «**حُر**» بدون مد الواو.

في اليونانية أيضاً تقلب الهاء، سواءً كان أصلها حاءً من العروبية أو كانت هاءً أصلية، إلى همزة. فالمعبود المصري «**حرشف**» صار «**أرسفيس**» Arsaphes واسم مصر الذي سنناقشه بعد قليل «ح ت. ك ء. ب ت ح»صار : Aeguptus . وحتى اليوم تجد في اليونانية «هوميروس» و «أوميروس»، و«هيلاّس» و«إلاّس» و«هيلين» و«إيلين». . إلخ . و هذا ما يشبه تحول اسم «حنة» إلى Hanna و Anna و Anne مثلاً .

من هذا يتضح أن اسم مصر القديم كما كتبه اليونان aeria أو airia (عند «كيز» .Kees ; Anc) Egypt, p. 237. ayria : كان أصلاً Haeria أو Hairia . وهذه جذرها : hr الذي كان في المصرية «ح ر» ḥ r (الصقر) شعار مصر القديم الداخل في أسماء ملوكها الأولين ـ فهي «**الحُرِّية**» بعينها، نسبة إلى طائر «الحر» الذي اشتقت من اسمه كلمة «الحرية» بمعناها الذي نفهمه اليوم ؛ الانطلاق والانعتاق وعدم العبودية .

فإذا قلنا، بعد هذا، إن اليونانية Aeritae تقابل Aeridae «**بلاد حر**» (= أهل طائر الحر، أصحاب حورس) لقلنا إنها تقابل «**ذوو الحر**» بحسب أسلوب الاضافة العربي.

في كتابه «Ancient Egypt» (صفحة 237 ـ 238) سوّى «هرمان كيز» H. Kees ما بين تسميات ثلاث لموقع واحد كان العاصمة الدينية والدنيوية للصعيد (الجنوب) ومقرًا لعبادة

3) أنظر لمزيد من التفصيل كتاب الدكتور أحمد بدوي : في موكب الشمس، الجزء الأول، صفحة 112 وما بعدها.

«حورس»، أعني : «أيرتون» Ayrton و«هيراكونبوليس» Hieraconpolis و«أبيدوس» Abydos . وهذه هي الصيغ اليونانية التي عرفت بها المدينة العاصمة.

أما الأولى (أيرتون) فقد بيَّنَّا أصلها من «ح ر» ḥ r (الصقر). وأما التسمية الثانية فهي مكوَّنة من ثلاثة مقاطع :

1 . Hiera (مقدَّس. عربيتها في الجذر «حور» ← حوري، حواري).
2 . Con (زائدة لغوية يونانية للصفة) (Hieracon = قدسيَّة/حوريَّة).
3 . polis (مدينة باليونانية/بلد)

فاسم المدينة Hieraconpolis تعني : «المدينة القدسية» (البلد الحورية. أو لعلها : بلد الحر/بلد الحرية).

وأما التسمية الثالثة Abydos (وقد «عربها» بعضهم : عبدوس) فهي الصيغة اليونانية للمصرية «أ ب د و» a b d w (معجم «فولكنر»، صفحة 3) وهي «أ ب د» a b d (معجم «بدج»، صفحة 947). وهذه هي العربية «أَبَدَ» بمعنى : سكن، أقام.

نحن نعلم أن من «سَكَنَ» جاءت «سَكَنٌ» (مسكنٌ). ومن «بات» : «بيتٌ»، «مبيتٌ». ومن مَدَنَ (أقام) : «مدينةٌ». ومن «قَرَّ» : «قريةٌ». ومن «بَلَدَ» (سكن = بَلَسَ. قارن اليونانية polis) : «بَلَد/بَلدةٌ». . وهكذا. كذلك من «أَبَدَ» (أقام، استقرَّ، سكن، دام مقامه) جاءت «أَبَدٌ» أي : مدينة. (جذر تسمية مدينة «أ ب د» a b d (في اليونانية abydos) موجود في المصرية «أ ب د» a b d الذي ترجم إلى الانكليزية : to shut, to bolt in أي : يغلق، يقفل على الشيء بالترباس. وفيها دلالة «السكن» و«البيت» و«الدار» وما إليها. أنظر : معجم «بدج»، صفحة 5).

والمقارنة مغرية على كل حال ؛ إذ لا ننسى المقطع «أباد» الذي يعني «مدينة» في الهندية (قارن : حيدر أباد، إسلام أباد، أحمد أباد. . مثلاً). والانكليزية abode (سكن، بيت، مقام، مقر) والفعل abide (يظل، يمكث، يقيم باستمرار، يستمر، يثبت، يأبد) ومنها abiding و abi-dance (استمرار، أبد، دوام)[4] التي ترجع إلى الانكليزية القديمة abidan[5]، ولكنها بها ذكرنا ألصق.

فهل نقول إن «عَبَدان» (أَبَدانْ) على الخليج العربي ترجع إليه كذلك ؟

هذا جائز جدًّا ؛ إذ من الممكن أن تكون الفارسية أخذت «أبد» عن العربية/المصرية «أ ب د» فصارت «أَبَدان» (عربناها : عَبَدان)، ومن الفارسية انتقلت إلى الهندية «أباد» ـ كما حدث لآلاف الكلمات العربية. ومن الهندية (السنسكريتية) انتقلت إلى اللغات الأوروبية في صيغ متقاربة **لفظاً ودلالة.**

---

4) تطورت دلالة abide إلى معنى «الانتظار» و«الترقب» (قارن العربية : لبث ← تلبث) ثم إلى معنى «الطاعة» (طاعة الأوامر). والصلة بين «أبد» و«عبد» هنا واضحة.

5) السؤال : من أين جاءت الانكليزية القديمة نفسها ؟ سؤال يأخذنا إلى أبعد مما نريد.

بيد أن (تعريبنا) لـ«أبدان» في صيغة «عبدان» لم يكن، فيما نرى، لمجرد إبدال الهمزة عيناً، ولكن لحقيقة أن تعاقب الهمزة والعين في الجذرين «أبد» و«عبد» كان نتيجة تقارب المعنى فيهما. فكلاهما يعني البقاء، والمكث والتلبث والانتظار، وفي «عبد» معنى الطاعة (قارن الانكليزية abide). وما من شك في أن مدينة «أبد» (عاصمة الصعيد، في اليونانية abydos) كانت عاصمة دينية كما كانت عاصمة سلطوية. ففيها كان المعبد الكبير كما كانت مقر الكهنة والفرعون (ممثل الآله، وابنه أحياناً). فهي «المعبد» (ع ب د) فعلاً، أو «الحرم» (كما نسمي نحن الآن مكة والمدينة[6] : الحرمين الشريفين - لوجود الكعبة في الأولى وقبر الرسول في الثانية). ونحن نسمي «يثرب» : المدينة «المنورة»، وفي هذا الوصف معنىً ديني نوراني، كما تسمى «طِيبة» كذلك، وهي اليونانية Thebes . وفي اليونانية ذاتها مدينة بهذا الاسم معروفة منذ القديم.

المصادر اللغوية العربية تعيد اسم «طِيبة» إلى الجذر «طيب» بمعنى «الطَّيِّبة» (الخيِّرة - وما في هذا المعنى). وقد يكون هذا صحيحاً. ولكن ما يلفت نظرنا أن اسم مدينة «طيبة» المصرية مكوَّن من مقطعين فهي تُسمى «ت ء. إ پ ت» Ta-ipt والمعنى الحرفي : (أرض «إ پ ت»). (أنظر : معجم «بدج»، صفحة 41).

وكلمة «إ ب ت» ipt ، كما نرى، هي ذاتها «ء ب د» abd التي صارت في قراءة أخرى «ء ب دِ» abḏ . فمعنى الاسم إذن هو (أرض/بلاد «أبد») كما نقول نحن : (مدينة «المدينة») أو : (بلاد «المدينة») فينصرف الذهن إلى «يثرب». وقد تحولت «ت ء. ء ب د» إلى «ت ء. إ ب ت»، وتدغم «تبت». صارت في العربية «طيبة» (لاحظ أن «ت ء» تقابل «طية» أي أرض. فتعاقب التاء والطاء سهل هنا) وفي اليونانية Thebe(s) (لاحظ قرب مخرج Th مع الطاء العربية).

(2) «مسترايا» : mestraia

النسبة في المفرد إليها mestraion ، والجمع mestrae .

منذ النظرة الأولى ندرك أن «مسترايا» هذه هي ذاتها «مصر»، تحولت الصاد فيها إلى st لعدم وجود الصاد في اليونانية، وهو عبارة عن سين مفخمة أبدلت st . وأما aia في آخرها فهي زائدة لغوية تقابل ياء النسبة وتاء التأنيث في العربية (. . . يَّة). والأصل هو mestr (= mesr).

وقد بحث هذا الاسم في صيغته اليونانية كثيراً وأرجعه أغلب الباحثين الغربيين إلى العبرانية «مزرائيم» Mizraïm (بحكم معرفتهم لتلك اللغة) - وهي عند «وادل» Waddell في ترجمته لتاريخ «مانيثو» في صورة «مسترائيم» Mistraïm ، صيغة جمع Mistr/mizr في العبرانية (والمقصود المثنى : مِصْران = قُطران، بَلَدان، أرضان/الدلتا والصعيد). ولا نظن أن ثمة حاجة للعودة إلى العبرانية للتعرف على هذا الاسم، اللهم إلا للمقارنة، أو لعدم معرفة الباحثين الغربيين بالعربية، **أو لأمر في نفس «يعقوب» (الذي يقابل اسمه : اسرائيل!)** . . وأغلب الباحثين في هذا الموضوع من

---

6) لاحظ أننا استعملنا كلمة «المدينة» فقط، ولم ينصرف ذهن القارىء إلى أية «مدينة» أخرى سوى «يثرب» (المدينة المنورة).

اليهود. فكلمة «مصر» عربية قحة، ومثناها في السبئية (العربية الجنوبية) : «مصري» - وفي عربيتنا المتطورة : «مِصْران»، «مِصْرَيْن».

الأستاذ «أوريك بيتس» (Bates ; The East. Libyans, p. 258) تعرض لهذا الاسم في إشارة ذكية مثيرة عن الصلة بين «مصر» و«مـزغ» (مازيغ) في حديثه عما أوردته (التوراة) من قولها إن «لهابيم» (= الليبيين) كان ابناً لـ«مزرائيم» الذي هو ابن لـ«حام». وقد علق «بيتس» بما نصه :

«بالنسبة لاستعمال (مزرائيم) تعبيراً سلاليًّا أطلقه الأجانب منذ زمن سحيق على المصريين - في الدلتا خاصة - فإنني أقترح، بتحفظ شديد، صلة محتملة بين هذا الاسم واسم «م ز غ» mzgh . وليس ثمة، طبقاً لقواعد الصوتيات الحامية، صعوبة في تبادل (غ) مع (ر) في كلمة (مصر)، ويوجد الصوت الصافر الأوسط في (س)، (ص) و(ش) أو (ز) بلا تفرقة تقريباً. **وإن وجود ليبيين يتخذون اسم (م ز غ) في الدلتا قديماً، أو حتى في سيناء**، يوضح كيف أن الأجانب أطلقوا اللقب تعميماً على سكان وادي النيل».

ويضيف «بيتس» :

«وتظهر الصعوبة الكبرى هنا من وجود كلمة «مصرو» misru الأشورية بمعنى (حدّ، تخم) وفي الأسماء الجغرافية : مُصري musri :

1 . جزء من «كابادوشيا».

2 . مكان في جبال طوروس - و : مُصُرْ Musur = مصر السفلى.

لكن لو أن هذه الأسماء كانت مرتبطة بـ«مُصْري» musri ، أفلا يمكن أن تكون لهذه الكلمة نفسها في البداية دلالة معيَّنة، ثم دلالة ثانوية عامة من بعد ؟».

ويستدرك أخيراً :

«سيكون من السفاهة ألا أقول، في نشر هذه الملاحظة، إنني لا أملك إلا معرفة تمكنني من القراءة بالعبرانية، ولا أعرف شيئاً من الأشورية على الاطلاق».

فلنستعن بمعجم اللغة الأشورية (الأكادية) لنجد أن كلمة «مصر» تعني فيها فعلاً : حد، تخم. ولكنها تعني كذلك : بلد، إقليم. وهي في الحالتين عنت «مصر» بالذات (أي وادي النيل)، فجاءت مرة بالتخصيص : «مُصُرْ كَمُّو» muşur Kammu (البلد الأسود - حرفيا : المصر الكميء. راجع فيما يلي : «ك م ت») ومرة أخرى للتمييز بينها وبين بلاد «النوبة» (كوش) : «**مُصْرُ و كُوسِي**» muşru u Kusi (مصْرُ وكوش). (أنظر (Arnolt ; a Concise Dictionary of Assurian Language, p. 575 – 6. وهذا ما يقطع بأن «مصر» عرفت بهذا الاسم عند الأكاديين كما كانت تعرف عند عرب الجزيرة وفي أيامنا هذه.

في القرآن الكريم وردت «مصر» خمس مرات :

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً﴾ يونس/ 87.

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامرأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾. يوسف/21.
﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمنِينَ﴾ يوسف/99.
﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ الزخرف/51.
﴿اهْبِطُوا مِصْرَ فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾ البقرة/61.

فمن أين جاءت كلمة «مصر» ذاتها وما دلالتها الأولى ؟

المعروف أنها تعني عموماً : البلد، المدينة، المصر (تجمع على : مصور وأمصار) ـ أي «الحضر» في مقابل «البدو». وهي تدل على الاستقرار في مكان معين مقابل حياة التنقل والترحال شأن البداوة. والمعروف كذلك أن المدن والقرى كانت مجرد **قلاع محصنة** يحتمي وراءها ساكنوها، أو على الأقل هي مساحات من الأرض محاطة، حتى وقت قريب جداً، **بسور**.. أي : مكان مسوّر.

أنظر إلى الجذر «سَوَرَ» (سُور، مسوَّر/أسورة) تجد السين فيه تنقلب شيناً فيقال «مُشوَّر»، و«مشْوَر» (كنطق أهل الرباط في المغرب للسور المحيط بالمدينة : المشْوَر = المسْوَر، وزن «مفْعَل»). وتنقلب السين زاياً فيقال «**مزور**» (ويسمى نصف الجدار المبني فاصلاً وسط الدور في لهجة أهل مصراته من عرب ليبيا : «**مِزْري**» ـ بمعنى : سور). كما تبدل صاداً فتصبح : **صُور** (= سور)، مصوَّر (= مسوَّر)، مصْوَر (= مسْوَر) وبسقوط الواو : «**مصر**».

هذا هو أصل اشتقاق «مصر» إذن ـ التي نقارنها باسم المدينة الكنعانية «صور»[7] (= سور) سميت كذلك لأنها «قلعة» حصينة مصوَّرة أو مسوَّرة. والعادة أن تطلق التسمية في البلاد على مدينة واحدة (إذ لا يعقل أن يكون وادي النيل كله مسوَّرا أو مصوَّراً !) ثم صارت علماً على البلاد كلها كما يحدث كثيرا من إطلاق الخاص على العام ؛ فبابل ـ مثلاً كان اسم مدينة واحدة (أصلها : «**باب إل**» = باب الله)[8]. ثم صارت اسماً لبلد كامل بمدنه وقراه الأخرى ذات الأسماء المختلفة، وأطلقت على شعب توحّد في دولة واحدة، رغم اختلاف الجنس واللغة أحياناً (البابليون). ولنا مثل آخر في «الكويت»، «الجزائر»، «تونس»، و«عدن».. إلخ. وهذا ما نفهمه من آيات القرآن الكريم التي ورد فيها اسم «مصر» ؛ فقد نفهم اسم مدينة بعينها، كما نفهم اسم بلد بأكملها.

وقد لاحظنا أنها في العربية «مصر» ـ بالأفراد ـ وفي العبرانية «مصرائيم» (بالجمع المقصود به التثنية).. فلم ذاك ؟

ذلك كان بسبب من واقع تاريخ وادي النيل نفسه ؛ إذ هو ظل ـ رغم التوحيد أواخر الألف

---

7) تعرف على شكل Tyre في الانكليزية عن اليونانية. ولابأس ؛ فإن الجذور : صور، سور، وطور، وتور.. تفيد كلها الاحاطة والدوران (دور) ← (دار، ديار، دور). مما يبين للقارىء تعاقب الحروف الذي أشرنا إليه في (سور، شور، صور، زور) ـ والدلالة واحدة.

8) الواقع أن (باب) هنا تعني (مدينة) وهذا تعبير معروف في اللغات العروبية القديمة، فهي «مدينة إل» أو «مدينة الله».

الرابعة قبل الميلاد - يعتبر قطرين أو بلدين «متحدين»، الشمال والجنوب، أو الدلتا والصعيد، أو «الـوجهـين» : البحـري والقبـلي. ولكـل منهـما عاصمته، أو حاضرته، أي «**مصره**». . مدينته الرئيسية ؛ منف (أو سائيس) في الشمال، و«أبد» (أو طيبة أو غيرها) في الجنوب، بحسب عهود التاريخ. فهما «مصران» لا «مصر» واحدة (= مصرائيم).

فهل سميت بلاد وادي النيل بمثل هذا ؟

نعم. لكن كلمة أخرى استعملت هنا وليس «م ص ر» مع أن المعنى واحد تقريباً وإن كان في المصرية أدق لأنه يدل على «الأرض» وليس على «المدينة» فقط.

كانت «مصر» في اللغة المصرية تسمّى «**ت ء و ى**» T a w y. وهي مركبة من : «**ت ء**» T a (أرض/**طية**) + واو الجمع w + ياء التثنية y. فكأن المصرية جمعت (كالعبرانية «ثيم») أولاً بالواو، ثم ثنّت بالياء (مثل عربية الجنوب السبئية بالضبط ؛ إذ التثنية فيها بإضافة الياء). وعند ما عبرت عن «المصريّين» أضافت واو الجمع في آخر الكلمة فقالت : «**ت ء و ى و**» T a w y w = (أهل الطيتين = أهل البلدين أو المِصْرَين (الطأويين = المصريّين).

(3) «أيجبت» : Aegypt

نسبة المفرد إليها Aegyption والجمع Aegyptae.

في «كتاب سوثيس» (أو كتاب الشِّعري) The Book of Sothis المنسوب إلى «مانيثو السمنودي» يذكر اسم Aegyptus باعتباره اسماً لـ«رمسيس» أطلق على مصر بعد انتهاء صراعه مع أخيه «دناوس» Denaus [9]. وهذا تصور أسطوري مبني على الخرافة اليونانية التي تخلط بين الواقع والخيال، وإن كانت لا تخلو من الأصل التاريخي أحياناً، بتفاصيل مشوشة مهوَّلة أو محرفة.

وباتفاق أغلب علماء المصريات **فإن التسمية اليونانية لوادي النيل** Aegypt **ليست إلا تحريفاً** للأصـل المصري القديم «**ح ت ك ء پ ت ح**» ḥ t. k a. p t ḥ وهو الاسم الذي كانت تعرف به مدينة «**منف**» مركز عبادة الرب «**پ ت ح**» الشهير. وفيها كان معبده الأكبر أو «بيته» (البيت = المعبد، الحرم. قارن : بيت الله الحرام. بيوت الله = المساجد). وحتمي أن تظلل روح «**پ ت ح**» السماوية المعبد والمدينة وأهلها بالرعاية والعناية.

ومن هنا جاءت تسمية «منف» «ح ت. ك ء. پ ت ح» ومعناها : بيت عزّ (أو مجد) المعبود فتاح. (عربيتها : **حيط جاه فتاح**) (أنظر هذه الكلمات الثلاثة بتفصيل في هذه الدراسة).

وقد تحولت «ح ت» ḥ t المصرية في اليونانية، بإبدال الحاء همزة وإسقاط التاء من «ح ت»، إلى ae - (قارن ما حدث في ae - ria)، وصارت «ك ء» (ka) = gy، وأسقطت الحاء من «**پ ت ح**» **فأصبحت** (ḥ t - k a - p tḥ = a e - g y - p t) فكانت النتيجة : aegypt = «أيجبت».

9) لمزيد من البيان أنظر : Robert Graves ; The Greek Myths.

ولا غرابة في هذا التحريف والتبديل والتحوير في لسان اليونان، فقد تحولت الصورة اليونانية ذاتها في اللغات الأوروبية الحديثة إلى عدة صور؛ ففي الألمانية تنطق «أيجيت» بجيم قاهرية، بينما تعطش الجيم في الانكليزية Egypt وفي الفرنسية تضاف e ولا تنطق الباء المهموسة رغم وجودها كتابة Egypte (إيجت) وقد تعرَّف : l'egypte . أما في الايطالية فقد أسقطت هذه الباء نهائياً وشدِّدت التاء وحُرِّكت فكانت Egitto (إجِتّو).

وقد وقع الابدال وإسقاط لبعض الحروف في الكنعانية كذلك؛ إذ نجد اسم مصر مرة فيها «ح ك ف ت» بإسقاط التاء من «ح ت» وإسقاط الحاء من «پ ت ح» (پ = ف). ومرة نجده «ح ق ف ت» بتعاقب الكاف والقاف، مثلما تعاقبت الكاف والقاف والجيم في (ك ء/قا/جا ه) (أنظر : فريحة؛ ملاحم... صفحة 616).

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد تحولت الصورة اليونانية Aegypt (مصر، ومنها Aegyption = مصري، Aegyptae = مصريون) إلى «قبط» في العربية (الانكليزية Copt) وتجمع على «أقباط» ومفردها «قبطي» وهي التسمية التي يعرف بها اليوم أهل مصر من نصاراها. كما تحولت إلى اسم بلد في مصر هو «قفط» (أبدلت الباء فاءً) والنسبة إليها «قفطي» ومنها «القفطي» العالم العربي الشهير صاحب كتاب (طبقات الأطباء) وغيره. وفي مادتي «قبط» و«قفط» في (اللسان) زيادة لمستزيد.

وكلها تعود إلى «ح ت. ك. ب ت ح» (أو : حيط جاه فتّاح) اسم مدينة «منف» قديماً، كان خاصاً فصار عاماً ـ كما حدث في ما سبق من التسميات.

(4) «كمت» Kem-t

يتفق أغلب الباحثين على ترجمة «ك م ت» k m t بأنها تعني : «الأرض السوداء» Black Land معارضة لـ«د ش ر ت» d š r t التي تترجم : «الأرض الحمراء» Red Land . والمقصود بالأخيرة : الصحراء ـ والصحراء الليبية بالذات. وسيلي الحديث عنها بعد قليل.

ذلك لأن مصر ـ وخاصة الدلتا ـ كانت تُطمر بالطمي (يسمى أيضاً : الغرين) وهو الطين الذي يأتي به النيل أيام فيضانه كل عام من مرتفعات الحبشة، فيخصب الأرض ويقوِّيها ويمدها بأسباب الانبات والنماء. وعلى مر السنين تكونت طبقة من هذا الطين الأسود عرفت به مصر واشتهرت فسميت «ك م ت». ولكن ترجمة هذه الكلمة بـ«الأرض السوداء» غير دقيقة، إذ لو كانت كذلك لكانت «ت ء. ك م ت» Ta. k m t وهو ما لم أعثر عليه في ما بين يدي من مراجع، رغم وجود «ت ء. د ش ر ت» Ta. d š r t و«ت ء. م ر ي» Ta. m r y ونحوهما. وهذا ما يدفع إلى القول بأن التاء في «ك م ت» إما أن تكون للتأنيث للمذكر «ك م» أو تكون تطوراً للجذر الثنائي «ك م» الذي يفيد السواد في معجم اللغة المصرية عامة. (أنظر معجم «بدج»، صفحة 787 وما بعدها. ومعجم «فولكنر»، صفحة 286 ـ مثلاً).

في العربية نجد الجذر الثنائي «كم» إذا ثُلِّث يؤدي إلى معانٍ فيها الظلمة التي هي السواد :

كمأ : الكمء، الكمأة : نبات ينقض الأرض فيخرج كما يخرج الفطر. . . والكمأة هي التي إلى **الغبرة والسواد**.

كمت : الكمتة : لون بين **السواد والحمرة**.

كمد : الكمد : تغير اللون وذهاب صفائه (ضد النُّصوع والضياء = **الظلمة**).

كم : الكِمام : الغطاء والسدُّ والغم (التعتيم والاظلام).

كمن : الكُمون : الاختفاء والاستتار (بحيث لا يرى المرء = **ظلمة**).

وربما سمي «الكمُّون» هكذا **لسواده**.

كمه : الكمه : العمى الذي يولد به الانسان (**ظلام العين**).

كمي : كَمَى الشيء وتكمأه : ستره (**أظلم من حوله**).

ويظهر لنا من هذا أن الجذر الثنائي «كم» يفيد في العربية الظلام والسواد وهو المعنى بذاته في المصرية. وهذا ما ينقلنا إلى كلمة شهيرة قيل إن **العرب أخذوها عن اليونان** (!) وهي : «**كيمياء**». وقد لاحظ الأستاذ «بدج» والأستاذة «بربرا واترسون» (B.Watterson ; Introducing Hieroglyphics) أنها ترجع إلى المصرية km ـ لأن «الكيمياء» عندهما في أساسها «**علم أسود**» تدخل قديماً في عالم السحر والظلام. وقد نقل اليونان الكلمة، كما نقلوا العلم ذاته، من مصر في صيغة Kheme ـ ومنها كانت Chemistry (كيمياء) في الانكليزية[10].

وقد أشار ابن منظور إلى «الكيمياء» في مادة «**كمي**» فقال :

«**الكيمياء** : معروفة، مثال السيمياء : اسم صنعة. قال الجوهري : **هو عربي**. وقال ابن سيده : أحسبها أعجمية».

وجزم الجوهري بعربيتها مبعثه إحساسه بهذه العروبية، أما حسبان ابن سيده لها أعجمية، دون قطع برأي، فلعل مرجعه حيرته هل هي على وزن (فِعْلياء) أم (فِيعِلاء) ـ كما ذكر. وله عذره ؛ فإن الأصل كان عربياً ثم نقله اليونان فحرفوه وشوهوه، وأعيد إلينا كسير الجوانب محطم التركيب. . فاحتار. ولم يكن ابن سيده، بالطبع، على علمٍ بالمصرية وإلا لأدرك تماماً أن «الكيمياء» عربية صميمة سواء كانت عند عرب مصر أو عرب الجزيرة.

فهل عرفت مصر بهذه الصفة عند الأقدمين ؟

والجواب : نعم. . . فقد عرفها العرب الأكاديون باسم واضح صريح هو «**مُصُرْ كَمُّو**»

---

10) «تَعَرَّبُ» chemistry : «كيمياء». وهي مكونة من chem (= km) مضافا إليها ist (أداة التخصيص في علم ما) + ry (للدلالة على العلم). وهناك alchemy (التي «تُعَرَّب» إلى «سيمياء») وهي مكونة من al (أداة التعريف في العربية) + chemy (= km). «فالسيمياء» هي «الكيمياء» في الواقع. أما تحويل اليونان المصرية km (كم) إلى -khe me (خم) فقارن العربية : كم = خم = غم = عم (أي غطى وستر). قارن أيضا : كمأ = طمأ = حمأ (الطين الأسود).

mușur Kammu - كما سبقت الاشارة أي «الأرض السوداء» أو «البلاد السوداء» ونستطيع مقابلتها بالعربية : «مصر كمئة» (المصر الكمىء).

وقد ذكرنا هذا كله تسليماً بأن الجذر «ك م» في المصرية يؤدي معنى «السواد» كما ذهب الباحثون. والواقع أنه في العربية لا يعني السواد الخالص، **وكذلك الأمر في المصرية ذاتها، بل لعل** كلمة «السمرة» هي المقصودة أصلاً. ويقول الدكتور عبد العزيز صالح في كتابه **(حضارة مصر القديمة وآثارها)** إن الصفة **«كم» أو «كمت»** أقرب في بعض أصولها إلى أن تعني اللون «الأسمر» عادة أو اللون «الخمري» دون اللون الأسود الصريح الذي لم يكن مستحبًّا كثيراً من الناحية الجمالية لدى المصريين الذين كانوا يصفون معبودتهم الأثيرة «إيزيس» فيقولون إنها **«س ت. ك م ت»** أي «السيدة السمراء»[11].

هنا نجد المقابل العربي الدقيق لـ**«ك م ت»** كلمة عربية مشهورة هي **«كُمَيْت»**، مصاغة على التصغير من **«كمت»**، وتطلق على اللون الأسود المشرب بحمرة أو شقرة أو غيرهما من الألوان القريبة، وتوصف بها الخمر (قارن : خمري) والخيل ونحوهما. وهو اللون الذي ينطبق على حال أرض الدلتا الطينية الداكنة السمراء التي تضرب إلى السواد دون خلوصه، وبه سميت مصر «ك م ت».

الغريب أن الأستاذ الدكتور حسن ظاظا في كتابه **(كلام العرب، صفحة 59 - 60)** يذهب أولاً إلى أن («كُمَيْت» لا يداخلنا الشك في أصالتها في العربية، ولكننا إذا أمعنا النظر وجدناها لا تستعمل إلا في صيغة التصغير هذه وليس لها جمع شائع الاستعمال والمشتقات منها قليلة جداً. كل ذلك يدعو الباحث في اللغة إلى **الشك في أصلها**). ثم يضيف : (فإذا وجدنا كلمة «كِمتْ» في اللغة المصرية القديمة معناها الأرض السوداء، وأنها كانت علماً على مصر نفسها . . . **شعرنا أن شكنا في أصلها في العربية ليس من قبيل الوساوس أو النزوات)**.

ومن الواضح أن الدكتور ظاظا يذهب إلى أن اللغتين المصرية والعربية منفصلتان لا تربطهما رابطة، فلو انتبه إلى وحدة أصول اللغتين لكان ورود كلمة «ك م ت» (ولسنا ندري على أي أساس شكّلها «كِمِتْ» بكسر الكاف والميم وتسكين التاء ؛ إذ أن حروفها أصلاً صامتة، ولعله نقل التشكيل عن بعض الكتاب الغربيين الذين يفترضون حركات يسهّلون بها القراءة - Kemet) نقول ؛ **لو انتبه الدكتور ظاظا إلى وحدة الأصل هذه لكان ورود الكلمة المعنية بمعنىً واحد أو متقارب في اللغتين دليلاً على وحدتها وليس انفصالها**، ولما اعتبر «كميت» (دخيلة) كما يفعل الكثيرون مع عدد كبير من الألفاظ المشتركة بين اللغات العروبية. وليس المهم أن نعرف من أخذ عمن . . . وهو الأمر الذي أوضحه الأستاذ نفسه في كتابه المشار إليه.

والأغرب من هذا ما يورده «السيد أدى شير»[12] في كتابه **(معجم الألفاظ الفارسية المعرَّبة)**

---

11) نقلا عن حلمي خليل ؛ **المولد في العربية**، صفحة 124 - 125.

12) هكذا اسمه على غلاف الكتاب. وعند الدكتور ظاظا **(كلام العرب**، صفحة 67) هو «المطران» وليس «السيد» أدى شير - نقلا عن «الأب» رفائيل نخلة اليسوعي في كتابه **(غرائب اللغة العربية)**. والله أعلم بالصواب !

من أن «الكميت» ترجع إلى الفارسية (!) فيقول :

«**الكميت** من الخيل الذي خالط حمرته قنوءٌ أي سواد غير خالص. وقيل : بين الأسود والأحمر. بعير كميت وناقة كميت. **فارسيته : كميت ـ أيضاً**. وهو يطلق على الخمر التي خالط حمرتها قنوء وعلى الخيل الأشقر الذي عرفه وذنبه أسودان. وكميت مشتق من **كُمْخُت** = المختلط».

لو راجع السيد (أو المطران) «أدى شير» معجماً من معاجم اللغة العربية لوجد أن «**كميت**» تصغير «**كمت**» وهي أصيلة في العربية بدلالة أصالة جذرها الثنائي «**كم**» الذي ثُلِّث فكانت مثلثاته تفيد الدلالة نفسها ـ كما سبق البيان. ولو درس المصرية لوجد الجذر «**ك م**» (الثنائي) الذي أدى إلى «**ك م ت**» (الثلاثي) كما في العربية لفظاً ومعنى. ولو تأنّى لأدرك أن «**كمخت**» الفارسية ذاتها من العربية «**كمخ**»[13] (جذرها الثنائي «**كم**»). ولو تروّى لقال بهدوء إن «**كميت**» **في الفارسية مأخوذة عن «كميت» العربية**، تصغير «كمت» العربية/المصرية.

أما مسألة التصغير التي استند إليها الدكتور ظاظا واتخذها دليلاً على أن «كميت» دخيلة، فهذا أمر مدهش جداً. إذ قد يحدث أن تنتشر الصيغة المصغرة بل لا يستعمل سواها ولا ينفي هذا وجود المصغر منه في الصيغة الأصلية[14]. هناك «**الكويت**» مثلاً (القريبة في لفظها)، وهي تصغير «كوت» أي كثيب الرمل. فلو قلت إن فلاناً «**كوتي**» ما فهمك أحد إلا أن تقول «**كويتي**». ولو قلت إن دولة «**الكوت**» فعلت كذا وكذا، لما دري أحد عمَّ تتحدث، إلا أن تقول دولة «**الكويت**» فيفهم قصدك. وهناك كلمة «لُجَيْن»، أي الفضة، وهي لا تستعمل إلا في هذه الصيغة. فهل نقول إنها ليست عربية ونتخذ تصغيرها دليلاً على عدم عروبتها ؟ ومع هذا فإن صيغة «**ك م ي ت**» Kmyt موجودة في المصرية ذاتها بالدلالة نفسها (أنظر معجم «بدج»، صفحة 787، ومعجم «فولكنر»، صفحة 286). ولعل هذا يرضي الدكتور ظاظا ومن تبعه، كالدكتور حلمي خليل في كتابه (**المولّد في العربية**).

---

13) الغريب أن ابن منظور يقول أولا في هذه المادة إن «الكمخ : السلح» (واللون الكامد هنا واضح) ثم يقول : «والكامخ : نوع من الأدم معرَّب. وقُرِّب إلى أعرابي خبز وكامخ فلم يعرفه فقال : ما هذا ؟ فقيل : كامخ. فقال : قد علمت أنه كامخ ولكن أيكم كمخ به ؟ يريد سلح به». وبحسب هذا القول فإن التعبير عن «السندوتش» بقول بعض المتحذلقين : «شاطر ومتطور وبينهما **كامخ**» غير عربي ! من رأينا أن الفارسية أخذت «كمخ» من العربية، ثم أطلق على نوع من الطعام (كامخ) وأعيد إلى العربية فحسبه ابن منظور معربا وهو العربي أصلا. وقد حدث هذا في اللغات الأوروبية الحديثة التي أخذت عن العربية، وأعيدت إليها ألفاظها محرفة فحسبت غير عربية. من ذلك مثلا «شيروبّو» sciroppo الايطالية (يستعملها عرب ليبيا للدواء السائل)وهي من العربية «شراب». و«كاندي» can-dy (ضرب من الحلوى) من العربية «قندي» أي السكر المقنود (المعقود). وحتى «مستكا» mastica الايطالية (= علك/صناعي غالباً) من اليونانية mastikhē وهذه من العربية «مضغ/مضيغة». وعشرات الألفاظ غير هذه في باب الطعام، فما بالك بمجالات الحياة الأخرى. فلم لا تكون «كمخت» الفارسية من «كمخ» العربية الأصيلة وفيها معنى اللون الكامد والاختلاط حين تعني «السلح» ـ وهو معروف ؟!

14) لاحظ قول ابن منظور : «الكمتة (مؤنث «الكمت») : لون بين السواد والحمرة». وتصغيرها : كميتة/كميت.

ولقد أشرنا في بداية هذا الحديث إلى أن التاء في «ك م ت» إما أن تكون للتأنيث، وإما أن تكون تطوراً للجذر الثنائي «ك م» إلى ثلاثي يماثل ما عرضناه.

فإن كانت الأولى فهي تقابل العربية «كَمَّة» في كتابتنا المتطورة (أصلها بنطق التاء : **كمَّت**). ونلاحظ أن «ك م. ت» k m. t في المصرية تعني أيضاً : جرَّة، أو : دن ـ ولعلها وعاء **للخمر**(15) خاصة مصنوعة من طين، تغلق حيناً لتعتق خمرها. ولا ريب في عودتها إلى الجذر الثنائي «**كم**» الذي يفيد الاغلاق والسَّد والاظلام والاخفاء. ويسمى هذا الوعاء في العربية «مكمَّة» (من «الكم» = السِّداد. وكممت رأس الدَّنِّ أي سددته. قال الأخطل يصف خمراً :

كُمَّت ثلاثة أحوالٍ بطينتها * حتى اشتراها عِباديٌّ بدينار)

وإن كانت الثانية فقد بيناها بما فيه الكفاية.

(5) «ت ء. م ر ى» Ta-mera

هذا اسم آخر عرفت به مصر قديماً، وقد انتقل إلى اليونانية في صورة «**بتيموريس**» Ptimuris عند المؤرخ «إيفوروس» Ephorus (حوالي 405 ـ 330ق. م) في كتابه Istoriae (التواريخ. عربيتها : **الأساطير**).

وتحليل الصيغة اليونانية يعود إلى المصرية أصلاً :

1. «**ب**» p : أداة التعريف في المصرية (= ال).
2. **تيموري** timuri مكونة من مقطعين :
   (أ) «**تي**» ti : المصرية «**ت ء**» ta.
   (ب) **مُوري** muri : المصرية «**م ر ى**» mri.

(المصرية p. ta. mri «**ب. ت ء. م ر ى**» تحولت في اليونانية إلى Ptimuri(s) ـ السين في آخرها زائدة لغوية).

فما أصل «**ت ء. م ر ى**» هذه وما هي صلتها بالعربية ؟

أما «**ت ء**» فقد مر ذكرها كثيراً في هذه الدراسة ومعناها : أرض، بلاد، وطن. عربيتها : طية، طاءة، طآة، طائة، وحتى ثطأة، وطين.. إلخ.

وتبقى «م ر ى». ونلاحظ أولاً أن الجذر الأصلي هو «م ر» mr والياء في آخرها للنسبة. وحين

---

15) لاحظ ترجمة «ك م ت» عند بعض الباحثين بأنها تعني «خمري» ـ اي بلون الخمر. وفي الكنعانية «هـ م ر ى» : مُوحِل، طيني، ذو حمأة. (فريحة ؛ ملاحم وأساطير من أوغاريت). وفي اللهجة الليبية تستعمل كلمة «خمرة» للملاط الذي يتخذ من **خليط الطين والرمل** أساسا، ثم صارت تطلق على **خليط** الرمل والجير للبناء. ونحن نعلم أن «لبنان» (اسم البلد المعروف) مشتقة من «لبن» (أبيض، لون الثلج الذي تشتهر به جباله) و«الكويت» من «الكوت» (الكثيب من الرمل). وقد تبين هذه المقارنة للقارىء لم سميت «مصر» (ك م ت) بالمعاني التي شرحناها.

ننظر إلى الجذر «م ر» في قاموس اللغة المصرية نجد مفردات كثيرة مشتقة منه ويتصل بعضها ببعض :

«م ر» mr : قناة، بحيرة أو بركة صناعية.
«م ر» mr : حوض سكب مياه القربان.
«م ر ى» mri : قضيب سبرغور المياه.
«م ر ي ت» mryt : تمساح/مائي.
«م ر ي ت» mryt : ربة الفيضان.

(أنظر : معجم «فولكنر»، صفحة 111، ومعجم «بدج»، صفحة 307). وهذه مجرد أمثلة فقط لما يشتق من الجـذر «م ر» متصلاً بالماء في أحواله المختلفة، يفرق بينها (المحدِّد) في الكتابة الهيروغليفية، كما يفرق بين مشتقات «م ر» الأخرى ذات المعاني المتباينة.

فإذا كانت «م ر ى» في اسم مصر «ت ء. م ر ى» نسبة إلى ما عرفت به واشتهرت من ماء النيل وفيضانه (قارن القائمة المرفقة بمشتقات هذا الجذر) فإن الجذر الثنائي العربي «مر» يؤدي إلى «مور» (وهو الماء الكثير، العباب، الموج) كما يؤدى إلى «مير» وهو الماء كذلك. (راجع حديثنا عن المعبودة «م ر ي ت» في هذه الدراسة)[16].

والملاحظ أن الجذر الثنائي « م ر» يؤدي إلى جملة معانٍ تليها اشتقاقاتها. فقد ورد في معجم «بدج» : «م ر» ؛ ماء، بحر ـ ومشتقاتها (صفحة 307) ـ عربيته : «مور، مير».

و«م ر» : حُبٌّ، مَيْل، عطف، حنان (صفحة 309) ـ عربيته : «ر ا م»، «روم». و«م ر» : سيد (صفحة 311و : قوي 313) ـ عربيته : «مر» ← «مرء»/«مَرَرَ ← مِرَّة، مرار. . إلخ.

و«م ر» : بنـاء، هرم (صفحة 313) ـ عربيته : «إ ر م»، «مر» ← «مرمر». . كما ورد : «م ر» : محراث/حرث ـ مزارع/فلاح. ومشتقات أخرى من هذا القبيل (صفحة 311). وعربية الأخيرة : «مَـرٌّ». يقول ابن منظور في (اللسان).

المـرُّ : المعزقة. . . والمرُّ : المحراث، أو مقبضها. وقيل : هو من المحراث «(مادتا : حفر، ومرر). وهذا قد يغرينا بالقول إن «م ر ى» في اسم مصر (ت ء. م ر ى) نسبة إلى «مر» أي محراث ـ خاصة إذا ما لاحظنا صورة المحراث في أول الرموز الهيروغليفية الدالة على هذه التسمية، رغم أن هذا الرمز يأتي في مفردات أخرى ممثلاً للمقطع «م ر» ـ ولكن الأصل هو الحرث والمحراث (مر) في المصرية والعربية على حد سواء.

بذا تكون «ت ء. م ر ى» تعني «أرض الحرث» أو «أرض المحراث» (أرض الزراعة، بلاد

---

16) نضيف هنا، للمقارنة، الأكادية «أمِرَانُو» amirānu «بحيرة» (Arnolt ; a Con-Dict., p. 61). وفي السبأية : «م ر» mr (قناة ماء). (Biella ; p. 282) وفي النوبية لا تزال مستعملة حتى الآن : «ميري» meri (بركة، مستنقع)/«مرتى» marti (جدول)/«ميري» mere (غدير). (بدر ؛ اللغة النوبية، صفحات 95، 105، 159).

الفلاحة، أو **الفلاحين** ـ باعتبار شهرة وادي النيل بهذا في القديم والحديث)، ـ فهي عربياً: «طية مَرّ» (وطن الـمَـرّ).

الكنعـانية، من جهتهـا، تقدم لنا تصوراً آخر قريباً. فإن كلمة «**هـ م ر ي**» فيها تعني: موحـل، طيني، ذو حمأة. (فـريحة؛ ملاحم وأساطير... صفحة 681). فإذا كانت الهاء فيها للتعريف فهي«(الـ) مري» (= هـ/مري) أي: الموحل، الطيني، الحمأي. وهو ما يطابق وصف مصر واسمها (ك م ت) كما سبق بيانه. أما إذا كانت الهاء من بنية الكلمة فإن المقابل العربي الأقرب هو «**خمـري**» **بتعـاقب الهـاء والخاء**. وتعرض لنا مادة «خمر» في قاموس العربية مجموعة كبيرة من المشتقات تتعلق باللون الخمري (من الخمر، أي العنب الأسود المخمر) وبالطين (الخمير والخميرة للبناء. قارن ما ذكرنا عن «خمرة» في اللهجة الليبية) ـ وكلها ينطبق على صفة أرض مصر، والدلتا خاصة، ذات الوحل والطين والحمأ والطمي.

ولا ننس السبئية «م ر ت» m r t ، التي تطابق الحبشية «مَريت» marit (واللغتان عروبيتان) وتعني: طين، تربة طينية (أنظر: Biella ; Dict of O.S. Ar. p 285 — .) وهذه هي طبيعة أرض النيل (خاصة الدلتا) التي اشتهرت بطينيتها تمييزاً لها عن تربة الصحراء الرملية.

نزيد على ما سبق ما نلاحظه في الرمز الهيروغليفي لاسم مصر (ت ء. م ر ي) حسبما يورده «غاردنر» (Eg. Gr. p. 479) على هذا الشكل: [رموز هيروغليفية]

وتحليل هذه الرموز كما يلي:

1. [رمز] Ta : أرض/طية.
2. [رمز] mr : محراث/مر ـ مفرداً أو مضافاً إليه رمز الراء
3. [رمز] i : ي (ياء النسبة).

بهذا تكوَّن الاسم «**ت ء. م ر ى**» كاملاً. ويبقى رمزان زائدان لا يؤديان صوتاً ولكنهما محدِّدان للأصـوات المـرموزة. أحدهما أقصى الرموز وهو [رمز] ويحدد معنى «**بلد**» أو «**مدينة**» أو «**قرية**» ونحوها. وقبله الرمز [رمز] **فما الذي جاء به هنا؟**

يقـول الأستـاذ «غاردنر» (نفس المرجع السابق) إن هذا الرمز يأتي في الكلمات الدالة على **الـزمـان**، أو بالتحـديد الـدالة على «**دورة**» **الزمان**. نجده في كلمة «**ت ر**» t r [رمز] **أو** [رمز] ومعناها: «فصل»، «موسم» (عربيتها: تارة. طور. دور). ويكتب كذلك [رمز]. كما يرد في صيغة «**ت ر و**» t r w (قلب للعربية «تَوَر» أو جمع «**ت ر**» بإضافة واو الجماعة). وعلى هذا فإنه لا بد لوجود هذا الرمز من مبرِّر يكمن في الدلالة على الزمان ودورته، أي الفصل أو الموسم.

نحن نعلم، قطعاً، أن فيضان النيل كان يأتي إلى مصر مرة كل عام في موسمه المعلوم، **تارة** بعد تارة، **ودوراً** بعد دور، و **طوراً** بعد طور. فكأن الكاتب في الهيروغليفية أراد أن يلفت نظرنا إلى أن «بحر» النيل «م ر» (لاحظ أننا نستطيع مقابلته في العربية بكلمات من مثل: **مرٌّ**، **ممرٌّ** = **مجرى**)

يأتي في السنة «تارة» واحدة في موسم بعينه . . أي بالتحديد (مرَّة) واحدة، فكلمة (تارة) هي ذاتها كلمة (مرة) والتلاعب باللفظ بيِّن جداً في الرمز الهيروغليفي كما هو الحال في العربية.

من هنا كان اسم ربة الفيضان «م ر ي ت» أي التي تأتي كل عام مرة، فهي «المَرِّيَّة» (نسبة إلى «مَرَّة»). لكننا نستطيع ببساطة أن ننسبها إلى «المَرّ» بمعنى «المحراث» باعتبار الفيضان والحرث مرتبطين كل الارتباط. كما يمكننا نسبتها إلى «مر» (⟵ مور/مير) أي الماء الغزير الدافق، وإلى «مَرَّ» (جرى/مجرى. ممرٌّ = مجرى) أي مجرى النيل وممره.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن «ت ر» tr المصرية تقابل العربية «تَوَرَ» (ومنها : تارة = وقت/موسم/فصل) ولكنها أدت كذلك إلى «ت ر و» t r w بمعنى «جدول» بالضبط كما أدى الجذر الثنائي «تر» في العربية إلى : «ترع»، «أترع» (فاض، أفاض، قارن : كأس مترعة) من جهة و إلى «ترعة» (التي لا تزال مستعملة حتى اليوم في مصر بمعنى جدول صغير من نهر النيل)[17] من جهة ثانية.

وهذا ما يبين عن أن الجذرين الثنائيين «م ر» و«ت ر» متفقان في الدلالة الأصلية وما اشتقت منهما وفي تطور معاني هذه الدلالة والاشتقاقات في اللغتين الشقيقتين سواء بسواء.

أرجو أن يكون القارىء متابعاً لتداعي المعاني المشتقة من الجذر «م ر» (كما هو حال الجذر «ت ر»). ويكاد ألا يخامرني شك في أن **الكاتب المصري القديم كان يفكر بالعربية** كما نفكر الآن، وكان في ذهنه هذا الارتباط الوثيق ما بين معاني الجذر «م ر» في بداية اسم مصر «ت ء. م ر ي» على صورة محراث (مَرّ). وختم، ربما للتأكيد، بصورة النبت البارز من رمز حرف التاء[18] الذي يُقرأ «ت ر» ويرادف «م ر» بالضبط (تارة = مرة) حين يأتي وحده أو يقرن برمزي حرف الراء .

(6) «نيلوس» Neilos :

هذا اسم آخر عرفت به مصر قديماً، وهو أصلاً اسم نهرها الكبير «النيل».

في اليونانية يظهر اسم «نيلوس» Neilos أول مرة عند «هزيود» (Theogony, 338) الذي يمكن تأريخه بالقرن الثامن ق. م. (Waddell ; Manetho, p. 197) . ويبدو أن اليونان أخذوا اسم «**نيلوس**» (السين في آخر الكلمة زائدة لغوية، والجذر هو : «ن ل» NL) إما من العربية «نهل»، بإسقاط الهاء أو إبدالها ياءً (نهل ⟵ نل ⟵ نيلو(س) Neilos) أو من «نهر» بإسقاط الهاء أيضاً وإبدال الراء لاماً[19].

---

17) في اللهجة الليبية : الترعة : المنفذ في السور الترابي (الطابية) بين الحقول. قارن المصرية «م ر» mr (مر/ممر).

18) صورة رغيف (تا/تاتا. قارن لغة الطفولة : **تاتا**= خبز) تبرز منه جريدة نخل خالية من السعف إلا سعفة واحدة، رمز بداية النبت.

19) سقطت الهاء في الأكادية كذلك واستعيض عنها بمد النون فكانت «نارُ» nāru = نهر. وكانت «نارُ» Nāru : ربة النهر. وفي اليونانية nero = ماء. ولعل أصلها «نهر» ـ فكلمة «نهر» العربية تعني ماء البئر ونحوه، وإن خصت الدلالة مجرى الماء المعروف بحكم التطور.

بالنسبة للجذر «نهل» نجد أنه يفيد الشرب، وقد يخصص بأول الشرب أو الشرب الأول. ومنه اشتقت «المنهل» أي المشرب، أو موضع الشرب، وجمعه «مناهل».

واستعمل مجازيًّا فقيل: منهل العلم والمعرفة والخير.. إلخ. ونلاحظ أن الجذر «نهل» يحتاج إلى ميم المصدرية ليصير «منهل» اسماً لموضع الشرب. ولذا فإننا نرجح أن أصل التسمية في اليونانية يرجع إلى «نهر» التي لا تحتاج إلى ميم المصدرية وإلا صارت «منهر»، وتكفي بذاتها للدلالة على مجرى الماء أو الوادي السائل.

يؤكد هذا المذهب أن الجذر «ن هـ ر» n h r معروف في المصرية بنفس دلالته في العربية[20]. في النقوش الهيروغليفية تتكرر كلمة «ن هـ ر ن» n h r n ويقول «غاردنر» (Eg. of The Pharoahs, p. 178) إن هذه الكلمة (السامية) تعني «بلاد النهر» The River-Country وتقابل بلاد «الميتانيين» Mittanians, Mittani - والمقصود بها أقوام كانوا، كما يقال، وراء نهر الفرات[21]. ولكننا نعتقد أنها هي بالضبط بلاد «النهرين» (العراق الآن - والنهران: دجلة والفرات).

يثبت هذا الرأي ورود كلمة «ن هـ ر ي» n h r y ومعناها: «سيد من بلاد النهرين». أو«نبيل النهرين» Noble of Nahrin (معجم «فولكنر»، صفحة 135) - والمقابل العربي: «نهري» على النسبة.

ومن الواضح أن أهل مصر الأقدمين عرفوا بلاد «النهرين» بنفس تسميتها السارية حتى الآن منذ أيام «تحتمس الثالث». ولكنهم بالطبع لم يطلقوا على أرضهم اسم «بلاد النهر» مثلاً؛ فإن من العادة أن تأتي تسميات البلدان والشعوب من الآخرين. ولا يستبعد أن يكون العرب في الجزيرة هم الذي أطلقوا اسم «النهر» على أرض مصر (لاحظ أننا الآن نقول: «بلاد الوادي» ونقصد مصر، أو حتى «الوادي» فقط[22]. كما نقول «وادي النيل» والمقصود مصر قطعاً) - كما أسموا العراق «النهرين» (أي بلاد النهرين: دجلة والفرات). فلما جاء اليونان، متأخرين جدًّا، حرَّفوا «نهر» إلى «نيلو(س)». ثم دار الزمان وعادت إلينا الكلمة محرفة لنعرفها بصيغة «نيل»، ويصبح تعبير «وادي النيل» علماً على مصر، وكأننا في الواقع نقول «وادي النهر» أو «وادي الوادي»؛ فقد صارت «نيل» اسم علم يضاف إلى «وادي» أو «نهر» (نهر النيل = نهر النهر).

---

20) من ذلك «ن هـ ر. ت» nhr. t التي ترجمها «بدج» (المعجم، صفحة 381) إلى الانكليزية: violence (عنف) ونقابلها بالعربية «نهرة» من «نهر، ينهر، نهرا» أي دفع بشدة وعنف.

21) عند «غاردنر» (Eg. of the Ph. P. 194) أنهم سكان الجبال ما وراء النهرين، الجبليون. (قارن العربية «متن» = ظهر، مرتفع، جبل). وقد قاتلهم «تحتمس الثالث» وكانت لملكهم مراسلات مع «أخناتون» كشفت في (تل العمارنة). وفي هذه الفترة بالذات (الاسرة الثامنة عشرة) كانت صلات مصر الأسيوية أقوى ما تكون.

22) أذكر هنا مطلع قصيدة أحمد شوقي الشهيرة في رثاء شيخ الشهداء عمر المختار:

ركزوا رفاتك في الرمال لواء. * يستنهض الوادي صباح مساء.

والمقصود أن رفات عمر المختار المدفون في رمال ليبيا يستنهض وادي النيل ليتحرك ويسند الشعب العربي في مصر أخاه الشعب العربي في ليبيا إبان محنة الاستعمار الايطالي.

... والأرض الحمـراء

د ش ت Tesh-t (Tesher-t)
د ش ر ت Tesher-t

تترجم «**د ش ر ت**» dšrt عادةً بأنها تعني «الأرض الحمـراء» The Red Land في مقـابـل «**ك م ت**» k m t (الأرض السوداء). وهي تدل على الصحراء الليبية خاصة، مقابلة للدلتا ذات الطمي الأسمر الكميت. وإليها ترجع اللاتينية deserta و desertum والانكليزية desert (الأرض غير الآهلة، غير المزروعة، الخلاء، الجرداء، التي لا ماء فيها ولا نبات ـ كما يعرّفها (معجم أكسفورد) الاشتقاقي. ومنها اشتق الفعل desert (يهجر، يغادر، يخلي، يتخلى عن. وبالنسبة للجيش: يفرّ ـ أي يبقى مكانه خالياً، فضاءً، قاعاً صفصفاً).

في المصرية يدل الجـذر «**د ش ر**» dšr على الحمرة عموماً بمختلف درجاتها، حتى القانية والمتوهجة منها:

«**د ش ر**» dšr : أحمر.
«**د ش ر. إب**» d šr. ib : هياج، ثورة، غضب (حرفيا: احمرار القلب/اللب).
«**د ش ر و**» d š r w : سخط (احمرار).
«**د ش ر و**» d š r w : دم (أحمر).
«**د ش ر**» d š r : طائر «الفلمنغو»(1).

ثم نجـد:

د ش ر ت» d š r t : التاج الأحمر (تاج الدلتا ـ مصر السفلى).
«**د ش ر ت**» d š r t : إناء أحمر (مصنوع من الطين الأحمر أو مطلي باللون الأحمر).
«**د ش ر ت**» d š r t : غضبة، سورة غضب (احمرار الوجه من أثر تدفق الدم فيه).

---

1) طائر طويل العنق ذو ريش يختلط فيه السواد باللون الأحمر الوردي بالقرمزي الأرجواني. واشتقاق اسمه في الانكليزية من flame (لهب) بإلحاق ing (flaming ملتهب/محمر) وإضافة (o) في آخرها (flamingo) أو من البرتغالية flama (يلتهب) + engo. ويعرف في العربية باسم طائر «البشروش» أو «النحام» وكذلك يكنى بـ«أبي لهب». وسنعود إلى هذا بعد قليل.

هذه الاشتقـاقـات، وغيرها، تعود إلى الجذر «د ش ر» ـ والمعنى الأصلي يفيد «**الحمرة**». وورود حرف التاء في كلمة «د ش ر ت» بمعنى «حمراء» مع ورودها في كلمات أخرى يدل على أنها تاء التأنيث ولا تعني «أرض» التي هي «ت ء» تجىء في أول الكلمة المقطعية وليس في آخرها، ولها رمـز هيروغليفي مختلف هو . ولـذا فإن الترجمة الصحيحة لـ«د ش ر ت» تكون «الحمراء» (الحَمْرة ـ في بعض اللهجات) the red وليس «الأرض الحمراء» the Red Land ؛ إذ أن كلمة land هنـا مزيدة عند الكتّاب الغربيين لمجرد إيضاح المقصود فقط ـ وهو نفس الأمر الذي ينطبق على «ك م ت» التي ترجمت «الأرض السوداء» the Black Land وهي في الواقع «السوداء» (السودَة ـ في بعض اللهجات الحديثة)[2] ـ والأصح : السمراء، أو الدكناء، الكَمْتَة، الكُمَيْت. وهذا، بالطبع من الناحية التحليلية فحسب. . ولا بأس من زيادة «أرض» أو «بلاد» أو نحوها للاشارة إلى المقصود حتى لا تختلط الدلالات. (لجأ كتاب الهيروغليفية إلى وضع محدِّد يعيِّن المقصود من الجذر أو مشتقه إذا اتفقت الألفاظ وتنوعت المعاني).

المهم أن الجذر «د ش ر» في المصرية يعني أحمر ـ على اختلاف الاشتقاقات. والأهم أن نبين صلته بالعربية أو عروبيته في هذا المقام. وأول جذر عربي يتبادر إلى الذهن هو «**شقر**»، بتبادل القاف والـدال (ش د ر) وقلب الكلمة بتأخير الشين وتقديم الدال (د ش ر). فلنأخذ معنى «شقر» في العربية أولاً ثم نتعرض للابدال والقلب بعد ذلك. ورد في (لسان العرب) :

«**الأشقر** من الدواب : **الأحمر** في مغرة، حمرةً صافية يحمرُّ منها السبيب والمعرفة والناصية، فإن اسودَّ فهو : **الكميت** (لاحظ صلة «د ش ر» و«ك م ت» في المصرية). **الشُقْرة** : لون الأشقر، وهي في الانسان حمرة صافية وبشرته مائلة إلى البياض. بعير **أشقر** : أي شديد الحمرة. **والأشقر من الدم** : الذي قد صار علقاً (انعقد). **والشَّقِر**، بكسر القاف : شقائق النعمان، ويقال : نبت أحمر ـ واحدتها : **شَقِرة**. قال طرفة بن العبد :

وتساقى القومُ كأساً مُرَّةً ❋ وعلى الخيل دماءٌ كالشَّقِر

. . . **والمشاقر من الرمال** : ما انقاد وتصوَّب في الأرض، وهي أجلد الرمال، الواحدة : مشقر». إلى آخر ما يورده ابن منظور تحت مادة «شقر».

الشُقْرة إذن هي الحُمرة يخالطها بياض أحياناً كما في وجه الانسان، وهذه حال الرمال. ولم يخطىء عرب مصر الأقدمون حين نعتوا رمال الصحراء بهذا الوصف ؛ فقد أسمى عرب الجزيرة «ما انقاد وتصوَّب في الأرض» شقرا وجمعها : مشاقر ـ «وهي أجلد **الرمال**». ولا جدال في أن هذه «المشاقر» (الرمال) ترجع إلى الجذر «**شقر**» الذي قابلناه بالمصرية «**د ش ر**».

انتهينـا من دلالة «شقر» على الحمرة ومن صلتها بالرمال فلنعد لمعالجة الابدال والقلب في الكلمة المصرية «**د ش ر**» كما يحدث كثيرا في العربية.

2) قارن : بيضـاء ← «بيضة» (نتاج الطير). وفي اللهجة الدارجة «صحرة» بدلا من «صحراء». ويقال : صلعة = صلعاء/سمرة = سمراء. . إلخ.

السين والشين يتعاقبان ويظل المعنى واحداً، فنقول «شقر» كما نقول «سقر» ـ والأخيرة هي النار، أو نار جهنم بالتحديد القرآني، أو إحدى طبقاتها حسب التفسيرات المتداولة. وقد وردت في القرآن الكريم :

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ (القمر/ 48).
﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾. (المدثر/ 36ـ37).

ويبـدل القـاف عينـاً فتـأتي «سعر» ومنها : «السعير»[3] (وصف آخر لجهنم، أو طبقة من طبقاتها، أي النار المتأججة ذات اللهب الأحمر. و«عذاب السعير» الذي تردد مرات عديدة في آيات القرآن الكريم هو عذاب النار في شدة التهابها).

معنى «شقـر» و«سقر» و«سعر» واحد إذن، بتعاقب الشين والسين، والقاف والعين. وقد أبدل الحرفان الأخيران في المصرية دالاً (**شدر**) ثم قلبت الكلمة فكانت «**دشر**».

لنأخذ مادة «شقر» ونقلب حروفها فتكون «**شرق**». **وفي الكنعانية نرى أن «ش ر ق» تعني «أحمر»** (فريحة ؛ ملاحم وأساطر. صفحة 638). والشيء ذاته في العربية :

«**شَرِق الشيءُ شَرَقاً فهو شرِقٌ** : اشتدت حمرته بدم أو بحسن لون أحمر. قال الأعشى :
وتشرقُ بالقول الذي قد أذعته * كما شَرِقَتْ صدر القناة من الدم

ومنه حديث عكرمة : رأيت لسالم عليهما ثياب مَشْرَقَة، أي محمَّرة. يقال : شرِق الشيء إذا اشتدت حمرته، وأشرقتُه بالصبغ إذا بالغت في حمرته... وصريع شرِقٌ بدمه : مختضب. وشرق لونُه شرَقًا : احمرَّ من الخجل. والشرقي : صبغ أحمر. واشرورقت : احمرَّت... وشرِق النخل وأشرق : لُوِّن بحمرة. قال أبو حنيفة : هو ظهور ألوان البُسْر». (لسان العرب ؛ مادة «شرِق»)[4].

ونحسب أن في هذا القدر كفاية لمعرفة أن مادة «شرق» **(وهي مقلوب «شقر») تدل على الحمرة**.

كذلـك يفعـل مقلوبها الآخر «قشر» (قارن المصرية : د ش ر) ؛ فإن «**الأقشر هو الشديد الحمرة... ورجل أقشر بين القشر**، بالتحريك، أي : شديد الحمرة». وإذا كان ابن منظور يرجع «الأقشر» إلى تقشر البشرة فإن الصلة بين الحمرة والقشر واضحة للغاية عن طريق القلب المعروف في العربية.

3) قارن «السُّعر» (= الوحدة الحرارية) ترجمة لكلمة calorie وأصلها اللاتيني calor = حرارة. جذرها ـ cal (= cl). قارن العربية في مادة «قلا» ومشتقاتها تفيد الحرارة.

4) من ذلك أيضا : شروق الشمس. وفي اللهجة الليبية تبدل الشين زايا : «زروق الشمس، والشمس زرقت». وفي هذه اللهجة لون يسمى «الشفراقي» وهو الأحمر الضارب إلى الصفرة الأرجوانية، والكلمة منحوتة من : «شفق» و«شرق» ← «شفرق»/شفراقي (= شفرقي).

إلى هنا ولم يبق شك في أن «د ش ر» هي ذاتها : **شقر، شرق، قشر** ـ بمعنى «أحمر» ـ وبذا سميت رمال الصحراء، أو الصحراء، ذاتها، «**د ش ر ت**» (بإضافة تاء التأنيث) ـ أي : الدشرة، الدشراء = الشقراء/ الحمراء ـ تمييزا لها عن «ك م ت»، أرض مصر الوادي أو الدلتا الطينية ذات الحمأ.

وقد نكتفي بهذا القدر. بيد أن طائر «الفلمنغو» السابق الذكر يأبى إلا أن يطل علينا من جديد بألوان ريشه الأرجوانية القرمزية الحمراء. وقد ترجمت الكلمة الوهَّاجة flamingo إلى العربية بأنها تعني «أبو لهب» اتساقاً مع اسمه الأوروبي. والترجمة صحيحة. لكن الأصح منها ما عرفه به العرب الأقدمون ؛ إذ كان «**الشَّرْق**» تارة، وضعّف إلى «**الشرقراق**» تارة أخرى، فقيل :

«**الشَّرق** : طائر. وجمعه : شَروق. قال الراجز :

قد أغتـدى والصبح ذو بريـق
بملـجـم أحمـر سـوذنـيـق
أَجْـدلَ أو شرْقٍ من الشُّـروق

. . . والشرقراق : طائر يكون في أرض الحرم في منابت النخيل كقدر الهدهد مرقط **بحمرة** وخضرة وبياض وسواد». (اللسان، مادة : شرق).

ثم كان «**الشِّقِرَّاق**» الذي يأتي في مادة «شقر» وهو ذاته «الشرقراق» (مادة «شرق») ووصفه ما مضى. وبذا ينجلي الأمر تماماً، ويتضح أن اسم هذا الطائر في الحالتين متفق مع اسمه في المصرية «**د ش ر**» لغويًّا ومع وصفه في اللغات الأوروبية flamingo من حيث توهج ألوانه التي تغلب عليها الحمرة الأرجوانية.

ولقـد ذكـرنـا من قبـل أن طائر «الفلمنغو» يكنى «أبا لهب» ويسمى أيضاً : البشروش، والنحام. وفي مادة «**نحم**» في (اللسان) ورد :

«**النُّحام** : طائر أحمر على خِلْقة الاوز، واحدته : نُحامة. وقيل : يقال له بالفارسية : (سرخ آوى)».

وهـذه التسمية الفارسية للطائر مكوَّنة من كلمتين : «**سرخ**» ومعناها : أحمر. (وهنا قارن العربية «**شرق**»)[5] و«**آوى**» ومعناها : **طائر** (وفي العربية : «**الأويُّ**» : الطير. ليراجع القارىء بحث «الأصول العربية لتسميات رموز الهجاء الهيروغليفية» في هذه الدراسة وينظر ما أوردناه في نقـاشنـا لأصل حرف الهمزة (𓄿). ومعنى «**سرخ آوى**» هو : «الطائر الأحمر» ـ بسبق الصفة للموصوف بحسب اللغة الفارسية. وهذا ما يقابل العربية : «**الأويُّ الشرقُ**» (الطائر الأحمر) بالضبط.

فهل ورد هذا «**النحام**» في المصرية ؟

---

5) الأكادية «شرخو» šarḫu فسرت بأنها تعنى لامع brilliant (معجم «وير» ص 332) وفي مادة (شَرَق) العربية معنى اللمعان والسطوع وهما من طبيعة اللون الأحمر.

نعم. بل جاء «على خلقة الاوز» ـ وإن كانت الميم في «نحم» الثلاثي ساقطة بحكم ثنائية الجذور المصرية في أغلب الأحيان. فقد جاء في معجم «بدج» (ص 382) :

«ن ح»[6] : نوع من الطيور. n(e)ḥ ; a kind of bird

وهناك طائر، لعله كان مقدَّساً، يسمى «ن ح. و ر» n ḥ. w r (نحم الوري = نحم العظيم). وتتردد صورة هذا الطائر (ن ح = نحم) في عدد كبير من المفردات لتؤدي القيمة الصوتية «ن ح» في القلم الهيروغليفي. وهذا ما يبين أصالة التسمية في المصرية «ن ح» الثنائية الجذر التي تطورت في العربية إلى الجذر الثلاثي «ن ح م» ومنه «النُّحام» واحدته : نحامة. (قارن المصرية : «ن ع» nc = العربية : نعام، واحدته : نعامة).

فلندع طائر «الشرق» (أو مهما كان اسمه) بلونه المحمر الزاهي ولنمض لمناقشة أحد الذين يريدون إرجاع العربية إلى غيرها من اللغات قديماً وحديثاً، مع أن العكس هو الصحيح. ولنأخذ السيد «أدي شير» مثلاً في كتيبه (**معجم الألفاظ الفارسية المعرَّبة**) ؛ فقد أتى هذا السيد بكلمة «**دشت**» وقال :

«**الدشت** : فارسي محض (كذا !) وهو الصحراء. وهو أيضا اسم ولاية في خراسان وهي المعـروفة بالدشت الأبيض، واسم صحراء بتركستان وهي معروفة بدشت قبجان. . . وهو أيضاً (دشت) بالتركية والكردية».

ولعل السيد «أدي شير» استند إلى قول ابن منظور في مادة «**دشت**» في (اللسان) :

«**الدشت** : الصحراء. وأنشد أبو عبيدة للأعشى :

قد علمت فارسُ وحميرُ والأ ❋ عـرابُ بالدَّشتِ أيّكم نَزَلَا

وقال الراجز :

تخذته من نعجات ستِّ ❋ سودِ نعاجٍ كنعاج الدَّشْتِ

---

6) نلاحظ «خلقة الاوز» في المحدد للرموز الهيروغليفية. أما ما يؤدي الصوت « ن ح» فهو طائر على صورة الهدهد. في الجبايلية (لهجة عين ازدق) هنا كلمة «تنوحت» و tanuḥt ويترجمها «مرسير» إلى الفرنسية shouette, hibou (بومة/أم قويق). أنظر : (Mercier ; **Vocabulaires et textes berbères**, p. 414).

والتاءان في أول الكلمة وآخرها للتأنيث والأصل nuḥ (نح) وهو الجذر الثنائي في العربية المؤدى إلى «نَوَحَ» < نواح/ نـائـح = إصـدار الصـوت/تصـويت ـ باعتبـار الـطيور مصـوِّتـة، وبهذا عرفت. (قارن كذلك المضاعف «**نحح**»/ «**تنحنح**» = أصدر صوتا من حلقه طردا للبلغم أو استعداد للكلام بصوت مسموع).

وقد قلبت الحاء في «نحم < نحام» فصارت في العربية : «**نهام**». وفي (اللسان) أن «النهام طائر شبه الهام، وقيل هو البوم وقيل هو البوم الذكر. قال الطرماح في بومة تصيح :

تبيت إذا ما دعاها النهـام ❋ تَـجـدُّ وتحسبـهـا مـازحـة

ولعدي بن زيد :

يؤنس فيها صوت النهام إذا ❋ جاوبهـا بالعشي قاصبهـا

وقيل سمي البوم بذلك لأنه ينهم (يصيح) بالليل. والجمع : نُهُمٌ».

قال : وهو فارسي معرَّب، أو اتفاق بين لغتين».

أما وقد تبين ما قدمناه فإن «الدشت»[7] **قطعاً ليست فارسية**، إذ هي عربية - مصرية «دشرت»[8] أسقطت الراء فكانت «دشت». أما أن يكون الأمر «اتفاقاً بين لغتين» فهذا فيه نظر. ولكن لم لا تكون الفارسية هي التي أخذت عن العربية أو العروبية؟ هذا أقرب للمنطق والعقل، لارتباط الصحراء بالعرب، وما أظنهم كانوا منتظرين الأخذ عن الفارسية اسماً لشيء عرفوه وعرفوا به وكان بهم ألصق. فهل غريب أن تتحول «د ش ر ت» (دشرة) إلى «دشت» في الفارسية ثم تعود تطلع لسقوط رابع قوائمها، فتحسب فارسية؟ ومع هذا فقد شكّ ابن منظور في فارسيتها إذ هي في العربية أصيلة، فرأى أنها من باب اتفاق لغتين!

إضافة

يأخذنا حديث الاسقاط والزيادة والقلب والابدال إلى ليبيا، وإلى الجزء المعروف من صحرائها باسم «سرت» بالذات. وقد تضاربت الآراء في نشأة هذه التسمية واسم خليج سرت الكبرى (خليج سدرة).

يذكر «بروكو بيوس القيصري» Procopius of Caesareas في كتابه **(العمائر)** أن «خليج سرت» سمي كذلك اشتقاقاً من اللاتينية Surithai (سوريثاي) ومعناها : السَّحَّابة، أو الجذَّابة؛ إذ «تسحب» مياه هذا الخليج السفن العابرة قربه وتوقعها في شراك ضحاضح الماء العسير الابحار فيها، فلا تستطيع خروجاً وتجنح ويقضى عليها بالهلاك[9]. وهذا التفسير الذي أورده «بروكوبيوس القيصري» (القرن الخامس الميلادي) يجعلنا ننتبه إلى أن الـ«**سوريثاي**» اللاتينية تقابل ما نعرفه في اللهجة الليبية اليوم باسم «**السَّرِّيْتة**» والمعني بها : الأحبولة، الفخّ، الشرك - وهي تفيد : السَّحْب والجذب والشدّ، وما إليها.

نود الاشارة هنا إلى أن «**سوريثاي**» Surithai اللاتينية (التي قابلناها بها في اللهجة الليبية : سرِّيتة) ترجع إلى الجذر اللاتيني Sura(re) بمعنى : أقفل، أغلق، حصر. ومنها الايطالية Serrare (أغلق)، Serrature (قُفْل). (وفي ليبيا تستعمل كلمة «سِرِّنْتا» أو «سِرِّنْدا» (الايطالية Serrenda) وخصت الباب الدولابي الذي يهبط ليغلق المكان). في الانكليزية هناك Serried (محبوك، محكم الاقفال لا نَجْوَةً منه. راجع كذلك : Seur, Sere). وتقدم لنا الفرنسية Serres (مخالب) وSerrure قفل/غلق) وأيضاً Serré ومشتقاتها وتفيد : الشدّ، الضغط، الحصر... إلخ.

---

7) فليلاحظ القارىء ورود صيغة «**دشت**» - بسقوط الراء - في المصرية ذاتها كما هو ثابت في أول هذا المقال بالقلم الهيروغليفي.

8) في لهجة عرب سوريا : الأراضي «**الدشر**» = البراري، التي لا مالك لها. والفعل «دشر» = ترك، أطلق سراح... و«الداشر» (الدواب الداشرة) المطلقة دون راع (قارن مدلولات الانكليزية desert المأخوذة عن اللاتينية deserte عن المصرية dšrt).

9) راجع لمزيد من التفاصيل للكاتب : «**نصوص ليبية**» - الطبعة الثانية، صفحة 179 وما بعدها.

وقد يجعلنا هذا نتوهم أن «سرِّيْتة» في اللهجة الليبية جاءت من اللاتينية، عن طريق الايطالية. ألا تكفي هذه الشواهد كلها ؟

العكس صحيح ؛ فإن اللاتينية ـ وتبعتها بقية اللغات الأوروبية ـ هي الآخذة عن العربية. إرجع إلى الجذر «أسر» في قاموس العربية تجده يعني : الشدّ، الضغط، الحصر. ومنه «السَّيْر» الذي يُشَدُّ به، **والأسر** : الشدُّ. **والأسير** : المشدود. (في اللهجة الليبية : شدُّوه = أسروه، قبضوا عليه). ولا نريد الاطالة هنا لجلاء القضية. وبذا تكون «السّريتة» هي «الأسرية» أو «الآسرة» أي الفخ الذي «**يأسر**» الشيء ويطبق عليه ويحصره ويشده فلا يستطيع الفكاك.

هل تكون تسمية خليج «سرت» راجعة إلى هذا الأصل ؟ من الجذر العربي «أسر» ← اللاتينية Surithai ← Sera(re) (= سرت/سرِّيتة) ؟

لكن هذا ينطبق على (مياه) خليج سرت الضحلة، والتفسير الذي قدمه «بروكوبيوس» مبني على ما اشتهرت به هذه المياه من سحب السفن وجذبها حتى تجنح، وحديثها في التاريخ مشهور. والمعروف إطلاق تسمية «**صحراء سرت**» وليس خليجها الذي يسمى «**خليج سدرة**». فما الرأي ؟

في العربية هناك الجذر «سرر» (ثنائيه : «س ر») ومنه : السَّرّ، والسِّرار ـ وهي متصلة بالأرض والوديان خاصة. كما أن منه «**السرير**» المستعملة في ليبيا حتى اليوم بمعنى «الرمل» وتسمى بها مناطق معينة في الصحراء الليبية.

في الأكادية : «صيرُ» ṣēru التي تقابل «صحراء» العربية، ومؤنثها «صِيرْتُ» ṣērtu (أنظر : Weir ; A lexicon of Acc. Prayers.) وقد نقابلها بـ«**سرت**» (والأصوب «ص (حـ) ر ت» = صحرة/صحراء). وهذا ممكن.

لكن لم لا تكون «سرت» هي عينها «د ش ر ت» في المصرية بسقوط الدال في أولها (كما سقط الراء في الفارسية «دشت») وإبدال الشين سيناً، وقد رأينا هذا الابدال كثيراً ؟ (**د ش ر ت ← ش ر ت ← س ر ت = سرت**). هذا ما نرجحه، وخاصة أن كلمة «د ش ر ت» المصرية مقصود بها الصحراء الليبية، في مقابل أرض مصر الطينية الحمئة.

وقد ذكرنا، منذ قليل، أن «سرت» تعني الأرض الصحراء في تلك المنطقة، وأما خليج المياه فيسمى «**خليج سدرة**» (وإن اختلط الأمر على كثيرين فسَوّوا بين التسميتين). فلماذا خليج «**سدرة**» ؟ ومن أين جاءت هذه التسمية ؟

رأيان نقدمهما في هذا الباب :

أولهما أن تكون «سدرة» (أصلها قبل تطور حذف نطق تاء التأنيث : «**سدرت**») مقلوب «دسرة» (**د س ر ت**) التي هي ـ بتعاقب السين والشين : «**د ش ر ت**». وبذا نعود إلى المصرية التي أطلنا فيها البيان.

وثانيهما يستند إلى الأساطير اليونانية التي تدور أحداثها في ليبيا. وتتحدث هذه الأساطير كثيراً

عما يسمى «اللوتس الليبي» العجيب الأثر والذي كان يكثر حول «خليج سدرة» ويأكله الليبيون الأقدمون[10]، كما أكل منه بحارة سفينة «الأرغو» الاغريق، وتغنى به الشعراء قديماً، وحديثاً[11]. وقد اتفق الباحثون على أن هذا «اللوتس» كان ضرباً من شجر «النبق» هو ما نعرفه في العربية باسم «السدر». ونقتطف من ابن منظور ما يقول فيه :

«السِّدر : شجر النبق، واحدتها ؛ سدرة وجمعها ؛ سِدْرات وسِدِرات وسِدَرات وسِدَر وسُدُور. . . وهو لونان ؛ فمنه عُبْري ومنه ضالٌ. . . قال ذو الرمة :

قطعت إذا تجوفت العواطي * ضروب السِّدر عُبْريًّا وضالاً

قال : ونبق الضَّال صغار. قال : وأجود نبق يعلم بأرض العرب نبق هجر في بقعة واحدة يُسْمَى للسلطان، **هو أشد نبق يُعلم حلاوة وأطيبه رائحة، يفوح فم آكله وثياب مُلابِسه كما يفوح العطر**. . . والسدر الثاني **ينبت على الماء وثمره النبق**».

وهذا ما يطابق النبت الذي عرف باسم «اللوتس الليبي» عند اليونان، كان «ينبت على الماء» وهو الذي جُنَّ به بحارة «الأرغو» حين ذاقوا حلاوة طعمه، وتنسَّموا طيب رائحته. . ذاك النبق الذي كان ينمو على ضفاف خليج **«سدرة»** ـ نبات **«السدر»** بذاته.

فهل عرفه اليونان باسم «اللوتس» فقط أم أن لديهم له إسماً آخر ؟

لديهم . . ولكن بصيغة Kedr(os) (وتعني : سدر) أخذتها اللاتينية في صورة Ceder (وتنطق «كِدِرْ» و«سِدِرْ»)، دخلت الانكليزية القديمة في شكل Cedre ثم صارت في الانكليزية الحديثة Cedar (و«تترجم» إلى العربية : شجرة الأرز. وهو نفسه : السِّدر).

فكيف تحولت «سدر» العربية إلى اليونانية Kedr(os) ؟ ذلك ما سمي الابدال، كما تعرف. تماماً كما تحولت «سدر» في العربية نفسها إلى «جدر» (س = ج = ك). وفي هذه المادة يقول ابن منظور :

«أجدر الشجر وجدَّر إذا خرج ثمره كالحمص (قارن ثمار النبق) . . . والجَدَرة : الحبَّة من الطلع . . . والجِذْر : نبت. وقد أجدر المكان (كثر فيه الجدر)».

وفي اللهجة الليبية (حيث «اللوتس» الشهير) هناك **«الجداري»** ـ وهو من فصيلة السدر، ربّما هو ما عرفه العرب باسم «السدر الضال» ذي النبق المُرِّ الطعم تفريقاً له عن «السدر العُبري» ذي النبق الحلو الفوَّاح الرائحة.

فهل يكون «خليج سدرة» (وقد يعرَّف أحياناً فيقال : خليج السدرة) سمي كذلك لنمو **«السدر»** ذي النبق اللذيذ على ضفافه ؟ أسماه اليونان (في لغتهم الشعرية والأسطورية) «لوتس» وعرفوه محرفاً Kedr(os) ، دخل اللاتينية Ceder حتى وصل الانكليزية الحديثة Cedar . وهو في العربية «سدر» و«جدر» (= جداري). ؟

10) أسماهم الاغريق **«اللوتوفاجي»** أي «أكلة اللوتس» ـ Lotophagi).

11) أنظر للمؤلف كتابيه **«نصوص ليبية»** و**«قراءات ليبية»** لمزيد من المعلومات والتفصيل.

أم أن «سدرة» هي مقلوب «د س ر ت» التي هي «د ش ر ت» ؟

* * *

والمسائل مرتبط بعضها ببعض بشكل وثيق. ونجد أنفسنا كلما بحثنا مسألةً شُدِدْنا إلى أخرى لصيقة بها قريبة منها. . رغم ما يبدو في الظاهر من بعد الشقة. ولا يمكن في كتاب موجه إلى القارىء العام تتبع كل مسألة بتدقيق وتفصيل، وهو ما يستوجب (خلفية) علمية واسعة لا تتوفر ـ عادةً ـ إلا للمتخصيصين، فيتطلب الأمر مقدمات وشروحاً وبسطاً ينوء بها كاهل الكاتب والقارىء. . والطابع أيضاً!

فلنختم هذا الجـزء التمهيدي. . وهو (البداية) لما سيأتي بعده من (الغاية) ـ ما دمنا تعرضنا لأسماء مصر العربية ـ بأسماء بعض مدنها وقراها التي لا تزال حتى الآن، وهي التي يقال إنها أسماء «فرعونية» أي: مصرية قديمة. نتخير منها ثلاثةً وأربعين اسماً أوردها الدكتور عبد العزيز صالح في كتابه (**مصر القديمة وآثارها**)[12] ولم يقدم المقابل العربي إلا في بضعة أسماء، قال إنها (سامية) أو تشبه (السامية). وطبيعي، بعد هذا، أن يدرك القارىء أن هذه الأسماء ليست إلا نماذج معدودة لا تشمل مدن وادي النيل وقراه كلها. . فإن مثل هذا العمل المحيط بكل الأسماء يحتاج إلى وقت طويل، وجهد جهيد، وعناء شديد. فليعذرنا القارىء. . وليقرأ «قراءتنا» العربية لهذه الأسماء. وليلاحظ أننا نقلنا الرسم كما سجله الأستاذ وشرح معناه، أما تعليقنا فيأتي بعد ذلك مسبوقاً بنجمة (*).

(1) أسوان: من أصل قديم يعني «السوق».

* في المصرية تفيد كلمة «س و ن» s w n معنى التجارة (Trade) وكلمة «س و ن ت» swnt معنى السعر أو الثمن (price) حسب «فولكنر» (ص 217). وعند «غاردنر» (Eg. Gr., p. 589) يترجم «س و ن» ومشتقاتها إلى: مقايضة، سعر، تجارة. وهذه هي العربية «سوم» ـ بتعاقب الميم والنون ـ وتعني: عرض السلعة على البيع، والسوم هو البيع (لاحظ أن «البيع» يعني «الشراء» أيضاً) وهو ما يحدث في «السوق».

(2) (كوم) امبو: عن أصل قديم يعني «الذهبية»:

* ذكرت في النصوص القديمة في صورة «نبي» و«نبيت»، وفي القبطية «أنبو» و«امبو». في المصرية القديمة: «ن ب» n b تترجم عادة إلى «ذهب»، ونقرن هنا بين «ذهب» و«لهب» العربيتين في دلالة الاحمرار، ولعل المصرية «نب» هي ذاتها العربية «لهب» بإبدال اللام نوناً وسقوط الهاء[13]. وفي العربية يفيد الجذر «نب» < «نبا» معنى الارتفاع الحسي والمعنوي، وفي «الذهب» دلالة ارتفاع القيمـة، كما أن في «لهب» دلالة ارتفاع ألسنة النار، فكانت في المصرية «نب» (= رفيع القيمة،

---

12) اطلعت عليه بعد الانتهاء من كتابة هذا الفصل.

(13) قارن ما حدث في الأكادية من إبدال الهاء همزة في: li'bu, la'bu, la'abu بمعنى «لهب» (معجم «وير»، ص 176).

مرتفع)[14]. وفي الكنعانية تفيد «ن ب» الصفاء والنقاء، كما هو حال الذهب.

(3) **إسنا** : من أصل قديم قد يعني «**أرض العبور**».

* تسمى أيضاً في النصوص القديمة : «**تاسني**»، «**سني**».
المصرية : «**تأ**» ta = أرض. العربية : **طيَّة**. .
المصرية : «**سني**» sni = عبور. العربية : **سن** < **سنن** :
(السُّنة : السيرة، الطريقة. السَّنَن : الطريق. ويقال : سَنَّ الطريق = عبرها. وتسنَّن الرجل : مَضَى في عَدْوه. المسنن : الطريق الذي يُسلك. السَّنُّ : السير الشديد. . . إلخ).

(4) **أرمنت** : بمعنى : «مدينة (المعبود) منتو».

* الأصل : «**إون**» ـ **منت**» = مدينة منت.
المصرية : «**إون**» i w n (مدينة). العربية : **إون** < **إوان (إيوان)** = عمد، بنيان = مدينة. (لاحظ أن «**أور**» في العروبيات تعني «مدينة». قارن : أور ـ شلم = أورشليم = مدينة (المعبود) شلم/سلم. ولعل خلطاً مقبولاً بين «**إون**» و«**أور**» وقع حديثاً فتحولت «إون ـ منت» إلى «أور ـ منت» حتى صارت «أرمنت»، والمعنى واحد.

(5) **دندرة** : عن الأصل القديم «**تانترة**» بمعنى (أرض المعبودة حتحور).

* «**تانترة**» في معجم المصرية هي : «**تأ ـ نثرت**» T a-n ṯ r t (حرفيًّا : أرض الربة، أو بلد الإلهة).

المصرية : «**تأ**» Ta : أرض. العربية : **طية، طاءة، طآة**.
المصرية : «**نثرت**» n ṯ r t (**مؤنث «نثر»**) : ربة. العربية : **ناطرة، ناظرة**. (راجع مادة «**ن ث ر**» في هذه الدراسة).

(6) **بربا** : **عن أصل قديم يعني «المعبد»**.

* في المصرية : «**پ ر**» p r = مبنى، بيت. وفي اللغات العروبية الأخرى يفيد الجذر «**ب ر**» نفس المعنى. وتقلب الراء نوناً في العربية الحجازية فتكون «**بن**» ومنها : بنى، يبني، بناء، مبنى، بنيَّة (الكعبة تسمى : بنية إبراهيم، أو البنية) ولنا أن نقارن هنا ـ للتسهيل ـ العربية : «**الباري**» = الخالق، أي «**الباني**» (في البابلية : «ب ن» = ولد، خلق. قارن العربية : ابن/بن = ولد).

وفي المصرية «**بأ**» b a = روح. والأصل في التسمية «**بأ**» : الطير، شبهت به الروح أو حسب أن الروح تتقمصه (قارن العربية «**روح**» من «**ريح**» لخفتها). وفي العربية : «**بَأَى**» = ارتفع، صعد، في الجو = طار.

(14) في العربية يفيد الجذر الثنائي «**نب**» دلالة الارتفاع والعلوّ، حِسًّا ومعنًى، ومنه الثلاثي : نبأ، نبب (رباعيه : نبنب)، نبُت، نبر، نبع. . . إلخ. كذلك الأمر في الثنائي «**لب**» < لبلب < لبلاب. .

اسم «**بربا**» إذن أصله الأول في المصرية «**ب ر + بأ**» p r + b a (حرفيًّا : بيت الروح) أي : **المعبد**. وقد جمع الاخباريون العرب المسلمون «بربا» على «**برابي**» وعنوا بها معابد مصر القديمة وطلاسم رموزها الهيروغليفية.

(7) **قاو (الكبير)** : عن أصل قديم يعني «**الجبل العالي**» وذكرتها النصوص القبطية باسم «**قو**».

* في المصرية : «**ق أ**» q a تفيد الارتفاع (راجع الحديث عن حرف القاف في مبحث الأصول العربية لأسماء الرموز الهيروغليفية في هذه الدراسة) والنسبة إليها «**ق أ ي**» q a i ، وهي صفة كذلك، والعَلَمية «**ق أ و**» q a w . وقد نقابلها هنا بالجذر الثنائي العربي «**قع**» بتعاقب الهمزة والعين، ويثلث إلى «**فعل**» ومنه : القاعلة = الجبل الطويل، وإلى «**قعم**» ومنه : **الأقْعم** = مرتفع الأنف، كالجبل.

(8) **جرجا** : ربما بمعنى المنشية أو المؤسسة أو العزبة. وعرفت باسم «**برجاجا**» في النصوص القديمة.

* لعل الأصل هو «**پ ر. ذ د**» p r – d̲ d ، ويعني «بيت الثبت» أي الحظيرة، أو مثبت الحيوان. والاسم بذا مكون من كلمتين :

1 ـ «**پ ر**» ـ بيت. وقد سبق بيانها.

2 ـ «**ذد**» : ثبت، ثابت، ثبات. عربيتها : «**ذود**» ومنها : «**المِذْوَد**» = ثبت الدابة.

«**پر ـ ذد**» = بيت المذود، أي : الحظيرة = المنشية، المؤسسة، العزبة.

(9) **حَتنوب** : بمعنى «**دار الذهب**» أو «**قصر الذهب**».

* المصرية «**ح ت**» ḥ t = دار، قصر، بيت. العربية : «**حيط**».

المصرية : «**نب**» = ذهب. العربية : «نب»/«لهب».

«حت + نب» = حتنوب.

(10) **الأشمونين** : عن «خمون» أو «شمون» بمعنى : (بلد) **الثمانية** ـ مع إضافة أداة التعريف وتثنيتها للدلالة على جانبيها.

* المصرية «**خ م ن**» ẖ m n (وفي القبطية «**شمن**») هي العربية : «**ثمن**» **ثمان/ ثمانية** ـ بتعاقب الثاء والشين والخاء.

(11) **مير** : عن كلمة «مير» في النصوص القبطية بمعنى : الشاطىء أو الجرف أو الجسر.

* في معجم المصرية القديمة : «**م ر ي ت**» m r y t = ضفة النهر، شاطىء.

«**م ر و**» m r w = صحراء.

«**م ر رت**» m r r t = طريق.

وفي العربية : **المرير** : الأرض لا شيء فيها (الصحراء). مادة «مرر».

المروراة : القفر، واسم أرض بعينها. (مادة «مرا»).
الممر : الطريق (مادة «مرر»).
وفي اللهجة الجبايلية (شمال أفريقيا) : «**تامرت**» (**ت + مرت**) = **أرض، بلاد**.

(12) **هـور** : عن أصل قديم يعني «الصقر الكبير» أو «الوجه الكبير» (حرور).

* «ح ر» ḥ r المصرية (صقر) هي العربية «حُرٌّ» = صقر.
«ح ر» ḥ r المصرية (وجه) في العربية مادة «حرر» : حُرُّ الوجه = أعلاه.
«ور» w r المصرية (كبير) في العربية «وري» = كبير.
المصرية «**حر. ور**» ḥr.wr = «**الحر الوري**» بمعنى «الصقر الكبير» أو «الوجه الكبير» - سيَّان.

(13) **تونة** : عن أصل قديم يعني «**أرض الأرنبة**».

* المقصود «أرض الأرنب» (الحيوان المعروف) لأن «الأرنبة» في العربية طرف الأنف، أما الأرنب (الحيوان) فتطلق على الذكر والأنثى.

في المصرية : «**تأ - ون. ت**» Ta-wn.t = أرض الأرنب. عربيتها : «**تأ**» : طيَّة، طآة = أرض.

«**ون**» : في مادة «**أون**» العربية : الأوان = السلاحف. وثمة علاقة وثيقة بين «الأرنب» والسلحفاة. (راجع مادة «**ون**» في هذه الدراسة للتفصيل والتحليل).

«**ت**» : تاء التأنيث، كما في العربية.

(14) **المنيا** : عن أصل قديم قد يدل على المرعى أو الأرض أو المرسى
* العربية : **الميناء** = المرسى. ويقال : **المينا** (دون همزة في آخرها) كذلك.

(15) **طحنا** : عن الأصل القديم «**تادهنة**» بمعنى : الجبهة.

المصرية : «**تأ**» = أرض، بلد، العربية : **طية**.
المصرية : «**دهنت**» d h n t = جبهة. العربية : مادة «**دهن**» تعني الملاسة والخلو من الشعر، شأن الجبهة، كما أن مادة «**ذهن**» تؤدي إلى «**الـذِّهن**» المعتقد أنه موجود في مقدمة الرأس (الجبهة).
وقارن : **الدِّهان** = الأديم الأحمر الأملس (كالجبهة)، وكذلك : **الدهناء** = الفلاة، واسم مكان بعينه. والتاء في آخر «**دهنت**» المصرية للتأنيث.

(16) **إهناسيا** : عن الأصل القديم «**حون نيسو**» بمعنى : (مدينة) أبناء الملك، أو «**حوت نن نيسو**» بمعنى : (قصر) ابن الملك.

* اسمها القديم «**نن نيسو**» ثم أضيفت إليها كلمة «**حوت**» بمعنى قصر فأصبحت «**حوث نن نيسو**». فلنأخذها واحدة بعد أخرى.

1 - في المصرية القـديمة «**ن ن. ن س و**» n n. n s w تعني «ابن الملك» أي الأمير أو ولي

العهد، ويكتبها «غاردنر» nni-n s w (Eg. Gr., p. 443) وهي عنده : إهناسيا المدينة، هيراكليوليس في اليونانية، بلدة في الصعيد (ص 574). أما «نن» أو «ني» بمعنى : ابن، ولد، طفل - فهي لا تزال في اللهجة المصرية «نونو» والمعنى البعيد : الضعف والعجز، شأن الطفل. عربيتها : «وني»، «أني» = ضعف وتعب وعجز. وأما «نسو» فلقب ملكي استخدمه ملوك الصعيد ربما حتى قبل توحيد القطرين، في مقابل اللقب الملكي «بتي» لملوك الدلتا، ثم أدمج اللقبان في صيغة «بتي - نسو» أي ملك الشمال والجنوب، الدلتا والصعيد، بعد توحيد الوادي في مملكة واحدة، وهو يقابل اللقب العروبي الشهير «نشأ» بمعنى «ملك» ومعناه الأصلي : الرفيع، العالي (راجع مقالة : «بحثاً عن فرعون العربي» في هذه الدراسة).

المصرية «نن نسو» إذن هي في العربية «ونيُّ، أو : أنيُّ النشأ» = ابن الملك.

2 - والقراءة «حن. نسو» (حون نيسو) قد تعني أيضاً «ابن الملك». عربيتها : «حون» = العربية : «حول» - ومنها «المحول» أي : الصغير[16] + «نسو» (نشأ) = «حولي النشأ» (ابن الملك، أو طفله أو صغيره).

3 - «حوت. نن. نسو» قصر ابن الملك.

المصرية «ح و ت» ḥ w t بمعنى «قصر» هي العربية «حوط» < «حائط» = مبنى، قصر. فتكون التسمية في العربية «حوط ونيِّ النشأ» مقابلة للمصرية «حوت. نن. نسو».

(17) اللاهون : عن أصل قديم يعني : فم البحيرة. واسمها القديم «راحنة» أو «راحنو».

* الاسم مكون من مقطعين :

1 - «رأ» r a. وتعني «فم»، ولكن من معانيها أيضاً : تكلم، تحدث، لغا. عربيتها : «روى» < رواية، راوٍ (متحدث)، وأداة الحديث : الفم = «راوٍ».

2 - «حنت» أو «حنو». في المصرية تترجم «ح ن ت» ḥ n t إلى بحيرة مستنقعية swampy lake (عند فولكنر، وغاردنر) لكن في الجذر الثنائي «ح ن» معنى الانعطاف والالتواء، والانحناء كذلك. ويقول الدكتور عبد العزيز صالح (نفس المصدر، ص 37) إن «هذه المنطقة شهدت أقدم مشروع

---

(15) أورد الترمذي في كتابه (السلوك في معرفة دول الملوك) كلمة «الناس» بمعنى رؤساء الفئات التي جاءت لنجدة السلطان، وعلق محقق الكتاب (د. محمد مصطفى زيادة) بأن استعمال كلمة «الناس» بمعنى الرؤساء أو الزعماء أو الأمراء كان شائعاً في مصطلح مؤرخي عصر المماليك، ويوضح ذلك وجود فرقة من فرق الجيش في ذلك العصر كانت تسمى «أولاد الناس» (أي : الأمراء) وضمت أمراء المماليك فقط. ويعلق د. البدراوي زهران (في علم اللغة التاريخي، ص 176) بأن في اللهجة المصرية المعاصرة يقال : ابن ناس، بنت ناس، أولاد ناس، والمقصود أن المتحدث عنه ذو أصالة ونسب. ونضيف أنه يقال أيضاً : «دا أمير. دا ابن ناس». وفي اللهجة الليبية : يا ولد الناس، يا بنت الناس - خطاب في مجال الاحترام، أي : يا سيد، يا سيدة.

نرى أن «ناس» هي ذاتها المصرية القديمة «نسو» n s w، والعربية القديمة (بابلية «ناشو» - سبأية : نشأ).

(16) من غير أن يُحَدَّ بحولٍ، أي الطفل، كما جاء في شعر امرىء القيس :

فألهيتها عن ذي تمائم محول

معروف لتخزين جانب من مياه الفيضان في منخفض الفيوم» ـ ومعنى هذا تحويل جانب من مياه نهر النيل عن مجراه الطبيعي لتخزين المياه، أي عملية «حني» لمجرى جزء من ماء النيل.

في العربية مادة «حنن» (ثلاثي «حن») :

«**المحنية** من الوادي : منعرجه حيث ينعطف، وهي **المحنوَّة** و**المحناة** قال :

سقى كل محناة من الغرب والملا * وجيد به منها المِرَبُّ المحلّل

وهـو من ذلك. والمحِنيَة (دون تشديد الياء) : **منحنى الوادي حيث ينعرج منخفضاً عن السند**». (اللسان).

وهذا بالضبط هو وضع خزان بحيرة الفيوم، أو منخفض الفيوم.

(18) **الفيوم** : بمعنى «اليم» أو «البحيرة» (**بايم**، **أو** : **بايوم** ـ في النصوص المتأخرة، ثم **فيوم** في النصوص القبطية، وأخيراً **الفيوم** بعد إضافة أداة التعريف العربية إليها).

* **پا** p a في المصرية القديمة هي أداة التعريف. أنظرها في مبحث قواعد المصرية من هذه الدراسة.

«**ي م**» y m = بحر. وهي في العربية «يم».

«**پا ـ يم**» = «اليم» أي : «البحر» أو «البحيرة».

(19) **ديمة** : عن كلمة مصرية تعني «المدينة» أو عن كلمة إغريقية تعني «الحي» (؟).

* الجـذر «**دم**» d m في المصرية يفيد السكن، ومنـه «**د م ي**» d m i = بلدة، مدينة، حي سكني، وكذلك «**د م ي و**» d m i w = مواطنون، ناس، شعب. وهي في اليونانية ـ demo (شعب، ناس) وفي اللاتينية ـ domu تؤدي معان السكن والمواطنة والبلدية والمدنية... إلخ.

الأرجح لدينا أن المكافىء العربي هو الجذر الثنائي «**دم**» ومنه : «دوم» < **دوّمَ**، **يدوِّم**، إما بمعنى «دارَ، يدور» (قـارن : دارٌ = سكن، بلد) والمـلاحظ وجود ارتباط الدوران بـ «الحائط» (حوط) و«الدار»، أو : «دوم» < دام، يدوم ـ بمعنى : يبقى، يلبث، يمكث، يظل، شأن أهل المدينة (قارن في العربية : مدينة < مدن = سكن، ارتبط بالأرض، بلَّد < بَلَدَ، قرية < قَرَّ ـ وفيها كلها معنى «الدوام»).

فاسم «ديمة» إذن هو في المصرية القديمة «د م. ت» مؤنثة، عربيتها : «**الدائمة**». **ولا بأس** من هنا من المقارنة باسم «دمياط» (د م ي ت) على النسبة بالياء إلى «دم» وبتاء التأنيث في آخرها.

(20) **السنطة** : نسبة إلى شجرة «**السنط**» أو نسبة إلى الكلمة المصرية «**سنتة**» بمعنى : مشروع.

* في المصرية القـديمة : «**ش ن د ت**» š n d t تترجم إلى : شجرة أكاسيا النيل، ويقرنها «غاردنر» و«فولكنر» بالعربية «**سنط**». وجاء في مادة «سنط» في (اللسان) :

«والسِّنط : قرظ ينبت في الصعيد (بمصر) وهو حطبهم، وهو أجود حطب استوقد به الناس،

يزعمون أنه أكثره ناراً وأقله رماداً. حكاه أبو حنيفة، وقال: «أخبرني بذلك الخبير. قال: ويدبغون به، وهو اسم أعجمي».

عذر أبي حنيفة أنه لم يكن يعرف أن المصرية لغة عروبية، كالعربية، فهي ليست أعجمية قطعاً.

أما أن تكون «السنطة» نسبة إلى الكلمة المصرية «سنتة» (مشروع) فإن في معجم هذه اللغة: «س ن ت»: خطة، رسم تخطيطي، أساس، تأسيس، أي: «مشروع» (غاردنر ,.Eg. Gr p. 591) وهذه هي العربيَّة «سُنَّة» (سَنَّ = فتح، شرع، أسس، خطط... إلخ).

(21) ميدوم: = «مرتوم»، وقد تكون لها صلة بالمعبود «أتوم» الذي نسب إليه المصريون خلق العالم.

* لعل الأصل المصري مكون من مقطعين:

1 - «م ر» m r: أرض (عربيته في الجذر «مرر») أو مجرى ماء، أو طريق = «ممر».

2 - «توم» (أتوم). أصله «إتم» i t m بمعنى «الكامل» - عربيته: تامٌّ/التام.

(22) اطفيح: عن أصل قديم يصف معبودتها «حتحور» بأنها «رأس البهم»، وكتبت «تب إيحو».

* في المصرية «ت پ. إ ح و» t p. i ḥ w تعني حرفيا: رأس (أو رئيس) الأبقار. وكانت المعبودة «حت. حر» (حتحور) تصور على هيئة بقرة.

التحليل:

1 - «تپ»: رأس/رئيس. العربية: مادة «تبب»: التابُّ الرئيس.

2 - «إحو»: بقر. أصلها في المصرية «إ أ ح و» i a ḥ w، والهمزة إبدال من الراء والحاء إبدال من الخاء في المكافىء العربي «إ ر خ».

«والأرخ والإرخ والأرخي: البقر... والأرخ: الأنثى من البقر البكر» إلى آخر ما ورد في (اللسان) تحت مادة «أرخ».

(23) منف: عن عبارة «من نفر»، وهي عبارة قديمة أطلقت على «ببي مرى رع» أكبر فراعنة الأسرة السادسة تصفه بأنه (خالد خيِّر) وتصف هرمه بأنه (دام جميلاً) ثم أطلقت على عاصمة الحكم في الدولة القديمة وحلت محل «إنب حج».

* في المصرية القديمة: «م ن. ن ف ر» m n. n f r:

1 - «م ن» = خالد، باق، دائم، ثابت. عربيتها في الجذر الثلاثي «منن» وتفيد القوة والثبات.

2 - «ن ف ر» = خيِّر، جميل، طيب، لطيف. (راجع هذه المادة في الجزء الثاني من هذه الدراسة).

(24) **سقارة** : نسبة إلى المعبود «سكر».

* كان «سكر» (أو «سقر») معبوداً يسكن تحت الأرض وأصبح راعياً لمن يسكنون تحتها في منطقته وهم الموتى في مدافن «سقارة». والمرجح أن الاسم مكون من :

1 ـ «س» للتعدية.

2 ـ «ق ر» = سكن، هدأ، مات. أي : «استقر». جذرها في العربية : «**قرر**».

(لكن راجع هذه المادة في الجزء الثاني من هذه الدراسة للتحليل).

(25) **ميت رهينة** : بمعنى «طريق الكباش» ويبدو أنه كان يخترق مدينة منف أو يؤدي إليها. وقد شاعت كلمة «ميت» بهذا المعنى (الطريق) في أسماء مدن مصرية كثيرة.

* لم أعثر على ما يقارب «رهينة» (رهنت ؟) في ما بين يدي من المعاجم بمعنى «الكباش». أما «**مت**» بمعنى «طريق» فهي ثنائي العربية «**متن**» = طريق.

وفي مادة «**متـا**» :

متوت في الأرض، كمطوت، **ومتوت** الحبل متواً ومتيته : مددته.

وهذا ما يشبه الطريق الممتدة.

وفي مادة «**متت**» (ثلاثي «مت») :

المأتّة : الوسيلة (= السبيل، الطريق).

مَتّ في السير، كمدَّ (أسرع في قطع الطريق).

(26) **بابلون** : عن أصل قديم قد يعني «دار حعبي الأوني» ـ أي إلّه الفيضان المنسوب إلى مدينة «أونو» (إ و ن) وهي عين شمس الحالية أو قربها.

* الأصل المصري القديم هو : «**پ ر. ح ع ب ي. ن. و ن**» p r. ḥᶜp y. n. w n. تطور إلى p.ḥ p u. l. o n ثم صار في اليونانية «بابلون» Babylon.

التحليـل :

«**پ ر**» : بيت، معبد. في العروبيات : «بر». في العربية : «**بن**» > «**بَنْي**».

«**ح ع ب ي**» : إلّه الفيضان. عربيته : «**حفي**».

«**ن**» : أداة الاضافة. لا تزال في الجبايلية لهجة شمال افريقيا وفي العربية «**لـ**».

«**ون**» : مدينة «إون» (عين/عون شمس).

حرفيًا : **بَنْي حفيٍّ إون** > «بابلون».

(27) **بولاق** : ربما بمعنى «الجزيرة الأخيرة».

* يذكر «بدج» في معجمه (An Eg. Hier. Dict., p. 951) تسمية لجزيرة فيلة جنوب الشلال الأول تكتب «**ي أ ر ك**» y a r k وتعرف بأداة التعريف في المصرية فتكون p y a r k، وهو يقارنها بالقبطية «**بلاك**» pilak والعربية، كما يكتبها، «بلاق». وكون هذا الموقع عند الشلال الأول، وموقع

«بولاق» المعروفة ـ وهي حي من أحياء القاهرة الآن ـ عند بحيرة أو مجتمع ماء غزير، يذكّرنا بها في العربية تحت مادة «بلثق» التي ورد عنها في (اللسان) :

«البلاثق : الماء الكثير، وقيل : البلاثق المياه المستنقعات، وعين بلاثق : كثيرة الماء. والبلاثق : الآبار الميّهة الغزيرة».

وقد يبدو أن الثاء المثلثة سقطت من «بلثق» فكانت «بلق»، ومنها : **بلاق ← بولاق. أو أن الثاء مزيدة في العربية والأصل هو «بلق».**

(28) تكرور : ربما بمعنى «الضفدع».

* في المصرية «ق ر ر» = ضفدع (غاردنر : Eg. Gr., p. 475) . وفي العربية، مادة (قرر) : القُرَّة : الضفدعة.

وقد قلبت القاف كافاً فكانت «كرر» ومنها : «تكرور» ـ والتاء في أولها إما للتأنيث ـ وهي في بعض مراحل اللغة المصرية تأتي سابقة كما هو الحال في لهجة شمال افريقيا الجبايلية الآن ـ أو أنها أصلاً كانت «تأ» t a بمعنى : أرض، بلد (عربيتها : طية، طاءة، طآة).

(29) شبرامنت : بمعنى : المزرعة (؟) الغربية :

*** لم أعثر على ما يقارب كلمة «شبرا» بمعنى : مزرعة في ما بين يدي من مراجع. وقد وضع الدكتور عبد العزيز صالح نفسه علامة الاستفهام لشكه في الترجمة. أما «منت» بمعنى : الغربية ـ فهي العربية : «يمنة» ؛ لأن الغرب عند المصريين القدماء كان يعبر عنه بـ«الجهة اليمنى».**

(30) شبراخيت : بمعنى : المزرعة (؟) الشمالية (البحرية)

*** «خيت» في المصرية القديمة هي «إخت» i ḫ t وتتعاقب الخاء والشين فنجدها «إشت» i š t . والأصل هو «ش ت» št بمعنى : ماء. العربية : شتي < شتاء، شتوة = مطر، ماء، وذلك لأن الدلتا كانت تغرقها مياه النيل، كما كان المطر ينزل في الشمال أكثر منه في الجنوب، وللصلة بالبحر الكبير (البحر الأبيض المتوسط). قارن التعبير عن الشمالية بكلمة «البحرية» نسبة إلى البحر.**

(31) شبراريس : بمعنى : المزرعة (؟) الجنوبية (القبلية).

* ربطنا في (قصة الخلق المصرية) ما بين «رس» r s بمعنى «الجنوب» وما ورد في التراث الاسلامي عن «أصحاب «الرَّسِّ». ونبحث هنا نشأة اللفظ ؛ إذ يذكر «غاردنر» (Eg. Gr., p. 482) أن الرمز الهيروغليفي (وهو عبارة عن النبات المسمى (ś w t) نام من صورة فم (r)) **يقرأ في (نصوص الأهرام) : r ś w t بمعنى «الجنوب»، وصار في المصريةّ الوسطى يقرأ : r s y بمعنى «الجنوب» كذلك.**

الأصل البعيد ـ على هذا الأساس ـ مكون من مقطعين :

1 - «ر» (r) : وتعني هنا «ل» (لام الاضافة في العربية، أو لام النسبة، بمعنى : المنتمي إلى).

2 - «س و ت» (ś w t) : «جنوب».

وحسب قانون التطور أدمجت الراء التي لم تكن في بنية الكلمة الأساسية وصارت جزءاً منها (r ś w t) وأسقطت الـواو والتاء في المصرية الوسيطة (ربما لحسبان الأولى واواً للجمع والثانية تاءً للتأنيث) ونطقت (ś) سيناً صريحة (s) فكانت «رس» (r s) ونسب إليها «رسي» r s y وفي العَلَميَّة (رسو) r s w بمعنى : «جنوبي»، «جنوب».

ويبدو أن دلالتي s w t و r s w تداخلت إذ نجد عند «غاردنر» :

r s w : الريح الجنوبية.

s w t : نسمة.

وعند «فولكنر» :

r s w : ريح الجنوب.

s w t : قوة الريح.

لكن الأصل هو śwt - كما سبق. وهو ما نجده في الأكادية : šūtu = الريح الجنوبية، أو ريح الجنوب (Weir ; p. 356) ويرجعها «وير» إلى الجذر (šu') وهو ما يقابل العربية «شوي» إشارة إلى حرارة ريح الجنوب الشاوية.

(32) **منوف** : ربما عن عبارة «**مانوفة**» بمعنى : المقام الجميل.

* في المصرية القديمة : «م ن. ن ف ر» m n. n f r = المقام/المقر الجميل. وهي هنا تماثل تماماً نشأة اسم «**منف**» (أو كما نعرفها عن اليونانية : ممفيس) التي سبق بيان معناها.

(33) **صفط** : نسبة إلى كلمة «**سبتي**» بمعنى : سور. أو نسبة إلى معبود يُسمَّى «**سوپد**».

* في المصرية : «**س ب ت ي**» s b t y = سور، حاجز، سياج (معجم فولكنر، ص 221).

وفي الأكـادية : «**صَبـاتو**» ṣabātu (معجم «وير») وكذلك : ṣabtum,ṣabitum, ṣabatum (معجم «رايمشنايدر») تفيد الحجز والاحاطة والتسوير.

العربية : **ضبط**. وتقلب الضاد زاياً (**زبط**).

هذا بحسب تفسير المصرية «سبتي» بمعنى : سور. أما نسبتها إلى المعبود «سويد» (الأصل «**س پ د**» s p d) فإن التسمية تفيد أصلاً : المشع، اللامع، الساطع، الحاد، الثاقب. عربيتها : «**سفد**».

(34) **سبك** : نسبة إلى معبود يسمى «سوبك» رمز أصحابه إليه بهيئة التمساح.

* المصرية «**س ب ك**» s b k (تمساح) قد تقابل العربية «سمك» - بتعاقب الباء والميم.

(راجع مادة «س ب ك» في الجزء الثاني من هذه الدراسة) .

(35) **بوباسطة** : (أو : تل بسطة) - عن الأصل القديم «**بوباستة**»، وكانت «**باستة**» معبودة رمز إليها أصحابها بهيئة القطة، ونسبوا اسمها إلى مدينتهم ثم عادوا وأطلقوا هذا الاسم الأخير على المدينة .

* الاسم مكون من مقطعين :
1 - «بو» : أدلة التعريف في المصرية «پأ» pa .
2 - «**باسطة/ بسطة**» . في المصرية «ب س ت» Bst = قطة . عربيتها : «**بسة**» مؤنث «**بس**» = سنور، هر (قط) .

(36) **أبوصير** : عن الأصل القديم «**پرأوزير**» أو «**بو أوزير**» : بمعنى : دار المعبود أوزير (أوزيريس) .

* المصرية : «پ ر» p r = بيت/معبد . سبق بيانها .
وانـظر تحليل اسم «إزر» (أوزير، أوزيريس) في الجزء الثاني من هذه الدراسة، ومعناه : القوي . عربيته : «أزر» .

(37) **بهبيت** : عن الأصل القديم «**برحبت**» بمعنى : دار العيد .

* المصرية : «پ ر» p r : بيت، دار . سبق شرحها .
أما «ح ب ت» ḥ b t فهي مؤنث «ح ب» ḥb بمعنى : احتفال، مهرجان، عيد (غاردنر .Eg . Gr., p. 580

التحليل :

نلاحظ في الرموز الهيروغليفية لكلمة «ح ب» **وجود محدَّد عبارة عن قدح يرى «غاردنر» أنه وضع دلالة على خصائص التطهير في الأعياد، التي هي في الغالب مناسبات دينية** (ص 527) . **وهذا ما يقودنا إلى الجذر «حبب» في العربية**، وفيه : الحُبّ ؛ الجرة أو الخابية = القدح . وبذا تكافأ «**پر . حبت**» بالعربية : «**بَنِيُ الحُبَّة**» = دار القدح، والقدح يدل على العيد والاحتفال .

(38) **بلامون** : عن أصل قديم يعني : «جزيرة أمون» .

* في المصرية : «**پ أ . إ و . ن . إ م ن**» pa-iw-n-imn .

التحليل :

1 - «پ أ» : أداة التعريف . (أنظر : قواعد اللغة المصرية في هذه الدراسة/ الجزء الثالث) .
2 - **«إو» : جزيرة . العربية :**
أ . **«أوا» < أوى < مأوى : المكان الذي يؤوَى (يلجأ إليه) في البحر .**
ب . **«أيا» < تأيًّا = توقف ومكث، شأن الجزيرة التي يتوقف فيها ويمكث المسافر بحراً .**

ومن «أيا» : آية (= وأصلها : أَوَيَة، والنسبة إليها : أووي) = علامة، شيء بارز، كالجزيرة وسط الماء .

3 ـ «ن» : للاضافة = العربية «ل»

4 ـ «إ م ن» : المعبود الشهير بمعنى «الخفي» ـ عربيتها : «أمن» (راجع هذه المادة في الجزء الثاني من هذه الدراسة) .

(39) **هوارة** : عن الأصل القديم «**حت وعرة**» .

* قدمنا تحليل الاسم عند حديثنا عن الهكسوس وهوارة فيما سبق . غير أن الدكتور صالح يقول إن «**حت وعرة**» تسمية يصعب تفسيرها بتفسير محدَّد، فهي قد تعني : 1) قصر الربوة، أو 2) حصن الناحية، أو 3) دار الساق . ويضيف أن الاغريق عبروا عنها باسم «أفاريس» وكانت عاصمة للهكسوس وربما للرعامسة أيضاً .

والواقع أن هذه التفسيرات المختلفة ظهرت على أيدي علماء المصريات من الأجانب الذين لا يحيطون بالعربية ولا يرومون إظهار الصلة الواضحة بين أهل هوارة من «الهكسوس» واسم البلد العربي . ومهما يكن الأمر فلننظر حتى في هذه التفسيرات .

1 ـ «**حت . وعرت**» بمعنى : «قصر الربوة» .

«**ح ت**» : عربيتها : **حوط/حيط** < **حائط** = قصر .

«**وع ر . ت**» : ربوة . عربيتها : **وعر** < **وعرة** . «**الوعر : المكان الصلب، والجبل**» (لسان العرب) = ربوة .

المصرية : «**حت . وعرت**» = العربية : «**حيط (الـ)وعرة**»، أو : «**حيطُ وعرةٍ**» .

2 ـ «**حت . وعرت**» بمعنى : «حصن الناحية» .

«**ح ت**» : **حيط** = حصن .

«**وع ر ت**» : ناحية (؟) .

لكن ورد في مادة «وعر» في (اللسان) أن «وُعَيْرة» : موضع، وكذلك : «الأوعار» .

3 ـ «**حت . وعرت**» بمعنى : «دار الساق» .

«**ح ت**» : حيط، حائط = دار .

«**وع ر ت**» : الساق ـ يذهب «كوهن» (M. Cohen ; Essai Comp. n° 67) إلى أن المقصود هو أصل الفخذ وليس «الساق»، وأن «**وع ر ت**» ليست إلا مقلوب «**ع و ر ت**» (العربية : **عورة**) .

(40) **صا (الحجر)** : عن الأصل القديم «ساو» .

* كانت مسقط رأس فراعنة الأسرة السادسة والعشرين (وهي أسرة ليبية الأرومة) فنسبت الأسرة إليها وسميت اصطلاحاً باسم (الأسرة الصاوِّية) . وعرفت عند الاغريق في صورة Sais .

في المصرية يؤدي الجذر «سأ» sa معنى الحماية والرعاية والحصانة (أنظر مثلاً : معجم فولكنر ص 207 وما بعدها). ومن المعروف أن «سأو» (صا الحجر) كانت عاصمة حصينة، وقلعة متينة، باعتبارها كرسي الحكم وعاصمة الملك ـ ولاحظ إضافة «الحجر» إلى «صا» اسمها في العربية. وهذا ما يجعلنا ننظر في مادة «صيا» في (اللسان).

«الصياصي : القرى وقيل : الحصون. وفي التنزيل : (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صايصيهم) [أي] من حصونهم. . . والصياصي : كل ما يمتنع به، وهي الحصون، وقيل : القصور لأنه يتحصن بها».

ومفرد الصياصي : «صيَّة». وفي المصرية «س أ ت» s a t = سور، جدار خارجي (غاردنر : Eg. Gr., p. 587). وهي ذاتها «صا» (الحجر)[17].

(41) دمنهور : عن أصل قديم يعني «مدينة (المعبود) حور» الذي رمز إليه المصريون بهيئة الصقر.

* الاسم مكون من مقطعين :
(1) «د م» d m : مسكن، مقر، مدينة. (أنظر اسم «ديمة» فيما سبق).
(2) «ح ر» ḥr : الصقر. عربيته : (طير) الحر.
وبينهما «نون» الاضافة = العربية «ل»
«د م. ن. ح ر» = «دوم ل حر» (مدينة حر).

(42) سندهور : بمعنى : «مشروع المعبود حور» أو «مؤسسة المعبود حور».

* في معجم «فولكنر» (ص 234) :
«س ن ث» s n ṯ : يؤسس (بيتاً).
«س ن ت ت» s n t t : أساس، مؤسسة.

ومن الواضح أن الأصل هو «س ن» s n بمعنى «يفتح/يفتتح» (ص 229 من المصدر السابق). وتتفق بقية المشتقات القريبة من الجذر الثلاثي «سنن» في العربية. ومنه : سَنَّ سُنَّةً، أي : ابتدأ أمراً، افتتحه، شرع فيه (< مشروع)، أسسه (< مؤسسة).

أما «هور» فهي «حور» = «ح ر» = (طائر) الحر، أي : الصقر.

(43) مشتول : عن أصل قديم يعني : «الحصن».

* يضيف الدكتور عبد العزيز صالح أنها كتبت في القبطية «مشتول»، وكتبت في النصوص القديمة «مكتر» أو «مكتور» تحريفاً عن الأصل (السامي) : مجدل، أو مجدول، بمعنى : الحصن أو البرج.

---

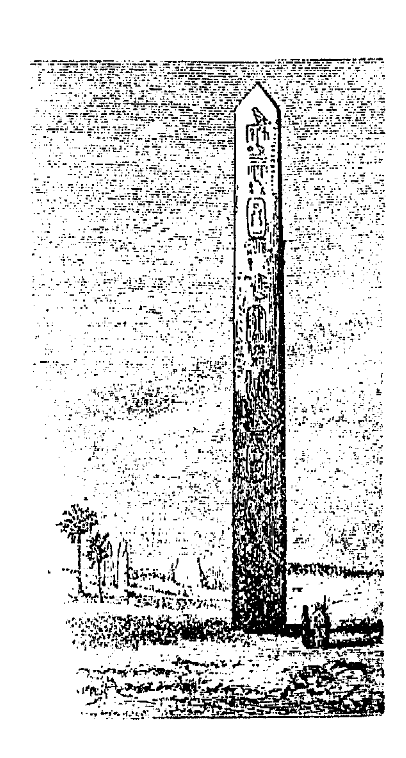
(17) إضافة «الحجر» هنا في التسمية المعاصرة ذات دلالة. إذ ورد في مادة «صوي» في (اللسان) أن «الصُّوَّة» : حجر يكون علامة في الطريق، أو علم (جبل) من الحجارة (شأن القلعة والحصن) والجمع : صُوًى، وأصواء.

ويتردد اسم «المجدل» في بلاد الشام كثيراً بمعنى البرج أو الحصن (أنظر مثلاً : أنيس فريحة ؛ أسماء المدن والقرى اللبنانية ، ص 311 ـ 314) بتنويعات متعددة. وورد في (اللسان) تحت مادة «جدل» :

«والمِجْدَل : القصر المشرف لوثاقة بنائه ، وجمعه : مجادل . . . والاجتدال : البنيان». وأصل «الجدل» : الفتل والقوة والصلابة ، شأن البنيان والحصن .

* * *

(انتهى الجزء الأول ويليه الجزء الثاني)





الجزء الثاني

الغايــة

أرباب من المغرب والمشرق تلتقي

في فصل عقده الأستاذ «بدج» عن (الآلهة الأجنبية) في كتابه (آلهة المصريين) يذهب إلى أن موقع مصر الجغرافي لا بد أن جعل شعبها ذا صلة بعدد وافر من المعبودات الأجنبية عنه، وأن قسماً منها توحَّد مع معبودات مصر من حيث الصفات والخصائص. وهو يرجع هذا إلى التسامح الذي عرف به الشرقيون عموماً، والمصريون بوجه خاص، تجاه الأرباب الغريبة. وليس في النقوش الباقية دليل واحد على أن المصريين اضطهدوا آلهة من غلبوا من الأمم(1).

السبب، في رأينا، لا يكمن في «التسامح» الذي يقول به (بدج) - وإن كان حقيقةً - ولكنَّ «وحدة» المعبودات الأصلية هي التي أدت إلى تقبل أهل وادي النيل للمعبودات العروبية باعتبارها «من أهل الدار» وليست معبودات «غريبة»، أو «أجنبية». وسوف تتبين لنا هذه الحقيقة من المصادر التي كتبت عن هذا الموضوع، بل من «بدج» ذاته. فهي في الأساس لم تكن معبودات «مصرية» خاصة، بل هي آلهة «مشتركة» نشأت على مدى رقعة الوطن العربي الكبير منذ فجر التاريخ، ثم صارت أرباباً خاصة في قطر ما، باسم «مرادف» أو بالاسم ذاته، وهو ما ينطبق على المعبودات الكبرى العامة، وطبيعي أن تكون هناك معبودات محلية تفرزها البيئة لكنها لم تبلغ قط مبلغ الآلهة الرئيسية(2).

ويقول (بدج) :

«إن الآلهة الأجنبية التي نجحت في أن تنال مكانةً في مشاعر المصريين كانت من أصل ليبي

---

(1) Budge ; The Gods of the Egyptians, vol. II, pp. 275 – 290 .

ويردد الرأي نفسه «شيرني» في مؤلفه عن (الدين المصري القديم).

J. Cerný ; Ancient Egyptian Religion, p. 124 . لكن يرى أن هذا التسامح ظاهرة عامة في الأديان ذات الآلهة المتعددة .

ويقول إن معبوداً واحداً فقط هو الذي استفاد من هذا التسامح ليستقر في مصر في عهد المملكتين القديمة والوسطى، والسبب في ذلك عنده أن البلاد المحيطة بوادي النيل لم تكن قادرةً على تقديم آلهة قوية ومؤثرة لتقف بدلاً لآلهة مصر المحلية، فيما عدا المعبود النوبي «د د ن» Duden الذي برز في عصر الأسرة السادسة.

وكلام «شيرني» مردود بما سوف نعرضه من أن أهم وأقدم المعبودات المصرية لم ينشأ في وادي النيل ذاته، بل هو جاء من خارجه، نتيجة تكوينه السكاني عبر العصور حين جاءته دفعات المهاجرين إليه من شرقه وغربه حاملةً أربابها ومعبوداتها، ونتيجة التداخل الذي لم ينقطع بين سكان الوادي وجيرانهم مدى الأزمنة.

(2) مثل المعبود المصري «س ب ك» s b k (التمساح) فهو خاص بوادي النيل. لكن اسمه عروبي واضح : «سمك».

ومن أصل (سامي). ولا يوجد دليل البتة على أن المصريين اقترضوا معبوداً من النوبة أو من الجنوب لقصي سوى (بس)»[3].

ومسألة الأصل الليبي والأصل (السامي) للآلهة المصرية مسألة بالغة الأهمية، ذلك لأن الباحثين الذين كتبوا في هذا الموضوع يتفقون جميعاً على هذا التقسيم، وإن اختلفوا بعد ذلك في التفاصيل. إنهم، بالطبع، لا يعترفون بوحدة المجموعة البشرية المكونة لهذه المنطقة التي نسميها الآن (الوطن العربي)، وكثيراً ما يندهشون إذ يجدون معبوداً عتيقاً معروفاً في بلاد الشام عند الكنعانيين في الألف الثانية قبل الميلاد موجوداً في الشمال الأفريقي بنفس الاسم، المحرف أحياناً، ونفس الملامح والصفات والخصائص والمميزات، كما هو الحال في أمر الربة «نث» مثلا. وهي - باتفاق الآراء - عبدت في ليبيا، والدلتا، باسم «نث» أو «نت»، وانتحلها اليونان باسم «أثينا»، وهي ذاتها «عنت» (أو عنات/عناة) الكنعانية. ولا يعود الأمر إلى «الاقتراض» أو التأثير والتأثر، فهو حدث قبل أن تعرف (هجرات) الكنعانيين المدونة إلى الشمال الأفريقي. فلا بد إذن أنه كان ثمة هجرات أقدم أو أعتق موغلة في التاريخ.. هجرات لم تسجل، ولم تعرف. وهم، بالضرورة، يرفضون ذلك التموج البشري ما بين مشرق ومغرب، **وكثيراً ما يناقضون أقوالهم لهذا السبب.**

ولقد بيّنّا، من قبل، طبيعة التشكل الحضاري والثقافي الواحد لسكان الوطن العربي. فلو نظر علماء الغرب إلى الموضوع من هذا المنطلق لفسرت مغاليق كثيرة واتضحت الرؤية على نحو لا حاجة معه إلى الجدال.

ومهما يكن الأمر، فلننظر ماذا يقول علماء المصريات الغربيون في مسألة الآلهة (الواردة) على مصر. ثم لنا بعدها حديث.

فمن رأي «بدج» مثلاً :

«إنه من غير الممكن الآن تقرير أي الآلهة كان محلياً ينتمي إلى وادي النيل، وأيها كان ليبي الأصل. ولكن ما من ريب في أن عدداً من الآلهة الليبية تبناها سكان الدلتا الغربية **في عصر ما قبل الأسرات**، وأنها صارت، من كل غاية وقصدٍ، آلهةً مصرية تحت حكم ملوك الأسرة الأولى»[4].

وهذا الكلام يدحض قول «شيرني» الذي سبق، ويفند مذهبه في أن مصر لم تعرف معبودات غير محلية قبل الأسرة السادسة.

ثم يعدِّد «بدج» هذه الآلهة الليبية بالاسم : «**نت**» Net أو «**نيث**» Neith ، في مدينة سائيس[5]، و«**بست**» Bast ، في مدينة بوباستيس[6]، «**ومن المحتمل جداً أن «أوزيريس» وأتباعه من الأرباب كانوا ليبيي الأصل، وإنْ بأسماء مختلفة**».

3) المصدر السابق، ص 276، وسيلي الحديث عن المعبود «بس» وعروبيته.

4) The Gods of The Egyptians, II, p. 275

5) صا الحجر، الآن.

6) تل البسطة، الآن. و«بست» هي مؤنث «بس»، وهي المعبودة في صورة الهرة، ربة الموسيقا والمرح.

الأستاذ «وينرايت» Wainwright تحدث باستفاضة عن الأرباب الليبية النشأة في مصر، بل إن كتابه (دين السماء في مصر)[7] يكاد يكون مخصصاً لهذا الموضوع . وهو عالم له وزنه ، كما أن لديه حججه الوجيهة . فلنقتطف منه بعض ما جاء في هذا الكتاب :

«في البدء لم تكن هناك (مصر) . ففي تلك الأيام كان وادي النيل مستنقعاً غير مأهول ، يعج بالطيور المائية وأفراس النهر والتماسيح وما إليها من ساكني السباخ ، كالخنازير مثلاً ، وفي العصر الحجري القديم كانت أجزاء كبيرة من الصحراء الشاسعة عبارة عن حشائش وأرض أعشاب صالحة تماماً لوجود الصيد ، وكذلك لوجود الانسان البدائي الذي خلّف إشاراتٍ عن وجوده في كل مكان . وقد سكن أناس العصر الحجري القديم ، بل حتى العصر الحجري الجديد ، ما يعرف الآن باسم (الصحراء) ، واستمر هذا الوضع إلى وقت متأخر ، وإلى عصور الاستقرار في حضارات الفيوم ومرمدة التي ازدهرت وأنتجت الحبوب في مناطق ما هو الآن أعالي الصحراء . وقتها لم يكن لفيضان النيل ، إن وجد ، ليؤثر في الغلال التي كانت تنمو على المرتفعات فلم يكن ليطولها . وكانت الحبوب تعتمد في نموّها على الأمطار ، وهي كانت غزيرة ، إذ كان شمال أفريقيا آنذاك يعيش في منطقة العصر المطير كما تعيش أوروبا اليوم .

بدايات «مصر» إذن كانت خارج وادي النيل ، وكلما تعسرت الحياة تدريجياً في (الصحراء) شرع الانسان في الاتجاه نحو أطراف مستنقع النيل الصحراوية . وعلى هذه الأطراف نجد مستوطنات الأقوام التي نسميها (البداريين) ، وعهد ما قبل الأسرات الأول (العمريين Amratian) وعهد ما قبل الاسرات الثاني (الجرزيين Gerzean). وهكذا فإن العلاقات الوثيقة بين ليبيا ومصر ، وهي المعروفة جيداً على مدى العصور الفرعونية ، كانت أوثق وأمتن قبل فجر التاريخ . لقد كانت ليبيا ، في الحق ، هي «مصر» تلك الأيام» . (ص 9) .

على هذا الأساس ينطلق «وينرايت» للحديث عن مجموعة من أقدم معبودات وادي النيل وأشهرها ، ليس باعتبارها معبودات نهرية نيلية ، بل باعتبارها أرباباً جاءت أصلاً من «الصحراء» ، مع الانسان «الصحراوي» الذي اضطر تدريجياً لمغادرة «صحرائه» واللجوء إلى ضفاف النيل الذي تجددت معالمه شيئاً فشيئاً في الوقت الذي بدأت فيه «الصحراء» تجف مع تغير المناخ . . ولما كانت نشأة هذه المعبودات الأولى مرتبطةً بالمطر الذي يأتي من السماء فهي إذن «آلهة سماوية» أصلاً ، غير نهرية . وإلى جانب السماء كانت هناك الجبال غربي وادي النيل «التي جاء منها ، دون شك ، إله الجبل في العصر الفرعوني : (ح أ) ḥ a ، وكذلك المعبود (أ ش) aš أو (ش أ) ša » (ص 9 ـ 10) .

وقد دامت هذه الآلهة السماوية بكل جلالها حتى نهاية التاريخ الفرعوني ، ومن أعتقها وأهمها المعبودان : «ست» st و«من» mn . «وهما اللذان تعيدنا نماذجهما الأولية إلى أقدم عصر يمكننا عنده أن نرى أية تفصيلات عن نمط حياة السكان البدائيين» (ص 10) . ثم يتحدث (وينرايت) عن مظاهر عبادة «ست» في شكل خنزير أو فرس نهر في عصر «مرمدة» و«المعادي» وعهد ما قبل الأسرات

7) G.A. Wainwright ; The Sky-Religion in Egypt, Cambridge, 1938.

الأول. . إلخ «ومن هنا فإننا نلقى أصول رب العاصفة «ست» معروفةً عندما نرى اعتق بصيص من الحياة في (الصحراء) التي تحد مستنقع النيل».

أما المعبود السماوي الآخر، رب الخصب «من» mn ، فإن وضعه يشبه وضع «ست» ؛ إذ تطورت صورته تماماً معبوداً كاملاً حوالي منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد، وهو مثل رفيقه تعود عبادته إلى فجر التاريخ المصري.

«مرمدة» و«الفيوم» تقعان في الجانب الليبي من مصر، على تخوم «الصحراء»، وهناك تعويذة سحرية وجدت في (نصوص الأهرام) تتحدث عن موت «ست»، وعن الاخصاب، وعلاقتهما بليبيا. وفي عصر الأسرة الثانية والعشرين كان «ست» معبوداً بالغ الأهمية في واحات الصحراء الغربية، وكان قريبه الآله «أ **ش**» aš يسمّى «**سيد ليبيا**» أيام الأسرة الخامسة. وكان لقب «**سيد الغرب**» أطلق على الآله «ح أ» ḥ a ، رب الجبل، ذي الصلة بأرباب السماء.

نأتي الآن إلى أحد أشهر آلهة مصر : «**أمون**» Amûn فقد كان، مثل «ست»، ذا أهمية قصوى في ليبيا. «**فاسمه يبدو ليبيًا ؛ ففي لغتها كلمة «أمان» amân تعني : ماء**» (ص 13).

وكانت النجوم مهمة جدًا عند من يعيشون في جو صافٍ ويفكرون في السماء، ومن ضمنها كانت (الأنجم الباقية) ذات أهمية خاصة عند المصريين، وكان رئيسها كوكبة «الدُّب الأكبر» التي تنتمي إلى «**ست**». وتذكر الفقرة التي تتحدث عن موته هذه (الأنجم الباقية) وتكرر ثلاث مرات أنها «**ترحل عبر ليبيا**». بل إن هذه النصوص تتحدث عنه قبل صراعه مع «حورس»، أي قبل فجر التاريخ.

وهكذا، يقول «وينرايت»، نرى (دين السماء) في مصر ليس بالغ القدم فحسب بل مرتبطاً ارتباطاً خاصًا بالغرب، بليبيا، بالصحراء. (ص 14). وهو يتتبع، بكثير من التفصيل وعدد وافر من المراجع الأثرية، جملة الشعائر المتبعة عند قدماء المصريين، وطقوس القربنة، والاحتفالات الدينية، وثياب الفراعين والكهنة، ويرجعها كلها إلى «ليبيا» - أي إلى «الصحراء»، قبل أن تتحول إلى أرض جرداء وتذهب عنها خضرتها فيضطر أهلها إلى اللجوء إلى مصادر الماء. . إلى النيل. أي أن من يسمون «**المصريين**» جاءوا أساساً مما يعرف الآن باسم «ليبيا» أو (الصحراء الليبية). فهم «**ليبيـون**» أصـلاً، حملوا معهم آلهتهم «الصحـراوية» واستوطنوا وادي النيل، وهذا هو تعليل ما نلاحظه من (العلاقة الخاصة) بين «ليبيا» و«مصر» - بين الصحراء ووادي النيل - وهو السبب في أننا نرى بروز هذه الآلهـة وسيطرتها كلما ازداد نفوذ «الليبيين» التابعين، أي المهاجرين الجدد، مثلما حدث في الأسرتين الثانية والعشرين والسادسة والعشرين. وهو يختم بقوله :

«إن ديانة إنزال المطر ديانةٌ عتيقة جداً وواسعة الانتشار في العالم كله. . . والخصب يأتي من السماء التي تخصب الأرض بالمطر. ومن الثابت أن عدداً كبيراً من آلهة مصر كانت آلهة سماءٍ (أو آلهة سماوية)، أرباب عواصف، وأرباب خصب، تعود إلى بداية الزمان فيها. بل الحق أن بعضاً منها، أو بعض نماذجها الأولى، يمكن تتبعه إلى (العصور الليبية) قبل أن يهبط (المصريون) إلى وادي النيل». (ص 85).

ولقد شغلت مسألة الأصل الليبي لعدد من آلهة مصر القديمة بال الباحثين طويلاً، ودار الحديث حولها كثيراً ما بين قائل بها ومعارض في بعض التفصيلات. وعلة هذا القول تكمن، كما سبق بيانه، في أن تكوين وادي النيل السكاني عائد في أغلبه إلى المهاجرين الليبيين بعد جفاف الصحراء إلى الوادي، وإلى دلائل وعلامات وإشارات في النقوش المصرية ذاتها تشير إلى هذا الأمر، كما هو عائد إلى طبيعة العلاقة المستمرة بين أهل الوادي وأهل الصحراء، أو بتعبير آخر: بين المصريين والليبيين، حتى ليذهب «أوريك بيتس» O. Bates إلى القول:

«يبدو من المؤكد أن ثمة علاقة وجدت بين ديانة المصريين القدماء وديانة الليبيين أقرب من العلاقة التي وجدت بين ديانة الأخيرين و(الساميين) مثلاً. وتماماً كما نسج عنصر ليبي محدَّد في اللغة المصرية فإنه توجد، من كل وجه، عناصر منوعة في الديانة المصرية ذات أصل ليبي[8]».

فلنستعرض الآن ما قاله الباحثون عن هذه الآلهة المصرية ذات الأصل الليبي:

«أوزيريس»

من الذين ذكروا الأصول الليبية لبعض آلهة مصر القديمة «أوريك بيتس» Oric Bates. وينقل عنه «غريفث»[9] رأيه في نشأة المعبود «أوزيرس» باعتباره معبوداً نباتيًّا وأن دوره الأساسي كان في مجال الزراعة والنبات. ويضرب «بيتس» أمثلة عديدة على أن «روح الحبوب» كانت تسمى «العجوز» في كثير من المجتمعات البدائية، وهو يؤمن بأن «أوزيريس» نشأ اسمه من اللغة الليبية القديمة باعتباره إلـهاً ليبيا في الأصل، ويشير إلى الجذر «و س ر» wsr في لهجة الشمال الأفريقي التي تعني «القديم» أو «العتيق»، أي «العجوز» (في جبل نفوسة: «تُسْرى» tusri، «أَوْسَار» ausar . . . إلخ). ويعتمد «بيتس» على قول الأستاذ «بيتري» Petrie إن «أوزيريس» كان إلَها ليبيًّا[10].

ويقرن الأستاذ «بيتري» الآلهة الثلاثة: «ست»، «إيزيس» و«أوزيريس» في قوله:

«من المحتمل أن «ست» ينتمي إلى الليبيين أو الغربيين (أهل الغرب)، إذ اعْتُبِر ذا شعر أحمر وجلد أبيض، أي «التحنو» أو ذوى البشرة النقية. ومن المحتمل أن جماعة أوزيريس - إيزيس ليبية الأصل كذلك، كما سنرى بعد. ومن هنا فقد نصور لأنفسنا الأرباب: إيزيس، أوزيريس، وست، على أساس أنها معبودات ثلاثة عند قبائل مختلفة من الليبيين»[11].

ويؤكد «بيتري» رأيه هذا مرة ثانية، مضيفاً أرباباً أخرىٰ إلى القائمة حين يقسم الآلهة المصرية إلى أقسام أربعة: (1) على هيئة حيوان (2) على هيئة بشرية (3) آلهة كونية (سماوية) (4) آلهة مجردة. وإلى المجموعة الثانية ينتمي:

---

(8) Bates; The Eastern Libyans, p. 207

(9) J.G. Griffith; the Origions of Osiris and his Cult, pp. 88 – 89

(10) هو يشير إلى قول (بيتري): «. . . أوزيريس إله ليبي، وهو ينتمي إلى طبقة أقدم من السكان [في وادي النيل]». المصدر السابق، ص 89. وقارن: Petrie; Naqada and Ballas, p. 59.

(11) Petrie; Religion and Concience in Ancient Egypt, p. 57

«أمون»، و«موت» و«خنسو» و«نت» أو«نث» . وكلهم يصورون على هيئة بشرية ، إلى جانب «أوزيريس» .

وروابط هذه المجموعة كلها تنتمي إلى الغرب (ليبيا)، باعتبار «أوزيريس» ذا صلة بالمعبود الليبي الجنوبي «د د ن»، كما أنه رب النبت وإله الغلال، وبالنظر إلى شخصية «خنسو» و«أمون» التنبؤية وهي فكرة جاءت من الغرب، كما أن «أمون» هو إله الواحات كما هو معروف. أما «نيث» فهي لا ريب ربة ليبية[12].

«نــت»

واحدة من أقدم المعبودات المصرية، في مدينة «سائيس» غرب الدلتا. كانت ربة صيد مثلت في شخصها إلهات أخريات أسبغت عليها أوصافها وخواصها. وقد أشير إليها في الكتابات في كل العهود قديماً وحديثا. ووجد اسمها منقوشاً على أنصاب أقدم الفترات التاريخية في مصر، بل إن أقدم رموزها وجد منذ عصر ما قبل التاريخ ممثلاً بدرع وسهمين إشارة إلى وضعها ربةً للصيد. وسميت باسمها ملكات مصر في فجر التاريخ : (نت ـ حتب) و(مريت ـ نت). وكان أقدم معبد لها لا جدال في عصر «مينا» (موحد القطرين). وهي عُبدت في كل أرجاء مصر حتى (نقادة) في الجنوب، لكن أعظم مركز لعبادتها كان في (سائيس) الدلتا.

ويقول «مرسير» Mercer عن نشأتها الأولى :

«أما عما إذا كانت أساساً عُبدت في ليبيا فيعتمد على ما إذا كانت هي ليبية في الأصل. ولقد افترض، عادةً، أن (نت) كانت إلهة ليبية في البداية»[13].

أما «بيتس» Bates فقد ناقش بتفصيل كبير كل ما يتعلق بهذه الربة الليبية الأصل التي غزت مصر منذ أقدم العصور، في كتابه (الليبيون الشرقيون)[14]. ولا يكاد يخلو مؤلف أو بحث تعرض للديانة المصرية القديمة إلا ذكر «نت» وتحدث عن نشأتها الليبية الأولى.

«أش»

يقول عنه «ميرسير» إنه يبدو معبوداً ليبياً. وقد وجد منذ الأسرة الثانية على أختام جرار الخمر على شكل رجل برأس حيوان الإله «ست» مما يبين صلة الاثنين بعضهما ببعض، وفي الأسرة السادسة والعشرين صوّر بثلاثة رؤوس ؛ رأس أسد، ورأس أفعى، ورأس عقاب[15].

ويقول «بيتس» إنَّ إلها ليبيا باسم «أش» ذكر منذ الأسرة الرابعة في نقوش الملك «ساحورى»

---

(12) المصدر السابق، ص 77 ـ 78 .

(13) S. Mercer ; The Religion of Ancient Egypt, p. 196

(14) Bates ; The Eastern Libyans, pp. 203 – 207

(15) Mercer ; The Religion of Ancient Egypt, pp. 188 – 189

(= س ء. ح ر. رع.أي : ابن حر - رع) ويظهر الاسم كذلك على أختام الجرار في الفترة ذاتها تقريباً. ويمكن الحكم من الشكل الذي يبدو به هذا المعبود في نقوش «ساحورى» أنه كان ذا شهرة في ليبيا الشرقية في عهد المملكة القديمة(16).

«ح أ»

أو «ح ا - ك ا». معبود قديم في غرب الدلتا، وهو إله جبل كان يدعى (سيد الغرب)، «ربما كان أصله من ليبيا» - حسب رأي «ميرسر». وقد عثر على اسمه في (نصوص الأهرام) واحتل جزءاً مهماً في تطور غرب الدلتا ما قبل التاريخ.

«عنتى»:

يظهر في المصادر المتأخرة فقط، وهو المعروف عند اليونان باسم **«أنتايوس»** Antaeus. وعُبد في المدينة المسماة باسمه **«أنتايوبوليس»** Antaiopolis، وكان يحمل صفات مزدوجة من «ست» و«حورس».

ويحلل «ميرسر» نشأة «أنتايوس» اليوناني هذا بأن الاسم مأخوذ عن المصرية **«ع ن ت ى»** وهي إحدى صفات «حورس» (ح ر - ع ن ت ى = حورس المصارع) وهو المعبود القديم للاقليم الذي أسماه اليونان «أنتايبوليس». وفي الأسطورة اليونانية التي تتحدث عن «أنتايوس» (أنتى) في ليبيا تجعله «مصارعاً» كما كان «حورس» كذلك مصارعاً (عنتى). وكما كان حورس الأكبر ابن آله الأرض «جب» كان انتايوس في الأسطورة اليونانية ابن إلهة الأرض «جيا». وكان «حورس» إلهاً من غرب الدلتا، وكان «انتايوس» في ليبيا. وقد دعي «حورس» و«ست» في المصرية «ع ن ت ى و ى» (المصارعان) كما نسبت لانتايوس صفات «حورس» و«ست»(17).

«شهدد»

من جملة الأرباب الأجنبية في مصر القديمة يذكر «ميرسر» الربة **«شهديدي»** Shahdidi التي «لعلها ربة ليبية» (ص 225). ويلاحظ «بيتس» (ص 184) أن المقطع **«شهدد»** (أو «شهشث») جزء من أسماء أشخاص عديدة في أواخر عهد المملكة الحديثة في الدلتا على ألواح تسجل «مستوطنين» ليبيين، وحسب أن هذا المقطع يشير إلى معبود ما. وقد بذلت محاولات لتبيين أن «شهدد» هذه كانت ربة ليبية. «ولا يشك أحد على كل حال في أن هذا المقطع (شهدد) ليبي ؛ إذ يبدو أنه حفظ في نقش من المغرب مزدوج اللغة (ليبي - لاتيني) حيث وردت فيه باللاتينية sactvt

---

(16) Bates ; The Eastern..., p. 184

(17) Mercer ; The Religion of Ancient Egypt, p. 190

ولعل القارىء لاحظ أن المصرية «ع ن ت» (ومنها : **«عنتي»** واليونانية Antaeus) التي ترجمت بأنها تعني «مصارع» هي العربية **«عَنَتَ»**. قارن اسم المعبودة الكنعانية **«عنت»** (عنات) = المصارعة، وصلتها بـ«نت» [(ع) نت] المقاتلة واضحة كما سبقت الاشارة.

عن أسطورة أنتايوس اليونانية راجع : R. Graves ; The Greek Myths, Penguin Books. في مواطن متفرقة.

التي تقابل الليبية sktt . «وهي التي تحمل شبهاً واضحاً بالهيروغليفية «شهشث» (= شهدد)[18] .

«وخ»

«Wḫ» ـ معبود ليبي (ميرسر ـ ص 225) وأغلب الظن أن القراءة الصحيحة هي «أخ» aḫ ، وبما أن الشين والخاء يتعاقبان في المصرية فهو أصلاً «أش» aš ، رب الدمار والرماد (عربيته : «آس» = رماد) .

«حرشف»

معبود قديم جدًّا يرجع إلى المهاجرين إلى وادي النيل من الصحراء الليبية . في المصرية : «ح ر . ش ا . ف» ḥ r. š a. f . ويفسر اسمه في معنيين : الأول : [الذي هو] على رمله . والثاني : [الذي هو] على مائه . فهو مرة معبود ينسب إلى الرمال (= الصحراء) وأخرى إلى الماء (النيل ؟) .

مقابله في العربية :

(1) «ح ر» = عَلَى . مادة «حَرَرَ» العربية تفيد الارتفاع ، ومنها : حُرُّ الوجه ـ أعلاه ، أي الوجنتان .

(2) «ش أ» : في العربية : «السيء» (بالسين) = الرمل[19] . و«الشِّيء» (بالشين المعجمة) = الماء .

(3) «ف» : ضمير المفرد الغائب في المصرية[20] .

«ست»

يقول «ميرسر» Mercer في مؤلفه المذكور فيما سبق :

«من الواضح للغاية أن (ست) في الأساطير والنقوش كان منذ أقدم العصور معبوداً خاصاً بمصر العليا (الصعيد) على وجه العموم . ومن الواضح أيضاً أن (ست) ارتبط دائماً بالصحراء ، حدود مصر ، وبالبلاد الأجنبية . وأقدم بلد (أجنبي) كان ليبيا وهي التي كانت صلة (ست) بها قريبة جداً ، ولم يسكن الليبيون الأوّل شمال افريقيا غربي الدلتا فحسب بل قطنوا حدود مصر الغربية شمالها وجنوبها من البحر الأبيض المتوسط حتى النوبة . والحق أن الليبيين قد يكونون شكلوا قسماً كبيراً من سكان وادي النيل كله في ما قبل التاريخ . وقد كان الليبيون فرعاً من القسم (الأفريقي) أو (الحامي)

(18) من العجيب بعد هذه الشواهد أن يأتي الأستاذ «مونتيه» Montet . في كتابه Psousennés الصادر في باريس سنة 1951 . ليقف حائراً أمام ورود اسم المعبودة هذه إلى جانب اسم الفرعون . . وقد اتخذ الكاتب الصهيوني المتعصب فيليكوفسكي I. Velikovsky هذه الحيرة دليلاً على أن الاسم ليس ليبيًّا ، بل لقب «فارسي» (!) ربما يعني شيئاً مثل (كاتب الملك) أو (تابع الملك) اعتماداً على المقطع shah (شاه = ملك) وقياساً على «شهزاده» (= ابن الشاه/ابن الملك) ، وله تخريجات تبعد كثيراً عن نمط البحث العلمي الرصين.

(أنظر : Valikovsky ; Peoples of the Sea, Doubleday and Company, New York, 1977, p. 154) .

(19) لا يستبعد أن تكون واحة «سيوا» (سيوة) جاءت تسميتها عن هذا السبيل ، فهي واحة الرمال الشهيرة .

(20) أنظر التحليل في الجزء الخاص بـ«قواعد اللغة المصرية» من هذا البحث .

من جنس البحر متوسط[21]، وهم كانوا تبعاً لهذا ذوي نسب وثيق بالمصريين . . . وفي كل فترات تاريخهم الطويل كانوا مؤثرين في الشؤون المصرية . وثمة من الأسباب ما يبعث على الاعتقاد أن أقدم ممالك غرب الدلتا كانت ليبية بشكل قوي . ففي معبد في مدينة (سائيس) ثمة شعار للربة (نيت) وهو نفس الشعار الذي وجد على صورة وشم يرسمه الليبيون على أذرعهم[22].

والواقع أن مملكة (سائيس) وكذلك مملكة (إمنت) في غرب الدلتا ربما كانتا في الجزء الأكبر ليبيتين في نمطهما. ولقد سمي الزيت المستعمل في تمسيح الآلهة والملوك، المذكور على النصب الثانيتية المبكرة، سمي «ح أ ت. ت» ḥ a t. t ، ربما ذكرى للزعماء الليبيين الملقبين «حاتيو» hatiu [23]. بل إن «حورس» في بواكير عصر الدلتا الغربية كان يدعى (الليبي ذا الذراع المرفوعة) . ولقد كان «ست» باعتباره معبوداً محلياً في مصر ما قبل التاريخ ، وهو معبود أهل الصحراء شرقاً وجنوباً وغرباً، ليبياً جداً في شخصيته . فهو منذ زمن ملوك «ثنيت» كان يدعى (سيد ليبيا) وهو عُبد في واحة الخارجة . والمعبود الليبي «أ ش» كان يصور أحياناً في شكل رجل يحمل رأس حيوان «سَث»، وهو الحيوان الذي كان يكتب اسمه «أ ش» أو «شأ» في الواقع[24] . وكان مركز عبادة «ست» (امبو) في موقع مناسب تماماً عند رأس طريق قوافل مهمة إلى الواحات . كما وجد شعار الربة «نيث»، الليبية الأصل، مصوراً على فخار يرجع إلى ما قبل التاريخ في موقع «نبت» Nubt...

منذ الأسرة الثانية أطلق على «ست» لقب (سيد ليبيا)، وكانت إحدى مزاياه الرئيسية أنه كان مولى «الأرض الحمراء»، أي الصحراء والأغراب. ولكنه كان إلهاً شريراً أكثر من أي شيء آخر. وهـذه الصفـة لصقت به بعـد قتاله و«أوزيريس» فقط، إذ من الواضح من فقرات في (نصوص الأهرام) أن «ست» لم يعتبر دائما في العصور الأقدم مجرد كائن شرير[25].

* * *

هذه إذَنْ بعض آلهـة مصر القـديمـة الشهـيرة التي يقـرر الباحثون أنها جاءت أصلاً من الصحراء، أو الغرب، أو ليبيا ـ إن شئت ـ ولم تنشأ أساساً في وادي النيل، مع قِدمها وشهرتها. ولعـل القـارىء لاحظ (عـروبية) أسـمائهـا ونعـوتهـا، وسـوف يزداد الأمر وضوحاً في ما يلي من

(21) أنظر : تكوين مصر السكاني فيما سبق.

(22) لم يذكر المصدر ولا قدم صورة.

(23) لعل كلمة «حاتى» المستعملة في مصر الآن تعني أصلاً : زعيم، أمير. وهي ذاتها : «خ ت» < «ختى»، «خط» < «خطى»، «حط» < «حطى»، «حث» < «حثى» = زعيم (راجع هذه المادة في هذه الدراسة للتفصيل). والعجيب أن الكلمة يسمى بها المطاعم في القاهرة (مطعم الحاتى = مطعم الأمير)، ثم صارت «الحاتى» تعني «المطعم» فقط. من جهة أخرى نرى أن الهمزة في «ح أ ت» (حات) إبدال من الراء (ح ر ت) وهذا ما يذكرنا بالزيت «الحراتى» وهو أفخر أنواع الزيت في ليبيا حتى يومنا هذا والزيت والطعام مرتبطان. قارن (معجم بدج)، ص 460 ـ 461.

(24) نذهب إلى أن القراءة الصحيحة هي «أش»، لارتباط هذا المعبود بـ«ست» إله الدمار والموت. وفي المصرية تعني «أش» : الرماد. عربيتها : «آس» = رماد.

(25) Mercer ; The Religion... pp. 49 – 51 .

الصفحات. والتفسير المقبول والمعقول هو أن هذه المعبودات في وجودها الأول لم تكن خاصة بالغرب، أو الصحراء الغربية، أو ليبيا، بل كانت معبودات «تعمُّ» الوطن العربي القديم ولا «تخصُّ» قُطْراً بعينه. لكن ماذا نفعل والعلماء الأوروبيون يصرُّون على تقسيم هذا الوطن إلى (شرق) و(غرب).. ونحن مضطرُّون إلى الاستقاء منهم والأخذ عنهم ؟

فلننظر في تلك المعبودات «المشرقية» بعد أن نظرنا في «المغربي» منها.. وهي التي في بلاد النيل كانت تلتقي.

الأصنام العربية والآلهة المصرية

من أولى محاولات ربط الصلة الدينية بين الجزيرة العربية ووادي النيل، بل لعلها أولاها على الاطلاق، ما قدمه العالم أحمد كمال في مقالة له بالفرنسية من مقارنة بين أسماء عدد من الأصنام عند عرب الجزيرة ما قبل وأسماء الآلهة المصرية وأورده «بدج»[1] على الصورة التالية :

In connexion with the question of the cult of foreign gods in Egypt, and of the gods of Egypt in foreign lands, reference may here be made to a theory which has recently been put forward to the effect that several of the gods of Egypt were worshipped as idols by the Arabs of the pre-Islamic times. According to this the Egyptian god Tem, [hieroglyphs], = the Arabic idol Tîm, تيم;

Teḥuti (Thoth), [hieroglyphs], = Ṭâ'ût, طاغوت; Iusāās, [hieroglyphs], = Ya'ûth, يغوث; Reret, [hieroglyphs], = Lât, اللات; Uatchit, [hieroglyphs], = 'Azza, العزى; Menât, [hieroglyphs], = Menāt, مناة; Meṭeni, [hieroglyphs], = Medân, المدان; Ḥāp-re, [hieroglyphs], = Habal, هبل; Bes, [hieroglyphs], = Buss, بس; Bennu, [hieroglyphs], = Buwânat, بوانة; Bār, [hieroglyphs], = Ba'al, بعل; and so on.

ورغم أن هذا الرأي أثار في «بدج» شيئاً من الاهتمام فهو رفضه رفضاً قاطعاً على أساس أنه من غير المقبول أن تأخذ مصر المتقدمة حضاريا أربابها عن أهل الجزيرة (المتخلفين)، وعلى أساس

(1) Budge ; The Gods of The Egyptians, II, p. 289 .

وهـذه المقارنات، وإن كانت قابلة للنقاش، تعتبر بداية جيدة للفت النظر إلى تماثل أسماء المعبودات المصرية والعربية، وهو باب يحتاج إلى مزيد من البحث. ويمكن للقارىء العودة إلى «كتاب الأصنام» لابن الكلبي الذي حققه ونشره أحمد زكي سنة 1924 . وأعيد طبعه سنة 1965 ، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة. وبه معلومات مفيدة عن أصنام العرب في الجاهلية وردت في كتاب ابن الكلبي، وأضاف المحقق فِصْلَةً عما لم يرد فيه وذكر في مصادر أخرى.

الاختلاف المزعوم بين طبيعتي آلهة مصر والأرباب (السامية). وهذا في الواقع موقف غير علمي على الاطلاق. فلقد أثبت الدارسون، ومنهم «بدج» نفسه، أن أهم معبودات مصر القديمة كانت واردة إليها مع الأقوام المهاجرة إلى الوادي من شرقه وغربه، وهي معبودات عتيقة جدًّا نشأت مع الانسان في بداياته الأولى، خارج وادي النيل. ومسألة التقدم والتخلف الحضاريين مسألة نسبية، وفي مقياس العصور الأولى لا جدال في أن (الصحراء) العربية - مثلها مثل (الصحراء) الليبية - كانت أكثر «تقدماً» من الوادي الذي لم يكن عُمِّر بعد.. كما سبق القول. أما اختلاف طبائع الآلهة فيدحضه ما سبق اقتباسه عن الأرباب المجلوبة إلى مصر، ولا يظهر هذا الاختلاف إلا في الصفات المحلية للمعبود، أو في المعبودات الصغرى. أما الصورة العامة فهي واحدة بين الجميع.

باعث «بدج» الحقيقي في موقفه كان اعتقاده بأن نشأة مصر والمصريين كانت نشأة (أفريقية) صرفة، وهو الموقف الذي جعله يعيد الديانة المصرية بأكملها إلى أصول أفريقية كما فعل في كتابه عن «أوزيريس»[2]، وفي مؤلفات أخرى له. **إنه لم يقل أبداً إن مصر كانت أكثر تقدماً في حضارتها من النوبة وقبائل أواسط أفْريقيا، وهذه هي الحقيقة طبعاً، عندما «أفْرَق» ديانة مصر القديمة. فإذا تعلقت القضية بالعرب، والجزيرة العربية بالذات، كان موقفه المشكِّك في أية صلة بينها وبين الوادي، بل الرافضة لأية علاقة.**

ولا يملك «بدج» إلا الاعتراف بهذا التشابه الذي أبرزه أحمد كمال بين أسماء أصنام الجزيرة وأسماء آلهة مصر، غير أنه يرى أن من الصواب القول **بأن أهل الجزيرة هم الذين أخذوا** عن أهل الوادي، وليس العكس. وهذا القول تنقضه ملاحظة «شيرني» الدقيقة عند استعراضه التأثير (السامي) في الديانة المصرية التي يقول فيها:

«ولكن بينما قبل المصريون المعبودات (السامية) بينهم بكل استعداد ليس ثمة من علامة تشير إلى أن رعاياهم في فلسطين وسوريا أظهروا نفس الموقف تجاه الآلهة المصرية»[3].

أرض الأربـاب

وقد تتبعنا، باختصار، أهم المعبودات المصرية القديمة التي جاءت الوادي من شرقه وغربه على فترات من التاريخ، وبيّنا أصولها في مواطن متفرقة. أما بالنسبة لشبه الجزيرة العربية فإن الأمر يبدو ذا وضع خاص؛ فهي كانت - كما يظهر - المنبع الأصلي لمجموعة كبيرة من المعبودات العتيقة جدا[4] جعل أهل الوادي ينظرون إلى شبه الجزيرة باعتبارها **«الأرض المقدسة»** أو **«موطن الآلهة»**. ومن هنا كانت تسميتها الشهيرة في النصوص المصرية «ت أ. ن ت ر و»[5] t a.n t r w التي تعني

---

(2) W. Budge, Osiris and The Egyptian Resurrection, Dover Edition, New York, 1973.

(3) Cerny; Ancient Egyptian Religion, p. 128.

(4) من مثل «ح ر» (حورس) المعبود قبل عصر الأسرات. وراجع مادة «ب ك أ» في هذه الدراسة.

(5) عربيتها: «ت أ» = طية/طآة (أرض) + «ن ت ر و» = جمع «ن ت ر» = ناظر.

حرفياً : «**أرض الأرباب**». وهي تسمية متواترة في (نصوص الأهرام) وما بعدها، وطبيعي أن تكون معروفة قبل هذه النصوص بمدة مديدة حتى يتم تسجيلها.

وقد قرن بعض الدارسين بين تسمية شبه الجزيرة العربية في المصرية «أرض الأرباب» وبين ما يسمى بلاد «بنت». فذهب فريق إلى أن التسميتين لموقع واحد، هو بلاد العرب Arabia وأنهى الاشكال. وقال فريق آخر إنه بلاد الصومال في القرن الأفريقي، وهؤلاء هم دعاة الفصل بين مصر ومحيطها العروبي الخالص. وكان بعض الباحثين توفيقياً في موقفه فذهب إلى الجمع بين الاثنين وقال إن المقصود جانبا البحر الأحمر معاً ؛ بلاد العرب وبلاد الصومال.

وقد أوضحنا حقيقة بلاد «بنت» التي أثير حولها غبار مفتعل من النقاش (أنظر مادة «و ن» w n في هذه الدراسة). ونقول هنا إنه حتى مع التسليم جدلاً بأن «بنت» هي بلاد الصومال فلا ينبغي أن ننسى ما هو ثابت من أن أهل هذه البلاد في الأساس كانوا مهاجرين قدموا إليها من شبه الجزيرة، فهم عرب منذ قديم الزمان، هجراتٍ تتوالى من جنوب الجزيرة لتصبغ القرن الأفريقي كله بالطابع العروبي. ولا نظن أن أحداً يجادل في هذه الحقيقة التي تؤيدها عروبية لغات هذا القرن في الحبشة والصومال بمختلف لهجاتها.

«رع»

يستعرض الأستاذ «بدج» جملة من الآلهة الأجنبية في مصر ويبدأ بأهم معبود، إله الشمس «رع»، فيقول :

«في زمن الأسرتين الرابعة والخامسة انتشرت عبارة (رع) إله الشمس بسرعة فائقة في الدلتا وما جاور «هليوبوليس» (عين شمس) ونال كهنته ما يقارب النفوذ الملكي في البلاد. وليس ثمة من سبب يدعو إلى الشك في أن الشمس عُبدت في أقدم العصور بمصر، غير أن شكل عبادتها، كما صادق عليها وأذاعها كهنة «هليوبوليس» يبدو مختلفاً عما هو في أجزاء أخرى من البلاد، ومن الجائز أنه كان يحوي شيئاً من النمط الآسيوي»[6].

ثم يقدم مجموعة من الأرباب (الآسيوية) حسب تعبيره وهي عنده :

«عنثيت»[7]

ربة كانت تسمى «سيدة السماء» وقيل إنها كانت تحمل ولكنها لا تلد. كما يقال إنها كانت ابنة

(6) Budge ; The Gods of The Egyptians, II, p. 275 – 276 .

ويقول الأستاذ «هول» (Hall ; the Ancient History of The Near East, p. 85) ما نصه :

«في الديانة (المصرية) كان هناك عنصر أجنبي رغم أنه لم يثبت نفسه بقوة حتى زمن الأسرتين الرابعة والخامسة، ذلك كان عبادة الشمس وأحجارها المقدسة، سوابق المسلات. وهي بجلاء عبادة ذات أصل سامي . . . وكان إله الشمس وافداً من الشرق، وهو حمل كذلك اسماً (سامياً) [ويقارن بين «رع» والعربية «رأى»] كما يحمل ذات الاسم (السامي) معبود آخر من الشمال [فلسطين] هو «بتاح» الذي يعني «الفاتح» The opener [ويقارن الاسم بالجذر العربي : فتح]».

(7) وتكتب بصور مختلفة : «عنوثيت»، «عنثيت».

المعبود «ست». كانت تصور امرأة جالسة على عرش أو واقفة، تحمل درعاً ورمحاً في يدها اليمنى وهراوة في اليسرى. «كانت، دون شك، ربة حرب، ويبدو أن عبادتها انتشرت في شمال سوريا وجنوبها حيث كرست مدن لهذه العبادة. . أعني مدناً مثل «بات عنث» (بيت عنات) و«قرث عنثو» (قرية عنات). . . ولقد كرمت هذه المعبودة لدى (رمسيس الثاني) في الأسرة التاسعة عشرة، حتى لقد ذهب إلى تسمية إحدى بناته «بنث عنث» (= بنت عنات). ويمكننا ملاحظة أن ربة تُدْعى في المصرية «عنثرتى» قرن ذكرها بالمعبود «ستخ» في المعاهدة الكبرى بين «الخيتا» (الحثيين) والمصريين ومن المحتمل أنها و«عنت» شيء واحد»[8].

«عشتر»

وهي ذات صلة بـ«عنات». وتذكر في النصوص المصرية «عشترثت» وتلقب بلقب (سيدة الخيول والعربة)، وتصور على هيئة امرأة برأس لبؤة يعلوه قرص تقف على عربة تجرها أربعة خيول تطأ أعداءها على الأرض. وهي ذاتها «عشتار نينوى» الأشورية، كانت كذلك ربة حرب، وربة خيول. وقد عرف المصريون استعمال الخيل في الحرب من (ساميّي) الصحراء الشرقية، لجر العربات الحربية في المعارك منذ حوالي سنة 1800 ق. م.[9].

وقد ذكر أن «عشتر» و«عنات» كانتا (درعي) رمسيس الثالث اللتين تحميان عربة الملك. كما كان تحتمس الرابع يدعى (الفارس القوي مثل عشترت)[10].

«قدش»

ثم هناك الربة «قدش» التي تدعى (سيدة الأرباب أجمعين، عين «رع» التي لا ثاني لها). كانت ربة الحب والجمال، وآلهة القمر. كانت تصور في هيئة امرأة عارية تماماً تقف فوق أسد، على رأسها هلال وقرص مما يثبت صلتها بالقمر. في يدها اليمنى تمسك بزهور اللوتس ومرآة وفي اليسرى حيّتين. ومن المهم ملاحظة أنها تصور دائماً، مثل (بس)، بوجه كامل. وفي المتحف البريطاني ثمة لوحة نرى فيها هذه الربة (التي تدعى هنا «كنت» k n t = سيدة السماء)[11] تقف على أسدٍ بين المعبودين «إمسو» Imsu أو «من» min و«رشپو» Reshpu، وهي مع هذين الربين تشكل ثلاثيا (ساميا) ولكن ليس من الواضح من هو ابنها ومن هو زوجها من بين هذين المعبودين.

---

(8) المصدر السابق، ص 277 ـ 278. ولا يغيب عن بالنا أن «عنثرتى» (ث = ت) هي «عنترة» > عنتر > عنت.

(9) المصدر السابق، ص 279.

(10) Cerny ; Ancient Egyptian Religion, p. 126 .

(11) من البين أن التاء في «ك ن ت» K n.t للتأنيث. والكاف بدل من الجيم في «ج ن ت» G n. t (جذرها «ج ن» GN).
وهي agenna (في لهجة التوارق) و agenna (غدامس) و ağenna (مزاب، الريف، توات) و igenni (زواوة) = سحاب، سماء cloud, sky, heaven .
(أنظر : Bates ; The Eastern Ligyans, pp. 75 – 80) .
العربية : جن ← جُنّة = ستر، غطاء، سماء.

وعلى كل حال فإن «**قدش**» لا بد أنها عبدت باعتبارها ربة طبيعة في (سوريا) وهي التي أعطت للكلمة العبرية קדשה معناها الذي تحمله في «الكتاب المقدس»[12].

«بعل»

أعظم الآلهة (السورية) التي عرفت عند المصريين كان «بعر» bᶜr أو «با ـ بعر» Pa-bᶜr (= بعل، **البعل**)[13]. وهو كان، مثل أغلب الآلهة (السامية) رب حرب ومعارك في الأساس، وربما كان تجسيداً لحرارة الشمس المحرقة المدمرة وريح الصحراء الملتهبة. ويباهي رمسيس الثاني في نقوش انتصاراته بأنه كان، عندما أخذ أهبته للقتال وامتطى عربته وخرج للهجوم على مشاة الحثيين، مثل الآله «**بعر**» (بعل) ويمكننا أن نفترض من هذا النص وغيره أن ملك مصر كان فخوراً بأن يقارن نفسه بإله الحرب (السوري) الجبار، وقد عبد «بعر» في الدلتا، وبخاصة في ما جاور (تانيس) حيث شيد رمسيس الثاني مبانٍ كثيرة، وحيث وجد معبد لهذا الآله.

ولعل من المناسب أن نذكر هنا الربة «**بعرثي**» (= «بعلث» أو «بعلت/بعلة») وتعرف باسم «**بْعِرْثي تْشَبُونَا**» (Bᶜirthi Tchapuna) أو «بعلث صفون» التي قد تعتبر المقابل الأنثى لـ«بعل صفون» المعروف، ولكنها ليست زوجاً للمعبود «بعل».

«رشپ»

هذا معبود (سوري) آخر يوصف في النصوص المصرية بأنه «صاحب القوة المضاعفة بين جماعة الأرباب، الاله العظيم، سيد السماء، حاكم الأرباب». وكان مركز عبادته في «حت ـ رشپ» في الدلتا، ومن المحتمل جدًّا أنه عُبد في أماكن أخرى عند حدود مصر الشرقية، ويصور على شكل رجل محارب. ويقابل بالمعبود الكنعاني «رشف».

«بس»

يذهب بعض الباحثين إلى أنه معبود (سامي) ويذهب آخرون إلى أنه أفريقي الأصل. ويصور عادة بوجه كامل مثل المعبودة «**قدش**»، لابساً جلد حيوان من الفصيلة الفهدية. وهو رب الموسيقا والرقص، وتشير تصاويره إلى صلته بعالم الراحة والمتعة والسرور.

وقد خصص «بدج» خمس صفحات كاملة للحديث عن المعبود «بس» ناقش عبرها المسألة من كل جوانبها، وبينّ أنه معبود ذكر منذ أقدم العصور في (كتاب الموتى) وأنه حسب النصوص المصرية ذاتها جاء من «**ت أ ـ ن ت ر**» (أرض الآلهة = الجزيرة العربية)، وسرد أقوال علماء كبار، مثل «موللر» و«بروغش» أنه ينتمي إلى بلاد العرب بكل المقاييس. ومع هذا فهو يصر على أن (بس) «معبود أفريقي» جاء مصر من جنوبها!

---

(12) العربية: قَدَسَ < قدّس/قدّوس.

(13) في المصرية تبدل اللام راءً كما هو معروف.. كما تبدل نوناً أو ميماً أو همزة. وقد أبدلت العين هاءً في العربية (بهل) وقلبت مكانيًّا فكانت «**هُبَل**» اسم أكبر أصنام الجاهلية ولكنه ورد في القرآن الكريم باسم «بعل».

خصائص هذا المعبود، كما هو واضح، هي خصائص «القط» إله الموسيقا والمرح عند الأقدمين. واسمه ذاته «بس» اسم عربي، وهو ما لم يشر إليه «بدج» مطلقاً، وإن ذكر أن هذا الاسم ظل مستعملاً اسم علم عند أقباط مصر حتى بعد اندثار المعبود ذاته في صورة Bêsa تلميذ الكاهن الكبير «شنوتي» Shenuti [14] (ص 288).

«پتاح»

لا يختلف الباحثون في عروبية اسم هذا المعبود[15] الذي اكتسب أهمية خاصة في مجمع الآلهة المصرية بعد ظهور عبادة أوزيريس وأدائه دور القاضي بين «ست» و«حورس» في قصة صراعهما. واسمه يقابل الجذر العربي «فتح» الذي يؤدي إلى جملة الدلالات المقترنة بهذا المعبود[16] وما يقابلها في بقية اللغات العروبية. ويستخلص «ميرسر» من هذا صلة «پتاح» بمادة «فتح» لا سيما أن «پتاح» قام بدور مهم في الشعيرة المصرية القديمة الشهيرة المسماة (فتح الفم)[17]. وخاصة لأن هذه الشعيرة لها ما يقابلها في العالم (السامي) القديم[18]. ثم يضيف: ليس من المستحيل، أو حتى من غير المحتمل، أن أقدم عبدة «پتاح» قد يكونون من (الساميين)[19].

* * *

(14) الصواب، كما نعرفه نحن العرب، «بشاي» و«شنودة»، وليس «بيسا»!

(15) عدا «هولمبرغ» Holemberg في كتابه: The God Ptah الذي أورد كل الصيغ العروبية المقابلة للمصرية «پ ت ح» وأصر، مع هذا، على أن هذا المعبود (مصري) خالص!

(16) أنظر تحليل الاسم في هذه الدراسة.

(17) شعيرة دينية يقال فيها إن «پتاح» يقوم بفتح فم الميت لاطعامه في أثنائها.

(18) مستنداً إلى مقالة Blackman: «The Rite of Opening The Mouth in Ancient Egypt and Babylonia» (شعيرة فتح الفم في مصر القديمة وبابل).

(19) أنظر: Mercer; The Religion of Ancient Egypt, p. 140.

هذه الآلهة المعبودة

والآن . . وقد بلغنا هذا الحدَّ، فإن القارىء صار مهيَّأً، فيما نحسب، لأن يتتبع معنا جملة من (آلهة مصر العربية) وهي «**الغاية**» أساساً من تأليف هذا الكتاب، لنعرف منشأها وطبيعتها حين نعرف معاني أسمائها وصفاتها وألقابها وبواعث هذه الأسماء والصفات والألقاب، ونعيدها إلى عروبتها الأولى. وقبل هذا لابد من التنبيه إلى بعض الملاحظات :

1) حرصنا على الترتيب الهجائي للأسماء المعروضة، بقدر الإمكان، تسهيلاً على القارىء إذا أراد العودة لأي منها. وقد وضعت الباء المهموسة («پ» p) مع الباء المفردة رغم أنها قد تقابل هذه الأخيرة في العربية كما قد تقابل الفاء.

2) قدَّمنا لكل اسم بمقدمة مختصرة، مأخوذة في أغلبها عن «لوركر» (M. Lurker ; The Gods and Symbols of Ancient Egypt) إلا حيث يذكر مرجع غيره.

3) لم نقتصر في العرض والتحليل على أسماء الآلهة الرئيسية، أو المعبودات وحدها ـ وهي كثيرة جداً ـ بل يجد القارىء أيضاً مصطلحات وتعبيرات تتعلق بعالم العبادة والطقوس والأفكار والمعتقدات الدينية، والحكمة والكهانة والأعياد، وتصور الآخرة وعالمها، والحيوانات المقدسة وإن لم تعبد، والأماكن المقدسة، ورموز الشعائر الدينية. . إلخ.

4) يلاحظ القارىء استرسالاً في بعض المواطن أدَّى إليه اتصال الموضوعات واتصال المسائل.

5) لجأنا في الاستشهادات إلى عدد كبير من آيات القرآن الكريم باعتباره أدقَّ نص عربي مسجل، وللمناسبة في بعض الأحيان، وكذلك إلى إيراد شواهد شعرية تأكيداً لما نقول. واستعنا في أحيان أخرى بمقارنة اللغات العروبية القديمة التي كشف عنها، لتقارب الزمان، بالمصرية. وقد نستشهد باللهجات الدارجة، المعاصرة، غير المدوَّنة في معاجم الفصحى، إذ نراها استمراراً للقديم.

6) هناك اختلافات بين العلماء في نقحرة الرموز الهيروغليفية، وقد اتُّبع الأصل في المرجع المنقول عنه كما ورد، ووُضِع المقابل العربي بحروف مقطعة كما هو التقليد المتبع، إلى جانب الحروف

اللاتينية، لكي يتمكن من يرغب في العودة إلى الأصل من العثور على بغيته. كما أثبتنا الترجمة الأجنبية (إنكليزية في الغالب) حرصاً على الأمانة العلمية من جهة وفهماً لروح النص من جهة أخرى، مع الترجمة العربية لفائدة من لا يحسن غيرها.

7) أدى اختلاف قراءات علماء الغرب للرموز الهيروغليفية إلى اختلافات في تفسيرهم لمعانيها (قارن «**أوزيريس**» مثلاً) وهو ما نوقش في موطنه. وفي القلم الهيروغليفي ذاته ثمة اختلافات في كتابة بعض الأسماء، ربما حسب اللهجة ما بين الشمال والجنوب (الدلتا والصعيد) أو بحكم الزمان (قارن اسم المعبود «**ست**» = «س ت»، «س د»، «ش د». . إلخ).

8) ترد في أثناء الشرح والتحليل أسماء صارت مشهورة برسم معين، خاصة في المراجع العربية، منقولة عن النطق اليوناني (من مثل : **إيزيس**، **أوزيريس**، **حورس**، **تحوت**، **أنوبيس**، **نفثوس**، **أمون**. . إلخ) أبقيناها كما هي. أما في الأصل فقد أوردناها كما جاءت في النصوص الهيروغليفية مع النقحرة اللاتينية والعربية (= ا س ت، إ ز ر، ح ر. . إلخ).

9) في أغلب المراجع الأوروبية يلجأ الباحث إلى تحريك ما ينقله من الرموز الهيروغليفية إلى الحرف اللاتيني إلى حركات مفترضة تسهيلاً للنطق. فيكتب مثلاً : neter, Imen, qerer . ولا يوجد حركات (أو صوائت) vowels في الهيروغليفية بل هي حروف ساكنة (صوامت) Consonants كالعربية، ولذا تطابق العربية في مثل : «ن ت ر»، «ق ر ر»، «إ م ن». ولا يمكن معرفة النطق المصري القديم بشكل صحيح اللهم إلا افتراضاً أو ربما مقارناً بالعربية وأخواتها.

* * *

بعد هذه. . فلمنض على بركة الله.

إت م Atem

معبود مدينة هليوبوليس (عين شمس) الخالق. كان تجسيداً للهيولى الأولى التي صدرت عنها سائر المخلوقات، وكان «هو الذي وُجد من نفسه». وقبل أن تُفتق (تفصل) السماء والأرض كان «رب الجميع». يظهر في (نصوص الأهرام) باعتباره «التل الأول» (أو: الهضبة الأولى) - وحسب موجوداً في صورة جُعَل يخرج من كرة من الطين. وفي (كتاب الموتى) يخاطب «إتم» «أوزيريس» عن نهاية العالم ويعلن أنه سوف يدمّر كل ما خلق ويحيل نفسه من جديد إلى حيّة - كما بدأ. وفي (نصوص الأهرام) أيضاً حمل «إتم» من ذاته، وولد «شو» أي الهواء (جوّ) و«تفنت» أي البلل والرطوبة (تفلة).

يترجم اسم «إت م»، وأحياناً «ت م»، في الانكليزية إلى .The Complete, The Absolute, The Accomplished one, The Perfect (المتمم، المطلق، التام، الكامل) وإليه تنسب صفات القدم The Oldest (الأقدم) والوحدانية The Only One وأنه رب الجميع Lord of all .

والوصف العربي الذي يقابل اسم هذا المعبود لفظاً ومعنىً هو «التامُّ» (= ت م) والأتمُّ (إت م).. أي المطلق التمام والكمال.

إت ن Aten

يمثل «إتن» الشمس باعتبارها جرماً سماويًّا، ثم اعتبر قرص الشمس المرئي تجلياً للآله «رع»، وقيل عن رب الشمس: «جسمه إتن». كان «إتن» الشمس ذاتها. وقد رفع امنحتب الرابع الذي بدّل اسمه إلى «أخ. ن. إتن» (أخناتون) - رفع «إتن» إلى مرتبة الآله الأوحد ونقّى صورته من الأساطير. وفي الخمس السنوات الأولى من عهده كان «إتن» لا يزال يمثل بشكل بشري له رأس صقر، ثم لم يبق إلا قرص الشمس تنتهي أشعتها بأيدٍ ممسكة بعلامة «عنخ» (الحياة).

يكتب اسم هذا المعبود في الهيروغليفية أحياناً كاملاً وقد يكتفي بالرمز له بصورة قرص الشمس، دائرة تتوسطها نقطة ⊙ .

وقد ورد في (لسان العرب) تحت مادة «أتن» قوله :

«الأتُّون - بالتشديد - الموقد. والعامة تخففه. والجمع : الأتاتين. ويقال : هو مولَّد. قال ابن خالويه : الأَتون مخفّف من الأَتُّون وهو أخدود الجيَّار والجصَّاص وأتون الحمّام. قال : ولا أحسبه عربيًّا، وجمعه : أُتُن. قال الفرَّاء : هي الأتاتين».

الأتون، أو **الأتُّون**، إذن هو الموقد - أخدود الجيَّار والجصَّاص - حيث تتقد النار اللاهبة - وأتون الحمّام المشتعل. وهذا أشبه شيء بالشمس ناراً ولهباً واتّقاداً. وقول ابن خالويه «لا أحسبه عربيًّا» راجع بالطبع إلى عدم معرفته بالعروبية المصرية. ولعل الكلمة من المهات كما يحدث غالب الأحيان لقدمها، ولكن يكفي استعمالها من قبل العامة والخاصة دليلاً على وجودها وإن أنكرها بعضهم. فقد روي عن عمر بن الخطاب أنه قرأ قوله تعالى «وَفَاكِهَةً وَأَبًّا» وقال : فما الأب ؟ ثم قال : ما كلفنا وما أمرنا بهذا. (لسان العرب، مادة : أبب). فإذا كان ما نسب إلى ابن الخطاب صحيحاً فهو باعث على العجب فعلاً ؛ إذ لم يجد بقية العرب عسراً في فهم هذه «الأبّ»، ومن المستبعد أن يأتي في القرآن الكريم ألفاظ لا يفقهها العرب المعنيون بالرسالة والخطاب، خاصة في آياته الأولى. فالسبب إذن في حيرة عمر يرجع إلى عدم معرفته هو للكلمة التي ثبت من الآثار المكتشفة للغات العروبية الأخرى، كالأكادية والكنعانية ونحوهما، أن «الأب» يعني ما نزل به القرآن (أي ما أنبتت الأرض من كلأ ومرعى) رغم تطور اللفظ والدلالة.

من جهة أخرى يقارن «كوهن» (Cohen ; Essai Comp. p. 194) بين «**إتن**» المصرية وما في اللهجة الجبايلية «**أتْرى**» atri والصومالية «**إتْري**» itri (ومعناهما : نجوم) بتعاقب النون والراء[20]. فإذا قبلنا هذا التعاقب فإن رأي «إمبير» (Ember ; 2. A. 21) أقرب إلى الصواب ؛ فهو يرجع «**إتن**» إلى مادة «**أطر**» العربية التي تفيد الاستدارة والتدوير. ورد في (لسان العرب) تحت هذه المادة :

«أطَّره فتأطَّر : عطفه فانثنى كالعود تراه مستديراً إذا جمعت أطرافه. أطر القوس : منحناه. تأطَّر بالمكان : تحبَّس. وكلُّ ما أحاط بشيء فهو له أطرة وإطار. أطّره : عمل له إطاراً. وإطار البيت كالمنطقة حوله. والاطار : الحلقة من الناس لاحاطتهم بما حلقوا به. قال بشر بن أبي حازم :

وحلّ الحيَّ، حيَّ بني سبيع * قراضبةٌ ونحن لهم إطار

أي : ونحن محدقون بهم».

وهذا هو قرص الشمس في استدارته المعروفة.. أو **إطارها**.

في الأكادية - على كل حال - توجد كلمة «**أتو**» atū ومعناها : الرقيب، المراقب، الراعي. وتعبير «**أتو رابو**» atū rābu = الرقيب الكبير. وقد تكون «**أتن**» المصرية ذات صلة بالأكادية «**أتو**» باعتبار الشمس رقيباً وعيناً رائية، وراعياً (قارن مادة «رع» في هذه الدراسة).

---

(20) هذا رأي «كوهن». نحن نكافىء الجبايلية والصومالية بالعربية : «ثُرَيَّا». وتنطق في اللهجة «تْرَيَّا» Trayya، وتطلق على مجموعة المصابيح الصغيرة معلقةً في السقف تشبه النجوم.

تبقى إيماءة إلى معنى اسم «أخناتون» الذي أعلن دعوة توحيد الآلهة وعبادة إله واحد ممثلاً في الشمس. فهو مكوّن من ثلاثة مقاطع: «أخ. ن. إت ن». وقد بيّنا عروبة «إتن». أما حرف النون بينها وبين كلمة «أخ» فهي أداة الاضافة في المصرية، وهي نفسها أداة الاضافة في الليبية القديمة وابنتها الجبالية الحديثة. وتبقى الكلمة الأولى في الاسم الشهير: «أخ».

يفيد الجذر «أخ» في معاجم اللغة المصرية (أنظر: بدج، غاردنر، فولكنر) معانٍ ما بين: العظمة، المجد، البريق والسطوع، والفخر، والنفع، والامتياز، والقوة والسيطرة. بل تطلق على «الروح» باعتبارها حائزة لهذه الصفات. ومن الطبيعي أن هذه المعاني التي ذكرت كان ينبغي أن يتصف بها الفرعون إذ هو ذاته المعبود، أو على الأقل تجسيد للمعبود الذي يرمز له بالشمس. فهو الـ«أخ» بذاته تجمعت فيه سائر الصفات الكمالية. وعلى هذا الأساس ترجم الأستاذ «بدج» لقب «امنحتب الرابع» بأنه يعني «مجد أتن» Glory of Aten مرة وبأنه يعني «روح إتن» Spirit of Aten مرة أخرى. والترجمتان مقبولتان على كل حال.

فما الذي يقابل كلمة «أخ» في اللغات العروبية الأخرى؟ وهل تفيد نفس الدلالة كما في المصرية؟

قبل الاجابة عن هذا السؤال تنبغي الاشارة إلى أن كلمة «أخ» في المصرية تفيد كذلك جملة من المعاني متصلة بالنبات، وسيظهر بيان هذا بعد قليل. ففي معجم «فولكنر» نجده يترجمها (دغلٌ أو أجمةٌ من نبات البردي) (مؤنثة: «أخ. ت). وفي معجم «بدج» يؤدي الجذر «أخ» إلى «أ خ ى»: غاب، قصب، نبات مائي. و: «أ خ خ» = يخضرُّ، يظهر النبت شطأه، يبرعم. و: «أ خ خ و» = براعم، زهور. (وهو يوردها كذلك بكسر الهمزة: إخ ـ وما يشتق منها).. إلخ.

في الأكادية نجد ما يلي:

أُخو: ضرب من النبات.

أُخو: شقيق، صديق، جار، رفيق/حمى، يحمى/يحيط.

أَخو: جانب (شِق)/ضفة (ماء)، شاطىء.

(Arnolt ; a Concise Dictionary of Assyrian Language)

وفي الكنعانية:

أخ: شقيق

أخ: حرج، خميلة.

(فريحة؛ ملاحم وأساطير ـ Gordon ; Ug. Handbook).

ونلاحظ في الاكادية ألفاظاً قريبة من مثل:

خُو: مجيد، ماجد.

أَكو: تاج.

وكذلك في نفس اللغة :

كَو : نبات مائي .

أكّو : عظيم .

إكّو : روح .

. (Syce ; Elementary Grammar)

ويذكر «غوردون» أن المقطع «أخ» يدخل ضمن أسماء كنعانية من مثل ahtmlk و ahqm (أخ . ت ملك) . كما يمكننا أن نلحظ هذا المقطع في اسم توراتي هو «**أخ - أب**» الذي صار «آخاب» تارة و«آهاب» تارة أخرى . (ويبدو أن لهذا الاسم صلة بالاسم المستعمل حديثاً : **إيهاب**) .

المهم في ما سبق كله أن الجذر «أخ» متصل بمعاني : النبات والقوة ، وبالمعنى العام من «الأُخُوَّة» أي الولادة من والدين أو من أحدهما ، كما أنه متصل بالماء والخضرة أيضاً - في اللغات العروبية .

لنعد إلى العربية ونقارن بينها وبين ما سبق . ونمضي - طبعاً - إلى الجذر «أخا» فلعل فيه بغيتنا . يقول (اللسان) :

«الأخ من النسب معروف . وقد يكون الصديق والصاحب . (قارن الأكادية والكنعانية) والأَخَا ، مقصور ، والأَخْو لغتان فيه . . . الجوهري : الأَخُ أصله : أَخَوٌ بالتحريك . . . وقال بعضهم : الأَخُ كان في الأصل : أَخْوٌ . . وكذلك الأبُ كان في الأصل : أَبْوٌ . (قارن اختلاف النطق في اللغات العروبية) . . . وتقول : آخيته ، مؤاخاةً وإخاءً ، ولغة طي : واخيته ، مواخاة (إبدال بين الهمزة والواو . ولك بالطبع أن تقارن اللهجات العربية الحديثة : خُو ، خُوِيْ ، خُويَا/خَيْ ، خَيِّ)» .

هذا كله فيما يتعلق بالمعنى الشائع من كلمة «أخ» ، وقد استفدنا أنها تعني الشقيق كما تعني الصديق والصاحب . ولكن أين معنى العظمة والجلال والنفع والافادة والامتياز ؟ وأين معنى النبات الذي وجدناه في اللغات العروبية الأخرى ؟

في مادة «أخا» أيضاً يقول ابن منظور :

«الأَخِيَة والأَخِيَّه والآخِيَة : واحدة الأواخي ؛ **عود** يعرض في الحائط ويدفن طرفاه فيه ويعيد وسطه **كالعروة تُشدّ** إليه الدابّة . . . والأخيَّة : **الطُّنب** ، والأخيّة أيضاً : **الحرمة والذمة** ، تقول : لفلان أواخيُّ وأسباب تُرعى . وفي حديث عمر أنه قال للعباس : أنت آخيّة آباء رسول الله . . . كأنه أراد : أنت الذي **يُسْتَنَدُ** إليه من **أهل** رسول الله ﷺ **ويُتَمَسَّك به**» .

من هذا النص يمكننا الوصول إلى جملة مفهومات : أولها أن الأخية «عود» ، والعود نبت ، أو هو جزء من نبت ساقاً كان أو فرعاً . وثانيها أنها «عروة» و«طنب» أي وثاق ، يوثق به . وهذا يؤدي

إلى ثالثها وهو معنى الحرمة والذمة، كمثل معنى الصاحب والصديق والجار ونحوهم. ورابعها أنها شيء «يستند» إليه، و«يتمسك» به. وفى كل هذا معنى العظمة والجلال، والا لما وردت عند الحديث عن الرسول الكريم الجليل وآبائه الأماجد. وهذا كله من الجذر «أخا» الذي أدى إلى «أخ» من النسب معروف، كما عبر ابن منظور.

ونحن نعرف أن الدلالة تنتقل من المحسوس إلى المجرد، وهذا ما يحدث في جميع الأحوال بدون استثناء. ومن هنا كان انتقال دلالة الجذر «أخا» من العود ـ وقد يكون: النبت ـ في الأصل ـ إلى ما رأينا، ومنها «الأخ» الشقيق، الذي هو الصديق والصاحب والحرمة والذمة والمستند إليه في الشدائد ومن يوثق به في الأصل.

نضيف هنا ملاحظة علها تبين المقصود؛ إذ من الملاحظ أن الألفاظ التي تشير إلى معاني القوة في اللغات العروبية ترجع إلى أسماء تطلق أصلاً على النبات، ونكتفي هنا بكلمة «أب» مادمنا نتحدث عن «الأخ»؛ فالأب، الذي هو الوالد، جاءت تسميته أصلاً من «الأبّ» الذي هو النبات كلأً كان أو أيًّا من دلالاته المختلفة التي لا تتعدى النبات. ومعنى «الأب» أصلاً: القوي، المتحكم، المسيطر... شأن رب العائلة وسيدها[21]؛ ففي المصرية يُدعى أيضاً «أت» At ومعناها الأصلي: غلب، قهر (قارن مادة «أتت» في «لسان العرب»). ثم انصرفت دلالة «الأب» إلى «الوالد». ولعل هذا هو ما حسب ترادفاً بين «الأب» و«الوالد» وهما أساساً مختلفا الدلالة.

فإذا قلنا بعد هذا إنّ الجذر «أخ» في المصرية وبقية اللغات العروبية، بما فيها العربية، يفيد القوة والجلال والعظمة كنا على صواب. فلنؤكد ما ذهبنا إليه بما عرف عند قبائل «الهكسوس» العروبية وعرب «النبط». فقد كان ملوك «الهكسوس» في أثناء وجودهم في مصر **يُدْعَوْن الملوك «الاخوة»** (جمع «أخ») وتترجم إلى الانكليزية عادةً Brothers (أنظر: تاريخ مانيثو (Waddell ; Ma-netho. وهذه ترجمة غير دقيقة من جانب النظرة السياسية؛ إذ لما كان «الهكسوس» قبائل عروبية، وفي بعض الأقوال عربية، فإنهم استعملوا كلمة «أخ» بمدلولها السياسي الحكمي، إذ هي تعني «الحاكم» أو «الملك» أو ما يقوم مقامهما، ولا تعني الأخ الشقيق. والدليل على ما نقول ما يذكره «سترابون» (Strabo ; The Geography) من أن عرب النبط (النبطيين) **كان لهم ملك ينوب عنه نائب يدعى «الأخ»**، وهو الحاكم الفعلي أو التنفيذي. ولعل الملك ذا السلطة الأسمية هو «**الأب**» عندهم باعتباره حاكماً أعلى يستمد منه «الأخ» (نائبه) السلطة التنفيذية. وقد يكون من المفيد هنا الاشارة إلى دلالة كلمتي «أخ» «أب» على الملكية والحيازة في اللغة العربية؛ فنحن نقول: فلان **أخو فضل**، وهو **أخو كرم**، و**أخو رفعة**، و**أخو عزة**... إلخ. ولا تدخل «أخ/أخو» في الأسماء المركبة حديثاً كما فعلت في الكنعانية مثلاً، لكن «أب/أبو» تدخل فيها، فما أكثر ما نسمّي: **أبو المجد**، **أبو العز**، **أبو الخير**، **أبو الفضل**، **أبو الفخر**... إلخ. وتتحول النسبة في بعض الأقطار إلى «بن/ابن» وتدغم كما يحدث في اللهجة الليبية: بنور (= بنْ النور)، بلْخير (= بن الخير). ولو مضينا في هذا السبيل ما انتهينا، والأمر يحتاج لدراسة خاصة ليس هذا مجالها.

(21) لايزال الأب يُنَادَى في بعض أنحاء ليبيا: سيدي (= سيِّدي) كما يدعى العم كذلك، وهو من «السيادة».

إذا التفتنا إلى ما ورد في القرآن الكريم نجد «أخ» بضمائر مختلفة مفردة وجمعاً بمعنى الشقيق، ومؤنثها «أخت» وجمعها. كما أن هارون كان «**أخاً**» لموسى ووزيراً له. ولكن ما يثير الاهتمام حديث القرآن عن أن الله أرسل إلى عادٍ «**أخاهم**» هوداً، وإلى ثمود «**أخاهم**» صالحاً، وإلى مدين «**أخاهم**» شعيباً (أنظر سور: الأحقاف، الأعراف، هود، النمل، العنكبوت). وورد في سورة (الشعراء): «**أخوهم**» نوح، و«**أخوهم**» هود، و«**أخوهم**» صالح، و«**أخوهم**» لوط.

فإذا كنا ندرك «أُخُوَّة» موسى وهارون باعتبارهما من أب واحد، وبقية المشتقات الواردة في آيات كثيرة بالمعنى ذاته أو بمعنى الصحبة[22]، فإن «أُخُوَّة» نوح وهود وصالح وشعيب ولوط للقوم الكافرين محلّ نظر. صحيح أن هذه «الأُخوّة» فسرت باعتبار هؤلاء الأنبياء يخاطبون قومهم، فهم متصلون قوميا، ولكن دلالـة «الأُخـوَّة» تشـير إلى الموافقة والمساندة وليس إلى الخلاف والتناقض والتعارض شأن الأنبياء مع الكفار. وقد نجرؤ على القول هنا إن هؤلاء الرسل دعي كل منهم «أخاً» لقومه إشارة إلى مكانته الرفيعة بينهم، بحكم الواقع، شيخاً أو رئيس جماعة، فهو «أخ» لهم، أو بحكم اتصاله بالوحي الآلهي وامتيازه عن بقية الجماعة (لاحظ أن كلمة «**نبي**» جذرها «**نبا**» أي ارتفع وسما، وفي الأكادية: نابو = رفيع، عالٍ، إلّه، ربّ.. إلخ. وفي المصرية: «**ن ب**» = سيِّد، ربٌّ). وقد يرجح ما ذهبنا إليه أنه ما من رسول آخر ذكر في القرآن الكريم باعتباره «أخاً» لقومهم سوى هؤلاء الخمسة من الرسل. ولنلاحظ أن ثلاثة منهم كانوا عرباً (هود، صالح، شعيب) شيوخ قبائل في الغالب، سادة قومهم، كما كان لوط شيخ قبيلة أيضاً، أما نوح فقد ظهر في ما بين النهرين، على أغلب الأقوال، والهجرات العربية إلى تلك المنطقة معروفة منذ أقدم الأزمنة. وعلى كل حال فإن من اللافت للنظر فعلاً أن يدعى الرسول أو النبي «**أخاً**» ـ مهما كانت الدلالة ـ ففيه معنى النورانية، والروحية، مما يفسر تسمية «النور» و«الروح» في المصرية «**أخ**» كما سبقت الاشارة.

نخلص مما سبق إلى القول بأن اسم «أخناتون» يتكون من:

أخ: حاكم، سلطان، قوة، عِزّة، إلخ/«الأخ». الجذر: «أخا».
ن: أداة الاضافة.
أتن: الشمس/«الأتون»

فهو: قوة الشمس، أو روحها، أو ما شئت من دلالات سبقت إليها الاشارة. أو هو «الحاكم (بأمر) الشمس».. تماماً كما كان «الحاكم بأمر الله»[23].

(22) لاحظ أن كلمة «صاحب» تستعمل في الأوردية والسواحلية بمعنى «سيد».
(23) اسم «الله» ذاته يعود إلى معنى النور. في العروبيات الأخرى: «إل». وجذرها «ألل» = سطع بالنور، وشعَّ، وأضاء. جاء في مادة «ألل» من (اللسان): والإلّ: الله عز وجل، بالكسر». وفي مادة «أله»: «الآلَه: الله عز وجل، وكل ما اتُّخذ من دونه معبوداً إلّه عند متخذه. والجمع: آلهة... والالاهة (= الآلهة): الشمس».

إ س ف ت isf-t

كان على عُبَّاد «أوزيريس» لكي يحظوا بالبعث والخلود أن يعيشوا حياةً مستقيمة ذات خلق كريم، فلا يكذبوا ولا يغشوا ولا يفخروا بشيء. وكان عليهم أن يراعوا نواميس الآلهة وأن يتجنبوا كبائر الاثم والفواحش ما ظهر منها وما بطن. وهو ما يسمى على الجملة «إ س ف ت» isft.

(Budge ; The Dwellers, p. 228).

يترجم «بدج» كلمة «إ س ف ت» (التي تكتب بصور متنوعة. أنظر «غاردنر» Eg. Gr., p. 555) بأنها تعني: ذنب، إثم sin [24]. ويترجمها «غاردنر» على أساس أنها تعني: الشر evil أو الخطيئة (Wrongdoing).

في العربية لدينا الجذر «أسف» وأهم دلالاته: الحزن والغضب، والدارج الآن: النَّدم. ولا يكون الحزن والغضب، والندم، إلا من خطأ أو شر ارتكب. وقد جاء في القرآن الكريم:

وكان هذا قول يعقوب غضباً من أبنائه. كما جاء:

﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً﴾. طه/86.
﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً﴾. الأعراف/150.

وهاتان الآيتان تتحدثان عن غضب موسى وحزنه لمخالفة بني اسرائيل أمره وانحرافهم عن الدين القويم بُعيد أن تركهم.

وورد:

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً﴾ الكهف/6.

وفي آية كريمة تتحدث عن رسالة موسى إلى فرعون وملأه جاء:

﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ. فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾. الزخرف/55-56.

(24) يترجم «بدج» في معجمه (صفحة 89) كلمة «إ س ف ت» إلى: خطأ، إثم، خطيئة، ذنب، جريمة، شر، عسف. (قارن: (عسف/ أسف).

وقد اتفق معظم المفسرين على تفسير كلمة «**آسفونا**» بأنها تعني «أغضبونا». ولا جدال في أن هذا «الإيساف» أو «الأسْف»، بسكون السين، كان باتباع الكفر الذي هو أكبر الذنب. وهذا معناه ارتكاب الاثم والبعد عن الفضيلة والحق والخير.

على أن من معنى «الأسَف» في العربية كذلك: اللهفة والجزع والذُّل. وهذه كلها من سمات المذنبين الخطاة في جميع الأديان. فإن كان الأمر كذلك فإن «**إ س ف ت**» المصرية هي «**أسف**» العربية مؤنثة (أسفة واحدة = غضبة واحدة). ونستطيع القول إنها تساوي «الأسفة» الواحدة أي الذنب الواحد.

وفي المصرية يأتي اسم الفاعل في صورة «إ س ف ت ي» isfty نسبة إلى «إ س ف ت»، فهو «الأسْفَتِيُّ» (نسبة إلى «أسْفة») أي «الآسف»، ذلك الذي «يُؤسِف» بأن يخطىء ويذنب، ثم «يأسَف» لما فعل ندماً، أو من بعد العقاب الرادع.

هذا هو «الأسف» (أو: «إ س ف ت») بعد أن تطورت الدلالة. بيد أنه لا تفوتنا الاشارة إلى الجذر «**إ س ف**» isf في المصرية الذي يبدو أن «**أ س ف ت**» تطورت عنه. ويترجمه «بدج» (المعجم، صفحة 89) بمعنى: **قطع** ـ (to cut off). فإن لم تكن هذه «**سَيَفَ**» العربية (ومنها: سَيْفٌ، سيَّاف) فإننا نلمح في الجذر «**أسَفَ**» بعض الدلالة على «**القطع**» يبدو أنها غابت بتطور المعنى عبر العصور.

أورد ابن منظور في (اللسان):

«قال الأعشى رحمه الله تعالى:

أرى رجلاً منهم أسيفاً كأنما ✽ يضم إلى كشحيه كفّاً مخضَّبا

يقول: كأن يده **قُطعت** فاختضبت بدمها. ويقال لموت الفجأة: أخذته **أسفةٌ**. وقال المبرد في قول الأعشي: أرى رجلاً منهم أسيفاً: هو من **التأسف لقطع يده**، وقيل: هو أسير قد غُلَّت يده **فجرح الغُلُّ** يده».

فإذا نظرنا إلى «الجرح» و«القطع» و«الأسفة» في هذا المقام وجدناها متصلةً بعضها ببعض. ومن رأينا أن تسمية الموت فجأة بكلمة «أسْفة» ذات دلالة؛ فإن الموت فجأةً (فَجَأَ = قَطَعَ) يعني «القطع» على حين غرة. وقد ورد: «موت الفَجْأة راحة للمؤمن وأخذة أسف للكافر... وفي حديث النخعي: إنهم كانوا يكرهون أخذةً كأخذة الأسف» (أي القطع)[25].

وقد رأينا أن «**إ س ف**» تعني «**قطع**»، ومنها «**إ س ف ت**»: شر، خطأ، جريمة. والفاعل «**إ س ف ت ى**» والجمع «**إ س ف ت ى و**» (ياء النسبة + واو الجماعة، بعد تاء التأنيث).

أنظر إلى «جريمة»، «مجرم»، فإن جذرها «جَرَمَ» أي: قطع. وكذلك: «خطأ»،

(25) في لهجة عرب ليبيا يقال: يا فْجيوْتي! أي: يا أسفي! (يا فجيعتي!). (قارن: فَجَأَ، فَجَعَ = شق، قطع).

«خطيئة»، «خاطىء»، «مخطىء» ـ جذرها الثنائي «خط» ويعني : شق، قطع. و«شرّ»، «شرّير»، «أشرار» من «شرر» وفي معناها أيضاً : القطع والقدّ.

بهذا تقابل «إ س ف» المصرية أختها العربية «أسَفَ» ليس بعد تطور الدلالة فحسب، بل حتى في المعنى الأولي الحسي أيضاً.

أش ash, ash-t

معبود ليبي الأصل كما يرى بعض الباحثين (أنظر : (Wainwright ; The Sky Religion, pp. 10 – 13). وقد ظهر «أش» aš على الألواح المصرية منذ الأسرة الثانية وبرز بروزاً كبيراً في الأسرة الخامسة، أما في الأسرة الثانية والعشرين (الليبية) فقد سيطرت عبادته خاصةً في الواحات.

كان «أش» يقرن بالمعبود «ست» في الأسطورة المصرية، وهذا راجع إلى الصلة الوثيقة بين جنوب مصر الذي ظهرت فيه عبادة «ست» وواحات الصحراء التي شاعت فيها عبادة «أش». وهو يُمثّل أحياناً برمز «ست» (حيوان ذئبي الشكل) للصلة الوثقى بين المعبودين، ويعتبر أحد رموز الموت[26].

يلقب هذا المعبود عند المصريين القدماء بلقب «ن ب. ط ح ن و» N b. Tḥ n w (رب [شعب] الطحنو). ويترجمها «شيرني» (Cerny ; Ancient Eg. Religion) : «سيد الطحنو» (Lord of Tjeḥenu). أما «وينرايت» Wainwright فيترجمها : «سيد ليبيا» (Lord of Libya) ـ توحيداً منه بين «الطحنو» و«الليبيين».

وقد ارتبطت عبادة «أش» بمفهوم الصحراء القفر، تلك الرمال الجرداء غير ذات الحياة التي لا نبت فيها ولا ماء. وما من شك في أن صلته الأسطورية بـ«ست» ذات دلالة لها مغزاها هنا. فـ«ست» هو رب النار، إله الجحيم المحتدم وألسنة اللهب المضطرمة وكل ما يمثله «الشيطان» في هذا المجال. و«أش» رب الرماد، بقايا النيران ومخلّفاتها ممثلاً في الصحراء التي تشبه الرماد في انعدام الحياة (ولا ننس هنا أن «أوزيريس» عدوّ «ست» وعدوّ «أش» هو رب الزرع والخضرة والنماء). ومن هنا جاء ارتباط «أش» بالرماد، وعلاقته بالموت، أو الموات (قارن : الأرض الميتة، الأرض الموات = الصحراء)، كما جاء ارتباطه أيضاً بالقبور.

---

(26) أنظر لمزيد من المعلومات : Wainwright ; The sky Religion, PP. 10 – 13 . Griffith ; The origion of Osiris, p. 42–3, 90, 141.

في العربية هناك كلمة تعني «الرماد» وتقابل اسم معبود الصحراء ولكن تنبغي الاشارة إلى مسألة الابدال التي تتكرر كثيراً ما بين حرفي السين والشين. وقد أوضح «غْرِفْثْ» Griffith هذا الأمر في كتابه (The Origion of Osiris, p. 142) استناداً إلى «غاردنر» (Eg. Gr.) الذيَ يقول إن حرف الشين في المصرية يتحول إلى سين في اليونانية وضرب لهذا مثلاً Arsaphes في اليونانية التي هي في المصرية «ح ر ـ ش. ف» ḥ r. š.f . كما يتعاقب السين والشين كثيراً في المصرية ذاتها. ولم يضرب «غاردنر» مثلاً من العربية. . . وإن كان القارىء يدرك كثرة الابدال في العربية نفسها فما بالك بينها وبين المصرية ؟

إن الكلمة التي تعني «رماد» وتقابل اسم المعبود «أش» ـ وسوف تقابلنا بعد قليل ثلاث مرات ـ هي «آس». وقد تسأل: ما «الآس» ؟ فيجيبك ابن منظور:

«الآسُ: بقية الرماد بين الأثافي في الموقد. قال:

فلم يَبْقَ إلا آل خيمٍ منضَّدٍ * وسُفْعٌ على آسٍ ونُؤْيٌ مُعَثْلَبُ[27].

وقال الأصمعي: الآسُ: آثار النار وما يعرف من علاماتها».

هذا هو «الآسُ» (= الرماد) وهو في المصرية «أش» aš (إله الرماد).

في التصاوير الهيروغليفية يصور المعبود «أش» أحياناً بالحيوان الذي يرمز إلى المعبود «ست» ذي الصلة به. وهو حيوان غريب فعلاً لم يتفق الباحثون على فصيلته بعد، وأكثر ما اتفقوا عليه في جملتهم أنه كلبي الشكل أوذئبيُّه. فإن كان نوعاً من الذئاب انقرض (حسب افتراض «بدج») ـ لكثرة ما صِيدَ) فلا بد أن يكون له اسم يدل عليه.

مرة أخرى نعود إلى العربية ونقارن. أفليس من المقبول أن يكون اسم الحيوان قريباً من اسم المعبود الذي يمثله ؟ هذا هو واقع الحال في جميع الحيوانات الرامزة إلى المعبودات المختلفة في المصرية. فينبغي إذن ألَّا يكون «أش» استثناءً. **فما هو هذا الاسم الذي يطلق على هذا الحيوان الذئبي ممثل «أش» ؟**

إنه «أوس». هذا هو الاسم المطابق تماماً:

«الأَوْسُ: الذئب، وبه سُمِّيَ الرجل. ابن سيده:

وأوسٌ: الذئب ـ معرَّفة. قال:

لما لقينا بالفلاة أَوْسا
لم أَدْعُ إلا أسهماً وقوسا
وما عدمت جرأةً وكَيْسا
ولا دعوت عامراً وعَبْسا

(27) معنى البيت أنه لم يبق من الأحبَّة سوى عُمُدٍ (آل) الخيام منضَّدةً (وقد ذهبت الخيام نفسها) ورمل محروق أسود (سفْع) فوق رماد (آس) وحاجز محفور مجرىً للماء حول الخيام (نؤي) مهدَّم (معثلب).

أصبت فيهم نجدةً وأنسا

أبو عبيد : يقال للذئب : هذا **أوسٌ عادياً**، وأنشد :

كما خامرت في حضنها أم عامرٍ * لدى الحبل حتى غال **أوسٌ** عيالها

وأويس : اسم الذئب جاء مصغَّراً مثل (الكميت) و(اللجين). قال الهذلي :

يا ليت شعري عنك والأمرُ أَمَمْ * ما فعل اليومَ **أويسٌ** في الغَنَمْ ؟

. . . وقال أسماء بن خارجة :

في كل يوم من ذؤالـهْ * ضغـثٌ يزيـد علـى إبالـهْ
فلأحشـأنّـك مِـشْـقَـصاً * **أوساً، أويسُ**، من الهبالهْ»

(لسان العرب ؛ مادة : أوس)

وما يثيرنا في هذا الاقتباس أن يصر «ابن سيده» على أن «**أوس**» **معرفة بذاتها**، أي لا ضرورة لدخول أداة التعريف عليها. فكأنما هي هنا **تقابل** «**أش**» **المعرفة بذاتها والتي لا تدخل عليها** أداة التعريف كذلك، كما لا تدخل على «ست» أو «أوزيريس» وغيرهما من الأرباب في مصر القديمة. ويشد انتباهنا أيضاً أن «أوس» (ويصغر : أويس) يسمى به الرجل. ومن المعروف جداً أن المصريين القدماء ـ والفراعنة خاصة ـ كانوا يتسمَّون بأسماء المعبودات دون حرج.

هذا إذن وجه آخر من مقابلة المعبود «**أش**» في صورته الحيوانية الذئبية : «**أوس**».

وفي الأسطورة المصرية أن الطائر المسمى «**ب ن و**» b n w (أنظر هذه المادة في هذه الدراسة) خلق نفسه بنفسه ووجد من «**رماد**» النار المشتعلة أعلى شجرة يُسميها «**بدج**» : شجرة «**البيرسي**» أو «**البيرسيا**» Persea المقدسة في (عين شمس) Heliopolis . ولم يكن «**ب ن و**» يمثل ولادة الشمس كل يوم من جديد فحسب بل كان منذ أوائل عصر الأسرات رمزاً لبعث البشر ؛ إذ كان المعتقد أن «جسد» الانسان الروحي ينبثق من جسده المادي الميت، كما أن لشمس اليوم الحية أصلها في شمس الأمس الميتة. (Budge ; The Gods of The Egyptians, ii, p. 371) وهذا هو طائر «**الفونيكس**» Phoenix (= «**ب ن و/ ب ي ن و**») اليوناني الذي ينتفض حياً بعد احتراقه منبثقاً من «**رماد الموت**» ليحيا من جديد.

لعل القارىء كوَّن صورةً عن الموت والبعث من الرماد. فما صلة المعبود «**أش**» بهذا ؟

عرفنا صلته بالرماد (أش = آس). هذا واضح الآن فما له ولشجرة «البرسيا» Persea يا ترى ؟

ولا أكتمـك. لقـد بحثت عن معنى لاسم هذه الشجرة في المعاجم الانكليزية ـ العربية (كالمورد والقاموس العصري) فلم أعثر لها على أثر. لجأت إلى (The Concice Ox. Dict.) وكذلك (Webster New World Dict.) فإذا بهما يتجاهلانها تماماً. أخيراً وجدتها في (The Universal Oxford

Dict.) وهو يقول عنها : كلمة «دخلت اللغة الانكليزية سنة 1601م . وهي من اليونانية Persia . في الأساطير القديمة : شجرة مثمرة مقدَّسة في مصر وفارس» .

هذه الشجرة المثمرة المقدسة عرفت في مصر. هذا واضح . وهي اشتهرت في «فارس» (إيران الآن) وجليٌّ أن اسمها في اليونانية Persia (Persea) ـ وعنها أخذت الانكليزية ـ هو اسم «**فارس**» ، وقد نقابلها بـ«الفارسيَّة» نسبة إلى «فارس» .

فليكن . فما اسم هذه الشجرة المباركة في اللغة المصرية القديمة ؟

في معجم «بدج» (An Eg. Hier. Dict., p. 10)

نـقــرأ :

«ء ش ء ش ت» **a š a š t** : زهرة .

ونـرى أن التـاء في آخـرها للتأنيث ، وأن «**ء ش ء ش**» ليست سوى مضاعفة «**ء ش**» (= زهر)[28] . وهذا ما يقابل «**آس**» في العربية بمعنى «زهر» أو بالتحديد : «ريحان» .

«قال ابن دريد : **الآس** هذا المشموم أحسبه دخيلاً غير أن العرب قد تكلمت به وجاء في الشعر الفصيح . قال الهذلي :

بِمُشْمَخِـرٍّ له الظُّيَّـان والآس

والظَّيَّان : نبتٌ باليمن يدبغ بورقه» . (اللسان ، مادة : أوس) .

وفي نفس معجم «بدج» (صفحة 92) نجد :

«إ ش ت» **i š t** شجرة البيرسيا **Persea** .

والتاء هنا للتأنيث ، و«**إ ش**» iš هي ذاتها «**آس**» في العربية أيضاً ، مما سنذكره بعد قليل . وقد سوَّى «بدج» (نفس المصدر، وقارن كتابه : The Gods of The Egyptians, ii, p. 61) بين «**إ ش ت**» **i š t** و«**إ ش د**» **i š d** التي وردت في بعض النصوص المصرية . فهل تحولت تاء التأنيث في «**إ ش . ت**» إلى دال (**إ ش . د**) لقرب مخرج الصوت ؟ هذا ما نرجحه ، وبذا يكون الأصل هو «**إ ش**» اسم هذه الشجرة المقدسة .

لقد بيَّنَّا العلاقة الوطيدة بين المعبود «**أش**» والرماد (العربية : آس) كما اتضحت الصلة بينه وبين حيوان «ست» الذئبي (العربية : **أوس = ذئب**) وتبقى صلته بشجرة «البيرسيا» Persea أو«**الفارسيَّة**» .

ليعلم القارى أولاً أن المعبود «أش» يعتبر أيضاً من آلهة «**القبور**» ، حيث الموت والموتى . وهذا ما يأخذنا إلى الكلمة العربية «**آس**» مرة أخرى ، ومعناها هنا : «**القبر**» ـ واستشهد قائلاً :

«وما اسْتَأْسْتُ بعدها من آسي * ويلي ! فإنِّي لاحقٌ **بالآس**»

(28) قارن قولنا في العربية : زها ← زهزه ، هش ← هشهش . . . مثلا .

يعني : القبر» (اللسان، مادة : أوس).

ويبدو أن صلة الرماد الذي يسمى «الآس» برفات الأموات (تراب، رماد) هي التي جعلت «**الآس**» **يعني القبر** كذلك ـ حسبما ورد.

بعد هذا نذكر ما يورده (معجم أكسفورد) المشار إليه (.Un. Ox. Dict) عن شجرة الـ Persea ؛ فهي عنده : «نوعٌ من الشجيرات من فصيلة الغار (Lauracex) شائعة في أمريكا الاستوائية وجزر الهند الغربية». وهذا النوع من الشجر، فيما نحسب، يقابل في العربية «**الآس**» ومنه صنفان ؛ أحدهما ضرب من الرياحين (يسمى أحياناً «الريحان») وهو المشموم الذي مر ذكره، وشجيراته صغيرة لا تكبر كثيراً. والآخر يقول عنه أبو حنيفة :

«**الآس** بأرض العرب كثير ينبت في السهل وفي الجبل **وخضرته دائمة أبداً** ويسمو حتى يكون شجراً عظاماً، واحدته : آسة (قارن «**أش. ت**» **iš. t**) وفي دوام خضرته يقول رؤبة :

يخضــرُّ ما اخضــرَّ الألـى والآسُّ

التهذيب : الآس ؛ شجر ورقه عَطِر».

نحن إذن أمـام اسم شجـر قد يكون دخيلاً حسب رأي ابن دريد والدخيل في مصطلح اللغويين العرب الأقدمين يعني قد يكون **فارسياً**. ولك أن تقارن اسمه في اليونانية (Persia) ـ ولكنه ورد في الشعر الفصيح (وابن دريد لم يكن يعرف المصرية، وهو لو عرفها لحسبها «أعجمية»! وهو شجر قد يكون صغيراً وقد يعظم، وهو ببلاد العرب كثير (فلماذا يسمى باسم «دخيل» ياترى ؟!) دائم الخضرة، عطر. ويلاحظ «بدج» (The Dwellers..., p. 150) أنه ينمو بكثرة في **الجبّانات** وحول أضرحـة الأولياء في مصر، ولعل السبب في استنباته هناك راجعٌ إلى خضرته الدائمة وعطر ورقه النفاذ. . ترويحاً عن ساكني الرموس وتعطيراً لقبورهم بعرف شذي[29]. وقد يكون هذا هو النوع الأول من «الآس» ذلك الصغير (= الريحان) وقد يكون شجراً يعظم وهو «الآس» أيضاً وإن كبر. . وهو«آس السهل والجبل».

فهل نبعد عن سبيلنا إذا عدنا إلى اللغة الانكليزية مرة أخرى ؟

إننا نجد فيها كلمة «آشْ» **a s h** بمعنى «رماد» ـ وهي معروفة مشهورة. لكن الكلمة ذاتها **(a s h)** تأتي تسمية لشجرة يقول عنها «معجم أكسفورد» .Un. Ox. Dict إنها : «شجرة غابةٍ موطنها أوروبا **وغرب آسيا وشمال أفريقيا**». ثم يحللها إلى فصائل علمية ويقسمها إلى قسمين : أحدهما

---

(29) قارن الدعوة المشهورة : «اللهم **عَطِّرْ** قبْره الكريم بعرف **شذيٍّ** من صلاة وتسليم». فهل تكون صيغة «إ ش د» i š d التي أوردها «بدج» (المعجم، صفحة 92) بالدال اسماً لهذه الشجرة المقدسة هي «**شَذَى**» العربية = عطر، أو «**شَذِيّ**» = عاطر ؟

ويذكر خير الدين الأسدي في «**موسوعة حلب المقارنة**» مجلد 1، ص 15) «الآس»، وهو في السريانية : آسا، وفي الكلدانية : آسا، وفي البابلية : آسو. . . وفي سوريا يزينون به الجنازات، وعليه يقول الشوام : «تشكِّل آسي» ـ أي : أموت قبلك وتتولى أنت تكريمي.

يسميه (ground ash) (وهذا هو ما يقابل في العربية : آس السهل ـ الصغير) والآخر (mountain ash) (وهو ما يقابل : آس الجبل[30]) . تماماً كما ذكر أبو حنيفة ونقله صاحب (لسان العرب) عطَّر الله قبريهما الكريمين بعرف «شذي» !

فهاك الآن هذه الخلاصة :

طائر الـ«ب ن و» (أو : **ب ي ن و**) أي «الفونيكس» (Phoenix) في اليونانية ـ انتفض حيًا من رماد **(آس)** شجرة «الفارسية» Persea **(الآس)** التي تنمو عادةً على القبر **(الآس)** . والمعبود الليبي ـ المصري القديم «**أش**» يمثل الرماد والموت والقبر، ويصور عادةً برمز المعبود «ست» على شكل ذئب **(أوس)** .

* * *

فهل نكتفي بهذا ياترى ؟

لا بأس، فيما أظن، من بعض الإضافات إن لم تفد فهي لن تضير :

1 ـ في معجمه، وفي مؤلفاته الأخرى، يورد «بدج» ـ وكذلك يفعل «غاردنر» و«فولكنر» ـ اسم الشجرة المقدَّسة التي تحدثنا عنها باعتبارها Persea ، وتقرن أحياناً بالانكليزية (Sycamore) . فإذا بحثنا عن معنى هذه الأخيرة وجدناها تعني شجرة «**الجمَّيز**»، وترجع الانكليزية (Sycamore) إلى اليونانية الآخذة ـ كما قيل ـ عن العبرانية (Shiqmah) . فلنرجع إلى مادة «**سقم**» العربية نجدها في (لسان العرب) تقول :

«**السوقم** شجر عظام . . . وله ثمرة مثل التين، وإذا كان أخضر فإنما هو **حجرٌ صَلاَبةً**، فإذا أدرك اصفرَّ شيئاً ولان وحلا حلاوة شديدة، وهو طيب الرائحة يُتَهادى» .

وهذا هو «الجمَّيز» بعينه . فلنراجع مادة «**جمز**» . . فنجدها تقرر :

«**الجمَّيز والجمَّيزَى** : ضربٌ من الشجر يشبه حمله التين ويعظم عظم الفرصاد (التوت) وتين الجميز من تين الشام أحمر حلو كبير. . . قال (أبو حنيفة) : وضرب آخر من الجميز له شجر عظام يحمل حملاً كالتين في الخلقة ورقتها أصغر من ورق التين الذكر، وتينها صغار أصفر وأسود يكون بالغور يُسَمَّى : التين الذكر» .

وفي نفس المادة يذكر ابن منظور أن «الجمزة كالقمزة» . وفي مادة «**قمز**» يقول :

«**القُمزة** ، بالضم، مثل الجُمزة وهي كتلة من التمر. والقمزة من الحصى والتراب : الصُّوَّة، وجمعها : قُمُز» .

(30) هناك عدد كبير من أسماء الأشجار في الانكليزية مأخوذ عن العربية ـ مثلاً · oak (أَيْك)، Ceder (سِدْر)، aethylla (أَثل)، Sandal (صندل). ومن النبات : Calabash (خربز = بطيخ)، Calla (خلَّة) . وهذه مجرد أمثلة نرجو أن تخرج دراسة كاملة عنها، وعن غيرها، في القريب.

والصُّوَّة هي **الكتلة الصلبة** (= السوقم إذا كان أخضر فإنما هو **حجرٌ صلابةٌ**). وقد رأينا أن «**قمز**» هي ذاتها «**جمز**» (ومنها **الجمَّيز**) بتبادل القاف والجيم (وهما أساساً : g) كما يتبادل السين والزاي ـ لقرب مخرج الصوت ـ وبذا تتساوى «**جمز**»، «**قمز**»، «**قمس**». والأخيرة قلبت قلباً مكانياً فكانت «**سقم**»، ومنها : «السوقم» الذي كان في العبرانية Shiqmah (ش = س) وعنها أخذت اليونانية Sukaminos (أو أخذت عن العربية «**سقم**») وصارت في الانكليزية Sycamore = جمّيز.

2 ـ في معجمه أيضاً (صفحة 347) يسجل الأستاذ «بدج» الكلمة المصرية «ن ع ر. ت» nʿr.t ويترجمها : Sycamore tree (Laurier Rose)، ويقارنها بالقبطية nir واليونانية nerion والعربية «**ناريون**». **وقد يبدو هنا أن العربية أخذت عن اليونانية، ولكن هذا غير دقيق**؛ فإن الجذر الأصلي للكلمة في المصرية والقبطية واليونانية هو «ن ر» nr ـ وهذا هو نفس الجذر الثنائي للعربية : «**نَوْر**» ـ وتؤنث : «**نور. ت**» (= نوْرة/نوَّارة) وهي (Laurier Rose) بالضبط = المصرية «**ن (ع) ر. ت**»[31].

وفي صفحة 797 من معجمه يترجم «بدج» الكلمة المصرية «**ك س ب. ت**» k s b. t : (ولها صور أخرى في الهيروغليفية منها :) بأنها تعني Sycamore (جميز) شاكاً في صحة الترجمة بوضع علامة استفهام (؟). فإذا تمعّن القارىء في الصورة الهيروغليفية الثانية لكلمة «**ك س ب. ت**» ومحدِّدها الشجيرات **الثلاث** تبين لديه أنها لا تعني «الجميز» ولكن شيئاً آخر من النبات. وقد نرجع هنا إلى مادة «**قصب**» فنقرأ :

«**القصب** : كل نبات ذي أنابيب واحدتها : قصبة. وكل نبات كان ساقه أنابيب وكعوباً فهو قصب» (وقارن هنا الرمز المحدِّد ـ باعتبار القاف تعاقبت مع الكاف والصاد مع السين في المصرية (**ك س ب. ت**) والتاء للتأنيث.

وفي مادة «قسب» نقرأ :

القيسب : ضرب من الشجر. قال أبو حنيفة : هو أفضل الحمض. وقال مَرَّةً : **القيسبة**، بالهاء : شجيرة «تنبت خيوطاً من أصل واحد، وترتفع قدر الذراع، ونورتها كنورة البنفسج،

(31) العين هنا تقابل الهمزة. ويقول الأستاذ «برغشتراسر» G. Bergsträsser (**التطور النحوي**، صفحة 26) : «وهذا الضرب من النطق للحروف المطبقة سائد في كل اللهجات العربية والآرامية المستعملة اليوم. لكن اللهجات الحبشية يوجد فيها نطق يخالفه تماماً، وخاصة زيادة صوت كالهمز إلى الحروف المطبقة، يعني أنه قبل إخراج الحرف من مخرجه يعلق فم الحنجرة تماماً، ثم ينطق الحرف، ثم يفتح فم الحنجرة **فيصدر من ذلك الصوت الزائد المذكور الشبيه بالهمزة، نحو : (د ء ص ء). ويحتمل أن يكون هذا النطق الحبشي للحروف المطبقة هو الأصلي أو القريب من الأصلي، وأن النطق العربي لها مشتق منه**».

وفي اللغة المصرية يحدث هذا كثيراً، بصوت الهمزة أو شبيهها أو شبيه العين ـ وهما قريبا مخرج الصوت. مثال ذلك في العربية : دَعَسَ = دَأَسَ = دَاسَ، أي : وطأ وتقول : **لأمة** الحرب، ولامة الحرب ـ مهموز وغير مهموز. كما تقول : فأس، فاس/ بأس، باس/ رأس، رأس. «قال الفرَّاء : ربما خرجت بهم فصاحتهم إلى أن يهمزوا ما ليس بمهموز، فقالوا : لبَّأت بالحجج، وحلأت السويق، ورثأت الميت» (بدلا من : لبّيت، حلّيت، رثيت). ـ (لسان العرب، مادة : لبأ). وقد اعتبر الفراء الهمز من الفصاحة، وهو عند «برغشتراسر» النطق الأصلي.

ويُسْتَوْقَدُ برطوبتها كما يستوقد اليبيس». (ومرة أخرى ندعو القارىء ليتأمل المحدِّد الهيروغليفي في المصرية «ك س ب. ت» ليرى أنها «قسبة» (أو قيسبة) بتبادل الكاف والقاف، وهما من مخرج صوت واحد، فقط ليس غير).

فما الذي بقي ؟

فلينظر القارىء في هذه الكلمات المصرية ليستوثق من تطابقها مع العربية في جميع الأحوال (المرجع : Budge ; An Eg. Hier. Dict : والصفحات مذكورة أمام المفردات) :

Page	
10aš, aš.t : dog, jackal.	أوس، أوسة (ذئب، ذئبة)
aš : an effering made by fire.	آس (رماد)
ašašt (= aš/aš.t) : flower	آسة (ريحانة)
25 iaša : a kind of dog or jackal	أوس (ذئب).
81 is, is.t : tomb, chapl of a tomb.	آس (قبر).
82 is : ground	
isy : to passaway in decay.	آس (رماد).
isw : decay, destruction.	آسي (مادة : أسا)
92 išt, išd : a kind of tree, persea (?), sycamore-fig.	آس(شجرة الآس الدائمة الخضرة).
347 nᶜr.t : Sycamore tree (Laurier Rose). Cap. Nir, Gr. nerion, arab.	ناريون (نور). (نَوْرِيَّة)
Nᶜry.t : The goddess of the Nᶜr tree	
797 ksb.t : a kind of fruit tree, Sycamore-fig Tree (?)	(قسب)/ (قسبة)

ملاحظة أخيرة :

يذكر «أوريك بيتس» في كتابه (الليبيون الشرقيون) ؛ (The Eastern Libyans, p. 75) أن «الرماد» في غدامس يسمى «إشِدْ» ešed . ومن الواضح صلتها بالمصرية في صورة «إ ش د» išd التي هي ذاتها «إ ش. ت» iš.t (مؤنث : (إش)، وهي العربية «آس» (رماد) فلو أُنِّث الرماد (رمادة[32]) لكانت «آسة» ـ الغدامسية : «إشد».

(32) الواقع أن «الرماد» يؤنث : هناك (عام الرمادة) المشهور في تاريخ صدر الاسلام.

إ ع ر ت Aār-ti

من اسم هذه المعبودة «ي ر ع . ت» أو «ي ع ر . ت» (قارن معجم بدج An Eg. Hier. Dictionary) جاءت الكلمـة اليـونـانيـة (Uraeu, Uriaos (Ouraio(s)) التي تعني أصلاً «الشبَّابة، الشابَّة، التي تشبُّ» She who rears up . وكانت تصوَّر على شكل حية يضعها الفرعون على إكليله، أو - بدءاً من المملكة الوسطى - على تاجه. وكانت تمثل «الكوبرا» (الصِّل المصري) شابَّةً ذات عنق منتفخ. وقد يمكن تتبـع هذا الشعـار الـذي يوضع على الرأس إلى القصَّة، أو الريشة، المعروفة عند قبائل ليبيا القديمة. ويرى آخرون هذه الحية حيواناً رمزيًّا (طوطماً) في مملكة «بوتو» Buto ما قبل التاريخ بالدلتا، حيث كانت الربة «و ر ق ت» على جبين الملك في شكل «الكوبرا». ولما كانت رمزاً للمُلك والسلطان فقد صارت شعاراً للربين الملكيين «حورس» و«ست».

نحب أن نبـدأ أولاً بتحليل اسم الحية التي كانت طوطـماً في مملكـة «بوتو» بالدلتا ما قبل التاريخ، وقد نقحرناها إلى العربية «و ر ق ت». والحقيقة أن ثمة اختلافاً كبيراً بين الباحثين في قراءة الـرمـز الهـيروغليفي إذ يقرأه «غاردنر» : w3_dyt بينما يقرأه «بدج» uatchit . وعند «شيرني» : Wadjet . أما عند «إمبير» فهو w3gt (و ء ق ت) وعنده أن الهمزة حلت محل الراء في ما يسميه (اللغة السامية) في كلمة «و ر ق ت» ومعناها : «خضراء» (wrgt) .

ونحن نختار قراءة «إمبير» التي نراها أقرب إلى الصواب ؛ فإن نظرة واحدة إلى «معجم بدج» (صفحة 150 وما بعدها) تبين أن «و ر ق» (عنده ؛ uatch = غاردنر : w3d) تفيد في مشتقاتها الكثيرة : الخضرة والاخضرار. وهذا ما يفيده الجذر في العربية «ورق» بالضبط. وهناك سبب آخر يدعـونا إلى ترجيح مذهب «امبير» وهو أن هذه المعبودة الأفعى نشأت طوطماً بين حشائش الدلتا وأعشابها المخضرة، ولا بد أنها - بحكم الطبيعة وضرورة التستر والاختفاء - اتخذت لوناً أخضر يوائم البيئة التي نشأت فيها، فكانت تسميتها كذلك : الخضراء.

يؤيد ما رأينـاه الاسم الآخر الذي أطلق على هذه الحية في عصر الأسرات، وخاصة منذ المملكـة الـوسـطى - فقـد سميت «ي ر ع . ت» أو «ي ع ر. ت» على سبيل القلب، أو حتى «ي ر ع ي. ت» (بدج : Yar^c yt = ·Aarāit) . وفي معجم اللغة المصرية نجد أن نبات الغاب، أو القصب، يسمى :

«ي ر و» i a r w : (غابٌ).
«ي ع ر» iᶜr : (قصبٌ)
(معجم بدج)
«ي ع ر و» y ᶜr w : (غابٌ)
(معجم غاردنر).
«ع ر» ᶜr (قلمٌ من البوص).
«ع ر ت» ᶜ r t (لفيفة بردي)
(معجم فولكنر).

وهـذه في العربية : «يراع» وهو ما يعرف أيضاً بالغاب أو القصب أو البوص، تصنع منه الأقلام والمزامير ويستعمل في أغراض حياة شتى. وهو نبت، كما نعلم، ينمو كثيراً على ضفاف المياه وكان يكثر في الدلتا، وخضرته هي الصلة الرابطة ما بينه وبين اسم الأفعى المقدسة «و ر ق . ت» أو «و ر ق ي . ت» (الورقية).

وقد أدى غرام المصريين الأقدمين بالجناس والطباق، كاملين أو ناقصين، إلى ظاهرة مدهشة وهي أن الأسماء تحمل في طياتها جملة معانٍ مترابطة بحيث تجتمع جملة من الدلالات فيها رغم ما يبدو من بعدها في الظاهر بعضها عن بعض. ولما كان اسم أفعى «الكوبرا» المقدسة في مملكة «بوتو» كما ذكرنا «و ر ق . ت» ـ وقد تبين معناه ـ فقد اتخذت في المملكة الوسطى وما بعدها اسماً آخر غير بعيد في معنـاه وإن بدا بعـده في اللفظ ؛ أعني «ي ع ر . ت/ي ر ع . ت» أو «ي ر ع ي . ت» (غاردنر وبدج Aarāi.t / yry.t) وهذه هي العربية : «يرعية» أو «يراعية» ـ نسبة إلى «اليراع» . الغاب الذي كانت تعيش فيه وتحيا مختبئة بين سوقه، متخذة بالطبع لونه الأخضر ملاءمة للبيئة.

هذه الأفعى الرهيبة كانت مرعبة مخيفة قاتلة مفزعة. وهذه أيضا دلالة اسمها في المصرية، وفيها كلمات تدل على هذه المعاني من مثل : «رع» rᶜ : ضغينة، حقد، كراهية. (معجم بدج، ص 419).

أنـظر إلى العـربية في الجـذر «روع» ويفيد الخـوف والفـزع، ومقلوبـه «ورع» وبـه نفس الدلالة[33]. ألا ترى أن الأمر واحد ؟

ما سبق من تحليل كان بإثبات العين في اسم الأفعى الملكية المقدسة، ولكن من الجائز أن تكـون العـين إبدالا للهمزة (ي ع ر . ت/ ي رع . ت = ي ء ر . ت/ ي ر ء . ت) وهذه يسهّل إدراك أن الياء في أول الكلمة إبدال للواو (ي = و. و ء ر . ت/ و ر ء . ت) وهو ما يعيدنا، من جهة، إلى اسمها الأول فنقرأه : «و ر ء . ت = و ر ق . ت» كما يفيدنا، من جهة أخرى، في النظر إليه بمعنى مختلف وإن لم ينأ عن دلالته على كل حال.

33) في مادة «ورع» في (اللسان) : الوريعة : وادٍ فيه شجر كثير. وهذا يشير إلى ارتباط «الورع» بالخضرة ارتباطه بالفزع.

قلنــا إن اسم هذا المعبـودة كان في اليونـانية Uraeu (Oriao, Ouraio) بمعنى «التي تشبُّ» (She who rears up). ألا نظرت إلى شكل هذه «الكوبرا» المخوفة وقد ارتفع رأسها وانتفخت أوداجها غضباً وهيجاناً ترعب الناظر حتى تكاد تصعقه ؟ أنظر إلى الجذر في العربية : «و أ ر» :

«وأر الرجلَ يئره وأراً : فزّعه وذعره» . فهي إذن «**الوائرة**» (المفزعة = و ء ر . ت) .

ولكن . . هل رأيتهـا مرة وهي منتصبة رافعة الرأس يتقدم رأسها ويتأخر في حركة سريعة متأهبة للهجوم أو الدفاع ؟

إنها هنا ذات صلة بالجذر «**وأر**» (أفزع ، أذعر) في العربية ، وفيه معنى الهجوم ، وهو لصيق بالأكادية Wâru (وارو) أي : يهاجم (Riemshneider ; Akk. Gram.) وذلك بقراءة اسم هذه الكوبرا «**و ء ر ت**» ، ومقلوبه ، الذي ورد في معاجم المصرية : «**و ر ء ت**» كما رأينا . وهنا نعود إلى جذر العربية «**ورأ**» . . فماذا نجد ؟

«**وراء والوراء جميعاً**، يكون : خلف وقدام . وتصغيرها عن سيبويه (وريئة) والهمزة عنده أصلية غير منقلبة عن ياء . قال ابن بري : وقد ذكرها الجوهري في المعتل وجعل همزتها منقلبة عن ياء . قال وهذا مذهب الكوفيين ، وتصغيرها عندهم «ورية» . . . قال ابن السكيت : وراء ، وأمام ، وقـدّام ، يؤنثن ويذكـرن . . . وقوله تعالى (وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ) أي : أمامهم ، وقوله (مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ) أي : بين يديه . . . وورأت الرجل : دفعته» . (**لسان العرب ، مادة : ورأ**) .

ويتضح لنا مما سبق ما يلي :

أ ـ يجوز في العربية تأنيث وتصغير «وراء» . وهذا ما سمح في المصرية بوضع تاء التأنيث في «ي رع .ت» (= ي رع ت = و ر ء .ت) وقد تعاقبت العين والهمزة والواو والياء ، وهو أمر كثير الحدوث في الأصوات المتقاربة المخرج ، وقلبت الكلمة ، **مما يقابل الأكادية «وأر»/ «وارو» W'R / Wâru والعربية : «وَأَرَ»/ «ورأ» ومعناهما : دفع ، هجم** .

ب ـ من معاني «وراء» العربية : الخلف ، القدام ، الهجوم ، الدفع . وفي الأكادية تعني لفظة Wâru : يقود ، يتزعم ، يملك ، يرئس (Reimschneider ; Akk. Gr.) . وهذا بالضبط هو المقصود من وضع الأفعى المصرية رمزاً للملك .

جـ ـ تَصَوَّرْ الأفعى الملكية المقدسة وهي شابّةٌ (من : شبَّ) أي رافعة رأسها تحركه إلى خلف وقـدام بسرعـة فائقـة ، مهاجمة أو مدافعة (هجم/دفع) فهي تُسمّى هنا «ورّاءة» بالمعنى الدقيق للكلمة . وهذه هي المصرية ، بحسب قانون تغير النطق المعروف ، التي صارت في اليونانية Uraeu (كذلك : Ouraios, Uriaos) ومنها انتقلت إلى اللغات الأوروبية بمعنى : شعار .

أ ك ر Åker

معبود يمثل الأرض. وهو يُصوَّر بشريط من الأرض مع رأس بشري، أو رأس أسد، على طرفيه. أو يُرمز له بصورة أسدين رابضين وظهر كل منهما ناحية الآخر، أحدهما يواجه الغرب حيث تتوارى الشمس وتبدأ رحلتها ليلاً، والآخر يواجه الشرق حيث تشرق الشمس كل صباح من عالم الظلمات. وتظهر الصور المعبود «أكر» حاملاً مركب الشمس، وهذا رمز لرحلة الشمس الليلية في مملكته. والأسدان، أو رأساهما، يحرسان مدخل العالم السفلي ومخرجه. ويقال لمن تفتح لهم أبواب العالم السفلي في (نصوص الأهرام) : ها قد فتحت لكم أبواب رب الأرض «أكر».

يرجع جذر اسم هذا المعبود إلى الأرض وما يتعلق بها : ومن الممكن أن نقارن بينه وبين عدد من الكلمات العروبية :

الأكادية : أكر (إكَّارو) : حارث، فلاح، زارع الأرض (Cohen, p. 77) .
الكنعانية : أجر = حقل. (فريحة ص 595).
وفي العربية نجد : الأجور، واليأجور، والآجُر = طبيخ الطين. وفي مادة «أكر» : أكر = حفر الأرض. الأَكَّار = الحرَّاث.

إمن Amen

يُذكر «أمون» في (نصوص الأهرام) باعتباره إلهاً أصلياً عتيقاً، ولكن يبدو أنه صار بعد الأسرة الحادية عشرة معبوداً خاصًّا بمدينة «طيبة». وقد فسر المصريون اسمه على أساس أنه يعني «الخفي» (The Hidden one) ؛ إذ كان القوة المؤثرة في الريح غير المرئية. ويذكر المؤرخ «بلوتارخ» (Plutarch ; Isis and Osiris, ch. 9) أنه من رأي المؤرخ المصري الشهير «مانيثو» أنَّ معنى اسم «أمون» هو «الخفي»، «ذاك المختفي» (That which is concealed) ، أو «الكتمان» (Concealment) . والأصل : ا م ن = مختفٍ، مكتوم، سر (hidden, secret) . (أنظر : W. G. Waddell ; Manetho, p. 188) .

وبسبب من اشتقاق الاسم من كلمة «أَمَنْ» aman الليبية التي تعني «الماء» فإن الاعتقاد أن «أمون» عُبد باعتباره ربًّا عتيقاً على شكل إوزة. وعلى العموم فإن الكبش ذا القرنين المنحنيين اعتبر حيوانه المقدس، وذلك على أساس كونه رب الاخصاب. كما يظهر في صورة أفعى يسمى فيها هذا المعبود باسم Kematef [34] = «الذي أكمل زمانه». وقد بلغ ـ بكونه رب العاصمة طيبة ـ مكانة رب الدولة الأعظم في عهد المملكة الجديدة، ثم أدمج مع «رع» فصار «أمون ـ رع» باعتباره رب الشمس. وأخيراً صُوِّر بأنه «المعين في كل شيء» على أساس أنه روح ba الظواهر كلها.

هنا إذن رأيان في أصل اسم «أمون»:

1 ـ من الكلمة الليبية «أَمَنْ» أي: الماء. والواقع أن معناها «المياه» أو «الأمواه» بصيغة الجمع. والهمزة في بداية الكلمة سابقة معروفة جداً في الليبية القديمة والمصرية، وفي الجبالية حديثاً، تؤدي أحياناً معنى التعريف، والنون علامة الجمع في العربية[35]. فالأصل إذن هو «ما» ← ماء. وهذه كلمة عروبية جاءت بصيغ مختلفة كثيرة يكون حرف الميم أساسها. (قارن: يم = بحر. واللهجات المعاصرة: ميَّة، مُوْية، مَيْ، إمّيَّة = ماء). وبذا لا تخرج «أمون» (إن كانت من «أَمَنْ») عن الجذر العروبي في هذا الموقع.

2 ـ من معنى الاختفاء وعدم الظهور (الخفي، السِّرِّي). وهنا نجد الجذر العربي «أمن» يوحي بمختلف اشتقاقاته بمعنى الباطن أو الخفي أو الشيء المستور أو المستتر الداخلي، بما في ذلك كلمة «الايمان» وملحقاتها، والائتمان: عدم إظهار الشيء وكتمانه أو استكتامه بحيث يظل خفياً. ومن ذلك: الأُمَّان = الزرّاع، والآمن: الزارع، أي الذي «يُخْفي» الحَبَّ في الأرض[36]. (راجع مادة «أمن» في «لسان العرب» لمزيد من التفصيل).

ونحب أن نشير هنا إلى ما ورد في تفسير «آمين» التي تختم بها الصلوات والدعوات وسورة

---

(34) كتابة الاسم بهذه الصورة تحريك للحروف الصوامت في الأصل، والترجمة حسب «ليركر»، والأصح: «كامل زمانه». والاسم مكون من ثلاثة مقاطع هي:
km = تام. الجذر الثنائي للعربية «كمل» ← كامل.
at = زمان. العربية: توٌّ.
f = ضمير الغائب: المفرد.

(35) وهي كذلك في الجبالية.

(36) من طرائف اللغة أن الجذر «أمن» يعني الاخفاء، ومنه الايمان أي إبطان التصديق وإخفاؤه في القلب، والمؤمن: من يقر التصديق في فؤاده. وكذلك «الكافر» اشتقت من مادة «كفر» أي جحد وستر وأخفى الحقيقة. ويسمى الزارع، مجازاً، كافراً لأنه «يكفر» أي يخفى الحب ويغطيه بالتراب، فإن معنى الكفر: التغطية.

الفاتحة من القرآن الكريم عادة، وهي أساساً ليست من صلب القرآن بل مزيدة عليه لا تعتبر من آياته. والواقع أنها مستعملة ليس عند المسلمين فحسب بل هي خاتمة صلوات النصارى كذلك. . Amen! . وهي في العربية «آمين» ـ بالمدِّ ـ مثل «آمون» و«أمين» ـ بالقصر ـ مثل «أمون». وقد ورد في تفسيرها جملة آراء منها :

قال الفارسي : جملة مركبة من فعل واسم، ومعناها : اللهم استجب لي.
وقيل : معنى آمين : كذلكِ يكون.
وقال الزجاج : اللهم استجب.
وقيل : هو إيجابٌ : ربِّ افعل. وهو غير مشتق من فعل.
وحكي عن الحسن أنه قال : آمين. . اسم من أسماء الله عز وجل.
وقال مجاهد : آمين. . اسم من أسماء الله.

وفي حديث أبي هريرة : آمين، خاتم رب العالمين على عباده المؤمنين ـ معناه : طابع الله على عباده. . . فكان كخاتم الكتاب.

وعن أبي هريرة أيضاً : آمين درجة في الجنة، أي كلمة يكتسب بها قائلها درجة في الجنة.

ابن الأثير : في أسماء الله تعالى «المؤمن». و«المؤمن» : الله تعالى ـ يؤمن عباده من عذابه، وهو «المهيمن».

قال الفارسي : الهاء بدل من الهمزة والياء ملحقة.

وكما وردت «آمين» بالمد و«أمين» بالقصر فقد جاءت صيغة «أمون» كذلك (ناقة أمون : أمينة وثيقة الخلق). ولم ترد «آمون» بالمدّ. والواقع أن صيغة «آمون» بالمدّ غير مؤكدة، إذ الجذر في المصرية هو «إمن» ـ وليس هناك أدنى وسيلة لمعرفة نطقه بالحركات أبداً. وهو في اليونانية Amon وورد Ammon ـ ولا اعتبار بأي من الصيغتين للعجمة فيهما معاً. وقد يكون من المرجح جداً أن يكون النطق في المصرية القديمة : آمين، أمين، آمن، إمن. ولا يلغى هذا صيغة «آمون» أو «أمون» ـ فكلها عربية. . كما هو واضح.

ومن المهم الالتفات إلى الاختلاف في تفسير معنى «آمين»، ولا شك في أن رأي الحسن ومجاهد أنه «اسم من أسماء الله عز وجل» مسألة مثيرة للاهتمام، كما يثيره قول أبي هريرة «آمين خاتم رب العالمين. ومعناه طابع الله على عباده. . . فكان كخاتم الكتاب» فإن في هذا القول ـ مهما كان منشأه ـ معنى الختم والطبع وكلاهما متصل بمعنى الاخفاء والستر. كذلك ينبغي ألّا يغيب عن بالنا صلة الاسم «آمين» حين فسِّر بأنه «من أسماء الله عز وجل» باسم «المؤمن» الثابث أنه من أسماء الله الحسنى، وكذلك «المهيمن» وهو اسم آخر لله سبحانه يرجع، كما ذُكِر، إلى «المؤيمن» = «المهيمن».

وهنا تجب الاشارة إلى اسم «هامان» الذي ورد في القرآن الكريم ست مرات مقترناً بذكر «فرعون» ـ نجد هما تارةً يكادان يستويان مكانةً :

﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ ـ القصص/ 6 .
﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ ـ القصص/ 8 .

وتارة أخرى نجد فرعون يأمر هامان وكأنه أعلى درجة :

﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحاً﴾ ـ القصص/ 38 .

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ﴾ ـ غافر/ 36 .

ويضاف إليهما «قارون» مرتين :

﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ ـ العنكبوت/ 39 .
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ، إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ ـ غافر/ 24 .

أما **قارون** الذي ﴿كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ (القصص/ 76) وبسط القرآن أمره في سورة «القصص» فقد كان مثال اليهودي الرأسمالي الذي كوّم أموالاً لا تحصى وطغى بماله حتى عاقبه الله بطغيانه، ولا يدخل في مجال بحثنا هذا ـ وإن كان يذكرنا بشخصية «خيرون» Cheron مثال البخل وحب المال في الأسطورة اليونانية. وقد يكون اسمه انتقل ـ محرّفاً بالطبع ـ إلى اليونان كما هي الحال في كثير من نقولهم .

وأما **هامان** فإن جمهرة المفسرين يكادون يجمعون على أنه كان «وزيراً» لفرعون يُعينه في أمره ـ هكذا بإطلاق دون تحديد أي الفراعين وإن كان المفهوم ضمناً أنه فرعون موسى على كل حال .

هذا التفسير لا يبعد عن الواقع التاريخي كثيراً حين ننظر إليه على ضوء الدراسة اللغوية والتاريخية معاً ؛ فمن حيث اللغة نجد أن مادة «همن» ذاتها مادة «أمن» في (لسان العرب) الذي يقدم تفصيلاً وافياً ويقول :

«المهيمن أصله : أَأْمَنَ، فهو مُؤَأْمِنٌ ـ بهمزتين. قلبت الهمزة الثانية ياءً كراهة اجتماعهما فصارت : مؤيمن. ثم صُيِّرت الأولى هاءً كما قالوا : هراق وأراق، وكما قالوا : إيَّاك وهيَّاك» .
ويضيف : «المهيمن : القائم على الخلق، أو على الناس. والمهيمن : المؤتمَنَ، والشهيد، والرقيب، والقبَّان (الوزّان)، والقائم على الكتب (السجلات)» . . . إلخ .

فإذا نظرنا إلى حقائق التاريخ وجدنا هذه الصفات تنطبق تمام الانطباق على كهنة «أمون»، أو بالتحديد على «كاهن أمون الأكبر» على مدى فترة طويلة جداً من تاريخ مصر. فقد كان كاهن أمون يجمع في الواقع بين السلطتين الدينية والدنيوية، وكان يجمع القرابين في شكل نذور وتقدمات، ويسيّر الحياة السياسية، بل و«يراقب» الفرعون ذاته الذي كان لا مفر له من الحصول على رضا «أمون» ليرتقي العرش ويثبت عليه. فكاهن أمون إذن كان «وزيراً» نافذاً و«مؤتمناً» و«مهيمناً» كما هو حال هامان. وقراءة سريعة في تاريخ مصر القديم تبين الأمر. (راجع مثلاً : Gardiner ; Egypt of the Pharoahs) .

نضيف هنا ما هو معروف من أن موسى جاء ـ كما هو ثابت ـ بعد أن انتكست ثورة «أخناتون» الدينية الذي انقلب على عبادة «آمون» المسيطرة ودعا لعبادة توحيدية رمزها «أتون» (الشمس) ثم أخفقت دعوته وعادت سيطرة «أمون» وكهنته أشد وأقوى من ذي قبل. كما نضيف أن اسم «أمون» ذاته كان يدخل في تركيب أسماء عدد كبير من الفراعين وفي أسماء الكهنة على السواء، مما يجعل وروده في موطن الوزارة (التي هي من «الوزر» أو «الأزر» = القوّة) أمراً مقبولاً للغاية.

أخيراً. . . من المؤكد أن «هامان» عرف عند الكنعانيين ـ في شمال أفريقيا خاصة ـ باسم «هامون» أو «همُّون» (Hammun, Hamon) كما ورد في صيغته اليونانية. وهو معبود شهير في قرطاجنة وليبيا على العموم، ذو صلة بما عرف باسم «أمون سيوة». ولهذا حديث يطول.

ونحصر خلاصة القول في الناحية اللغوية فنقول :

إن هذه الصيغ جميعها ـ وأهمها في هذا المجال أمون مصر ـ ترجع إلى «أمن» العربية، سواء بمعنى «الماء»، أو بمعنى «الخفي»/«الباطن» صفة المعبود المصري القديم.

إ م ن ت ت Amentt

عرفت في اللسـان اليـونـاني باسم amenthes . وهذا أحد مظاهـر التحـريف للكلمات العـروبية في ذلك اللسان. وقد أورد «بلوتارك» هذا الاسم في أثناء حديثه عن عبادة «سيرابيس» **Serapis** (أنظر **m r w r (= Mnevis)** في هذه الدراسة. وهذا تحريف آخر). ويعترف «بلوتارك» نفسه بأن معاني الكلمات المصرية تُفقد حين تُنقل إلى اليونانية. وهو يقول إن هذا اللفظ في أصله المصري يعني «الأرض السفلى» أو «الاقليم السفلي» **(Subterranean Region)** .

(Budge ; The Gods... ii, p. 201)

يعلق «بدج» (نفس المصدر) بأن الأصل المصري هو «إ م ن ت ت» ومعناه : «المكان الخفي» - (The Hidden Place).

وهـو في معجمـه (صفحـة 53) يورد كلمـة «إ م ن ت ت» ويترجمهـا : الغـرب، مسكن الأموات، أرض الموتى. ويقارنها بالقبطية emnt. وهذا يعني أن الكلمة المصرية القديمة ظلت سارية في القبطية.

فما العلاقة بين «الاختفاء» و«الغرب» و«أرض الأموات» في لفظة واحدة ؟

نشير أولاً إلى أن الجذر الأصلي في هذه الكلمة، ومشتقات أخرى، هو «إ م ن» i m n وهو ما

يقابل العربية «أمن» ومن دلالاته الخفاء، كما أوضحنا في هذه المادة فليراجعها القارىء مشكوراً حتى لا نعيد ما قلناه.

ونشير ثانياً إلى أن قدماء المصريين كانوا يتخذون من منبع النيل قبلةً لهم، وطبيعي أن تكون ناحية الغرب على يمينهم في هذه الحالة، وهي تسمى في المصرية «إ م ن» i m n وتؤدى معنيين: جهة «اليمين» (العربية: يمين) وجهة «الغرب» - تماماً كما سميت «اليَمَنُ» في الجزيرة العربية كذلك، أي ما ضادَّ الشآم (= شمال). وفي معجم «بدج» (صفحة 53) نقرأ:

«إ م ن» i m n : اليد **اليمنى**، الجانب **الأيمن**.
«إ م ن» i m n : **يميني**، غربي.
«إ م ن ت» i m n t : الجانب الأيمن (يمنة) الغرب (**اليمين/ اليمن**).
«إ م ن ت» i m n t : العين **اليمنى**.
«إ م ن ت» i m n t : الريح الغربية (**اليمينية**).
«إ م ن ت» i m n t : ضفة النيل الغربية (**اليمنى**).
«إ م ن ت ى» i m n t y : غربي (يميني/يمني). لاحظ ياء النسبة.
«إ م ن ت ى» i m n t y : إله الغرب (اليمن/اليمين).
«إ م ن ت ى و» i m n t y w : الغربيون، أهل اليمن = الأموات (لاحظ ياء النسبة وواو الجماعة).
«إ م ن ت ي ت» i m n t y t : ربة أرض الأموات. (لاحظ ياء النسبة وتاء التأنيث).

فما صلة اليمن، أو الغرب، بالموت ؟

الصلة تكمن في أن المصريين الأقدمين كانوا يعتقدون أن أرواح الموتى تذهب إلى الغرب عند موتهم (نظراً لملاحظتهم غروب الشمس وأفول القمر في تلك الجهة، وهما المعبودان الجليلان، ولارتباط جهة الغرب بالصحراء المقفرة أيضاً). فمزجوا الجذر «إ م ن» i m n بمعانٍ مختلفة، واستفادوا من الجناس في هذا المقام، فكان يدل على جهة اليمين، كما دل على الخفاء، وعلى أرض الأموات. تماماً كما دل الجذر «يمن» في العربية على بلاد «اليمن»، واليد «اليمنى» ودل «أمن» على الأمن والخفاء. والجذران هما هما بتعاقب الهمزة والياء اللذين كثيراً ما يتعاقبان.

أخيراً، نرى أن المؤرخ «بلوتارك» أخطأ في ترجمة «إ م ن ت» (في اليونانية amenthes) بمعنى «الاقليم السفلي»، إذْ قرن بينها وبين «الهيدس» Hades اليونانية التي كان اليونان يعتقدون أن أرواح الموتى تهبط إليها، وهي الأرض السفلية. ولم يكن المصريون يتصورون «هبوط» الأرواح إلى أسفل، بل هي عندهم «تنتقل» إلى الغرب، ثم تعود عند البعث إلى أجساد أصحابها. ونحن نعتقد اليوم أن الأرواح «تصعد» إلى السماء، فلا هي تهبط ولا هي تنتقل إلى جهة ما.
من يدري - فعلاً - أين تذهب الأرواح ؟!

إن ب و Anpu

رب الأموات والتحنيط، ويكنّى «سيد الأرض الجوفاء» أي المقبرة. ويصور في العادة بشكل يشبه مظهر الكلب، على الرغم من عدم إمكان التمييز في صورته بين الكلب وابن آوي أو الثعلب. وكان «أنوبيس» Anubis - كما عرفه اليونان - يحرس المومياء من قوى الشر ليلاً.
وحين تحنط الجثة كان من العادة أن يقوم كاهنٌ يضع على رأسه قناع هذا الحيوان بتمثيل دور «أنوبيس».

صعبٌ التفريق بين الكلب وابن آوى والثعلب عند الباحثين في أمر هذا الحيوان المعبود «إ ن ب» أو «إ ن پ و» I n p, I n p w (غاردنر - صفحة 554). ورغم إشارة «غاردنر» (الصفحات 443، 449، 459) إلى استحالة حل مشكلة العلاقة بين هذه الحيوانات الثلاثة، وأن «إ ن پ» ليس الكلب ولا ابن آوى ولا الثعلب وإن كان ينتمي إلى هذه الفصيلة من الحيوان، **فإنه يقدم كلمة** i n p **بمعنى «ولي العهد»** (Crown prince) مرة وبمعنى **«الطفل الملكي»** (royal child) **مرة أخرى** (صفحة 443). وقد يبدو ألّا رابط بين اسم الحيوان وكلمات من مثل «ولي العهد»، «الطفل الملكي» وغيرها. ولكن الرابطة تتضح إذا نظرنا إلى المسألة من وجهة نظر لغوية عروبية.

في ظننا أن العلاقة بين الكلب وابن آوى والثعلب لا تبدو في الشكل والمظهر، وهي مختلفة بقدر ما، **ولكنها تكمن في خاصية عرفت بها هذه الفصيلة من الحيوان، أعني خاصية الشم**. وقد ذكر «بدج» (An Eg. Hier. Dict., p. 61) كلمة «إ ن پ» i n p بمعنى: يتعفّن، ينتن. ونرى أنها العربية **«أنف»** (بتعاقب الباء المهموسة والفاء) الدالة على أداة الشم كما نعرف. ونحن نقول: شيء **مأنوف**، وقد **أُنف**. أي ابتُعد عنه ربما لنتانة رائحته وعفنه. وصلة المعبود «إ ن پ» I n p بالجثث والأموات وثيقة، وهي الجثث التي قد تعفن وتنتن - إن لم تحنط تحنيطاً جيداً.

هناك أيضا نفس الكلمة «إ ن پ» i n p بمعنى: ضم، جمع، ربط، لفّ. (Swathe, wrap up) (بدج - نفس المصدر والصفحة) وفي تقديرنا أن هذه تقابل العربية «لَفّ» أي ربط في لفافة. وهذا شأن المومياء الملفوفة التي كان هذا المعبود يقوم بحراستها من قوى الشر ليلاً.

ثم تأتي أخيراً كلمة «إ ن پ» i n p بمعنى «طفل ملكي» أو «ولي العهد». وقد نرجع الكلمة بمعنى «طفل» إلى العربية «لفّ» كذلك، فهو «الملفوف» في قماطه عادةً أو في «لفّته» كما هو التعبير الشائع (وقد تعاقبت النون واللام). وقد يبدو تخصيص الطفل الملكي المدلل أو ولي العهد بهذه «اللّفة» شيئاً مدهشاً تفسيره عندنا إما أن الأستاذ «غاردنر» تجاوز في ترجمته المقصود أو أن أبناء

الفراعين والحكام في مصر القديمة هم الذين كانوا «يُلَفُّون» في القماط واللفائف، بينما يترك أبناء الشعب المساكين عراةً ليغالبوا الطبيعة (وهي ليست قاسية في أرض النيل) أو ليموتوا إن لم يتحملوا الحرَّ والقرَّ.

لكن كلمة «إ ن ب» i n p يمكن أن تعني كذلك ـ حسب ترجمة غاردنر ـ «السيد» (عند «بدج» : إ ن ب i n p = أمير، أي : سيد)[37].

وهنا نعود إلى الجذر «أنف» في العربية، وعنه يقول ابن منظور في نص طويل :

«الأنف : السيد. ومن ذلك : الأنفة أي العزّة. وأنف، يأنف، أي تَعزَّز وكره الصغائر. ويجوز أن يقال : «الأنفي» ـ وقد سمي «الأنفيون» كذلك لقول الحطيئة فيهم :

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم * ومن يسوِّي بأنف الناقة الذنبا ؟»

فإن لم يكن هذا الـ«إ ن ب» i n p (السيد) فماذا يكون ؟

ألا يمكن، بعد هذا، أن ندعو الآله المعبود «إ ن ب و» في العربية «أنفي أو الأنفي» وقد تشابكت في هذا «الأنف»/«إ ن ب» المعاني الحسية والمجردة ؟

إ ن ح ر ت Ȧn-ḥer-t

أحد الأرباب السماوية في مصر العليا، كما أنَّه أحد حملة السماء (إلى جانب المعبودين «شو» و«نت» = الجوّ والنوء). ويذكر (كتاب الموتى) أنه حمل الآله «رع» على كتفيه. ولما كانت السماء ذاتها تعتبر ربة فقد كان يلقب «إون. م ت. ف» أي ؛ «عماد (أو عمود) أمِّه». عرفه اليونان باسم «أنوريس» Onuris.

هذا الاسم مكون من مقطعين :

in «إن» : ومن الممكن مقابلته بالجذر «أني» في العربية، وهو في جملته متصل بالزمن : أَنْي، إِنْي = الساعة من العمل. وعند الفارسي : إِنْو = النهار كله. والجمع : آناء، أُني. والإِنْو : الوقت من الليل. وهناك : آونة، آنية = تارة. والآنَ والأوان = الوقت، الزمن. والآن : الوقت الحاضر. ومن ذلك الفعل : أَنَى، يأني = أدرك وحان. والأناة : التمهل، وكذلك : التأنّي. والاستئناء : الانتظار.

(37) في نفس المصدر والصفحة هناك i n b «إ ن ب» بالباء الموحدة بمعنى «سيد» (Lord). فإن لم تكن هذه هي «ن ب» n b (العربية : ر ب) فهي : أنف.

وفي ظننا أن هذا كله ذو صلة بالجذر «نوأ» ومعناه أصلاً : النجم، وهو الذي يظهر ليلاً فيكون مقياساً للوقت، ويجمع على «أنواء». والنجم متصل بالسماء، ومن هنا يمكننا فهم المقطع الثاني من الاسم وهو : ḥ r t «ح ر ت» مؤنث «ح ر». ومعناه : أعلى، فوق، مرتفع، سمو، سماء. (قارن : ح ر = صقر، طائر، محلق في الجو. وفي العربية : حُر الوجه ؛ ما ارتفع منه = الوجنة).

بذا يكون المعنى الحرفي لاسم هذا المعبود : نجم السماء = النوء الحرُ (= النجم العالي أو المتسامي) = نوء الحُريّة (حرفيًّا).

وأما لقبه «إ و ن. م ت. ف» (i w n. m t. f) فهو مكوّن من ثلاثة مقاطع :

1) «إ و ن» : عمود، عماد. عربية : إوان. (راجع مادة «أون» = عمود/عماد).
2) م ت : وعربيته : (أ)م/(أ)مة = والدة.
3) ف : ضمير المفرد الغائب (ـه).

حرفيًّا : إوان أمته = «عماد أمه» ـ والمقصود : حامل أمه السماء، باعتبار النجم (نوء. مصريته : إنو) ابن السماء فهو يحملها على كاهله احتراماً وتقديراً.

إزر Àsar

(أوزيريس)

من أشهر الأرباب المصرية ومن أقدمها كذلك. وقد سيطر سيطرة تامة على الأسطورة الدينية في مصر في مختلف صورها وتطوراتها، وكان له دور كبير في صياغة الدين المصري القديم. وهو على الجملة يعتبر رب النماء والخصب والبعث، كما أنه إله الخير والحياة الآخرة السعيدة.

تتلخص أسطورته، مع اختلافات في الروايات بحسب الزمان والمكان، في أنه كان ابن «جب» (جوب/جبوب = الأرض). من «نوت» (نوءة = النجم) وهبه أبوه حكم الأرض فحسده شقيقه «ست» وتحايل عليه حتى وضعه في صندوق محكم الاغلاق وألقى به في النيل الذي جرفه إلى البحر. وظلت زوجة «أوزيريس»، وشقيقته أيضاً، المعبودة «إيزيس» تبحث عنه حتى عثرت عليه وأنقذته. فغضب «ست» إله الشر (= الشيطان) وقتل «أوزيريس» وقطعه إرباً وألقى بأطرافه في كل بقعة من أرض مصر. وتقول إحدى الروايات إن «إيزيس» جمعت أطراف زوجها وأعادته إلى الحياة من جديد (وهذه إحدى صور «أوزيريس» رب البعث والانبعاث). وتذكر رواية أخرى أن كل إقليم من أقاليم مصر احتفظ بجزء من جسده. بعد ذلك يأتي دور «حورس» (ح ر) الذي نجده أحياناً

يسمى «حورس الأكبر» ونجده أحياناً أخرى «حورس الأصغر» ابن «أوزيريس»، لينتقم لأبيه من عمه «ست» في معارك ضارية يتغلب فيها «حورس» أخيراً. ولكن «إيزيس» و«نفثوس»، زوجة «ست»، تتدخلان شفقةً وتعفوان عن «ست».

والأدب المصري القديم، كما هو الحال في الأسطورة الدينية، مليء بالحديث عن «أوزيريس» بصور وأشكال وروايات شتى يستطيع القارىء أن يعود إليها[38]. وبما أننا لا ندرس الديانة المصرية القديمة فإننا نقصر بحثنا على مجرد تتبع **الصلة اللغوية** بين اسم المعبود ومعناه ونشأته وما يقابله في اللغة العربية.

في كتابه (أصول أوزيريس وعبادته) تتبع الباحث «ج. غونْ غْرفِثْ»[39] الآراء التي سبقته في **معنى اسم هذا المعبود** الذي عُرف في اليونانية على شكل (Osiris) وعنها نقلت اللغات الحديثة (بما فيها العربية «أوزيريس»). وقدم تسعة عشر رأياً فيه، ولعل من المفيد أن نوجز هذه الآراء هنا :

في عام 1750م. (أي قبل فكّ رموز الهيروغليفية بما يزيد عن سبعين عاماً) رأي «جابلونسكي» P.E. Jablonski أن معنى اسم هذا المعبود، استناداً إلى القبطية «**أُشْ. إرِي**» osh.iri، هو : «**عملٌ كثير**» أو «**عاملٌ كثيراً**» (doing much).

في سنة 1862م. ذهب «شارپ» S. Sharpe إلى أن الاسم مكوَّنٌ من المصرية «**أُش**» osh (حكم، إرادة) + «**إرِي**» iri (يعمل). والمعنى : القاضي، أو الحكم (= يقضي، **يعمل حكماً**).

في سنة 1868م. قال «لوث» F.J. Lauth إن نطق الاسم ينبغي أن يكون «**أسْ, إرِي**» ومعناه «**ابن إيزيس**» أو «**ابن الأرض**» (The Son of Isis or Earth).

سنة 1872م. اقترح «ديفيريا» Th. Devéria ربط الصلة بين اسم «أوزيريس» ومعبود الأشوريين «**أشور**» Aššur. وزاد عليه «قيصر دي كارا» Caesare de Cara (سنة 1889م.) بالربط بين «أوزيريس» و«أشور» من جهة و«إيزيس» و«**عشتار**» من جهة ثانية. ثم جاء «لوفيبر» E. Lefebvre وأكد أن الاسم موجود في الرمزالهيروغليفي الذي ترجمه على أساس أنه يعني «**مقر**» (résidence). وتبعه العالم الألماني المعروف «برغش» Brugsch سنة 1891م. فكتبه «**أسْ ـ رع**» us - rᶜ وربط بين الاسم و«رع» إله الشمس، وقال إن معناه «**قوة الحدقة**» أو «**قويّة (هي) الحدقة**» (Powerful is the Eye- ball).

الأستاذ «بدج» Budge وصل إلى أن المعنى هو «**صانع عرشه**» (That who makes his seat). على أساس أن «أس» تعني «عرش» وأن «إرِي» تعني «يصنع» أو «يعمل».

---

(38) من أشمل المراجع في هذا الباب :
J. Gwyn Griffith) The origions of Osiris and his Cult.
W. Budge ; The Gods of The Egyptians.
A. Shorter ; The Egyptian Gods.

(39) The Origions of Osiris and his Cult. by G. G. Griffith

أما «أوريك بيتس» O. Bates فقد ذهب إلى قول آخر خلاصته اعتماده على الأستاذ «بيتري» Petrie وهو أن «أوزيريس» **معبود ليبي النشأة والأصل** ؛ فاسمه إذن يعود إلى اللغة الليبية وهي اللغة التي تحتوي على الجذر «و س ر» w s r ويفيد : «**القديم**»، «**العتيق**». وقد أيده «شارْفْ» Scharff بالاشارة إلى أن عدداً كبيرا من الآلهة المصرية كانت **ليبية الأصل** وبوجود لقب لأوزيريس في المصرية يعني «القديم» أو «العتيق» : (**و س ر. ر ن ب ت**) (w s r. r n p t) .

ويأخذنا «مرسر» Mercer من ليبيا إلى بلاد الرافدين، فيقول إن ثمة الكثير من الشبه بين أسطورة «أوزيريس» المصرية وأساطير بابل، وكلمة «أسَرْ» Asar هي أحد ألقاب المعبود البابلي «مردوخ».

بعـده يأتي «إرمان» Erman ليرى أن المعنيَّ بالاسم جملة كاملة هي «**شاغل عرش رع**» أو «**الذي شغل (احتلَّ) عرش رع**». (That who occupied The Throne of R^{c}) على أساس قراءة الاسم «**إسْ. رع**».

الباحث «سيثى» Sethe قدم تفسيراً آخر. قال : إن القراءة الأصلية للاسم هي «**س ت. إ ر ت**» s t. i r t ومعناها : «**كرسي (أو : عرش) العين**» - (Seat of the Eye) .

وقـد أدت الاختـلافـات في قراءة الـرموز الهيروغليفية المتنوعة لاسم «أوزيريس» ورفيقته «إيزيس» إلى قراءة أخـرى على يد الأستـاذ «وستنـدورف» Westendorf هي «**إر. زى**» ir - zy وترجمها : **الذي عملها (أو : خلقها)**» (The who made it, or created it) .

وقـد اشتبـك العلماء حول نطق الحرف الأول من الاسم في اليونانية (Osiris) الذي أورده «بلوتارك» في مؤلفه عن (إيزيس وأوزيريس). وقدم عدد منهم أمثلة كثيرة عن تحول الواو في المصرية إلى همزة في اليونانية، وبذا تكون osr في الأصل wsr . وقدم آخرون أمثلة عن تحوُّل الواو في المصرية إلى ياء في اليونانية، أو العكس - وبذا تكون قراءة الاسم : «**ي س ر**» ysr . والمعنى على أية حال : «**القويُّ**» - «**الجبَّار**» (The Mighty One) .

ويربط الأستاذ «أوسنغ» Osing في دراسة مطولة بين اسم «إيزيس» (عنده = «العرش») وكلمة «إرى» (يعمل) ليتكون اسم «أوزيريس» («إز - إرى» iry – iri) .

ثم يختم «غْـرِفِثْ» - بعد هذا العرض - بملاحظة أن «وستندورف»، ومعه آخرون، رأوا إمكـانية وجود معاني : العرش، والكرسي، والقوة، والجبروت - في الاسم المحيِّر. وثمة إمكانية أخرى أن يكون معناه : «**العظيم**» The Great كما ورد في أحد (نصوص الأهرام). ومن الممكن الربط بين أصل اسمي «إيزيس» و«أوزيريس» في المعنى لوجود الرمز الهيروغليفي 𓊨 مشتركاً بينهما، وهو الكرسي الذي يرمز إلى السلطان والحكم.

وأخـيراً نرى أن «فخت» Fecht ذكر أنه كان منذ القديم ثمة لهجتان في مصر ؛ واحدة في الصعيد والأخـرى في الـدلتا، وأن هناك اختلافاتٍ في كتابة اسم «أوزيريس» تؤدى إلى قراءات

متعددة، ويقول ما نصه : «كان الاسم «و س ر ى» Wusre . ولكننا لا ندري ماذا كان يعني في لسان سكان الدلتا الشرقية قبل اتحاد المملكتين، كما لم يكن المصريون أنفسهم يعرفون ! » .

هذا موجز الآراء التي عرضها «غرفث» عن معنى اسم «أوزيريس» كما حلله كل باحث بحسب ما فهمه ، وهو موجز يحسن بمن يطلب المزيد أن يعود إلى المصدر المذكور حيث يجد بغيته من المقارنات والتحليلات اللغوية الدقيقة المتشعبة التي لم نَبْغِ تشتيت ذهن القارىء بتفاصيلها الكثيرة. وقد رأينا كيف داخ جهابذة الباحثين في التحليل والتعليل والاستنتاج والاستنباط المبني فعلاً على علم غزير وصبر كثير وجهد كبير. **لكننا رأينا أيضاً أن أحداً من هؤلاء العلماء لم يكلف نفسه عناء المقارنة بين الاسم في أصله المصري القديم وبين العربية**. فهل هو تحاشٍ مقصود ؟ هل مبعثه الرغبة العجيبة في عدم ربط الصلة بين المصرية والعربية ؟ هل تراه عدم اهتمام ؟ لو فعل أحدٌ منهم ذلك لكُفينَا كل هذا العناء. بيد أن (عدم الفعل) هذا لم يكن قطعاً ناتجاً عن جهل بالعربية ؛ فإن كثيرين منهم كانوا يحسنونها. لعله (التجاهل) إذن ـ بأخف تعبير ممكن !

هم لم يفعلوا هذا أيضاً حتى عندما حللوا اسم «أوزيريس» بمختلف الطرق، وقلبوه على متباين وجوهه، وقارنوه باليونانية والقبطية ؛ **إذ لم يشر أحد منهم إلى العربية قط**. وهذا ما يوجب لفت النظر إلى وجود العربية في كل معنى قدموه للاسم في ما سبق عرضه. ولذا نستسمح القارىء في العودة به من جديد إلى الآراء السابقة وعقد مقارنة بينها وبين العربية حتى يتضح الموقف، ثم نقول رأينا الذي ارتأيناه.

لنذكر أولاً أن صورة الاسم المتداولة (أوزيريس) ليست إلا نقلاً عن اليونانية Osiris ، والسين زائدة لغوية ، فهو في الأصل Osiri (الجذر osr ـ باعتبار o يقوم مقام الهمزة من أصل الكلمة).

في المصرية نجده مرموزاً له بصور كثيرة أبسطها الرمز [hieroglyph] (كرسي تحته عين) وهو أقدم الرموز كذلك. وقد نُقحِرَتْ، كما رأينا، بأشكال مختلفة على أساس أنها مكوَّنة من مقطعين «إ س + إ ر» is.ir أو «و س + إ ر» w s. ir حسب نقحرة «بدج».

وقد أدى هذا التقطيع للكلمة إلى المشكلات التي ذكرناها في تفسير معنى الاسم، حتى أن «بدج» نفسه في كتابه (أرباب المصريين) لم يجزم برأي حاسم في المعنى المراد، فقد يكون ـ عنده ـ بمعنى «القوة»، «الجبروت»، «السلطان»، أو لعله من الكلمة المصرية «س ر» sr (= الأمير، الزعيم، الرئيس).

حسن. لنعد إلى التحليلات السابقة للاسم ونقارن بينها وبين العربية :

1) **جابلونسكي** : من القبطية «أُشْ. إِرِى» Osh. iri = «**يعمل كثيراً**» (doing much) .

المقابلة : «**أُش**» osh القبطية هي ذاتها «**أخ**» aḫ المصرية القديمة، وتتبادل الخاء والشين في المصرية أغلب الأحيان (أنظر : Gardiner ; Eg. Gr., p. 593) **فهي ذاتها «أش» aš** (= كثير، غزير، وافر). والمعنى البعيد «ماء» و«نبات» (أنظر : معجم «بدج»، صفحة 8 ، 9). في اللغة الأكادية :

aqu[40] = ماء، نبات مائي كثير. وفي الكنعانية : «أخ» = نبات، غيضة، نبات كثير ملتف. وفي العربية يدل «الماء» على الكثرة (ومن هنا جاءت كلمة «مائة»). قارن : «عشرة» من «عَشَرَ» = اجتمع، كثر. و«ألف» من «أَلَفَ» = ا جتمع، كثر[41].

وفي العربية أيضاً : «الشّيء : الماء» . . . فهو : الكثرة.

«إري» iri : يعمل، عمل. (نفس المعنى في المصرية القديمة. أنظر معجم «فولكنر»، صفحة 26). أما في العربية فقد جاء في مادة «أري» في (لسان العرب) بعد تحليلات مطولة :

«قال أبو حنيفة : أصل الأَرْي : العمل . . .
وأَرْيُ الريح : عملها».

تفسير «جابلونسكي» لاسم «أوزيريس» بأنه من القبطية Osh. iri يقابل المصرية القديمة Aš – iri ـ العربية : «شِيء + أري» (كثير + عمل). لكن هذا التركيب لا يطابق قواعد المصرية ولا العربية، فهو تركيب لغوي هند ـ أوروبي أو لاتيني على الأقل. والأصح : «أري. شِيء» (= عملٌ كثير، أو : يعمل كثيراً). ومع هذا فإن هذا التفسير، وقد بيَّنّا عروبة ألفاظه، لا معنى له ؛ إذ لم يعرف عن «أوزيريس» أنه «رب العمل» مثلاً، أو أنه كان من آلهة الخلق (كفتاح وخنومو) لينسب إليه عمل (أو «أري») ما كثيراً كان أو قليلاً. فلا يصمد هذا التفسير أمام النقد.

2) «شارب» : الاسم مكوَّنٌ من المصرية «أُش» osh (إرادة) + «إِري» iri (عمل) = إرادة العمل = الحكم، الحاكم، القاضي. Osiris= Oshiri.

المقابلة : لم أعثر، فيما بين يدي من مصادر، على كلمة «أش» في المصرية بمعنى «إرادة». والمعلوم أن «شارب» كتب في بداية كشف طلاسم الرموز الهيروغليفية ولعله قلب الكلمة المصرية «ش ء» š a (= يقضي، يأمر (Ordain, order). معجم «فولكنر»، صفحة 260. قارن معجم «بدج»، صفحة 724) فإن كان الأمر كذلك فإن المقابل العربي هو «شَاءَ» (والاسم : شِيئَةٌ = مشيئة، إرادة. أنظر مادة «ش ء ي» šay في هذه الدراسة). وقد سبقت مقابلة كلمة «إِري» iri (عمل). وهذا ما يجعل تفسير «شارب» في الأنكليزية (a decrec. to do) أو (to do. a decree) («إرادة. يعمل» أو «يعمل. إرادة») أو لنقل : «مريد العمل» أي «شائي الأري» = ش ء. إرى (= بالقلب : «أ ش. إرى» ـ osh. iri) ša. iri.

3) **لوث** : من «أَسْ. إِرى» as. iri = «ابن الأرض»[42].

---

(40) قارن اللاتينية agua : الاسبانية agua، الايطالية : acqua.
(41) في اللهجة الليبية الدارجة يقال : «مَا مِنَّهْ !» أي : «ما أكثره !».
هل هناك صلة بين «مِنَّهْ» و«ماء» ؟ (قارن اللهجة الجبايلية : «أَمَنْ» = ماء).
(42) أو «ابن إيزيس» كما ذكر أيضاً. قارن : (معجم «بدج»، صفحة 9) : «ء س. ت» a s. t = إيزيس. وهي ذاتها «إ س ت» i s t. قارن العربية : «أس ← أسس» . . .

المقابلة : أما المقطع الأول «أس» فإن «لوث»، فيما نحسب، قلبه عن المصرية «س ء» sa التي تعني «ابن» (معجم «فولكنر» صفحة 207، ومعجم «بدج» صفحة 583) ويقرأها «غاردنر» : «زء» z a (Eg. Gr., p. 471) وهي في العربية «ذ» (ذو، ذا، ذي. قارن السبئية : «ذ. ن ش ء» = ذو نشأ = ابن الملك). ولا معنى قطعاً لأن يكون «أوزيريس» ابناً لـ «إيزيس» لأنه، ببساطة، زوجها وأخوها - في الأسطورة - وليس ابنها[43]. وعذر الأستاذ «لوث» أن الأسطورة الدينية وقصة «أوزيريس» لم تكن عرفت بكل تفاصيلها في وقته. فلنقبل قوله إن الاسم يعني «ابن الأرض». وقد عرفنا أن المصرية، «**س ء**» (التي قلبها إلى «**ء س**») تقابل العربية «**ذ**» (ذو = ابن) ولم يذكر لنا مصدراً في المصرية يفيد أن «**إيري**» iri تعني «أرض»، ومع ذلك فلنحاول المقابلة بالعربية التي نجدها في مادة «**أري**» :

«**إرة** : الإرة : الحفرة التي توقد فيها النار. **والآري** : ما حفر له وأدخل في الأرض».

ونحن نعلم من أسطورة «أوزيريس» أنه في الأصل إله أرضي، وهو محاسِب الموتى، وهو الذي يدخلهم الجحيم أو ينقذهم منها. وهذه الصفات كلها تجعل «**الارة**» في هذا الموطن تقابل «**إري**» iri المصرية كما فسرها «لوث» وتناسب المقام كل المناسبة. وبهذا يمكننا مقابلة هذا التفسير بالعربية «**ذو إرة**» (= **س ء. إري** Osiris= Sa. iri) أي «ابن الأرض» (Son of the Earth) - بحسب فهم «لوث». أو بالتحديد : ابن الحفرة.

4) أما ربط «دفيريا» و«قيصردي كارا» بين «أوزيريس و«أشور» معبود الأشوريين المعروف فأمر غير مستبعد[44].

---

(43) لاحظ أن «شارب» كتب سنة 1863م. وكتب «لوث» سنة 1868م. أي بعده بخمسة أعوام فقط، وفك رموز الهيروغليفية لا يزال في بدايته يومذاك.

(44) ورد في القرآن الكريم اسم «آزر» مرتبطاً بإبراهيم، عليه السلام، الذي كان من بابل كما هو معروف : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾. (الأنعام/74).

ويقول ابن منظور في (اللسان/مادة «أزر») :

«**وآزر** : اسم أعجمي، وهو اسم أبي إبراهيم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام. وأما قوله عز وجل : (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر) قال أبو اسحاق : يُقرأ بالنصب «آزرَ». فمن نصب فموضع (آزر) خفض بدلٍ من (أبيه) ومن قرأ «آزرُ»، بالضم، فهو على النداء. قال : وليس بين النّسابين اختلاف أن اسم أبيه كان (تارخ) والذي في القرآن يدل على أن اسمه (آزر).

. . . وروي عن مجاهد في قوله : (آزر أتتخذ أصناماً) قال : لم يكن بأبيه ولكن (آزر) اسم صنم، وإذا كان اسم صنم فموضعه نصب كأنه قال : وإذا قال إبراهيم لأبيه أتتخذ (آزر) إلهاً ؟ أتتخذ أصناماً آلهة ؟».

في (التوراة) ورد اسم والد إبراهيم : «تارح» - بالحاء المهملة. ويتفق أغلب الباحثين على أن «تارخ» أو «تارح» اسم ذو صلة باسم القمر «أرخ» أو «إرح» (في العبرانية) وهو في المصرية «إ ء خ» iah (الهمزة بدل من الراء). ومن المعروف أن البابليين كانوا من عباد الأجرام السماوية والقمر من أهم معبوداتهم. ولم يختلف النّسّابون في اسم أبي إبراهيم «تارخ» ولكن الاختلاف جاء في اسم «آزر» كما ورد في القرآن الكريم. وقد انتبه مجاهد إلى أن هذا اسم صنم (= أشور) المعبود المعروف الذي سمي به البابليون «الأشوريون» (تفريقاً لهم عن البابليين الأكاديين) وهو اسم مدينتهم كذلك. ولكن ليس ثمة ما يمنع من أن يكون اسم والد إبراهيم اسماً مركباً (الأسماء المركبة تقليدٌ بابلي معروف) فيكون «آزر - تارخ» أو «تارخ - آزر». وبهذا ينتفي الخلاف في هذه المسألة. (أنظر في مسألة تركيب=

5) «لوفيبر» اسم «أوزيريس» (وكذلك «إيزيس») موجود في الرمز الهيروغليفي 𓊨𓁹 ومعناه : مقر، مقام ـ résidence .

ولم يبين «لوفيبر» أي الرمزين يقصد. فإذا كان يعني الرمز 𓁹 الذي يُقْرَأ ـ عادةً ـ «إِرِي» iri فإننا نجد في مادة «أرر» (ثنائيها : أر) العربية :

«تأريت بالمكان : أقمت به واحتبست فيه.

التأرِّي : التلبث والاحتباس.

أَرَّ : ثبت ومكن».

وهذا هو «**المقر**» أو «**المقام**» résidence .

أما إذا كان المقصود الرمز 𓊨 الذي يقرأه «**أُسِي**» osi فإن مقابله العربي «يأُسٌّ، يأَسٌّ، يئِسٌّ» (بضم الهمزة وفتحها وكسرها) وهو من الثلاثي «**أسس**» :

الأَسُّ والأُسُّ والأساس : كل مبتدأ شيء. وهو : أصل البناء. وتجمع على : أُسس وإِساس وآساس.

وفي هذا، أو منه، معنى الثبات والتمكن (التأسيس) أي معنى القرار والاقامة = مقر، مقام.

وهذا الرمز 𓊨 يقرأ عادة «س ت» s t ، ونجده في العربية في مادتي (**سته**) و(**است**)والأصل فيهما معاً «**ست**» وتفيد معنى : القعود، الجلوس، الاستقرار، أو المقر ـ كما تفيد معنى القِدم والأولوية.

6) «**بْرُغْشْ**» : الاسم مكوَّنٌ من مقطعين : «**أس**» (قوة) + «**رع**» (عين الشمس، حدقة). والمعنى : «**قوة عين الشمس**».

المقابلة : «أس» بمعنى «قوة» موجودة في العربية «**أس**» السابق بيانها. وعن «رع» راجع هذه المادة في هذه الدراسة (= **رعى، رأى**).

7) «**بدج**» : معنى الاسم : «صانع العرش». وهو مكون من «**أس**» (= عرش، كرسي) + «**إرى**» (يصنع، يعمل).

وقد سبقت مقابلة هذين المقطعين بالعربية (**أ س + أري = كرسي/مقعد، عرش + عمل**). ونلاحظ أن تحليل «بدج» قد يقبل من الناحية الاشتقاقية لكن التركيب لا يتفق مع المصرية والعربية ؛ إذ ينبغي أن يكون «عرشاً صنع = **أُسًّا أَرِيَ**» لكي يقابل «أوزيريس».

= الأسماء البابلية : (R. Zadok ; On West Semites in Babylonia) .

أو لعل اسم والد إبراهيم الشخصي كان «تارح» وكانت «آزر» لقباً له، ربما لاحتلاله مكان الكاهن الأكبر في معبد أصنام بابل، فهو بهذا «وزير» (وهي كلمة ترجع إلى الجذر «أزر» كما ترجع «آزر»). ولنا هنا المقارنة مع ما في القرآن الكريم من حديث عن «هامان» (= آمون) الذي هو اسم معبود واسم كاهن معاً. (أنظر مادة «أ م ن» في هذه الدراسة).

8) «بيتس» : الكلمة ليبية، لأن منشأ «أوزيريس» كان في ليبيا، وفي الليبية كلمة «و س ر» w s r ومعناها : قديم، عتيق.

المقابلة : ينسى الأستاذ «بيتس» ـ مثل سواه من الباحثين الغربيين ـ أن اللغة الليبية ليست إلا شقيقة العربية، كالمصرية تماماً. وكلمة «وسر» التي قدمها «بيتس» تحمل المعنى الذي ذكره ولكن المعنى الأصلي هو : شيخ، كبير في السن، عجوز (أنظر : معجم دالّيه J.M. Dallet ; Dict. Kabyle – français, p. 876 الذي يضيف معنى : عاجز decripit ثقيل الحركة، مقعد). وهذه تقابل العربية «وزر» التي تفيد الثقل المادي ثم الثقل المعنوي (الأهمية، القيمة، الاحترام) ومنها : «وزير». (كما تفعل «وقر» الأمر نفسه : الوقر = الثقل. والتوقير = التقدير، الاحترام). و«وزر» هي ذاتها «أزر» في دلالاتها المختلفة، وهي أيضا «أصر» (راجع هذه المواد في «لسان العرب»). فالليبية «و س ر» لا تعني الشيخـوخـة وكبر السن فقط بل تفيد جملة معانٍ مرتبطة بالتقدم في السن الموجب للاحترام والتوقير، كما هو الحال في العربية.

أما نعت «أوزيريس» في المصرية «و س ر. ر ن ب ت» w s r. r n p t (حرفياً : غنيٌّ (أو : وافرُ) السنين (rich in years) = قديم) فإن «و س ر» هنا تقابل العربية «يسر» أي : كثير. وأرجو أن يعود القارىء إلى مادة «ر ن پ ت» في هذه الدراسة ليجد تحليلها.

9) «إرمان» : معنى الاسم : «شاغل عرش رع» (أس. رع) = أوزيريس.

المقـابَلة : «أس»، العربية : أس ← أسس ← تأسس = جلس، قعد، تمكن، ثبت، تكرَّس (من : كرسيّ)، تعرَّش (من : عرش) = **شَغَلَ العرشَ** + «رع». (قارن هذه المادة في هذه الدراسة).

10) «سيثي» : قرأ الرموز الهيروغليفية المشيرة لاسم «أوزيريس» : «س ت. إ ر ت» st. irt، ومعناها عنده : «كرسي العين»، أو : «عرش العين» (Seat of The Eye).

المقابلة : في العربية «ست» (است، سته) : مقعد/(كرسي، عرش) + «رائية» = أداة الرؤية = العين.

11) «وستنـدورف» : قرأ الرموز عكسياً هكذا : «إِرِي ـ زى» iri – zy وترجمها : «الذي عملها أو خلقها» ـ (He who made or created it).

المقابلة : سبق شرح «إري» بمعنى : عمل، صنع، خلق. (الجذر في العربية : أري).

أما المقطع «زي» zy أو«س ى» sy فإن المقصود به الربة «م ء ت» ربة العدالة والحق. وهو هنا ضمير المفرد الغائب المؤنث (= ها. عاملها، صانعها، خالقها = آريها). والمعروف أن حرف السين **أو السين القريبة من الزاي ـــ في المصرية كانت تفيد ضمير المؤنث المفرد الغائب في آخر الكلمة، وهي نفس الأداة في عربية اليمن القديمة. (أنظر الجزء الثالث من هذه الدراسة. وقارن : Budge ; Eg. Language, p. 95).**

لقد جئنا بكل ما مضى تتبعاً لتفسيرات العلماء لاسم «أوزيريس» - لا اتِّباعاً - لكي **نظهر أن العربية تقابل كل تفسير ارتأوه مهما بدا غريباً أو حتى مستبعداً**، ورغم أن أغلب هذه التفسيرات قام على الظن والتخمين وعلى أساس تقطيع الاسم وتمزيق أوصاله كما مزق صاحبه ونثرت أشلاؤه في الأسطورة المصرية القديمة !

فما هو تفسيرنا لهذا الاسم العتيق الشهير ؟

بعض العلماء سبق أن أشار إليه. وكان أول من فعل ذلك المؤرخ المعروف «بلوتارخ» في كتابه عن (إيزيس وأوزيريس) وهو أقدم من حلل أسماء آلهة مصر العتيقة عهداً، **وقدم معاني تلك الأسماء، أو بعضها، في اليونانية نقلاً عما فهمه من المصرية. وعنده أن اسم «أوزيريس» يؤدِّي - في المصرية - معاني : القوة والجبروت والسلطان.** وقد أيده عدد من علماء المصريات في عصرنا الحديث.

الأستاذ «شيرني» (Cerny ; Ancient Eg. Religion, p. 35) فسَّر الاسم بأنه يعني **«كرسي العين»** (Seat of The Eye)، ومع هذا أورد رأياً يقول إن «أوزيريس» كان في الأصل ملكاً **عظيماً** يحكم مصر، ثم أُلِّه وصار معبوداً ونسجت من حوله الأساطير[45]. ويقرأ «غاردنر» (Eg. Gr., p. 562) اسم المعبود في أشكاله الهيروغليفية المنوعة : **«و س إ ر»** w s i r - ولا يقطع الكلمة إلى مقطعين. وهو يأتي بكلمة **«و س ر»** w s r ويترجمها : powerful (قوي)، Wealthy (غني)[46]. بينما يترجم «فولكنر» (a Con. Dict. of M. Eg. p. 68) نفس الكلمة إلى الانكليزية Strong (قوي/شديد) و influential (مؤثِّر) إلى جانب ما ذكره «غاردنر» من معانٍ تدور في هذا النطاق.

أما «بدج» فقد بدا متردداً بين مختلف الآراء في كتابه الذي خصصه للحديث عن «أوزيريس» في جزءين كبيرين[47]، وأورد مختلف الصيغ لكتابته في العصور الأولى بمصر وفي عصر البطالمة، وبالخط القبطي إلى جانب القلم السرياني، مقلباً إمكانية نطقه بمختلف الصور ومحاولاً استخلاص المعنى المقصود دون الوصول إلى رأي قاطع. لكنه في مؤلفه عن «آلهة المصريين» (The Gods of the Egyptians, ii, p 113) قرأ الاسم «و س ر» w s r وترجمه إلى الانكليزية : Strength, might, power (شدة، جبروت، قوة). ثم رأى أنها قد تكون من المصرية «س ر» s r [48] بمعنى : رئيس، أمير - عنده - prince, chief. أما في معجمه (An Eg. Hier. Dictionary) فهو يكتبه «إ س ر»[49] i s r ومن معانيها : القوة، البطش، الشدة، السلطة... إلخ.

---

(45) هذا الرأي في الواقع ليس جديداً فقد ذكره «مانيثو» في بداية مؤلفه عن تاريخ مصر عند حديثه عن (حكم الآلهة قبل عصر الأسرات. أنظر : Manetho ; Aegyptiaca, Tr : W.G. Waddell, LOEB, n° 350, pp. 3. 19.

(46) قارن العربية : أصر، أسر، أزر (قوة).
و : يُسر (غِنىً) - رجل «ميسور» الحال = غني.

(47) W. Budge ; Osiris and The Egyptian Resurrection, Dover Publications, New York, 1973, Vol. I, pp. 24-25.

(48) قارن العربية «سريٌّ». أنظر مادة «سرا» في (لسان العرب).

(49) العربية : إصر، أسر، أزر.

وخلاصة الأمر بالنسبة للباحثين ممن ذكرنا أن نطق اسم «أوزيريس» (وهذه هي الصيغة اليونانية)[50] يمكن أن يكون أيًّا مما يلي :

«أ س . ار» - «وس . إر» - «وز . إر» - «س . ر» - «وس . إرى» - «وس ء . ر» - و ء ز . إرى» - «وس ء . إرى» - «ء س (س ء) . إرى» - ء ش . إر» . . . إلخ .

ونلاحظ أن هذه القراءات جاءت على أساس تقطيع الاسم إلى مقطعين، وذهب كل باحث مذهباً خاصاً به على أساس التخمين كما رأينا. وهو ما أدّى إلى كثير من الخلط والغلط. **أما إذا قرئت الكلمة باعتبارها مقطعاً واحداً** - كما يجب أن تكون - فإننا نجدها :

«وسر» - «وزر» - «أزر» - «إصر» - «سر» . . . وما إليها .

والمعنى العام الذي يقدم في هذه الحالة يفيد : **القوة، السلطان، الحكم، العرش، الجبروت، الشدة** . . . ونحوها. وفي ظننا أن هذا هو المذهب السليم في قراءة الاسم ومعناه، ولنا قياس في هذا الباب آلهة مصر الكبرى : «أمون»، «رع»، «حورس»، «ست». . وعشرات غيرها مما يدل اسم كل منها على معنى بعينه يتصل بصفة من صفات الربوبية أو بوظيفة المعبود ذاته. ولا شك في أن «أوزيريس» يمثل «**القوة**» على كل حال ؛ قوة دفق النيل، أو قوة الأرض إذ هو رب الزرع، أو قوة الاخصاب، أو حتى قوة الشمس المعبودة الكبرى والتي يرمز إليها بالعين تارة وبقرصها ☉ تارة أخرى في اسمه، أو قوة الحدقة السحرية[51]، أو قوة انتصار الخير على الشر، أو قوة البعث وإعادة الحياة. وهذه مجموعة قوى، ظاهرة وخفية، تنسب إلى «أوزيريس».

ومن العجيب فعلاً أنني لم أعثر في ما بين يدي من مراجع أجنبية على شيء يربط بين القوة والسلطان في مختلف مظاهرهما وبين المفردات العربية المقابلة حذو النعل للنعل، ليس من حيث الدلالة فحسب بل أيضاً من حيث تنوع الكتابة والنطق والتصريف. وهذا ما يفسر بوضوح ذلك التنوع الذي لاحظناه في القلم الهيروغليفي ومن بعده السرياني والقبطي، كما في القلم الديموطيقي كذلك. فلننظر في هذه الجذور العربية ولنر الصلة الوثقى، بل التطابق التام، بينها وبين المصرية :

«**أزر** : الأزر : الظهر والقوة. أزرت فلاناً، آزره، أزراً : قوّيته. ومن جعل (الأزر) في قوله تعالى : (أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي) القوة قال : أشدد به قوتي. ومن جعله الظهر قال : أشد به ظهري».

«**أسر** : الأَسرة : الدرع الحصينة. وأسر : شدَّ. والاسار : ما شُدَّ به. والأسير : المشدود. والأَسر : شدة الخلق. رجل مأسور : شديدٌ عند المفاصل والأوصال. (نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ) أي : شددنا خلقهم. والأسر : القوة والحبس. ومنه : الأُسرة : العشيرة والعصبية (من العصب = السير/ الأ... = الشد والربط)».

---

(50) هذا النطق مأخوذ عن الفرنسية. في الأنكليزية ينطق : «**أُوزايْرِسْ**».

(51) أنظر : Lurker ; The Gods and Symbols of Ancient Egypt, p. 128 .

«أصر : أصر الشيء يأصره أصراً : كسره. الإصر : الثقـل، وجمعـه : آصـار. الآصرة والإصار : القدُّ (السَّير) يضم عضدي الرجل، والسين فيه لغة، وتجمع على أواصر (= روابط). وشعر أصير : ملتف مجتمع كثير الأصل (قوي). وإنهم لمؤتصرو العدد أي عددهم كثير. الأصير : المجتمع المتقارب».

«**وزر** : الوَزَر : الملجأ. وأصل الوَزَر : الجبل المنيع. وكل معقل : وَزَر. الوِزْر : الحمل الثقيل ـ سمي به الذنْب لثقله. وأوزار الحرب : أثقالها وآلاتها. والأوزار : السلاح[52]. والوزير : حبأ الملك الذي يحمل ثقله. ووازره على الأمر : أعانه وقوَّاه والأصل : آزره. . . . ومن هنا ذهب بعضهم إلى أن الواو في (وزير) بدل من (أزير). وفي التنزيل : ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي﴾ ـ الوزير في اللغة اشتقاقه من : الوزر، أي الجبل الذي يعتصم به. وقيل لوزيرَ السلطان (وزيرَ) لأنه يزر (يحمل/يمنع) عن السلطان أثقال ما أسند إليه».

وهكذا نرى أن معاني «القوة» موجودة في : «**أزر**»، «**أسر**»، «**أصر**»، «**وزر**». كما نجدها في «**يسر**» و«**وصر**»[53]. وكذلك في «**صرر**» (صرَّ = عقد) و «**زرر**» (زرَّ = ضغط، ضيَّق) و «**سرا**» (منهـا : سري، جمعهـا : سراة). ونفس معنى القـوة في المقلوبـات : «**أرز**»، «**زأر**»، «**رأس**» (رئيس). . إلى غير ذلك كثير.

وقد عرفنا الاختلاف في قراءة الحرف الأول من اسم «أوزيريس» ؛ إذ جعله بعض العلماء همزة تكسر وتفتح وتضم وجعله آخرون واواً. **ما المانع أن تكون عيناً** ـ ونحن نعلم كثرة تعاقب الهمزة والعين[54] ؟ فلنقرأ في العربية :

«**عـزر** : العـزْر : الضرب بالسيف واللسـان. وعـزره : أعـانه وقواه ونصره. والتعزير : لتعظيم والتقدير. وعزرت الحمار : أوقرته (= حمَّلته. قارن : وقر = حمل، ثقل) العيزار : الصلب الشـديد من كل شيء، الشـديد الأسر (لاحظ الابـدال بين «**عزر**» و«**أسر**»). وعـازر، وعزرة، وعيزار، وعيزارة، وعزران : أسماء[55]».

---

(52) قارن هنا رمز «أوزيريس» الهيروغليفي علامة الملك وهي أصلاً سلاح.

(53) بمعنى السجل أو العهد. في لهجاتنا الحديثة تحولت إلى «واصل» أو «وصل» (صك استلام الشيء). هل تحولت «أزر» إلى «أزل» بمعنى : قديم، عتيق/قِدم ؟

(54) الواقع أن قرب رسم العين (عـ) في العربية من الهمزة (ء) التي هي عين مصغرة يدل على كثرة هذا التعاقب. ولنا أن نقارن قرب رسم الجيم (ج) والحاء (ح) والخاء (خ) التي لا تختلف إلا بوضع النقط دليلاً على كثرة تبادلها (قارن تساوي قولنا : **مجنون، محنون، مخنون**. وقارن : **جنة، حنة، خنة** ـ وكلها بمعنى واحد).

(55) ورد اسم «عُزَيْر» في القرآن الكريم : ﴿وَقَالَتْ اليهود عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ﴾ (التوبة/30).
ويربط المفسرون بينه وبين ما جاء في سورة (البقرة) : ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي اللهُ هٰذِهِ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ إلى آخر الآية 259. وسياق الآيات قبل هذه الآية وبعدها عن فكرة (البعث) التي سأل إبراهيم فيها ربه : «أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى».
فهل ثمة صلة بين «**عزير**»، الذي أماته الله مائة عام ثم «بعثه»، وبين «**أوزيريس**» إله البعث المصري الذي «بُعِثَ» هو نفسه بعد قتله وتقطيع أطرافه، ولو صلة الفكرة العامة ؟

ثم هناك : «عَسَرَ».

«العُسر : الشدة والصعوبة. قال الأصمعي : عسره وقسره واحد. والاعتسار هو الاقتسار والقهر».

وكذلك : «عَصَرَ» الذي يفيد الضغط من مثل استخراج السائل (كالزيت أو الماء) بالقوة (= عصير)[56].

ولن ننتهي إلى غاية إذا رُمنا تتبع اسم «أوزيريس» بمعنى «القوي، الشديد» في مختلفة جذور العربية القريبة من جذره في المصرية. ولعل في ما ذكرناه كفاية. فليكن المقابل «أزر» أو «عزر» - من باب التبسيط - وقد رأيت دلالتها في ما عرضناه باختصار كبير. خشية إملال الاطالة.

إ و ن *iwn*

كان «الإون» - الذي يعني اسمه «العمود» (pillar) - معبوداً من آثار عبادة الذكورية القديمة في «هليوبوليس» وكان يرفع بطقوس بالغة التوقير ويوضع رأس ثور عادةً على قمته. ولصلته بالمسَلّة فقد صار «الاون» رمزاً للقمر. وقد أطلق اسم «إون» على «أوزيرس» بصفته إلهاً للقمر.

عند «غاردنر» «إون» iwn (عبارة عن صورة عمود (= Column). وأحد أسماء «حورس» : (إ و ن. م و ت. ف) أي «عمود أمه»، أو على الأدق : «عماد أمه». أي مستندها وعونها. **وقد يبدو أن «إون» المصرية تقابل «عون» العربية،** وهذا جائز لكثرة تعاقب العين والهمزة؛ فإن في الجذر «عون» معنى السند والاعتماد (من : عَمَدَ). وقد جاء في مادة **«عون»** : «العون : الظهير على الأمر». وهذا هو وضع العمود بالنسبة للبناء، يسنده ويقيمه، فإن «كل شيء أعانك هو **عون** لك» كما يقول الليث. وشبيه بهذا قولنا : «**نخلة عوان**.. أي طويلة» (وهي لغة قبيلة أزد). و«قال أبو حنيفة : **العوانة**؛ النخلة - في لغة أهل عمان... قال ابن بري : **العوانة**؛ النخلة الباسقة من النخل» (اللسان). وليس ثمة شيء أشبه بالعمود (المصرية «إون») من النخلة.

هذا باعتبار تعاقب الهمزة والعين في المصرية والعربية. فإن كانت الهمزة أصلية في المصرية فإن لدينا نصاً عربياً واضحاً لا لبس فيه يحدد عروبة الكلمة بشكل قاطع. فقد ذكر ابن منظور في

(56) إذا كانت الفكرة البحث عن لفظ يؤدي معنى القوة والقدم في الوقت ذاته فإن «العصر» (مادة : عصر) تعني ما تقدم ولكنها أيضاً تفيد معنى الزمان ﴿والعَصْر. إنَّ الانْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾، قرآن كريم. وربما الزمان العتيق. وهذا ما يوافقه «و س ر» wsr التي ربط «بيتس» بينها باعتبارها اسم المعبود «أوزيريس» (القوي) ومعناها في الليبية (العتيق، القديم).

مادة «أون» أن ابن بري قال : «**الأوان : عمود من أعمدة الخبَاء . . . وكل شيء عمدت به شيئا فهو إوان له**» (قارن : عون/عوان) .

ومن هذا النص نرى أن الهمزة قد تفتح (أَوان) وقد تكسر (إوان) . كما نرى أن المعنى واحد في الجذرين (عون) و(أون) . وهي جاءت في السبئية «ع و ن» ، ومنها كلمة «معن»[57] (= سكن) وتقرن بكلمة «معان» (مدينة/اسم مدينة في شمال الجزيرة/موضع بالشام قرب مؤتة ، كما يقول ابن منظور) . (قارن : Biella ; Dic. of O.S. Arabic, p. 359).

وليس غريباً أن يكون مقلوبها «عمان ← عمّان/مدينة بالأردن) يرجع إلى نفس الجذر ، وكذلك «عُمان» التي عرفت عند الكنعانيين باسم mgn (= م ع ن/بالابدال) ولعلها أصلاً «معن» . وكلها تشير إلى أسماء مدن أو قرى ومساكن ذات عُمد .

مهما يكن الأمر فإن من «إون» المصرية جاءت في تلك اللغة : «**إ و ن ي ت**» iw nyt ومعناها «قاعة الأعمدة» (Hall of Columns) (غاردنر - صفحة 552) ومقابلها العربي : «**إيوانية**» أو «**إوانية**» . ومن المدهش فعلاً أن يقرر ابن منظور أن «**الايوان**» أعجمي ويقرنه بإيوان كسرى ، في حين أنه عربي صريح العروبة ، وأصله من «الاوان» بمعنى «العمود» سواء كان في مصر أم في الجزيرة . وقاعة كسرى ، كما كانت قاعة فرعون ، مليئة بالأعمدة التي تسند سقفها ، تماما كما تسند الأعمدة أو «الإوانات» خباء الأعرابي في الصحراء .

ويورد «شيرني» (Anc. Eg. Religion, p. 26) أن الاسم القديم المشهور للمدينة التي عرفت عند اليونان باسم «**هليوبوليس**» («مدينة الشمس» . وتعرف الآن باسم : «عين شمس» . ولعل صوابها : «عون شمس» - بمعنى «مدينة» وبمعنى «عمود» . وليلاحظ أن المسلة المشهورة ، المعبودة رمزاً للذكورية قديماً وللشمس بعدئذ «إون» كانت في هذا الموقع) أن اسم هذه المدينة يرجع إلى «**إون**» (يكتبها Yon) - وهو ذاته في صورته الملتّنة Yonew . وقد عرفت في (التوراة) باسم «**أوْنْ**» On كما كانت «طيبة» في الصعيد تسمىً «خ ت . إ م ن» (مدينة أمون) عربيتها : «**خطة** (= **مدينة**) **أمون**» ، ولكنها وردت في (التوراة) في (سفر ناحوم) باسم «**نو أمون**» (= إوان أمون) :

«**هل أنتِ أفضل من (نو أمون) الجالسة بين الأنهار حولها المياه التي هي حصن البحر ومن البحر سورها ؟ كوش قوتها مع مصر وليست نهاية . فوط ولوبيم (الليبيون) كانوا معونتك**» (ناحوم/3/5) . وفي الدلتا كانت مدينة «ب . خ ن . إ م ن» (عربيتها : ب = أداة التعريف + خ = بيت/قِن ، كِن ، خِن + أمون = خِن أمون) تقابلها «طيبة» (إوان أمون) في الصعيد ، وكانت تعرف باسم «إوان» (إون/نو/أوْن) مجرداً أي «المدينة» par excellence . (أنظر : Budge ; The Gods of The Egyptians, ii, p. 31 .

هل مجرد صدفة أن تدعى «طيبة» عاصمة مصر الجنوبية بهذا الاسم ، كما تدعى «المدينة» ؟ وأن تسمّى «يثرب» باسم «طيبة» أيضاً كما تسمى «المدينة» (مدينة الرسول) ؟

(57) أي «مَعْوَن» . قارن : سَكَنَ : سَكَنٌ ، مَسْكن .

أخيراً . . هل ننسى «إرم ذات العماد» التي ورد ذكرها في القرآن الكريم . إن مادة «أرم» (التي منها : إرم) تعني الحجارة وهي التي تبنى بها المدن ، وأما تسميتها «ذات العماد» فإنها تقابل بالضبط «إون» (= عمود/عماد) .

كل ما في الأمر أن عرب مصر استعملوا لفظاً ، واستعمل عرب الجزيرة لفظاً آخر يؤدي نفس المعنى . ومع هذا فقد رأينا «إون» المصرية في عربيتها : «أون» و«عون» أوضح ما تكون .

(إيزيس) Ast ، Ȧs-t

عند بعض الباحثين أن اسم هذه الربة الشهيرة يعني «الكرسي» أو «العرش» وكان يكتب بعلامة مطابقة لتلك التي فوق رأسها . وعلى هذا فقد تكون في الأصل تجسيداً للعرش . كانت ذات مغزى خاص بالنسبة للملك (الفرعون) إذ اعتبرت أمه رمزيًا . وهي في الأسطورة سعت في طلب زوجها وأخيها الميت «أوزيريس» ، وحملت منه بابنها «حورس» ، ودفنته وبكته مع أختها «نفثوس» .

عُبِدَتْ تحت لقب «عظيمة السحر» أو «الساحرة العظمى» التي حمت ابنها «حورس» من الأفاعي والحيوانات المفترسة وأخطار أخرى ، وبذا كانت حامية الأطفال أيضاً . عرفت عند اليونان باسم «إيـزيس» **Isis** ، وكان «أوريون» **Orion** يُعْتَبَرُ روح «أوزيريس» ومن هنا تصوَّر المنجمون أن «الشِّعْرى» **Sirius** ، التي يدعوها المصريون «سبد» **spd** [58] واليونانيون **Sothis** ، أنها «إيزيس» . وفي المملكة الجديدة ارتبطت «إيزيس» بالربة «هاثور» واتخذت صفاتها الجسدية ؛ قرني الثور وقرص الشمس . وقد نظر المصريون القدماء إلى «إيزيس» على أساس أنها «عين رع» رغم أن «بلوتارخ» تصوّرها ربة للقمر . وفي العهد اليوناني صارت «إيزيس» حامية للبحَّارة وأضيف المجداف إلى رموزها باعتبارها «إيزيس فاريا» **Isis Pharia.**

---

(58) s p d تعني أيضاً : الحادّ ، الشديد التوقد حساً ومعنى ، كما نقول : فلان حادُّ الذكاء ، وتعني : الثاقب ، كما نقول : فلان ثاقب الفكر . قارن القرآن الكريم : «النجم الثاقب» (سورة الطارق) . و s p d تكافىء العربية : سفد ، ومنها السفّود ؛ أي القضيب من الحديث يثقب اللحم المقطع ليشوى ، والسفاد ؛ أي نزو الحيوان .
نذكر هنا أيضاً أن «الشِّعرى» التي وردت في اليونانية في صورة Sirius تسمى في العربية أيضاً : الزُّهَرة ، بفتح الهاء ، وهي هذا الكوكب الأبيض (اللسان ، مادة : زهر) . ولعل اليونانية أخذتها من العربية (زُهَرة) وحرفتها إلى Siriu(s) كما أخذت من المصرية «سبد» s p d (العربية : سفد) فصارت فيها Sothi(s) .

«إيزيس» هو الاسم المتداول المأخوذ عن اليونانية Isis والسين في آخره زائدة لغوية، فهي Isi ، فإذا أسقطنا الحركات صارت Is (وينطق السين هنا زاياً : Iz) والصيغة المصرية هي «إست/أست» Ist/Ast (عبارة عن رسم كرسي أو عرش، ونصف دائرة تمثل حرف التاء، وصورة امرأة جالسة للدلالة على الربة).

المعنى إذن في أساسه معنى القُعُود والجلوس، وربما التمكُّن والسلطة والرسوخ. وقد نقل «شيرني» (Ancient Eg. Religion, p. 35) الاسم إلى الانكليزية Eset بمعنى «عرش» في المصرية أو «كرسي». واكتفى «غاردنر» (Egyptian Grammar) بأن نقحر الاسم : 3st مشيراً إلى أنه يعني «الربة إيزيس» دون أن يبين معناه. أما الأستاذ «بدج» (The Gods of the Egyptians, ii, p. 202) فقد ناقش مطولاً هذا الاسم وخلص إلى القول بأن :

«اسم إست Ȧst ، مثله في ذلك مثل اسم «إسر» Ȧsar (أوزيريس)، قاوم حتى الآن كل تفسير. وواضح من المشتقات المعتمدة على الجناس التي كان يعود إليها المصريون أنفسهم أنهم لم يعرفوا عن معنى اسمها أكثر مما نعرف. والاحتمال هو أن «إس» As أو «إست» Ȧst **اسم ليبي في الأصل وأنه يجب أن يصنف مع أسماء المعبودات الليبية الأخرى**، أعني : نث، بست، وغيرهما. وهي التي كان يعبدها مصريو ما قبل عصر الأسرات والتي عُبِّر عن أصوات أسمائها بالرموز الهيروغليفية بأقرب ما يمكن حين اقترض أهل البلد (مصر) أو اخترعوا فن الكتابة».

هذا ما يقوله «بدج». وسواء كان الاسم أصلاً ليبياً أو غير ليبي، فإن نظرة في العربية التي نعرف تبين بوضوح ما هو المقصود من الاسم.

إن الكرسي أو العرش جزء لا ينفصل عن اسم «إيزيس»، والمرأة الجالسة تمثلها في الرموز الهيروغليفية الأولى لاسمها. وهنا تمكننا العودة إلى مادة «أست» في العربية فنجدها تتفق مع مادة «أسس». قال في (اللسان) :

«است الدهر مثل أُسِّ الدهر، يريد ما قدم من الدهر». قال : «وهمزة است موصولة بإجماع، وإذا كانت موصولة فهي زائدة».

ثم نمضي إلى مادة «سته» فنجد ابن منظور يساوي بينها وبين «است» و «ست»، ونفهم أن الهاء في «سته» زائدة كما أن الألف في «است» زائدة أيضاً، وأن الجذر الأصلي في كليهما هو «ست»، كما نفهم أن ما تفيده هذه الثلاثة هو الجلوس والقعود، والأصل، والقدم. . . تماماً كما يفيده الجذر «أسس» الذي يؤدي إلى «أُس» (= الأساس).

لنا هنا أن نقول إن أصل اسم «إيزيس» في المصرية هو «أس» (As عند «بدج») أضيفت إليه تاء التأنيث فصار «است» (Ȧst عند «بدج») وأن المعنى البعيد : التمكّن، التأسس، الأصل والقِدم، ثم تطور إلى معنى : العرش والكرسي وما إليها.

وقد نأخذ الجذر الذي ذكره ابن منظور (ست) أضيفت إليه الهاء فصار (سته) مرة، ووصل بالألف فصار (است) مرة أخرى، ونقول إنه المقابل العربي للمصرية 3(st). وهذا كله بالنظر إلى الرمز الهيروغليفي الذي يمثل الكرسي، ويرمز إلى عرش الملك المكين.

بيد أن وجود المرأة الجالسة في الرمز الهيروغليفي يثير انتباهنا، فما المانع أن يكون الأصل، ببساطة: «ستّ»؟ أعني «سيدة» - **إن الشائع أن كلمة «ست» التي نستعملها اليوم بكثرة كناية عن المرأة اختصار لكلمة «سيدة»**. ولكن هذا غير صحيح على الاطلاق؛ فإن كلمة «ست» موجودة في الكنعانية بمعنى «امرأة» ولا صلة لها بكلمة «سيدة». وقد لاحظ «غوردون» هذا واقترح أن يربط بينها وبين اسم إيزيس في المصرية[59]. (Gordon ; Ugaritic Handbook).

والشيء نفسه ينطبق على كلمة «سي» التي نظن أنها اختصار لـ«سيدي». فهي في المصرية: «س» (s) ومعناها الأصلي: إنسان، رجل، (فلان). (Budge ; An Eg. Hier. Dict., p. 583).

وكذلك كلمة «بت»؛ ليست اختصاراً لـ«بنت» بل هي هكذا في الكنعانية (bt) بمعنى أخت، بنت، ابنة. (Gordon ; Ug. Handbook).

وعلى هذا فإن اسم «إيزيس» ينبغي أن يقرأ في المصرية «ست» st. وهو مكوّن من: s (رجل) + علامة التأنيث st = t «ست». وهذا ما يجعلنا نقترح أن ما عرفه اليونان باسم Sothis (الشعري) ليس إلا تحريفاً للعروبية «ست».

غير أنه مما يلفت النظر أن الأستاذ «غاردنر» في كتابه Egyptian Grammar يقرأ اسم الربة في الهيروغليفية : (3st) كما يقرأه (3śt). كذلك يساوي بين (3s) و(3ś). (صفحة 500).

وفي نقحرته لرموز الهجاء الهيروغليفية (ص 25 من المصدر نفسه) يقرر أن ما يقابل (ś) هو صوت يشبه حرف (z) في اللاتينية ـ وهو حرف الزاي في العربية. وعلى هذا يمكننا تقرير أن اسم «إيزيس» في المصرية هو 3zt (عزت[60]) ونرى أن الهمزة في أوله إبدال للعين، وهذا كثير الحدوث جدا، فهو إذن يقابل العربية «ع ز ت» كما تقابل كلمة 3ś (3z) العربية «ع ز».

فإذا كانت الترجمات الغربية تذهب إلى معاني الكرسي والعرش وما إليهما، نظراً للرمز الهيروغليفي فإن من اليسير جدًّا معرفة المقابل العربي في اللفظ والدلالة معاً بعد ما بيّنا، وفي تصورنا أن أساسه حرفان يمثلهما هذا الرمز ذاته: «ع ز». فإن بحثنا في المعاجم العربية وجدنا عدداً لا يحصى من المشتقات ترجع إلى هذا الجذر وتؤدي معنى القوة والملك والسلطان وما إليها من دلالات المناعة الجديرة بهذه المعبودة الرفيعة الشأن. (وللقا رىء أن يرجع إلى مادة «عزن» في أي معجم ليستزيد تفصيلاً). أضف تاء التأنيث إلى «عز» ـ كما فعلت المصرية ـ تحصل على «عز. ت» وهي العربية «عِزَّة» أي «العزيزة». ونحن نعرف أن من معاني «عزة[61]» السلطان والقوة، كما ورد

---

(59) كذلك هي موجودة في المصرية: «ست» s t = امرأة، زوجة. (أنظر Gardiner ; Egyptian Grammer, p. 448).

(60) يقرب هذا ويرجحه نطق Isis المأخوذ عن اليونانية: «إيزيس»، بالزاي، وليس« إيسيس».

(61) لا يزال اسم «عِزَّة» مستعملاً حتى يومنا هذا، وإن صار ينطق «عَزَّة» بفتح العين.

في القرآن الكريم : ﴿وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾. الشعراء/44.

من مادة «عـزز» هنـاك «**العزيز**». وبحسب التعبير القرآني فإن «العزيز» لقب للحاكم أو صاحب السلطة بمختلف درجاتها وصورها. ففي (سورة يوسف) ترد آيات :

﴿وَقَالَتْ نِسْوَةٌ الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ (70).
﴿قَالَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ (51).
﴿قالُوا يا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِيراً﴾ (78)
﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قالُوا يا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾ (88).

فإذا كان ذو السلطان في مصر القديمة يدعى «عزيزاً» فإن ذاته يمكن أن تدعى «العزيزة» (**الذات العزيزة**). فهل عجب أن تُسمَّى المعبودة ذات العزة : «العزيزة» ؟ وهذا هو المقابل العربي لأحد ألقاب «إيزيس» : (the great one) (العظمى / الكبرى) كما يذكر «شيرني» (Ancient Eg. Religion, p. 159) فإذا رمنا ما هو أسلم من هذا وأصح لفظاً ومعنى فإن «**العُزَّى**» هي الكلمة المناسبة. و«العُزَّى» هي المعبودة العربية الشهيرة، وكان لها صنم في الكعبة معروف، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم :

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ والعُزَّى ومَنَاةَ الثَّالثة الأخرَى﴾ النجم/19. وفي تفسير «العُزَّى» يقول ابن سيده : ﴿أراه تأنيث الأعز بمعنى العزيز. والعُزَّى بمعنى : العزيزة... **ويجوز في تأنيث العُزَّى أن تكون تأنيث الأعز بمنزلة الفُضلى من الأفضل والكبرى من الأكبر**﴾ (اللسان/مادة : عزز).

و«العُزَّى» كانت صنماً لقريش وبني كنانة كما كانت «اللات» صنماً لثقيف، ويقال إنها كانت صنماً لغطفان يعبدونها وكانوا بنوا عليها بيتاً وأقاموا لها سدنة، فبعث إليهم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فهدم البيت وأحرق السمرة وهو يقول :

يا «عُزّ» كفرانك، لا سبحانك * إني رأيت الله قد أهانك

والذي يهمنا هنا أن «العُزَّى» تدعى «عُزّ» كذلك ـ وقد يكون هذا اسم «إيزيس» إذا وضعنا الحركات المناسبة.

تبقى الاشـارة إلى اسم نجم عُبـد باعتبـاره مظهـراً من مظاهـر تجليات «إيزيس» وهـو «**الشِّعرى**». وقد ذكرت هي الأخرى في القرآن الكريم : ﴿وأَنَّهُ هو رَبُّ الشِّعرَى﴾ (النجم/48). وهما «شعريان» : العَبور التي في الجوزاء، والغميصاء التي في الدراع. و«عبد الشعرى العبور» طائفةٌ من العـرب في الجـاهلية. ويقـال إنها «عبرت» السماء عرْضاً، ولم يعبرها عرضاً غيرها. **وسميت الأخرى «الغميصاء» لأن العرب قالت في أحاديثها : إنها بكت على إثر العبور حتى غمصت !**

وقـد توجـد صلة ميثولوجية بين بكاء «الغميصاء» العربية وبكاء «إيزيس» أخاها وزوجها «أوزيريس»، أثراً من آثار الأسطورة المختلطة. ولكن الاشارة تنبغي إلى أن اسم «الشِّعرى» في اللغـات الأوروبية الناقلة عن اليونانية هو «سيريوس» Sirius وهو ذاته «الشعرى» محرفاً بالطبع،

حذف السين الزائدة في آخره. وقد عرفها اليونان أيضاً باسم «سوثيس» Sothis، وبحذف السين بقى Soth - **وقد تكون مأخوذة، كما سبق القول، عن العروبية «ست»**. ولكن الباحثين الغربيين يقررون أنها جاءت من المصرية «س پ د» s p d . فما قصة هذه «السپد» ؟

نحب أن نشير أولاً إلى أن حرف الباء المهموسة، الثلاثية النقط (p) كان كثير الورود في بواكير اللغات العروبية الأولى، ولكنه في العربية تحول مع تطورها إما إلى باء مفردة (b) أو إلى فاء (f) وقد يكون في لفظين أحدهما بالباء والآخر بالفاء والأصل البعيد هو الباء المهموسة[62]. وعلى هذا فإن **المقابل العربي للمصرية «س پ د» spd هو «سفد»**.

يقول «غاردنر» (Eg. Gr., p. 589) إن **«س ف د و» ربٌّ معبود، و«س ف د ت» تعني** «سـيريوس» (The dorg-star, sirius)، ومنها جاءت اليونانية Sothis . ويضيف أن **«س ف د»** : تعني : حادٌّ، ذكيٌّ، متأهبٌ (بالانكليزية : Sharp, clever, ready). وتكتب في الهيروغليفية [hieroglyphs] وتظهر «الشوكة» على يمين الرموز الهيروغليفية محدِّداً، علامة الحدة والتوقُّد. وهذا راجع إلى أن الشعري نجم شديد التوقد واللمعان والسطوع، فأطلق اسمه على الذكاء[63] واشتقت منه الأفعال والصفات المتعلقة بهذه المعاني.

لنعد إلى القرآن الكريم لكي نرى الكلمة المعجزة الدالة على ما نحن بصدده من صفات هذا النجم. فقد ورد فيه :

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ (الصافات/10).

وورد أيضاً :

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ. النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ (الطارق/1 - 3).

النجم، أو الشهاب، الثاقب إذن هو ذاك اللامع الساطع الحادّ النّفّاذ. وكما يقال في العربية : فلان **حادّ الذكاء** - يقال أيضاً : هو ذو فكر ثاقب، أو : ذو بصيرة **نافذة أو نفّاذة**. كأنه يخترق الحجب والستر ويثقبها وينفذ من خلالها.

فلنبحث عن كلمة مرادفة للنفاذ والثقب في العربية. ولن يعسر العثور عليها. إنها **«سفد»** : سَفَدَ، يسفد، سفادًا وسفوداً. ومعناها الأصلي : الثقب والنفاذ. من ذلك : «السَّفُّود» وهو المخرز أو القضيب من حديد يخترق قطع اللحم ويوضع على النار ليشوى. ومنه : «السِّفاد» أي نزو الذكر على الأنثى (تستعمل للحيوان غالباً وليس للانسان). فالأصل في هذه وتلك الثقب، ثم صارت كناية. تماماً كما حدث لكلمة «س پ د» المصرية التي تعني «النجم الثاقب» وصارت كناية عن الذكاء وحدّة الذهن.

(62) قارن المصرية «پ ء» (P A) = مشى، مضى - العربية : بَاءَ، فَاءَ (= رجع وعاد. والأصل : المشي) - مقارنة : آبَ.

(63) لاحظ أن كلمة «ذَكاء» العربية ذات صلة بـ«ذُكاء» وهذه أحد أسماء الشمس المتوقدة اللاهبة.

ب ع (ب ا) ba

ترجمت «بـا» بأنها تعني «نفس» (Psyche) ولكنها قليلة الشبه جداً بمفهوم النفس (Soul) ، فإن «با» كانت قوة نفسية (Psychic force) . وفي أقدم النصوص الدينية وُصِفَ كل إلّه بأنه «با»، ثم استعملت الكلمة مرادفةً لتجلّي الآله. وهكذا رأى الناس «با» إله الشمس (رع) في عنقاء عين شمس، وعبد «أبيس منف» باعتباره «با» أوزيريس، ودعي أوزيريس باسم «با - رع» أي : «روح، أو نفس، رع». وتفيد «با» بالنسبة للملك معنى السلطة وبالتحديد : السلطة المقدسة. وفي أواخر المملكة القديمة أضيفت «با» إلى جميع النـاس، ثم صارت بمعنى «مـالك القوى الخارقة». وتظهر رسوم المملكة الجديدة على المقابر وأوراق البردي هذه «البا» في صورة طائر يرفرف فوق مومياءات الموتى أو يقف على الأشجار المزروعة حول القبر. وكان المعتقد أن تمكن التعاويذ السحرية الروح من أن تتخذ أيـة صورة تشـاء. وعـلى هذا اتخـذ المصريون من الطائر المرفرف بجناحيه ليس رمزاً صوتيًّا هيروغليفيًّا يقرأ فحسب بل رمزاً للروح كذلـك يصوَّر فوق التوابيت وجثمانات الموتى إشارةً إلى ضرب من وجود الميت الروحي هو «با».

يورد «عاردنر» (Eg. Gr. p. 563) هذه الكلمة Ba ويترجمها : (Soul) (نفس) وكذلك (external : manifestation) (التجلي الظاهري). ويقول «هنري فرانكفورت» ؛ (Frankfurt ; Ancient Egyptian Religion, p. 96) إن ترجمة هذه الكلمة إلى Soul (نفس/روح) غير دقيقة، فهي لا تعني جزءاً محدَّدا من الانسـان الحي، بل مجمـوع الانسان كما يظهر بعد الموت. وتعني الكلمة عنده : الإحياء، الاظهار. animation, manifestation .

والواقع أن «البا» المصرية تمثل مشكلة ثيولوجية عسيرة ؛ إذ ليست هي النفس بالضبط ولا هي الـروح ولا الحياة ولا العقـل أو ما شابهها. تماماً كما تمثل الفروق الدقيقة في العربية ما بين «النفس» و«الروح»، وفي الانكليزية ما بين ghost, spirit, soul مشكلة هي الأخرى. فلنكتف إذن بمعرفة أنها «قوة نفسية» بمعنى خاص في الديانة المصرية.

إذا بحثنا الأمر من حيث صيغته اللفظية واللغوية وصلته بالعربية فإن الكلمة المؤدية لمعنى قريب جداً من المعنى في المصرية هي كلمة «بال» التي يقول ابن منظور عنها :

«البال : القلب».

«والبال : بال النفس، وهو الاكتراث، ومنه اشتق : باليت، و : لم يخطر ببالي».

«والبال : من أسماء النفس».

«البال» إذن له معانٍ مختلفة منها : القلب، والنفس. وقد يضاف إلى الأخيرة «بال النفس» فكأننا نقول «نفس النفس». وقد نعني به «الخاطر» ـ وهذا غير دقيق تماماً. فهو إذن قوة غير منظورة، خفيّة، نفسرها حسب الظرف. وهذا هو أمرها في المصرية.

في عدد كبير جدًّا من المفردات المصرية نلاحظ سقوط بعض الأصوات أو إبدالها حين تقابل بالعربية. وعلى هذا فإن «با» (= صوتيا : ب ء) تقابل العربية «ب ل ← بالْ»» بتعاقب اللام والهمزة، ويدل على ذلك ما قدمه «إمبير» (Ember, 1, G) من الأمثلة التالية :

المصرية	الترجمة الانكليزية	العربية
ك ف ء KFA	hind parts, posteriors	كفل
م ع ب ء MᶜBA	harpoon, spear	معبل
ب هـ ء BHA	flee	بهل
پ ء خ PAḪ	Split	فلخ
ح ء ḤA	around, circa	ح(و)ل
ح ء و ḤAW	herbs, plants	حلاء/حلاوَى
خ ء ع ḪAᶜ	leave	خلع

هذا من حيث مقابل «با» المصرية بالعربية «بال». ولكن قانون تطور الدلالة من المحسوس إلى المجرد يجعلنا نعيد النظر في منشأ كلمة «با» المصرية ذاتها ومقابلتها بالعربية وغيرها من العروبيات. إذ ليس من قبيل الصدفة أن يتخذ الطائر المادّ جناحيه رمزاً لهذه «البا» (صوتيا : ب ء) فإن الدلالة الأصلية هي الطيران، وقد استفاد المصريون، كما هي عادتهم، من جملة المعاني المنبثقة عن هذا الجذر «ب ء»، فهو يعني الطيران والتحليق، والارتفاع والسموّ، مما يوافق معنى النفس أو الروح.

الأكادية من جهتها تقدم لنا لفظة قريبة مما نحن فيه، هناك كلمة «باو» bāu أو «بأو» ba'u ومعناها الأصلي : يطير/طيران/طير (Arnolt ; Concise Dictionary, p. 136) وهي هنا تقابل «ب ء» المصرية في رمزها الهيروغليفي (طائر). ثم تطور المعنى في الأكادية إلى : يطير في اتجاه شيء ما، يقصد، يميل إلى، يرغب، يطلب، يشتهي. ويقرنها «أرنولت» Arnolt بالآرامية «تبعا» tebᶜa، ويُرجع إليها السريانية «بعا». ويمكننا مقارنة هاتين بالعربية : تَبِعَ، بَغَى. وللقارىء أن يلاحظ تطور الدلالة : طار، تبع[64]، بغى، رغب، طلب، اشتهى.. إلخ. مما يوافق رغبات النفس ونزعاتها من شهوة وطلب ورغبة. (لاحظ أن كلمة «نفْس» ترجع إلى «نفَس» بمعنى الهواء، شبهت به للطافته، وكلمة «روح» مشتقة من «ريح»، وكذلك «النَّسَمة» من «النَّسْمة» أو «النسيم» وهو

(64) في المأثور الشعبي الليبي : «التابعة» وتسمى أيضاً : «طويرة الصغار» ـ طير خرافي يظهر للأولاد الصغار فيصيبهم بالأذى. لذا كانت توضع أحجبة ورُقًى على أجسامهم تحصنهم منها.

الهواء اللطيف. وكل هذا ذو صلة بمعنى طيران الطير في الجوّ. . كما تعلم).

حين نرجع إلى عربيتنا التي نعرف نجد الجذر «بأى» :

«البأواء : العظمة. والبأو : الكبْر والفخر. وبأي بنفسه : رفعها وفخر بها. . . تبا : تتسامى وتتعالى. . . باءَ : تكبّر، كأن مقلوب من : بأي».

وفي هذا معنى «العلوّ» حسا ومعنىً، كما هو الشأن في المصرية والأكادية.

(لمزيد من المقارنة والمقاربة أنظر مادة «پ ت» pt في ما يلي).

ب (ء) ت bat. Baty

تنبئنا أسطورة تتحدث عن أسباب الخلق أن «رع» إله الشمس (أو الآله الشمس) بكى مرة وأن دموعه انهمرت على الارض محوّلة نفسها الى نحل وقد كان للعسل أهمية مؤكدة في صناعة المراهم. ويوجد منظر منحلة قديم من الاسرة الخامسة في محرم «رع» في «أبو غرب» وكان ملوك مصر السفلى (الدلتا) في عصر ما قبل الاسرات وعهد الأسرات المبكر يلقبون بـ«المنتمى إلى النحل» (He who belongs to the bee) وفي المقابل كان حكام مصر العليا (الصعيد) يُدْعَون « المنتمى الى الحلفاء» (He who belongs to the sedge) وقد صارت النحلة والحلفاء بعدها جزءا من اللقب الملكي في الفترة اللاحقة وكان معبد «نث» في مدينة «سائيس» (صا الحجر) بالدلتا يُسمَّى «بيت النَّحلة».

تأتي كلمة «ب ت» في قواميس اللغة المصرية بمعنى «نحلة» وبمعنى «عسل»، ثم تأتي إشارة الى الملك والسلطة باعتبارها : تاج مصر السفلى، ملك مصر السفلى، معبودة الدلتا. . إلخ.

من الصعب، في الواقع، فهم سر العلاقة بين النحل والملك الا على أساس الاسطورة المصرية القديمة القائلة إن «رع» بكى فهطلت دموعه على الأرض نحلاً، وبذا صار النحل إلهيًّا مقدساً، أو صار خليفة «رع» في الارض، وأصبح الفرعون (ابن رع) «النحلة المقدسة» أو «النحلة الملك». ونحن لا نزال حتى عصرنا هذا ندعو «ملكة النحل» بهذا الاسم، ولعلها الحشرة الوحيدة التي يطلق عليها لقب الملكية هذا - بل لعلها الحيوان الوحيد، فيما عدا الاسد «ملك الغابة» مجازاً؛ إذ ليس هو قائد الغابة وزعيمها، بعكس «ملكة» النحل التي هي قائدة وزعيمة مسيطرة فعليًّا على مجموع نحل الخليّة!

العجيب أن نجد في السبئية - وهي لا شك لغة عروبية صريحة - كلمة «نحل» بمعنى صاحب الوظيفة العليا، متصرف، وكيل أو مندوب الحاكم Commisioner (أنظر : Jamme ; Sabean Inscriptions, p. 442) وفي الكنعانية : «ن ح ل» = إرث، وريث الملك (= ولي العهد/نائب الملك) (أنظر : Gordon ; Ugaritic Hondbook, p. 250) ومنها : «ن ح ل» (= نحلة) = ملك/سلطنة (فريحة ؛ ملاحم . . . صفحة 674).

وقد لا نعثر في معاجم العربية المتأخرة التأليف على الجذر «نحل» بمعنى حكم أو ملك وما اليها، ولكن يكفي ورود الجذر في السبئية والكنعانية بهذه الدلالة لنستخلص صِلة النحلة بالملك سواءً في مصر القديمة أو في الجزيرة جنوبها وشمالها. لكن في العربية هناك كلمة «نِحلة» - بكسر النون - وتجمع على «نِحَل»، ومعناها : المِلّة[65] التي هي الدِّين. (وليلاحظ القارىء صلة «مَلّة» بالاملاء الذي هو الفرض ونحوه، وفيه معنى القوة، كما في كلمة «دين» و«ديانة» ؛ فجذرها العروبي «د ن» ويفيد القوة. وكلام العرب اذا اتفق لفظه فأكثره مشتق بعضه من بعض - كما ذكر ابن منظور (مادة «ملل»). وهنا لا تفوتنا صلة «النِّحلة» بمعبودة مصر السفلى (الدلتا) بـ«النِّحلة» وهي رمز «نت» ومعبدها الذي يسمّى «بيت النِّحلة» pr. bty وقد يجوز أن نسمّيه : بيت النِّحلة - أي بيت الديانة والملة والعبادة). كما لا يفوتنا مفهوم المُلك في مصر القديمة والمزج بين الملكية والألوهية في شخص الفرعون الذي هو ابن الآله أساساً ووريثه أو «خليفته» (قارن : ن ح ل - الكنعانية = وريث). وفكرة «خلافة» الانسان للخالق في الأرض فكرة سرت في الأديان بمعنى من المعاني أيًا كان، وإن صارت في العصور الحديثة محل جدل ونقاش طويل بين رافض وقابل وبين مؤيد ومعارض.

هذا الاستطراد كله الغاية منه تبيان دلالة الجذر «نحل» في اللغات العروبية، السبئية

---

(65) ورد في مادة «ملل» في (لسان العرب) : المِلّة : الشريعة والدين، وقيل : هي معظم الدين. قال أبو اسحاق : المِلّة : السنة والطريقة، ومن هذا أخذ المَلّة (بفتح الميم) أي الموضع الذي يُختبز فيه لأنه يؤثر في مكانها كما يؤثر في الطريق. قال : وكلام العرب إذا اتّفق لفظه فأكثره مشتق بعضه من بعض.

وفي نفس المادة (ملل) جاء : وأملَّ الشيء، وأملاه : قاله فكُتِب.

ولم يأت شيء في هذه المادة يتصل بالعسل أو النحل. لكن يثيرنا أن نجد في اليونانية الجذر ml يؤدي إلى : meli (عسل)، melissa (نَحلة) ومشتقات أخرى كثيرة. ومن هنا جاءت الفرنسية miel (عسل). فهل ثمة علاقة بين اليونانية meli (عسل) والعربية «مِلّة»، أو meli-ssa (نحلة) والعربية «نِحلة» ؟ ولا ننس أن في مادة «ملل» : الاملاء، والمُمْلي - وهو ما يقابل بالضبط «الدكتاتور» (الحاكم الطاغية) - في الأنكليزية dictator = جبّار، طاغوت، (مُمْلٍ) . . من dictate (يُمْلِي) وهذه من اللاتينية dicere = يقول (قارن : أملَّ الشيء وأملاه : قاله فكُتب).

في الأنكليزية تسمى النُّحلة bee وهذه من لغات قديمة شمال أوروبية جذرها كلها (B) كما يذكر معجم أكسفورد The Con. Oxford Dict. قارن المصرية B.t (باعتبار التاء للتأنيث هنا). وفي الفرنسية تسمى النحلة abeille كما تسمى أيضاً apides وهما من اللاتينية apis كما أن منها الأنكليزية apiary (منحل) و apiculture (نِحالة) و apiarist (نحّال) . . . إلخ. فلنلاحظ أن اللاتينية apis أصلها في الواقع (pi) - باعتبار a بادئة و s في آخرها لاحقة. قارن (pi) هذه بالمصرية P.t (التاء للتأنيث، والباء المهموسة تعادل الباء الموحدة) تجد أن الأمر قريب بعضه من بعض. والحديث يطول لو نهجنا هنا منهج المقارنة مع اللغات الأخرى، ولها مجال آخر رحيب.

والكنعانية والعربية، من حيث السلطة الدنيوية والدينية معاً. وقد اتضحت، فيما نحسب. لكن هذا الجذر «نحل» لم يرد في المصرية، بل ورد الجذر «بت» واشتقاقاته، بدءاً من النّحلة (الحشرة المعروفة) وناتجها (العسل) وانتهاء بالملك والعبادة. ويبدو لنا أن المسألة لا تعدو استعمال لفظ يؤدي معنى لفظ آخر (من باب الترادف)؛ إذ استعمل المصريون كلمة «بت» وأدت إلى ما رأينا، بينما استعمل غيرهم الجذر «نحل» وأدى إلى النتائج نفسها، فهما سواء في الدلالة وإن اختلفا لفظاً.

فلننظر في الجذر الثنائي «بت» المصري ولنر أمره في اللغات العروبية الأخرى.

في الكنعانية نعثر على كلمة «ن ب ت» بمعنى «عسل» (أنظر معجم «غوردون» Ug. Hand-book وفريحة؛ ملاحم وأساطير من أوغاريت). فهي إما أن تكون ثلاثية الجذر والنون أصلية فيها سقطت في المصرية فصارت «بت» (نحلة/عسل)، وإما أن الكلمة الكنعانية كانت «بت» (نحلة/كالمصرية تماماً) والنون للاضافة كما في كثير من اللغات العروبية (ومنها المصرية) تقابل الانكليزية (of). فتكون الكنعانية «ن. ب ت» مقابلة للأنكليزية (of the bee) (أي: ذو النحل/نتاج النحل = العسل).

حين ننظر في العربية نجد الجذر الثنائي «بت» موجوداً في كلمة ذات صلة بالعسل لا تخفى، وذلك بإضافة حرف العين ليصير الجذر ثلاثياً. قال في (اللسان):

«**البِتع، والبَتع**: نبيذ يتخذ من عسل. وقال أبو حنيفة: البتع؛ الخمر المتخذة من العسل». و«البتع هو نبيذ العسل، وهو خمر أهل اليمن».

وهذا النص يدل دلالة قاطعة على الصلة الوثقى بين الخمر والعسل في «البتع» (= بت + ع) الذي هو «نبيذ العسل». وإذا كانت التسمية انصرفت إلى الخمر أو النبيذ فلا شك أن «العسل» هو الأصل، ولعله كان ذاته يسمَّى «البتع» ثم انصرفت التسمية إلى خمر أهل اليمن المتخذة منه، كما أوقع عرب مصر القدماء اسم العسل على «النحلة» («بت») وفعل كذلك العرب الكنعانيون.

خلاصة القول أن الجذر الأصلي «بت» موجود في المصرية والكنعانية والعربية بمختلف تصريفات كل لغة وبحسب تطورها المحلّي والمرحلي، وهو يدل ـ حين الاشتقاق والتصريف ـ على معانٍ متقاربة ذات صلة بعضها ببعض متشابكة متصلة. والقارىء يعرف أن الاشتقاق والتصريف وإضافة الحروف أو حذفها، لا يؤثر في الجذر الأصلي وإنما «ينوّعه» ويشكل صيغه بحسب الحاجة. ولنضرب لهذا مثلاً الجذر الثنائي الأصلي «بت» نفسه، فإن منه: **بتت** (= **بتّ**)، **بتر**، **بتع**، **بتك**. وكلها تؤدي معني القطع أصلاً، ولكن هذا لا يمنع من تطور دلالة المشتق منها حتى لتكاد تبعد عن الأصل. كذلك فعل الجذر «بت» في المصرية، إذ أدى في النهاية إلى «النحل» و«العسل» وهو في الأصل للدلالة على الملك والسلطة والربوبية والديانة.. إلخ. وكل منها متصل بالآخر، كما حدث للجذر «نحل» في العروبيات الأخرى.

وحين اتخذ المصريون في كتابتهم الهيروغليفية صورة النحلة رمزاً صوتياً لكلمة «بت» كانوا يدخلون الصلة اللفظية والصوتية بين نطق اسم النحلة في المصرية «ب ت» وبقية المدلولات

الأخرى لهذا المقطع الصوتي. ولذا استخدموه للدلالة على العسل والملك والعبادة في وقت واحد، على أساس الجناس الذي أغرم به المصريون القدماء.

وقد قلنا إن الجذر الثنائي «بت» يفيد أصلاً «القطع». ولا يغيب عن بالنا أن «القطع» ومنه «القاطع» لقب استخدم قديماً للاشارة إلى الملك والجبروت والقوة. ونضرب لهذا مثلاً اللقب الشهير في الكنعانية «كرت» krt لبطل الملحمة الكنعانية المعروفة باسمه، وهو اسم مكون من ثلاثة حروف ساكنة تعني «قَطَعَ» ولعله، بالتحريك، «كارت» (= قاطع) أو «كرّات» (= قطّاع). **ولهذا الجذر مثيله في اللغات العروبية الأخرى** (المصرية: ك ر د ن krdn. الأكادية: كُردو Kurdu. العربية: كرتم = قطع/فأس. قَرَدَ = قطع. قارن: قرض، قرص، قرم، قرش.. إلخ. وفي العربية: الكردم = الشجاع. الأكادية: كردم kurdum. العربية: الكردين = الفأس العظيمة = القاطع. المصرية: ق ر د ن ḳrdn = فأس).

لكن «كرت» تعني أيضاً: حَكَمَ، يحكم، حُكم. ومن هنا جاءت الكلمة اليونانية الشهيرة (Kratia) في المصطلح المعروف (Demokratia) (ديمقراطية) ونحوه[66].

فإذا كانت «كرت» تعني، كما هو واضح؛ «حكم» و«قطع»[67] في الوقت ذاته، فإن القياس يدعونا إلى القول بأن «بت» تعني «قطع» و«حكم» أيضاً. ومن هنا جاءت المصرية «ب ت» b t بمعنى «حاكم». وقد استغلت المصرية ظاهرة الجناس، الذي يبدو في الأصل أنه مجرد تفرع واشتقاق بَعُدَ حتى خفي، للربط بين النحلة والعسل والعبادة والملك في هذه الـ«بت» العجيبة.

أخيراً... نضيف هنا أن «النَّحلة» كانت شعاراً لأباطرة الرومان، كما اتخذها نابليون بونابرت شعاراً له هو أيضاً (F. Reichmann ; The Sources of Western Literacy, p. 136) ومن المرجح أن يكون فعل هذا بعد غزوه مصر، ولعله نقله عن نقوش مصر الفرعونية.

وفي اللقب التركي «بادشاه» المأخوذ عن الفارسية Pati Shah (ومعناها: ملك الملوك) يمكننا اكتشاف الجذر «ب ت» (الذي نجده في النقوش المصرية المتأخرة بالباء الثلاثية النقط P t) يمكننا اكتشافه في كلمة Pati الفارسية (ملك) وهي المقطع الأول من «بادشاه». أما المقطع الثاني Shah (ملك ـ أيضاً) فإن لها صلة بالمصرية «ش ء» ša (ملك، رئيس، زعيم) وهي، في تقديرنا، ذات صلة بالجذر العربي «شاء»، ومنه: «شيئةٌ» = إرادة، قدرة/مشيئة. ومن يدري؛ لعل لكلمة «شيخ» (بمعنى «رئيس» أو «زعيم») صلة بالأمر؟

---

(66) أنظر مقالة الكاتب «عن الديمقراطية لفظاً» في كتابه (**بحثاً عن فرعون العربي**).

(67) نقول في تعبيرنا: ما حدث هذا **البتّة** ـ أي: **قطعاً أو قطعيًّا. والقطع هو الجزم** (من: جز/جزم، جزر... إلخ = قطع). وهو كذلك من صفة الحكام الجبابرة في القديم والحديث، قطع الرؤوس والألسنة والقول القاطع الذي لا يرد، حين «يبتّون» في أمر لا يعجبهم من الأمور.

پ ت pe-t

پ ء ي ت pait

سماء، علياء. تكتب في الهيروغليفية كاملة أو يكتفي برمز السماء . وقد يبدو هذا اللفظ غريباً عن العروبية لكن شيئاً من النظر يزيل هذه الغرابة.

في المصرية كلمة «پ ء» Pa ومعناها: «يطير، طائر». ويعتقد «امبير» (Ember ; Semi-to-Egypto studies) أنها تقابل العربية «فر» بتعاقب الباء المهموسة والفاء والهمزة والراء. وقد يُقْبَل هذا لكثرة حدوثه في أمثلة عديدة. وقد تقلب الباء المهموسة باءً مفردة فتكون «ب ء» ba في المصرية، وتؤدى معاني الرفعة والسمو كما تفيد الروح ومشتقاتها التي يرمز لها بطائر (قارن معجم «بدج»/صفحات 200 ـ 197 و 229 وما بعدها).

في الأكادية نقرأ: «بَأْوْ» bāu و«بَأُو» ba'u بمعنى: «طار، حلَّق، قصد مسرعاً إلى كذا». ويقارنها «أرنولت» (Arnolt ; A Concise Dictionary, p. 136) بالسريانية: «**بعا**» والعربية: «**بغا**».

ومهما يكن الأمر فإن«بأو» الأكادية تقابل تماماً المصرية «ب ء»: طار، حلَّق، علا، ارتفع في الجو. ببساطة: سما، يسمو، سموًا، وسماءً. و«ب ء» هنا فعل، وهي كذلك صيغة مذكر مفرد، فإذا أنثت صارت «پ ء ت» pat. وتسقط الهمزة فتصبح«پ ت» pt = سماء، أو «بأوة».

في العربية، لزيادة الايضاح، يدل الجذران «بأو» و«بأي» على الارتفاع:

«**بأى** بنفسه: رفعها. والبأو: الكبروالفخر (الارتفاع والسمو)». (قارن مقلوبها «**أبى**» ← **الاباء: الأنفة**).

والفعل المضارع من «بأى» هو «يبأى» ـ وقد تسقط الهمزة فيه (قارن سقوط الهمزة في المصرية: «پ ء ت» «پ ت». وقد أنشد ابن الأعرابي:

«أقول والعيس تَبَا بوهدِ

أراد: **تَبْأَى**، أي تجهد في عدوها... وقيل: **تتسامى وتتعالى**، فألقى حركة الهمزة على الساكن الذي قبلها». (لسان العرب، مادة: **بأى**).

وهكذا تتبيَّن عروبية «پ ت» المصرية ليس في جذرها ومعانيها فحسب، بل تتطابق أيضاً حتى في أسقاط الهمزة. فهل ثمة ريب؟

فلنمض لنقدم مثلاً.. لتطمئن القلوب.

تعـرف السـماء (ولاحظ أنها من «السمّـو» أي الارتفـاع) في المصرية أيضـاً باسم آخر هو «ح ر ت» hrt وجذرها «ح ر» ḥr ومشتقاته كثيرة جدًّا يعني أغلبها : فوق، أعلى، علا، عَلِي، ارتفـع، سما. . ومـا إليهـا من الـدلالات المجـردة . ومن الثـابت أنها متصلة باسم الآله/الصقر[68] «ح ر» (حورس) وهو طائر «الحر» في العربية، وعلاقته بالسماء واضحة كعلاقة «بـأو» بالـطيران والتحليق وهي التي صارت «پ ت» (سماء) . كذلك صارت «ح ر» بإضافة تاء التـأنيث «ح ر ت» لتعني السـماء أو العلياء، ومنها اشتق ما يتصل بالارتفاع من مفردات (قارن العربية : حر الوجه = مرتفعه . قارن كذلك : «الحر» من «العبد» - أي ذو الدرجة الأعلى . لاحظ أن «عَبَـدَ» تعني أصلاً : جلس، قعد، أقام، عمل = «برك» من جهة كما تعني «أَبَدَ» من جهة أخرى، وفيها معاني الالتصاق بالأرض، تضاد «حر» المتصلة بالارتفاع والسمو) .

هذا بالضبط ما حدث في العربية ؛ فمن اسم طائر «**الحر**» اشتقت «**الحرِّية**» - أي الانطلاق والانعتاق من كل قيد مثل الصقر يحلق في السماوات العلى دون قيد ولا أصفاد . وهي لفظة مجرَّدة معنوية كانت في الأساس حسية مادية، ومنها جاء «**التحرر**» ثم «**التحرير**» إلى آخر ما يتصل بالحرية السياسية والاقتصـادية والاجتـماعية، فنقول : فكر «حر» وفكر «متحرر»، ونصف من لا يرضى العبودية والذل بأنه رجل «حر» ونجمعه على «**أحرار**» - كما نجمع «حرية» (نسبة إلى «حر») على «**حريات**» . . إلى آخر ما تعرف .

أرانا نبعد عن موضوعنا . فلنكتف بالقول الموجز : تسمى السماء في المصرية «پ ت»، كما تسمى «ح ر ت» . . وهما تسميتان عروبيتان لحماً ودماً .

غير أن كلمة «ح ر ت» تذكرنا بأحد آلهة مصر القديمة عرف عند اليونان باسم «أونوريس» Onuris وأحيانا «أنهور» Anhur . وهو معبود مدينة «ثيس» This في صعيد مصر ينتسب إلى أرباب السماء، يطابق أحياناً المعبود الآخر «**ش و**» (= جَوّ) . (أنظر : Lurker ; The Gods and Symbols of Ancient Egypt, p. 91) واسمه الأصلي في المصرية «إ ن - ح ر ت» in.ḥrt (أنظر : Gardiner ; Eg. Grammar, p. 485) . وهو اسم مركب من كلمتين :

1 - «إ ن» in وهي ذات صلة بالمعبودة السماوية الأخرى «ن و ت» n w t (عربيتها : **نوءة** = نَوَّة)، وتطابقها واضح مع المعبود البابلي «**أنُّو**» annu رب النجوم («**النوء** في العربية تعني أصلاً : **النجم**) . ومن الممكن أن تكون «إن» في المصرية هي العربية «**عن**» (بتعاقب الهمزة والعين) . جاء في (اللسان) في مادة «عنن» (ثنائيها : عن) :

«**العنان** : السحاب . وتجمع على : أعنان **وأعناء** . . . **والعانة والعنانة** : السحابة وجمعها عَنان . و أعنان السماء : نواحيها» . وقد تغلب العين الهمزة، أو العكس، وأنشد :

---

(68) في الأكادية يفيد الجذر «ز ق ر» z q r : **الارتفاع والسموّ والعلوّ**. (Sayce ; Elementary Grammar) . وفي العربية يقال : «زقر»، و«سقر»، و«صقر» = طائر «الحر» المرتفع .

فلا تلهك الدنيا عن الدين واعتمل * لآخرة لابد عن ستصيرهـا

يريد «أن». وقال ذو الرمة :

أعن ترسمت من خرقاء منزلةً * ماء الصبابة من عينيك مسجوم

أراد «أأن». وقال جران العود :

فما أُبْنَ حتى قلن ياليت عنَّنا * ترابٌ وعنَّ الأرض بالناس تخسف

أراد «أنّنا» و«أنّ».

فإذا كانت الهمزة تبدل عيناً فيما يعرف بعنعنة تميم، فإن من الجائز العكس، أي أن تبدل العين همزة، وهو كثير الحدوث جداً. وهذا ما حدث في المصرية واسم المعبود «إ ن. ح ر ت» = «ع ن. ح ر ت».

2 ـ «ح ر ت» المقطع الثاني من اسم المعبود السماوي. وقد بيَّنّاه فيما سبق = السماء.

فهل نبعد عن الصواب إن قلنا إن «ع ن. ح ر ت» تطابق العربية «**عنان السماء**»، وهو تعبير مألوف متداول في لغتنا؟ فلنجعله «**عنان الحرية**» ـ فهذا أضبط وأدق. وهو ما يريك كيف يمكن إرجاع الاسم المحرف في اليونانية anhur، أو onuris إلى أصله العربي في عودته الحميدة.

پ ت ح Pte ḥ

معبـود مدينة «ممفيس». كان يمثل في شكل بشري، ملفوفاً كالمومياء، برأس حليق وغطاء رأس محكم. ولعله كان في البداية ربًّا للصناعة ومن هنا نسب إليه اختراع الفنون والمهارات، ولكنه ما لبث في عصر بناء الأهرام أن صار في منزلة الرب الخالق. وكان يخلق عن طريق قلبه ولسانه مشكِّلاً الوجود بقوة كلمته. ثم تجلت هذه القوة الخلاقة في كل نبضة قلب، وكل نأمة صوت. كان «پ ت ح» يعتبر «القديم» الذي جمع في شخصه ما بين جانبي الذكورة والأنوثة. وقد عرفـه النـاس باعتباره «مكوِّن الأرض» مثل المعبود «خ ن م» خلق الكائنات كلها على عجلة فخاري. واندمج في طبيعة «أوزيريس» عن طريق صلته بمعبودة «ممفيس» ربة الأرض والمقابر «س ق ر». وفي العصور التالية صار أقنوماً من أقانيم «پ ت ح. س ق ر. أ ز ر (أوزيريس)» يمثل، كأوزيريس، بريشات طويلة تعلو هامته.

في كتابه المعنون (The God Ptah) ناقش الأستاذ «م. س. هلمبرغ» M.S. Holmberg في الصفحات 7 ـ 11 أصل اسم هذا المعبود باستفاضة، وأورد آراء كثيرة مختلفة لعلماء آخرين، منهم من ذهب إلى أنه (سامي) ومنهم من قال بمصريته منفصلاً عن اللغات العروبية الأخرى، واختلفوا اختلافاً يكبر أو يصغر في معنى الاسم ودلالته.

قال البعض إن معنى «پ ت ح» : النحّات، صانع التماثيل (Sculptor) إشارة إلى وظيفته كمعبود خالق إلى جانب الرب «خ ن م». وقال آخرون : إن معناه «الفاتح» The Opener إيماءً إلى دوره في طقس ديني يدعى «فتح الفم» Opening of the Mouth . وقيل معناه : «الناقش» أو «النقاش» Engraver وكذلك : «الثاقب» Borer .

ويذكر الأستاذ «هلمبرغ» أن اسم هذا المعبود الشهير في اللغات البابلية ـ الأشورية بصيغة ḫi – ku – [p] t a h (من المصرية : ح ت. ك ء. پ ت ح h t. k'. pth (من المصرية : ح ت. ك ء. پ ت ح ḫt.kc .ptḥ = مدينة ممفيس = اليونانية Aegypt) . كما وجد في اسم العلم pth. ms= t a ḫ – mašši (ابن پ ت ح. قارن aḥ – ms و rc – ms = أحمس، رعمس/رعمسيس، رمسيس). ويضيف أنه ورد في الأشورية كذلك : iptiḫ-ar-te-šu (افْتخْ أعطاها). وفي العبرية قد يكون اسم هذا المعبود متضمناً في اسم المكان **«معجن ـ مى ـ نا يفتوح** ma'jan mē naeftōaḥ » (وهذا ما يقابل العربية : **ما جل ماء «پ ت ح»**)[69].

وقد تحول اسم «پ ت ح» في اليونانية إلى **«هيفايستوس»** Hephaistos ، وهو رب الحديد والصناعة عندهم، كما هو عند المصريين. وصار عند الرومان **«فتاس»** Phtas ، كما ذكر «شيشرون». أما في القبطية ـ بنت المصرية القديمة ـ فهو يكتب «بْتَاح» ⲡⲧⲁϩ مما يشير **إلى أن النطق المصري القديم هو كما في القبطية «فْتاح»** Ptaḥ أو **Phtaḥ** .

ولقد قلب الأستاذ «هلمبرغ» الأمر على وجوهه متتبعاً تطور الاسم في مختلف العصور وما ألحق بهذا المعبود من صفات الألوهية بحسب الزمان والمكان، وأكّد ـ بطريقة ما ـ أن الاسم (سامي) حسب تعبيره، ثم عاد لينقض تأكيده؛ لدهشته أن ينتسب هذا الاسم البالغ القدم والذي يرجع إلى عصر ما قبل الأسرات إلى (الساميين). ثم ختم بحثه قائلاً :

«من المؤكد أن اسماً بدون مدلول لم يطلق قط على معبود، ولكن من الجائز أن اسم (پ ت ح) لا صلة له بأي من الكلمات المقترحة من العلماء السابقين (!) وإن المشكلة المتعلقة باسم (پ ت ح) قد يعثر على حل لها مستقبلاً في نصوص لم تكتشف بعد (كذا !!)». (صفحة 11 من المصدر المذكور).

لم هذا العناء كله ؟ ولم هذا الامعان في «التعالم» الذي هو في الواقع «تجاهل» مفضوح ؟

---

69) في اللهجة الليبية الدارجة : «ماجنْ» = ماجل/مجتمع الماء أو صهريجه. وقد ترجم «هلمبرغ» الجملة العبرية إلى الانكليزية (The Well of Merenptah) . والعبرية macjan لا تعني «بئر» Well بل تعني خزان الماء أو الصهريج (ماجل/ماجن).

لقد غفل الأستاذ الباحث، أو تغافل، عن جذر عربي واضح يمكن إرجاع اسم هذا المعبود إليه بكل بساطة ولا يحتاج إلى بحث كثير. وهو يقدم جميع الصفات التي كانت للمعبود في صيغ مترابطة جلية، ويقابل كل ما اقترحه العلماء من معانٍ لاسمه الكريم. هذا الجذر العربي هو: «فَتَحَ». وإليك المقابلة بما سبقت «ترجمته» لاسمه في الانكليزية:

(open) : فتح. (Opener) : فاتح - فتّاح.
(bore) : ثقب، نقب/فتح (borer) : فاتح - فتّاح.
(Sculptor) : نحّات، ناحت، صانع التماثيل/نحت، فحت < > فتح ← فاتح - فتّاح.
(Engrave) : نقش، حفر/فحت < > فتح/فاتح - فتّاح.
(قارن: فتخ. الفتخة: الخاتم أو الخلخال = المنقوش/مفتوح/فتخ = فتح/فاتح - فتّاح).

فأنت ترى أن هذه الكلمات الانكليزية التي ترجم بها اسم المعبود «پ ت ح» كلها تعود إلى الجذر العربي «**فتح**». وقد ذكر الأستاذ «هلمبرغ» أنه: «**لو أمكن فهم كلمة (پ ت ح) على أساس أنها تحمل مدلول (البداية)/ (يبدأ) (begin) فقد يكون لها صلة بقوى (پ ت ح) الخلّاقة، ولكن لا يوجد شيء يؤدي إلى هذا المعنى في الكلمة(كذا!)**» (صفحة 10 من المصدر نفسه).

ويبدو هذا الحكم غريباً جداً من الباحث، ولو انتبه إلى العربية لوجد مادة «**فتح**» ذاتها تقدم معنى البداية والبدء (beginning) فهناك: **مفتتح** الأمر، أي بدايته. **والافتتاح، والافتتاحية، والتفتح**... ومعناهما: البداية[70].

فلو قلنا - بعد هذا - إن الجذر «فتح» في العربية هو المقابل الصحيح لاسم المعبود في المصرية «پ ت ح» - بتعاقب الفاء والباء المهموسة - لكنا على صواب، فهو إذن «فتّاح» أو بالتعريف: «الفتاح».

هذا من جهة، ومن جهة أخرى نحن نعرف أن أهم صفات المعبود (فتاح) كانت صفة الخلق إذ «**كان يخلق عن طريق قلبه ولسانه مشكّلا الوجود بقوة كلمته**» - أي كأنه يطلق فعل الأمر «**كن**» فيكون. ثم هو «**مكوّن الأرض**»، خلق الكائنات كلها «على عجلة فخاري» - حسب التصور الديني المصري القديم.

إن صورة «الخالق» أو «المشكِّل» أو «المكوِّن» هذه تقابل اسم «**الباريء**» (الذي يعني في الأساس: الباني. إذ أن الجذرين «ب ر» و «ب ن» موجودان بالمعنى ذاته في جميع اللغات العروبية بدون استثناء وبمعنى واحد يفيد الخلق والولادة وما إليهما). كما تقابل اسم «**المصوِّر**» وهو أيضاً من أسماء الله الحسنى - مثل «الباري» - وهذا ما يأخذنا إلى اسم آخر من أسماء الله الحسنى، أعني بالذات: «**الفتّاح**».

(70) في اللهجة الليبية يقال: «الفيتوحة» أي: أول بيضة تضعها الدجاجة = البداية، بداية الخلق والولادة، مما هو قريب الصلة بموضوعنا. وفي لهجة الشام أيضاً يقال: **فتحت** الدجاجة - أي بدأت وضع البيض.

إن التفاسير المختلفة لاسم «الفتاح» عند علماء المسلمين تتراوح ما بين الذي (يفتح أبواب الرزق) و(المؤيِّد بالفتح/أي: النصر) و(فاتح أبواب السماء) أو (أبواب الجنة) . . . إلخ. وهذه التفاسير قد تبدو صحيحة من الوجهة الدينية ومدلولات الألفاظ بحسب السياق ولا يمتنع قبولها. لكننا نلاحظ في أسماء الله الحسنى أنها ترد أحياناً بصيغة «الفاعل» (الرازق، الغافر) وأحياناً بصيغة «الفعَّال» (الرزَّاق، الغفَّار). ولا شك أن لهذا دلالته في تخصيص الذات الآلهية بصفة من الصفات حين ترد بصيغة خاصة. فمثلاً يمكن إطلاق لفظ «خالق» على الانسان؛ فنقول مثلاً: «فلان فنان خالق» ولكن لا يجوز إطلاق صفة «خلاَّق» إلا على الله سبحانه وتعالى (راجع مادة «خلق» في «لسان العرب»). كذلك كلمة «فتَّاح» يبدو لي أنها ـ بصيغتها هذه ـ خاصة بالذات الآلهية، ومن هنا عدم استعمالها مع البشر.

من جهة ثالثة يمكن القول أيضاً إن لفظة «فتَّاح» لا تعني الفتح بالمعاني الظاهرة فحسب، بل تشير إلى أن الله هو «مفتتح» الأمور كلها، أي مبتدئها (المبدىء والمعيد) وفي «الافتتاح» معنى إيجاد الشيء بعد أن لم يكن، البداية، الخلق من عدم، فيكون معنى «الفتَّاح»: الخالق، الموجد، المبدىء، المصوِّر، البارىء.. إلى آخر الصفات الآلهية المتعلقة بعملية الخلق.

ملاحظة أخرى

إن مادة «فتح» تفيد أصلاً: الشق والقطع، ثم صارت تعني الخلق بالنسبة لله سبحانه. وهذا شبيه بمادة «فطر» التي تعني أساساً: القطع، ثم صارت تعني الخلق، ومنها كلمة «فاطر» (الخالق). وقد ورد في القرآن الكريم:

﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ﴾. مريم/90.
﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَإِذَا النُّجُومُ انْتَثَرَتْ﴾ الانفطار/10.
﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ الشورى/5.

و«فطر» هنا بمعنى انشق وتصدع حسياً. ولكنها تأتي بمعنى الخلق الآلهي:

﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلْ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ الاسراء/51.
﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ﴾ الروم/30.
﴿يَاقَوْمِ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الذِي فَطَرَنِي﴾ هود/51.
﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ إبراهيم/10.

إلى آخر الآيات التي يشير فيها الجذر «فطر» إلى معنى الخلق. وهذا هو الحال بالنسبة للجذر «فتح» الذي تطور من مدلول الشق إلى معنى الخلق، وهو الأمر بالنسبة للمصرية «پ ت ح» وعلى هذا الأساس ترجم «فولكنر» (a Con. Dict. of M. Eg. p. 96) كلمة «پ ت ح» pth إلى الأنكليزية (create) أي «خلق».. وهو صواب.

إذا ربطنا ما سبق كله بالصيغة القبطية «بِتَاحْ» ptaḥ - بفتح التاء ومدِّها كما هو ثابت - واستوحينا من هذا أنه النطق المصري القديم، كما أشار «هولمبرغ» نفسه، أدركنا الصلة اللفظية والمعنوية الواضحة بين «بِتَاحْ/فْتَاحْ» و«فَتَّاحْ» سواء من حيث التركيب اللغوي أو الدلالة. ولم يبق سوى «الخاتمة» بعد «الافتتاحية» وذلك بالقول الذي نبدي ونعيد :

إن «پ ت ح» في المصرية مبنىً ومعنىً يقابل العربية : فتّاح.

ب س ت Bastt

م أ ي و Maáu

كان الهر مقدَّساً باعتباره حيوان «ب س ت» معبودة مدينة «بوباستيس» Bubastis (تلّ البسطة - الآن) الذي تنتسخ فيه روحها المقدسة. وكانت عبادته بالغة القدم وظهرت ظهوراً كبيراً في الأساطير المصرية. وكان «رع» نفسه يدعى «م أ و» m a w أو «م إ و» m i w - وهذا هو اسم الهر المقدس في المصرية. (Budge ; The Gods... ii, p. 363).

اسم مدينة «بوباستيس» Bubastis تحريف يوناني للمصرية «پ. ب س ت» P' Bst (= البسَّة) وهي في العربية «تل البسطة» اليوم (= تلّ + «ب س ت»). وليلاحظ القارىء حلول «ال» التعريف في (البسطة) محل «پ» التي هي أداة التعريف في المصرية.

ثم إن لدينا اسمين اثنين لهذا المعبود يرتبط أحدهما بالآخر : «ب س ت» و«م أ و».

أما الأول فهو مؤنث «ب س» الذي يأتي الحديث عنه في العربية في مادة «بسس» :
«**البَسُّ** : الهر أو السِّنَّور، والمؤنث «بَسَّة» وهي الهرة الأهلية (تمييزاً لها عن هرة البر الوحشية). والعامة تكسر الباء وهي بالفتح».

والأمر كله يعود إلى «بس بس» وهو الصوت الذي يحدثه الانسان ليدعو الجمل أو الحمار ليشرب، أو الناقة لتدر اللبن ونحو ذلك (مادة : بسس). وهو الشيء نفسه الذي نفعله حين ندعو القطة : «بِسْبِسْ». وقد تقلب السين شيناً : «بشبش» (لذا تدعى الهرة : بِشَّة، بشيشة، في بعض اللهجات العربية، كاللهجة الليبية)[71].

وأما الثاني فليس إلا حكاية صوت الهر وهو «يموء». ورد في (اللسان) :

(71) قارن الأنكليزية pussy (قطة)، وقولهم (pussy cat) تعني حرفيا : «البسة القطة» وهو تكرار للاسم كما ترى.

«مـاءَ السِّنَّـور، يمـوء، موءاً. ماءت الهرة إذا صاحت. ويقال: هرة مُوُوءٌ، وصوتها: المواء. ويقال: أموأ السِّنَّورُ إذا صاح. . . وتُسمَّى الهرة: المائيَّة».

ب ن ب ن benben

كان حجرا مقدَّساً يعبد في مدينة «عين الشمس» باعتباره أول تجلٍّ للمعبود «أمون». وكان المعتقد أن أشعة الشمس سقطت أول مرة على هذا الحجر، وهو الشكل البدائي للمسلات جميعها، والمسلة عبارة عن حجارة أعلاها مخروطي الشكل مستدقُّه. وقد نظر إلى هذه الرموز الحجرية باعتبارها موئل رب الشمس، وحين تقدم القرابين من الخبز والبخور كانت تصاغ على هيئة مسلَّة.

يعرف هذا الحجر المقدس في المصرية بأنه «ب ن ب ن» Bnbn كما يعرف بـ«ب ن» (Budge; The Dwellers On The Nile, p. 145. ومن الواضح أن «ب ن ب ن» مضاعفة لـ«ب ن» (أنظر مناقشة «غاردنر» لظاهرة المضاعفة في المصرية Eg. Grammar, PP. 360, 425). وقد لاحظ «غاردنر» (صفحة 2 من نفس المصدر) هذه الظاهرة في معرض مقارنته بين الصرف المصري والعروبي فقال:

«وتخلق الاختلافات الأهم في المعنى عن الطريق المضاعفة كلياً أو جزئياً. فكلمة «س ن» s n (أخ/صنو) مثلاً تضاعف إلى «س ن س ن» s n s n (يؤاخى). وكلمة «رش» rš (يُسَرُّ، يبتهج، يفرح)[72] - تضاعف إلى «رش رش» rš rš أي: بالغ السرور والفرح». وهذه صيغة مبالغة تماثل ما في العربية: جر ← جرجر. مص ← مصمص. قر ← قرقر. زم ← زمزم. . . إلى آخر الأمثلة التي لاتكاد تحصى.

الأصل في «ب ن. ب ن» إذن هو «ب ن» ثم ضوعف للتشريف أو للدلالة على وضع خاص لهذا الـ«ب ن» المقدس. (قارن هنا «زمزم»/بئر زمزم. والأصل «زم»)[73].

وقد عرفنا أن «ب ن» في المصرية تعني: «حجر» - ومن ذلك «ب ن و ت» (حجر الطاحون). ولاشك أن الجذر العروبي «بن» يقوم بمهمة المكافأة هنا؛ ففي الأكادية مثلاً: «أبنو» abnu = حجر (Weir; p. 3). وفي الكنعانية: «إبن» eben حجر، صخر (فريحة؛ ملاحم. . . صفحة 594). أما في العربية فنجد:

(72) في الأكادية «راشو» rašu = فرح. وفي ظننا أنها تكافىء العربية «رشا» = صغير الغزال. كما يقال اليوم: «فرهد، مفرهد، فرهدة» - والأصل: فرهد وفرهود = صغير الغزال. على سبيل المماثلة.

(73) تقول الرواية المأثورة إن بئر زمزم سميت كذلك لأن هاجر كانت تضم (= تزم) الماء بيديها حين تفجر بالوادي غير ذي الزرع تحت قدمي إسماعيل وتقول: «زم.. زم» - أي «تجمَّعْ تجمَّعْ» ولا تتبدد.

بَنَى : **البَنْيُ** نقيض الهدم. بنى البنَّاء البِنَاءَ بنياً وبناءً وبنًى وبُنياناً وبنيةً وبناية. وابتناه وبناه. والبناء : المبنيُّ. والجمع : أبنية. وأبنيات جمع الجمع. (والبنَّاء أصلاً من حجر). بون : **البوان،** بالكسر، عمود من أعمدة الخباء. والجمع : أبونَّة وبُون، بالضم، وبوْن **(والمسلة «ب ن» عبارة عن عمود في الواقع).**

بني : **البَنِيَّة** الكعبة ـ لشرفها، إذ هي أشرف مبنىً. يقال : لا ورب هذه البَنِيَّة ما كان كذا وكذا. وفي حديث البرَّاء بن معروف : رأيت ألا أجعل هذه البنيَّة مني بظهر، يريد الكعبة، وكانت تدعى «بنيَّة إبراهيم» عليه السلام، لأنه بناها.

وقد يكون صواباً أن الكعبة كانت تسمَّى «بَنِيَّة» لشرفها ولكونها أشرف مبنى، **ولكن الصفة الدينية لا ريب هي التي جعلت الكعبة تخصص بهذا الاسم تكريماً وتعظيماً.** وهذا هو واقع الحال بالنسبة للمسلة «ب ن ب ن» المصرية في عين الشمس (مدينة إله الشمس) ـ والتي هي في الأصل «ب ن». ومن المثير حقاً أن تخصص «ب ن» فتضعف إلى «ب ن ب ن» كما خصصت الكعبة فكانت «البَنِيَّة» (بَنِيَّة إبراهيم) فلا هي «بِنْية» ولا «بِناية».. بل «بَنِيَّة»، **وهو تعريف خاص كما هو واضح.**

من جهة أخرى عرفنا أن هذا الـ«بن بن» كان حجرا مقدساً في «مدينة الشمس» (عين شمس) والمعتقد قديماً أن أشعة الشمس شعَّت عليه أول مرة، وأنه أحد الرموز الحجرية المعتبرة موئلاً لا له الشمس. ولذا نجد في معجم اللغة المصرية كلمات من مثل :

«ب ن ن» Bnn : رب النور، إله شمسي.

«ب ن ب ن» bnbn : تقدمة من نار. نور. (Budge ; **An Eg. Hier. Dict.** P. 217)

والصلة واضحة بين الجذر «ب ن» والجذر العربي الثنائي «بن» ومنه : بَيَنَ، بيان = ظهر، ظهور، وضح، وضوح. وهذه هي الشمس أو نورها. كما نجد في المصرية «ب ن و» Bnw ـ رب النور والضياء. وللقارىء أن يراجع هذه المادة الأخيرة في ما يلي لمزيد من البيان.

في لهجة بعض عرب ليبيا (منطقة مصراته بالذات) يسمى الحجر الذي يقذف به «بَنِيمَه» وتجمع على «بَنِيمْ». وجلي أن هذا الجمع بالميم (مثلما هو الحال في عربية اليمن القديمة) هو جمع «بن» (= حجر)، فلما أُفرد ظلَّت ميم الجمع فكانت «بنيمه» ـ وهي كلمة تكاد تنقرض في اللهجة المعاصرة.

ب ن و Benu

هو الطائر المعروف في مصر باسم «أبو قردان» (مالك الحزين). وكان يبدو بمنقاره الطويل المستقيم ورأسه المزين بريشتين مرتفعتين كما لو أنه يبرز من تحت الماء كالشمس. وقد حظي هذا

الـطائر بعبادة تساوي عبادة «رع»، وكان يُعَد «روح رع» كما كان تجلياً لأوزيريس كذلك. وفي الفترة المتأخرة في الكتابة الهيروغليفية استعملت صورة هذا الـطائـر لتعني «رع». وعنـد اليـونـان قرن «ب ن و» بطائر «الفوينيكس» (Phoenix) الشهير.

تعني الكلمة المصرية «ب ن و» أو «ب ي ن و» (غاردنر - ص 470) : طائر «الفونيكس» كما يقرر «ما نسفيلد لوركر» (ص 95) و«غاردنر» (المصدر السابق). ومصدر اسم هذا الطائر في المصرية هو : «و ب ن» ومعنـاهـا : سطع، شع، ظهر (كالشمس)، أنار (قارن معجم «بدج» صفحة 159). وقد اشتق اسمه من «ظهور» رأسه وبروزه الساطع الماء مثل بزوغ الشمس، ثم صار رمزاً للشمس ذاتها أو لـ«رع».

الكلمة العربية التي تؤدي معنى ما سبق هي «بان» (من الجذر : بَيَنَ : **بان الشيء بياناً** : اتضح، فهو بيِّنٌ (قارن : ب ي ن و).
وأبنته : أوضحته. **وتبيَّن** : **ظهر**.
وفي المثل : «قد بيَّن الصبح لذى عينين» أي : تبيَّن.
التبيان : الكشف والايضاح.
ويقال : **بان** الحق، بين، بياناً، فهو بائن وبيِّن. . إلخ.

وهـذا المعبود يرتبط بالسطوع والظهور والضياء والنور، فليس عجيباً أن تدل صورته على المعبـود «رع» الـذي هو الشمس (النـور = البيان). ويربط أغلب البـاحثـين بين «**ب ن و**» أو «**ب ي ن و**» وبين طائر «**الفونيكس**» عند اليونان الذي يترجم اسمه في العربية إلى «**العنقاء**» تارة وإلى «**طائر الفينيق**» تارة أخرى. والترجمة الأخيرة تعود إلى الربط بينه وبين «فينيقيا» و«الفينيقيين» (الكنعانيين، أو بني كنعان). ويقول «معجم أكسفورد» The Concise Oxford Dictionary في هذا الصدد :

«هو، في الأسطورة، طائر فريد من نوعه، يحرق نفسه بعد أن يحيا خمسة أو ستة قرون في **صحـراء العرب**، ثم ينتفض من الرماد بشباب متجدد ليعيش دورةً أخرى من الزمان. جاءت الكلمة من اليونانية (Phoenix) وتعني : فينيقي، أرجواني».

وفي ظننا أن (معجم أكسفورد) أخطأ في هذه النسبة ؛ فإن الأرجح عندنا أن الأصل عروبي مصري من اسم الطائر المعبود «**ب ن و**» وقد تحولت الباء في اللسان اليوناني إلى Ph (ف) فكانت «ف ن - كس» Phoen-ix (Phn.x) . والـدليل على ما نقـول أن ثمة كلمات كثيرة في اليونانية تبدأ بـ«**ف ن**» وتدور حول معنى الظهور والبروز والضياء (= **ب ن**) :
Phainein : سطع، لمع، شعَّ.
Phaino : ظهر، برز.
ومنها في الأنكليزية Phantasm (ظهور الشبح، الطيف). وكذلك Phantasy (ظهور) و

Phantom (خيال، طيف) وأيضاً Phenomenon (ظاهرة) و Phenology (علم الظواهر). وبمقابلة Ph بالحرف اليوناني ϕ (= ف) نجد في قاموس اليونانية :

(فَنارى) مصباح، سراج، منارة السنن/فنار	ϕavàpi
(فَناراس) صانع المصابيح/فناريّ.	ϕavapâs
(فَنيرا) بوضوح، بجلاء/ببيان	ϕavepá
(فنيروى) واضح، جلي/بيِّن	ϕavepós
(فنيرو) أوضّح، أكشف/أبيِّن	ϕavepŵ
(فانوس) مصباح/فانوس	ϕavós

وغيرها كثير مما يبدأ بـ -ϕav (فان = بَانَ) ويدل على الظهور والنور والبياض[74]. وهي صارت في الانكليزية -phan و -pheno . . سابقة لألفاظ وكلمات كثيرة كما سبقت الاشارة.

أخيراً. . وعلى بعد الزمان والمكان نذكر الأكادية، للتأكد من مقارنتنا على الأقل، وفيها «بـانو» bānū ومعناها : سطوع، إشعاع، جمال، بهاء (Weir ; p. 50) . فنجد أن دلالات الضوء والنور والاشعاع والظهور وحتى الجمال والبهاء تتصل بالمصرية «وبن» التي اشتق منها اسم المعبود «بنو» والعربية «بين/بان» وهو الطائر المقدس البهي البائن من تحت سطح مياه مستنقعات الدلتا عروبيًّا مبيناً !

پ ن و penu

كان الفأر والقنفذ حيوانين صغيرين مقدّسين وجدت تماثيلهما في المقابر المصرية. ويقول «هيرودوت» (الكتاب الثاني - فقرة 67) إن الـربة «و د ت» (أنظر هذه المادة في هذه الدراسة) كانت تعتبر حامية الفئران. وتقول أسطورة مصرية إنها اتخذت مرة صورة الفأر لتنجو من يد الآله «ست» الذي كان يطلب قتل «حورس».

يرى الأستاذ «إمبير (Ember ; Egypto-emitic Studies, 8. a. 18) أن النون في «پ ن (و)» p n(w) المصرية مبدلة من الراء في العربية «ف ر» التي منها «فأر» (والباء المهموسة تقابل الفاء). وبذا تكون «پ ر(و)» = «ف ر(و)» = فأر.

(74) يعبر في الدارجة المصرية عن الخبز الأبيض بأنه «عيش فينو» ولعلها من هذا الباب. وفي الدارجة الليبية يدعى خبز الـدقيق الأبيض «مُحـوَّر» ولاشك أن صلتها بالجذر «حَوَرَ» بمعنى «أبيض» أقوى من صلتها بـ«حور» بمعنى «دوَّر». لاحظ صلة الصقر «حور(س)» (الحرّ بمعنى السماء، والنور، والبياض، واستعمال كلمة «حُرّ» بمعنى «أبيض» في بعض اللهجات العربية.

وقد حدث هذا الابدال في العربية ذاتها ؛ إذ يذكر ابن منظور في (اللسان) في مادة «برر» أن «البر» : الفأرة في بعض اللغات، أو «دويبة تشبهها». فانظر كيف أن «البر» هو «الفأر» (الفر) عن طريق تعاقب الباء والفاء وسقوط الهمزة. أما عن قول ابن منظور «أودويبة تشبهها» فهو يذكرنا بقول المؤرخ «بلوتارك» (Plutarch ; Symp., iv, 5) إن الفأر، أو القنفذ، كان يعتبر عند المصريين رمزاً للظلام. فلا عجب أن يختلط الأمر على عرب مصر كما اختلط على عرب الجزيرة.

أما عن كون الفأر، أو القنفذ، رمزاً للظلام فقد سجل «بدج» (The Gods of The Eg., ii. p. 370) أن هذا الحيوان كان يلقبه المصريون القدماء «ح ر. خ ن ت. ن. م ء» ḥ r. ḫ n t. n. m a ومعنى اللقب : «حورس الأعمى»، أو بدقة حرفية : «حورس ساكن الظلمة».

فلنحلل هذا اللقب كما ورد :

(1) «ح ر» ḥ r : حر. طير الحر (الصقر = حور/حورس).
(2) «خ ن ت» ḫ n t : سكن (خِنَّة. خِن = سكن).
(3)«ن» n : أداة النفي =(لا/ما).
(4) «م ء» : رؤية/رأى (أنظر مادة «م ء و» في هذه الدراسة).

الجملة كلها : «ح ر. خ ن ت. ن. م ء» = «حر خانِتُ (أرض) اللامأي» = «حورس ساكن (أرض) اللارؤية» (حورس ساكن الظلمة). أي «ساكن العماء» أو «حورس الأعمى» (Blind Horus).

ت أ ي ت Tait

ترجم كلمة «ت أ ي ت» Tayt بأنها تعني «ربة النسيج».
(غاردنر، صفحة 494) وقريب منها كلمة «ت أ ت ي» Taty :
صاحب الستارة، كناية عن «الوزير» (غاردنر ـ صفحة 599).

بالنسبة لربة النسيج والحياكة فإن «إمبير» و«كوهن» يرجعانها إلى العربية «طوى». وهذا صحيح، فإن «ت أ ي ت» Tayt جاءت من الفعل في المصرية «ت أ ي» Tay التي ترجمها «بدج» إلى : يرتدي ثياباً، يلبس، يكتسي حلة (An Eg. Hier. Dict., p. 818) وهي العربية : طي، طوى، يطوي، طيًّا. وفي نفس المصدر : «ت أ ي. ت» Tay. t بمعنى : قطعة من القماش أو الكتان، شراع (كتاني)، رداء، ثوب، حُلَّة، لفافة مومياء. وكذلك : «ت أ ي» Tay : الملفوف، المطوي (أحد ألقاب أوزيريس). وهذا كله يكافىء العربية «طي». ومن ذلك : المِطْوَى ؛ شيء يُطْوَى عليه الغزل (اللسان، مادة : طوى). وفي اللهجة الليبية : المرأة «تطوى» العباءة، أي تنسجها ثم تلفها وتطويها لتواصل النسج. ولا شك أن ثمة علاقة بين عملية النسيج والطي في تواليه، ومن ذلك «طي

الثـوب» فهو مطوي طيّات، والمفردة : طية. وقريب من معنى النسج : طيُّ اللَّبِن (أو الحجارة والآجر) في البناء، كبناء النسيج خيطاً بعد خيط. والطويُّ : البئر المطوية بالحجارة (المنسوجة بها) وجمع «الطوي» : أطواء.

أما بالنسبة لورود كلمة «ت أ ي ت» T a y t بمعنى «**ستارة**» فهذا راجع إلى أن الستارة طبعاً من النسيج (كتاناً أو غيره) وهي في العادة تكون طيات متثنية أو لأنها طيات بعضها فوق بعضه. وهذا ما جعل النسبة إليها «ت أ ت ي» TaTy تعني «وزير» (حرفيا : الستاري/صاحب الستارة He of The curtain) . وتمكن مقابلته بـ«الطويِّ». وسبب هذه النسبة ترجع إلى أن الوزير يحجب الملك عن سواه (قارن في هذا المجال كلمة «حاجب» = وزير/من : حجب، يحجب، حجباً. حجاب = ستار. لاحظ أيضاً أن كلمة «ستارة» أو «ستار» تعود إلى «سَتَرَ» أي حجب ومنع).

وقـد استخـدم العرب هذا اللقب بالذات فقالوا عن الوزير «**صاحب الستار**»، كما قالوا «صاحب الشرطة» عن رئيس العسس. ويذهب جرجي زيدان (**تاريخ اللغة العربية** ، صفحة 80) إلى أن العرب أخذوا لقب «صاحب الستار» عن الفرس. وقد يكون هذا حدث في العصر العباسي كما أورد. بيد أن و جود هذا اللقب ذاته في المصرية يدل على أنه تعبير قديم للغاية، وقد يكون الفرس نقلوه عن عرب مصر ثم استعاده عرب الجزيرة بعد ذاك.

ومن الجائز أن نقابل المصرية «ت أت ى» T a T y «وزير» بالعربية : «**طاوي**» - بمعنى : «كاتم السر» = وزير.

إذ يقال : إِطْوِ هذا الحديث، أي : اكتمه. وطوى كشحه على أمر، إذا أخفاه. قال زهير :

وكان طوى كشحاً على مُسْتَكِنَّةٍ * فلا هو أبداها ولم يتقدم

ومن ذلك : «الطوية» = الضمير، أي المستتر، المحجوب، المطوي.

عند «فولكنر» (Faulkner ; A Conc. Dict., p. 293) نجد ترجمته لكلمة «ت أ ي ت» T a y T أكثر دقة ؛ فهي عنده (Shroud) أي : كفن، غطاء، رداء، ستر. ويضمها في العربية الجذر «**طوى**».

بعد هذا تكون ربة النسيج المصرية هو «**الطاوية**». . ولا نزيد !

(تحت)

ضح و ت ى Tcheḥuti

كان مركـزُ عبـادة «تحت»* في الأعصر التـاريخية التي عرفهـا اليونان باسم «هرموبوليس» Hermopolis وهي التي تعرف اليوم باسم

مدينة، «أشمون»[75] حيث اتحد مع معبودها المحلي «ح ض - و ر» ممثلاً في صورة القرد. ويوحي رمزه الآخر (الطائر المعروف باسم «أبو قردان» ibis) بأن نشأته الأولى كانت في الدلتا حيث يتخذ الاقليم الخامس عشر منها هذا الطائر شعاراً له.

كان «تحت» يعتبر رباً للقمر، وفي العصور المتأخرة اكتسب لقب «إتن - ح ض» itn.ḥ ḏ (الأتون الأبيض أو الفضي). وتقول إحدى الأساطير إن «تحت» انبثق من رأس «ست»، ويمكن تفسير الخلفية الكونية لهذا التصور بأنه عبر قوة إله النور ينبثق القمر من «ست» ممثل قوة الظلام. وقد جعلت هذه العلاقة بالقمر «تحت» يسمى: «سيد الزمان» و«حاسب السنين»، ومن هنا كانت صفاته تمثل غالباً في لوح كتابة. وباعتباره مخترع الكتابة كان «تحت» حامي الكتّاب، كما كان يوصف أحياناً بأنه لسان أو قلب «رع». وقد ربط اليونان بينه وبين معبودهم «هرمس» Hermes.

يصوَّر «تحت» عادةً إما على هيئة رجل رأسه رأس طائر «أبو قردان» ممسكاً بقلم الكاتب ودواته ولوحه، أو بصورة الطائر نفسه، أو بصورة قرد، فوق رأسه قرص القمر أو الهلال.

نكتب، نحن العرب، اسم هذا المعبود عادةً: «تحت» أو «تحوت» في محاولة لتعريب هذا الاسم الذي نقحره الفرنجة بطرق مختلفة، منها: Thot, Thôt, Thôth, Thôut, Tehuti. وقد نقله «بدج» في صورة: Tcheḥuti. وجعله «لوركر» Lurker في شكل: Djehuty. أما «غاردنر» فقد كتبه Ḏḥ w t y. ولعل الأخيرة أقرب النقحرات إلى الأصل الذي هو بالرموز الهيروغليفية: [رموز هيروغليفية] وله صور أخرى (أنظر: Budge ; Dwellers Of The Nile, p. 155 وقارن: Gardiner, Egyptian Grammar, p. 470).

والمشكلة التي واجهت الباحثين الغربيين تكمن في نقلهم الرمز الهيروغليفي [رمز هيروغليفي] (وهو الحرف الأول من اسم المعبود الذي نناقشه). وهو يقابل في العربية الطاء أو الضاد وما قاربهما من الأصوات (أنظر بحث أصول تسميات الرموز الهيروغليفية في ما سبق) ونراه هنا يقابل الضاد ويطابقه. واستسهالاً للأمر عمم هؤلاء الباحثون حرف التاء بديلاً له (ربما لقرب مخرج الصوتين) فكانت Thot في الكتب المتخصصة (ḥ = ح) وأحياناً Thot (تُهُتْ). ولكن نقحرة «غاردنر» (Ḏḥ w t y) تجعل من اليسير مقابلتها بالعربية «ض ح و ت ى» ([رمز هيروغليفي] = ḏ = ض). وعلى هذا الأساس يمكن تحليل الاسم ومتابعته إلى أصوله العربية الأولى.

(75) أو «الأشمونين». في الأصل المصري «خ م ن و» ḫ m n w وتعني: «[الاقليم] الثامن». وواضح أن الشين في «ش م ن» تبادلت مع الخاء في «خ م ن» في المصرية، وهما تعاقبتا مع الثاء المثلثة في العربية «ث م ن» وهذا هو جذر «الثامن»، «الثامنة»، «ثمانية». (أنظر: Gardiner ; Eg. Gr. P. 191).

إن أحداً، فيما أعلم، لم يقدم معنىً لاسم هذا المعبود وإن قدموا ترجمة لاسم ممثله «القرد» («ح ض - و ر»). وهو ما سنعود إليه بعد قليل[76]. ونحن نعلم من متابعة الروايات المتعددة عن وضع هذا المعبود في الديانة المصرية القديمة أنه كان «رب القمر» ووزيراً للمعبود «رع»، ويلقب «أتون الفضي = الشمس الفضية»، وهو «رب النور» انبثق من رأس «ست» (إله الظلام) كما ينبثق الفجر من الليل، وشعاره الهلال والقمر بدراً. . إلى آخره.

هذه كلها تتصل بالنور، بالضياء، بل هي النور ذاته في أشكاله وصوره المختلفة. ولعلنا نضيف أن كونه مبتدع الكتابة في التصور المصري القديم يشير إلى اعتبار الكتابة نفسها «نوراً» يجلو ظلمة الجهل وضياءً إلهياً مقدّساً لا ريب. أليس كذلك؟

في العربية الجذر «ضحا» (ثنائيه: ضح) وهو يقدم لنا مادة غزيرة جداً تدور كلها حول النور والضياء، وليس من الضروري إيرادها كلها في هذا المجال، فلنكتفِ بقراءة القليل منها:

«**الضَّحْوُ والضَّحْوَةُ والضَّحِيَّة**: ارتفاع النهار. **والضُّحَى**: فويق ذلك. وقيل: الضحى من طلوع الشمس إلى أن يرتفع النهار **وتبيضّ** الشمس جداً، ثم بعد ذلك: **الضُّحاء**. وفي تفسير (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا): ضحاها: نهارها أو **ضياؤها**. وكذلك في تفسير (وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَا). وقد تسمى الشمس ضُحىً لظهورها في ذلك الوقت (الضحى). وتقول: أتيتك ضحوةً، أي ضُحىً. وضاحيته: أتيته ضحاءً. . . إلخ». وهناك تحليلات طويلة لا تهمنا هنا واستشهادات لم نأت بها لوضوح الأمر[77].

وليست مسألة «الضحى» و«الضحوة» قاصرةً على الشمس وحدها (حتى يتوجّس «رع» من وزيره «تحت» ويخشى منه الانقلاب عليه!) إذ تنصرف أيضاً إلى القمر (رمز «تحت») فيقال:

«**ليلة ضحياء وضحيا وضحيان وضحيانة وإضحيان وإضحيانة**: مضيئة لا غيم فيها، وقيل: مقمرة. وخص بعضهم بها الليلة التي يكون القمر فيها **من أولها إلى آخرها**(فتأمل!). وفي حديث إسلام أبي ذر: في ليلة إضحيانة، أي مقمرة - والألف والنون زائدتان (الأصل: إضحى)».

وتقول: «يوم إضحيان: **مضيءٌ** لا غيم فيه. وقمر وسراج إضحيان: **مضيء**. . . ولا يقال

---

(76) في معجم «بدج» (صفحة 911): «ضح ضح ح» (an ape-god) = Tchehtcheh (إله قرد) وسوف يظهر للقارىء فيما يلي سبب هذه التسمية وعروبيتها. لاحظ أن «ضح ح ضح ح» مضاعف «ضح»، والمضاعفة تستوي فيه العربية والمصرية معاً. قارن ما في اللهجة الليبية: «القمر تضَحْضَحْ» أي أن القمر مشعٌ نورُه، صافٍ، في ليلة تمامه بدراً. وفي اللهجة الليبية يكون القمر مؤنثاً معنىً: «طلعت القمر» وليس «طلع القمر» أو «طلعت القمرة». «القمر غابت» وليس «غاب».

(77) من الطريف أن «الضحيَّة» سميت كذلك لأنها عادة تذبح ضُحىً، كما تسمى «الأضحية» ومن ذلك عيد «الأضحى» و«التضحية» التي صار معناها بتطور الدلالة: بذل النفس (التضحية بالنفس) ومنها «الضحايا» (ضحايا العدوان. . مثلاً) ولم تعد قاصرة على وقت بعينه. أما بالنسبة لتفسير (وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَا) فليس ثمة ما يمنع أن يكون معنى «الضحى» هنا هو «القمر» لارتباطه بالليل، ارتباط «تحت» بـ«ست».

للفرس إذا كان أبيض : أبيض. ولكن يقال له : **أضحى**». (ولعل هذا ما يفسر لماذا اختار عرب مصر القدماء كلمة «ضح و» ليشتقوا منها اسم «ض ح و ت ي» رب النور، ولم يستعملوا «ب ي ض» مثلاً).

الدلالة التي تقدمها مادة «ضحا» نجدها في مادة «**ضحح**» (أيضاً : جذرها الثنائي هو : ضح) :

«**الضحُّ** : الشمس، وقيل : **ضوؤها**... والضَّحُّ : نقيض الظل، وهو **نور** الشمس الذي في السماء على وجه الأرض. والشمس هو النور الذي في السماء يطلع ويغرب، وأما ضوؤه على الأرض **فضحٌّ**». (وهذا ما يقابل في المصرية : «رع» = الشمس، و«ض ح» = ضوؤها - وليست هي ذاتها. وفي الأسطورة الدينية المصرية أن «تحت» كان وزير «رع» أي أن «ضح» يستند في وجوده وسلطته إلى «رع». ألم نعرف أن «القمر» يستمدُّ نوره في الحقيقة من «الشمس»، وأن هذا النور ليس إلا انعكاساً لضوء الشمس في واقع الأمر؟!).

وعلى سبيل القلب هناك الجذر «**وضح**» (ثنائيه : **وض**. قارن : **وضأ**[78]. كذلك قارن المصرية «**و ض. ت**» w ḏ. t = عين حورس = «**وضيئة**»/ **وضيَّة**»).

«**الوضح** : بياض الصبح والقمر. والعرب تسمي النهار : الوضَّاح». ومختلف اشتقاقات هذا الجذر تعني : البياض والبيان والضوء. ومنه : الوضوح، الاتضاح، الاستيضاح، التوضيح. والوَضْح : اللبن (= الأبيض). ويقال : في وضح النهار. والوُضَّح : الكواكب الخنّس إذا اجتمعت مع الكواكب المضيئة.

فهل يحتاج الأمر إلى مزيد من.. التوضيح؟!

اسم المعبود الذي نعرفه على شكل «تحت» هو في الأصل المصري «**ض ح و ت ي**» Ḏḥwty. **فلماذا هذه الصيغة**؟ والجواب يكمن في أول الاستشهادات السابقة : فإن من «**ضح**» (**ضحا**) تشتق : ضحو، وضحوة (وهو الوقت الذي تبيض فيه الشمس جدًّا = الضُّحى، الضَّحيَّة = البياض). وهنا نرى «**ضحو**» في صيغة المذكر، و«**ضحوة**» في صيغة المؤنث والأصل في الصيغة الأخيرة في العربية «**ضحوت**» (إذْ كانت تاء التأنيث تنطق في لهجة طي) وهي بالضبط في المصرية «ض ح و ت» - والفرق وصل الأحرف وتقطيعها فقط ليس غير. وبذا تتساوى «**ض ح و ت**» و «**ضحوت**» التي تطورت تاء تأنيثها إلى «ضحوة» (تاء مربوطة) = ضحو. ولن يتغير شيء رغم التذكير والتأنيث في اللفظ، فإن كلمة «ضحية»، وهي مؤنثة، تساوي «الضَّحو» و«الضَّحى» وهما مذكّران. ومن العجيب أن كلمة «شمس» تأتي مؤنثة معنىً إذ لا تؤنث لفظاً (شمسة) إلا إذا صغرت فيقال «شُمَيْسَة» ولا يقال «شُمَيْس» - فكأن التصغير أدى إلى التأنيث اللفظي. بينما يجوز تذكير «القمر» وتأنيثه رغم أنه أصلاً مأخوذ من «القمرة»[79] وهي صيغة مؤنثة، كما رأينا المساواة بين «ضحو»

(78) من ذلك : **الوضوء** - وهو غسل الأطراف (= تبييضها/تطهيرها) للصلاة.

(79) في اللهجات العامية يقال (قمرة) ويقصد (القمر) ولا يقال (شمسة). وفي القرآن الكريم : «فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ. فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ» (الأنعام/77 - 78).

و«ضحوة» . و«تحت» إله القمر فلا غرابة أن يُسمَّى «**ضحوة**» رغم كونه ذكراً[80] .

والسؤال الآن : من أين جاءت الياء في اسم «**ض ح و ت ى**» بعد أن بينا أمر التاء ؟

في العربية ينسب الآن إلى المفرد المذكر عادةً (تقول : عنترة ← عنتري . حمزة ← حمزي أو حمزاوي . عقبة ← عقبي) . أما في المصرية فتجوز النسبة إلى المؤنث (أي بدون حذف تاء التأنيث . وهي هنا أضبط وأدق ؛ إذ الأمر فيها واضح) . وبينما يسوّى في الاسمين «ضحو» و«ضحوة» في العربية (كما يسوى بين «عنتر» و«عنترة») تعود النسبة إلى «ضحو» فيقال : «**ضحوي**» . أما في المصرية فتقول : «**ضحوتي**» - نسبةً إلى «ضحوة» (من باب المساواة بين الذكر والأنثى - فيما يبدو !) ، ومن هنا كان اسم المعبود «**ض ح و ت ي**» . ويؤيد ما ذكرناه أن في العربية أسماء أعلام كانت في الأصل نسبة ؛ بدري (من : بدر) ، قمري (من : قمر) ، شمسي (من : شمس) ، نجمي (من : نجم) . . . إلخ .

هل تبين اسم «تحت» - أعني «ضحوتي» (أو «ضحوي») الآن ؟

إضافة

تظل بعد هذا ثلاث مسائل تتصل بهذا المعبود نوَد أن نناقشها قبل تركه وشأنه . **أولاها** : لماذا اختير «القرد» رمزاً له ؟ **وثانيتها** : لماذا كان طائر «أبو قردان» رمزاً آخر له ؟ **وثالثتها** : لماذا سمي «أبو قردان» بهذا الاسم بالذات في مصر ؟

1 - يدعى القرد عموما في المصرية : «**ق ف**» q f أو «**ق ء ف**» q a f أو «**ق ى ف**» q i f . وهو يسمى في الكنعانية «**قوف**» ويذكر أن اسمه يرمز إلى حرف «**القاف**» فيها ، وكذلك الأمر في العربية . ويسمى القرد في المصرية أيضاً «**ق ن د**» q n d - وتعني نفس الكلمة : الغضب ، الاهتياج ، الشراسة (معجم «بدج» ، صفحة 774) ويدخل رسم القرد في هذه الكلمات ، دليل الصلة بينها وبين القرد الثائر . (في العربية : **قند** ← قِنْدأو = الحادُّ ، السيِّءُ الخلق . مقلوبها : **نقد** ← انتقاد . قارن : **كند** ← كنود <> **نَكَدٌ** / نَكدٌ . . إلخ . على سبيل الابدال والقلب . قارن أيضاً : **قرد**) .

أما القرد الخاص بالمعبود «**تحت**» فيسَمَّى في المصرية «**إ ع ن**» $i^{c}n$. وفي حين تترجم «**ق ف**» (قوف) و«**ق ن د**» إلى الأنكليزية (monkey) (= قرد طويل الذنب ، نسناس ، سعدان) يدعى «**إ ع ن**» في الأنكليزية (ape) (= **قرد قصير الذنب**) كما يدعى (baboon) . ويقول (**معجم أكسفورد**) الاشتقاقي إن (baboon) جاءت من الأنكليزية الوسيطة والفرنسية القديمة (babuin) ، من اللاتينية الوسيطة (babewynus) ويقرر أن **أصلها غير معروف** . لكن الواقع أنها جاءت من العربية «**مأمون**» (التي صارت : **ميمون**»[81]) .

---

(80) هذا الباب في العربية معروف . فإن ثمة أسماء مؤنّثة لفظاً مذكَّرة معنىً من مثل : معاوية ، مسيلمة ، عقبة ، مُرَّة ، حمزة ، طلحة . ولا شك في ذكورة ، أو حتى فحولة ، هؤلاء جميعاً ، كما لا نشك - قطعاً - في ذكورة «عنترة» بن شداد العبسي ! وهناك أسماء إناث لا تلحقها تاء التأنيث : زينب ، هند ، أسماء . . . إلخ .

(81) أنظر : W. M. Watt ; The Influence of Islam on Medieval Europe, p. 86 .

ويرى «مونتغمرى وات» إن معناها : **محظوظ** lucky (وهنا نقارن كلمة «ح ض» في اسم هذا القرد في المصرية =

وهذا النوع من القردة يدعى باللاتينية في المصطلح العلمي Cynocephalus hamedryas (82). ويقول «شيرني» (Anc. Eg. Religion, p. 21) إن القراءة الأصلية لاسم هذا القرد غير يقينية، وهو الذي يدعى (أو يلقب) في المصرية: «ح ض - و ر» ḥḏ-wr أي: «الأبيض العظيم» great white one أو: «أكثر الكبار بياضاً» The whitest of the great ones.

ولا ينبغي لنا أن نفزع من هذه الترجمة العجيبة، فقد شرح بما فيه الكفاية تحت مادة «ح ض - و ر» ḥ ḏ-w r في هذه الدراسة. والخلاصة أن «ح ض» هي مقلوب «ضح» ← «ضحح»/ «ضحا» التي عرضناها منذ قليل، بمعنى النور والضياء وهي صفة «تحت» (ضح و ت - ى) رب القمر ووزير «رع» رب الشمس. فإن لم يكن هذا كافياً فإن مادة «حضأ» العربية تقدم لنا تفسيراً جلياً وهي تقابل المصرية: «ح ض»:

«حَضَأَت النار حضأً: التهبت. وحضأها: أوقدها.

قال الشاعر:

= «ح ض - و ر» بالعربية «حظ» التي تعني: نصيب، بخت. ولكن الصلة بين «ح ض» و«حظ» لا تخفى على كل حال). ونقارن أيضاً تسمية القرد في العربية «سعدان» (من: «سعد»). أما «مأمون» (ميمون) فإننا نرى صلة بينها وبين «اليُمْن» وأيضاً بينها وبين «اليَمَن» (جنوب الجزيرة - حيث كانت تكثر القردة).

(82) الكلمة الأولى مركبة من مقطعين: Cyno = اليونانية Kuno (لاحظ التقارب بين «كلب» و kuno) + Cephalu(s) = اليونانية Kephale (رأس). والمقصود أصلاً إنسان خرافي رأسه على هيئة رأس الكلب، ثم عني القرد الكلبي الوجه.

أما الكلمة الثانية hamedrya(s) فتعني في الأسطورة اليونانية جنيةً تحيا وتموت في الشجرة التي تسكنها، كما تعني حية هندية سامة، وكذلك «قرد الحبشة». وهي مكوَّنة من مقطعين:

1 - hama (= With). العربية «عم» التي أصلها «عم». قارن اللهجة الليبية: عَمّ = مَعَ. وهي كذلك في الكنعانية والمصرية والأكادية والسبأية «ع م».) وفي العبرية كذلك (قارن الاسم: عمانويل < عمنا - إل = معنا إل = الله معنا) وكما أبدلت العين في «عم» هاءً في اليونانية القديمة أبدلت همزة في اليونانية الحديثة āma، وأبدلت (c) في اللاتينية فصارت Com-، وتحولت الميم إلى نون فنجدها con في الايطالية مثلا، وفي الانكليزية تقوم السابقة con- مقام com- في عدد كبير من الكلمات المركبة.

2 - dru(s) (= Tree). شجرة «الدور» أو «الدردار»؟

بذا تكون hamedrya(s) (وهي بالانكليزية With Tree) عربياً: «عَمّ الدور» = مع [شجرة] الدور.

وأما الكلمة الأولى فهي - كما قلنا - مكونة من مقطعين أيضاً:

1) Keno = كلب

2) Kephale = رأس. العربية: قفن (القفن: قافية الرأس، وقفن كل شيء آخره. راجع مادة «قفن» في لسان العرب).

فالتسمية اللاتينية، المأخوذة عن اليونانية، لهذا القرد:

Cenycephalus hamedryas تتكون من:

ceny (keno). العربية: كلب.

cephalus (kephale). العربية: قفن.

hame (hama). العربية: عم (= مع).

dryas (dru). العربية: دور.

الترجمة الحرفية الانكليزية: dog-head (monkey)/with tree (within) tree (fairy).

حرفياً: «كلبي القفن/ عَمّ الدور». أي قرد كلبي الرأس/جنية (تحيا وتموت) مع شجرة الدور، الدردار.

باتت همومي في الصدر **تحضؤها** * طمحات دهرٍ كنت أدرؤها

وقال أبو ذؤيب :

فاطفىء ولا توقد ولا تك **مُحْضِئاً** * لنار الأعادي أن تطير شداتها

وحضأت النار : سعرتها ـ تهمز (حضأ) ولا تهمز (حضا) .
وحضو النار : تحريك جمرها» .

وهـذا ما يطابق ترجمة «غـاردنـر» و«فولكنر» و«بدج» لكلمة «**ق ن د**» q n d المصرية إلى الأنكليزية (furious, angry, violent) . . . إلخ (= غاضب، مهتاج، ضارٍ، ثائر، شرس، محتدم، ملتهب غضباً، متميز غيظاً. . . إلـخ). وهـذه هي طبيعـة القرد المقصود (baboon) المعروف بشراسته وحدَّته، خلافاً للنسناس أو «الشمبانزي» الذي نضحك منه وبه وعليه. وسواء، بعد هذا، أأستعملت كلمة «**ق ن د**» (العربية : قند، نقد، كند، نكد/قرد) أو «**ح ض**» (العربية : حضا) فأنت في ملتهب الكلمات وساخنها وموقد نار الغيظ والغضب. . أبعدها الله عنك!

لكن «تحت» لم يكن ربًّا للغضب . . فما صلته هنا ؟

هذا ما يجعلنا نشير من جديد إلى أن القرد أصلاً كان معبوداً محلياً في مصر الوسطى، كما كان «أبـو قردان» معبوداً محلياً في الدلتا، فلما توحَّدت أقاليم مصر أُدمج المعبودان المحليان في شخص «تحت» باعتباره معبوداً قوميًّا لمصر كلها، مع احتفاظه برمزي المعبودين المحليين الأصليين وإضافة رمز الكتابة، وهو مبتدعها، ليعم خيره الوطن بكامله.

فهـل كان القرد إلَهاً للغضب في مصر الوسطى (مدينة أشمونين بالذات) ؟ هذا جائز. ولكن ما صلته بالنور والضياء ؟ كيف تحوَّل رب الغضب إلى رب للنور، بل حتى للكتابة في بعض التصاوير ؟

نشـير ـ ولا بأس من الاعـادة ـ إلى غرام المصريين القـدماء بالجناس، مثل غرام عرب الجزيرة. فكلما وجدوا لفظةً تعبر عن فكرة ثم تقرن بها فكرة أخرى قريبة مما يبغون سارعوا إلى احتضانها. وهذا ما حدث للمعبود «**ح ض ـ و ر**» وعلاقته برب النور «**تحت**» (أو : «**ضحوتي**») .

دعك من المقطع الثاني «**و ر**» فإن معناه ببساطة : العظيم، الكبير (العربية : وري)، وقد شُرِحَ. ولنعالج المقطع الأول (ح ض) من جديد. إنه في العربية أساساً «حضو» = اللهب. وهذا الجـذر (ح ض) لاشـك قلب للجـذر (**ض ح**) (**حضـا < > ضحا**) وهو ما يؤدي بنا إلى : «**ضحا**»، «**ضحي**»، «**ضحك**». والأخيرة هي التي تهمنا هنا : فقد ذكرنا منذ قليل أننا «**نضحك**» من القردة (أو من بعضها على الأصح). . أفليس من الجائز أنها تضحك هي منا ؟ !

إن الجذر الثلاثي (**ضحك**) في الأساس لا يعني ما تطورت إليه دلالته الآن، أي إلى معنى إظهار الفرح والسرور بقهقهة عالية أو هادئة، وهو في البداية ابتسام، ثم ضحك صاحب يهز أحياناً أرجاء المكان ؛ إذ هو يفيد ـ أصلاً **الجلاء والوضوح والضياء والبياض** :

«الضَّحْك : الثغر الأبيض. والضواحك : الأسنان التي تظهر عند التبسم. والضَّحِك : ظهور الثنايا من الفرح. الضاحك من السحاب : البارق. والضَّحْك : العسل الأبيض والزبد والثلج وطلع النخل حين ينشق. وأضحكت النخلة أخرجت الضحْك. والضَّحْك : النَّوْر (قارن : **النور**). والضاحك : حجر أبيض يبدو في الجبل. والضحوك : الطريق الواسع (البيِّن = الواضح). وطريق ضحَّاك : مستبين. ورأيٌ ضاحك : ظاهر غير ملتبس. ويقال : إن رأيك يضاحك المشكلات، أي : تظهر عنده المشكلات حتى تعرف».

وأهم ما يتصل بموضوعنا ما يذكره ابن منظور :

«ويقال : **القرد يضحك ؛ إذا صَوَّت**».

ولعل المقصود بُروز الأسنان والإبانة عنها. **وهذا لا يعني إعلان السرور فحسب، بل يكون أيضاً عند الغضب والهياج وفي حالة التكْشير**. وبيت المتنبي السائر معروف :

إذا رأيت نيوب الليث بارزةً * فلا تظنن أن الليث يبتسم

أي : إذا رأيت أنياب الأسد ضاحكة (مكشراً عنها) فهو قطعاً لا يبتسم، بل هذه علامة الغضب والهياج. وتفسير بيت الشعر القائل :

تضحك الضبع لقتلى هذيل * وترى الذئب بها يستهل

أن الضباع تكشر عن أنيابها لتأكل من قتلى بني هذيل كما يستهل (يأتدم) الذئب منهم.

و«ضحك القرد» لا يعني فقط صوته أو صواته بل يشير إلى ظهور الأسنان ووضوحها، وقد يكون ضحكاً لفرح أو ضحكاً لغضب، فإن «**الضَّحَّاك** مدح، **والضُّحَكَة** . ذم، والضُّحْكَة أذم» كما جاء في (اللسان). ونحن نقول : «فلان أضحوكة» أي موضع هزؤ وسخرية. وهذا ما يبين عن أن الجذر «ضحك» يحمل معنى الضدين، ولكن الأصل : **ظهور الأسنان**[83]. والأسنان بيضاء ؛ في العادة، فمعناه إذن : **البياض، الوضوح، الضحـ(ك)**. من الجذر الثنائي «**ضح**»، ومقلوبه «**حض**». وهذا لقب القرد في المصرية أو كنيته : **الضحَّاء** (= الضحَّاك) أو «الحضَّاء». وخُصص رمز المعبود «تحت» بلقب «**ح ض - و ر**» الذي يترجم «الأبيض الكبير» وتمكن ترجمته : «**الضحَّاك الكبير**» والمعنى واحد، مرتبط بالبياض والنور والضوء. وهذا ما يوضح صلته بآله النور «تحت» (**ضحوتي**).

2 ـ في الهيروغليفية تستعمل ثمانٍ وخمسون صورة كاملة لمختلف أنواع الطيور وأوضاعها، إلى جانب عدد كبير من أطرافها، تعبر كل صورة عن كلمة معينة. وهذا ما يعرف بصورة الفكرة idio-gram (أنـظر : Gardiner ; Eg. Gr., p. 470) . وهنـاك أربع صور لأشكال وأوضاع مختلفة للطائر

---

(83) وتسمى الأسنان في العربية : **الواضحة**. وأنشد :

كل خليل كنت صافيته * لا ترك الله له واضحة

كلهم أروغ من ثعلب * ما أشبه الليلة بالبارحة !

وفي الحديث : «حتى ما **أوضحوا بضاحكة**» أي : ما طلعوا بضاحكة ولا أبدوها.

المعـروف في اليونانية باسم ibis (ويعرف في مصر باسم : **أبو قردان**. ويسمى في بعض الأقطار العربية الأخرى : أبو حنش، أبو منجل، حارس، عنز). وهو أنواع وضروب، والذي يهمنا هنا ذاك المعروف في اللاتينية باسم (Ibis religiosa) (Sacred Ibis = إبيس المقدس)، وهو الذي يُسمَّى في المصرية القديمة «هـ ب» h b (عند «غاردنر» و«بدج». عند «فولكنر» h b y). ومن الواضح جدًّا أن **اليونانية ibi(s) منقولة عن المصرية** بإبدال الهاء همزة والحاق السين الزائدة في آخر الكلمة.

فلماذا كان هذا الطائر رمزاً للمعبود «تحت» رب الضياء ؟

لقد حدث له ما حدث بالنسبة للقرد ؛ كان هذا الطائر معبودا محلياً في الدلتا، فلما توحَّدت مع بقية الأقـاليم احتفـظت بمعبـودها وأدمجته في «تحت» معبود مصر الكبرى، كما فعلت مدينة «أشمونين» بمعبودها (الضحَّاك).

فما علاقتـه بالضيـاء ؟

نشير هنا إلى الاستفادة من طائر آخر يسمى في المصرية «ب ن و» b n w أو «ب ي ن و» b y n w رمز ظهور الشمس والنور، وقد صار اسمه في اليونانية «فوينكس» (Phoenix) ، وهو في العربية من الجذر «بَيَنَ» أي : ظهر واتَّضح. وقد تحدثنا عنه بتفصيل في هذه الدراسة.. فليراجع لمزيد من.. البيان.

وليس من قبيل الصدفة أن يكون طائر «تحت» أبيض اللون، رغم أنه من فصيلة صِنْوِهِ أسود اللون الذي يسمى في المصرية «ق م ت» gmt[84]. وأن يدعى في اللاتينية (bis religiosa)) (إبيس المقدس) لبياضه الساطع الرامز إلى الصفاء والنقاء.. شأن الأشياء المقدسة الطاهرة.

من البياض ذاته ربط «إبيس» الأبيض بـ«تحت» وصار رمزاً له كما صار القرد من قبل. وكان هذا الطائر يصوَّر في الغالب الأعم متسنِّماً سارية يقف عليها بكل جلاله الآلهي، تمييزاً له عن بقية «الابيسات» وتقديراً. وهذه السارية، بالمناسبة، تُسمَّى في المصرية «إ ء ت» i a t وتعني كذلك : علامة، رمز، علم. عربيتها : «آية».

فهل رأيت كيف بانت صلة المبجل «أبو قردان» برب النور «تحت» ؟

3 ـ السؤال الثالث : **لماذا سمي «أبو قردان» بهذا الاسم ـ في مصر بالذات ؟**

في اللغة المصرية القديمة، كما ذكرنا، يدعى هذا الطائر الأبيض «هـ ب» h b أو «هـ ب ى» h b y ـ على النسبة. **فما هو المكافىء في العربية ؟**

لقد سبقت الاشارة إلى سبب تسمية طائر «مالك الحزين» heron في المصرية باسم «ب ن و» أو «ب ي ن و» لأنه يبرز برأسه التاجي الأبيض، أو يبينه، من سطح الماء في الصباح خاصةً كما تبرز الشمس في الأفق عند شروقها، فهو «البين» أو «البيان». **كذلك هذا «الابيس» الأبيض يظهر في**

---

(84) قارن «ك م ت» في هذه الدراسة = أسود. (قارن معجم «بدج»، صفحة 807 ـ 808).

برك الدلتا يشع ببياضه ويبرز رمزاً للمعبود «تحت». وليس في الجزيرة العربية كثير برك ومستنقعات كالدلتا ولا «إبيسات»، بل فيها الصحراء وسرابها في النهار والنجوم البراقة الساطعة في لياليها الصافيات. ومن هنا كان استعمال «هـ ب» في وضع مختلف ولكنه ينطبق على الطائر الأبيض.. «إبيس» :

«يقال : **هبهب السراب هبهبة** : إذا ترقرق». (أي لمع وتماوج في لمعانه).

«**والهبهاب** : اسم من أسماء السَّراب».

«ويقال : هَبَّ النجم إذا طلع».

(لسان العرب، مادة : هبب)

وهكذا نجد أن «هـ ب» المصرية تقابل «هب» العربية ومضاعفها «هبهب»، وتؤدي المعنى المقصود في اللغتين في هذا المقام.. البياض والصفاء والبيان.

والحديث لا يزال متصلاً..

فقد أدت «هب» h b المصرية إلى : «هـ ب ن ي» h b n y و«هـ ب ي ن» h b y n (معجم «بدج»، صفحة 445-446) التي نقلتها اليونانية في شكل ebenos وأخذتها عنها اللاتينية في شكل (ebanu)، وكانت في الأنكليزية الوسيطة اسماً (hebeny)، وفي القرن الخامس عشر كانت صفة (ebon) وأخذ منها الاسم (ebony). وهو ما نعرفه في العربية باسم «أبنوس» (عن الصيغة اليونانية ebenos). و«الأبنوس» ـ كما تعرف ـ هو ذاك الخشب الصلب **الأسود**. فكيف حدث هذا؟

يقول (معجم أكسفورد) الاشتقاقي The Con. Ox. Dict. إن الانكليزية ebony (أبنوس) قد تكون تحريفاً لكلمة (ivory) (عاج). والعاج ـ باتفاق ـ مادة بيضاء، ناصعة البياض أحياناً، تكوِّن الجزء الأكبر من سن الفيل وكذلك فرس النهر وكركدن البحر وفيله أيضاً. وكلمتا (ebon) و (ebony) ـ كما يذكر المعجم ذاته ـ في الأصل خشب أسود صلب، ثم أصبحت الكلمتان تعنيان السواد بإطلاق. فإذا كان (معجم أكسفورد) خلط ما بين «السواد» و«البياض» بهذا الشكل فلابد إذن أن خلطاً من هذا القبيل وقع في كلمة (ebenos) اليونانية.

فإذا بحثنا عن منشأ كلمة (ivory) الانكليزية (= عاج) وجدناها تُرْجَعُ إلى اللاتينية (ebur, ebor)، وهذه ـ كما قيل ـ من السنسكريتية (ibhos). وهنا نشير إلى المصرية «أ ب و» a b w التي تعني «فيل» كما تعني «عاج» (معجم «فولكنر»، صفحة 2). وفي الكنعانية «إ ب» تعني : صافٍ (والعاج رمز البياض والصفاء). وفي الأكادية «إبُّو» (ebbu) تعني : صافٍ، ساطع (معجم «غوردن»، رقم 9). وهي عندنا ذات صلة بالمصرية «و أ ب» w a b (طاهر، نقي، أبيض، حوري) ـ العربية : «آب» (ماء)، «أوب» (طاهر، نقي) ـ كما ذكرنا في مادة «و ء ب» في هذه الدراسة.. فلتنظر.

في العبرانية يُسمَّى العاج «شِنْ هَبِّين» (shen habbīn) (محمد يوسف ؛ الألفاظ الهندية

عرَّبة، مجلة اللسان العربي، 10/1 صفحة 606). وهي تترجم إلى «سن الفيل»، وقد نترجمها السن **البيضاء**» أو «سن **العاج**» لتقابل «هَبِّين» العبرانية ما في الأكادية (إبُّو) والكنعانية (إب) المصرية (ء ب و) = عاج. كما تقابل المصرية «هـ ب» h b (العربية : هب) بمعنى «أبيض» التي سبق بيانها.

ويذكر (معجم أكسفورد العالمي) (The Universal Ox. Dict.) أن العبرانية «هُبْنِيم» (hobnim) مأخوذة عن اليونانية (ebenos) (= أبنوس) وهي مذكورة في الآية (15) من الاصحاح (27) من سفر حزقيال). وحين رجعت إلى المصدر المشار إليه وجدت الحديث موجهاً إلى مدينة (صور) لكنعانية :

«يا صور. . . . . أَدُّوا هديتك **قروناً من العاج والآبْنوس**» (الترجمة العربية).

وهذا التركيب «**قروناً** من العاج والأبنوس» يشير إلى **وحدة الشيئين في** كونهما معاً «قروناً» (سن الفيل أو غيره) إذ لم يميز «الآبْنوس» بأنه خشب أسود أو غير أسود، وربط العاج (الأبيض) بالآبنوس يفيد أنهما **مشتركان في صفة واحدة** (القرنيَّة) أو **حتى في صفتين** (القرنية والبياض) ـ **ولا** صلة للآبنوس بالسواد هنا، بل **صلته بالبياض أمتن**. فالواضح إذن أن حديث «حزقيال» عن «الآبْنوس» لم يكن يشير إلى الخشب «الأسود» الصلب كما تعرف المعاجم الانكليزية (ebony) وتتبعها إلى اللاتينية (hebenus) واليونانية (ebenos) ـ بل إلى شيء قريب من العاج الأبيض. ويؤكد لنا هذا الرأي أن «حزقيال» يتحدث عن أنواع الخشب التي عرفت في (صور) ولا يذكر «الآبنوس» من بينها :

«يا صور! أنت قلت أنا كاملة الجمال. بَنَّاؤوك تمَّموا جمالك. عمل كل ألواحك من سرو سفير. أخذوا أرزاً من لبنان ليصنعوه لك سواري. صنعوا من بلُّوط باشان مجاديفك. صنعوا مقاعدك من عاج مطعَّم في البقس من جزائر كِتّيم».

ولا ذكر مطلقاً للآبنوس الذي يأتي بعد ذلك مرتبطاً بالعاج وليس بالخشب. فمن أين ارتبط السواد بالخشب الصلب هذا الذي نسميه «الأبنوس» ؟

من المدهش حقيقةً أنني لم أعثر في المعاجم العربية المعتمدة التي بين يدي (مثل «تاج العروس»، «القاموس المحيط»، «لسان العرب») ولا في «تكملة المعاجم العربية» للأستاذ «رنهارت دوزى» ولا حتى في «المنجد»، على أثر لكلمة «**أبنوس**». وهي لا ترد في شعر ولا نثر معروف مما يستشهد به. **وهذا يعني أن الكلمة دخلت العربية حديثاً جدًّا**، ربما مع ترجمة «التوراة» إلى العربية حيث استعمل مترجموها الصيغة اليونانية (ebenos) ، المأخوذة عن المصرية h b n y (رجعت في اللاتينية (hebenu(s)) . فهل تحولت «هـ ب ـ ن ى» المصرية (= بياض) إلى الضِّد في اليونانية (= سواد) ؟

قد تكون المسألة راجعة إلى قول «أرسطو» الفيلسوف والعالم اليوناني الأشهر في مؤلفه (**تاريخ الحيـوان**) . (Aristotle ; Historia animalium, 617 B, 30) إن «هنـاك نوعـين من (الابيس) ibis المصري : **أبيض وأسـود**». وسبب هذا القول أنه كان يوجد فعلاً الأسود والأبيض في لون هذا

الطائر[85]. الفرق أن **اليونان أسموا كليهما** ibis (عن المصرية h b) بينما اسمى المصريون الأبيض : h b ـ (العربية «هب») والأسود : gmt (قارن : ك م ت = كميت = أسمر، أسود).

فإذا كانت مسألة الأضداد، أي الألفاظ التي تحمل معنىً ما وتحمل في الوقت نفسه ضده، واردةً فهي قضية معروفة لها أسبابها التي فصَّلها الدكتور صبحي الصالح (دراسات في فقه اللغة العربية، صفحة 309ـ312)، وذلك كأن يُسمَّى الأعمى بصيراً، والعطشان رياناً، **والجون** : **ء بيض والأسود**، وكما يعبرعرب ليبيا عن الفحم (الأسود) بتسميته «**البياض**». وهنا نجد في العربية مادة «**أبن**». ورد في (اللسان) :

«**أبانان** : جبلان، **أحدهما أسود والآخر أبيض**. فالأبيض لبنى أسد والأسود لبنى فزارة، بينهما نهر يقال له الرُّمة، بتخفيف الميم، وبينهما نحو من ثلاثة أميال، وهو اسم علم لهما. . . قال ابن جني : وأما قولهم للجبلين المتقابلين (أبانان) فإن (أبانان) اسم علم لهما بمنزلة زيد وخالد. . . قال مهلهل :

لو **بأبانين** جاء يخطبها * رُمْلَ ما أنف خاطب بدمِ

. وقد يفرد فيقال : «أبان». قال امرؤ القيس :

كأن **أباناً** في أفانين ودقه * كبير أناس في بجادٍ مزمَّلِ

ويقال : **أبن** الجرح، **أي اسودَّ**».

فهل ثمة تكافؤ أبين من هذا ؟

ونعود إلى الإنكليزية، فنجد في قاموسها كلمة eboe التي دخلتها (كما يقول «معجم أكسفورد عالمي») سنة 1834م. قال : «وهي لفظة كان يستعملها سكان جزر الهند الغربية تطلق على زنوج بنين)[86] Benin . وتطلق على شجر ينمو في أمريكا الوسطى أسود لون الخشب يدعى في اللاتينية Dipteryx **eboensis**». ويخيل إلينا أن ثمة خلطاً (أو لعله صلة) بين eboe التي نجدها عند سكان جزر الهند الغربية و Benin ، وما في الأنكليزية : ebonite, ebony, ebon . . إلخ. من جهة وبين اليونـانية ebenos (المصرية hbny) من جهـة أخـرى، وهـذا ما يقابل العربية «**أبن**» التي تحمل ضدين[87]. أما «أبنوس» فليست سوى الصيغة اليونانية كما هي.

يدعم هذا الرأي أن ما نعرفه بشجر «الأبنوس» ينمو في سيلان ومدغشقر وجزر المورشيوس

---

(85) يقول (**معجم أكسفورد العالمي**) إن طائر الـ ibis المصريَ المقدس «مختلط» ريشه الأبيض باللون الأسود. ففيه إذن البياض والسواد معاً.

(86) جمهورية «بنين» حاليا. كانت تسمى «داهومي» ـ وقد استعادت أخيراً اسمها القديم. ولعل القارىء أدرك الصلة بين زنوج «بنين» وما نعالجه من أمر الأبنو(س)» وبذا يمكن إرجاع اسم هذه الجمهورية الافريقية إلى ا... ببساطة.

(87) تقول «أبَّن» بمعنى : (1) مدح. (2) عاب. راجع (لسان العرب).

وجامايكا، وهي مناطق يسكنها السود من البشر، ولم يكن معروفاً في مصر ولا في بلاد اليونان ولا في جزر البحر المتوسط كله شجر بهذا الاسم، أسود أو غير أسود. و«الآبْنوس» الوارد على لسان «حزقيال» **يعني شيئاً شبيهاً بالعاج، أو لعله ضرب من أنياب الحيوان الأخرى باعتبار العاج خاصًّا بالفيلة**[88]. فإن كان لابد من اعتبار «الأبنوس» معروفاً ـ كما ورد في (التوراة) ـ على أساس كونه خشباً أسود، فإن تسميته من باب الأضداد.

وخلاصة هذا الكلام كله أن اليونانية ebenos واللاتينية hebenus مأخوذة عن المصرية h b n y بمعنى طائر «تحت» (أبو قردان) أصلاً ثم تحولت إلى اسم يطلق على الخشب الأسود الصلب.

فإذا ربطنا بين هذا كله وبين الكلمة المصرية **«ب ن و» أو «ب ي ن و»** (= طائر من نفس الفصيلة يسمى في العربية : مالك الحزين) وهو أيضاً طائر أبيض، رمز الشروق والضياء، وجدنا الصلة وثيقة بين الطائرين في اللون والتسمية معاً وألفينا أنفسنا أمام الجذر «**بين**» في العربية، أي : ظهر وبرز واتضح ووضح ـ وعنها، أو عن المصرية، فالأمر واحد، أخذت اليونانية ebeno(s).

ولكننا لم نجب بعد عن هذا السؤال : **لماذا اختير اسم «أبو قردان» لهذا الطائر العجيب ؟**

ولعلنا لا نكون مغالين إذا قلنا، والله أعلم، إن هذه التسمية التي تبدو كنيةً تجمع في حقيقتها بين المعبودين المحليين اللذين اتَّحدا في المعبود القومي «تحت» : **«الطائر والقرد»**.

فالمقطع الأول (**أبو**) هو ذاته **«هـ ب ي»** h b y وإبدال الهاء همزة واقع في اليونانية ibi(s) (إبي) ولا نجد فارقاً ما بين «أبو» و«إبي» بعد إسقاط السين الزائدة في «إبيس». وهذا هو «تحت» ممثلاً في طائره المقدس **«هـ ب ي»** أو الطائر مدمجاً في «تحت». (قارن أيضاً ما سبق : «أ ب و» a b w = فيل، أبيض، عاج = h b y).

أما المقطع الثاني (**قردان**) فلعله ليس سوى كلمة «قِرد» التي صارت «قردان»، والأصل «**قردن**» ـ والنون في آخرها للتعريف بحسب عربية جنوب الجزيرة القديمة. (قارن : عرب ← عربن ← عربان. قحط ← قحطن ← قحطان. عدن ← عدنن ← عدنان. نعم ← نعمن ← نعمان.. إلخ).

والقرد ـ كما علمت ـ هو رمز «تحت» الثاني (في المصرية «ق ن د») والابدال بين النون والراء كثير، وبذا تكون «قرد» = «قند». **فيكون اسم «أبو قردان» مركباً من «أبو» (المصرية «ء ب و» = «هـ ب ي») = الطائر «إبيس» + «قرد» (الأصل : قند)**.

«ء ب و. ق ن د» ← a b w. q n d أبو قند ← أبو قرد ← **«أبو قردان»** (الطائر + القرد).

فهل بالغنا قليلاً ؟

---

(88) ألا نرى صلة بين «أبن» ← «أبنوس» و«ناب» (سن) ؟

قد يكون هذا رأيك . لكنها فكرة خطرت لي ولم أرد أن أتركها تمر دون تسجيل ؛ فَرَبُّ الكتابة المبجَّل «تحت» سوف يغضب إن لم نستغل اختراعه العظيم في توثيق أفكارنا !

وقبل أن ننتهي من حديث «تحت» (أعني «ضحوتي») هناك ملاحظتان أود إبداءهما .

فالمثير فعلاً أننا حين نقرأ في اللهجة الجبالية (البربرية) نجدها تستعمل كلمتي «**إكف**» ekef و«**كُف**» cuff لتدل على الغضب والحرد . ونرى أن هاتين الكلمتين هما الكنعانية «**قوف**» التي معناها «قرد» كما سبق القول . **والجبالية هنا تتفق مع المصرية في اتخاذ (قرد) بصورتي (كف) و(قند) للدلالة على الغضب والهياج .**

لكن القـرد ذاتـه (أي الحيوان المعـروف) يُسَمَّى في الجبالية مرة «**إدِّيوْ**» iddew (أو «**يدِّيو**» yiddew) ويدعى مرة أخرى «**أبِدَّاوْ**» abiddaw (أنظر : .Ballet ; Dictionnaire Kabyle-français, pp) . 78, 161

إن القرد - كما مرَّ - رمز «**تحت**» إله النور، وقد سبق تحليل اسمه في المصرية على هذا الأساس . **ولم تخرج الجبالية عن القاعدة في اعتبار القرد رمزاً للنور** . كل ما في الأمر أن المصرية استعملت كلمة «**ح ض**» (= حضا) للدلالة على النور بينما استعملت الجبالية كلمة «ضو» (= ضوء . صارت «إدِّيوْ iddew . وبإشباع الدالين يمكن أن تنطق «الضَّوْ» - معرَّفة) .

أما كلمة «**أبِدَّاوْ**» abiddaw (abiddaou) فقد تكون مكونة من مقطعين :

1 - «**أب**» ab (المصرية «ء ب (و)» = «هـ ب» . العـربية : آب/هب) وتعني : أبيض، بياض (= طائر «تحت» الأبيض = اليونانية «إبيس» (ibis)).

2 - «**إدَّاوْ**» iddaw وتقابل العربية «**ضو(ء)**» .

فالاسم إذن مركب معناه «بياض الضوء» (= طائر «تحت» + قرده) .

لكن الملاحظ أن الجبالية (كالعربية) تسبق عدداً من الألفاظ التي نجدها في المصرية بالمقطع «**أبـو**» (= بو) أي : ذو، صاحب[89] (الأنكليزية of) . فمقابل «أبدَّاو» abiddaw في هذه الحالة عربياً : «**أبو الضَّو(ء)**» - أي : «ذو الضياء» .

ومهما قلبنا المسألة على وجوهها فإنها لا تخرج عما استعمل في العروبية المصرية والعربية من ألفاظ تختلف نطقاً وتتفق في الدلالة .

---

(89) قارن ما في الجبالية «أبِنْفِرُّو» abenferriw (عصفور الدوري) وهو في المصرية «ن ف ر (و)» ;N f r(w) . أنظر : .Ballet ; Dictionnaire Kabyle-français, p. 29 (BNFR)

ت ف ن ت Tefnut

خُلِقَتْ «ت ف ن ت» (ومعناها : بلل، رطوبة) وأخوها «ش و» من جسد المعبود الأولي «إ ت م»، ومعهما ظهرت الثنائية من الواحدية (الوحدانية) الأزلية وبدأت دورة الجنس. وحين أُدْمِجَ المعبود «إ ت م» في المعبود «ر ع» صارت «ت ف ن ت» و«ش و» ابني إلّه الشمس واعتبرا عيني «رب الجميع». وفي البداية قرنت «ت ف ن ت» بعين القمر ولكنها ما لبثت أن تحولت، خلال صلات ميثولوجية متنوعة، إلى عين الشمس، ثم إلى شعار «اليورايوس». وعبدت هي وأخوها «ش و» في مصر السفلى (الدلتا) باعتبارهما «ولدي ملك الدلتا». وهذه صورة أسطورية للشمس والقمر.

يرجح «بدج» (The Gods of The Egyptians, ii, p. 87) أن اسم المعبود «ش و» مشتق من الجذر «ش و»، ومعناها عنده في الأنكليزية : (dry, parched, withered, empty) . فإذا أردنا أن نضع الترجمة العربية وجدناها : (جفّ). جوى، شوى، ذوى، خوى. ومن الواضح أنها لا تبعد معنى ومبنىً عن الجذر المصري «ش و». ثم يربط «بدج» بين هذا المعبود والنور (light) (صفحة 90). وهنا يأتي الجذر العربي «ضوا/ ضوي» لينضم إلى القائمة السابقة.

وكل هذا بحسب فهم المصدر الأول للاشتقاقات المختلفة، وبحسب تغير مفهوم هذا المعبود المتصل بالحرارة والشمس والضوء والهواء. ولكننا نرى أن المكافىء الذي يؤدى هذه المعاني جميعها وينطبق على «ش و» هو كلمة «جوّ» العربية التي تغطي كل ما ذكرناه. (راجع مادة «ش و» في هذه الدراسة).

فإذا التفتنا، بعد هذه الملاحظة العابرة، إلى المعبودة «ت ف ن ت» t f n t وجدناها مرتبطة بأخيها «ش و» ارتباط المقابلة. فإن كان هو يمثل الحرارة بمختلف صورها وما يرتبط بها، فإنها تمثل : البلل والرطوبة والطراوة ؛ فاسمها يعني في الأساس : **المطر الخفيف، الرذاذ، أو الطل، أو الندى**. (لاحظ أن وادي النيل لا يتمتع بالمطر الدافق الوابل بل يأتيه المطر خفيفاً حيناً بعد حين).

ويرجع الأستاذ «بدج» (صفحة 87 من نفس المصدر) اسم هذه المعبودة إلى الجذر في المصرية : «ت ف» tf، الذي يضاعف إلى «ت ف ت ف» tftf ومعناها : بصق (spit)، بلل (moist). ومنه جاءت «ت ف ن ت».

نذكر أولاً أن التاء في آخر الكلمة للتأنيث، وتبقى «ت ف ن» فلننظر في العربية :

«**تفن** : طرد. تفن الشيء : طرده».

وهذا ما يقابل البصق أو البصاق، وهو طرد الشيء، لعاباً كان في الغالب أو سواه، من الفم. (قارن اللهجة المصرية : تَفّ، يْتِفْ).

وقد قلبت النون لاماً فكانت :

«**تفل** : تفل، يتفل، تفلاً : بصق. قال الشاعر :

. . . **متى يَحْسُ منه مائح القوم يتفل** . ومنه : تفل الراقي. والتُّفل والتُّفال : البصاق والزَّبَد ونحوهما. والتفل بالفم لا يكون إلا ومعه شيء من الريق، فإذا كان نفخاً بلا ريق فهو النفث» (اللسان).

وقد أبدلت التاء في «التفل» و«التفال» دالاً في اللهجة الدارجة الليبية فكانت «الدفل، الدفال» والفعل : دفل، يدفل.

بذاك تكون «ت ف ن ت» هي «**التافنة**» أو «**التافلة**» أو «**الدافلة**» ـ تلك التي «تتفن» و«تتفل» و«تدفل» أي تبصق الماء، فتبلل الأرض وتكون الرطوبة. ويثبت ما ذهبنا إليه ما يرد في بعض النصوص المصرية (The Eg. Book of The Dead, Unas, Line 453) من الحديث عن «ت ف ن ت» ليس باعتبارها حرم الآله «ش و» بل باعتبارها عقيلة معبود آخر هو الرب «ت ف ن» T f n . (أنظر أيضا : (Budge ; The Gods of The Eg. ii, p. 92) وهو ما يقابل :

«**التافن/ التَّفّان**» (مذكراً) مثلما قابلت زوجته :
«**التافنة/ التفَّانة**»، وما إليها، مؤنثة.

ج ب Geb Geb

كان «جب» تجسيداً للأرض. وفي نص من (نصوص الأهرام) يقرر أن الموتى يدخلون في «جب» (= الأرض). ولكونه رباً للأرض فقد صُوِّر وهو يحمل النباتات التي نمت على ظهره، كما نبع الماء منه أيضاً. وطبقاً لاسطورة قديمة فإن «جب» وربة السماء «نت» خلقا الشمس، ولذا صار هو «أبا الأرباب». وقد منح سلطته الأرضية لأوزيريس ثم لحورس، وأخيراً للملك الذي كان يُدعى تبعاً لذلك «وريث جب». وكان رمزه الاوزة، ولذا سميت «إيزيس» : «بيضة الاوزة». وكان يضع على رأسه إوزة أحياناً، لكنه في الأغلب صُوِّر متخذاً تاج مصر السفلى غطاءً للرأس.

يكتب اسم هذا المعبود في الهيروغليفية «ج ب» و«ج ب ب». ويربط «بدج» (The Gods of The Egyptians, ii, p. 98) بين المعبود «جب» والمعبود «أكر». وهذا ربط واقعي ؛ فإن «جب» هو

«الجبوب» في العربية، و«أكر» تقابلها العربية «أكر» بمعنى : زرع، فلح، حرث، حفر الأرض. وكـذلـك «أجـر» ← آجـر، يأجـور. وأيضاً «حجر» وما اشتق منها. وأختها الأكادية : أَكّارُو، والكنعانية : أ ج ر. وكلها متعلقة بالأرض.

أما بالنسبة لـ«جب» أو «جبب» فقد ورد في (اللسان) :

«**الجبوب** : وجه الأرض، وقيل : هي الأرض الغليظة، وقيل : هي الأرض الغليظة من الصخر لا من الطين، وقيل : هي الأرض عامّة.

والجبوب : التراب. قال امرؤ القيس :

فيبتن ينهشن الجبوب بها * وأبيت مرتفقاً على رحلي

والجبوبة : المدرة (الطين)... قال الأصمعي : الجبوب، بالفتح، الأرض الغليظة. ابن الأعرابي : الجبوب : الأرض الصلبة، الجبوب : المدر المفتّت... قال أبو خراش يصف عقاباً أصاب صيداً :

رأت قَنصاً على فوتٍ فضمَّتْ * إلى حيزومها ريشاً رطيبا

فـلاقـتـه ببـلـقـعـةٍ بـراحٍ * تصادم بين عينيه **الجبوبا**

قال ابن شميل : الجبوب : وجه الأرض ومتنها من سهل أو حزن أو جبل. قال أبو عمرو : الجبوب : الأرض. وأنشد :

لا تَسْقِه حمضاً ولا حليبـاً
إن ما تَجِده سابحاً يعبوبا
ذا منعة ينتهب **الجبوبـا**

وقال غيره : الجبوب : الحجارة والأرض الصلبة. وأنشد :

تدع الجبوب إذا انتحت * فيـه طريقـاً لاحبـا»

جـ ن gen

كانت حديقة فرعون التي ينشئها، وهو ابن «حورس»، تمثل حديقة أبيه السماوي. وقد زرعت الملكة «حتشبسوت» أشجاراً فواحة حول معبدها في «دير البحري» بطيبة، على نية أن تكون بستان (أبيها «أمون»). وأهدى «رمسيس الثالث» إلى هيكل «هليوبوليس» (عين الشمس/ مدينة الشمس) بستاناً زُرع أشجاراً ونخيلاً إلى جانب نبات اللوتس والبردي والغاب والزهور. وفي بلد تحيط به الصحراء

كانت الحديقة ذات الظل والثمر من أثمن ممتلكات الدنيا، وهي متعة يود كل امرىء أن يضمنها في حياته الآخرة. ونقرأ في أحد نصوص طيبة: «خذ زهور اللوتس التي تأتيك من بستانك، وانعش نفسك في ظلال أشجاره، وافعل ما بدا لك إلى أبد الآبدين». وتظهر في تصاوير مقابر الحكام في الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة مناظر الحدائق مرة بعد أخرى.

الكلمة العربية التي تعني «حديقة»، «بستان» - تعمياً - هي كلمة «**جَنَّة**» وجذرها «**جن/جنن**». وهذا الجذر يلتقي في المعنى البعيد والجذر «كن/كنن» وهما معاً يفيدان الستر والخفية وما إليهما. وقد سميت «الجنة» جنةً لأنها «تَجِنُّ» داخلها وسط أشجارها الملتفة وأعشابها الكثيفة.

في المصرية نجد الكلمات التالية:

«**ج ن**» s g n «ج ن ج ن ت» g n g n t: نبات، عشب. وكذلك «**ج ن ن**» g n n (معجم بدج صفحة 808).

كما نجد:

«**ك ء ن و**» K a n w: جنة.

«**ك ء ن ى**» K a n y: بستاني/جنايني (على النسبة بالياء).

«**ك ء ن ى**» K a n y: جنايني. وكذلك: فاكهة على وجه العموم (وقد نقابل معنى «الفاكهة» هنا بالعربية: **جَنْي، جَنىً**). (أنظر: Gardiner; Eg. Gr., pp. 484, 497).

ومن الملفت للنظر أن يهدى «رمسيس الثالث» بستاناً زُرع «**أشجاراً ونخلاً**»، إذ يذكرنا هذا بقول ابن منظور:

«**الجنة**: الحديقة ذات **الشجر والنخل**، ولا تكون الجنة في كلام العرب إلا وفيها **نخل وعنب**، فإن لم يكن فيها ذلك وكانت ذات شجر فهي حديقة وليست بجنة».

وكانت الحديقة عند قدماء المصريين، مصورةً على آثارهم، لاتكاد تخلو من شجر الجميز **والنخيل**.. وهذه هي «الجنة» بذاتها. وهي، باعتبارها صورة معبرة عن الحياة، صارت رمزاً للحياة بعد الموت. وكانت «المدينة القدسية» The Divine City (أنظر: كتاب الموتى، الفصل العاشر. Budge; The Egyptian Book of The Dead, ch. x) من نصيب المباركين الصالحين في الدار الآخرة. وهذه هي بالذات «الجنة» أو «جنة النعيم» حسب التصور الديني المؤمن بالبعث والنشور والحساب، عقاباً أو ثواباً بعد ذاك.

ح پ 𓎛𓊪 Ḥep

إلـه فيضـان النيـل، وكـان يعبـد في جزيـرة «فيلة» وجبـل «السلسلة» خاصة، وهما منطقتان دفاقتا المياه بفضل الشلال الأول ودوامات النهر. وكان المعتقد أنه يقطن كهفاً كان النيل يفيض منه، وهـو الفيضان السنوي الذي كان يدعى (وصول «ح پ»). وتبين الصـور هذا المعبـود على هيئـة رجـل عارٍ طويل الشعر ذي ثديين متدليين وحزمة من نبات البردي على رأسه، يحمل سلال قربان ملأى.

تترجم الهيروغليفية «ح پ» ḥp 𓎛𓊪 بمعنى : فيضان، فيض، إغراق، طوفان، غمر، غزارة، وفرة، كثرة.. إلخ. ومن هنا جاءت المصرية «ح پ ن» ḥ p n تعني : مائة ألف ـ دلالة على الكثرة والوفرة (Gardiner ; Eg. Gr. P. 581) . ويقول «بدج» (The Dwellers on The Nile, P. 104) إن المصريين أسموا نهر النيل منذ القدم «ح پ ي» ومعنى هذا الاسم مجهول (!) ولكن لا بد أن يكون له معنى نُسِيَ منذ فترة مبكرة جدا (كذا !).

نقول إن «ح پ» المصرية تقابل العربية «حف» ـ بتعاقب الفاء والباء المهموسة. وهي الجذر الثنائي الذي تأتى منه جذور ثلاثية تتصل بالموضوع :

حـفـش :

«**حفشت** السماء : جاءت بمطر شديد ساعة ثم أقلعت» (قارن فيضان النيل في وقت معلوم ثم يقلع).

«**حفش** السيل الوادي : ملأه.

«**الحافشة** : المسيل.

«**حفشت** الأرض بالماء من كل جانب : أسالته قِبَل الجانب.

«**حفشت** الأودية : سالت كلها.

«**حَفْشُ** الأداوة : سيلانها.

«**وحفش** الحزن العين : أخرج كل ما فيها من الدمع.

«**ويحفش** : يسيل».

حـفـف :

«الأصمعي : **حفّ** الغيث : إذا اشتدت غيلته».

حـفـل :

«**الحفل** : اجتماع الماء في محفله.

«وحفل الوادي بالسيل واحتفل : جاء بملء جنبيه» (قارن فيضان النيل وصورة معبوده).
«ضرع حفيل : ممتلىء لبناً» (قارن ثديي «ح پ» المتدليين).
«حفلت السماء : اشتد مطرها» . . . الخ .

حفن :

«**الحُفنة** : الحفرة يحفرها السيل في الغَلْظ من مجرى الماء . . .
«وهي قلتةٌ يحتفرها الماء كهيئة البرك . . . والجمع : حُفَن[90]» .

هذه المواد (حفش، حفف، حفل، حفن) المنبثقة من الجذر الثنائي «**حف**» تشير إلى **كثرة الماء** في البداية، ثم صارت تشير إلى الكثرة والوفرة بعدئذ، ومن ذلك «الحفل، والاحتفال، والتحفل» ومنه «الحفنة» (ملء اليد) **ولكن** «**حفن**» **بالذات تعني : الكثير**. ولا تزال في لهجة عرب سوريا تدل على الكثرة، وخاصة كثرة الدموع عند البكاء إذ يقال : بكت فلانة **حفنة**[91]. (وهذا له اتصال بالماء). وفي اللهجة المالطية : **حفنة** = كثير. ونلاحظ **أن** «**ح پ ن**» (حفن) في المصرية تعني : **مائة ألف**، أي كثير. (لاحظ علاقة كلمة «مائة» العربية**بالماء**. أنظر المبحث الخاص بمقارنة الأعداد والأرقام في هذه الدراسة). وهذا كله من الجذر الثنائي «**حف**» **الذي** يكافىء الجذر «**ح پ**» في المصرية.

وقد يبدو ما سبق مقبولاً بالنسبة لاسم هذا المعبود ومعناه من تدفق الماء وتجمعه وكثرته. ولكن هذا المعبود **يصوَّر** في العادة وهو «يحمل فوق رأسه حزمة من نبات البردي». وهنا نُشَدُّ إلى كلمة عربية أخرى أقرب ما تكون إلى «**ح پ**» وهي «**حفأ**». فما هو «**الحفأ**» ؟

قال في (اللسان) :

«**الحفأ** : البردي». هكذا . . ثم يأتي التفصيل :

«وقيل : هو **البردي** الأخضر ما دام في منبته. وقيل : ما كان في منبته **كثيراً دائماً**. وقيل : هو أصله الأبيض الرطب الذي يؤكل». وقد ورد في الشعر العربي «**قال** :

. . . * أو ناشىء البردي تحت الحفا[92]

وقال :

كذوائب الحفأ الرطيب غطا به * غَيْلٌ ومَدَّ بجانبيه الطحلبُ

---

(90) قال ابن منظور : «في الحديث أن المقوقس أهدى إلى رسول الله (ص) مارية من حفن ؛ هي بفتح الحاء وسكون الفاء والنون : قرية في صعيد مصر، ولها ذكر في حديث الحسن بن علي مع معاوية». ويضيف : وبنو حُفْين : بطن. نضيف نحن أن من «حفن» العالم ناصف الحفني، وقد كتب ـ رحمه الله ـ بحثاً عن مدينته وأصلها وكون مارية القبطية منها في أحد أعداد مجلة «الهلال» مقالاً جميلاً، ولكنه لم يشر إلى مقابلها في المصرية «ح پ ن» التي قلبت باؤها المهموسة إلى «حفن» مما يثبت ما ذهبنا إليه.

(91) أخبرني بذلك الصديق الدكتور عماد حاتم.

(92) «الحفا» ـ بدون همزة ـ هو : أصل البردي الرطب الأبيض. . كما يذكر ابن منظور نقلاً عن أبي عبيد.

غطابه به : ارتفع . الغيل : الماء الجارى على وجه الأرض . وقوله : ومَدَّ بجانبيه الطحلب، قيل : إن الطحلب هنا ارتفع بفعله . . . والواحدة من الحفأ : حفأة» .

ومن هذا نرى أن «الحفأ» أو «الحفا» (ح ف = ح ب) هو البردي ، الكثير، الدائم الذي ارتفع به (حَفَلَ) الماء ونما الطحلب (وَفُرَ) بجانبيه . فهل ثمة تطابق بين المصرية والعربية في هذا الباب أكثر من هذا التطابق ؟

فإذا شئنا المقارنة مع لغة عروبية أخرى، لزيادة التأكد، مضينا إلى الأكادية ، فنجد أمامنا كلمة «أبو» apu التي تعني : غاب ، قصب ، حلفاء (Arnolt ; A Conc. Dict. P. 77) وقد أبدلت الحاء همزة والباء جاءت مهموسة كما هو الشأن في الأكادية حين تقابل بالعربية . وينبغي أن ننتبه إلى أن كلمة «حلفا» أو «حلفاء» ذاتها هي من جذر «حفأ» بإضافة اللام بعد الحاء ، وليس في الرموز المصرية رمز لحرف اللام ، وهي من الناحية النباتية من نفس عائلة البردي والقصب والغاب ، ومن الناحية اللغوية كذلك .

ملاحظة أخرى نضيفها تكمن في الاعتقاد المصري القديم أن «إله فيضان النيل كان يسكن كهفاً يفيض النيل منه» . فلنعد إلى الجذر «حفن» ونقارن :

«الحُفنة : الحفرة يحفرها السيل في الغَلْظ من مجرى الماء . وقيل : هي الحفرة أينما كانت . . . وأنشد شمر :

هل تعرف الدار تَعَفَّتْ بالحُفَن

قال : وهي قلتات (جمع قلتة) يحتفرها الماء كهيئة البرك .
وقال ابن السكيت : الحفن نُقَرٌ يكون الماء فيها وفي أسفلها حَصىً وتراب . قال : وأنشدني الايادي لعلي بن الرقاع العاملي :

بِكْرٌ يُربِّتُها آثارُ مُنبعقٍ * ترى به حُفَناً زُرْقاً وغدرانا»

فإن لم يكن هذا فلنقارن بالأكادية مرةً أخرى ، فنرى أن كلمة «أ ب و» apu التي سبق ذكرها تعني كذلك : حفرة ، مغارة ، كهف . (Arnolt ; A Concise Dict., p. 78) وهي ـ بالابدال ـ تكافىء «ح ب(و)» (إذ ليس هناك حاء في الأكادية) التي تقابل «حف» العربية . وقد تكون تحريفاً لكلمة «كهف» العربية (كهفو ← أهفو ← أفو = أبو) .

فإن لم تكن هذه فإن «بدج» (The Gods of the Egyptians, ii, p. 53) يشير إلى اعتقاد مصري قديم أن النيل ينبع من كهفين في جزيرة «فيلة» يمثلان بثديي إله النيل ، ويسميان «ق ر ت ى» qrty . [hieroglyphs] . والياء في آخر الكلمة للتثنية (نفس الشيء في السبئية) . والتاء للتأنيث (نفس ما في السبئية والعربية) . والأصل «ق ر» qr . فإذا كانت القاف تعاقبت مع الغين في العربية فهي : غ ر ← «غور» ، «غار» = حفرة ، مغارة . أو هي : ق ر ← قارة (= مجتمع الماء . وقد تذكر : قار = مجتمع الماء) ، قَوْر = غَوْر .

وفي نفس المرجع (صفحة 44) يقول «بدج» إن المصريين القدماء اعتقدوا أن النيل كان ينبع من الأرض بين جبلين جنوبي البلاد، وهما الجبلان اللذان يسميهما «هيرودوت» في لسانه اليوناني : «كروفي» Krofi و«موفي» Mofi . ويرجع الأستاذ «بدج» هذين الاسمين إلى أصلهما المصري الذي حرف في اليونانية : «قر ـ حابي» Qer-Ḥapi ، و«مو ـ حابي» mu-Ḥapi (وليلاحظ القارىء أن «بدج» يُنَكْلِز المصرية بعد أن أَغْرَقها اليوناني هيرودوت !) . أما نحن فنرجعها إلى أرومتها العروبية : «قار (أو : قور حفي)» و«ماء حفي» مكافأة للمصرية «ق ر . ح ب ى» و«م و. ح پ ى» .

وقد يسأل القارىء : من أين جئت بـ«حفي» هذه ؟

إنها من نفس مادة «حف» ، وفيها معنى المبالغة والوفرة ، تقول : احتفل (من : حفل) فلان بفلان ، واحتفى به ، فهو به «حفيٌّ» . والاحتفاء هو الاحتفال . أما الياء في المصرية والعربية فهي ياء النسبة في اللغتين . (راجع مادة «حفي» في اللسان) .

بقي القول ، أخيراً ، إن اسم معبود النيل العظيم وفيضانه ينقل إلى اللغات الأوروبية عادة في صورة «هابي» Hapy, Hapi و«يعرَّب» : «حابي» ـ كما يرد في كتابات المؤرخين العرب أنفسهم (!) والصواب : حَفِيء ، أو حفيٌّ ، أو حفويٌّ . ولا ريب في أن النيل كان «حفياً» (كريماً) في فيضانه ، «حفِناً» (غزيراً) في مائه ، «حَفِلاً» (دافقاً) بخيراته ، فهو «الحفي» الذي يُحتفى به ويُحتفل بوصوله كل عام .

ح ت ـ ح ر Ḥe-t - Ḥer

يُترجم اسم هذه المعبودة عادةً إلى «بيت حورس» . ويطابق رمزها الهيروغليفي هذا القول ؛ إذ يظهر صقراً في بيت . وقد نظر إلى ربة السماء هذه في القديم باعتبارها أم رب الشمس حتى أخذت «إيزيس» مكانها . وقد تسبب تصوُّرُ السماء بقرةً ، وهو تصوُّرٌ كان منتشراً في الدلتا ، في أن يسبغ على هذه المعبودة صورة البقرة . كما كانت أيضاً ربة الرقص والموسيقا والغناء ، وكانت تصوّر عادةً في شكل بشري على رأسها قرص الشمس بقرني بقرة . وكانت ، بحسب أسطورة قديمة ، هي التي رفعت الشمس إلى السماء بقرنيها ، ثم سُوِّيت هي نفسها بالشمس وصارت عين الشمس ذاتها . عرفت عند اليونان باسم «هاثور» Hathor .

إذا قبلنا تفسير اسم الربة «هاثور» باعتبار أن أصله المصري «ح ت . ح ر» ḥt.ḥr بمعنى «بيت حورس» أو حتى «قلعة حورس» كما يذكر «شيرني» ، فإن المقابل العربي ببساطة هو :

(1) ḥt ح ت = حط ← حيط/حوط/حائط = مبنى (بيتاً أو نحوه كان) . فمن الجذر «ح ت» في

المصرية (بتعاقب التاء والطاء بينها وبين العربية) جاءت مشتقات من مثل : «ح و ت» (حوط) وتعني : مسكن، معبد، قبر، قرية مسوّرة. ونجدها في مثل ما يلي :

ح و ت. ن ث ر : حائط الرب (المعبد).
ح و ت. ع ء ت : الحائط العالي (القلعة).
ح و ت. ك ا : حائط الروح (كا).
ح ك ء. ح و ت : حاكم الحائط (شيخ القرية).

(أنظر : Gardiner ; Egyptian Grammar, p. 578 – 83).

وتدعى الربة التي عرفت لدى اليونان باسم «نفثوس» Nyphthus في المصرية أصلاً «ن ب ت. ح و ت» و«ن ب ت. ح ي ت» (عربيتها : ربة الحيط =ربة[93] البيت). وهذا يعني أنه وجد في المصرية «ح و ت» كما وجد «ح ي ت» والجذر الثنائي هو«ح ت». وبمقارنة بسيطة مع العربية نجد الشيء نفسه.

فالأصل البعيد لكلمة «**حائط/ حيط/ حوط**» هو الدوران، إذ كأن الحائط (أو الجدار) يدور بالمكان ويحوطه فسمي «حيطاً» وانصرف إلى معنى البيت أو أي مكان آخر محاط بسور، كالبستان مثلاً الذي يسمّى «حائطاً». ونحن نجد أن حرف الحاء يتلوه واو أو ياء إذا زيد بعض الأحرف أفاد شيئاً من هذا القبيل.

الحوت والحيت والحيتان : دوران الطير حول الماء (وسمي «الحوت» أي السمك، كذلك لدورانه في الماء. ويقال للطير يدور (أو يحلق) في الجو : **حوّم**).

الحوز والحيز، وجمعها : أحواز ـ ما يحيط بالقرية من مزارع، أو المزرعة المسورة (في اللهجة الليبية : حوازة، حيازة = مزرعة مسوّرة).

الحوض : مجمع الماء. وهو : الحوص ـ كذلك.
الحوق : الاطار المستدير المحيط بالشيء.
الحوف : ما استدار من الثوب.
الحول : نقول : حول ذلك الشيء، أي : ما أحاط به.

وإلى «حوط» و«حيط» ترجع «المحيط». نقول : البحر المحيط، أي الذي يحوط الأرض أو يحيطها كما في التصور القديم، وهو محيط بالقارات كما هو معروف الآن.

ولا ننس «**الحوش**» و«**الحيش**» : جمع الشيء وضمه. ومن ذلك كلمة «الحوش» في اللهجة الليبية الدارجة بمعنى «البيت»، وهي في بعض اللهجات العربية الأخرى : ما سوِّر من بناء ملحق بالبيت، للحيوان وغيره.

(93) المصرية «ن ب» تقابل الأكادية «نابو»، والعربية «رب».
لاحظ أن الجذر «ربا» في العربية يُفيد دلالة الجذر «نبا» = ارتفع. قارن : ربوة = نبوة = مرتفع. راجع هاتين المادتين لمزيد من التفاصيل.

وهذا كله يقابل المصرية «ح ت» = بيت، قلعة، ونحوهما.

(2) ḥ r «ح ر» : «حورس» المعبود الذي عرف عند اليونان بهذه الصيغة Horus ونقلناه عنهم هكذا. والمقابل العربي : «حُرّ» = صقر/طائر الحرّ (راجع ما كتب عنه في هذه الدراسة).

فإذا أخذنا كلمة «ح ر» بمعنى «أبيض» فإن عربيتها موجودة بوضوح في مادة «حَوَرَ» التي تفيد البياض. وبذا يمكننا أن نقابل اسم المعبودة «ح ت . ح ر» بالعربية : «**حَيْطُ حُرٍّ** = حيط الصقر = بيت الصقـر (المعبود حورس)، أو : «**حَيْطُ حَوَرٌ** = حيط أبيض = القلعة البيضاء» ـ باعتبار «هاثور» ربة السماء مقر الشمس ومصدر النور والضياء.

لكن ثمة رأياً آخر يقول بأن «هاثور» لا تخرج عن معنى اسمها باعتبارها «بقرة» ـ فهي أنثى «ثور». والهاء في «ها ـ ثَوْر» أداة التعريف في عدد من اللغات العروبية. ولكن هذا بعيد عن معنى الرمز الهيروغليفي الواضح من جهة، ولانعدام تاء التأنيث في الاسم من جهة أخرى، مما يجعله تخريجاً متعسفاً لا معنى له. والأقرب والأوضح ما ذكرناه من قبل من حيث المقابل العربي لاسم المعبودة المصرية «هاثور» كما عرفها اليونان.

ح ت . م ح ي ت Khati Meḥit,

ربة أسماك ثانوية في مدينة «منديس» بالدلتا. تصوّر عادةً امرأة على رأسها سمكة.

اسم هذه المعبودة، كما هو واضح، مكون من كلمتين :

1) «ح ت» : وتعني : سمكة، أو سمكة معيَّنة تدعى علمياً : Oxyrhynchus (غاردنر ـ صفحة 586). يقابلها في العربية : **حوت، حوتة** (سمكة). وهناك كلمات أخرى في المصرية لا تبعد عن هذا اللفظ صرفت فأدت إلى معانٍ قريبة. من ذلك مثلاً.

(1) «م ح و ت» : حربون، ضارب السمك بالحربون.
العربية : مِحْوَت، مُحَوِّت.
(2) «م ح ي ت» : أسماك.
العربية : حيتان، أحوات، حوتات.
هذا إذن هو المقطع الأول.

أما المقطع الثاني فهو «م ح ت». ولنا أن نفسره بأنه يعني : الضحضاح. . أو الماء الشلو الذي يوجد به السمك (الحوت). عربيته : **مَحْوَت**.

فكأن معنى اسم المعبودة في الدلتا : «سمكة الضحضاح» أو : «**حوتة المحوت**» ht. mḥt [94].

وقد يرد اسم المعبودة مفرداً غير مركب هكذا : «م ح ي ت» (Budge ; The Dwellers on The Nile, p. 151) فتكون عربيتها : «**المحوِّتة**» أي «الحوّاتة». لكن كون كلمة «م ح ت» أحد أسماء الربة اللبوءة كما ذكر «شيرني» (Ancient Eg. Religion, p. 20) يجعلنا نقرنه باسم الأسد في المصرية : «م ح س». فإذا بحثنا عن مقابل له في العربية وجدناه في مادة «**محص**» التي تفيد القوة وشدة الخلق.

ح ر Ḥeru

في البدء كان «حورس» ربًّا للسماء، صورته صورة صقر بجناحين ممدودين، وكانت عيناه الشمس والقمر. وفي بداية العصر التاريخي سُوِّيَ ما بين الصقر السماوي والملك الذي كان بالنسبة لشعبه مظهراً من مظاهر تجلّي «حورس». وكان اسم الملك يكتب داخل «س رخ» (واجهة القصر. العربية : صرح) يعلوه صقر. ولما لم تكن السماء وحدها، بل الشمس أيضاً، ينظر إليها باعتبارها «صقراً» فإن الملك والشمس والسماء صارت متطابقة ووجد هذا تعبيره الأخير في كونه الرمز الملكي : القرص المجنَّح.

وبسبب النظرة الثنائية للوجود عند المصريين فقد صار لـ«حورس» منافس ممثل في عمّه «ست». وفقد «حورس» إحدى عينيه في معركة بينهما، ولكن وُفِّق في النهاية ما بين المعبودين في حكم أرض النيل. وقد برز «ست» رباً لمصر العليا و«حورس» رباً لمصر السفلى، وبعد ذلك اعتبر «حورس» مهيمناً على مصر كلها في حين ظل «ست» مجرد رب للصحراء المجدبة والأقوام البدائية. وحين سادت عبادة «أوزيريس» صار «حورس» ابناً له وابن أخ لـ«ست». وقد شب في مستنقعات الدلتا وحيداً لينتقم بعدها لأبيه «أوزيريس». عرفه اليونان باسم Hersiese أيضاً (= ابن إيزيس، أو : حور إيزيس).

---

(94) يكتبها «بدج» خ ت (Khati) k h. t ولكن الواقع أن رمز السمكة في الهيروغليفية ينطق صوتاً ما بين الحاء (ḥ) والخاء (ḫ) وهو الصوت h̲ مما يقربه من الحاء.

في أثناء مناقشته لموضوع العلاقات اللغوية والدينية بين مصر والجزيرة العربية تعرض الدكتور أحمد فخري (**دراسات في تاريخ الشرق القديم**، صفحة 139ـ141) لـ«حورس» باعتباره اسماً غريباً (كذا !) على اللغة المصرية . «**ولكنه موجود في اللغة (السامية) وبعبارة أدق في اللغة العربية**» ـ كما قال. ثم نقل ما يقوله الدميري عن ابن سيده في (حياة الحيوان) : «**الحُرّ : طائر صغير أنمر أصقع، قصير الذنب عظيم المنكبين والرأس، وقيل إنه يضرب إلى الخضرة، وهو يصيد**». وذلك تفريقاً له عن «الصقر» الذي هو كلمة عامة لكل طير يصيد من البازى والشواهين.

أما ابن منظور في (لسان العرب) فقد نقل ما أورده الدميري وأضاف أن «**الحُرّ : هو الصقر**» ـ كما قال ابن الأعرابي.

في لهجة عرب ليبيا حتى اليوم يُسمَّى الصقر «الطير الحُرّ» (طير الحُرّ) وفي أمثالهم : «الذي لا يعرف الطير الحر يذبحه ويشويه» كنايةً عن قيمته الرفيعة ومكانته العالية بين الطيور.

في المصرية يفيد الجذر «ح ر» معانٍ كثيرة مرتبط بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً :

ḥr ح ر : على، فوق.

ḥry ح ر ى: الأعلى.

ḥrw ح ر و : **الأجزاء العليا، قمة**.

ḥrt ح ر ت : سماء.

ḥr ح ر : وجه (**قارن العربية : حرُّ الوجه ؛ ما ارتفع منه/ الوجنة**) **والأصل** : ح ر = (طائر) الحر = المرتفع، المتسامى، المحلق في الجو عالياً.

ومن الجائز جدًّا مقابلته بالعربية «حَوَرَ» بمعنى دار وحلّق في الفضاء، أي «حوّم». ونذكر هنا أن كلمة «بو حوَّام» (أبو حوّام = المحوّم) لا تزال تطلق في ليبيا على ضرب من الصقور تفريقاً له عن «بو شراقة» (= الشرقرق، الشرقراق).

في ظننـا أيضـاً أن كلمة «حُرِّية» في العربية ترجع إلى هذا. فهي مجموع معاني الانطلاق والسموّ والارتفاع عن المعوقات، شأن طائر «الحرّ» في سمائه العريضة، ولا ننسى أن «الحرية» نسبة إلى «الحـرّ» ثم صارت اسـماً مصدرياً بعدئذ، واشتق منها : التحرر، التحرير، والصفة : حرّ، أحرار، والجمع : حريّات. . . إلخ.

أما الاسم الذي عرف به اليونان هذا المعبود فهو Horus «**حورس**» من جهة، والسين زائدة لغوية وقد أبدلت الحاء هاءً، و«هرسيس» Hersiese من جهة أخرى، أي : «**حورس بن إيزيس**» مأخوذة عن المصرية «ح ر. س. إ س» ـ ḥr. sa. is وعربيتها :

ح ر = حُرّ (الحرّ).

س = ذو (ابن، ولد. الأكادية šu)

إ س = إز (عِزّ، عِزّة) = (عُزَّى).

(راجع إسم «إيزيس» وتحليله في هذه الدراسة) Hersiese = «حر ذو عُزَّى»/حر بن عُزى.

ح ر. خ ت ى Ḥeru-a akhuti

رمـز الكلمة المصرية «أخ ت» في الهيروغليفية كان جبلا ذا قمتين تغرب الشمس بينهما. وكان الأفق أيضا موقع شروق الشمس وغـروبهـا. وكـان «أخ ت» موطن رب الشمس الذي كان يدعى «ح ر. أخ ت ى» ḥr. Aḫty، والمعنى : «حورس الأفق» (Hours of The Horizon).

من الواضح أن هذا اللقب مكون من كلمتين : «ح ر» ḥr (راجع المادة السابقة) + «أخ ت» a ḫt = الأفق (والنسبة إليه : «أخ ت ي» aḫty) (Belonging to the Horizon) (أنظر : Gardiner ; Eg. Gr., p. 550) ـ أي : «حورس الأفقي».

وإذا كانت «أخ ت» تترجم عادة بأنها تعني «أفق» فإن من معانيها أيضا : «قبر» (المصدر نفسه) وكذلك : «مشرق الشمس» (نفس المصدر، صفحة 489). وأغلب الظن أن المقابل العربي هو «خط» بتعاقب الطاء والتاء، نجده في مادة «خطط» في (لسان العرب) ويجمع على «أخطاط» :

«**الخط** : الطريقة المستقيمة في الشيء». (وهذا هو شأن الأفق).

«**التخطيط** : التسطير». (ومن الواضح أن الأفق هو سطر على وجه الأرض).

«**الخِط** ـ بالكسر : الأرض. . . . والخِطة، وجمعها : خطط».

«**خُطة** نائية : مقصد بعيد» (كأنه الأفق في بعده).

«**خطٌ** : شق. خطه بالسيف نصفين، أي : شقه نصفين».

(وهذه تقابل «أخ ت» بمعنى «قبر» أي شق في الأرض).

«**الخط** : سيف البحرين، أو عُمان، أو هجر. وإليه تنسب الرماح الخطية». (والسِّيف : ساحل البحر والجمع : أسياف. وواضح أن ساحل البحر يعني : الأفق).

«**الخِطة** : الأرض. والدار يختطها الرجل في أرض غير مملوكة ليتحجرها ويبني فيها» (وهذا هو الوضع بالنسبة للقبر).

وقد صارت كلمة «أخ ت» المصرية أخيرا كناية عن «المعبد» أو «القصر الملكي» (Luker ; The Gods..., p. 25). وفي (اللسان) :

«**واختط فلان خِطة إذا تحجر موضعا (جعل حوله حجارة) وخط عليه بجدار**» ـ أي بناه دارا له، مثلما بنى المصريون القدماء المعبد أو القصر وهما من جملة الدور طبعا.

ومهـما قلبنـا الجـذر «خـطـط» وجـدنـا أنفسنـا تجاه : الأرض، الشق، البعد، الاستطالة والاستقامة، وما إليها. وهذه جملة معاني «أخ ت» (= خ ت = خط) في المصرية، ومنها : «ح ر. أخ ت ى» التي هي «حورس الأفقي» أو «حُر الخطي» بالضبط.

ولعله من المناسب هنا أن نذكر أن الفرعون «أخناتون» (أ خ. ن. **أتون**) مجدد مذهب التوحيد في الديانة المصرية القديمة، ابتنى مدينة أسماها «أ خ ت. أ ت ن» (تل العمارنة، الآن) ويترجم اسمها إلى «**أفق أتون**» (The Horizon of Aten). ولعل الصواب أن تكون «**خِطة أتون**» بمعنى: دار، مسكن، أو مدينة أتون. قارن «خِطة» تعني «مدينة» ومنها الجمع: **خَطط - خطط** الكوفة، خطط البصرة، وغيرهما. وكتب «الخَطط»، أي المدن، كثيرة جدا في التراث العربي منها، على سبيل المثال، «خطط المقريزي». وكلها تعود إلى الجذر «خطط».

وقد دعا «أخناتون» المعبد الذي بناه للرب «أ ت ن» باسم: «ح ت. ب ن ب ن» ḥt. Bnbn (أنظر: Budge ; The gods..., ii. p. 73) ومعناه: «بيت المسلة» (House of the Obelisk) إشارة إلى الصلة بين الشمس (أ ت ن) والمسلة (ب ن ب ن). والمقابل العربي هو: «**حيط البنية**». (راجع مادة «ب ن ب ن» في هذه الدارسة).

ح ر ش ف

ر ش ب و

يرجع الاسم الذي ذكره «بلوتارخ» بصيغة «أرسفيس» Arsaphes إلى الاسم المصري القديم «حرشف» Ḥerishef وهو رب إخصاب بدائي في صورة كبش. وقد ظهر «حرشف» في مدينة هيراكليوبوليس Herakleopolis صورةً لرب الشمس، وفي الأسرتين التاسعة والعاشرة جُعل ندًا للآله «رع» وحصل على قرص الشمس يعلو رأسه. ويمكن تتبع حقيقة أن «حرشف» عُظِّم باعتباره قيّوماً (مانح مقوِّم الحياة) وأنه كان في مقدمة الأرباب، إلى وظيفته الأصلية وكونه رب إخصاب. وثمة صلة محتملة أيضاً بين لقبه «مولى الرعب» ورأس الكبش الذي كان رمزاً للعبادة والخشية المبجّلة. وطبقاً للتفسير اليوناني فإن هذا المعبود شُبِّه بهرقل.

كتب الغربيون اسم هذا المعبود بصور كثيرة مختلفة تكاد حقيقة الأصل تضيع معها. فعند «بدج» مثلاً (The Eg. Gods, p. 130) نجده Hershyf، ونجده في كتاب آخر له (The Gods of The Egyptians, p. 401) في صورة Heri-sep-f. وعند «شيرني» (Cerney ; The Ancient Egyptian Religion, p. 126) في صورة Ershōp، ويرجعه إلى المعبود الكنعاني «رشپ» Reshep.

بيد أن ثمة عدداً من الباحثين الغربيين يترجم اسم «حرشف» بمعنى «على بحيرته» أو: الذي هو «فوق بحيرته». وهذا راجع إلى تقطيع الاسم إلى:

1) «حر» ḥr : فوق/على. عربيته : حُرٌّ (قارن مادة «ح ر» في هذه الدراسة لمزيد من التفصيل).

2) «ش» أو «ش ء» š, ša : بحيرة. العربية : شِيءُ = ماء.

3) «ف» f : ضمير المفرد الغائب (يقابل العربية : ـه. والعربية الجنوبية واللهجة الجبايلية في شمال أفريقيا : س).

ومنهم من يترجمه «فوق رماله» باعتبار «ش/ ش ء» تعني «رمل» في المصرية. العربية : «سِيءُ»، «سِيٌّ» = رمال.

لكن من الممكن، في رأينا، أن يكون اسم «حرشف» مكوناً من اسمي معبودين ؛ أحدهما ليبي هو الآله «حا» ḥ a رب الصحراء والقمر، وأصله من المصرية ḥᶜa وهي ذاتها ḥ a a (قمر. وأقرب جذر عروبي إليها : أرح، أرخ = قمر).
(أنظر : Cerny ; Ancient Egyptian Religion, p. 59) . والآخر المعبود الكنعاني «رشف» رب اللهيب والخوف والأوبئة = «حا + رشف» = حرشف.

ح ض • و ر ḥetch-ur

في العصور القديمة كان ثمة قرد يدعى في المصرية ḥdj-wr ومعناه : الأبيض العظيم - اعتبر في عصر بناء الأهرام صورة من صور الآله «تحت».

هذا الاسم مكون من مقطعين :

1) ح ض (ويكتبها العلماء الغربيون في اللاتينية ḥdj, ḥd - لانعدام حرف الضاد عندهم) وتعني : أبيض، لامع، مشع... إلخ.

2) ور - WR وتعني : عظيم، كبير، جسيم، ضخم.. إلخ.

إذا أخذنا المقطع الأول «ح ض» وجدناه يقابل العربية في جذرها «حضأ» :
«حضأت النار حضأً : التهبت. وحضأها : أوقدها. وحضأت النار : سعّرتها. قال تأبط شرًّا :

ونارٍ قد حضأتُ بُعيد هَدْءٍ * بدار ما أريد بها مقاماً» .

وفي التهاب النار وإيقادها وتسعيرها معنى السطوع واللمعان، وهو الأمر في مادة «حضأ». كما نجد الشيء نفسه في مادة «وضح» ومنها : الوضح، والوضوح. كذلك في مقلوبها «ضحو» : الضَّحَى والضَّحْوة، والضَّحِي. وكلها تفيد معنى النور والضوء المتصل بالبياض.

في المصرية نجد أمثلة :

ḥḏ.dwt : نور. (حرفيًّا : حضأ الضوء(ة) = وضح الضوء).

ḥḏ.ta : فجر. (حرفياً : حضأ الطأثة = وضح / وضوح الأرض).

ḥḏ : فِضة. (حرفيًّا : الحضيء = اللامع، المشع، البارق).

(أنظر : Gardiner ; Egyp. Grammar, p. 583)

ومن الطريف هنا الاشارة إلى أن الفضة تسمّى في اللهجة الليبية الدارجة «فُجْرَة». ولا تفسير لذلك إلا أنها مأخوذة من «الفجر» الذي هو كما يعرفه (اللسان) : ضوء الصباح = الوضح، الوضوح، الحضأ. وهذا قريب جداً من اسم الفضة في المصرية ḥḏ (ح ض). وبتعاقب الحاء والفاء نجد الأمر واحداً (ح ض = ف ض ← فضة). ولا يغيب عن البال في هذا المقام أن الجذرين «فضض» و«فجر» (ومنهما : فِضة، وفجرة) يؤديان معنى الانفتاح والانبلاج (الفضّ والفجر). وكما أرجعنا «فُجرة» إلى «فجر» يمكن القول بأن «فضة» تعود إلى فضّ الصبح أو شق نور الشمس للظلمة.

في مادة «ضح» (ضحح) وهي مقلوب «حض» ḥḏ نقرأ : «الضِّح : الشمس. والضِّح : نقيض الظل، وهو نور الشمس. قال ذو الرمة :

غدا أهب الأعلى وراح كأنه * من الضِّحّ واستقباله الشمس أخضرُ

وأصله : الضِّحْيُ، فاستثقلوا الياء مع سكون الحاء فثقلوها وقالوا : الضِّحُّ. ومن أمثال العرب : جاء بالضِّح والريح. وضحضح الأمر : إذا تبيّن. والضِّح : الضوء».

(اللسان، مادة : ضحح).

أما المقطع الثاني «ور» (عظيم، كبير، جسيم، ضخم) فإن ما يقابله في العربية هو الجذر «وري». قال في (اللسان) :

«ورِت الابل ورياً : سمنت فكثر شحمها ونقيها وأوراها السمن. وأنشد أبو حنيفة :

وكانت كِناز اللحم أورى عظامها * بوهبين آثار العهاد البواكر

والواري : الشحم السمين، صفة غالبة، وهو الوريّ.

والواري : السمين من كل شيء... ولحم وري : سمين».

فالعِظَم وكبر الجثة والجسامة والضخامة مرتبطة بالسِّمَن، أو السُّمنة، التي هي «الوري» في العربية، «ور» في المصرية. بل تعدى الجذر «وري» في العربية معنى السمنة إلى الضخامة عامة، فإن «الوراء : الضخم العريض الألواح» كما ورد في (اللسان).

إذا قابلنا، بعد هذا كله، تسمية القرد المعبود في المصرية «ح ض ور» ḥḏ.wr (الأبيض

العظيم) بالعربية «الحضأ الوري» (بحذف أداة التعريف : حضأ وري[96]) لم نجاوز الصواب.

وعلى ذكر القردة نجد اسم القرد عامة في المصرية كما يورد «غاردنر» : Gwf, Gif, Gf. (Eg.Gr. p. 598) ويذكر الدكتور محمد يوسف (مجلة اللسان العربي 10/1 صفحة 110) في مقالة له بعنوان «الألفاظ الهندية المعرَّبة» أن «قرد» بالعبرية «كاف» kaph وبالمصرية «كافو» kafu وكلتاهما ترجعان إلى السنسكريتية «كابي» Kapi ـ كما يقول. ولم يورد المقابل العربي. فإن سلمنا بأن (Gwf, Gif, Gf أو kafu) المصرية هي ذاتها Kapi السنسكريتية فلسنا ندري كيف تصل الكلمة من الهند إلى مصر، دون أن تمر ببلاد العرب فتعرّب قبل أن تمصّر ؟ ! والمرجع لدينا أن تكون الكلمة عروبية الأصل، ثم انتقلت شرقاً إلى الهند وغرباً إلى مصر. أو لعلها ظهرت في مصر ثم انتشرت شرقاً، وليس العكس. ودليلنا على هذا وجود الكلمة في اللغة الكنعانية : «قاف» qaf ـ ومعناها : «قرد». وبها سمي حرف القاف الكنعاني Q القريب اسماً وشكلاً من القاف العربية. فإذا علمنا أن الحروف الكنعانية ليست إلا الحروف، أو الأصوات، الأولى من أسماء مسميات (الفاء : فو = فم. الكاف : كف. الميم : ماء. العين : عين. السّين : سن. الياء : يد. . . الخ) أدركنا أن القاف (= القوف) بمعنى «قرد» عروبية، أو عربية، لاشك فيها. (أنظر : نسيب الخازن ؛ من الساميين إلى العرب، صفحة 39).

ويذكرنا حديث الكلمات التي يقال إنها سنسكريتية (هندية) بكلمة مصرية أخرى هي كلمة «أبو» abw (فيل). ويقول الدكتور محمد يوسف (المصدر السابق) إن في العبرية تعبير Shen Habbin أي : سن الفيل (الهاء في «هبين» للتعريف. بين = فيل. ومن المرجح أن المعنى الأصلي لـ«بين» هذه هو : عاج، أبيض. قارن العربية : بَيَنَ = ظهر، شع، وضح/بانَ). وهذا التعبير يقابل السنسكريتية ibha danto (سن الفيل).

وما يهمنا هنا هو كلمة ibha الهندية (فيل) التي تقابل المصرية «أ ب و» abw (فيل) التي جاءت منها تسمية «جزيرة أبو» في النيل عند الشلال الأول وترجمت إلى الأنكليزية Elephantine وسميت بالعربية «جزيرة فِيَلة» والصواب «جزيرة الفِيَلة» جمع «فيل» وتعريفها. وليس من الصواب الادّعاء بأن العربية أخذت عن السنسكرتية، فالكلمة مصرية قديمة للغاية. ومن المعروف للجميع أن الهنود أخذوا عن العروبية الأرامية ليس المفردات فحسب بل الكتابة المعروفة باسم «خاروستي» (أنظر : الخازن ؛ من الساميين إلى العرب، صفحة 85). والحق إذن أن كلمة «أبو» (فيل) وما قاربها (ibha الهندية، habbin العبرية) ترجع إلى العروبية ولا تأتي من أقاصي الهند.

نلاحظ كذلك أن المصرية «أبو» تعني «فيل»، ولكنها تعني كذلك «عاج» ivory (فولكنر

---

(96) لاحظ أن الهمْزة في «حضأ» هي التي ثلثت الثنائي «حضن» وهو الأصل الذي يقابل بالضبط المصرية «ح ض» ḥ ḏ. وكذا الأمر في الثلاثي «وري» بالنسبة للياء والأصل الثنائي هو «ور» الذي يكافىء بالضبط المصرية «ور» w r. ودليل أصالة الثنائي «حض» أنك تثلثه : حضأ، حضب، حضج، حضا ـ والدلالة واحدة. ودليل أصالة الثنائي «ور» تثليثه : ورش، ورف، ورم ـ وتربيعه : ورشن، ورغم ـ والدلالة الأولية واحدة. (راجع : لسان العرب : ورش).

صفحة 2). وهذه نقطة مهمة جداً إذ يبدو أن معنى «العاج» أسبق من معنى «الفيل» هنا، فهو من باب اطلاق الجزء على الكل لاشتهار الفيل بالعاج الذي هو نابه أو سنه. وعلينا هنا أن نأخذ القارىء إلى بعض المقارنات.

أولاً: في قاموس اللغة الكنعانية هناك كلمة «أ نِ هـ ب» التي يورد لها أنيس فريحة (ملاحم... صفحة 601) جملة مدلولات غير واثق من صوابها. من هذه المدلولات:

1) حيوان بري فيه، أوْ لَهُ رائحة جميلة.
2) رائحة، عطر.
3) أرنب.
4) أسلاب.

ويشاركه «غوردون» (Gordon ; Ugaritic Handbook, p. 212) في ترجمتها إلى «أرنب بري» hare ويقابلها بالأكادية «أنّابو» annābu.

أما كونها تعني «أسلاب» فإن مقابلها العربي الجذر «نهب»/أنهاب، وصلتها بالأمر صلة الجذر «خلب» بكلمة «خلّاب» التي صارت «خنب»/«خنّاب» (لص، سارق - في اللهجة الليبية الدارجة) وقد تكون الكنعانية «أ ن هـ ب» مقابلة للعربية «أرنب» بتعاقب وقلب بين الراء والنون والهاء. وهذه من جذر آخر هو «رنب». وأما أن تكون بمعنى رائحة جميلة أو عطر فلا أدري ما جذرها (أنف ؟).

ويبقى القول بأن «أ ن هـ ب» تعني حيواناً بريًّا وليس بالضرورة أن تكون له رائحة جميلة، اللهم إلا إذا اعتبرناه قطاً برياً مما يأتي بالزباد الطيب الريح. وهذا ما يقربنا من كلمة مصرية أخرى هي كلمة aby (أ ب ى) وقد ترجمها «فولكنر» (ص 2) بالأنكليزية panther (فهد). وفي تصورنا أنها أقرب إلى قط الزباد القريب جداً في شكله من الفهد، بل هما من فصيلة واحدة.

هذا يدل على أن الكلمتين المصريتين «أ ب و» و«أ ب ى» تشتركان في الدلالة على حيوان بري، يقابلها في الكنعانية «أ ن هـ ب». وكثيراً ما تضيف الكنعانية حرف الهاء وتدخله ضمن الكلمة كما تفعل السبأية (العربية الجنوبية). ولعل الأصل هو «أ ن ب» ومقابله الأكادي «أنّابو» وجذرهما معا: «ن ب».

إن الفيل والقط البري، أو الفهد، وإن شئت الأرنب البري كذلك، تتفق في أنها جميعها ذات «ناب» - أي «سن» - ولا تتفق في كونها جميعاً ذات مخلب. فإذا عرفنا أن «أ ب و» المصرية تعني «العاج» (= سن الفيل = ناب) استطعنا الربط بين هذه الألفاظ وقلنا إن «أ ب و» هي ذاتها «أ ب ى» وتتبعناها هكذا:

المصرية: أ ب و/ أ ب ى (النون ساقطة).
الأكادية: أنّا بو (النون مشدَّدة).
الكنعانية: أ ن هـ ب (الهاء زائدة).

العربية : نب ← ناب = سن الفيل، العاج، الفيل نفسه (بإطلاق الخاص على العام أو الجزء على الكل).

وقد يضايقنا هذا النمط من إسقاط الحروف في لغة وإضافة حروف إلى لغة أخرى حتى يُحسب أننا نتعسف الأمر تعسفاً. ولكن هذه طبيعة تطور اللغات على كل حال. ولنضرب لهذا مثلاً يورده جرجي زيدان (تاريخ اللغة العربية، صفحة 52) حتى يدرك القارىء الغاية. قال :

«أنبو كانت تدل في اللغة (السامية) الأصلية على الثمر عموماً، وما زالت تدل عليه في اللغة الأشورية والأرامية. أما في العبرية فقد أدغمت النون في الباء وعُوِّض عنها بالتشديد، فصارت «أبّه»... وأما في السريانية فقد صارت «أبا» وهي تدل على الفاكهة... وأما في العربية فقد حدث نحو ذلك ولكن «الأب» صار عندهم (يقصد : عند العرب) للدلالة على الكلأ والمرعى أو ما أنبتت الأرض. ولذلك قالوا : الأبُّ للبهائم كالفاكهة للناس. وتحولت «أنبو» بالابدال إلى «عنبو»، ومنها «عِنَب» للدلالة على نوع واحد من الثمار هو ثمر الكرم. وهذه دلالتها في اللغات العربية والعبرانية والسريانية بعد أن كانت تدل في أقدم زمانها على الثمر عموماً».

فلينظر القارىء ما حدث من تطور لفظي على «أنبو» فصارت «أبّه» و«أبا» و«أبّ» ثم تحولت إلى «عنبو» ثم صارت في العربية «عنب»، وليتأمل ما جرى عليها من تطور الدلالة، ما بين الثمر عموماً والفاكهة بمختلف أصنافها، وما بين الدلالة على العشب الذي ترعاه البهائم، والدلالة على نوع خاص من الفاكهة - فهي تتقلب بين الخاص والعام، والسعة والضيق. وهذا ما حدث للكلمة المصرية «أبو» في مختلفة تشكلاتها اللفظية والمعنوية كما رأينا.

إضافة صغيرة نوردها هنا لمعرفة الصلات اللغوية العروبية الوثيقة ؛ إذ عرفنا أن المصرية «أ ب و» تعني «عاج»... وهو مادة ناصعة البياض. أليس كذلك ؟ يقابلها في الكنعانية كلمة «إ ب» ومعناها : دُرّة، جوهرة - كما ترجمها «غوردون» (Ug. Handbook, p. 202) - حجر كريم gem. كما تعني : لمّاع، صافٍ (فريحة ؛ ملاحم... صفحة 593). وهنا تستوي «أ ب و» المصرية و«إ ب» الكنعانية في الدلالة على البياض الناصع والصفاء واللمعان، عاجاً كانت مادته أو حجراً من الأحجار الكريمة(*).

(*) يذكر (معجم اللغة اللاتينية الاشتقاقي) **Dictonnaire étymologique de la langue latine** أن اليونان استعملوا كلمة elefas للدلالة على الفيل والعاج (ناب الفيل) معاً. والكلمة عنده مكونة من مقطعين el-fas وهو يرجع المقطع الثاني fas إلى القبطية (بنت المصرية القديمة) ebu, ebou والسين في fas زائدة يونانية، ويحتار في أصل المقطع الأول el ومنشأه، ونحن نراه إما «ال» التعريف العربية، أو من الجذر العروبي «إل/أل» بمعنى : لمع، أشع، سطع، وبذا تكون elfas اليونانية تعني حرفيا «الناب اللامع» = العاج.

حقت Ḥeqit

كان الضفدع حيواناً برمائياً يومىء إلى القوى التي أوجدت الحياة. وقد مُثِّل الأرباب الأول غالباً برأس ضفدع، وهو الذي كان حيواناً مقدساً لربة الولادة. وعثر على تماثيل له من العاج بوفرة في المدافن القديمة، وربط بينه وبين «حابي» إلّه النيل الذي يمثل الاخصاب. وفي العصر المتأخر صار الضفدع رمزاً للبعث، وتبناه أوائل النصاري مُكَنِّين إياه بعبارة «أنا البعث»[96].

يدعى الضفدع المعبود في المصرية باسمين :

(1) «ح ق ت» ḥ q t . (2) «ق ر ر» q r r . ولم يعرف الاسم الثاني قبل الأسرة العشرين. (غاردنر ـ Eg. Gr., p. 475) وسنتناولهما واحداً بعد الآخر.

1 ـ «ح ق ت» ḥ q t

التاء في آخرها للتأنيث والأصل «ح ق» ḥ q . ويرجعه الأستاذ «إمبر» (Ember ; 14. D) إلى العربية : «عق، غق، خق» بتعاقب الحاء في «ح ق» وبقية الأصوات الحلقية الثلاثة : ع، غ، خ. وفي (لسان العرب) :

العقُّ والغقُّ والخقُّ : الصوت، يصدر عن قدر تغلي أو طير يصيح أو ماء يخرج من سعة إلى ضيق أو من ضيق إلى سعة. ولذا سمي صوت الطائر «عقعقة». و«العقعق» طائر معروف، وهو نوع من الغربان، و«الغاق» الغراب، و«الغققة» الخطاطيف الجبلية. وقريب منها : «نعق» الغراب، و«نقَّ» الضفدع نقاً، ونقاقاً، ونقيقاً. . إلخ.

وسواء كانت «عقَّ» أو «غقَّ» أو «خقَّ» لصوت الماء، والضفدع حيوان برمائي كما نعرف لا يستطيع البعد عن الماء ولا العيش بمنأى عنه، أو من صوت الحيوان الذي يصدره ذاته (قارن صوت الضفدع : «نقَّ» بحلول النون محل الحلقيات الثلاث) **فإن من المقبول أن تكون المصرية «ح ق» ḥ q تقابل : عق، وغق، وخق** ـ بتعاقب الحاء (وهي صوت حلقي أيضاً) مع العين والغين والخاء. وتلحق بها تاء التأنيث فتصبح «ح ق ت» ḥ q. t تقابل : عق، وغق، وخق ـ بتعاقب الحاء (وهي صوت حلقي أيضاً) مع العين والغين والخاء. وتلحق بها تاء التأنيث فتصبح «ح ق. ت» ḥq. t (وهذا هو اسم الضفدعة المعبودة). فهي «الغقَّة» أو «الغاقَّة». أي «الناقَّة» أو «النقاقة».

---

(96) وجدت مكتوبة على مصباح نصراني في شكل ضفدعة.
أنظر : Budge ; An Eg. Hier. Dict., p. 511 .

بيد أن الطريف في المسألة أن هذه الكلمة ذاتها «ح ق. ت» ḥ q.t - (وقد استبدلت صورة الضفدع المحدَّدة بمحدِّد آخر هو صورة دِن الخمر) تعني كذلك «جعة» (beer) وهي المخمَّر من المسكر (في مقابل المقطَّر) تصنع من نقيع الشعير أو الشوفان، كما تعني «مَبْرَزَة» (bre-wery) أي محل صنع الجعة (معجم بِدج - صفحة 514).

وهي هنا تقابل العربية «غقَّة» و«مغقَّة» - مما يوضح ما ذهبنا إليه. ولا أجد شاهداً أنسب مما ورد في (اللسان).. قال :

«**غقَّت** القِدر، تَغِقُّ غَقاً وغقيقاً : غلت فسمعت صوتها. وغقيق القدر : صوت غليانها. وغِقْ غِقْ : لحكاية صوت الغليان».

فكأن قِدْر الجعة في مصر القديمة كانت تغِقُّ غقاً شديداً حتى ليسمع صوت غقِّها. فسميت الجعة «غقة».. أعني : «ح ق ت» !

(2) «ق ر ر» Q r r

يذكر الأستاذ «إمبير» كذلك، وهو على صواب، أن المكافىء العربي هو الجذر «ق ر ر» (Ember ; 12.A. 41). وقد جاء في هذه المادة في (لسان العرب) :

«**القُرَّة** : **الضفدعة**» - هكذا بكل جلاء. والأصل : صوت الضفدع، مثلما هو الحال في «**ح ق ت**»، حين يصيح : قَرْرْرْرْ. قال ابن منظور :

«والعرب تخرج من آخر حروف الكلمة حرفاً مثلها، كما قالوا : رماد رَمْدَد، ورجل رعش رعشيش، وفلان دخيل دخلل. وأنشد يصف إبلاً وشربها :

كأن صوت جرعهن المنحدرْ * صوت شِقِرَّاقٍ إذا قال : قِررْ»

أليس صوت الضفدع في قرقرته أقرب من صوت الشرقراق (= شقرَّاق) (ضرب من الصقور)[97] وأوضح حين تسمعه : قِررْ ؟ وهذا ما جعل اسمه في المصرية «ق ر ر» q r r - حذو النعل للنعل، أو الصوت للصوت. والراء المكررة في «ق ر ر» **هي ذاتها الراء المشددة في «قُرَّة» (الضفدعة)**. الفرق الوحيد أن «قرة» مؤنثة و«قرر» مذكر. ويبدو أن الغَلَبَة في صراع الآلهة الضفادع كانت، بعد الأسرة العشرين، للذكور منها ؛ فكان للمعبود «ق ر ر» بعد أن كانت للمعبودة «**ح ق. ت**» من قبل !

إضافة صغيرة، للفائدة العامة : ففي اللغة النوبية يسمَّى الضفدع «**أَمَنْ كَرْكِ** aman Karki» (بدر ؛ اللغة النوبية، صفحة 149). وهو اسم مكوَّن من كلمتين :

---

(97) في اللهجة الليبية الدارجة يدعى نوع من الطيور : «نْقِرّ» - nqirr وقد تكون النون أصلاً نون الملكية أو الاضافة كما هي في الليبية القديمة والمصرية، بمعنى «ذو» أو «صاحب» (ن. قر. أي : ذو قر. ذو الصوت/المصوِّت). ولكن الطيور كلها مصوِّتة. فلعل التخصيص جاء من طبيعة صوت هذا الطائر «قرر» (مثل الشرقراق).. صوت مزعج لا تطريب فيه ولا تغريد.

(1) «أَمَنْ : ماء (وهي كذلك في اللهجة الجبالية : أَمَنْ).

(2) كَرْكِ : قرَّاق = المُصْـدِر صوتـاً كصوت البط (الـذي يدعى في العـربية : قرَّاق) «كَرْرْرْرْرْكْ. أو : قَرْرْرْرْقْ». (وفي المصرية تسمى «الوزَّة» المعبودة : القرَّاق العظيم The Great Cackler/Q r r. w r) .

«أَمَنْ كَرْكِ» (الضفـدع - في النوبية) = قرَّاق الماء. ولست أدري هل جاءت تسمية طائر «الكُركي» - وهو يشبه أبو قردان/مالك الحزين، طائر مائي - من هذا الباب أم أن له أصلاً آخر لا أدريه !

وإضافة أخيرة ؛ يذكر «بدج» في معجمه (صفحة 764) أن كلمة Q r r تأتي اسم علم في المصرية القديمة، وهي صارت في القبطية «كرور» Krour . ألا يذكرنا هذا باسم «قُرَّان» وهو اسم علم كما يذكر ابن منظور في مادة «قرر»، وباسم «قرَّة» وهو اسم أبي العالم النصراني العربي المترجم «ثابت بن قرة» ؟ هو كذلك !

ح ك ء Ḥeka

تترجم «ح ك ء» ḥka في العادة بأنها تعني «سحر» ومنها اشتقت «ح ك ء ي» ḥkay (ساحر). وهناك معبودة مرتبطة بالتاج الفرعوني تدعى «ور ت. ح ك ء و» wrt. ḥkaw (السـاحـرة العـظمى، أو : عظيمة السحرة).

يقابل «إمبير» (.Ember ; Egypto-Sem. Stud) كلمة «ح ك ء» المصرية بالعربية «حكل»، وذلك عن طريق تعاقب الهمزة واللام وهما كثيرا ما يفعلان، ولا يوجد اللام في رموز الهيروغليفية. وحين نرجع إلى مادة «حكل» نجد من مشتقاتها :

«الحُكلة : كالعجمة لايبين صاحبهاالكلام.
وكلام الحَكل : كلام لا يفهم.
وحَكَل عليه الأمر وأحكل واحتكل : التبس واشتبه.
واحتكلت الأخبار : أشكلت».

وهذه كلها تناسب مقام السحر الذي هو في أساسه غموض واشتباه وإشكال، سواء في لغته أو عمله المعروف[98] .

(98) لا تفوتنا الاشارة إلى أن كلمة «سِحْر» في العربية مشتقة من «سَحَر» ومن هذه المادة : السَّحَر أو السُّحْر «وهو آخر الليل قبيل الصبح . وقيل : هو من ثلث الليل الأخير إلى طلوع الفجر. والسَّحر : قطعة من الليل». (لسان العرب).

وقد فسَّر ابن منظور «**الحُكل**» بأنه : العجم من الطيور والبهائم، في شرح قول الشاعر :

لو أنني أعْطِيت علم الحُكل ِ * علم سليمان كلام النمل ِ

وليس ثمة ما يمنع من فهم «**علم الحكل**» على أساس أنه «**علم السحر**» أو «علم السَّحَرة» ـ أي العلم الغامض المبهم، ومنه علم لغة الحيوان وكلام النمل الذي اشتهر به سليمان.

ويبدو أن مادة «حكل» في الأساس تدل على الغموض والابهام كما تشير إلى الظلمة والسواد وكل ما لا يتبين.

وحين نقلب حروف هذه المادة نجد :

حلك. الحُلكة : السواد. حالك الليل : مظلم الليل. الظلام الحالك.

كحل. الكحل : مادة سوداء تظلل بها العين. وكحَّل عينه : سوَّدها، واكتحل كذلك.

كلح. الوجه الكالح : ضد المضيء. الكالح : العابس المسودُّ.

هذا من حيث مقابله «ح ك ء» بـ«**حكل**». لكننا نجد في مادة «**حكأ**» في العربية شيئا لافتا للنظر :

«**حكأ** العقدة : شدَّها وأحكمها.

احتكأ الشيء في الصدر : ثبت. ومنه : **احتكأت** العقدة. يقال : سمعت أحاديث فما احتكأ منها في صدري شيء، أي : ما تخالج».

ومن المعروف الصلة بين السحر والعقد، أو الحكأ = إحكام العقد. ومن ذلك «النفاثات في **العقد**» أي الساحرات، كما ورد في القرآن الكريم (سورة الفلق/4).

وإذا كان «**الحكأ**» يعني أصلا : العقد والشد والثبات والاختلاج، كما هو مقرر، فإن الصلة بين هذه كلها وبين السحر واضحة، خاصة أن «الحكأ» يستعمل أصلا للدلالة على «شدِّ العقدة»، وهو سلوك سحري قديم معروف. وقريب من هذا مادة «**حوك**» و«**حيك**» ومعناها : نسج. حاك، يحيك، ويحوك، حياكة. ومنها الحائك : الناسج. وهذه متعلقة بالعقد؛ إذ ينسج الساحر سحره نسجا، أو«يحوكه»، فهو «حائك» السحر. ومن ذلك قولنا : **حائك المؤامرة** ـ وذلك في مجال تدبير الشر والاعداد له. وما السحر ـ في الغالب الأعم ـ إلا تدبير للأمر (أو المؤامرة) بالسوء.

وبهذه الكلمة «ح ك ء» ترتبط كلمة أخرى في المصرية هي «ح و» ḥw التي يقول عنها «شيرني» (Cerny ; Ancient Egyptian Religion, p. 51) إنها إحدى صفات المعبود «تحت» باعتبارها نطقه الخلاّق Creative utterance إلى جانب قوته السحرية magic power «ح ك ء». ويقول «غاردنر» (Eg. Gr., pp. 463, 580) إن «ح و» ḥ w تمثل النطق السلطوي الجازم (authoritive utterance) .

وما دام الأمر متعلقاً بالسحر وبالنطق السلطوي الجازم، فإن من الواضح أن «ح و» المصرية ليست إلا «**وحي**» العربية عن طريق القلب (وح <> ح و) :

= وهذا يعني ارتباط السِّحر بالليل والظلام (السَّحر) على وجه الخصوص، مما يؤكد الصلة المعنوية بين «الحكل» و«السحر».

«الوحي : الاشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي» .
وهذه من صفات المعبود «تحت» ذي الكلمة الخلّاقة ومخترع الكتابة، أو الموحى بها، عند قدماء المصريين.

ح م . ك ء hem ka

> لقب يعني «العاقل» أو «الحكيم». وقد عرف به رجل عاش في عصر الأسرة الأولى على عهد الملك «سمتى». وهو يعادل اللقب المطول« س د ء. ت ى - ب ى. ت ى» ś d a.T y – b y.t y الذي يترجم بـ «المستشار الملكي»* أو «خازن ملك مصر السفلى»**. وكان ذا نفوذ عظيم.

اسم الفرعون «سمتى» معروف في عصر الأسرة الأولى، وهو عصر توحيد شطري مصر، وهو أصلاً «س م. ت ء و ى» (زامٌ، أو ضامٌ، الطأتين = موحِّد الأرضين).

أما اللقب المطول «س د ء. ت ى - ب ي. ت ى» فهو مكون من كلمتين : «س د ء. ت ى» + «ب ي. ت ى». وقد ترجمها «بدج» : المستشار الملكي (Royal Chancellor). وترجمة «ييفين» : خازن مَلِك مصر السفلى (The Treasurer of The king of Lower Egypt). وكلمتا «ملكي» و«ملك» (مصر السفلى) جاءتا ترجمة للكلمة الثانية في اللقب : «ب ي ت ى» b y t y ، وأصلها «ب ي» by ، أُنّثت فصارت «ب ي ت» b y t وألحقت إليها ياء النسبة فكان «ب ي ت ى» b y t y. وهي تعني : ملك، وبالتحديد : ملك مصر السفلى، أي الدلتا. وقد وفيناها حقها من البيان في مادة «ب ت» من هذه الدراسة. . فليرجع القارىء إليها.

وتبقى لدينا الكلمة الأولى «س د ء. ت ى». وهي كرفيقتها : التاء للتأنيث، والياء للنسبة، في آخرها. وتبقى «س د ء» ś d a التي ترجمها «بدج» : مستشار (Chancellor) وترجمها «ييفين» : «خازن» (Treasurer) . والترجمتان قريبتان بعضهما من بعض. فكيف ذاك ؟

في «معجم فولكنر» (صفحة 258) نقرأ :

«س د ء ي ت» s d a y t : خاتم، طابع.
«س د ء و» s d a w : حامل الأختام (وهي نفسها «خ ت م و» ḫ t m w)
«س د ء و ت» s d a w t : كنوز، أشياء ثمينة.
«س د ء و ت ي و» s d a w t y w : خَزَنَة (جمع خازن).

---

* Budge ; The Gods of The Egyptians, ii, p. 114.
** S. Yeivin ; The Ceremonial Stale-palette of King Narmer, (Studies in Egyptolog and Linguistics), p. 42.

وهذا يعني أن الجذر «س د ء» يدل على الحفظ والمنع، كالختم والطبع والكنز والخزن ونحوها.

في العربية نجد الجذر الثنائي «سد» ومنه الثلاثي :

سدد : السَّدُّ : الغلق

سدر : السِّدار : الكِلة (الحجاب).

سدف : السُّدفة : الظلمة.

سدل : السَّدل : الستر.

سدم : سدم الباب، وسطمه : أغلقه.

سدن : السدن والسدانة : الحجابة. السادن : الحاجب - وهو : خادم الكعبة والأصنام (في الجاهلية).

بهذا يتضح أن «س د ء ت ى» نسبة مؤنثة إلى «س د ء» التي تفيد الحجب، فهو «الحاجب» (أي الوزير، أو المستشار) وهو «الحاجب» (أي خازن المال، صاحب الخزانة، أو حامل أختام الخزائن الملكية التي تحوي نفائس الملك ومقتنياته الثمينة).. أعني أنه : **السادُّ**، السدَّار، السادف، السادل، السادم، أو.. **السادن**. وكل ما في الأمر أن الهمزة في المصرية حلت محل حروف أخرى في الجذر الثنائي «س د» - كما فعلت العربية بالضبط.. والمعنى واحد.

فهل اتضح الآن اللقب «س د ء ت ى. ب ي ت ى» الذي بدا لنا غريباً في البداية ؟

فلنمض إلى «ح م ك ء» ḥ m k a وننظر في أمره. وقد نقرأه «ح م ك» بدون إيراد الهمزة، ومعناه : عاقل، حكيم. فنرى أنه مقلوب «ح ك م» العربية التي أدت إلى «حكيم»[99]. ولكن

---

(99) كتب «هـ. ر. هول» في كتابه (تاريخ الشرق الأدنى القديم، صفحة 108) (H.R. Hall ; The Ancient History of The Near East, P. 108) عن شخصية مهمة في ذاك العصر البعيد (عصر الأسرة الأولى) اسمها لديه (Hemaka) أو (Hekama) كما يكتبها بالحرف اللاتيني (قارن القلب المكاني هنا). وقد اكتشف في قبر صاحبها تسجيلات دينية كثيرة. وفيما تلا من الزمان صارت هذه الشخصية في التراث المصري ملكاً تقياً مثقفاً (أي : **حكيماً**). ويرجح أن في عهده كتبت فصول من (كتاب الموتى).

وفي عهده - كذلك - نرى أول ذكر لمهرجان «س د» Festival of **Sed**.

ويترجم «هول» كلمة «س د» بمعنى «الغاية» أو «النهاية» The End وهي حرفيا : «الذيل» The Tail.

وقد كتب الكثير عن «مهرجان الذيل» هذا (راجع مثلاً Wainwright ; The Sky-Religion) وهو احتفال كان يقوم فيه الملك بأداء رقصة للآلهة مرتدياً ذيل حيوان (طوطم) كل ثلاثين عاماً - إذا ما طال عمره - أوبعد الأحداث الكبرى، طلباً أن تطيل الآلهة عمره (أنظر Budge ; An. Eg. Hier., p. 714). وما يهمنا هنا هو كلمة «س د» s ḏ (التي تكتب كذلك s d و s t y). وهي - في ظننا - ذات صلة بكلمة «سد» العربية ؛ فإن ذيل الحيوان في الواقع ليس إلا «سدًّا» مانعاً أو ستراً واقياً - كما تعرف. وهذه من مادة «سدد» (ثنائيها «س د»). فإذا لم تكن القراءة s d و st (جذر s t y من باب تنوع نطق s d)، فإننا واجدون في مادة «سطط» (ثنائيها «س ط») العربية معنى **الاخفاء**. كذلك في «س ت» التي أدت إلى الثلاثي «سته» و«است» (مما يقابل «**الذيل**» عند الحيوان) كما أدت إلى الثلاثي «ستر» ومعنى الاخفاء فيه لا يخفى !

الكاف تقرأ أحياناً قافاً فهي إذن «ح م ق ء» ḥ m q a (وطبيعي ألا يكون لها صلة بالحمق الذي هو ضد الحكمة بالطبع !) فلا بد من مراجعة تبين جلية الأمر. وهذا ما نجده في الأكادية.. إذ نقرأ في تلك اللغة العروبية :

إميقو : وتعني «قوي» كما تعني «يصلي بحرارة». ومنها «**بعل إموقي**» (= الرجل القوي). ولها معنى ثالث هو : «حكمة». (Weir ; pp. 81, 247).

ومن الواضح في العربية الصلة بين «الحكمة» بمعنى الرزانة في العقل، والانقطاع للنظر العقلي (تقابل الصلاة بحرارة في الأكادية) و«الحُكم» بمعنى التحكّم والمُلك والسلطة. وفي الأخيرة - كما في الأولى - معنى «القوة». والشيء نفسه يحدث في الأكادية ؛ فإن الجذر الذي اشتقت منه المفردات ذات الصلة بالأمر هو «إ م ق» - والعين في تلك اللغة تبدل همزة كما هو معروف ؛ **فهو يقابل الجذر في العربية «عمق»**.

فإذا أخذنا «**عمق**» وجدنا منها : العُمق - أي بعد الغور. عمق، يعمق، عمقاً وعموقاً، فهو «عميق». وهذه صفة الحكيم عميق الفكر والنظر في المسائل، فهو «يتعمق» فيها عادة.

لكن الجذر «**عمق**» يؤدي بنا من ناحية ثانية إلى الرباعي «**عملق**» والصفة منه «عَمْلَقٌ» و«عِمْلَاقٌ» و«عِمْليقٌ»... أي القوي الشديد[100]. وهو ذاك «الحكيم» (من الجذر : حَكَمَ).

يؤيد ما ذهبنا إليه ما في اللغة العروبية الكنعانية ؛ إذ تعني «ع م ق» في تلك اللغة : «حكيم» - كما تعني : المكان العميق، أو الوادي. (فريحة ؛ ملاحم وأساطير... صفحة 648).

ولم ينته القول بعد..

إن النظر في رسم هذا اللقب بالهيروغليفية قد يفتق لنا معنىً آخر. فهو عند «بدج» [hieroglyphs] ولكننا نجده عند «فولكنر» (صفحة 169) في صورتين :

كاهن الروح. [hieroglyphs] ḥm-kꜣ soul-priest,

خدمة الروح. [hieroglyphs] ḥm-kꜣ soul-service

ونرى أن «سادن» و«سدانة» تقابلان بالضبط معنى «كاهن الروح» و«خدمة الروح» حسب ترجمة «فولكنر» لـ«ح م. ك ء»، الأولى حسية محدِّدها صورة الرجل الجاثي على ركبته الماد يده ابتهالاً (= خادم) والثانية مجردة محدِّدها علامة التجريد في الهيروغليفية [hieroglyph].

واللقب هنا ينقسم إلى مقطعين :

(1) «ح م» ḥ m : خادم، خدمة. (= حموٌّ/حميٌّ. قارن مادة «ح م. ن ت ر» في هذه الدراسة).

---

(100) تختلط مادتا «عمق» و«عملق» في العربية، فإن «العملقة : تعميق الكلام». وقد تقلب «عمق» إلى «معق» ؛ ففي قوله تعالى : ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ قال الفرّاء : لغة أهل الحجاز معيق. (اللسان، مادة : عمق). ونرى أن الجذر الثنائي «عم» يدل - في مجموعه - على القوة في أي شيء (راجع مادة «ع م و» في هذه الدراسة.

(2) «ك ء» k 3 : نفس، روح. (أنظر مادة «ك ء» في هذه الدراسة) وقد قابلناها بالعربية «جاه» أو «قوي».

وعلى هذا نكافىء «ح م. ك ء» (أو: «ح م. ق ء» ḥ m. q a) بالعربية «حمو جاه»، «حمو الجاه» - أي «عبد الجاه». أو «حمو قوي»، «حمو القوي» = «عبد القوي».
والله أعلم بالصواب!

ح م. ن ت ر ḥem- neter

لقب يطلق على الطبقة العليا من كهنة المعبد، ويعني حرفياً:
«عبد الرب» (Budge ; The Gods of The Egyptians, ii, p. 26)

هذا اللقب يتكون من كلمتين:

(1) «ح م» ḥ m (ويرمز للكلمة هيروغليفيًّا بالعصا): عبد، خادم. (غاردنر: Eg. Gr., p. 581). عربيتها: «حمو»، «حمي». وهي تعود إلى «الحماية» أي المنع: إذ يكون العبد في حمى مولاه، فهو محمي به.

ونلاحظ أن «ح م» ḥ m في المصرية تعني العظمة والجلال. وهي كذلك في العربية، فمن الجذر «حما» تشتق «الحميَّة» أي الأنفة والعِزَّة. (أنظر مادة «حما» في «اللسان» لمزيد من التفصيل عن المشتق من هذا الجذر ومعانيه المختلفة وقارن: «مولى» إذ تأتى بمعنى «سيِّد» وتأتي بمعنى «عبد» كذلك).

نلاحظ أيضاً أن التفرقة بين المعاني المشتقة من «ح م» في الكتابة الهيروغليفية تكون بوضع ما يسمى «المحدِّد» أي الصورة المناسبة بجانب الرمز 𓌂 (العصا التي ترمز إلى الحماية = الدفع) لتدل على المقصود. فإذا كان المعني «خادم» أو «عبد» وضعت صورة رجل جاثٍ على ركبتيه باسطاً يديه متضرعاً. وعندما يراد الجلال والملك تكون صورة فرعون جالساً بيده صولجان. وللتعبير عن المؤنث (ح م. ت) أي: خادمة، أَمَة، أو حتى: زوجة - تصور امرأة جالسة. وتسمَّى الملكة «ح م. ت - ن س و» ḥ m. t-n s w (عربيتها: «حمية نشأ» = زوجة الملك)، كما تسمَّى كذلك «س ت. ح م ت» s t. ḥ m t (عربيتها: الست[101] الحميَّة). وهناك كلمات كثيرة تعود إلى الجذر «ح م» غير هذه.

(2) «ن ت ر» n t r: الرب، الآله، المعبود. (عربيتها: ناظر. راجع مادة «ن ت ر» في هذه الدراسة لمزيد من البيان).

---

(101) أي «السيدة». وكلمة «ست» بهذا المعنى أصيلة في المصرية، وهي في الكنعانية (ش ت). والأصل تأنيث بالتاء لـ«س»، «ش» بمعنى: إنسان، رجل.

بذا يكون «ح م. ن ت ر» يكافىء : حمو نظر = حمو ناظر/«حمو الناظر»= عبد الرب.

وهذا اللقب يقابل اللقب البابلي المشهور «حمو - رابي» (حمو ربي/حمو - راب) أي «حمو الرب» أو «عبد الرب». وقد يكون المقصود «المحمي بالرب» (حمي الرب) - كما استعمل خلفاء بني العباس : المعتصم بالله، الواثق بالله، المعتضد بالله . . إلخ . كل ما في الأمر أن المصريين القدماء استعملوا كلمة «ن ت ر» والبابليين استخدموا كلمة «رب» والعباسيين اتخذوا كلمة «الله» والمعنى في جميع الأحوال واحد.

أما غير «الكاهن الأكبر» من هذه الطبقة العليا من الكهنة في المعبد المصري القديم فيحمل لقباً آخر هو «ح م - ك ء» ḥm-ka . والرمز الهيروغليفي له : عصا (العبودية) ويدان مرفوعتان (الرفعة والسموّ والمنزلة العظمى = جاه. أنظر مادة «ك ء» في هذه الدراسة). ويقابل هذا اللقب عربيًّا : «حمو الجاه».

وأما رئيس الكهنة فيدعى : «ح م. ن ت ر. ت پ ى» ḥm.ntr.tpy . وهو لقب يعني : «رئيس خُدّام (سدنة) الرب». حرفيًّا : «خادم الرب الرئيسي».

جاء في (لسان العرب) :

«التابُّ (قارن : ت پ - tp) : الكبير من الرجال. والأنثى : تابَّة». (مادة «تبب»).

وقد سبق شرح «ح م»، وينظر شرح «ن ت ر» في موطنه. فإذا أردنا المكافأة بالعربية قلنا إنها : «حمو الناظر التابّ».

أخيراً نذكر أن «ح م. ن ت ر» ḥm.ntr ظلت لقباً مستخدماً في الكنيسة القبطية في صيغة «هُنْتْ» hont [102]. وهذا ما يظهر كيف تجري صروف الزمان على الألفاظ فتتحول صورها وتتبدل حتى تتشوه تشوهاً يخفى معه أصلها الأصيل، فتحسب من جملة الدخيل وهي العربية القحة.

ح ن ب ى Ḥenbi

معبود قد يكون رباً لغلال الأرض ونتاجها. وترد كلمة «ح ن ن ب ت» في (كتاب الموتى) لتعني ثمار الأرض والفاكهة. وتذكر صلة هذا المعبود بمدينة «حنن - سو» (حاليا : أهناسيا) في «لوح حورس» الذي غرس قرباناً له مزرعتي كرم، ويسمى أحياناً «ح ن ب ى» ḥnby [103].

(102) Budge ; The Gods of Egyptians ; p. 22

(103) المصدر السابق، ص 63.

يترجم «بدج» (ح ن ب ت» ḥ n b t بأنها تعني «أرض الحَبِّ، ميرة» (Corn-land, provision) . وهذا يجعل المكافىء العربي لها : حَب، حبوب . والنون زائدة (حنبي = حَبِّيٌّ) .

لكن غرس مزرعتي الكـرم (two vineyards) وورود «ح ن ب» ملازمة للكرم تجعل المقابل العـربي «عنب» أقـرب. وبـذا تكـون : «ح ن ب» = **عنب**. «ح ن ب ت» = **عنبة (مؤنثة)**. «ح ن ب ى» = **عنبي** (الصفة بياء النسبة) . وكل هذا بتعاقب العين والحاء .

وقد وردت «**عنب**» في القرآن الكريم مرتين مفردةً، وفي إحداهما **مقترنة بالحَب** : «فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَباً وَعِنَباً وَقَضْباً» (عبس/28) . وجاءت تسع مرات بصيغة الجمع «**أعناب**» ، مقترنة في أغلب الأحوال بالجنات والحدائق والنخل والزيتون والفاكهة والحَبِّ والزرع، مما هو من ثمار الأرض وفاكهتها .

فإذا كانت كلمة «عنب» تدل الآن على ضرب معين من الشجر ذي العناقيد التي يتخذ من عصيرها الخمر المعروفة، فإن الجذر «**ع ن ب**» تقلب به الحال بحسب الزمان والمكان . فهو كان في الأكادية (الأشورية) والآرامية «**أنبو**» ويعني الثمر عموماً . وأدغمت النون في العبرية وشدِّدت الباء فصار «**أَبّه**» ـ واشتقوا من هذه اللفظة الفعل «**أبب**» أي «أثمر» . ونجده في السريانية «**أبا**» وهي الفاكهة على التعميم، كالتين والبطيخ والزبيب واللوز والرمان . . . إلخ . وفي العربية هي «**أبٌّ**» (وَفَاكِهَةً وَأَباً) وفسرت على أساس أنها تعني المرعى والكلأ أو ما أنبتت الأرض . (جرجي زيدان ؛ تارخ اللغة العربية، صفحة 52) .

ويبدو أن الأكادية «**أنبو**» تطورت في العربية إلى اتجاهين، أحدهما حذف النون وشدَّد الباء فكانت «**أبٌّ**» (نبت، مرعى، كلأ) والآخر أبدل الهمزة عيناً واحتفظ بالنون فكانت «**عنب**»[104] . وقـد تعـاقبت العـين مع الحاء في المصرية «ح ن ب» وفيها المعنيان : النبت أياً كان، والفاكهة، وخصص نتاج الكرم . فهي من جهة تقابل «أبّ» (= حَبّ) وتقابل من جهة أخرى «عنب» ـ وكلها مرتبط بعضها ببعض .

ح و Hu

عرف عند اليونان باسم «سفنكس» Sphinx وهي كلمة يقصد بها في الأصل كائن له جسم حيوان ورأس إنسان . وقد عرفت تماثيله عنـد اليـونان والمصريين، وأشهرها ذاك الموجود بالقرب من أهرام الجيزة يكوِّن جزءاً من مدفن الفرعون «خفرع» (حوالي 2450 ق . م)

(104) الواقع أن العين في «عنب» هي التي أبدلت همزة في الأكادية «أنبو» أو على الأصح في الكتابة المسمارية ولعلها كانت تلفظ عيناً ؛ إذ من المعروف أن الأكادية أبدلت العين همزة في الكتابة المسمارية السومرية الأصل التي لا تحوى رمزا للعين .

وله جسم أسد ورأس إنسان لعله تمثيل لوجه «خفرع» ذاته، يواجه الشمس. ويقال إن هذا التمثال كانت طمرته الرمال فظهر صاحبه في حلم للأمير «تحتمس» واعداً إياه بحكم مصر إن أزاح عنه الرمل. وقد فعل، فحكم وادي النيل تحت اسم «تحتمس الرابع» (1425 - 1417 ق. م). وكان ينظر لهذه التماثيل باعتبارها حامية دافعة للشر في مصر، بينما كانت في بلاد اليونان شراً يستعاذ منه.

يسمى هذا التمثال الشهير عند أهرام الجيزة «أبو الهول» في العربية.

ويؤكد «بدج» (The Gods of The Egyptians, ii, p. 361) الفرق الكبير بين «السفنكس» اليوناني والمصري، فقد جاء الأول في الأساطير باعتباره ابن «تيفون» و«خميرا» وكان مجنَّحاً برأس امرأة ذات ثديين دائماً، بينما يشبه الثاني الأسد برأس رجل دائماً. ويقول: «**إن (سفنكس) الجيزة كان يقصد به أن يكون حارساً وحامياً للأموات ومدافنهم، ولا شيء آخر. وما ردده «بلوتارك» وغيره من كونه يمثل الحكمة الغامضة عند المصريين مجرد خيال. وقد اعتقد صانعو (السفنكس) في مصر (أي: أبو الهول) أنهم يقدمون مأوىً ضخماً لروح رب الشمس، ينتظرون أن تسكنه لتحمي موتاهم**».

وتدفعنا طبيعة الحماية والقوة والحراسة في «السفنكس» المصري إلى النظر في دلالة اسمه الذي يشير إلى هذه الخصائص ويحمل معناها لا ريب، ومقارنته بها في العربية.

نلاحظ أولاً أن هذا الاسم يكتب بالرموز الهيروغليفية هكذا: أو .

وهو يقرأ عادة «ح و» ḥw - ويترجم بمعنى القوة أو الحماية («بدج»؛ نفس المصدر السابق). ويقول «بدج» إن «سفنكس» الجيزة (أي: أبو الهول) قد يكون شُيِّد في وقت عمت فيه عبادة الأسد في الدلتا أو مصر السفلى، ولذا وضعت صورة الأسد الرابض على يمين رمزي «ح» و«و» في الهيروغليفية لهذه الغاية. وقد يكون هذا مقبولاً، ولكن المقبول والمنطقي اعتبار الأسد الرابض حرفاً ثالثاً هو، في هذا الموطن، حرف اللام[105]. وبذا تكون «ح و» الثنائية «ح و ل» الثلاثية.

كلمة «حول» العربية المكافئة تقدم المعنى المقابل للقوة Strength والحماية/المنعة Protection (كما ترجم «بدج» ḥ w). فالحول هو القوة، وهو «الحيل» كذلك وتشير الاشتقاقات من «حول» إلى القـوة والنشـاط والحـركة مما يقابل Strength. كما تشير إلى المنعة والحماية: حالَ، يحولُ، حولاً وحيلولة: منع ودفع Protect. ومن هنا نرى أن «الحول» تؤدي معنيي القوة والحماية وهي الفكرة من «السفنكس» المصري (أعني: أبا الهول) الذي هو في الأصل: **أبو الحول** - **وقد تعاقبت الحاء** والهاء وهما من منفذ صوت واحد تقريباً. أما «أبو» في أبو الهول فهي ما يقابل: «أخو»، «ذو» بمعنى تلازم الصفة (الاسم المضاف). نقول: أبو الفضل، أخو الفضل، ذو الفضل = صاحب

(105) لا يوجد في ما اصطلح عليه من «الأبجدية» المصرية حرف اللام، وهو يبدل غالباً راءً أو همزة، أو يسقط. لكن الأسد الرابض اعتبره «شامبليون» لاماً عند فكه رموز الهيروغليفية في تحليل اسمي «بطليموس» و«كليوباترة». وهذا الرمز ذاته يقرأ راءً في مواطن أخرى.
(أنظر: Budge; Egyptian Language, p. 19. Gardiner; Eg. Grammar, p. 14).

الفضل/أبو المروءة، أخو المروءة، ذو المروءة = صاحب المروءة/**أبو الحول**، أخو الحول، ذو الحول = صاحب الحول (القوي، الحامي)[106].

لكن لا نستبعد أن تكون «أبو» التي تسبق «الهول» (الحول) أصلاً هي أداة التعريف في المصرية «پ ء» p a (= با) التي انتقلت إلى القبطية pai, pe . فيكون الأصل المصري القديم «**پ ء. ح و (ل)**» (با حول = بو الحول - أي القوة، أو القوي) وصارت : أبو الحول. (أنظر في أداة التعريف : Budge ; Egyptian Language, p. 112.). وقد نقابل - من باب التسهيل - المصرية «**يا حو(ل)**» pahw(l) بالعربية : «**باحول**» التي تأتي بمعنى «أبو» (با عزيز، با سليم، با خليل) في بعض اللهجات العربية.

هذا ما نراه. لكن للدكتور أحمد بدوي (في موكب الشمس، الجزء الأول، صفحة 223) رأياً يُرجع فيه نشأة اسم «أبي الهول» إلى الكنعانيين من الأسرى الذين «**من الراجح أنهم أقاموا حول منطقة أبو الهول يعبدون إلـههم (حورون) وكان يرمز إليه بطائر في هيئة الصقر ثم ينطلقون إلى أبو الهول ولا يجدون حرجاً في خلق الصلة بين معبودهم ذاك وبين الشمس التي قدّست في صنم أبو الهول. . . والغالب أن يكونوا قد أسموا المكان كله من حول الصنم «بوحول»، «بي حول» بمعنى «بيت حول» وأن يكون ذلك قد حُرِّف مع الزمان إلى كلمة «أبو الهول» التي يحملها التمثال اليوم علماً عليه. والله وحده يعلم الغيب من كل أمر**». انتهى نص الدكتور بدوي.

وواضح أن العالم الكبير أحسَّ، فيما يبدو، بعروبية اسم «أبو الهول» وحاول تأصيله، عن طريق التخريج والترجيح. وما **نظن أنْ قد فاته أنَّ (حورون) معبود الكنعانيين هو ذاته «ح ر» (حور، حورس) المصري أي الصقر، طائر «الحر» العربي** (ويرمز لحورون الكنعاني بطائر في هيئة الصقر). ولكننا عرفنا أن «أبو الهول» (السفنكس المصري) غير ذي جناح، ولا صلة له بهيئة الصقر، ووجود الأسد الرابض في رسم اسمه الهيروغليفي، حرفاً كان أو محدِّداً، ألصق بمعنى القوة فيه (الحول، الحيل). أما أن يكون الأصل «**بي حور**» (= بيت حول) أو «بي حول» (= «**بيت حول**») فذلك بعيد لانعدام الصلة بين «حور» والتمثال. . اللهم إلا أن نجعله بمعنى «بيت القوة (الحيل)» ؟

ولقد رأينا ما ذهب إليه الدكتور بدوي معتمداً على التخريج المعتمد على التشابه اللفظي دون دليل من نقش أو أثر يثبت ما يقول. وهذا ما يجعلنا نميل إلى الأخذ بما سبق ذكره من بيان.

---

(106) نستصوب المقارنة هنا باسم مشهور في عصرنا هذا هو اسم إمبراطور الحبشة المطاح «هيلاسلاسي» فإن اسمه يعني «مثلث القوة» (Triple-power) أو : «القوة الثلاثية» (هيلا = حيل (قوة) + سلاسي = ثلاثي . **هيلاسلاسي = حيل ثلاثي**). وكذلك اسم «هيلامريام» (هيلا = حيل + مريم . حيل مريم، قوة مريم «العذراء»). ولعل هذا يوضح للقارىء كيف تعاقبت الحاء والهاء في «أبو الحول/أبو الهول» كما فعلت في «هيلا» الحبشية، وهي لغة عروبية كذلك.

خ ب س . ت ء khebs-ta

كان مهرجان «حرث الأرض» حفلاً سنوياً اشتهرت به مدينة (أهناسيا) في بداية موسم الحرث بعد موسم الفيضان. وقد اتخذ اسم المهرجان من «خ ب س . ت .» ḫbs.ta بمعنى «حرث الأرض»(107).

هذه التسمية مكوَّنة من كلمتين :

(1) «خ ب س» ḫbs حرث.

العربية :خبش. الفصحى : خمش = خدش. أي : جرح وحفر أخاديد في الوجه أو الجسم، أو الأرض = حرث. و«خمش» ذات صلة بـ«خمس» (الرقم 5 والأصابع التي يخمش/يخمس/يخدش بها. قارن بحث الأعداد والأرقام في هذه الدراسة). ويقال في اللهجة الدارجة : «يـْخَبِّشْ» (كما يفعل الهر مثلاً). ومنه : التخبيش. والخبش : الخط. والخبشة كذلك، وهو التوقيع (خبشة السلطان = توقيعه. أي كتابته وخطه).

(2) «ت ء» ta : أرض.

العربية : طآة، طاءة، طأثة، تأط (وطا = أرض). وكذلك : طيَّة، تِيهٌ .

وحرف التاء في «ت ء» يقابل حرف الطاء الذي يدخل في : «طين، وطن، طوب، طود» وكلها متصل بالأرض.

وكذلك : «و ط ء» = المشي على الأرض. والطية = الأرض.

«خ ب س . ت ء» = خبش الطآة (حرث الأرض).

خ ب س و Khabsu

حرفيًّا : الآلهة النجمية (Starry dieties) . وترد في (ترنيمة أوزيريس)، أحد فصول (كتاب الموتى)، يوجه إليها الخطاب بهذه الصفة تمجيداً. والمقصود : أيتها الآلهة الساطعة أو الناريَّة.

(Budge ; The Gods..., p. 154)

---

(107) Budge ; The Gods of the Egyptians, ii, p. 63.

لنطالع الجذر «قبس» في (اللسان) (وقد تعاقبت الخاء في «خ ب س و» مع القاف في «قبس») :

«القبس : النـار، والشعلة من النار. قال الكسائي : واقتبست منه علماً وناراً سواء. وفي الحديث : من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر».

وفي القرآن الكريم :

﴿أُنْظُرُوا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ الحديد/ 12

﴿لَعلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَس أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدىً﴾ طـه/ 10

﴿سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَس لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ النمل/ 7.

ويرى «جرجي زيدان» (تاريخ اللغة العربية، صفحة 46) أن العرب «أخذوا هذه الكلمة عن اللغـة المصرية القـديمـة الهـيروغليفية[108]». ويضيف أن العـرب أخـذوا بعض تلك «الاقتباسات[109] رأساً عن أصحابها والبعض الآخر حُملت (الصواب : حُمِلَ) إليهم على يد الأمم الأخرى، كما نقل اليهود لفظ «نبي» من اللغة المصرية القديمة الهيروغليفية (كذا !) وأصل معناه : رئيس العائلة، أو : رب المنزل». إهـ.

وزيدان يشير إلى كلمة «ن ب» n b ومعناها : رئيس، رب، وما إليها. وليست خاصةً برب العائلة أو المنزل. والواقع أن اليهود لم ينقلوا لفظ «نبي» إلى العرب من المصرية القديمة كما ذهب، فإن هذه الكلمـة موجـودة في اللغـات العروبية كلها بمعنى واحد ؛ ففي الأكادية «نابو» nabu ومعناها : سيد، رب، إله، مولى . . إلخ. وهذا نفس معناها في المصرية (أنظر أي معجم للغة المصرية، وكذلك في الأكادية).

وفي العربية يفيد الجذر «نبا» : الشرف، والارتفاع، والعلو، والسمو (صفة النبي). ومنه نبـوة = مرتفـع من الأرض. ويتبادل الباء والراء، فنجد «ربا» الذي أدى إلى «ربوة» (= نبوة). والفعل : ربا، يربو = زاد، طال، ارتفع ـ كالفعل : نبا، ينبو = عظم، كبر. . إلخ.

وكـما دلت «ن ب» في المصرية على «رب» (نبـا = ربـا) بالمعنى المجـرد، نجدها في كلمة «ن ب و ت» n b w t بمعنى «جزيرة» ـ أي : مرتفع من الأرض (في الماء) = (نبوة).

أما قول زيدان إن العرب «أخذوا» عن أهل مصر كلمة «خبسو» وحولوها إلى «قبس» فلا دليل عليه. ولعل أهل مصر أخذوا «قبس» وحولوها إلى «خبس» ومنها «خبسو». وقرينة ذلك ما نلاحظه في لهجة أهل مصر الحديثة ؛ إذ هم يسمون وصلة الكهرباء «كُبْس». وأصلها من «قبس» (القابس) أي الذي «يقبس» تيار الكهرباء من سلكه الرئيسي إلى فروع ليستخدم في منافع الكهرباء. فلا

(108) يسميها (اللغة الهيروغليفية). وهذا خطأ ؛ فإن الهيروغليفية هي صورة الكتابة (من اليونانية حرفيا : النقش المقدس). أما اللغة فهي «المصرية» أو «المصرية القديمة».

(109) لاحظ كيف استعمل «اقتباسات» من «قبس» دون شعور !

عجب أن تبدل القاف خاءً عند المصريين القدماء كما أبدلت كافاً وضُمَّت عند المصريين المعاصرين.

خ پ ر kheper

> هذا هو الجُعَل المعبود الذي يشار إليه باعتباره رباً، وهو «الذي وُجد من نفسه». وقد حسب في القديم مظهراً من مظاهر الآله «أتم»، ثم سُوي بينه وبين «رع». ولهذا المعبود صلة قوية بفكرة البعث؛ إذ هو رمز له كما جاء في (كتاب الموتى): «لقد حومّتُ كما يحوم الآله الأول وصرت «خ پ ر». لقد نموت كما ينمو النبات. أنا نتاج كل معبود».

في المصرية «خ پ ر» ḫ p r - ورمزها الرئيسي في الهيروغليفية صورة «الجُعل». ويقدم «بدج» في معجمه لها معانٍ كثيرة منها:

«يكون، يوجَد، يكون له وجود، يعين، يبقى، يستمر، يأتي للوجود، يحدث، يصوغ، يشكّل، يصوّر، يخلق، يصنع، يوجِد، يتمثل في صورة شخص أو شيء ما، يحوّل نفسه»... إلخ. (Budge ; An Eg. Hieroglyplirc Dictionary, p. 542).

وقد ورد في (اللسان) عن الجُعل:

«**والجُعَل**: دابّة سوداء من دواب الأرض، قيل: هو أبو جَعران، بفتح الجيم، وجمعه: جِعْلان... وفي الحديث: كما يُدَهْدِهُ الجُعَل بأنفه. وهو حيوان معروف كالخنفساء... وأعظم الجِعْلان ذو رأس عريض ويداه ورأسه كالمآشير... ويقال للجعل: أبو وجزة، بلغة طيء... قالَت الأعراب: لنا لعبة يلعب بها الصبيان نسميها (جبَّى جُعَلُ) يضع الصبي رأسه على الأرض ثم ينقلب على الظهر».

«أبو وجزة» كما يعرفه عرب طيء هو ما يدعوه عرب ليبيا «بُودْرنَّة» (أبو درنّة) ولا شك في أن كلمة «دْرنَّة» ترجع إلى العربية «درن» الذي هو الوسخ والقذر، وهو ما يتعامل به الجعل كما نعرف. ولعل ارتباطه بفكرة البعث عند المصريين القدماء حتى صار رمزها جاء من كونه ينقل القذر، الميت عديم الحياة، يدفعه كرةً في حفرة ثم يبيض فيه، فيفقس البيض ليخرج فراخه، خروج الحياة من الموت. كما نلاحظ أن الجعل في دحرجته لكرة القذر التي **صاغها هو وشكلها** في شكل دائري (وهو أكمل الأشكال وأتمها حتى عند فلاسفة اليونان، ونرى أن من هنا جاءت صلته بالمعبود «تم» أو «أتم» الذي يعني «الكامل»/«التام») نلاحظ أنه يستخدم أرجله الخلفية في عمله ذاك دائماً، وفي هذا معنى **«الوراثية» أو «العودة» أو «الأولية»** - كما سيتضح بعد قليل. فلنأخذ مقارنتنا خطوة خطوة:

يرى الأستاذ «إمبير» Ember أن كلمة «خ پ ر» ḫ p r في المصرية ليست شيئاً سوى العربية «**خلف**»، أبدلت اللام راءً مما يحدث كثيراً جداً في المصرية لسقوط اللام فيها فكانت «**خرف**»، ثم قلبت فكانت «خفر» وكتبت «خ پ ر» - بالباء المهموسة لقربها من الفاء في مخرج الصوت. **ومن رأيه أن هذا راجع لصلة الكلمة بمعنى البعث وتعاقب الوجود أي : الخلف.**

وقد يكون هذا ممكناً، فإن من معاني «خ پ ر» : يوجد «وجود»، يصير (صيرورة)، يحدث (حدوث). كما أن من معانيها : يخلُق، يصور، يصيِّر، يحوِّل/صورة، هيئة، شكل، مراحل النمو/يمرِّر، يعاقب، يتعاقب، و. . . يخلق (أنظر : Gardiner ; Egyptian Grammar, p. 584) .

والجذر «خلف» في العربية يفيد : التشكّل، والتصوّر والتنوع، كما يفيد التعاقب. ففي القرآن الكريم : ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾. ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾. ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَاللهُ يَخْلُفُهُ﴾. ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾. ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾. ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾.

ثم هناك الآية الكريمة :

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي **جَاعِلٌ** فِي الْأَرْضِ **خَلِيفَةً**﴾. وهي الآية التي أثارت جدلاً حادًّا وانقساماً سياسيًّا ودينيًّا بين المسلمين على مدى عصور طويلة وحتى يومنا هذا. فقد يكون من معاني «**جاعل**» : «خالق» في الأرض خلقاً (= خليفة/خلف). وهنا نقارن المصرية «خ پ ر» (= خلف) مما قد يفتح باباً جديداً للاجتهاد وتفسير الآية على ضوء الدراسة اللغوية المقارنة للعربية والمصرية، أو غيرها من اللغات العروبية الأخرى.

ومن الواضح أن للجذر «**خلف**» صلة قوية بالجذر «**خلق**» بمعنى : صنع وصوَّر. (كلاهما من الجذر الثنائي : خل) - ولهما معانٍ كثيرة هي جماع ما تصوره المصريون القدماء في «أبي جعران» أعني الجُعَل.

هنا ينبغي التنبيه إلى الاسم العربي «**جُعَل**» - وجذره : «**جَعَلَ**». ومن معاني «جَعَلَ» الكثيرة القريب بعضها من بعض : «**جعله : صنعه، وجعله : صيّره، وجعل : عمل، وجعل الطين خزفاً : صيَّره إياه، وجعل : عمل وهيأ**». وهذه جملة الدلالات التي ترجمت إليها «خ پ ر» ḫ p r المصرية (قارن : بدج) التي تقابل العربية : خالفٌ (من : خَلَفَ) أي «الخالق» أو «**الجاعل**» (= الصانع، المصيِّر، العامل، المهيىء - أي مشكّل الهيئة، أعني الصورة والشكل - كما ورد في مدلولات «جعل»). وهذا ما يوصلنا إلى «جُعَل» في مختلف صوره وما اشتق من اسمه من دلالات ومعانٍ.

كل ما سبق نظرنا إليه متابعة لقول «إمبير» إن «خ پ ر» تقابل «**خلف**» عن طريق تعاقب الراء واللام لتصير «خ ف ل» وتقلب إلى «خ ل ف». بيد أن لدينا جذراً عربياً آخر يخالف رأي الأستاذ «امبير» ونراه أقرب إلى القصد وأوضح، وهو الجذر «**حفر**» الذي يقابل «خ پ ر» بتعاقب الحاء والخاء، والباء المهموسة والفاء، لقرب مخرج الصوت فيها.

نشير أولاً إلى أن من «حَفَرَ» الفعل المعروف بمعنى النقب، و«الحفرة» ـ وهما من فعل الجُعل ليدفن كرة القذر التي يدحرجها عادة لتستقر في «الحفرة». غير أن مادة «حفر» تؤدي إلى اشتقاق كلمة موحية ذات صلة وثيقة من حيث اللفظ والدلالة على الخلق وإعادته. بل إنها وردت في القرآن الكريم في موضع الرد على منكري البعث بالذات وهو الذي يمثل الجُعل رمزه الشهير في الديانة المصرية القديمة ـ أعني كلمة «**الحافرة**».

يقول القرآن الكريم في سورة (النازعات):

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ. تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ. قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ. أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ. يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ. أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً نَخِرَةً. قَالُوا تِلْكَ إِذَنْ كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ الآيات 6 ـ 12.

فما هي «**الحافرة**»؟

يقول (اللسان):

«الحافرة: **الخلقة الأولى**. وفي التنزيل (أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ) أي: في أول أمرنا. قال الفراء في قوله تعالى (في الْحَافِرَةِ) معناه: أئنا لمردودون إلى أمرنا **الأول أي الحياة**. وقيل: معنى قوله (أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ) أي: **في الخلق الأول بعدما نموت**».

ويستشهد ابن منظور بشعر ابن الأعرابي:

أحافرةٌ على صَلَعٍ وشَيْبٍ؟ * معاذ الله من سفهٍ وعارِ!

«يقول: أأرجع إلى **ما كنت عليه** في شبابي و**أمري الأول** بعدما شبت وصلعت؟».

ويضيف: «**الحافرة: العودة إلى الشيء حتى يرد آخره على أوله**. وفي الحديث: إن هذا الأمر لا يترك على حاله حتى **يُرَدَّ على حافرته**، أي: على أول تأسيسه».

وماذا كان «خ ب ر» يعني سوى رمز الخلق، أو إعادة الخلق، إعادة الحياة، إعادة الشيء حتى يرد آخره على أوله ـ أي: **البعث**؟

من كل ما تقدم نرى أن الجذر «حفر» هو «خ ب ر» لغةً ومضموناً. ولا يهم بعد ذلك أن يكون الأصل البعيد يرجع إلى حافر الدابة أو إلى الحفر في الأرض وما إليها مما يمكن تتبعه واستقصاؤه؛ فإن تطور الألفاظ من المحسوس إلى المجرد أمر مسلَّم به ولا يحتاج إلى نقاش. المهم أن اللغتين متطابقتان في هذا المجال تطابقهما في غيره من المجالات.

فإذا رام القارىء أن يستزيد شيئاً عن هذا الـ«خ ب ر» (أو: الحفر) العجيب، بمعنى «جُعَل» أو «جعران» أو «بودرنَّة»، فإن «معجم أكسفور الوجيز». The Concise Ox., Dict يقدمه لنا في اللغة الأنكليزية في صورة Chofer (= Kind of beetles). وهو انحدر إلى الأنكليزية المعاصرة من الأنكليزية القديمة Ceafor, Cefer. وهذه أخذتها عن السلافية القديمة Kever، عن الجرمانية العتيقة العليا Chevar، عن الجرمانية الغربية Kabhr و Kebhr.

أليست هذه الصور كلها هي ذاتها «خ ب ر» المصرية، «حفر» العربية؟

هذه واحدة. أما الأخرى فصيغة توجد في الأنكليزية بشكل مقطعي ـ Copro (ومثله التعبير المعـروف (Coprology) ومعناه : معالجة المسائل القذرة في الأدب). ويقول المعجـم المذكـور إن Copro في الأنكليزية جاءت من اليونـانية (Kepro(s ومعناها : روث، غائط، دمن، جَلَّة. وهي موجودة في المصطلح العلمي Coprolite والصفة منه (Coprolitic) ـ أي : روث الأحافير والروث الأحفوري.

والظن أن (Kopro(s (وجذرها KPR) التي عنت في اليونانية «الروث» أو «الغائط» كانت تعني «الجُعَـل» الـذي يتعامل مع القذر كما هو مشهور معروف. ونرجح كثيراً أنها منقولة عن المصرية «خ پ ر»/العـربية «حفر» كما حدث بالنسبة لكلمة Chafer المذكورة آنفاً. وهذا كله على سبيل تعاقب الحروف القريبة مخرج الصوت مع الاحتفاظ بالجذر الأصلي في جميع الأحوال.

هل رأيت إلى أين بلغ أثر هذا «الجعل» المدهش ؟

بيد أن أطرف ما في الموضوع ما يقرره معجم أكسفورد من أن ثمة قرابة محتملة بين ما قدمناه وبين الكلمة الويلزية Jowl بالمعنى ذاته. وهو لم يحد عن الصواب ؛ فإن هذه الكلمة بالذات تقابل العربية «**جُعل**»، أسقطت العين ـ بالطبع ـ وأبدلت واواً فكانت (**جُوْل = جُعَل**). ذلك كما أبدلت اللام راء في العربية ذاتها فتحولت «جُعل» إلى «**جُعر**» ثم نُوِّنت ومُدَّت، كما في عدد كبير من الأسماء، فكانت «**جُعران**» وأضيفت إليها «أبو» فصارت «أبو جَعران» (إذ غيِّرت حركة الجيم من الضم إلى الفتح، وهو تغيُّر يلاحظ في العربية كثيراً، ربما أوحت به هنا طبيعة الجعل المتغيرة المتعاقبة المتلاحقة في صور الخلق والبعث المنوعة، حسب المعتقد القديم !).

خ ت khet

لقبُ ثلاثة من ملوك الأسرتين التاسعة والعاشرة (أواخر الألف الثالثة ق.م) ـ وهو عهد تميز بسيادة الاقطاعيين. وهو كذلك لقب كبير حجَّاب الفرعون. أنظر :

(Budge ; The Dwellers on the Nile, An. Eg. Hier. Dictionnary, p. 921).

و«خ ت ى» (أو : ح ت) جزء من ألقاب ملوك الحثيين في النصوص المصرية (Gardiner ; Eg. of The Pharoahs, p. 263).

يورد الـدكتور محمد التونجي (عبقرية العرب. . . صفحة 17) رأياً حول الألفاظ الكثيرة المتشـابهـة بين اللغات تدل على صلة حتمية من نوع ما كانت موجودة بينها. ويقدم مجموعة من الألفاظ منها «خدا» - وهي فارسية تعني «الله» أو «الآله» - باعتبار «الله» صار تعبيراً إسلامياً محضاً بصرف النظر عن أصله اللغوي المعروف[110].

«خدا» في الفارسية هي «خُوْدَا» في الكردية. وهي في السغدية «خَدِيفي» Khadive، وفي البهلوية «خَوَتايَا» Khawataya، ثم تحولت في التركية إلى «خديو». ومن هنا جاء اللقب المشهور في تاريخ مصر الحـديث : «خـديو»، «خـديوى» (الخـديوى إسماعيل، الخديوى سعيد، الخديوى توفيق. . إلى آخر القائمة) ومعناها هنا : ملك، سلطان، مولى، سيد - ونحوها.

ويربط الـدكتور التونجي بين الفارسية «خدا» والأنكليزية god والألمانية gott [111] بمعنى «إله»، أو «الله»[112]. وفي هذاالربط كثير من الصواب، وما ينقصه هو العودة إلى الأصل البعيد في المصرية «خ ت» ḫ t ومكافئها العروبي الذي نأمل أن يتضح. فما معنى «خ ت» أولا ؟

الأصـل البعيد الأول لـ«خ ت» : خشب، شجـرة، غُصن، عصـا، عكـاز، صولجان. (معجم «بـدج» صفحة 566). وهناك ألفاظ أخرى كثيرة مشتقة من هذه المعاني التي يبدو أنها تطورت من معنى الخشب إلى دلالة القوة والملك والقهر والسلطان، حتى سمي بها فراعين الأسرتين التاسعة والعاشرة «خ ت ي» بمعنى «حاكم» (قارن : خديوى) - لامتلاكهم عصا الحاكم وصولجان السلطان (الياء في «خ ت ي» للنسبة).

ويبدو أن هذه الكلمة (خ ت) نفسها تطورت عن كلمة أخرى هي «خ ء» ḫ a التي تفيد أصلاً معنى «النبت» ثم دلت على الحكم والسلطة (معجم «بدج»، صفحة 526) وهي مقلوب «أ خ» a ḫ التي تدل على النبت وعلى القوة في الوقت نفسه (راجع هذه المادة في هذه الدراسة).

وعن «خ ت» يقـول «غـاردنـر» (Eg. Gr., p. 52) إنها من «الكلمات الأجنبية والأسماء ذات

---

(110) في (اللسان) في مادة (أله) : كان حقه «إلاه»، أدخلت الألف واللام تعريفاً فقيل : «الالاه»، وحذفت الهمزة فقيل «أللاه»، ثم أدغمت فكانت «الله». وقد سمت العرب الشمس لما عبدوها : إلاهة، أُلاهة. وفي مادة «ألـل» : الإلّ : الله عز وجـل. (وهـذا هو الاسم الـذي عرف به المعبود الأعظم عند العروبيين). والمعنى الأصلي : النُور (قارن : آل، لألاء، لؤلؤ، تلألأ، وغيرها) - ومادة «أله» تقدم معنى النور كما تقدمها مادة «هلل» (هـالـة = شمس). وفي كل الأديان كانت فكرة «النور» مسيطرة في تصور الآله الأعظم («رع» في المصرية، «زيو(س)» في اليونانية = ضو(ء)). «إل» عند البابليين. ولا يزال «الله» يدعى في النوبية حتى اليوم : «نور». (أنظر : محمد متولي بدر ؛ **اللغة النوبية**).

(111) الجرمانية العليا got والقوطية guth.

(112) في الأنكليزية إذا عني «الله» كتبت g كبيرة : God، و«إله» صغيرة : god.

الاشتقاق الغامض». وواضح أن الأستاذ «غاردنر» لم يهتم بمقارنة بسيطة بما هو معروف في اللغات العروبية، كما لم يهتم بالمقارنة السابقة التي عرضناها بما يسمى اللغات الآرية.

في الكنعانية تأتي كلمتان :

«خ ت» و«خ ت أ» ـ ومعناها : القاهر، الغالب. (فريحة ؛ ملاحم وأساطير. . . ص 618).

وهذا ما يماثل المصرية : «خ ت ي و» ḫ t y w (الغالب، السائد) وتأتي في تعبير مشهور : «خ ت ي و. ت ء و ي» ḫ t y w. t a w y (= سيد الأرضين/**خديوى الطيِّتين**). والياء والواو في آخر الكلمتين زائدتان لغويتان، والأصل «خ ت».

في الأكادية نجدها في صورة «خَطُّو» ḫaṭṭū بمعنى : عصا، صولجان الملك. وفي صورة «خَتُّو» ḫattu بمعنى : رعب، خوف، هلع ـ أي الرهبة من السلطان أو من العصا أو من السيف وصولجان الحكم. أنظر : (Arnolt ; A Concise Dictionnary...)

في الكنعانية، مرة أخرى، نقرأها «خ ط» (بالطاء) ومعناها : عصا، هراوة (فريحة ؛ ملاحم وأساطير. . . صفحة 620).

ونلاحظ أن الرمز الهيروغليفي الذي يدل على هذه الكلمة «خ ت» حيناً ويدخل في اشتقاقاتها حيناً آخر، عبارة عن غصن شجرة (ـــ) وهو الذي يدعى «خِ ت» بمعنى : خشب/شجرة («غاردنر» Eg. Gr., p. 479).

وهنا تتطابق المصرية والكنعانية والأكادية في دلالة «خ ت/خ ط» على ما يتخذ من الشجر من عِصي وهراوات ونحوها، والدلالة في الوقت نفسه على السلطان، وعلاقة هذه بذاك واضحة دون ريب ـ خاصة في العصور الأولى حين كان المُلْك لأكبر الناس هراوةً وأصلبهم عصاً وأقساهم عوداً. والانتقال من الحسي إلى المعنوي واضح في هذا المجال.

فأين العربية ؟

مهلاً. لم يحن الوقت بعد. فهل ننسى تتبع هذه الكلمة قبل الفصل ؟

لقد عرفت في الحبشية، والحبشية لغة عروبية كما تعرف. ففي كتابه (**في علم اللغة التاريخي**) يتحدث الدكتور البدراوي زهران عن كلمة «حَطِي»، وأورد نص المقريزي في مؤلفه (السلوك في معرفة دول الملوك) الذي يقول فيه :

«وقدم كتاب متملِّك الحبشة وهي (كذا ـ والمفروض : وهو) **الحِطَّى** (لعل المقصود : الحِطِّي) يعني الخليفة، يخاطب السلطان». وكذا نص ابن أبي الفضل في كتابه (النهج السديد) حيث يقول :

«وصاحب بلاد الحبشة هذا يسمى **حطى**، يعني الخليفة، **وكل من يملكها يلقب بهذا اللقب**».

ويضيف الـدكتـور زهران أن كلمة «الحطى» لقب صاحب بلاد «أمحرا» (أمهرا) أكبر بلاد الحبشة، وصاحبها يحكم أكثر الحبشة. (المصدر المذكور، صفحة 191).

وتعليقنا أن استعمال كلمة «**حطّى**» بمعنى «**ملك**»، أو كما عبر المقريزي وابن أبي الفضل «**خليفـة**» في عصر متـأخر نسبيًّا (عصر الحروب الصليبية) يطابق تمام المطابقة استعمالها في صور متقاربة في بقية اللغات العروبية بالمعنى ذاته، سواء كانت «**خ ت**» أو «**خ ط**» وما إليها.

العجيب أن هذه الكلمة لا تزال مستعملة في مصر حتى يومنا هذا، ولا نستبعد أن تكون باقية من عصر الأسرتين التاسعة والعاشرة. . أعني كلمة «**خُط**».

و«**الخُط**» يقصد به ذلك الخارج على القانون، المعتصم بالجبل غالباً في بلاد الصعيد، يثير الخـوف ويفـرض الاتـاوة ويدوخ الشرطـة. وهو في العادة «**زعيم**» عصابة و «**رئيس**» جماعة من المتمردين، صاحب جولة وصولة. . ضد الدولة. فهو «**أمير**» زمرته وصاحب الكلمة فيهم. . فهو «**الخُط**» أو «**الخت**» - «**خديوى**» الجبل في الصعيد الجواني !

بعد هذا نأتي إلى المكافىء العربي. ولدينا هنا جذران هما «**خت**» (ختت) و«**خط**» (خطط). فلننظر فيهما.

في مادة «**ختت**» في (اللسان) ورد :

«أختَّ الرجل فهو مُخِتٌّ : إذا انكسر.

الـمُخِتُّ : المنكسر. ورجل مُخِتٌّ : خاضع.

والمختتى : نحو **المخت** : المتصاغر».

وقد يبدو هذا القول بعيداً ؛ إذ أن مادة «ختت» (خت) تفيد الضعف والخضوع والصغار وهي ضد السلطة والسؤدد. ولكن لينتبه القارىء إلى دخول الهمزة على «خت» فصارت منها «أختَّ» ومنها اشتق «المخِتّ» و«المختتي» (وقد تكون : المُخَتّ والمُخْتَتَى - نائب فاعل). ونستطيع أن نفهم معنى الاخضاع، وليس الخضوع فقط، والاضعاف وليس الضعف فحسب، في الذي وقع عليه «الختّ» (أي الغلبة والقهر) فأُختَّ فهو مُخَتٌّ ومُختٌّ، مثل خاضع ومخضع - تماماً كما يصرَّف الجذر «قهر» مثلاً : قاهر، مقهور. وغلب : غالب، مغلوب. ومعنى القهر والغلبة في التصريفين معاً كما هو في «المخت» و«المختتى» - والمصدر «**خت**» أي القوة والغلبة.

كذلك نعرف في العربية أن بعض الجذور يفيد معانٍ متضادة، والناتج ما يعرف بالأضداد. وهنـاك مثل قريب ؛ فالجذر «**سخت**» يقدم معنى القوة والبطش (قارن المصرية : «**س خ ت**») ولكنه يعطي معنى الضعف كذلك فإن «السخيت»[113] هو «الضعيف المهزول». والجذر «أدم»

---

(113) ليس من المستبعد صلة «**سخت**» العربية بالمصرية «**خ ت**» التي تتحول بسين التعدية إلى «س خ ت». وفي معجم «**بدج**» (صفحة 694) :

«س. خ ت ى» s. ḫ t y : ردَّ، دفع.

«س. خ ت خ ت» s. ḫ t ḫ t (مضاعف) : ردَّ على عقبيه، صدَّ.

=

يعني السواد والبياض معاً، وكذلك «جون».

ولماذا نبعد ؟

إن المصرية ذاتها تقدم لنا مثالاً واضحاً في هذه المادة «خ ت» التي ندرسها. فإلى جانب ما ذكرناه من معاني القوة والسلطة نجد كلمة «خ ت و» ḫ t w ومعناها : حقراء، أدنياء. وهذه بصيغة الجمع، والمفرد «خ ت» = دنيء، صغير. (معجم «فولكنر»، صفحة 198).
ومقابلها العربي الفصيح : «**ختيث**» (= خسيس). ومن هنا جاء التعبير المصري القديم : «**خ ت ت. پ ر**» ḫ tt. p r (خادم البيت/عبد الدار = **ختيت البيت**).

هل رأيت كيف تتقابل اللغتان العربية والمصرية حتى في أسماء الأضداد ؟

فلنترك «الختيت» بمعنى الضعيف أو المستضعف ولنعد إلى الجذر «خ ت» بمعنى القوة والسلطان من جديد.

نلاحظ أن هذا الجذر يفيد القوة أيًا كانت ـ وأهمها في القديم الضرب بالعصا والقتال حتى بأغصان الشجر (قارن «الفلقة» في عصرنا هذا، و«درة» ابن الخطاب، أي هراوته، كما لَكَ أن تقارن عصا موسى.. إن شئت). ثم تطورت العصي إلى الطعن بالرماح الأسيلة[114]. ونعود إلى معانٍ أخرى للمصرية «خ ت» فنجد أنها تعني كذلك : «حربة» (harpoon) (تقرأ أيضا نفس الكلمة : «دع» dᶜ وعربيتها : **دَعٌّ**[115] = دفع. كما تقرأ «دِع ر» dᶜr وعربيتها : **ذعر** = خاف/ذعَّر = أخاف). («غاردنر» Eg. Gr., p. 479) ـ أو الطعن بالحربة (to spear . نفس المصدر) أو بمعنى «ضرب» (معجم «بدج»، صفحة 902).

وفي العربية نجد في مادة «ختت» :

«الخَتُّ : الطعن بالرماح مداركاً» ـ أي متوالياً بدون هوادة، وهذا هو «خ ت» في المصرية التي هي نفسها «دع» (= دعٌّ ـ العربية).

فهل ننسى أننا قابلنا «خ ت» المصرية بالكنعانية «خ ط» بتعاقب التاء والطاء وهما كثيراً ما تفعلان ؟

إن «خ ط» الكنعانية، ومعناها كما سبق : عصا، هراوة، قضيب... إلخ ـ تذكرنا بكلمة عربية مشهورة بمعنى «رمح». وقد يكون المعنى الأصلي متطابقاً مع ما في الكنعانية، فإن الرماح الحديدية كانت أساساً مجرد عصيٍّ وهراوات وقضبان شجر وأغصان، قبل أن تتطور على يد الانسان

= «س. خ ت» s. ḫ t : قَلَبَ، رأساً على عقب (= أخضع).
«س. خ ت» s. ḫt : سقط، أسقط.
وكل هذه الاشتقاقات تتصل بالغلبة والقهر من جانب، والضعف من الجانب الآخر.

(114) أسيلة ـ من «الأسل». وهو شجر صلب العود تتخذ منه الرماح.

(115) في القرآن الكريم : ﴿فذلك الذي يدُعُّ اليتيم﴾ (الماعون، 2). أي : يدفع.
﴿يوم يُدعُّون إلى نار جهنَّم دعًّا﴾ (الطور، 13). أي : يُدفعون دفعاً.

سلاحاً من حديد (قارن : الرماح «الأسيلة» من «الأسل» ـ وهو شجر). تلك الكلمة الشهيرة هي «**خطِّيٌّ**».

وفي مادة «**خطط**» (ثنائيها «**خط**») يقدم ابن منظور تعريفاً مفصلاً عن «الخطي» الذي هو الرمح، وينسبه إلى «**خط**» عمان أو «سِيف البحرين أو عمان» . . . وكل سِيف خط، ولكن «الخط»، معرَّفاً، مرفأ للسفن بالبحرين تنسب إليه الرماح «الخطية». بيد أن ما يلفت النظر هو قوله : «وليس **الخطي** الذي هو الرماح من **نبات** أرض العرب. وقد كثر مجيئه في أشعارها. قال الشاعر في **نباته** :

وهل ينبت الخطيُّ إلا وشيجَهُ * وتغرس إلا في منابتها النخل ؟

والخَطي ـ بالفتح : الرمح المنسوب إلى الخَط. الجوهري : **الخط** موضع باليمامة، وهو خط هجر تنسب إليه الرماح الخطية، لأنها تحمل من بلاد الهند فتقوم به».

وليس من العدل أن نثقل على القارىء بتتبع التفاصيل والجزئيات، على أهميتها، ويمكنه أن يتتبعها بنفسه إن رغب. لكن لابد من إبداء بعض الملاحظات على هذا النص :

(1) اختُلف في أصل نسبة «الخطي» إلى عمان أو البحرين أو اليمامة أو هجر. وقيل إنه يأتي أصلاً من الهند، وهذا مقبول باعتبار أن «الخطي» ليس من نبات بلاد العرب.

(2) نرى بوضوح أن «الخطي» ـ رغم الاختلاف في نسبته ـ متَّفقٌ على كونه **نباتاً**، أي شجراً، في أساسه، ثم أطلق على الرمح حين صار من حديد.

(3) **ألا يلاحظ القارىء الصلة الوثيقة جداً بين هذا «الخطي» وبين ما مضى من معاني الشجر والقضبان والأغصان والهراوات وما إليها بسبيل**، وهي كلها في المصرية «**خ ت**» تقابل الكنعانية «**خ ط**» والعربية «**خطي**» ؟ والأخيرة ـ كما نلاحظ ـ مزيدة ياء النسبة، كما في المصرية «**خ ت ي**» ḫ t y التي أطلقت لقباً للفراعين وحجَّابهم، باختلاف العهود، وهي ذاتها «**حطّى**» (بالحاء) في الحبشية (خليفة/ملك). أي : صاحب «الخط» (خ ت) = صاحب العصا، ذو الصولجان (عصا الحكم) ـ على النسبة.

رحلة طويلة لهذه الـ«خ ت». في مصر، وعند الحثيين[116]، وفي الحبشة، وأرض كنعان، وبلاد العرب، وفي بابل وفي فارس وعند الأتراك، تصرفت بها الأيام ما بين «خ ت»، «خ ط»، «خطّو»، «ختّو»، «خطّي»، «حطّى» ـ حتى كانت «الخطّ» زعيم العصابة في الصعيد. كانت أيضاً

---

(116) هل هناك صلة بين «حث» و«خ ت» ؟ هذا جائز. نحن نعرفهم باسم «الحثيين» من الانكليزية Hittites ولكنهم في «التوراة» = يعرفون باسم «بني حث». هل كان «حث» هذا هو «خ ت ى» أي «الحاكم »؟ (وقارن بقية أشكال الكلمة فيما سبق). من هو «حث» هذا ؟ اسم ؟ لقب ؟ كما نقول «فراعنة» أو «فرعونيون» ونقصد أهل مصر الأقدمين والأصل «فرعون» (پّ ر. ع ء = البيت العالي) ولم يكن أهل مصر جميعاً «فراعنة» (بيوتاً عالية) ؟ هذا ممكن. والأمر يحتاج إلى مزيد من البحث على كل حال.

«خودا»، «خواتايا»، «خديث»، «خديو»، «خديوي». كما كانت god, gott, got, goth أخيرا في الأنكليزية[117] ـ بمعنى: إلَه = حاكم، رب، سيد.. إلخ.

خ ز ر hetcher

اعتبر المصريون القدماء الخنزير حيواناً قذراً ورجساً ومنكراً فظيعاً، وهو ما حدث في اليهودية والاسلام. وقد ربطوا بينه وبين إلَه الشر «ست» ويقول (كتاب الموتى) إن «ست» هجم على «حورس» متنكراً في شكل خنزير أسود، فجرح عينه، أو في رواية أخرى: التهمها. وفي رسم بمعبد «إدفو» نرى «حورس» يطارد «ست» في صورة خنزير. كما ربطوا بينه وبين القمر؛ فكان يذبح ليلة تمام القمر بدراً، فيقدَّم قرباناً لـ«إيزيس» و«أوزيريس» ربي القمر. وتحكي أسطورة كيف أن «نت» ربة السماء اتخذت هيئة خنزير والتهمت أبناءها النجوم، ولكنهم كانوا يولدون كل ليلة من هذه الخنزيرة السماوية. وصارت هي وأبناؤها تعويذة منتشرة عند قدماء المصريين باعتبارها رمزاً للخصوبة الأمومية ورمز الحياة المتجددة.

يجعل «مارسيل كوهن» (Essai Comparatif, p. 107) كلمة «ح ج ر» ḫ ğ r المصرية (التي تترجم عادة: ضبع) مقابلة للأكادية «خُمْصِيرُو» ḫumsīru والآرامية «حَازِيْر» ḥāzīr والكنعانية «خ ز ر» والعربية «خنزير».

ونحن نصوب رأي «كوهن» هذا ونشير إلى أن قدماء المصريين لم يفرقوا كثيراً بين عدد من

---

(117) تطورت الأنكليزية god كما ذكرنا من الجرمانية العليا got والقوطية guth، وهي في الألمانية الحديثة gott وفي السويدية gud.

ونجرؤ على القول بأن هذه الكلمة وردت في القرآن الكريم في صورة «جَدّ» (gadd un ـ الجيم كانت أصلاً تنطق جيماً قاهرية ga): «وَإِنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَداً» (الجن/3). قال في (اللسان):

«الجَدُّ: العظمة. وفي التنزيل العزيز: (وَإِنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا) ـ قيل: جَدُّه: عظمته. وقيل: غناه. وقال مجاهد: جد ربنا: جلال ربنا. وقال بعضهم: عظمة ربنا. وهما قريبان من السواء... وفي حديث الدعاء: تبارك اسمك وتعالى جَدُّك، أي: علا جلالك وعظمتك... وخص بعضهم بالجَدِّ عظمة الله عز وجل... وجَدَّ فلان: عظم».

الجَدُّ إذن: العظمة والغنى والجلال ـ خصت الله سبحانه بحكم التطور. وما من ريب في أن (god) المتطورة عن (got) (وهناك صور أخرى تتبادل فيها الحروف المتقاربة) تعني أساساً العظمة. وهذا معنى «خ ت/خ ط» بالضبط. (لاحظ أن خ = ح، ج. وأن: ت = ط، د/عن طريق التعاقب).

ملاحظة أخيرة: سمي «الجَدّ» (والد الوالد) ـ في رأينا ـ كذلك من باب الاحترام والتوقير والتعظيم والإجلال.

الحيوانات، البرية خاصة، كما حدث بالنسبة للكلب والذئب وابن اوى والثعلب. كما نشير إلى أن اسماً ما قد يكون يدل على حيوان معيّن في مكان، أو في زمان، ما، بينما يطلق على حيوان آخر في مكان وزمان غيرهما.

في العربية نقرأ في مادة (خزر) :

«**الخنزير** من الوحش العاديّ.

وقال كراع : هو من الخزر، بالعين، لأن ذلك لازم له. قال : فهو على ذلك ثلاثي».

وهذا يعني أن «خنزير» جاءت من «خزر» وهو ما يقابل المصرية «ح ج ر» بتعاقب الحاء والخاء والزاي والجيم، قريبة مخرج الصوت[118].

خ ن س و Khensu

معنى اسم هذا المعبود الطّيبي (نسبة إلى مدينة طيبة) : الرحّال. وهو يشير إلى رحلته في السماء ؛ إذ كان «خنس» ربًّا للقمر، وكان يصوَّر شابًّا في شكل مومياء بقدمين مربوطتين يحمل على رأسه قرص القمر أو الهلال. وإذ هو طفل مقدس (أبوه «أمون» وأمه «مت») فقد وُصِل «خنس» بولدين مقدسين آخرين هما «شو» الذي كان يمسك بالسماء، و«حورس»، ومن الأخير أخذ رمز السلطة ؛ المحجن ومدقة الحنطة. وإشارة إلى صقر الرب «حورس» كان لـ«خنس» غالباً رأس صقر، وتحوَّل قرص القمر الذي يعلو الهلال إلى قرص الشمس. وهو يدعى عند اليونان (Chespisichis).

يقول «غاردنر» (Eg. Gr., p. 584) إن «خ ن س» ḫ n s في المصرية تعني : يسافر، يرحل، يعبر. و«خ ن س و» هو رب القمر في الكرنك.

وقد ورد في القرآن الكريم : ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ، الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ (التكوير : 15، 16).

في (لسان العرب) :

«**الكواكب الخُنَّس** : الدرارى الخمسة تخنس في مجراها وترجع وتكنس كما تكـ وهي : زحل والمشترى والزهرة وعطارد، لأنها تخنس أحيانا في مجراها حتى تـ الشمس، وتكنس أي تستتر كما تكنس الظباء في المغار، وهي الكناس. وخنوسه

---

(118) في معجم بدج (ص 524) نجده ينقحرها ḫetcher، والحروف t c h تنطق صوتاً يشبه «تش حرف الزاي، ويقول إن الكلمة تعني حيواناً ما قد يكون النمس (Ichneomon) ويضع أمامها إش

بالنهار بينما نراها في آخر البرج كرت **راجعة** إلى أوله. ويقال: سميت خُنَّساً لأنها الكواكب **المتحيرة** التي ترجع وتستقيم. ويقال: هي **الكواكب السيَّارة منها دون الثابتة**».

«قال الزجاج: الكُنَّس: النجوم التي تطلع **جاريةً**، وكنوسها: أن تغيب في مغاربها التي تغيب فيها... وقال الفرّاء في الخنس والكنس: هي النجوم الخمسة تخنس في **مجراها** وترجع... وقال الليث: هي النجوم التي تَسْتتِرُ في مجاريها **فتجرى** وتكنس في محاويها فيتحوَّى لكل نجم حويٌّ يقف فيه ويستدير ثم **ينصرف** راجعاً... الكنس: الكواكب... وقيل: هي **الخنس السّيارة**. وفي الحديث أنه كان يقرأ في الصلاة بالجواري الكنس. الجواري: الكواكب».

نقلت هذا النص الطويل نسبيًا عن ابن منظور عمداً حتى يتبين معنى «**الخنَّس**» و«**الكنَّس**». ومن الواضح، رغم الاختلاف بين الأقوال، أن «الخُنَّس» (بالخاء) هي الكواكب السيارة التي عرفها القرآن الكريم بأنها «الجوار الكنَّس» أي تلك التي تجري في قبة السماء ثم «تكنس» أي تختفي فترة لتعُود من جديد مسارها الأول. هذه «الجواري» (من: جَرَى) هي التي تسافر وترحل وتعبر وتغيب وترجع مرة أخرى، وهذا هو معنى «**خ ن س**» في المصرية كما سبق بيانه. وليس غريباً - بل طبيعي جداً - أن يُسمَّى رب القمر (أو القمر ذاته) «**خ ن س و**» **أي «الخانسُ»**؛ فهو إما المسافر **أبداً**[119] ليلاً في السماء يطلع ويغيب ويطلع من جديد، أو «الخانس» بمعنى الذي يخفى نهاراً أو يخفى آخر الشهر القمري. وفي جميع الأحوال لا تخرج «خنس» المصرية عن «خنس» العربية لفظاً ومعنىً.

متابعة:

يذكر جرجي زيدان (تاريخ اللغة العربية، ص 50) أننا إذا قابلنا كلمة «شهر» في العربية مع أخواتها رأينا الأصل فيه الدلالة على الاستدارة ثم سَمُّوا القمر به لأنه مستدير، ثم أطلقوه على الشهر لأنهم كانوا يوقتون بالقمر، وهو في السريانية «سهرا» تدل عندهم على الشهر والقمر. وغاب عن جرجي زيدان الجذر في العربية: «سَهَرَ» أي ظل الليل لم ينم، وهي ذاتها «سَمَرَ» بتعاقب الهاء والميم، أي ظل يقظاً حارساً. وفي ظننا أن هاتين تقابلان المصرية «س پ ر» spr بتعاقب الباء المهموسة مع الميم كما تعاقبت هذه مع الهاء في «سمر» و«سهر» - ومعناها في المصرية: قمر. وهي قريبة من مادة «سَفَرَ» العربية التي تؤدي إلى: سافر، سفر، مسافر. فنرجع إلى نفس معنى «خ ن س» (خَنَسَ - العربية) أي: الرحّال، المسافر. وكل لفظ يجر أخاه إلى جانبه كما نرى في أمثلتنا هذه.

يذكر زيدان كذلك (نفس المرجع والصفحة) أن للقمر في العبرانية لفظاً مشتقاً من مادة أخرى هي (يرح) والأصل في معناها «الدوران» فاشتقوا منها «يارح» للدلالة على القمر والشهر، ومن هذه المادة في العربية «رواح» أي العشي، فكانوا يقولون: راح فلان، أي جاء أو ذهب في العشي بغير تقييد بالذهاب أو المجيء مثل قولهم: أصبح وأمسى. ثم غلبت فيها الدلالة على الذهاب في

(119) يسمى القمر أيضاً في المصرية «أ بـ د» a b d كما يسمى «الشهر» كذلك «أ ب د». قارن العربية: أبد = زمن متطاول، شهر = هلال، وحدة من الزمن.

العشي، ثم صارت للدلالة على مطلق الذهاب. ويضيف زيدان :

«ومن بقايا (يرح) في العربية مادة أشكل على أئمة اللغة معرفة أصلها، فعدّها بعضهم فارسية وعدّها آخرون يونانية، واكتفى غيرهم بأنها غير عربية (كذا !) وهي في الحقيقة (سامية) الأصل نعني بها لفظ : «آراخ» أو «ورخ» أو «أرخ» بمعنى «وقت». والأظهر عندنا أنها من بقايا اسم الشهر عندهم «يرح» - والابدال بين الخاء والحاء هين - ومنه «التاريخ» = تعريف الوقت، ثم تنوّع معنى هذه اللفظة فصاروا يدلون بها على علم التاريخ، أي ذكر الوقائع والأحداث». (انتهى نص زيدان).

وأئمة اللغة، كما هو جرجي زيدان، معذورون في هذه الحيرة[120] ؛ إذ لم يعرفوا أن ما جاء في ما يسمّونه «السامية» بصيغ : يرح، آراخ، ورخ، أرخ، وغيرها، بالحاء المهملة وبالخاء المعجمة، هي في المصرية بصيغ : «إح» i ḥ ، «إ أ ح» i a ḥ ، ونحوها بمعنى «قمر» (أنظر : «غاردنر» Eg. Gr. و : «بدج» An Eg. Hier. Dict.) ومن الجلي أن الراء سقطت في الأولى وأنها أبدلت همزة في الثانية[121]، تماماً كما وقع الابدال بين الخاء والحاء في «أرح» و«أرخ» حسبما قرره زيدان. وتدليلاً على عروبتها نذكر أنها في السبئية «ورخ» (بالواو - مما يبين كثرة الابدال الذي وقع على هذه الكلمة الدوّارة الحائرة !) وتعني : شهر، كما تعني : قمر. (Biella ; Dictionnary of old South Arabic, p. 149)

ومن هنا أجاز ابن منظور أن نقول : **أَرَّخَ**، كما نقول : **وَرَّخَ**. **والتأريخ هو التوريخ**. وهي في الأكادية : «**أرخو**» arḫu (Weir ; p. 32).

فإذا كانت وردت في السبئية (العربية الجنوبية) وفي العربية الفصحى بالخاء فإن ظننا أنها أصلاً على الأرجح بالحاء، والأصل - كما قال زيدان - في دلالتها الدوران، الذي هو من شأن القمر - أعني الدوران في الفلك وليس من الاستدارة شكلاً كما ذهب. والدليل على ذلك أن مادة «و ر ح» هي مقلوب «ح و ر» (بمعنى : دار) وهي ذاتها «ح ي ر» ومنها الـحَيْرة (الدوران دون تحديد هدف) والحِيرة - بكسر الحاء (ما حيط من المنازل والبيوت، وسميت «الحيرة» كذلك لهذا). ومقلوب «حير» هو «**حري**». فلنقرأ هذا النص من ابن منظور في هذه المادة الأخيرة. . قال :

«**الحري** : النقصان بعد الزيادة. يقال : إنه يحرى كما **يحرى القمر حرياً** ينقص الأول منه فالأول، وأنشد شمر :

مازال مجنوناً على است الدهر * في بدنٍ ينمو وعقل **يحري**

. . . والـحَرَا : **الكِناس**. التهذيب : الـحَرَا : كل موضع لظبي يأوي إليه. »

---

(120) الحيرة : التردُّد قداماً وخلفاً، عدم القطع في الأمر، الدوران حول المسألة دون جزم فيها، وهي من مادة «حير» ذات الصلة بمادة «حور» = دار، ومشتقاتها. وهي مقلوب «روح».

(121) تبدل الراء عيناً في كلمات كثيرة منها مثلاً «ع خ م» (صقر. العربية : رخم). أنظر : Ember, 5. G. 1 وورد في (اللسان) : «**الرخمة** طائر أصقع على شكل النسر خلقة إلا أنه مبقع بسواد وبياض». مادة : رخم.

ومن المهم الانتباه هنا إلى ارتباط الحري بـ«القمر» الذي «يحرى حرياً» وإن دل على النقصان بعد الزيادة، نقصان «دائرة» القمر ونقصان «دورته» كذلك بعد منتصف الشهر، كما أن المهم الالتفات إلى «الـحَرَا» بمعنى «الكناس» فإن هذا يعيدنا إلى «الخنَّس الجواري الكنَّس» من جديد ويبرهن على الصلات القوية بين اللغتين العربية والمصرية في الألفاظ التي أوردنا من قبل. فقد رأينا أن المصرية «خ ن س و» تقابلها العربية «خنس/ خانس» وهو اسم رب القمر المعبود، وأن المصرية i h أو i a h هي العربية «أرح/ أرخ» وأخيراً وجدنا العربية «حري» متصلة بالقمر، ومنها «الحرا» التي عرفنا أنها «الكناس»، و«الكنس» و«الخنس» شيء واحد في بعض أوجه الدلالة، من ذلك مثلاً: «الـوَسْوَاس الخنَّاس» - الذي يعني عند أغلب المفسرين الشيطان الخفي، أو المختفي، يوسوس للانسان ليظهر عند استجابة بعض البشر لوسوسته - فأنت ترى أن الدلالات وإن تباعدت ظاهراً ذات صلة بعضهـا ببعض عند تتبعها. ولا عليك بعد ذلك من تحوُّل اسم المعبود «الخانس» أو «الخنَّاس» (خ ن س و) في لسان الإغريق إلى «خسبسيخس» (chespisichis)! فهذا مثل من أمثلة تحريف اللغة العروبية عند اليونان ومن جاء بعدهم من الأوربيين.

خ ن م Khnem

عبد هذا الرب في صورة كبش في الفترة المبكرة من المملكة الحديثة، وكان يصوَّر آنذاك رجلاً ذا رأس كبش، وكان يعتبر حارس منابع النيل يأتي بالفيضانات، ولكن وظيفته الأهم كانت الخلق؛ إذ كان يصوغ جسد الوليد على عجلة فخاري ويزرعه بذرة في رحم الأم، وهو خلق الآلهة بهذه الطريقة. كان يسمَّى «أبا الآباء» و«أم الأمهـات». وفي (إسنـا) بجنـوب مصر كان «خنم» خالق كل الكائنات، بل كان في الواقع تجسيداً للوجود كله. وفيه اتحد «رع» (الشمس) و«شـو» (الجـو) و«أوزيـريس» (العالم السفلي) و«جب» (الأرض) - وهذا ما يفسر تصويره بأربعة رؤوس. وقد يعني اسم هذا المعبـود (الكبش). وفي العصـور التـاريخية صورت رؤوس كباش متنوعة جمعت إلى حد بعيد بعضها إلى بعض.

يرجع كثير من الباحثين (مثل «كوهن» و«إمبير») اسم المعبود «خنم» إلى العربية «حَمَل» على سبيل الإبدال بين الخاء والحاء، والنون والميم، والميم واللام (خ ن م = ح م ل). ولكن العثور على الكلمة العربية المقابلة لاسم هذا المعبود الشهير لا تستوجب كبير عناء؛ إذ هو ليس سوى «غنم» - أبدلت الغين خاءً لقرب مخرج الصوتين.

يقول (اللسان) في مادة «غنم»:

«الغنم : الشاء (جمع شاة) لا واحد له من لفظة . . . والجمع : أغنام وغنوم . . . وقد تجمع على : أغانم . »

وعجيب أن يقرر ابن منظور أن «الغنم» لا واحد له من لفظه ؛ فإننا يمكننا أن نقول «غنمة» - كما يفعل عرب الشام اليوم - إذ هي واحدة من اسم جنس، كما نقول : بقر، بقرة. شجر، شجرة. زهر، زهرة. زيتون، زيتونة . . إلخ . وقد اتخذ من «غنم» أسماء عربية منها : بنو غنْم - قبيلة من تغلب، وهو غنم بن تغلب بن وائل. ويغنم : أبو بطن. وغنّام وغانم وغنيم : أسماء. وغنامة : اسم امرأة (قارن : غنمة). وحتى كلمة «الغُنم» بمعنى الربح والفوز - في مقابل «الغُرم» أي الخسران - ترجع في الأساس إلى «غنم»، وكذلك «الغنيمة» و«المغنم» ؛ إذ تعُود أصلاً إلى وفرة الخير. . كثرة الشاء والغنم . وللأستاذ عبد الحق فاضل في كتابه (مغامرات لغوية) بحث لطيف حول ما اشتق من الجذر «غنم» من معانٍ ودلالات تحت عنوان : «التطور الحي في اللغة العربية . . آثار حيوانية في اللغة» فليرجع إليه من أحب أن «يغنم» فوائد جمة !

د ب 𓂧𓃀𓏏𓃯 ṭeb

منذ المملكة القديمة كان يُحتفل في مهرجان كبير في الدلتا بذبح «فرس النهر» (hippopotamus) كل عام، يذبحه الفرعون (ممثل «حورس») نفسه رمزاً لقتل «حورس» إله الشر «ست» المتّخذ شكل هذا الحيوان. وهناك تصاوير كثيرة من عصر المملكة الحديثة تظهر «حورس» وهو يقتل إله الشر ممثلاً في فرس النهر، برمح . ولكن هذا الحيوان قد يظهر في صور حسنة أحياناً كثيرة. وكان يعتبر رمزاً لخصوبة الأنثى التي ظهرت في الربة الحامية «ت ء . ورت» Ta-wrt . وثمة رسوم جميلة لمنظر صيد فرس النهر في عصر المملكة الوسطى.

في المصرية يسمى فرس النهر «دب» d b . ولا حاجة للشرح والتطويل في هذا الاسم فهو واضح بذاته ؛ فهو من «دبَّ، يدبُّ، دباً، دبيباً» . ومنه : الدوابّ جمع «دابة»، وتطلق على كل حيوان. ثم خصصت ضخام الحيوان، فكان «الدُّبُّ» - ضرب من السباع، ويجمع على : دباب ودببة، والأنثى : دبة. وأرض مدبَّة : كثيرة الدببة. وإذا كانت «الدُّب» تدل على الحيوان المعروف الذي يسكن الأبيضُ منه في القطب الشمالي ويوجد ضرب منه في غابات الهند، فإن في المصرية تعني «دب» d b : فرس النهر، كما تعني : الخنزير (معجم «بدج» صفحة 873) - وهذا كله من «الدبيب» (دابَّة). وقد تنوعت الدلالة. ولم لا ؟ ألا نطلق نحن الآن كلمة «دبَّابة» على الآلة الحربية فينصرف الذهن إلى ضخامتها وليس إلى دبيبها على الأرض ؟

يدلل على معنى الضخامة أن أنثى فرس النهر تدعى في المصرية «**ت ء. ورت**» Ta-wrt ومعناها الحرفي : «الحمأة (قطعة الطين) الضخمة». ونحللها كما يلي :

(1) «**ت ء**» **Ta** : أرض، طين.

في العربية : **طاءة، طآة، طأثة، ثطأة، ثأط** : الحمأة، أو الطين حمأةً كان أو غير ذلك. أنظر هذه المواد في مواطنها من (اللسان). «قال أمية يذكر حمامة نوح :

فجاءت بعدما ركضت بقطفٍ * عليه **الثأط والطين الكبار**»

(2) «**ورت**» **wrt** : مؤنث «ور» wr (أنظر هذه المادة في هذه الدراسة) = عظيمة (وَريَّة).

فلقب أنثى فرس النهر «**ت ء. ورت**» (الحمأة العظيمة) تكافىء بالضبط : «**الثأطة الوريَّة**» أو «**الطية الوارية**».

ولعمري لقد وُفِّق قدماء المصريين في هذا اللقب الذي أطلقوه عليها أيما توفيق، فما هي في الواقع حجماً ولوناً سوى قطعة ضخمة (**وريَّة**) من الطين الأسود أو الحمأة (**طأثة**)تدب على ضفة النيل ثم تعود لتغطس من جديد في الماء أو تطفو على وجهه مثل كتلة الحمأ السوداء.

من جهة أخرى أورد (اللسان) :

«**الطأثة** : دويبة (دابة/دبة) لم يحكها غير صاحب (العين)[122]». فإذا كان هذا فإن لقب أنثى فرس النهر «**ت ء. ورت**» (طأثة وريَّة) يعني : «الدابة العظيمة» بالضبط.

ختاماً، نحب أن نشير إلى أن فرس النهر هذا، أو هذه، يسمى في مصر المعاصرة «سيِّد إشْطَة». وقد تعوَّد الناس على كتابتها «**سيد قشطة**» بالقاف ظناً منهم بأن نطق الهمزة بدلٌ من القاف كما هي في لهجة بعض عرب مصر. ونرجح أن الهمزة في «**إشطة**» أصلية وأصلها «**ثأطة**» (قلبت : **أثطة**). ولثقل توالي الثاء المثلثة والطاء قلبت الأولى إلى شين (**أشطة**) وكسرت الهمزة فكانت «**إشطة**» ؛ إذ لا معنى مطلقاً لكتابتها «**قشطة**» (وهي الزبد المقشوط = قشدة/قشطة) ولا صلة لها بهذا الحيوان.

ندلل على ما نقول بورود كلمة «**سيِّد**» التي تصاحب «**إشطة**» (**سيد إشطة**). وفي تصورنا أنها المرادف الآخر لكلمة «**ور**» wr المصرية (معناها : عظيم، كبير، رئيس، **سيد** قارن ما أوردنا من تحليل في «ور») وهي العربية : «وري».

وبذا يتضح معنى «سيد إشطة» : الثأطة العظيمة، أو الكبيرة. تماماً مثل «ت ء. ورت»، مؤنث «ت ء. ور» = الحمأة العظيمة، أو «عظيم الحمأة».

---

(122) يعني الخليل بن أحمد الفراهيدي. وكتاب (العين) هو أول معجم عربي فيما يقال.

دوعت Dawa.t

يقول (والس بدج) :

«إن معنى كلمة «د و ء ت» d w a t صعب التفسير ؛ إذ تعني عالم «أوزيـريس» الأخروي. وهي ليست «جهنم» المسلمين، ولا «شيـول» العبريين، ولا «هيدس» اليونان، ولا «الجحيم». . فهي تحوي هذه المسميات كلها. وهي مكان غيب unseen وبها مهاوي الظلمة وحفر النار التي يلقى فيها أعداء «أوزيريس» وبها كل صور العذاب. وعلى الجملة فإن أفضل ترجمة للكلمة هي (العالم الآخر) The Other World أو (العالم السفلي) (Underworld) . وعند تحديد مكـان هذه الـ«د و ء ت» فقـد اعتقد المصريون أنَّ الدنيا يحيط بها جبل، يشبه ما عند كتَّاب المسلمين من حديث عن جبل «قاف»، ومن بعده تأتي «د و ء ت» في سهل منبسط موازٍ لهذا الجبل[123]» .

الأستاذ «غاردنر» يترجم هذه الكلمة إلى (Netherworld) (العالم السفلي، أو العالم الواطىء). وهي وردت في (نصوص الأهرام) «د ء ت» d a t ومن الواضح، كما يقول، أن الواو ساقطة هنا والصيغة الصحيحة كما هو معروف «د و ء ت» d w a t ، والمعنى الدقيق للكلمة عنده (مكان غبش الصبـح) (the place of the morning twilight) . وهي معروفة في القبطية القديمة في صيغة «تي» Tē و «تيئ» Tei .

هناك جملة ملاحظات أولية :

أولاها أن كلمة «د و ء ت» هذه مؤنث «دوء» d w a . وتترجم في العادة : صُبح (غاردنر). وفي معجم «فولكنر» (A. Con. Dict of M. Eg) : نقرأ :

«د و ء» d w a : ينهض مبكراً.

«د و ء و» d w a w : فجر، صباح.

«د و ء ي ت» d w a y t : صباح.

كما نقرأ فيه :

«د و ء ت» d w a t : العالم السفلي.

---

(123) The Egyptian Heaven and Hell, p. 87 . وفي معجمه An Eg. Hier. Dict. يقول إن D w a.t اسم قديم جدا لأرض الأموات والعالم الآخر. وفي كتابه The Dwellers on The Nile, p. 277 يقول إن معنى «د وء ت» غير معروف «ولكن بعض النصوص تشير إلى أنها تقع تحت الأرض (under the earth) » .

«د وء ت ى و» d w a t y w : سكان العالم السفلي.

وكذلك :

«د و ء» d w a : يمجِّد، يعبد.

«د و ء ت» : عبادة.

(أنظر صفحة : 310. وهناك مشتقات كثيرة أخرى).

وكـذلـك الأمـر بالنسبة لمعجم «بدج» An Eg. Hier. Dict (صفحة 870 وما بعدها). أما «غاردنر» (Eg. Gr., p. 487) فإن «د و ء» d w a تعني لديه الصلاة (صلاة الصبح خاصة). وقد نقول، بتسرُّع، إن «د و ء» بمعنى «صلاة» هي «دعاء» في العربية، وقد يكون هذا صحيحاً، وما يمنعنا هو ثانيـة هذه الملاحظات وهي أن معاني «د و ء» ومشتقاتها تدور حول الفجر والصبح والبكور، وحتى الصـلاة كانت صلاة الصبـح بصفـة خاصـة. وهـذا كله مرتبط بالنـور وظهـوره.. أي بـ«الضوء». ومن هنا نرى أن «دوء» هي «ضوء» بالضبط، بتبادل الدال والضاد كما هو واضح.

نؤيد هذا الرأي بثالثة الملاحظات وهي أن الرمز الهيروغليفي الدال على «د و ء» ومشتقاتها يعتمد أساساً على صورة نجم ★ في جميع ما يتصل به من قريب أو بعيد، مع إضافة الرموز الأخرى طبعاً لتؤدي إلى اختلاف الأصوات الضروري لتنوع الاشتقاق. ومعنى هذا أن فكرة النور (الضـوء) هي المسيطرة هنـا. يستوى الأمر في ذلك ما بين معاني «الصبح» و«العبادة» وما ترجم بـ«العالم السفلي» («د و ء ت» d w a t).

ورابع الملاحظات أن المصريين، في بعض عهودهم، اعتبروا أن عالم الأموات هو «عالم النور» وليس «عالم الظلمة» كما عند اليونان. فهو عالم «رع» (الشمس) الرحيب. فلا عجب أن تسمى أرض الموتى «د و ء ت» (= ضوءة. أرض الضوء، المضيئة، أو الضوئية)، فترجمتها بالعالم السفلي، أو بما سبق ذكره، ترجمة غير دقيقة حرفياً وإن كانت تعنيه، والأَوْلَى القول : «عالم الضوء».

هذا من جانب. أما من جانب آخر فإننا نلاحظ أن الدال في «د و ء ت» كان إبدالاً للضاد في «ضـــوءة» وهمـــا قريبـــا مخرج الصـوت، والقـريب منهـما كذلـك التـاء المثلثـة النقط. ولـذا وردت «ث و ء ت» (معجم «بدج»، صفحة 871). وقد نقابل هذه بالعربية : «ثوى» و«الثويُّ» القبر - وهو «المثوّى» = عالم الموتى.

لكن «بدج» (صفحة 870) يقابل «د و ء ت» بالحبشية الأمهرية «طيت». فإذا كانت التاء في آخرها للتأنيث، كما هو الحال في «د و ء ت» المصرية و«ضوءة» (ضوءت) العربية، فمعنى هذا أن الأصل في الأمهرية «طي»، والطاء تعاقبت مع الدال والضاد في المصرية والعربية. **وعلى هذا فإن من الجائز القول بأن «د و ء ت» تقابل «ط و ء ت» كما قابلت «ض و ء ت».**

وقد ذكر «بدج» أن «د و ء ت» عنت عند المصريين **«المكان الخفي»**، غير المرئي، "الغيب Un-seen . فما هو المكافىء العربي هنا ؟ **إنه الجذر «طوي/ طوا». ومنه «الطوية» (الضمير/ المضمر) و«طي الغيب» أي «عـالم الغيب» = مخفي، غير منـظور. وهـذا ما يقابل الأمهرية (وهي اللغة**

العروبية) : «طي» ، مؤنثها : «طيت» = طيَّة . ومع هذا لا يغيب عن بالنا التقليد المصرية المعروف في تحنيط أجساد الموتى و«طيِّها» في المومياءات ، فهي «الطويَّة» (المطوية) .

هذا كله جائز، لمعرفتنا بميزة اللغة المصرية ، كالعربية ، في استخدامها ألفاظاً تؤدي جملة معانٍ مرتبط بعضها ببعض وإن بعدت في الظاهر .

وقد كان المصريون يعتقدون أن أرض الأموات (مهما كان أصل تسميتها «د و ء ت») عبارة عن «سهل» يقع خلف جبل محيط بالدنيا يشبه تصور بعض كتاب المسلمين عن جبل قاف ، كما ذكر «بدج» .

هنا ينصرف الذهن إلى كلمة جاءت في القرآن الكريم ودعيت «**الوادي المقدس**» ، وهي كلمة «**طُوًى**» . إذْ وقف موسى بالوادي المقدس فخوطب :

﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (طه/12) .

﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (النازعات/16) .

ويتفق معظم المفسرين على أن «**طُوًى**» اسم للوادي المقدس الذي خوطب فيه موسى . **ولكنهم يختلفون في أصل التسمية ذاتها**[124] . فلننظر في بعض ما جاء عنها في (لسان العرب) تحت مادة «**طوي**» :

«قال الجوهري : **طُوًى** اسم موضع بالشام ، تكسر طاؤه وتضم ويصرف ولا يصرف ، فمن صرفه جعله اسم وادٍ ومكان وجعله نكرة ومن لم يصرفه جعله اسم بلدة وجعله معرفة . . . ابن سيده : **وطُوًى وطِوًى** : جبل بالشام . وقيل : هو وادٍ في أصل الطور[125] . وفي التنزيل : ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ . قال أبو إسحاق : **طُوًى** اسم الوادي ، ويجوز فيه أربعة أوجه : طُوى ، بضم الطاء بغير تنوين وبتنوين . . . وإذا كُسر فنوِّن فهو طِوًى . . . ومن لم ينوِّن جعله اسماً للبقعة . قال : ومن قرأ طِوًى بالكسر فعلى معنى المقدَّسة مرة بعد مرة . . . وقالوا في قوله تعالى ﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ أي طُوي مرتين أي قُدِّس . وقال الحسن : ثُنِّيت فيه البركة والتقديس مرتين» .

ويضيف ابن منظور : «**ذو طُوًى : واد بمكة** . قال ابن الأثير : ذو طُوى ، بضم الطاء وفتح الواو المخففة ، موضع عند باب مكة يُستحب لمن دخل مكة أن يغتسل به» .

فهل يفوتنا هنا أن نلاحظ صلة «طوى» بطور سيناء ، وكونه وادياً بمكة ، أو عند بابها ، يستحب لمن دخلها أن يغتسل به ؟ هل تفوتنا هذه الصلة اللغوية والدينية ذات الدلالة البيِّنة ؟

---

(124) اختصر محمد اسماعيل ابراهيم في مؤلفه (**معجم الألفاظ والأعلام القرآنية**) القول فأورد : «قال بعضهم : هي كلمة عبرية» . ولم يعين «بعضهم» هؤلاء ، ولم يذكر معنى الكلمة أو تعريفها ، لكن معرفتنا بعلاقة العبرية والعربية تأذن بالقول إن المعنى كان واحداً أو متقاربا على الأقل .

(125) أي «طور سيناء» .

لقد رأينا «طوى» اسماً لموضع، وجبل، بالشام، ولوادٍ في أصل الطور، واسماً لبلدة وبقعة، مما يعني أن اللفظ **كان معروفاً عند العرب تسمى به الأماكن**. فهل تكون «**د و ء ت**» هي «**طوى**» مضافاً إليها تاء التأنيث ؟ وقد تعاقبت الدال والطاء كما حدث في الأمهرية ؟ ولا بأس من وجود الهمزة ؛ فقد وردت «**طواء**» عند ابن منظور كذلك (= طوء) **فإذا أنثت كانت «طواءة» (= طوءت = دوءت)**.

وتبقى الاشارة الأخيرة إلى علاقة القدسيَّة والتقديس بـ«**طوى**»، وهي «**الوادي المقدس**». ونحن نعرف أي حدٍّ من التقديس كان لـ«**دوءت**»، بل نقول إن هذا التقديس لا حدَّ له في الواقع. فذاك هو مكان الآلهة العظيمة في نظر المصريين، بعالم الأموات والأرواح الخالدة، محل الحساب والثواب والعقاب، وهو ما كان يشغل ذهن المصري القديم منذ ولادته حتى مماته، فهو أقدس المواقع على الاطلاق.

ذاك ما عنَّ لنا عرضه... والله أعلم بالصواب.

ر ش ب و Reshpu

معبود سوري الأصل كان إلهاً للحرب والرعد، يصور وهو يلوح بمختلف الأسلحة. وهو يلبس تاج الصعيد الأبيض يتدلى منه شريط، وعند قاعدة التاج فوق الجبهة يوجد قرنان أو رأس غزال كامل.

من الجذر «**رشب**» R š p في الأكادية جاءت كلمة «**رشبو**» rašbu ومعناها : يلتهب، المخيف (Weir ; P. 279) وكذلك «**رشبو**» rašbu أي : التوقير المرتبط بالأمر، أو المهابة (Commanding respect) (Reimschneider, p. 26).

في الكنعانية «**ر ش ف**» وهو رب الوباء واللهيب والبرق، يقابل اسمه في (التوراة) Reshef (فريحة ؛ ملاحم وأساطير... صفحة 55).

وعلى هذا يمكننا مقابلته في العربية بالجذر «**رجف**» :

«الرجفان : الاضطراب الشديد. رجف الشيء، يرجف، رجفاً ورجوفاً ورجفانا ورجيفاً. والرجفة : الزلزلة. ورجف القلب : اضطرب من الجزع. والرجفة في القرآن : كل عذاب أخذ قوماً. والرعد يرجف رجفاً ورجيفاً. ورجفت الأرض : إذا تزلزلت. والرجّاف : البحر، وقيل : الرجاف يوم القيامة». (لسان العرب، مادة : رجف).

هذه الاشتقاقات تنطبق كلها على «**ر ش ب**» ـ بتعاقب الشين والجيم والباء المهموسة والباء

المفردة ـ الذي هو : «رجف»، أو «رجّاف» أي المرجف المخيف المرعب، رب الوباء والحرب والحمم وجميع صور البلاء.

وقد يكوّن هذا مقبولاً. وهناك جذر آخر في العربية قريبٌ لفظاً ودلالة من «ر ش ب»، أعني «رجب» الذي جاء عنه في (لسان العرب) :

«رجَبَ الرجل رجَباً : فزع. ورجَب ورجَّب فلان فلاناً : هابه وعظمه. ومنه سمي (شهر) رجب. ورجب : شهر سموه بذلك لتعظيمهم إياه في الجاهلية وامتناعهم عن القتال فيه. والترجيب : التعظيم. وإن فلاناً لمرجَّب، ومنه ترجيب العتيرة[126] وهو ذبحها في رجب، وهي التي كانوا يسمونها الرجبيَّة، كانوا يذبحون في شهر رجب ذبيحة وينسبونها إليه. والترجيب : ذبح النسائك في رجب. يقال : هذه أيام ترجيب وتعتار[126]. وكانت العرب ترجِّب، وكان ذلك لهم نسكاً أو ذبائح في رجب».

ويستطيع القارىء أن يستخلص من هذا النص مكانة «رجب» الرفيعة عند عرب الجاهلية، والتعظيم الذي أُحيط به، وما ذبح النسائك في رجب إلا بقايا قرابين كانت تقدم لآله هذا اسمه، وما امتناعهم عن القتال في الشهر المسمى باسمه إلا ذكريات عبادته رباً للحرب والقتال، تماماً كما هو حال «ر ش پ» الكنعاني/المصري القديم.

وقد تعرض الأستاذ «بدج» (Budge ; The Gods of The Egyptians, ii, p. 282) بتفصيل لهذا المعبود باعتباره (دخيلاً) على وادي النيل، وذكر أن مركز عبادته كان بالدلتا في موقع يدعى «ح ت. ر ش پ» (عربيته : حيط رجف/أو رجب). ويورد أشكال رسم اسمه وينقحرها بثلاث صور : رشپ Reshep، رشپو Reshpu، رَشْفْ/رشّاف Rashshaf. وهو يترجم الصورة الأخيرة إلى الأنكليزية (he who shoots out fire and lightning) أي : «قاذف النار والبرق». ويرى أن كلمة البرق (lightning) تكفي للدلالة عليه، فهو إذن «البرّاق». لكن كلمة «**الرجّاف**» العربية أقرب معنىً ومبنىً. يقول ابن منظور في (اللسان) :

«الرعد يرجف رجفاً ورجيفاً، وذلك لتردد هدهدته في السحاب».

وهذا يؤيد أن الرجاف (الرعّاد) أقرب من حيث صلته بقذف النار والبرق ودلالته على الرعب والرهبة. (لاحظ أن كلمة «الرعد» ذاتها تعود أساساً إلى هذين المعنيين : رَعَدَ، رَعَشَ، رَعَفَ.. إلخ. وكذلك : رَعَبَ. وهذه الأخيرة وكلمة «رهب» موصولة بـ«رجب» بتعاقب الحرف الأوسط بين العين والهاء والجيم، يسبقها راء ويعقبها باء، وهي ذاتها «رجف» بتعاقب الباء والفاء. ولعل القارىء لاحظ أن الباء المهموسة في المصرية «پ» تقابل في العربية إما الباء المفردة أو الفاء. **وهذا ما يوضح أن «ر ش پ» (رج ب) تكافىء «رجف» مرة كما تكافىء «رجب» مرة أخرى**).

(126) في مسألة «العتيرة» و«التعتار» (الجذر : ع ت ر) قارن المعبود السبأي : «عثتر»، والبابلية : «عشتر»، الكنعانية «عشتار»/«عشترت». وأنظر الأخيرة في هذه الدراسة.

Rā رع

نشير أولاً إلى أن اسم هذا المعبود «رع» R^c كان يعني في المصرية الجرم السماوي المعروف باسم «الشمس» (عند «غاردنر» مجرد قرص الشمس وإشارة تدل على الواحدية هكذا). وكان لـ«رع» في العصور الأولى مركز عبادة في مدينة «أن» (إوان) التي عرفها اليونان باسم «هليوبوليس» Heliopolis (عربيا : بلد هالة = مدينة الشمس. تعرف اليوم باسم «عين شمس» - ضاحية من ضواحي القاهرة. أصلاً : عون (مدينة) شمس (الشمس) = «عين الشمس» وليس : «عين شمس»). ثم وُحِّد مع المعبود «حرختي» h r. ḫ t y (حورس، باعتباره «شمس الصباح». حرفيا : حورس الأفق. عربيا : «حر خطّي» أو «حور الخط» = نور الأفق) وأخذ عنه شعار رأس الصقر الذي يصوَّر به فوق جسد بشر. وبسبب اتحاد «رع» والمعبود الخالق «أ ت م» a t m (الأتم، التامُّ = الكامل) صار الأخير مظهراً للشمس الغاربة (التامَّة).

بعد «خفرع»، من الأسرة الرابعة، لَقَّب ملوك مصر أنفسهم بلقب «ابن رع» («س. رع» $s.r^c$ = ذو رع). وحين احتل «أمون» المنزلة الأولى في مجمع الآلهة المصرية في المملكة الوسطى لم يكن من الممكن تجاهل «رع»، وبذا قوي المعبودان مكانةً عن طريق الاندماج في معبود واحد يُسمَّى «أمون - رع».

وكان معبود الشمس هذا يَعْبرُ الفَلَك السماوي في فُلكه (قاربه. قارن صلة «فَلَك»، «فُلْك») باعتباره ممسك دفة الكون، يصحبه وزيره «تحت» وابنته «مأت» اللذان يمثلان النظام الكوني («تحت» = النور. «مأت» = الحق). وكانت الشمس تعتبر الجرم المرئي لرب السماء (أو مظهر شهوده) كما اعتبرت عينه كذلك.

· يكتب اسم هذا المعبود في النقحرات اللاتينية R^c, Re, Ra, Rā وأحياناً، Ra^c و Re^c و $R\bar{e}^c$. وقد نُقحر إلى العربية : «رع» - اتباعاً للغربيين الذين يستعيضون عن حرف العين بالاشارة (^{c}) أو (ā) أو بحذفها تماماً لعدم وجودها في أبجدياتهم. وظلت هذه الصيغة مستعملة لدى جميع الباحثين. وهذه أقرب صورة للمصرية التي تكتب دون الصوائت (vowels) وتكتفي بالصوامت (consonants) كالعربية.

وقد رأينا أن اسم هذا المعبود «رع» يعني أساساً «الشمس»، أي الجرم السماوي ذاته، كما يعني «عينه» (عين الشمس أو عين المعبود نفسه). وتصور عين الشمس أو قرصها في الكلمات الدالة على زمن أو وقت (مثل : «هـ ر و»نهار (وهر). «س و» : يوم - بالنسبة للتواريخ (ضو/ضوء). «ش و» : ظهـيرة (شـوي). «و ب ن» : ظهـور النهـار (بـانَ). «س ف» : أمس (سلف). «و ن ء ت» : ساعـة (آونـة) «ع ح ع و» : فترة من الزمان (عهد)... إلخ. (أنظر : «غاردنر» (Eg. Gr., p. 485.

إن الارتباط الوثيق بين عين الشمس التي هي عين المعبود الخفي، وخاصة بعد التوحيد ما بين «أمون» (أمن = خفي) و«رع» يجعل من الأخير رقيباً سماويا دائماً من الصباح ممثلاً في صفته «حرختي» حتى المساء ممثلاً في «أتم». فإذا غابت هذه العين الرقيبة كان الوزير «تحت» (= «ضحوة» أي النور. وهو إله القمر = النور. راجع هذه المادة في هذه الدراسة) يقوم بواجب الرقابة ويحمل عن «رع» أعباءه في أثناء راحته اليومية.

كل هذا يؤدي بنا إلى الجذر العربي «رعي» (ثنائيه : رع) الذي يشير أصلاً إلى المراقبة والملاحظة :

«**الرعاية** : الحفظ. **وراعي القوم : عينهم على العدو**. وفي الحديث : كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، أي : حافظ مؤتمن (قارن صلة «رع» بـ«أمون»)... **لا تراعه : لا تشهد عليه. والراعي** : الذي يرعى الماشية أي يحوطها ويحفظها. **والراعي** : الوالي. ورعى الأمير رعيته رعياً ورعاية : حفظها. وفي المثل : من استرعى الذئب فقد ظلم، أي من ائتمن خائناً فقد وضع الأمانة في غير موضعها. **ورعى النجوم وراعاها** : راقبها. **والمراعاة** : المراقبة **والمناظرة** (قارن مادة «ن ت ر» في هذه الدراسة)، والتأمل والملاحظة. **وفلان يراعي أمر فلان أي ينظر إلى ما يصير إليه أمره**». (اللسان).

نرى من هذا أن الجذر «رعي» في العربية يقابل «رع» في المصرية بمعنى المراقبة والملاحظة وأن يكون عيناً تنظر وتتأمل وتحفظ كذلك. والجذر «رعي» هو نفسه الجذر «رأى» بتعاقب العين والهمزة، إذ يفيد أحدهما ما يفيد الآخر[127]. وهذه وظيفة «رع» الذي تمثله الشمس. ولا يغيب عن بالنا هذا التعبير العربي المعروف : «رائعة النهار» - أي في وضح الشمس وجلائها (ولا ننس أن «رع» تطلق على الشمس في وضوحها. أما اسمها عند الشروق فهو «حرختي» وعند الغروب : «أتم»).

وتأخذنا «رائعة النهار» (المصرية : «رع. هـ رو» $r^c.hrw$ = شمس النهار)[128] إلى جذر

(127) في اللهجة الليبية الدارجة يقال : «إرْعِ» = أنظر. ويقال : «رعيته» = رأيته.

128) يلفت نظرنا هذا التعبير : «شمس النهار». فهل هناك شمس لليل حتى يقال «شمس النهار» ؟!

الواقع أن كلمة «نهار» من «نَهَرَ» أي «ظَهَرَ» (قارن : بَهَرَ، جَهَرَ، زَهَرَ.. إلخ). ولكن كلمة «شمس» في العربية لا ترجع إلى جذر بمعنى الظهور أو النور وما أشبهها. وهي في البابلية «شمش» بشينين (وفي اللهجات =

عربي آخر يخرج عن سبيل القلب والابدال : «روع» :

«**الروعة** : الـمَسْحَةُ من الجمال. **الرائع** : الحَسَن الوجه.

وامرأة **رائعة** : حسناء. و**الأروع** : الرجل ذو الجهارة». (قارن : الشمس في حسنها **وجهارتها**).

ثم هناك الجذر «ريع» :

«**الريع** : العَوْد والرجوع.

راع يريع، وراه يَريهُ (لاحظ الابدال بين العين والهاء) : رجع. وتَريَّعَ السراب وتَرَيَّه : إذا جاء وذهب». وهنا نقارن التصور المصري القديم عن الشمس في رحلتها اليومية، تجيء كل صباح وتذهب كل مساء، ثم تجيء من جديد، وهكذا إلى ما لا نهاية (أنظر الهامش (128)).

ومن الجذر «ريع» : **الريعان** : ومعناه الأصلي : اللألاء واللمعان. «ريعان السراب. ما اضطرب منه (أي تلألأ) وريعان الشباب : نضرته وصفاؤه. وريعان كل شيء : أفضله». وهذا ما يوصف به «رع» المعبود في صورة الشمس المتلألئة.

والريع : الطريق. ومعروف أن للشمس طريقاً واحداً تسلكه كل يوم في رحلتها، يستقل «رع» فلكه السماوي ويسبح في قبة السماء. ولعل الصدفة هي التي جعلت ابن منظور يستشهد ببيت للمسيِّب بن علس يقول فيه :

في الآل[129] يخفضها ويرفعها * ريع يلوح كأنه سحل

ويعلق : «**الريع** : السبيل ـ شبه الطريق بثوب أبيض». وهذه هي طريق «رع» البيضاء.

والريع : المكان المرتفع، أو الجبل، وفي تفسير قوله تعالى : ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً﴾ معناه : المكان المرتفع. والشمس، طبعاً، مرتفعة ـ بل هي رمز الارتفاع (قارن : حَ ر = مرتفِع).

ولا يستغـربن القـارىء من هذه الاستطرادات والتخريجات ؛ فإن من المسلم به في اللغة العربية أن للجذر الواحد دلالات كثيرة تتنوع لكنها في النهاية مرتبطة بعضها ببعض بخيط رفيع يجمعها. كما أن من المعروف جداً وله المصريين القدماء بالجناس في الألفاظ بحيث يدل الجذر على معانٍ متعددة لكنها متصلة بالمعنى الأصلي المراد. وهذه صفة تشترك فيها اللغتان الشقيقتان.

= العربية الحديثة نجدها : «شمش»، «سمس» ـ الأولى في صعيد مصر والثانية في اللهجة الليبية). فمن أين جاءت هذه «الشمس» ؟

في المصرية : «ش م س» š m s (ومشتقاتها كثيرة) تعني : «تبع، تلا، مضى في إثر» (معجم «فولكنر» صفحة 267، ومعجم «بدج»، صفحة 742). وفيها : «ش م» šm بمعنى : ذهب، سار، «مشى» (م ش < > ش م). (فولكنر، صفحة 266، وبدج، صفحة 739). والصلة واضحة بين السير (المشي) والاتباع والمضي في الأثر. و«الشمس» عبارة عن كوكب سيَّار (مشَّاء). وليس ثمة في العربية من جذر اشتقت منه «الشمس» (كما رأينا في «نهار» من «نَهَرَ») ولا يبقى إلا إرجاعها للمصرية «ش م س» ذات الصلة بالجذر الثنائي «ش م» الذي هو مقلوب «م ش» (العربية : مشى = سار).

(129) الآل : السراب (المتلألىء).

ولنعد إلى المادة الأصلية (رعى). ونشير هنا إلى الآية القرآنية الكريمة التي تقول: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا﴾ (البقرة/104). وذلك - كما يقول المفسرون - لأن اليهود حاولوا استغلال الجناس اللفظي واللعب بالألفاظ فكانوا يقولون للنبي (ﷺ): «رَاعِنَا» ويقصدون «رَاعِناً» - من الرعونة - وقرأها أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود: («راعونا»). وفي ذلك محاولة للانتقاص من الرسول (ﷺ) وسبّه علناً دون خشية العقاب، فأمر الله المؤمنين باستبدال كلمة «راعنا» بكلمة «أنظرنا». وهذا يدل على أن الكلمتين بمعنى واحد، وجاء الاستبدال لتفويت الفرصة على أعداء النبي حتى لا يسيئوا الأدب معه[130]. وهذا ما يثبت أن الجذر «رع» يقابل تماماً الجذر «ن ظ ر» (أنظر مادة «ن ت ر» في هذه الدراسة).

فإذا قلنا، بعد هذا، إن «رع» هو «الراعي» - بكل معاني الكلمة - لم نتأ عن «ريع» الصواب وسواء السبيل، ذاك الذي «يريع» فيه «رع» و«يرعى».

ذلك هو رب الشمس، أو المعبود المرموز له بالشمس. وقد جعل قدماء المصريين له رفيقةً ربةً للشمس أيضاً. فماذا تتوقع أن يكون اسمها؟ إنه «رع. ت» R^c.t وقد نقابلها بـ«**راعية**»، ومن الممكن جدًّا أن تكون «**الرائعة**» مبنىً ومعنىً[131]، وهو لقب يناسب السيدة الجهيرة الحسناء كل المناسبة. أليس هذا أمراً رائعاً؟!

س ع ت sa-t

كانت الوزة تنتمي، بسبب من رمزية البيضة، إلى عالم أساطير الخلق، خاصة أن الدجاج لم يعرف في مصر حتى عهد «تحتمس الثالث» وحملته في سوريا. وقد ساد الاعتقاد بأن أول الآلهة خرج من بيضة طائر يدعى «القرّاق العظيم». وقرنت هُوِيّة الأزمنة الكونية القديمة بالآله «أمون» الذي كان هو نفسه يمثل على شكل وزة، ثم صارت هذه رمزاً للحرب «حورس الولد»[132] Ḥr.ḫ r d. ولما كانت القرابين تحسب محواً لأعداء الأرباب وكانت الوزة إحدى أكثر القرابين شعبية، فقد صارت تجسيداً لقوى الشر واعتبرت حيواناً يرمز لرب الشر «ست».

---

(130) في القرآن الكريم مثل آخر لتحريف اليهود الكلمات لعباً بالألفاظ. فقد أمروا: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ (البقرة/58. قارن: الأعراف/161). ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾.

(131) هو في العبرانية اسم أنثى بصورة «راعوث». ونجده في الأنكليزية اسماً للاناث في شكل Ruth.

(132) «خرد» في العربية تؤدى إلى «خريدة» = الفتاة البكر العذراء الحييّة. أي «الصغيرة» - وهي مؤنث «خريد» الذي يعني، قياساً: الفتى، الصبي، الولد.

ترمز صورة الوزة في النقوش الهيروغليفية إلى صَوْتَيْنْ هما : «س» (S) و«ز» (Z) . ودلت مره على «ج» (G) (راجع كلمة «ج ب ب» Gardiner ; Eg. Gr., p. 410. Gbb) وهذه الأصوات قريبة المخارج مما يكثر الابدال بينها. وهي (أعني صورة الوزة) وردت في كلمات منها :

«س ت» s t (وأحيانا «ز ت» z t ولعلها «ز ء ت» z a t) : بلبول، نوع من البط، وزة (pintail) .

«س ء» S a (وأيضاً : «زء» Z a) : ابن، ذ = ذو (السبئية).

«س ء و» S a w : شعاع، ضوء (س = ض).

«س ء. ت ء» S a.T a : ثعبان/حرفيا : ابن الأرض (العربية : ذو طآة، طاءة، طأثة) = ذو طية (ابن الأرض).

«ح ر. س ء» ḥ r. s a : فوق الظهر (راجع : «ح ر» = فوق. السأو = الظهر).

هذه الكلمات، وأمثالها كثير، تقرأ بصوت السين أو الزاي حين نجد فيها صورة الوزة المستدقة طرف الذيل pintail ، ولكنها تنطق بأشكال مختلفة إذا فقدت الوزة فيها طرف ذيلها المستدق. . وهذه، لعمري، منتهى الدقة !

نجدها عريضة الذيل مثلاً في كلمة «إ ب ط» (تقرأ أحياناً : أ ب د) وتترجم إلى الأنكليزية (bird, goose) - وهي العربية «بَطّ». كما نجدها كذلك في كلمة «ن ع و» n ᶜ w وتترجم إلى الأنكليزية ostrich - وعربيتها : نعـ(م) ← «نعام». وهاتان ذاتا دلالة على الطير. بيد أننا نعثر على الوزة العزيزة في كلمـة أخـرى قريبـة من حيث الاشتراك في الطيران، بعيدة عن فصيلة الطير، فهي من عالم الحشرات، أعني كلمـة «س ن ح م و» s n ḥ m w وتـترجم إلى «جـراد» (locusts) بصيغـة الجمع وعلامته الواو، والمفرد «س ن ح م» S n ḥ m.

وقد نعتبر السين في أول الكلمة للتعدية، فتظل «ن ح م» n ḥ m ، وهي تترجم بمعاني : يأخذ بعيداً، يحمل إلى بعيد، يسرق، وما إليها (قارن معجم «بدج» و«فولكنر» مادة n ḥ m) وقد نقـابلهـا بالعـربية «نهب» - بتعـاقب الحـاء والهـاء والميم والبـاء. فتكون «س ن ح م» بمعنى : «الناهب»، «النهّاب»، وهي صفة الجراد الذي يأخذ كل شيء يقع عليه.

ولكننا نجد نفس الكلمة مقروءة بالزاي بدلاً من السين في أولها «ز ن ح م» z n ḥ m كما وردت في «نصـوص الأهرام» (غاردنر، صفحة 477). فنكافىء «ز» هنا بالعربية «ذو» = صاحب. وقد نكافىء «ن ح م» n ḥ m بالعربية «نهم». فتكون «ذونهم» أي «النَهم» ذاك الذي لا يشبع (ولا يمنع هذا أن يكون : «ذو نهب» - كذلك). ويرجح هذا القول أن الجراد يدعى في الأكادية «خاريبو» ḫa-rebu ، ومن البين أن هذا الاسم/الصفة جاء من التخريب أو الخراب الذي يتركه الجراد من بعده أينما حل (الجذر : خرب). ويؤيده كذلك ما جاء في العربية السبئية : «أ ر ب ى» a r b y التي ترجمتها السيدة «ج. بييلاّ» : جراد (مهاجر) (migratory) locust (Biella ; Dict of S. Arabic, p. 26).

وقد خلطت «بييلا» بين السبئية «أ ر ب ى» (= خ ر ب ى) والأكادية «أربى» بمعنى «هاجر» (قارن العربية : هرب، غرب، عرب) فذهبت إلى أن المقصود هو الجراد المهاجر تخصيصاً، ولكننا

نرى أن المقصود : المخرب (الجذر : خرب) فإن الجراد مهاجرٌ كله وليس هناك جراد مهاجر وآخر مقيم ليتم التمييز بينهما. (قارن العبرية : أَرْبِهْ arbeh ، والمهرية : هَرْبِي harbi = جراد. المصدر نفسه).

يأتي الأستاذ «امبير» (Ember ; I. B. 23) فيقابل «س ن ح م» s n ḥ m المصرية (جراد) بالعبرية «سلعام» selᶜām (جندب/جراد). وهنا نلجأ إلى العربية فنجد فيها ثلاث كلمات قريب بعضها من بعض، **والأخيرة أقربها لفظاً** وإن كانت الدلالة أوسع :

(1) **سلطم** : السلطم : الذي يبتلع كل شيء.
(2)**سلعف** : سلعفت الشيء إذا ابتلعته.
(3)**سلعم** : السلعم : الواسع الفم.

والجراد، كما تعلم، يبتلع كل شيء، وفمه أوسع ما يكون.. نسبياً - أعني بالنسبة إلى جسده.

فإذا رمنا مزيداً من التحقق والتحقيق نظرنا في كلمة أخرى في اللغة المصرية تعني «جراد» وهي كلمة «**س ح ت م ت ى**» s ḥ t m t y (معجم «بدج» صفحة 589). ولا تحيرنا هذه الكلمة فإنها أصلاً من الفعل «ح ت م» ḥ t m بمعنى : دمَّر، خرَّب، أهلك (العربية : **حطم**) سبقتها سين التعدية فصارت «س ح ت م» s ḥ t m («بدج» - المعجم، صفحة 520)، ثم أنثت بإلحاق تاء التأنيث فكانت «س ح ت م ت» s ḥ t m t ، وزيدت ياء النسبة في آخرها (وهي في العربية تسبق تاء التأنيث) فكانت «س/ح ت م/ ت/ى» s.ḥ t m.t.y .

وطبيعة الجراد : التخريب، والبلع[133]، والتحطيم. فهو : «الحطمي» وأنثاه، أو جماعته، «**الحطمية**» (تماماً كما نذكِّر بنار جهنم **الآكلة كل شيء : الحُطَمَة**). فهل نسينا أن كلمة «جراد» في العربية جاءت من الجذر «جرد» وهو يفيد التعرية وإزالة الورق من النبت والشجر؟ ولعل من ذلك «الجُرَذ» - بالذال المعجمة - وهو الذَّكر الكبير من الفئران، فإن «جَرَدَ» و«جَرَذَ» قريبا الدلالة[134]، والفأر (الجرذ) كالجراد لا يفتأ يجرد كل ما يقع أمامه ويقرضه ويخربه ويحطمه.

ها نحن نجد أنفسنا نتحدث عن الجراد والجرذان، وكانت البداية الوزة المعبودة. ولكن لا بأس.. فقد دفعنا إلى هذا أن صورة هذه الوزة الكريمة تبرز في جميع الكلمات المصرية التي أوردناها، في تصاويرها الهيروغليفية. ثم إننا نجدها في كلمة «ح ت م» ḥtm (العربية : **حطم**) ومعناها - كما سبق القول : يدمِّر، يهلك (أنظر : Gardiner ; Eg. Gr., p. 471). فماذا تفعل هذه الوزة هنا يا ترى؟

---

(133) في الدارجة الليبية يقال : «صلعم» و«صلعب» أي ابتلع لقمة كبيرة بسرعة، كما يقال «سلحب» أي ازدرد بسرعة ويسر طعاما. قارن «س ن ح م» (= سلحب).

(134) يقال : رجل مُجْرَدٌ - أي الذي ذهب ماله = تجرَّد، أو جُرِّد، من ماله.

إنها موجودة باعتبارها «تعبيراً عن قوى الشر» والتدمير والتحطيم، مجسدةً المعبود «ست» رب الشرور كلها، المحطم. وقد استغل كتاب الهيروغليفية هذه الصلة فقرنوها بالجراد، وهو شر محيق لا ريب.

وإذا كان كتاب الهيروغليفية ميَّزوا بين «الوزة» و«البطة» بتحديد طرف ذيل الأولى وتدقيقه، فإن الأمر يبدو مختلفاً عند عرب الجزيرة[135]، ولا بأس من جولة في (اللسان) لنرى الأمر كيف كان. قال:

«**الوزة**: **البطة**. وجمعها: وز. وهي: الإوزة ـ أيضاً. والجمع: إوز، وإوَزُّون».

وهذا ما يقابل المصرية «زء» و«ز ء ت» عن طريق القلب. («**تزأزت** المرأة: مشت وحركت أعطافها كمشية القصار» (تشبيها للمرأة بالوزة (البطة) في مشيتها).

«**تزأزأ** منه: هابه وتصاغر له، **وزأزأه الخوف**» (هنا يبرز «ست» إلـه الشر وشيطانه المخيف).

«**تزأزأت** من الرجل تزأزؤا شديداً إذا تصاغرت له وفرقت (خفت) منه».

وهذا كله في مادة «زأ» (المصرية نفسها «زء» za) فإذا قلبت كانت «أز»، فنقرأ:

«أزَّت القدر، تؤزُّ وتئزُّ، أزًّا وأزيزاً وأزازاً، وائتزَّت ائتزازاً: إذا اشتد غليانها».

«الأزيز: الالتهاب والحركة، كالتهاب النار في الحطب.»

«الأزيز: صوت الرعد»

«في التنـزيل: ﴿إنَّا أرسَلنا الشَّياطينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤزُّهُمْ أزًّا﴾... الأزَّاز: الشياطين الذين يؤزُّون الكفار».

ومن الجلي أن الغليان والالتهاب والحركة والاهتياج والحدَّة هي من صفات الشياطين الذين «يؤزُّون» الكفار. وهذه هي صفات «ست» رب الشرور عند المصريين القدماء، وهو «الشيطان» نفسه (راجع مادة «س ت» في هذه الدراسة للتفصيل).

وهكذا نرى أن العربية والمصرية تشتركان اشتراكاً كاملاً في تطور دلالة اللفظ واختلاف معناه حتى ليبدو الفرع أبعد ما يكون عن الأصل الأول الذي انبثق منه، أو اشتق. وإلا فكيف نفسر صلة الوزة بالشيطان «ست» عند المصريين القدماء إذا لم نبحث عن «الوزة» في مادة «زأ» ومقلوبها «أز» حتى نصل إلى «أز» الشيطان «الأزَّاز»؟!

---

(135) هذا الخلط وقع فيه كبار العلماء كذلك. فقد ترجم الأستاذ «غاردنر» (Eg. Gr., p. 428) الكلمة القبطية (أبتْ) ōbet (وهي من المصرية القديمة a b d/a b t) إلى الانكليزية (goose) ـ وكان ينبغي أن يترجمها (duck)؛ فإن الأولى تعني «وزة» والثانية تعني «بطة» وهي المقابل الصحيح. ولكن العذر أن الطائرين لا يبعدان كثيراً بعضهما عن بعض.

س ب ك Sbek

يعني اسم هذا المعبود في المصرية القديمة «تمساح». مركز عبادته كان في ما عرفه الاغريق باسم «كروكوديلوبوليس» Crocodi-lopolis (مدينة التمساح). كان رباً من أرباب الماء، نبع النيل من عرقه، وهو الذي «جعل العشب أخضر» - فكان له بهذا جانب من صفات «أوزيريس». عرفه اليونان باسم «سوخوس» Suchos.

يذهب «كـوهن» (Essai Comparatif) و«إمبير» (Semito-Eg. Studies) إلى أن «س ب ك» المصرية تكافىء العربية «سمك» بتبادل الباء والميم، وذلك باعتبار الآله المعني رباً من أرباب الماء.

ويقول «هيرودوت» إن المصريين في عصره كانوا يطلقون على الرب «س ب ك» اسماً آخر هو عنده «خمبساي» Khampsai وهذا في الواقع تحريف للمصرية «م س ح» أو «م س ح و» كما يقرر «بدج» (Budge ; The Gods of the Egyptians, ii, p. 355).

وفي معجم «بدج» نفسه (An Eg. Hier. Dictonary, p. 325) نجد ما يلي :

«م س ح» m s ḥ : تمساح (crocodile)

«م س ح ت» m s ḥ t : أنثى التمساح / تمساحة (female crocodile)

«م س ح» : ذبح ، قطع ، قسم (to slay, to cut, to divide)

فأين هذا من العربية ؟

إنها العـربية ذاتها في جذرها «مسح»، ومن دلالاته : قطع، ضرب، قتل ﴿فَطَفِقَ مَسْحاً بالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ﴾[136] أي : قطعاً وضرباً للسيقان والرقاب. ومن هنا جاء تعبير «مسحه بالسيف» أي ضربـه وقتله، ومنـه «الماسـح» أي القـاتل (وهذا شأن التمساح). والتِّمْسح والتمساح من الـرجـال : المارد (القوي) والخبيث. والأخيرة من «مسح» بمعنى : دهن. ومنه «المماسحة» أي الملاينة في القول والمعاشرة والقلوب غير صافية (= المداهنة). والتماسح : التصادق، عن خبث طوية. والتِّمْسَح : الذي يلاينك بالقول وهو يغشك، والمسح : القول الحسن من الرجل وهو في ذلك يخدعك (ولعل الدلالة ترجع إلى خبث التمساح حين يختبىء على ضفة النهر بين الأعشاب أو في الماء الضحل ينتظر فريسته لينهشها أو يضربها بذيله حين تطمئن إلى سكونه أو لا تراه. وهذا ما يذكرنا بالتعبير الحديث «دموع التماسيح» كناية عن الكذب والنفاق، إظهار غير الباطن). ومن هنا كانت «التمساح» (مصدر) تعني : الكذب - وأنشد ابن الأعرابي :

قد غلَبَ الناسَ بنو الطماحِ * بالافك والتكذاب والتمساح

---

(136) قرآن كريم، الآية 33 من سورة (ص).

التكذاب من : كذب . والتمساح من : مسح .

وكما أدى الجذر «مسح» في العربية إلى «التمساح» ـ الحيوان المعروف ـ من جهة وإلى «المسح» (الدهن) وما اشتق منها من جهة أخرى، نجد الشيء نفسه في المصرية ؛ فقد رأينا «م س ح» (الحيوان) وهناك «م س خ» mś ḫ (بتعاقب الحاء والخاء) بمعنى «دهن» (anoit) ، «دهون» (unguent) .
(أنظر : Budge ; An Eg. Hier., Dict. pp. 287, 325) وهكذا نجد المصرية والعربية تتفقان حتى في الاشتقاق الذي قد يكون متباعد الدلالة من الجذر الواحد.

أخيراً . . نشير إلى أن الاسم الذي عرف به الاغريق هذا المعبود التمساح Suchos يرجع إلى المصرية «س ا ق» s a q ومعناها أيضاً «تمساح» (Budge ; An Eg. Hier. Dic. p. 589) وهي قد تكافىء العربية «ساق» بالضبط، باعتبار ذيل التمساح ساقاً له وهي أبرز وأظهر ما فيه ، أو قد تقابل «**سحق**» بسقوط الحاء، إذ هو يسحق بذيله عدوه سحقاً لا يبقى ولا يذر. أو قد تناظر «**صَكَّ**» أي ضرب ضربة قوية ساحقة بساقه الماردة . . والله أعلم !

س ب ء Sepa

تقول (نصوص الأهرام) إن «الأفعى في السماء و(س ب ء. ح ر) على الأرض». وكان يُعْبَدُ في «عين الشمس» ويدعى تعويذةً ضد الحيوانات الضارة وأعداء الأرباب. وقد ألحقت عبادته بالمقابر، وسوِّي بينه وبين «أوزيريس» باعتباره رباً للمدافن .

يترجم اسم هذا المعبود إلى الأنكليزية (Centipede) (حرفيًا : مائة قدم) وهي الحشرة متعدِّد الأرجل الصغيرة التي نعرفها باسم «أم أربعة وأربعين» (قدماً) (أنظر : Gardiner ; Eg. Gr., p. 589)

وفي معجم «بدج» (An Eg. Hier. Dict., p. 596) نجد :

«س پ» Sp : دودة، أفعى .
«س پ ء» Spa : الآله/الأفعى ، رئيس الأرواح السبعة التي كانت تحرس «أوزيريس» .
«س پ ء. و ر» Spa.wr : إله .
«س پ ء. ح ر» Spa.ḥr : معبود قبيح الوجه مثل «س ب ء» .
«س پ ء. ح ر» Spa.Ḥr : أفعى «حورس» .

وهذا ما يدعونا إلى مقارنة ما جاء في (نصوص الأهرام) بين «أفعى السماء» و«**س ب. حورس**» على الأرض ليس باعتبار هذا المعبود مجرد حشرة «أم أربعة وأربعين» (وهي تأتي في بعض رموزه الهيروغليفية) فحسب بل باعتبار «س ب» ضرباً من الحيات ساكنة المقابر. فهو «أفعى

حورس» على وجه الأرض ولابد أن يكون عدوًّا للحيوانات الضارة، آكلة الأموات كالضباع مثلاً، عدوًّا مخيفاً مرعباً يبعد أعداء الآلهة عن عالم الموتى الهادئين، فهو إذن ضرب من الأفاعي اللصيقة بالتراب والأرض في مقابل الأفعى السماوية ـ حسب التصور المصري القديم.

إذا رجعنا إلى العربية وجدناه في صيغة «سف» (وقد تعاقبت الفاء والباء المهموسة)، وهو «السِّفُ» و«السُّف»، من الحيات: الشجاع (الصل)، والسّف: الحية على التعميم.. كما أورد ابن منظور في مادة «سفف».

في نفس المادة يضيف ابن منظور: «**السِّفُّ: حية تطير في الهواء**. وأنشد الليث:

وحتى لو ان السِّفَّ ذا **الريش عضّني** * لما ضرَّني من فيه نابٌ ولا ثعر

قال: والثعر: السُّمُّ، وربما خُصَّ به الأرقم».

وهذا القول، ومسألة «**السف ذي الريش**» وأنه حية تطير في الهواء، تهمنا من حيث الأسطورة ومن حيث اللفظ. إذ يبدو أن حكاية «الحيات الطائرة» هذه بلغت سمع «هيرودوت» (القرن الخامس ق.م.) وهو ربما سمعها تتردد على ألسنة أهل مصر حين زارها فأثبتها في تاريخه (الكتاب الثالث، فقرة 107 ـ 113) عند حديثه عن بلاد العرب الجنوبية وعطورها الفوَّاحة.. قال:

«وهم، لكي يجمعوا اللُّبان، يحرقون تحت أشجاره نوعاً من الصمغ يدعى ستيراكس Styrax (الميعة) ـ وهو الصمغ الذي يأتي به الكنعانيون إلى بلاد الاغريق ـ لكي يطردوا أسراباً كثيرة من **الحيات الطائرة** المختلفة الأنواع التي تحرس أشجار اللبان، فتتجه تلك الحيات بمجموعها **شطر مصر** ولا تبرح مكانها إلا بواسطة دخان الميعة». (قارن: ولفنسون؛ تاريخ اللغات السامية، صفحة 233).

وهذه الأسطورة عن «الحية الطائرة» القادمة من بلاد العرب (أرض الأرباب ـ كما كان يسميها المصريون القدماء، وموطن طائر الحر الأصلي (حورس) المعبود الشهير) هي نتاج، أو سبب، للربط ما بين «حورس» و«سبْ» (سف) في المعتقد المصري، **وهذا ما يجعل «س بْ» المصري هو «سف» العربي، الحية الطائرة، لا جدال.**

أما عن صلة «س بْ» بـ«أم أربعة وأربعين» فينبغي ألاّ ننسى أن هذه الحشرة تشبه في تكوين جسمها الدودة، ولا نبعد إن قلنا: الحية (قارن: «دود» بـ«طوط» = حية، شجاع، ثعبان الماء.. إلخ) ولكنَّ لها أرجلاً هي بمثابة الأجنحة أو صفين من الأجنحة، وهي تعيش في «السفساف» (مضاعف «سف»). فهي إذن جمعت عدداً من الدلالات في ذاتها الكريمة. فإذا قلبت السين إلى صاد كانت «صف» ـ والصف هو الطيران دون تحريك الأجنحة، يحمل الهواء الطائر فينزلق محوِّماً دون أن يصفق جناحيه[137]، ومن هنا جاءت علاقة «س بْ» بالطائر «حورس» (الصقر = حر).

(137) قارن الآية الكريمة: ﴿وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾. النور/41.
وكذلك: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا. فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾. الصافات/1 ـ 2.

فإذا كانت «السَّف» حية طيَّارة في الهواء، حسب الأسطورة المصرية، وبحسب ما ينقله ابن منظور فإن «السَّف» أيضاً تعني الأرض (أو لنقل : التأرُّض، أي الدنو من الأرض) ومنها الفعل «أَسَفَّ»[138] :

«أسفَّ الطائر والسحابة وغيرهما : دنا من الأرض.
قال أوس بن حجر يصف سحاباً تدلَّى حتى قرب من الأرض :

دانٍ مُسِفٌّ فويق الأرض هِيْدَبُه * يكاد يدفعه من قام بالراح

أسفَّ الطائر : إذا دنا من الأرض في طيرانه.
والسفساف : ما دَقَّ من التراب. والسفساف : التراب الهابي. وقال لبيد :

وإذا دفنـت أبـاك فاجــ*ــعـل فوقـه خشبـاً وطينـا
ليقين وجه الأرض سفـ*ـسافـاً ولن يقينـا»

ومن المعجب أن يتعلق شعر لبيد بالمدافن والسفساف، كما ألحق «س بٓ ء» (سف) المعبود المصري بالمقابر والأموات. ولا ننس أن نذكر هنا أن في المصرية كلمة «س بٓ ى» s p y التي يترجمها بدج إلى الأنكليزية (Crusts of bread) (فتات الخبز) (An Eg. Hier. Dict., p. 596) ولعل الأصوب أن تكـون «الـدقيق» (= السف، السفوف : أو حتى السفي) وفي اللهجة الدارجة الليبية هناك : «السافي» وهو دقيق التراب الذي تعيش فيه حشرة «أم أربعة وأربعين».

س ت [hieroglyphs] Set (Setesh - Sutekh

يعتبر «س ت»، الذي عرف عند اليونان في صورة «سِيْثْ» Sēth واحـداً من أكـبر المعبـودات المصريـة القـديمة. ويذكر أحد (نصـوص الأهـرام) أن قوة الملك مستمدة من قوته. وهو ظهر في الصعيـد رفيقاً لمعبود الدلتا «حورس». وكان الملك وريثاً لسلطان هذين المعبـودين. وفي الأسـطورة القـديمـة قاتَـلَ «س ت» الحيَّةَ «أ ف ف»[139] (أَبِبٓ = app) حين اعترضت سبيل قارب الشمس.

وأيضاً : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾. الملك/19.

(138) ومنه «الإسفاف» أي الدناءة في القول والفعل.

(139) يذهب الدكتور لويس عوض في كتابه (مقدمة في فقه اللغة العربية) إلى أن اسم «عفيفي» يعود إلى «أ ف ف» هذه. وهذا غير لازم، فإن «عفيفي» نسبة إلى «عفيف» من الجذر العربي «عفف» < /عفاف.
في اللهجة الشامية : «الآفية، والآفة : خبيث.
ومن كلامهم في حلب : ها المرا آفية ملفلفة.
ومن أمثالهم : صينية كنافة وجنبا آفة»
وأيضاً :

وفي عصر «الهكسوس» كان «ست» شيخ الأرباب وزعيمها، وفي عهد الأسرتين التاسعة عشر والعشرين كان راعياً للرعامسة ومن هنا كثر لقب «ستي» Sty في أسماء فراعين تينك الأسرتين.

كان «ست» في البداية معبوداً محبوباً حتى وقع الخلاف، حسب الأسطورة، بينه وبين «أوزيريس» زوج «إيزيس» فقتله «ست» وكانت قصة صراعه مع «حورس» ابن «إيزيس» و«أوزيريس» الذي انتقم لوالده من «ست»، وبذا تحول الأخير إلى رمز لقوى الشر ضد قوى الخير وأصبح إلٰها لعالم الظلام والنار والطوفان والريح الحارة والصحراء، رب الليل الجهنمي وسيد عالم الشرور بكل تمثيلاتها ومعانيها، وصار إلٰها «أحمر» ملتهباً ينفث الدخان وينشر الموت في كل مكان. وقد وقع هذا الانقلاب بُعَيْدَ عصر «الهكسوس» وبخاصة في أثناء الغزو الأشوري لمصر، وتحول من معبود مقدّس جليل إلى عدوٍّ يُتّقى ورمزٍ لكل شر[140].

نحن هنا أمام معبود مهم جداً. وإذا كان بحثنا يتعلق بالناحية اللغوية في هذه الدراسة فإنه لا مناص من الحديث، ولو اختصاراً، عن ثلاثة جوانب؛ من الناحية الأسطورية (الميثولوجية)، ومن حيث التحليل اللغوي، ثم صورة هذا المعبود.

كان «ست» أخاً لـ«أوزيريس» كما كان في الوقت نفسه أخاً لـ«إيزيس». كان ابناً لـ«جب» (إلٰه الأرض = جوب/جبوب) من زوجته «نوت» (إلٰهة السماء = نوءة). وقد تزوج من أخته الثانية «نفثوس» (نبت حت = ربة الحيط). وكانت عبادته أقدم كثيراً من هذا التسلسل الأسطوري، كما أن صفاته كانت مغايرةً، بل مناقضة، لصفاته بعد ذلك. كان «ست» مُعيناً ومساعداً للأموات يأخذ بأيديهم إلى طريق الخلاص والجنة، كما أعان «أوزيريس» نفسه في الصعود إلى السماء؛ إذْ كان أخاه وصديقه الحميم، كما كان رفيق «حورس الأكبر» أحد أقدم المعبودات. فجأة حدث نزاع بين «ست» من جهة و«أوزيريس» (أو «حورس الأكبر») من جهة ثانية، فصل الأمر فيه المعبود «تحت» ـ ولذا سمي هذا «ح ف. رح وى» أي: «قاضي الخصيمين» (= حافي الرحويين، أو المتراحيين). ثم

= يطلقون الآفية على الحية والحنش»
(أنظر: م. فخر الدين الأسدي؛ موسوعة حلب المقارنة، إعداد محمد كمال، مطبعة جامعة حلب، المجلد الأول، ص 17).
وفي المثلين اللذين نجدهما في لهجة حلب يظهر واضحاً أن «الآفية» و«الآفة» هي الحية، كما «يطلقون الآفية على الحية والحنش».
وهذه هي ذاتها «أ ف ف»، الحية التي قاتلها «ست».

(140) للقارىء أن يعود للاستزادة إلى:
Wainwright; The Sky Religion, p. 110
Budge; The Gods of The Egyptians, II, p. 241-252
Lurker; The Gods and Symbols of Ancient Egypt, p. 109

قتل «ست» أخاه «أوزيريس» وألقى أطراف جسده مبعثرةً في كل إقليم من أقاليم مصر، وظلت «إيزيس» تبكيه وتندبه حتى استطاعت أن تبعثه للحياة من جديد. وهنا يدخل «حورس الأصغر» (ابن «أوزيريس») لينتقم لأبيه، ويتغلَّب على «ست»، لكن «إيزيس» ترأف بحال أخيها وتعفو عنه. ومنذ ذلك اليوم يصبح «ست» رباً لليل والظلام وللفوضى والموت والشرِّ في مواجهة «حورس» رب النهار والنور والخير والنظام.

صفات من هذه ؟

تاريخُ مَنْ هذا الذي انقلب من الخير إلى الشر ؟

إنها صفات وتاريخ «**الشيطان**» ؛ كان ملاكاً ثم صار رمزاً للشر. وفي جميع الديانات نجد الواقعة بذاتها : التحول من النورانية إلى النارية (ولا يغيب عن بالنا هذا القرب الشديد بين «النور» و«النار»)، والانقلاب من عالم الخير والضياء إلى دنيا الشرور والظلمة. (لاحظ أن «حورس» من «ح ر» ومن مدلولاتها : البياض، الاشراق، النور. العربية : **حَوَرَ**).

هذه إذن واقعة «إبليس»[141] بذاتها الذي يُسمَّى «**الشيطان**» في القرآن الكريم، وقد تردد اللفظ بالافراد سبعين مرة وبصيغة الجمع (**شياطين**) ثماني عشرة مرة. ومن الواضح أن الحديث بالافراد (شيطان) يعني كائناً بذاته (وهو المسمَّى : **إبليس**) وأن الحديث بالجمع يعني «قوى الشر» التي قد تقابل صور «ست» المختلفة المتعددة، والمتفقة في أنها صور شريرة[142].

هذا من حيث الأسطورة.

أما من حيث اللفظ فتهمنا الاشارة أولاً إلى أن اليونان عرفوا «ست» أيضاً باسم «**تيفون**» (أو «تـوفـون» Typhon) ـ وهـو رب السحب والضباب والمطر والرعد والبرق والأعاصير والعواصف والزلازل والكسوف والخسوف، وكل مظاهر الاضطراب في الطبيعة ومسببات الموت والهلاك. وقد ذهب العـالمان الانكليزي «بدج» والألماني «برغش» إلى أن الكلمة العربية «**طوفان**» مأخوذة عن «توفون» هذه[143] (Budge ; The Gods of The Eg. ii, p. 247) . وهذا لا شك خطأ واهم ؛ فإن

(141) يرجع الباحثون، ومنهم الأستاذ العقاد في كتابه عن «إبليس»، اسم الشيطان الأكبر هذا إلى اليونانية «**ديابولوس**» (diabolos) (ومنها بقية المشتقات في اللغات الأوروبية الحديثة) ومعناها : المفترى، الواشي، النمَّام (الأنكليزية Slanderer) . ولكننا نقترح أن اليونانية نفسها نقلت من العروبية dia (نور = «**ضياء**» + bolo(s) (= سيد، رب، «**بعل**») أي : «رب + النور» (صورة الشيطان الأولى) = بعل الضياء < > ضياء ـ بعل/ضيا بال ← ديابل ← ديابولو(س) diabolo(s) (بحسب نظام الاضافة في اليونانية).

(142) ليس من باب «اتفاق اللغات» طبعاً أن يكون أحد ألقاب «ست» المعروفة في المصرية : «م ر» m r (أي : الملعون ـ كما يترجمها «بدج» في معجمه، صفحة 314). قارن لقب إبليس في العربية : «**أبو مِرَّة**» ! وهو لقب يستعمل، كما نلاحظ، في موطن الحديث عن إبليس باعتباره مغرياً بارتكاب المفاسد الخلقية والمعاصي الدينية عند كتاب المسلمين وشعرائهم.

(143) **(معجم أكسفورد) الاشتقاقي The Con. Ox. Dict.** كان أمعن في التخريج ؛ ففي تعريفه لكلمة Typhoon قال إنها جزئياً من العربية «**طوفان**» ـ ولعلها من اليونانية Tuphon (الريح الدوّامة) وجزئياً من الصِّينيَّة (!) Tai fung =

ـواضح أن **اليونان هم الذين نقلوا عن العرب**، ذلك لأن مادة «**طوف**» تقدم لنا «طوفاناً» من لاشتقاقات تدور حول معنى الموت والدمار والمطر الغزير والفيضان، وما إليها، **وهي مادة لا شك في أصالة جذرها في العربية**[144].

أما في القرآن الكريم فقد وردت في آيات كثيرة من مثل:

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ﴾ الأعراف/133.

﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾. العنكبوت/14.

﴿فَطَافَ عَلَيْهِمْ طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾. القلم/19.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾. الأعراف/201.

ولعل القارىء لاحظ الربط بين «**طائف**» و«**الشيطان**» في الآية الأخيرة. وهذه تأتي في مادة «**طيف**» (الجذر الثنائي الأصلي لـ«طوف» و«طيف» هو «**طف**». ومن ذلك: الطيف = الخيال، الشبح - والشيطان شبح أو روح شريرة، كما يعبر في لغتنا الحديثة. ومن مادة «طف»: طفا - ضد «غرق» في العربية، وفي المصرية «**ت ب**» Tb = غرق. ولا تزال هذه في اللهجة المصرية اليوم: «طَبْ» = وقع، غرق. ولكن وجود «طوفان» العربية من الثنائي «طف» بمعنى «الغرق» يرجح أن «طفا» كانت تعني أصلاً الغرق ثم صارت بمعنى مضاد، كما حدث في عشرات الكلمات الأخرى)[145].

فلنعد إلى المعبود «ست».

ومع اعتراف الأستاذ «بدج» (المصدر السابق، صفحة 243) بأنه من العسير تحديد معنى هذا الاسم فقد ذهب إلى معارضته باسم «حورس» (ح ر) الذي يعطي جذره معنى: «فوق» أو «أعلى» وبذا يكون معنى «**س ت**» هو «الأسفل» (he who is below) كما يعبر «بدج» في الأنكليزية. ويدعم رأيه بقول الأستاذ «برغش» إن في القبطية كلمة «**سراي**» Srai (فوق) وكلمة «**إست**» eset (تحت). والأخيرة، في رأيه، منشأ اسم المعبود «**س ت**» (السفليُّ، المنحطُّ، أو: ساكن الأرض، في مقابل «ح ر» ساكن السماء). وهذا وهم آخر من الأستاذين الجليلين؛ فإن اللفظتين «القبطيتين» عربيتان: الأولى (سراي) من الجذر «سرا» الذي يفيدالارتفاع أو الفوقية حساً ومعنى (قارن: سريٌّ: سيد رفيع القدر. سارية: عمود مرتفع. راجع مادة «سرا» في (اللسان) لمزيد من البيان). والثانية (إست) من مادة «س ت» الثنائية الموجودة في مادتي «سته» و«است» في (اللسان) وتقدمان

= (الريح العظيمة). وإلى Tuphon اليونانية أرجع كلمات من مثل Typhoid (الحمى المعوية. (عربناها): «تيفود» أو: «حمى تيفودية») و Typhus (الحمى المحرقة. (عربناها): «تيفوس»!). فلو رجع القارىء إلى مادة «طوف» العربية لوجد فيها معنى المرض المهلك والحمى والاغراق والموت وما إليها بسبيل.

(145) قارن: جون = أبيض، أسود. مولى: سيد، عبد. ويقال: بصير = أعمى. وفي اللهجة الليبية: بَيّاض = فحم، وهّاب = متسول، شحاذ.

وفي الأكادية هنا T e b u m (جذرها «طب» TB) بمعنى: غطس، غرق. (معجم Weir).

مدلولات التحتية (وفي كلا المادتين «سته» و«است» يذكر ابن منظور أن الألف في الأولى مزيدة وكذلك الهاء في الثانية وأن الأصل هو «ست»). ولا حاجة للتفصيل لوضوح الأمر[146].

هذه مجرد إشارة عابرة ترينا كيف نظر الباحثون إلى هذا الاسم. أما في معجم اللغة المصرية فقد ورد اسم هذا المعبود بصيغ مختلفة قليلاً منها : «س ت» st - واضحة السين. وجاءت ṡ t والحرف الأول هنا أقرب إلى الصاد، أو هو بين الصاد والزاي. وكذلك «س د» s d . كما وردت «س ت ش» sTš بشين في آخرها، و«س ت ح» St h̲ (والحرف الثالث بين الحاء والخاء)، وبخاء واضحة وزيادة حرف الواو بعد السين «س و ت خ» S w t ḫ . ومن العادة أن يرسم يمين اسم هذا المعبود صورة رجل جالس، رمز الربوبية، أو صورة حيوان نأتي على ذكره بعد حين. أما الاختلاف في كتابة اسم «س ت» فيرجع إلى اختلاف نطقه، فيما يبدو، بين مناطق وادي النيل وتوالى الأعصر التاريخية.

يذهب الأستاذ «بدج» في حديثه عن «ست» إلى أنه **معبود الجنوب** (أي الصعيد). و«الجنوب» في المصرية يسمى «س و ت» ṡ w t - ومن هنا جاء اسم «ست» مناظراً لاسم «حورس» («ح ر» ḥ r).

وهذا، من حيث الصلة، قد يكون صحيحاً. ومن «س و ت» (الجنوب) جاءت «س و ت ى» (= ز و ء ت ى) على النسبة أي «أسيوط» التي نعرفها اليوم (= الجنوبية). وتعرف في بعض المصادر العربية على شكل «سيوط» (وإليها النسبة : سيوطي). وفي المصرية تسمى بلاد النوبة «ت ء. س ت ى» Ta-sTy (أرض الجنوب) ويسمى أهلها «س ت ي و» S t y w (= الجنوبيون/النوبيون). وكلها تقابل الأكادية «شُتو» šutu - أي : الجنوب. أو بدقة أكبر : **ريح الجنوب**.

والعربية ؟

إن الجنوب هو مصدر الحرارة، بل بلاد الحر. وللحَرِّ في العربية تسمياتٌ معروفة تأتي من الجذر الثنائي «**شط**» (← شاط، شوط، شيط) ومنه : «الشياط، والشواط، وشوَّطَ يشوط تشويطاً». و«شط» بتعاقب الطاء والظاء هو نفسه «**شظ**» (← «شوظ، شواظ»). وفي القرآن

---

(146) في المصرية : «س ت ت» stt : أرض. و«س ت» st : مكانة، موقع. وتعبير «س ت. ح ر» st.ḥr : إشراف (معناه الحرفي : «تحت - فوق». كأنه النظر من أسفل إلى أعلى والعكس، وهو تعبير جامع مانع. (أنظر معجم «فولكنر»، صفحة 206).

ومن المغري هنا المقارنة بالفرنسية Sur (أعلى = سر ← سرا) و Sous (تحت. الايطالية Sotto). والأولى تُرجع إلى اللاتينية Supra, super ، والثانية إلى اللاتينية Subtus . فلم لا تكون p في الأولى و b في الثانية مزيدة والأصل Sura و Sutu(s) (العروبية : «س ر» و«س ت») ؟

قارن أيضاً ما في الأنكليزية من معاني القعود والأرضية والتحتية وتطورها إلى معاني الثبات والبقاء وعدم الحركة ونحوها، مثل : Sit, Seat, Site, Situation, State, Static, Stable, Stand, Statue, Standard, Still, Stick, Stock, Stop, Stiff, Stay. etc.. والجذر الأصلي فيها كلها هو «St» (س ت).

الكـريم : ﴿يُرْسَـلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٍ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ (الرحمن/35). وفي اللهجة الليبية تستعمـل كلمـة «قِبْلي»، وتعني «جنوبي» نسبة إلى «القبلة» - أي متجه الصلاة ؛ إذ يولي المصلون في ليبيا وجههم نحو الكعبة في اتجاه الجنوب الشرقي في الواقع ولكن صفة الجنوب غلبت على كلمـة القبلة[147] - بيد أن كلمـة «قِبْـلي» صارت تعني «الحـر القـادم من الجنوب» أي من الصحراء. وفي بعض المناطق تطورت الدلالة إلى مطلق الحر[148].

فكأن مصدر الأكادية «شُتُو» والمصرية «س و ت» من العربية : «شوط/«شوظ» أي شدة الحر، أو العكس، وانصرف المعنى إلى «الجنوب».

هذا من ناحية، ونجد من ناحية أخرى أن من معاني «س و ت» s w t في المصرية : «قوة الريح» force of wind (معجم «فولكنر»، صفحة 215) - ولعل المقصود «الريح الجنوبية». وهنا نجـد المقـابـل العربي «سوط» ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِم رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ / (الفجر، 13)[149].
والسوط يحمل معنى «القوة» إلى جانب معنى «حرارة» العذاب. ومقلوبه «سطو ← سطوة» يفيد السلطان والقوة والملك. وقد استغل عرب مصر الأقدمون هذا التلاعب باللفظ فكانت كلمة «س و ت» s w t و«س ت ت» s t t لتعني «ملك» و«ملكي» (أنظر : Budge ; The Egyptian Book of the Dead, p. CXLIX). وهي تكتب في الهـيروغليفية (𓇓) أو (𓇓𓏏𓈖) (تقـابـل العـربية : سطا، ساط، سوط). وفي العربية الجنوبية (السبأية) : «و ص ت» wṣ.t : أمر، فرض - وأيضاً : حرق، إحراق. (Biella, Dict. of O. S. Arabic, p. 141-2) وهي مقلوب المصرية «ص و ت» śwt التي هي ذاتها «س و ت» swt . وهذا ما يوضح فكرة إبدال الحروف المتشابهة المخرج : ش، س، ص، ز.. إلخ. كما يبين فكرة قلب الكلمة مكانياً وبقاء المعنى واحداً تقريباً.

كلمـة «س و ت» المصرية تعني أصـلاً نباتاً اشتهر به جنوب مصر يقول عنه «فولكنر» (المعجم، صفحة 215) لعله العسلوج Scirpus-reed . أو لعله الحلفاء Sedge أو نبات الأسل rush حسب تفسير «غاردنر» (Eg. Gr., p. 73) . ولم يمكن الاتفاق على فصيلة هذا النبات الذي اتخذه فراعين مصر شعاراً لجنوبها (الصعيد).

---

(147) إلى عهد قريب كانت تجري تسجيل الأراضي تُحدُّ : شرقاً كذا، وغرباً كذا، وبحراً (والمقصود : شمالاً) كذا، وقبلةً (والمقصود [illegible]ربا) كذا.

(148) هذا، على الأقل، في منطقة مصراته. يقولون : «اليوم قِبْلي». والمقصود : «اليوم حَرّ» - حتى إن كان قادماً من جهة أخرى غير الجنوب. وفي بعض المناطق الأخرى من ليبيا يُسَمَّى الحر «نَوّ» (عربيته : نوء). وفي مناطق غيرها تفيد «نوّ» الريح العاصفة (نوّة = نوءة). وأصل «نوء» يعني : نجم - لارتباط مواسم المطر والريح والحر بالنجوم.

(149) لاحظ أن الحديث عن عاد، وثمود، وفرعون ذي الأوتاد. ويتردد في القرآن الكريم أن عاداً أهلكت ﴿بريح صرصر عاتية﴾، أو هي ﴿الريح العقيم﴾.

ونلاحظ أن «العسلوج» الذي اقترحه «فولكنر» لتحديد هذا النبات، ضرب من فصيلة «الكراث». وفي العربية نقرأ :

«**السياط** : قضبان الكراث الذي عليه معاليقه. . . وسوَّطَ الكراثُ : إذا أخرج [معاليقه]». (اللسان ؛ مادة : سوط). فقارن هنا، أيها القارىء، الرمز الهيروغليفي لكلمة «س و ت» swt ووجود هذا الرمز المحدِّد أليست هذه هي «معاليق» الكراث التي أخرجها، أي «سَوَّطها» ؟ (ت = ط).

وقد يحل «الكراث» (ويكتب أيضاً : كرات) مشكلة الباحثين في فصيلة نبات الشعر الملكي في جنوب مصر قديماً إذا أمعنوا النظر على ضوء المقارنة اللفظية والدلالية بين المصرية والعربية[150].

هذا هو تحليلنا للرمز الهيروغليفي المحدِّد (سياط الكراث). ولعل من الحكمة أن نتوقف قليلاً عند الرمز الذي يقابل صوتيًّا عند النقحرة : «**س و ت**» s w t، وهو عبارة عن نبت برز أوسطه وانبثق عن كل جانب منه فُرَيْعَان صغيران هكذا : كأنما هما في بداية الطلع. فلماذا كان هذا الرمز بالذات وما علاقته بالموضوع ؟

إننا نرجعه إلى الجذر العربي الثنائي «**شط**» الذي سنعود إليه بعد قليل. ومن هذا الجذر الثنائي كان الثلاثي «**شطأ**» الذي نقرأ فيه :

«**الشطء** : فرخ الزرع أو النخل، وقيل : هو ورق الزرع. و**شَطَأَ** الزرعُ والنخلُ : أخرج **شَطْأَه**. **أشطأ** الزرعُ : خرج شَطْؤه».

فهل نستبعد، بعد هذا، أن يكون عرب مصر الأقدمون عرفوا النبت في بداية الطلع بهذه التسمية (**شطء**) [**ش ت ء** < **س ت** < **س و ت**] واستغلوها في دلالتها الرمزية والصوتية ؟ إن ما يؤكد هذا القول أن كلمة «**ش ت ء**» š t a (= شطء) في المصرية تعني : «نبات، شجيرة ـ

---

(150) نقترح في هذا المسار صلة لفظية بين «كراث» (أو كرات) والجذر العروبي «ك ر ت» الذي يفيد : القطع، الفصل، الحكم، الزعامة، السيطرة (والأخيرة رباعية الجذر «سيطر» من «**سيط**» + «ر». قارن : بعثر = بعث + ر). ونحن نلاحظ أن دلالات القوة والسلطة في اللغات العروبية، وأولاها العربية طبعاً، ترجع إلى أسماء النبات قبل الحيوان. ولعل هذا يرجع إلى أن أهل الجزيرة، منبع هجرات العروبيين، كانوا يعبدون النبات قبل عبادتهم الحيوان. أنظر في هذا : محمد عبد المعيد خان ؛ **الأساطير والخرافات عند العرب**. وأنظر عن تأصيلنا لليونانية Kratia (حكم) كتابنا : **بحثاً عن فرعون العربي**.

وللتثبُّت، وحتى يرى القارىء الصلة التي لا تنفصم بين العربية والمصرية، نذكر ما في المصرية :

ك ر ث k r t : حبل، رباط، سير **السوط**. (معجم «بدج»، صفحة 790) «**ق ردِن**» qrdn : **فأس** (معجم «بدج»، صفحة 764 ومعجم «فولكنر»، صفحة 281).

قارن العربية : كرث = قطع. **الكرثيم** : الفأس العظيمة لها رأس واحدة. **والكردن والكردين**، **والكرزم والكرزيم**، **والكرزن والكرزين** : الفأس ـ ومن دلالاتها : الشدَّة، والثقل.

بالتصغير» (معجم «فولكنر»، صفحة 273)[151] وهي هنا واضحة بالشين المعجمة، والتاء تكافىء الطاء، والهمزة في آخرها (ش ت ء = **شطء**).

فماذا بعد؟ لندعم قولنا بما ورد في القرآن الكريم:

﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ **شَطْأَهُ**، فَآزَرَهُ، فَاسْتَغْلَظَ، فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾ (الفتح/29).

وليس ثمة أوضح من هذا بياناً.

هذه ملاحظة عابرة. والمهم أن «سياط» الكراث (أو سواه من النبت) أي قضبانه[152] أو معاليقه في بداية إخراجه لها تسمى في المصرية «س و ت»، وهي تعني كذلك «السطوة» كما أنها «الجنوب» و«الحر» أيضاً. والأمور، كما ترى، متداخلة بيد أنها تخرج من مصدر واحد. والجذر «**شوط**» في العربية يؤدي دلالة «**شوظ**» كما كان «**سوط**». فأين هذا كله من «**ست**» المعبود المصري القديم؟

لقد رأيناه يكتب «س ت». ومن هنا جاءت كلمات من مثل:

«س ت ى» Sti: أوقد النار، أشعل، **شيط**.

«س ت ي» Sty: حدَّق، برَّق، نظر **بحرارة**.

«س ت ء» Sta: حرارة، **شياط**، **شواظ**.

«س ت ء ت» Stat: مصباح، موقد نار، **سطع**.

ورأينا أيضاً أن الاسم يكتب بصيغ مختلفة؛ بالسين وبما يقارب الصاد أو الشين ś وبالزاي. وفي معجم «بدج» نجده مكتوباً «س د» sd[153] (صفحة 713) ـ وهذا ما يسمى الابدال. وكتب

(151) في الانكليزية: (brush wood, Scrub, copse). فلو انتبه للعربية لقال: «**شطء**».. وكفى. أو الانكليزية نفسها **(Shot), (Shoot)** (طلع النبتُ) وهي تقدم نفس دلالة «شطء» العربية بالضبط!

(152) لاحظ أن «القضيب» علامة الملك ـ وهو يُسَمَّى «الصولجان» (من «الصولة ؟») وهو كان يستعمل لقباً للامارة. في السبأية «ق ض ب». وفي الليبية (حجر مسنن) يأتي في صورة «ق ز ب». لاحظ أيضاً أن «القضب» نبات. ومعنى «قَضَبَ»: قطع. قارن «قصب» ← نبات القضب، قَصَبَ = قطع. قصَّاب = جزَّار، قاطع. ولعل هذا ما يؤيد ما ذهبنا إليه في علاقة «كرت» (اليونانية Kratia) بنبات «الكراث»، كَرَتَ = قطع.

(153) في مقالة للدكتور حسن ظاظا عن «**اليهود والشيطان**» (مجلة الهلال، مايو 1974) ذكر أن الشيطان قد تحدد في بعض ما ورد في «التلمود» بأنه يطلع أحياناً بين قرني ثور أسود، و«اللغة البابلية تسمى الثور «**شيد**» ونفاجأ بأن نجد كلمة «**شيد**» نفسها في التوراة بمعنى «**عفريت**». وهذه الكلمة هي التي اختارها «سعديا الفيومي» لترجمته العربية كلمة «**شيطان**» كمقابل لها، ذلك أن الكلمة بالعربية ترد أكثر ما ترد في الجمع «**شيديم**» التي يترجمها بلفظة «**الشياطين**». وهنا يعرض لنا سؤال لم تتوافر بعد عناصر إجابة قاطعة عليه. فعندما يقول العوام، في مصطلح السحر والخرافة والزَّار وتحضير الجن، إن فلاناً أو فلانة عليهما «**أسياد**»، بمعنى أنهما قد لمستهما العفاريت. هل يكون أصل هذه الكلمة من **السِّيادة**، بالمعنى العربي، وهي السيطرة، وتكون الأسياد كناية عن الجن المسيطرة على أولئك المعفرتين؟ أم أن تجارة الخرافة على يد اليهود والآراميين والنبط في منطقة الشرق الأوسط كلها هي التي حملت كلمة «**شيد**» العبرية إلى السُّوقة، وفي الجمع فقط «**أسياد**» تماماً كاستعمالها المألوف في العبرية؟ هذا أمر يحتاج في الاجابة عنه إلى تحضير العفاريت وسؤالهم، وهو أمر لا نشتغل به ولا نعتقد فيه». انتهى نص الدكتور ظاظا.

بزيادة حرف الشين «**س ت ش**»، وحرف الخاء «**س ت خ**» ـ وهذا يعني أن الحرفين الأولين هما الجذر الثنائي الأصل.

فما هي الكلمة العربية التي يمكن أن تؤدي كل هذه الغايات لفظاً ودلالة ؟

«**شيطان**» . . أليس كذلك ؟

حسن. إن كلمة «شيطان» ذاتها توجد في مادة «**شطن**». فلننظر ماذا تقول هذه المادة :

«**الشطن** : الحبل. وقيل : الحبل الطويل الشديد الفتل يُسْتَقَى به وتُشَدُّ به الخيل. . . والشطن : البُعْد.»

وقد يبدو هذا بعيداً عن «الشيطان». ولكن ابن منظور لا يلبث أن يضيف :

«**والشيطان** : حَيَّةٌ له عُرْف. **والشاطن** : الخبيث. والشيطان ـ فَيْعال ـ من (شطن) إذا بعد **عند من جعل النون أصلاً**. . . وقيل : الشيطان ـ فَعْلان ـ من (**شاط، يشيط**) إذا هلك واحترق، مثل : هيمان وغيمان، من : هام وغام».

وثمة مناقشة مسهبة لمنشأ كلمة «شيطان» نستطيع أن نستخلص منها أن النشأة كانت من «**شاط**» أي : احترق ـ ومنها جاءت «استشاط» غضباً إذا احتدَّ في غضبه والتهب. وتقدم لنا مادة «**شيط**» (وتقلب الياء واواً : **شوط**) معانٍ ومشتقاتٍ تدور حول **الإحراق بالنار، والشواء، والإهلاك، والذبح، وسفك الدم، وإراقته، والالتهاب، والغبار الساطع في السماء (يسمى : شيطًا)**. . إلى آخره. ونخلص إلى أن «شيطان» ـ فَعْلان ـ من : شاط، يشيط. «وفي الحديث : أعوذ بالله من شر الشيطان وفتونه، **وشيطاه** وشجونه».

إن «**شاط**» و«**شيط**» و«**شوط**» **تعود أصلاً** إلى الجذر الثنائي «**شط**» بعد حذف حروف الإعلال الثلاثة من هذا الجذر الثنائي «**شط**». أما وقد رأينا مدلولاتها ومشتقاتها فإننا نستطيع القول بأنها تقابل في المصرية «**س ت**» (وهي الصورة المشهورة من جملة صيغ أخرى : «ز ت»، «ص ت»، «ش ت»، «س د» ـ حسب الإبدال الذي ذكرناه). وبحسبه أيضاً رأينا السين زاياً وصاداً وشيناً، والتاء دالاً. وفي اليونانية كانت التاء في «س ت» مثلثة «**سِيْثْ**» Seth . أليس صواباً أن تتعاقب الشين في المصرية مع السين ومبدلاتها، وتتعاقب الطاء مع التاء ومبدلاتها، فتكون «**س ت**» = «**ش ط**» ؟

يؤيد ما نذهب إليه ما يذكره «القديس أفرام» St. Ephraim من أن عبادة «ست» كانت لاتزال موجودة في هليوبوليس (مدينة الشمس = عين شمس) في مصر في القرن الرابع بعد الميلاد تحت اسم

= وهذه ملاحظة دقيقة تأتي من أستاذ متخصص متمكن مشهود له بالكفاءة، فلعل كلمة «أسياد» في تعبير (تستور يا اسيادي) فعلاً ذات صلة بـ«شيد» البابلية العبرانية. وهي في المصرية «س د» (سيد ـ بالتحريك المفترض) كما أنها «س ت» وسواها من صور الكتابة والنطق. ولعل ما فات الدكتور ظاظا أن كلمة «شيد» البابلية قد تعني «سيِّد» (مفرد : أسياد). والثور في المصرية يدعى «م ر» (= سيد. عربيتها : مرء) و «**س ت**» يلقب أيضاً «م ر» (سيِّد ـ وقارن العربية : أبو مرة = إبليس). ولا يمتنع، بل المفضل عند الأقدمين والمصريين خاصة، أن تؤدى اللفظة الواحدة جملة معانٍ مترابطة من باب الجناس وتنوّع الدلالة، على كل حال.

«شيظا» أو «شيضا» أو «شيذا» sēdhā حسبما يورده «وينْرَايْت» (Wainwright ;The Sky-Religion, p. 100) ويسميها «ديانة الشياطين» (The Cult of Demons) - مما يؤكد أن هذه الصيغ كلها ليست سوى العربية «**شط**» (← شاط، يشيط. شوط، شيط) التي اشتقت منها «**شيطان**».

وماذا عن النون التي أضيفت في آخر اسم الشيطان ؟

لقد عُلِّلت بأنها صيغت على وزن (فعلان) وقدمت أمثلة لذلك مما هو كثير في العربية : (نعم < نعمان. زيد < زيدان. فيض < فيضان. طوف < طوفان. . إلخ). وهي ليست أصلية كما تبيَّن. ويؤكد هذا إضافة حرف الشين في المصرية «**س ت ش**» والخاء «**س ت خ**» إلى اسم «**س ت**» دون الخروج على الأصل كما رأينا فيما مضى.

خلاصة القول أن «**ست**» معبود مصر القديمة، ممثل الشرور كلها بحسب تطوره في الأسطورة، وبحسب التحليل اللغوي، ليس سوى «**الشيطان**» في العربية من حيث الذات والصفات.

تبقى بعد ذلك صورة هذا **المعبود** الخطير في مصر القديمة وكيف مثلوه وبما رمزوا إليه.

في القرآن الكريم ورد حديث عن عذاب شجرة «الزَّقُّوم» : ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ. إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ. إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ. طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ. فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ. ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ.﴾ (الصافات/62-67).

وقد اختلف المفسرون لهذه الصورة المعبرة عن عذاب جهنم في تشبيه شجرة «**الزقوم**» برؤوس الشياطين. قال بعضهم : إنه نبات يسمى بهذا الاسم هو نبات «**اليقطين**»[154]. وقال البعض

(154) ورد «اليقطين» في القرآن الكريم عند حديثه عن النبي يونس :

﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ. وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾. (الصافات/146) وهذا ما قد يوحى بشيء من القداسة لهذه الشجرة.

وفي (اللسان، مادة : **قطن**) : «اليقطين : كل شجر لا يقوم على ساق، نحو الدُّبَّاء والقرع والبطيخ الحنظل. . . واليقطينة : القرعة الرطبة. التهذيب : اليقطين ؛ شجر القرع. . . وكل شيء ذهب بسطاً في لأرض : يقطين. . . ومنه : القرع والبطيخ والقثاء والشريان».

وفي المصرية نجد كلمة «ب د د و ك» b d d w k = العربية **بطِّيخ**، **بَطُّوخ** (ب ط ط و خ. بتعاقب الدال المشددة والطاء المشددة كذلك، والكاف والخاء. أنظر معجم «فولكنر»، صفحة 86. وراجع مادة «بطخ» في (لسان العرب). وقارن «معجم بدج»، صفحة 227. وهو يكتبها «ب د د ك ء» b d d k a - ولعل هذا ما يفسر صيغتي : **بطوخ، وبطيخ**، في العربية).

ونعود إلى «اليقطين» الذي صار يعني بالتخصيص : «القرع الأحمر» أو «الدُّبَّاء» (الأنكليزية pumkin. قارن اللهجة الليبية : بَكْوَة، بْكِيوْةَ bakwa, bkēwa) ونبحث عن تسميته في المصرية فيبدو لنا اسماً غريباً هو : «ق ر ق ن ت س ي» g r g n t s y ويقارنه «بدج» في معجمه (صفحة 802) باليونانية «**كولوكونتوس**» Kolokun-thus والقبطية «**كالاكانثى**» Kalakanthi. ويبدو لنا، والله أعلم، أن حرف السين الوارد في المصرية يقابل حرف السين في اليونانية التي ربما تأثرت بها المصرية في فترة وجود اليونان بوادي النيل (عصر البطالمة خاصة)، وأن الأصل هو : «ق ر ق ن ت ى» (يقابل القبطية «كالاكانثى»). فإن كان الأمر كذلك فإن إرجاع التسمية إلى

= العربية أمر سهل : «ق ر» g r = ق ر(ع) - بسقوط العين +ق ن ت g n t (مقلوب «ق ت ن» = قَطَنَ ← يقطين) = قرع يقطين + ياء النسبة = «قرع يقطيني» (أو : يقطين قرع/يقطين قرعي - تفريقاً له عن البطيخ والقثاء والشريان ونحوها من فصيلة اليقطين). (ملاحظة : الواقع أن المقطع «ق ر» (= قارا، كالا) يدخل في اسم البطيخ في لغات كثيرة : اليونانية Karpouzi الفارسية Kharbuz لهجة صقلية Caravazza الاسبانية Calabaça الفرنسية Calabasse الانكليزية Calabash وفي العربية : «خربز»، «جربز» بإبدال القاف المعقودة خاءً وجيماً معطشة. ومنها : كلبز (كلبظ)، مكلبز (مكلبظ) أي : مدوَّر، مكوَّر، مدحرج - اللهجة الدارجة).

فهل بعدنا عن الموضوع ؟ كلا.. إننا لا نزال فيه. وقد أشرنا إلى ذكر اليقطين الذي أنبته الله على يونس النبي. وألمحنا إلى أن في ذكره شيئاً من المعنى الخفي، قد يكون قدسياً في هذا المقام. وهذا الخفاء، أو القدسية، لا يزال موجوداً حتى اليوم عند نصارى الغرب ؛ ففي «عيد كل القديسين» All Saints Day (الذي يسمى «الهلووين» Halloween في أمريكا واسكتلندا خاصة) يحتفل القوم بتجويف قرعة حمراء وحفر شكل عينين وأنف وفم فيها، ووضع شمعة وسطها لطرد «الأرواح الشريرة» كل عام.. وتخويفاً لها حتى لا تدخل البيت طيلة السنة.

هذه العلاقة بين القرع والقدسية موجودة في الكلمة الانكليزية zuchetta أو zucchetto وهي قلنسوة قس الكنيسة، سوداء اللون للكاهن وأرجوانيته للقمص، وهي حمراء على رؤوس الكرادلة وبيضاء فوق هامة البابا (الحبر الأعظم). وهي كلمة إيطالية تصغير zucca ومعناها «قرع». فما صلة «القرع» بهذه الرؤوس المبجَّلة، وهي رؤوس ليست بالضرورة «قرعاء» ؟ (لاحظ أن الرأس يسمى في العربية قرعاً وقرعة - على التشبيه. وكلمة «قرعاء» - أي صلعاء - من ذلك أيضاً ؛ إذ لا شعر على القرع، وخاصة البطيخ، يغطيه. وهذا حال الهامة القرعاء).

الصلة تكمن في كلمة أخرى هي gourd (وفرنسيتها gourde) التي تعني أيضاً «يقطين» ويرجعها (معجم أكسفورد) الاشتقاقي إلى اللاتينية cucurbita (فإن لم تكن هذه تحريفاً للمصرية «ق ر ق ن ت ى» g(u)rg(u)nty(a) التي أرجعناها إلى العربية منذ قليل.. فإن أقرب كلمة إلى gour(d) هي العربية «قر(ع)» بإبدال العين المنعدمة في اللغات الأوربية دالاً).

ويعرف (معجم أكسفورد) الاشتقاقي هذه الـ gourd بأنها : «نبت شحميٌّ كبير، يفرغ غلافه ويجفف، ويتخذ منه آنية ومواعين». وهذا ما يعرف في العربية باسم «الزِّق». قال في (اللسان) : «الزِّقّ الذي يُسوَّى سقاءً أو وطباً أو حميتاً... والمزقَّق : محذوف شعر الرأس كله، وهو من الزِّق : الجلد يجز شعره ولا ينتف نتف الأديم... والتزقيق : سلخ الجلد من الرأس كله.»

فانظر إلى هذا التطابق في التسمية والاشتقاق ما بين «قَرْعُ» ← و«قَرَعُ» (قرعة/أقرع، قرعاء) و«زِقٌّ» (الإناء = السقاء، الوطب، الحميت) و«زَقَّقَ» (سلخ). ثم انظر كيف دخلت الايطالية في صورة zucca (قرع - زق) ثم تصبح zucchetto, zucchetta (طاقية الراهب، أو «زقه» الموضوعة على قمة قرعته). فهل نزيد ؟

في المصرية «سق» Sq (= وعاء، إناء. وأيضاً : غطاء الرأس. فلا تعجب ! أنظر معجم «بدج»، صفحة 701). ونرى أن العربية «سقاء» لا تتعلق بالشراب والسقاية بل هي أقرب إلى معنى «الإناء» مطلقاً. وقارن - إن شئت - الإيطالية Sacco والانكليزية Sac (أو Sock) وغيرها كثير.

فهل عرف العرب استعمال القرع آنيةً ؟

نعم. دون شك. وإلى عهد قريب جدًّا كان الكاتب يرى في طفولته أهل بلده (مصراته) من القرويِّين خاصةً يتخذون من القرع المجوف المجفف آنية لحفظ بعض ما لديهم من طعام يحفظونه. وفي اللهجة التونسية لا تزال بقية محرَّفة لهذا ؛ ففي تلك اللهجة يعبر عن «القنّينة» باسم «دَبُّوزة» - فإذا نظرنا إلى القرع الأحمر رأيناه يُعْرف «بالدُّبَّاء». أما كيف صارت «الدُّبَّاء» «دَبُّوزة» فذلك من الاضافة والتحريف عبر العصور. فهل تحب أن تعود إلى تسمية القرع في المصرية (عربيته «قرع يقطين» أو «يقطين قرع») فكان «ق ر ق ن ت س ى» ؟ أم ترى هذا القدر كافياً لهذا الهامش الصغير ؟!

الآخـر : هي الحيات، تسمى الشياطـين[155]. لكن الرأي الأصوب كان القول بأن الشيء إذا استُقبح شُبِّه بالشياطين فيقال : كأنه وجه شيطان، وكأنه رأس شيطان. والشيطان لا يُرى ولكن يستشعـر أنه أقبح ما يكون من الأشياء، ولو رؤي لرؤي في أقبح صورة. ومن هنا كان التشبيه بالشيطان وبالغول.

قدماء المصريين مَثَّلوا «ست» بحيوان حارت البرية فيه، كما يقال. ومثلما اختلف المفسرون العـرب في أمـر «رؤوس الشياطين» داخ علماء المصريات في رمز «ست» الحيواني ؛ قال «غاردنر» (Eg. Gr., p. 460) : «هو حيوان لعله نوع من الخنازير». وقال «شورتر» (The Eg. Gods, p. 141) : «حيوان غير محقق النوع، قد يماثل الكلب بشكل ما، ذو فرطوسة طويلة وأذنين منتصبتين، وقد يشبه الخنـزير». واحتار «بدج» (The Gods of The Eg. ii, p. 243) حتى قال إنه «يشبه الجمل، أو لعله حيوان انقرض لكثرة ما صيد لكونه رمز «ست» المكروه، فقضى عليه قضاءً مبرماً» ! أما «لوركر» (The Gods and Symbols of Anc. Eg., p. 110) فعنده أنه «كلب، أو وعل، أو لعله حمار». ثم جعله يشبه حيواناً يدعى «آرفارك»، وجعله مرة أخرى يشبه حيواناً يسمَّى «أوكابي».

هذه الصورة المحيِّرة رمزاً للمعبود «ست» تحقق بالضبط أنه (**لا صورة له**). فكأن المصريين «**تخيلوا**» حيوانـاً غير موجود أصلاً، أو كوَّنوا صورة متعددة الأطراف مما هو موجود، للدلالة على «**الشيطان**» الذي لا يُرَى وإنما يُستشعر، فإذا صُوِّر كان في أغرب أو أقبح صورة.

لكن الشيء المثير للاهتمام يكمن في «**ذيل**» هذا الحيوان الخرافي ؛ فهو يصوَّر دائماً **مرتفعةً نهايته على شكل سهم**. ولعل الاشارة تعود إلى الحربة التي استعملها «ست» في بداية أمره لقتال الحية «أ پ پ» a p p ولا يغيب عن بالنا أن الشيطان، حتى عصرنا الحاضر، حين يصوَّر يُرسم **ذيله على شكل سهم** منبثق منه[156].

ثم هناك **القرنان**. وفي حين يرى عدد من الباحثين أن لـ«ست» أذنين مشرعتين منتصبتين، يرى «بدج» أنهما عبارة عن **قرنين** في الأصل، خاصة إذا ربطنا بينه وبين زوجته «نفثوس» (**ن ب ت. ح ت** = ربة البيت/القلعة/الحيط) التي تصوَّر وعلى رأسها **قرنان** يحملان قرص الشمس. **والقرنان ملازمان لصورة الشيطان كذلك**. وينسب في الأثر حديث يقول :

«إن الشمس تطلع بين **قرني الشيطان**».

---

(155) الحية والشيطان مرتبـطان في التصورات الدينية والأسطورة. وفي التراث العبراني لا يذكر الشيطان غاوياً لآدم وحواء، بل هي الحيَّة التي أغوتهما، وفي بعض تفاسير التوراة أنَّ الشيطان تلبَّس صورة الحية متمثلاً فيها.

(156) في المصرية : s t (ست) و s d (سد) = ذيل. والمثير للاهتمام ما يوجد في اللهجة الليبية المعاصرة : «**غْضِيِّمْ زَاطْ**» (عُظَيمْ زاط ـ تصغير عَظْم) والمقصود الفقرة السفلى من العمود الفقري (= العصعص) وفي المأثور الشعبي أنه لا يبلى بعد الموت وهو الذي يبنى عليه جسد الانسان يوم النشور. وعند التطوريين أن هذا «العُظَيم» بقية الذيل الـذي تلاشى من الانسـان في أثنـاء تطوره. «**زاط**» هذه تقـابـل تماماً «س ت»، «س د» (= ساث، ساد ـ بالتحريك) وذلك بتعاقب الزاي مع السين والطاء مع الثاء المثلثة والدال.

«قال الحربي : هذا مثل. وكذلك قوله : إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ـ إنما هو مثل ؛ أي يتسلط عليه فيوسوس له لا أن يدخل في جوفه. . . قال الخطابي : قوله «**بين قرني الشيطان**» من ألفاظ الشرع التي أكثرها ينفرد هو بمعانيها، ويجب علينا التصديق بها والوقوف عند الاقرار بأحكامها والعمل بها». (اللسان، مادة : **شطن**).

المسألة إذن لا تخرج عن كونها «تصوُّراً» لشيء لم يُرَ، ولا يُرى. أي «فكرة»، والفكرة ليست إلا تصوراً خيالياً مستمدًّا تركيبه من الواقع في شكل يخالف هذا الواقع. ومجالنا ليس الفلسفة طبعاً ـ فلنسأل **كيف** «**تصوَّر**» العرب الشيطان ؟

الـدكتـور محمـد عبد المعين خان ناقش هذا الأمر بشيء من التفصيل في كتابه (الأساطير والخـرافات عند العرب) ونحب أن نستفيد مما عرضه ونرى إن كان بين التصور العربي والتصور المصري للشيطان من صلات.

نجد أولاً الاعتقاد السائد عند العرب في الجاهلية أن الشياطين (وهم الأبالس، جمع إبليس) من «الجان» الذي خلقه الله من نار السموم ـ كما يقول المسعودي في كتابه (مروج الذهب) ـ وخلق منه زوجته التي غشيها فحملت منه «**وباضت إحدى وثلاثين بيضةً، وأن بيضة تفلَّقت (فخرجت) من تلك البيضة قطربة هي أم القطارب وأن القطربة**[157] **على صورة الهرة، وأن الأبالس من بيضة أخرى منهم الحارث أبو مرة**، وأن مسكنهم الجزائر، **وأن الغيلان من بيضة أخرى** مسكنهم الخرابات والفلوات **وأن السعـالى من بيضة أخرى** وسكنوا الحمامات والمزابل، **وأن الهوام من بيضة أخرى** وسكنوا الهواء في صورة الحيات ذوات أجنحة يطيرون هنالك، **وأن الحماميص من بيضة أخرى**».

والذي يهمنا الآن أن **إبليس** (الملقب **بأبي مرة**. قارن لقب «ست» في المصرية «م ر» m r) خرج من **بيضة** ولدتها أمه بعد أن غشيها زوجها (الجان) وهي التي خُلِقتْ منه ـ كما خلقت «حواء» من «آدم».

وفي قصة خلق «ست» أنه ابن «**جب**»[158] (إله الأرض) من زوجته «**نوت**» (ربة السماء). والملفت للنظر أن اسم «ست» يكتب في الهيروغليفية محدَّداً بصورة «**إوزة**» ويقرأ الرمز : s t, وz t وz a t («غاردنر» Eg. Gr., p. 471) . وصورة الاوزة وحدها تؤدى الصوت «زء» za وتعنى :

---

(157) في (اللسان) «قطرب» و«قطروب» بدون تاء التأنيث، له تعريفات كثيرة منها أنه : ذكر الغيلان، أو الذكر من السعالى. وهو : دويبة لا تهدأ حركتها، والقطرب : الجاهل، السفيه. وهو : اللِّص. وكذلك : **الذئب الأمعط والصغير من الكلاب**. (قارن هنا صورة «ست» في شكل حيوان ذئبي كلبي، يشبه ابن آوى).

(158) يذكـر الـدكتور سيد نوفل في مقالة له بعنوان «الجن والشياطين في الأدب العربي القديم» (مجلة الهلال، مايو 1974) أن «الروايات العربية تسير بأن الجن سبقوا الانسان في سكني الأرض وأن أباهم (سوبيا) أو (شوبيا) سبق أبانا آدم بسنين تعد بالعشرات أو الألوف، على اختلاف الروايات». ونلاحظ أن جذري «سوبيا» و«شوبيا» هما : «س ب» و «ش ب» وهمـا مقابلان لاسم الآله المصري «ج ب» (والد الشيطان «ست» حسب الرواية المصرية، وأبى الجن حسب الروايات العربية، وهو «الجان» الذي أفرخ من بيضة زوجته الأبالسة الذين منهم «أبو مرة» = م ر). فهل كل هذا مجرد اتفاق ؟ !

ابن (العربية : ذ ← ذا، ذي، ذو) كما تدخل هذه الصورة باعتبارها محدِّداً في كلمات من مثل «ح ت م» ḥ t m (العربية : حطم) و«س ن ح م» s n ḥ m (جراد. راجع هذه المادة في ما سبق) مما يوحي بصلتها بمعنى الدمار والهلاك، صفة المعبود «ست»، رب التحطيم والتدمير ومختلف أنواع الشرور[159].

حسب التصور العربي الجاهلي : «إبليس» خرج من بيضة. وفي الاسطورة المصرية : «ست» ابن «جب» (إله الأرض. عرف عند العرب باسم : سوبيا، شوبيا). وفي الهيروغليفية تمثل صورة الوزة لفظة «زء» (= ذو = ابن) وتدخل في اسم «ست». وهنا نعود إلى الأستاذ «غاردنر» (Eg. Gr., p. 474) في حديثه عن «البيضة» 0 باعتبارها رمزاً هيروغليفياً فنجده يقول : «إن صورة البيضة 0 ليست إلا اختصاراً، أو هي تقليص، في القلم المصري الهيراطيقي لصورة الوزة المعبرة عن النسبة الأبوية، ولعلها انحدرت من رمز أقدم يعبر عن، أو يصوِّر، قطعة من الطين (الأرض)»[160].

المسألة صارت واضحة :

صورة الوزة تعبر صوتيًّا عن «ز ء» (أو «س ء») وتعني : «ابن» (ذو). قُلِّصت إلى صورة بيضة 0 لتقوم بنفس المهمة (= ابن). وهي ذات صلة بصورة قطعة من الطين أو الأرض أصلاً. وهذا ما يطابق المصرية «ج ب»[161] (راجع هذه المادة في هذه الدراسة) وهو والد «ست» (إبليس، الشيطان). والمدهش أن تدخل صورة الوزة في اسمي «ست» و«جب» كليهما في المصرية.

لابد أن هناك سراً آخر، وقد عرفنا ـ فيما نحسب ـ سر صلة «البيضة» التي ولد منها «إبليس» بالمعبود «ست» (هما معاً = الشيطان). وهو ما يكمن في دلالة الجذر «ز أ أ» في العربية (المصرية «زء») وفيه معنى «الخوف» و«الفَرَق»[162]. وهو مقلوب «أزز» (ثنائيُّه : «أز») ومنه : الأزُّ والأزيز :

---

(159) على ذكر «الجراد» وصلته بآله الشر المصري قارن الآية الكريمة :

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ﴾. الأعراف/33.

(160) تسمى البيضة في المصرية «س وح ت» s w ḥ t التاء في آخرها للتأنيث والأصل «س وح». في العربية : «صوح : الصُّوَاح ؛ الجص ـ وهو قِطَعٌ من الأرض بيضاء تبيَّض به الجدر». لاحظ أن كلمة «بيضة» في العربية من الجذر «بيض» وصلتها بالبياض معروفة. بذا تكون «س وح ت» مقابلة للعربية «صوح» (بتعاقب السين والصاد) = جصَّة = بيضة (بيضاء). تأمل علاقة «صوحة» العربية بالبياض وبالأرض، كعلاقة «س وح ت» بهما معاً كما ذكر «غاردنر» أن صورة البيضة كانت أصلاً قطعة من الطين (لعله يقصد الطين الأبيض = صواح ـ أي : جص).

(161) العربية : «جَوْبٌ» وفي المصرية أيضاً : «ج ب ب» ـ العربية : «جَبُوبٌ» = الأرض.

(162) إلى جانب أن منه : وزٌّ، إوزٌّ، وزَّة، إوزَّة = الطائر المعروف. ويذكر «غاردنر» (Eg. Gr., G 38, p. 471) أن الوزة غير دقيقة الذيل تدخل في رسم اسم إله الأرض «ج ب» و«ج ب ب». وفي (معجم بدج ـ ص 805 ـ 806) مشتقات كثيرة من «ج ب» منها :

ج ب : إله الأرض، والد «ست»، ج ب : المعبود الذي ظهر من أحفاد «ست»، ج ب : خازوق تعذيب طرفه على صورة ابن آوى (رمز «ست»)، ج ب أ : يسحر، يسيء، يدعو بالشر، ج ب : طوفان... إلخ.

هذه كلها، وكثير غيرها، ذات صلة بـ «ست» (= الشيطان). فإذا أضيفت تاء التأنيث إلى «ج ب» صارت =

الغليان، والالتهاب، وصوت الرعد، والحركة الشديدة، والاهتياج، والحِدَّة. وهذه صفات **«ست»** (الشيطان). وفي القرآن الكريم :

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ (مريم/83). **والأُزَّاز : الشياطين الذين يَؤُزُّون** الكفَّار. (اللسان، مادة «أزز»).

نضيف هنا معلومتين صغيرتين مفيدتين ؛ أولاهما أن صورة البيضة تأتي أيضاً في اسم المعبودة «إيزيس» **س ت** s t كذلك، ولكن بمعنى مختلف. ولها صلة بمسألة الخلق في بعض الأساطير. كما لا ننس أن «إيزيس» في الأسطورة المصرية هي أخت «ست» **(فهما من «بيضة» واحدة)**. وقد قرن الدكتور محمد عبد المعين خان (المصدر المذكور، صفحة 128) بين «العُزَّى» العربية وكلمة **«عزو»** (= **أزو**) البابلية بمعنى **«النار»**. والثانية أن «إبليس» في أخبار الاسلاميين كان يُسمَّى، قبل عصيانه[163]، **«عزازيل»** (أحمد الشرباصي ؛ الشيطان كما يصوره القرآن، **مجلة «الهلال»**، مايو 1974). وقد نرجع هذا الاسم إلى «ع ز. إ ل» العروبية بمعنى **«عزيز الله»** أي «القوي» بالله، أو «الحبيب» إلى الله، كما يمكن إرجاعه إلى «ع ز و. إ ل» (= أزو. إل/أز. إل) بمعنى : **«نار الله»** - ولا ننس أن إبليس **خلق من نار**، حسب التصوير القرآني ذاته.

هذا جانب من الحديث.

وقد رأينا كيف صَوَّر المصريون المعبود «ست» في شكل حيوان غريب. **فهل كان الشيطان حيواناً أم روحاً لا ترى، عند العرب، يا ترى ؟**

لا يمتنع الأمران ؛ فهو **«روح»**، وهو خُلِقَ من **«نار»** ولكنه خرج من **«بيضة»** وهذا شأن الحيوان (كله من «بيض» إما نراه - كما في الطير - أو هو من بيضة في الرحم كما في الثدييات). ويذكر الألوسي في (بلوغ الأرب) أن العرب «يعتقدون في الديك والغراب والحمامة والورل وساق حر والقنفذ

= «ج ب. ت»، باعتبار الوزة (رمز «ست») مؤنثة. ونرى أن ثمة صلة وثيقة بينها وبين ما ورد في القرآن الكريم عن «الجبت» :

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ (النساء : 51).

ويفسر «الجبت» بأنه كل ما عبد من دون الله، وقيل : هي كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر، والجبت : السحر. وفي الحديث : الطيرة والعيافة والطرق من الجبت. «قال الجوهري : وليس هذا من محض العربية، لاجتماع الجيم والتاء في كلمة من غير حرف ذَوْلَقِي».

«وعن ابن عباس : الطاغوت : كعب بن الأشرف، والجبت : حيي بن أخطب» (اللسان، مادة : جبت).

والجوهري على صواب في قوله «ليس من محض العربية» إن كان المقصود عربية الحجاز، وهي - كما بينا - من الجذر «جب» والتاء ليست أصيلة بل هي تاء التأنيث، والجذر «جب» عربي محض. أما الكلام المنسوب إلى ابن عباس فهو عن شخصيتين أسطورتين لا شك. والمهم أن نذكر صلة «الجبت» (= g b. t) بعبادة الأصنام والكهانة والسحر وما إليها وهي متعلقة بـ«ست» الذي هو ابن «جب» أو هو ذاته «ج ب ت» (= شوب/سوب) كما مر. والأمر في هذا راجع إلى الخلط الواقع في الميثولوجيا الدينية المصرية حسب مر العصور واختلاف الزمان مما هو معروف جدًّا لدى الدارسين.

(163) أي قبل رفضه أمر السجود لآدم/الانسان.

والأرنب والظبي واليربوع والنعام والحية اعتقاداتٍ عجيبةً ؛ فمنهم من يعتقد أن للجن بهذه الحيوانات تعلقاً ومنهم من يزعم أنها نوع من الجن». وهم اعتقدوا في الشياطين على شكل حيات بيضاء (لاحظ أن «الحية» تسمى «الشيطان»). وكان العربي يخاف من السباع ويظن أنها مسكونة بالأرواح الشريرة، ولا ريب في أن الغول والسعلاة والجن كانت من الحيوان في صميم الفكرة العربية، حتى قال القزويني في (عجائب المخلوقات) إن «الغول حيوانٌ **شاذٌ**» (خان ؛ الأساطير والخرافات . . . صفحة 82). **وهذا ما يوافق تصور المصريين للشيطان (ست)**.

وفي الأساطير العربية يتردد إسمان لشيطانين شهيرين في خرافات الجاهليين ؛ أولهما «**شق**» الذي يقول عنه الألوسي في (**بلوغ الأرب**) : «كان **الشق** بن أنمار بن نزار هذا شق إنسان له يدٌ واحدة ورجلٌ واحدة وعينٌ واحدة» ـ وقد قاتله علقمة بن صفوان بن أمية وضرب كلٌ منهما صاحبه فخرًا ميتين. والآخر هو «**سطيح**» وهو «مازن بن غسان، وكان يدرج كما يدرج الثوب ولا عظم فيه إلا الجمجمة» ـ كما يقول الألوسي (خان ؛ **الأساطير والخرافات** . . . صفحة 82ـ83).

والذي يهمنا من هذه الخرافة الجانب اللفظي . ألا نحسُّ شيئاً من اسم «**ست**» (= شث، شد) في اسم «**شق**» هذا الذي تلمس الألوسي تفسيراً لاسمه **في كونه** «**شِق**» **إنسان، أي نصفه** ؟

أما الاسم الثاني «**سطيح**» (وقد نقرأه : سَطِيح، سُطَيْح، سُطَيِّح) فإنه لا يبعد في جذره «س ط ح» عن اسم المعبود «**ست**» عند «الهكسوس» (وهم عرب) في صورة «**س ت خ**» sth، وكذلك في صورة «س ت ح» sth ـ والحرف الأخير بين الحاء والخاء. (وهذه الأحرف في الهيروغليفية ساكنة دون حركات، وقد نحركها فتكون : «**ستيخ**»، «**ستيح**» = العربية «**سطيح**»)[164].

في (اللسان) أورد ابن منظور تحت مادة «**سطح**» حديثاً جديراً بالتمعن. قال :

«**وسطيح** : **هذا الكاهن الذئبي**، من **بنى ذئب**، كان يتكهن في الجاهلية، سُمِّيَ بذلك لأنه كان إذا غضب قعد منبسطا فيما زعموا، وقيل : سُمِّي بذلك لأنه لم يكن له بين مفاصله قَصَبٌ تَعْمِدُه فكان أبداً منبسطاً **منسطحاً** على الأرض لا يقدر على قيام ولا قعود، ويقال : كان لا عظم فيه سوى رأسه».

وسطيح هنا ليس شيطاناً أو من الجن، كما عند الألوسي، ولكنه مع هذا «**كاهن ذئبي**» مما يقرب صورته من **صورة** «**ست**» (= **س ت ح**) **الذئبية**، وتفسير صفة «**ذئبي**» بأنه من «بنى ذئب» محاولة تلفيقية كمحاولة تفسير اسمه «سطيح» تفسيراً «سطحياً» ـ كما نعبر في أسلوبنا الحديث. **وَرَأْيُنا أن** «**سطيح**» (**الشيطان**) و«**سطيح**» (**الكاهن الذئبي**) **من أصل واحد هو** «س ط ح» (= **س ت ح**). والدليل على هذا الرأي ما يضيفه ابن منظور من حديث طويل بعد ذلك عن «سطيح» هذا نجتزىء منه ما يلي :

---

(164) لاحظ تفسير «بدج» و«برغش» بأن اسم «ست» يعني : **الأرضيّ**، السفلي. وقارن العربية : «**سطح**» ودلالتها على **الأرضية والسفلية**.

«وأتت له خمسون ومائة عام. قال: لما كانت الليلة التي **وُلد فيها سيدنا رسول الله (ﷺ) ارتجس إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك مائة عام، وغاضت بحيرة ساوة، ورأى الموبذان إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها.** فلما أصبح كسرى أفزعه ما رأى... فبعث إلى النعمان بن المنذر: أن ابعث إليَّ برجل عالم يخبرني عما أسأله، فوجَّه إليه **بعبد المسيح** بن عمرو بن نفيلة الغساني، فأخبره بما رأى، فقال: علم هذا عند **خالي سطيح**. قال: فَأْتِه وسَلْه وأْتني بالجواب. فقدم على سطيح وقد أشفى على الموت... (فقال) سطيح: ... **يا عبد المسيح**! إذا كثرت التلاوة، وبعث صاحب الهراوة، وغاضت بحيرة ساوة... يملك منهم ملوك وملكات، على عدد الشرفات، وكل ما هو آت آت. **ثم قُبِضَ سطيح مكانه**».

ولعل القارىء لاحظ هذا الربط (الدرامي) المتين ما بين جملة عناصر متشابكة: مولد الرسول (ﷺ)، ووقوع عدد من «المعجزات» ليلة مولده؛ ارتجاس إيوان كسرى وسقوط شرفاته، وخمود نار فارس، وغيض بحيرة ساوة ورؤيا الموبذان للخيول العربية تطأ أرض فارس (وهذا موجه ضد الخصم القومي التقليدي للعرب). ويستنجد كسرى بحليفه العربي (النعمان) فيرسل إليه بشخص اسمه «**عبدِ المسيح**» (وهذا اسم **نصراني صِرف**). فيذهب هذا إلى «خاله» (سطيح) - والرمز هنا واضح بيِّن. فتكون النبوءة أنه «إذا كثرت التلاوة» (القرآن) «وبعث صاحب الهراوة» (النبي محمد. والهراوة رمز السلطة = العصا، الصولجان) «فيملك منهم (من الفرس) ملوك وملكات (وهذا مجرد سجع الكهان) على عدد الشرفات (أربع عشرة شرفة) وكل ما هو آت آت!». وأخيرا:

«**ثم قُبض (مات) سطيح مكانه**».

فلماذا قُبض سطيح مكانه؟

ذلك لأنه **ممثل الشر، رمز الشيطان**، الذي أوجعه مولد الرسول الكريم، وكان لابد له أن يموت، ما دام «الخير» - ممثلاً في رسول الهُدَى - قد ولد. وهكذا كان؛ مات «**سطيح**» مكانه... أعني مات «**س ط ح**» أو «**س ت ح**» أو «**س ت خ**» أو «**س ت**».. الشيطان الغريب الخلقة، الخالي من العظام سوى جمجمته المليئة بالأفكار الشريرة الجهنمية!

بعد هذا تظل لدينا بضع إشارات نحب أن نضيفها حتى تكتمل الصورة. ففي كتب الاخباريين الاسلاميين مثلاً ذكر أن إبليس، **قبل عصيانه، كان عابداً صالحاً** (وهذا نفس حال «ست» الذي كان معبوداً طيباً محبوباً قبل خصامه مع «حورس الأكبر» وقتاله «أوزيريس») حتى كان يلقب بـ«**طاووس العُبَّاد**». والذي يعنينا هنا الجانب اللغوي في كلمة «**طاووس**»؛ فإن المعنى العام الذي نفهمه الآن من هذه الكلمة أنها اسم ذاك الطائر الزاهي الذيل الساطع الألوان، وأنها تدل على الخيلاء والعُجب - **وليس هذا من طبيعة العُبَّاد قطعاً**. فلماذا وصف بهذا الوصف؟

إن الجذر «**طوس**» مقلوب الجذر «**سوط**»، وكذلك الجذر «**سطو**» (يقابل المصرية «**س و ت**» هي إحدى صور كتابة اسم إله الشر، كما سبق البيان). ويذكر ابن منظور في مادة «**طوس**»:

«طاس الشيء، طَوْساً : وطئه
والطوس : الحُسن».

ففي هذه المادة معنى القوة والسيادة (قارن : دوس ؛ داس، يدوس، دوساً > «**د س**» مقلوب «**س د**» < «سيد». و«س د» صورة من صور كتابة اسم «ست». قارن ما ذكرناه نقلاً عن الدكتور ظاظا : «أسياد» = عفاريت، شياطين = البابلية «شيد»). كما أن فيها معنى الجمال. فإذا اجتمع هذان (القوة الجمال) كان الملك والسلطان. «طاووس العبَّاد» إذن = **ملك/ سيد العُبَّاد**.

لذا كان عرش فارس يوصف بأنه «**عرش الطاووس**»، أي : عرش القوة والجمال.. فيما مضى من الزمان !

وما دام الحديث أعادنا إلى فارس القديمة فإننا نشير إلى أن المجوسية الفارسية العتيقة قسمت ولاءها بين إلهين إثنين : أحدهما **إله الظلام** «أهريمان» والآخر **إله النور** «هرمز». فهل ثمة علاقة بين «هرمز» هذا والمصري «ح ر. م س» ḥr. ms بمعنى «ابن ح ر (حورس)»... أو «ابن النور» ؟

ألا نحس صلة بين «ح ر. م س» و«هرمز» من جهة والاسم الشهير عند الاسلاميين «هرمس» ؟

لقد سوَّى اليونان بين من أسموه «هرمس» Hermes وبين المعبود المصري المعروف «تحت» (راجع هذه المادة في ما سبق)، وجعلوه كاتب الأرباب، ومبتدع فن الكتابة، وراعي الفنون المتصلة بها بما فيها الطب **والتنجيم والسحر والسيمياء** وكان له أثر كبير في الأوساط الشعبية، وعند الخاصة، وكان يدعى «أعظم العظماء» (نقلاً عن المصرية «ع ء. ع ء و» = أعلى العالين. الهمزة = ل/«ع ل. ع ل و»). وقد ازدهرت «الهرمسية» Hermetism (كما تقول دائرة المعارف البريطانية، مادة Hermes) على أيدي العرب، ووصلت عبرهم إلى كبار علماء أوروبا في القرون الوسطى وكانت هناك إشارات كثيرة إلى «هرمس» في أدب هذه القرون وعصر النهضة.

فما الذي جعل اليونان يسمون «تحت» باسم «هرمس» ؟

نحن نرى أن التسمية واحدة ؛ فإن «تحت» هو رب النور والضياء والقمر وفي اسمه هذا المعنى (ضحوت = ضحوة) وفي اسم «هرمس» (بالمصرية «ح ر. م س» ḥ r. m s) هذا المعنى كذلك فهو «ابن النور» ـ صار «هرمس» في اليونانية و«هرمز» في الفارسية... والأصل واحد. وانتقل إلى الكتاب العرب أيضاً في صورته اليونانية «هرمس»[165].

(165) كان «بوذا» أميرا نبذ الملذات وسخط على مساوىء الأخلاق وقرر الجلوس عند شجرة مقسماً ألا يتحرك حتى يظفر بما يهديه سواء السبيل. غير أن القسم الذي أقسمه بعث الحزن والضيق في نفس الشيطان «مارا» (قارن اسم الشيطان في المصرية «م ر» والعربية «أبو مرة») روح الشر وعدو الحقيقة، فحاول أن يغريه باللذات ولكن «بوذا» رفض الانقياد «**فغضب** (مارا) **وأثار عاصفة هوجاء أظلم لها الجو وطغت مياه البحار وهدرت أمواج المحيطات**» ولكن «بوذا» صمد، ولم يجد «مارا» في النهاية إلا الانصراف. (مصطفى الشهابي ؛ الشيطان في عقائد بوذا وكونفشيوس. مجلة «الهلال»، مايو 1974).
ولا حاجة إلى تعليق !

فهل نغفل، وقد أغرانا شيطان الكلام فيما يبدو، عن ذكر اسم شهير آخر في التراث التفسيري لليهودية ونقله المفسرون والاخباريون في الاسلام ؟

إنه «**شيث**».

وقد ورد ذكره في (العهد القديم) في «سفر التكوين» مرتين ؛ إحداهما باعتباره «أكبر» أولاد آدم ؛ (الاصحاح الخامس) : «وولد (آدم) ولداً على شبهه كصورته ودعا اسمه شيثاً» (التكوين ؛ الاصحاح الخامس). ومرة باعتباره «ثالث» أبنائه ؛ فبعد أن قتل قابيلُ (قايينُ) هابيلَ «عرف آدمُ امرأته أيضاً، فولدت ابناً ودعت اسمه شيثاً»[166]. (التكوين ؛ الاصحاح الرابع). وهذا من جملة الخلط في هذا الكتاب الذي تتناقض أقواله بين سطر وآخر.

وعلى كل حال، فإن «شيثاً» ولد ولداً اسمه «أنوش» ـ حسب رواية التوراة ـ ومنه نسل البشر حتى نوح الذي منه : سام وحام ويافث (قارن : أخبار الأيام الأول).

أما في (العهد الجديد) فقد ذكر «شيت» (بالتاء المثناة في الترجمة العربية) عند الحديث عن «نسب» يسوع في (إنجيل لوقا) : «**ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة، وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالي بن لاوى. . . بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم . . . بن سام بن نوح . . . بن أنوش بن شيت بن آدم ابن الله**» (لوقا ؛ الاصحاح الثالث).

ونفهم من هذا السرد التوراتي أنه كان لأدم ثلاثة أبناء : «هابيل» و«قابيل» و«شيث». أما الأول فقد مات إذ قتله «قابيل» (وهو ما يذكرنا بقتل المعبود «ست» لأخيه «أوزيريس» ـ وإن اختلفت الأدوار). وأما الثاني فقد نسل له نسل هلك، فيما يظهر في الطوفان أيام نوح. وأما الثالث فهو جَدُّ نوح أبي البشر الثاني. وهو في التوراة مجرد ولد لآدم عُوِّض به عن فقده «هابيل» ابنه الأثير. ولكننا نجده في التراث التفسيري الاسلامي المتأثر بالاسرائيليات يتميز بشيء مهم هو نزول «صحائف» عليه عددها في بعض الأقوال مائة وفي بعضها الآخر خمسون صحيفة. . و«الصحائف» (التي تقابل الأنكليزية (Scriptures) هي أيضاً ما يسمى «الألواح» وهذا هو «الوحي» بعد ذلك ـ أي «الكتابة» ـ ولعل مقارنة بين «هرمس» (أو «تحت») مبتدع الكتابة عند المصريين واليونان من جهة، و«**ست**» إلـه المعـرفـة الغامضة والذي كان في بدايته إلهاً نورانيًّا من جهة ثانية، ومقابلة الثلاثة بـ«شيث» صاحب «الصحـائف» الأولى، تظهر شيئاً من الصلة بين الجميع. . . خاصةً في ما يتعلق باسم «**شيث**» وتشابهه مع اسم «**ست**» في مختلف صوره[167].

وكما حدث للآله المصري «ست» حدث لـ«شيث» (أو «شيت») التوراتي بطريقة ما. فقد كان الأول معبوداً خيِّراً ثم تحوَّل إلى رمز للشر. كذلك الثاني ؛ بدأ أحد أبناء «آدم» ومنه نسل البشر والأنبياء، ثم انقلب نسله (أو فريق من نسله على الأقل) إلى رمز للشر ممثَّلاً في «المؤآبيين» أعداء

(166) نلاحظ في الـترجمـة العـربية أن الاسم يكتب «شيث» (بالتاء المثلثة) في «العهد القديم» و«شيت» بالتاء ذات النقطتين في «العهد الجديد» ـ وهما سواء بسواء.

(167) أنظر «معجم بدج» في حرفي «السين» المهملة و«الشين».

اليهود الذي أسموهم «بنى شيث» (في الترجمة الأنكليزية **Sons of Sheth** . أما في الترجمة العربية فهم «**بنو الوغى**»[168] أي أولاد الحرب وأصحاب القتال، أو أبناء الشر ـ ترجمةً للعبرانية Shēth). فكأن اسم «**شيث**» صار يعني «**الشر**» بعد أن كان يفيد الخير. **وهذا بالضبط ما جرى للمعبود «ست»** .

ولا تنتهي المقارنات. فقد عرفنا، مثلاً، أن العقلية العربية تصوَّرت «الجان» أباً لكل من : إبليس، والغول (وهما ذكران) والسعلاة والهامة (وهما أنثيان). وعند المصريين كان «جب» أباً لكل من : «ست» و«أوزيريس» (وهما ذكران) و«إيزيس» و«نفثوس» أختيهما (وهما أنثيان). وهذا يقابل ذاك.

أما بالنسبة للتوراة فإن المشكلة تكمن في وجود أخ ثالث إلى جانب الأخوين المتخاصمين، وهو «قابيل». **ولكننا نبدي هنا ملاحظتين** : الأولى أن قابيل «عرف امرأته» وولد له أولاد ينتهون عنـد «لامك»، وَوَلَدَ «شيث» أولاداً ينتهون عن «لامك» أيضاً. وبينما ينتهي ذكر نسل «قابيل» يستمر نسل «شيث» في «نوح» ابن «لامك» (المشترك) هذا. والملاحظة الثانية تكمن في اختلاف رواية التوراة عن ولادة «شيث»، فهو مرة أول الأبناء وأخرى ثالثهم. **فهل كان «قابيل» هو نفسه «شيث»** ؟ هل أضيفت هذه الشخصية (قابيل) لتقوم بتمثيل دور ما ؟

لنضع الصورة هكذا : كان لآدم ابنان (قارن «ست» و«أوزيريس») أحدهما «شيث» والآخر «هابيل» (لاحظ أن «شيث» هو الابن الأكبر كما ذكر مرة). قتل «شيث» «هابيل» (اسم «شيث» هنا : «قابيل»). ولابد، حسب الأسطورة، أن **يُبعث** المقتول، فليكن في صورة «قابيل» أيضاً ـ ليعيش «أخوان» وليس «ثلاثة» في جميع الأحوال. **فقابيل هنا مجرد** «صورة» تتمثل مرة في شكل القاتل (الذي هو أصلاً شيث) ومرة أخرى في صورة الحي العائش[169] (هابيل ـ الذي يماثل أوزيريس).

هذه مجرد فكرة خطرت أرجو أن يغفر القارىء عرضها ـ رغم أن المجال لا يسمح بالاسترسال.

فلنعد إلى «شيث»، أو «ست» معبوداً ؛ إذ يبدو أنه استمر يُعْبَد حتى عهد قريب نسبياً، إذ يذكر «نياندر» (Neander, Ch. History, Vo. ii, p. 115) أنه كانت في مصر في القرن الرابع الميلادي فرقة من «الغنوصيِّين» تسمى نفسها «الشيثيين» Sethians كانت ترى في «شيث» (ست) فيضاً إلهياً، أي منبثقاً من الخالق ذاته (أنظر : Hughes ; A Dictionary of Islam, p. 596 . وقارن : Wainwright ; The Sky Religion, p. 110) . ولا تزال هنـاك فرقـة في العراق هي ما يسمى «**عُبَّاد**

(168) سفر العدد، الاصحاح 17/24. في المصرية «إح أ» i ḥ a (= قتال). والأصل في «الوغى» الصوت والصياح الذي يطلقه المتقاتلون.

(169) في التراث التوراتي نجد «أنوش» ابناً لـ«شيث». وثمة صلة واضحة بين «أنوش» و«عنش» (= عنخ = حياة). أنظر مادة «ع ن خ» في هذه الدراسة.

الشيطان» ـ والطريف الذي يروى عنهم أنهم لا ينطقون حرف الشين في كلامهم مطلقاً احتراماً للمعبود الخطير، مما يشبه ما عرف في تاريخ الديانات من التحرز من نطق اسم المعبود بل يعبر عنه بصفة من الصفات.

والحديث عن «ست» لا ينتهي. وليست الغاية دراسته من الناحية الدينية أو الأسطورية، فهذه مسألة تتشعب وتطول.

وإنما الغاية تتبعه من الوجهة اللغوية خاصة ومن حيث الوضع والصورة والشكل. ولا بأس هنا من تلميح لما عرف به عند أهل الغرب.

فقد عرف في الأنكليزية باسم devil المتطورة عن صيغ أخرى ترجع إلى اليونانية diabolo(s) وقد بيّنّا أمرها فيما سبق. والصفة منها devilish وهناك devilism (عبادة الشيطان) ـ وكذلك diabolism والصفة diabolic وdiabolical . . إلخ. وعرف «الشيطان» باسم Lucifer (من اللاتينية Luci = ضوء، نور + fer = يحضر، يجلب = محضر النور[170]). كما عرف باسم Satan ، ومنها الصفة Satanic و Satanism (مذهب وجد في فرنسا في القرن التاسع عشر. . يعود بنا إلى عبادة «ست»). و Satanology (علم الشيطان ـ علم الشيطنة !).

ونجد أن (معجم أكسفورد) الاشتقاقي يعيد Satan إلى العبرانية «سطن» Ṣatan (بمعنى: عدُوٌّ)[171] كما يرجع بقية الألفاظ المذكورة إلى اللاتينية والجرمانية ونحوهما، والأصوب أن تعود إلى العربية (أو على الأقل العروبية من مصرية وبابلية ونحوهما) التي أخذت أوروبا عنها عن طريق اليونان الآخذين عن الحضارات العربية القديمة.

والجذر الثنائي «شط» أدى إلى «شطأ» (براعم النبت). التي قابلناها بها في الأنكليزية Shoot, Shot ـ من ناحية ـ وأدى إلى «شيط»/ «شوط»/ «شياط» من ناحية أخرى. **أليس غريباً أن نجد في الأنكليـزية كلمات من مثل:** Stew = يطهو الطعام على نار هادئة بماء قليل (اللهجة المصرية: يسبِّك. هل هناك صلة بين Stew والدارجة «يْسَوِّي» الأكل. . أي يطهوه ؟). وهناك: Seethe = يطبخ عن طريق التفوير بماء كثير (ضد Stew). وكذلك: Soot = هباء، أو سخام الفحم المشتعل. **ذلـك هو الجذر العربي «شوظ» ← شواظ (شظ = شط) وهو «ست» المعبود الأسود السخامي الفحمي المشتعل غضباً وناراً كنار الله الموقدة.**

فلنقف عند هذا الحد حتى لا تضيع الابرة بطول الخيط. . . كما يقولون !

---

(170) هذه التسمية تعود إلى صورة الشيطان النورانية في بدايته، عندما كان ملاكاً طيباً قبل أن «يتشيطن» ! واللاتينية Luci (نور) تعود إلى اليونانية Luke (العربية: **ألق، لقق**).

(171) قارن القرآن الكريم الذي تكرر فيه وصف الشيطان بأنه «عدو» لآدم وأبنائه.